الكشف عن حقيقة
الصوفية
لأول مرة في التاريخ

تأليف
محمود عبد الرؤوف القاسم

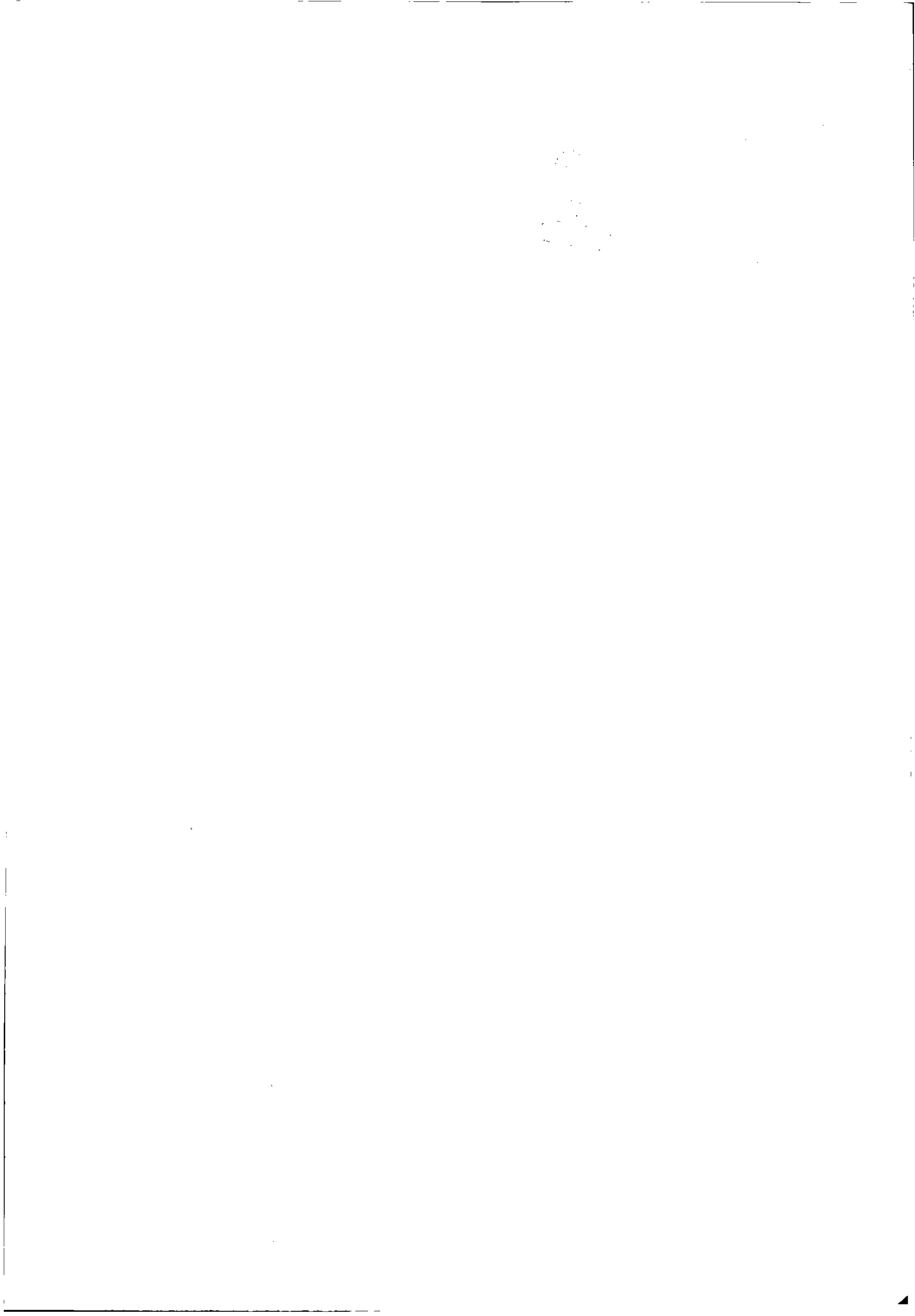
المكتبة الإسلامية

الطبعة الثانية
١٤١٣هـ

توزيع دار طيبة
مكة المكرمة هاتف ٥٥٨٩٠٢٧
الرياض هاتف ٤٢٥٣٧٣٧

المكتبة الإسلامية
ص.ب. (١١٣) الجبيهة - هاتف : ٨٤٢٨٨٧ - عمّان - الأردن

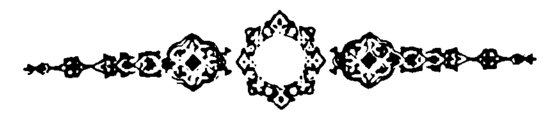
الكشف عن حقيقة
الصوفية
لأول مرة في التاريخ



الفهــــرس

القســـم الأول: الدراســـات

القســـم الثاني: المناقشـــات



□ المقدمة :

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا ، من يهد الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ﷺ .

﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تُموتُنَّ إلا وأنتم مسلمون . ﴾

﴿يا أيُّها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالاً كثيراً ونساء، واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام إن الله كان عليكم رقيباً﴾ .

﴿يا أيُّها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولاً سديداً ، يُصْلِحْ لكم أعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزاً عظيماً﴾ .

أما بعد . .

لننتبه إلى الآيات التالية ، ولنتمثلها جيداً ، قبل البدء بقراءة الفصول ، يقول سبحانه :

﴿لُعِنَ الذين كفروا من بني إسرائيل على لسان داود وعيسى ابن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون ، كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون﴾ .

﴿كنتم خير أمة أُخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله﴾ .

﴿يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم واعلموا أن الله يحول بين المرء وقلبه وأنه إليه تحشرون﴾ .

ثمّ :

يقسم المتصوفة الصوفيةَ إلى طريقة وحقيقة .

والطريقة هي التي تؤدي إلى الوصول إلى الحال الذي يعرفون به تلك الحقيقة .

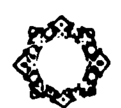
فما هي الطريقة؟ وما هو الوصول؟ وما هي الحقيقة؟

وسنبدأ بدراسة الحقيقة أولاً . ثم الطريقة . ثم الوصول . وبعد ذلك تأتي المناقشات .

وستكون المناقشات بعرض حقائق الصوفية على القرآن والسنة ، ثم تفسيرها فيزيولوجيًا . ثم الكشف عن آثارها التاريخية والاجتماعية .

وعلى هذا فسيكون الكتاب قسمين :

- القسم الأول للدراسات .
- والقسم الثاني للمناقشات .

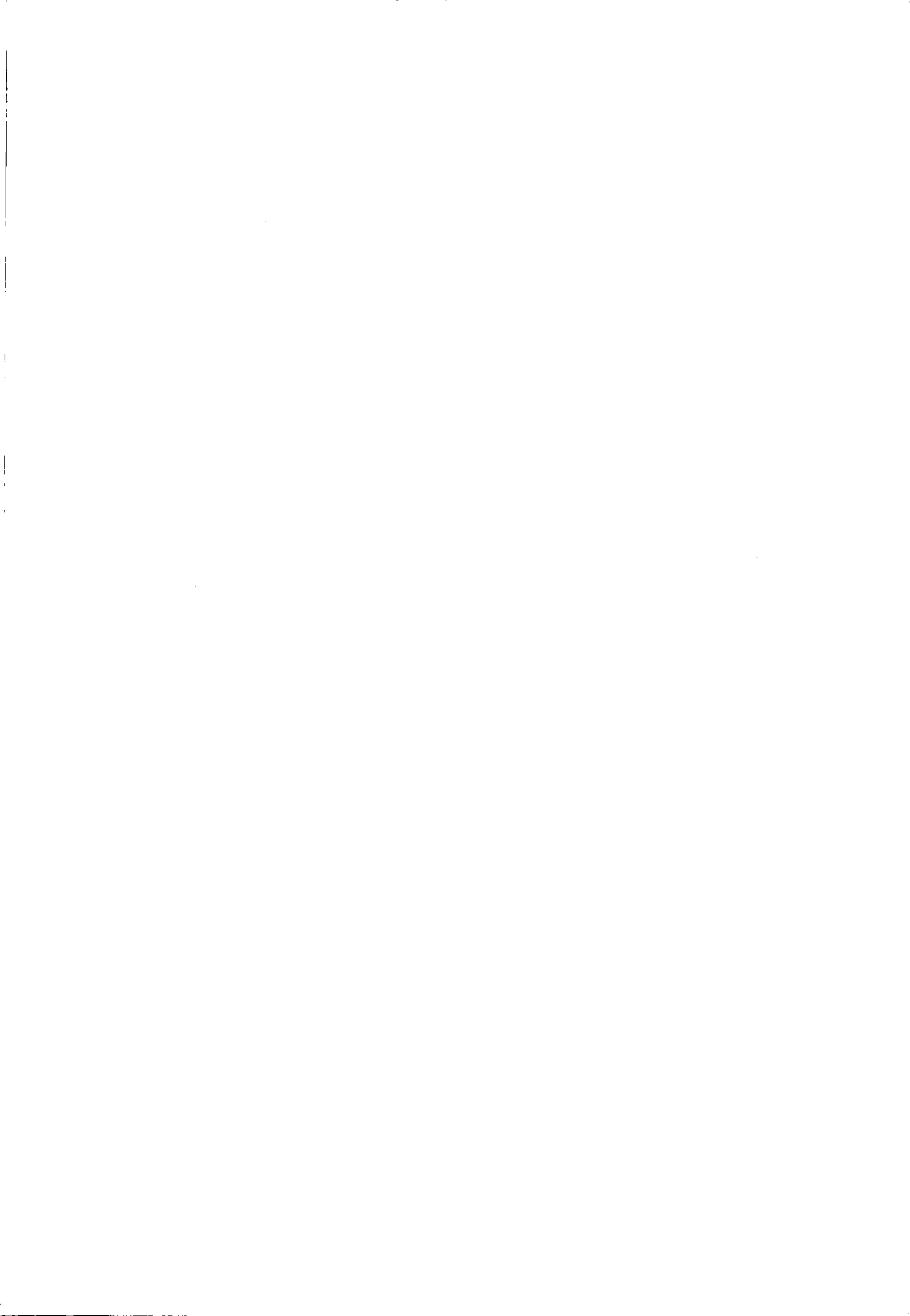


القسم الأول:

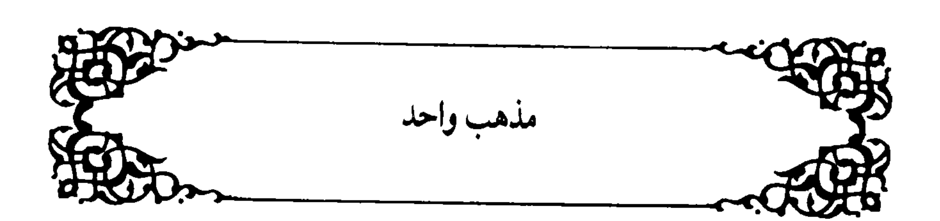
الدراسات

الحقيقة ـ الطريقة ـ الوصول

الباب الأول: الحقيقة الصوفية



الفصل الأول :



مذهب واحد

عبـــاراتنـــا شتى وحسنـــك واحـــد وكـــلٌ إلـــى ذاك الجـــمال يشـــير

لا توجـد إلا صوفيـة واحـدة ، غايتهـا واحـدة وحقيقتها واحدة (وسنرى أن طريقتها واحـدة) منـذ أن وجـدت الصوفية حتى النهاية ، وإن اختلفت الأسماء ، وهذه براهين من أقوال عارفيهم (وصاحب البيت أدرى بما فيه) :

قال الجنيد[1] (سيد الطائفة) :

الصوفية أهل بيت واحد لا يدخل فيهم غيرهم[2] .

وقال أبو نصر السراج الطوسي[3] (صاحب اللمع ، الكتاب الأم في التصوف) :

. . . لأن علم الحقـائق ثمـرة العلوم كلهـا ، ونهاية جميع العلوم . وغاية جميع العلوم إلى علم الحقـائق ، إذا انتهى إليهـا وقـع في بحـر لا غايـة له ، وهـو علم القلوب ، وعلم المعـــارف ، وعلم الأســرار ، وعلم البـــاطن ، وعلم التصـــوف ، وعلم الأحـوال ، وعلم المعاملات ، أي ذلك شئت فمعناه واحد[4] .

---

(١) الجنيد بن محمد ، إمام الطائفة ، مات في بغداد سنة ٢٩٧هـ .

(٢) الرسالة القشيرية ص١٢٧ .

(٣) عبد الله بن علي بن محمد ، طاووس الفقراء ، مات سنة ٣٧٨هـ .

(٤) اللمع ص ٤٥٧ .

ويقول أبو طالب المكي[1]:

. . . فأما المعرفة الأصلية التي هي أصل المقامات ومكان المشاهدات، فهي عندهم واحدة، لأن المعروف بها واحد، والمتعرف عنها، إلا أن لها أعلى وأول، فخصوص المؤمنين أعلاها، وهي مقامات المقربين، وعمومهم أولها، وهي مقامات الأبرار، وهم أصحاب اليمين[2]. .

ويقول أبو حامد الغزالي[3]:

. . . فأما العلم الحقيقي الذي هو الكشف والمشاهدة بنور البصيرة، فكيف يكون حجاباً وهو منتهى المطلب[4]. . (وعبارة «منتهى المطلب» تعني بوضوح أن لا غاية غيره).

ويقول ابن عربي[5] (الشيخ الأكبر):

. . . وينكرون الذوق لأنهم ما عرفوه من نفوسهم، مع كونهم يعتقدون في نفوسهم أنهم على طريق واحدة، وكذلك هو الأمر، أصحاب الأذواق على طريق واحدة بلا شك، غير أن فيهم البصير والأعمى والأعمش، فلا يقول واحد منهم إلا ما أعطاه حاله، لا ما أعطاه الطريق، ولا ما هو الطريق عليه في نفسه[6] . .

ويقول ابن البنا السرقسطي[7] :

مذاهب الناس على اختلاف ومذهب القوم على ائتلاف[8]

---

(1) محمد بن علي المكي مات في بغداد سنة ٣٨٦هـ.

(2) قوت القلوب: ٢ / ٧٩.

(3) محمد بن محمد الغزالي مات سنة ٥٠٥هـ.

(4) إحياء علوم الدين: ١ / ٢٥٥.

(5) محمد بن علي بن عربي الحاتمي، أندلسي مات في دمشق سنة ٦٣٨هـ.

(6) الفتوحات المكية: ٣ / ٢١٣.

(7) أبو العباس أحمد بن محمد بن يوسف التجيبي، من سرقسطة في جنوب الأندلس، مات في فاس في حوالي الربع الأول من القرن التاسع.

(8) الفتوحات الإلهية، ص١٠١.

يشرح ابن عجيبة[1] هذا البيت فيقول:

. . . يقول (أي ابن البنا): ثم تقوم الحجة الدالة على أنهم على المحجة والطريق المستقيم، بشيئين: . . بخلاف مذهب الصوفية، فهي متفقة في المقصد والعمل وإن اختلفت المسالك. . فمرجع كلام القوم في كل باب لأحوالهم، وإلا فلا تنافي بين أقوالهم لمن تأملها، وذلك بخلاف مذهب غيرهم، والوجه فيه أن الحق واحد وطريقه واحدة وإن اختلفت مسالكها، فالنهاية واحدة، والذوق واحد، وفي معنى ذلك قال قائلهم:

الطرق شتى وطريق[2] الحق واحدة والسالكون طريق الحق أفراد

. . . ومذهب الصوفية هو الاتفاق في الأصول والفروع، أما الأصول فنهايتهم الشهود والعيان، وهم متفقون فيه لأنه أمر ذوقي لا يختلف[3]. . .

ويقول عبد الرزاق القاشاني[4] في شرحه على فصوص الحكم:

. . . يعني أن الطريق والغاية كلاهما واحدة في الحقيقة، وهو الحق، فالعارف يدعو على بصيرة من اسم إلى اسم[5]. . .

ويقول أحمد الصاوي المالكي الخلوتي[6]:

. . . وإنما العارفون تنافسوا في محبة الله ورسوله، فمنهم من طلب الوصال بالتغزل في الوسيلة، كالبرعي والبوصيري، ومنهم من طلبه بالتغزل في المقصد كابن الفارض وأمثاله، ومنهم من تغزل في المقامين كسيدي علي وفا، ومقصد الجميع واحد[7]. . . (يعني بقوله «الوسيلة» محمداً ﷺ).

وبقول سيدي محمد كنسوس[8] (تيجاني):

---

(١) أحمد بن محمد بن عجيبة الدوريس الفاسي مات سنة ١٢٢٤هـ.

(٢) ليستقيم البيت يجب أن يكون «الطرق شتى ودرب الحق . . . ».

(٣) الفتوحات الإلهية، ص١٠١ وما بعدها.

(٤) الفاضل الكامل مات بعد سنة ٧٣٠هـ.

(٥) ص١٥٥.

(٦) مصري مات سنة ١٢٤١هـ.

(٧) الأسرار الربانية والفيوضات الرحمانية، ص٤٥.

(٨) أبو عبد الله محمد بن أحمد مات في مراكش سنة ١٢٩٤هـ.

. . . فاعلموا أيدكم الله أن طرق المشايخ رضوان الله عليهم كلها أبواب مفتوحة إلى حضرة مولانا الكريم، وهي بمنزلة الطرق المحسوسة المؤدية إلى محل واحد، وهي مع ذلك مختلفة في القرب والبعد والسهولة والصعوبة والأمن والخوف[1] . . .

وقال شاعرهم :

عباراتنا شتى وحسنك واحد وكل إلى ذاك الجمال يشير [2]

ويقول محمود أبو الفيض المنوفي [3] :

. . . وإذا فني العبد عن الأغيار، كملت معرفته لبقائه مع الحق . . . وإذا وصل من المعرفة إلى هذا الحد من التمكن شارف عين الجمع، أي الحقيقة، وصار الجمع له حالاً . . . وهذا المعنى هو مرمى نظر الصوفية، وكل ما صنفوه ودونوه وأمروا به ونهوا عنه في أقوال وأفعال وأحوال، إنما هي وسائل إلى هذا المقصد الشريف، والمقام المنيف[4] . . .

ويقول عبد القادر عيسى [5]:

. . . وإن الطريق واحدة في حقيقتها، وإن تعددت المناهج العملية، وتنوعت أساليب السير والسلوك، تبعاً للاجتهاد وتبدل المكان والزمان، ولهذا تعددت الطرق الصوفية، وهي في ذاتها وحقيقتها وجوهرها واحدة[6] . . .

ويقول عبد الحليم محمود (الشيخ الأكبر) شيخ الجامع الأزهر:

. . . وفي الناس من يرى أن التصوف مذاهب وفرق وطوائف، ولكن هذا التفكير المنحرف تأتى إلى القائلين به من نظرتهم إلى علم الكلام وإلى الفلسفة؛ ففي علم الكلام : أشاعرة ومعتزلة ومشبهة؛ وفي الفلسفة : أرسطيون وإفلاطونيون

---

(١) كشف الحجاب، ص٣٢٩.

(٢) غاية القرب، ص٨٦.

(٣) محمود أبو الفيض بن علي بن عمر من منوف في مصر ولد عام ١٣١٢هـ، أسس الكلية الصوفية في القاهرة ولعله لا يزال حيًّا حتى كتابة هذه الكلمات.

(٤) معالم الطريق إلى الله، ص٢٦٢.

(٥) من حلب، شاذلي الطريقة، هاجر من حلب في أواخر السبعينات، متمتع بصحته حتى كتابة هذه الكلمات.

(٦) حقائق عن التصوف، ص٢٧٢.

وديكارتيون . . .

والنفـوس مهيـأة لقبول فكرة الطوائف في جميع العلوم النظرية ؛ ولقد خلط الكاتبون بين هذه الدراسات والتصوف، فزعموا أن في التصوف مذاهب وفرقاً وطوائف.

ولـو أنعمـوا النظـر، لعـرفوا أن التصوف تجربة روحية، وليس نظراً عقليًّا، وإذا كان النظر العقلي يفرق الناظرين إلى طوائف وفرق، فإن التجربة لا يختلف فيها اثنان ؛ وإذا كانت الفلسفـة ، لأنهـا نظر عقلي، مذاهب متعددة، فإن التصوف، وهو تجربة، مذهب واحد لا تعدد فيه ولا خلاف.

وكما أنه لا يستساغ الخلطة بين الوسائل والغايات في أي ميدان من الميادين، فإنه لا يستسـاغ الخلط بين طرق التصـوف، وهي وسـائل، وبين الغاية، وهي التصوف نفسه، فطـرق التصـوف متعـددة مختلفـة، وبعضهـا أوفق من بعض، وبعضهـا أسـرع من بعض، ولكنها على اختلافها وتعددها، تؤدي إلى هدف واحد وغاية واحدة.

التصوف إذن مذهب «بصيغة المفرد» لا مذاهب «بصيغة الجمع»[1].

●

هذه أقوال لبعض كبار القوم، نخلص منها إلى أن للصوفية عقيدة واحدة يدين بها كل المتصـوفـة قديمهم وحـديثهم، رأن الطـرق الصـوفية «كالشاذلية والرفاعية والقادرية والخلوتيـة والنقشبنـديـة واليشـرطية والمولوية والبكطاشية والتيجانية وغيرها وغيرها» وإن اختلفت أسماؤها، فهي كلها تؤدي إلى هدف واحد هو العقيدة الصوفية الواحدة.

فما هي هذه العقيدة؟

سيظن الكثيرون، بناء على ما تقدم، أنه يكفي لدراسة الصوفية أن ندرس عقيد صوفي واحـد، كالغـزالي مثـلاً، أو ابن عربي، أو ابن عجيبة، أو غيره، ثم نطلق حكما بكل ثقة واطمئنان على جميع المتصوفة، وأن حكمنا سيكون علميًّا صحيحاً.

فنقـول: هذا صحيـح كل الصحـة من الناحية العلمية. ولكننا أمام جماعة باطنية

---

(١) التعرف لمذهب أهل التصوف، ص١٢ و١٣.

لهم عقيدة سرية، استهوت عقولهم ونفوسهم واستحوذت عليها، فلا يهتدون سبيلاً إلا سبيلها؛ وهم يدافعون عنها بكل ما لديهم من إمكانيات وبالمراوغات والمغالطات واللف والدوران وجميع الأساليب اللاعلمية واللاأخلاقية!

وكمثل على ذلك: إنهم يعلمون يقيناً، وخاصةً الواصلون منهم، أن الصوفية هي كفر وزندقة بالنسبة للشريعة الإسلامية، ومع ذلك، فهم يكتمون هذه الحقيقة ويشيعون بين الناس أن الصوفية هي قمة الإسلام والإيمان وهي منتهى التقى والورع، وهي مقام الإحسان!

وقد انطلت هذه الخدعة على الناس وصدقوها، حتى لو قلت لأحدهم إن الصوفية زندقة، لثار عليك واتهمك الاتهامات التي لا تخطر لك على بال، رغم أنه ليس صوفيًّا، ولكنه اقتنع بالخدعة وانجرت عليه ذيولها.

ومثل من مراوغاتهم المعتادة: لو جئتهم بدراسة عن صوفية ابن عربي مثلاً، لسمعت من يقول لك: هذا مدسوس عليه، أو لسمعت من يقول: هذا شيء لا يدين به الباقون، أو لسمعت: هذا كان فيما مضى من الزمان، ولم يبق له أثر، أو تسمع من يقول: الصوفية الآن لا يعرفون هذه الأمور ولا يفهمونها، فأكثرهم بسطاء وسذج، أو هذا يعرفه بعضهم ويجهله الآخرون. وإن كانت الدراسة حول صوفي غير مشهور، فسيكون الجواب: هذا مندس على الصوفية، مدع لها، والصوفية الحقة بريئة منه ومن أمثاله، والصوفية الحقة هي قمة الإسلام والإيمان...

ولو أتيتهم بنصوص صوفية للغزالي مثلاً، وبرهنت لهم على صحتها وصحة نسبتها إلى قائلها وأريتهم مواضع الضلال فيها، فالجواب الذي ستسمعه: هذا كلام له تأويل! أو يجب أن نؤوله! أو هذا كلام لا نفهمه! أو... أو... إلخ.

ومثل هذه الأجوبة، نسمعها أيضاً من غير المتصوفة، من كثير من الناس، لأنهم سمعوها سابقاً من المتصوفة، وسمعوها وسمعوها كثيراً حتى اقتنعوا بها!

ومن الأجوبة التي نسمعها من غير المتصوفة أكثر الأحيان، ومن المتصوفة في بعضها، قولهم: الصوفية على وشك الانتهاء، أو هي في طريقها إلى الزوال، أو إن الصوفيين قليلون لا تأثير لهم في المجتمع، أو إن الكلام عنهم فيه مبالغة.. إلخ.. مع العلم أن

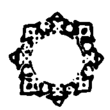
تسعين بالمائة من الأمة الإسلامية لهم صلة بالتصوف وأهله بشكل من الأشكال ـ كما يقول سعيد حوى ـ أما الحقيقة فنسبة المتأثرين بالتصوف تزيد على ذلك، بل والمدافعون أنفسهم الذين يدعون أن التصوف انتهى، هم في أفكارهم ودفاعهم متأثرون بالصوفية إلى حد بعيد.

ومن أعجب ما نسمع من دفاع، قول القائل الغافل: إن فضح الصوفية هو دعاية لها، وعندما تصل السذاجة بصاحبها إلى مثل هذا المستوى، فلا يبقى مجال لمناقشتها.

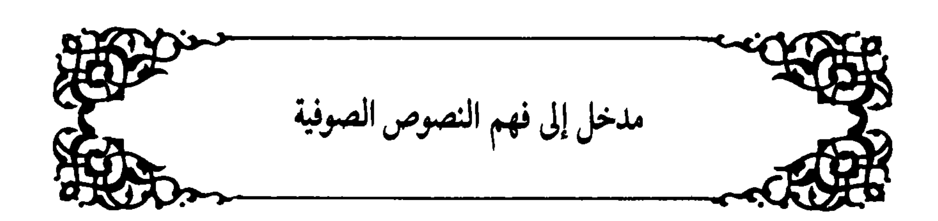
أمام هذا الوضع الغريب عن الإسلام، وعن قرآن الإسلام وعن سنة رسول الإسلام. أمام هذا الوضع الشاذ الذي تتخبط به المجتمعات الإسلامية. أمام هذا الوضع، لا يكفي تقديم دراسة عن صوفي واحد أو اثنين أو ثلاثة أو عشرة! لذلك ستكون الفصول الآتية أقوالاً لأكبر عدد يمكن للكتاب أن يستوعبه من أئمتهم وكبرائهم، منذ الجنيد وأقرانه حتى أصحاب الطرق في أيامنا الحاضرة، بحيث لا يبقى مجال لأولئك المدافعين ولا يبقى مكان لحججهم.

ويجب أن نتذكر دائماً، وأن لا ننسى أبداً أن التصوف مذهب واحد، كما يقرره أصحاب هذا المذهب العارفون الواصلون.

وكل ما هو آت من الفصول إنما هو براهين على ذلك، ولنتذكر دائماً أن أصحاب البيت أدرى بما فيه.



الفصل الثاني:



مدخل إلى فهم النصوص الصوفية

يا رب جوهـر علم لو أبـوح به   لقيـل لي أنت ممن يعبـد الـوثنـا
ولاستحـل رجـال مسلمون دمي   يرون أقـبـح ما يأتـونـه حسنـاً

قبل الولوج في مناسات النصوص الصوفية، ودهاليزها الملتوية المتعرجة، وزحاليقها المتقنة الصنع، قبل ذلك يجب أن نأخذ فكرة واضحة عن الأساليب التي يتبعونها في بسط أفكـارهم وعقـائـدهم، في أقـوالهم وكتـابـاتهم، في تواليفهم ودعـاياتهم، لنستطيع فهم كلامهم بوضـوح تام، وأن نعـرف أغـراضـه وأهـدافـه، وبـدون ذلك لا نستطيع دراسة الصـوفيـة دراسـة صحيحـة. وستكـون دراستنـا لأسـاليبهم من أساليبهم، ومن أقوالهم وتواصيهم فيما بينهم.

سنرى ـ في هذه الدراسة ـ بوضوح تام ما يلي:

١ ـ هناك سر غريب يتواصون بكتمانه عن غير أهله.

٢ ـ أهل هذا السر هم الصوفية.

٣ ـ هذا السر هو كفر وزندقة، يُقتل من يبوح به على أنه مرتد عن الإسلام.

٤ ـ يقسّمون المجتمع الإسلامي إلى صنفين:

أ ـ أهل الشريعة، ويسمونهم أهل الظاهر، أو أهل الرسوم، أو أهل الأوراق، أو العامة.

ب ـ أهل الحقيقة، وهم الصوفية، ويسمونهم أيضاً أهل الباطن، وأهل الأذواق، أو الخاصة، وخاصة الخاصة هم كبارهم.

٥ ـ يتواصون دائماً وفي كل زمان ومكان، أن يظهروا لأهل الشريعة ما يوافقهم من الأحكام الإسلامية، وأن يكتموا عنهم ذلك السر لئلا تباح دماؤهم، إلا في حالات معينة (ستمر بين ثنايا النصوص) حيث يعبرون عنه باللغز والرمز والإشارة والعبارة المنمقة.

٦ ـ لا يعرف هذا السر إلا بالذوق، أي أن يذوقه الإنسان بنفسه، وضربوا لذلك مثلاً اللذة الجنسية التي لا يعرفها إلا من يذوقها.

٧ ـ في العادة، يرمزون إلى الذات الإلهية بأسماء مؤنثة مثل ليلى وبثينة وغيرها..

وهذه نصوص لأئمتهم وأقطابهم وعارفيهم أوردها حسب التسلسل التاريخي (بدون دقة):

مما ينسبونه لزين العابدين (وهو في الواقع لكلثوم بن عمرو العتّابي توفي عام ٢٢٠):

يا رب جوهر علم لو أبوح به	لقيل لي أنت ممن يعبد الوثنا
ولاستحل رجال مسلمون دمي	يرون أقبح ما يأتونه حسناً[1]

فما هو هذا العلم الذي لو باح به لرمي بالوثنية ولقتل على الردة؟

ويقول أبو بكر الكلاباذي (تاج الإسلام)[2]:

قال الجنيد[3] للشبلي[4]: نحن حبرنا هذا العلم تحبيراً، ثم خبأناه في السراديب، فجئت أنت فأظهرته على رؤوس الملإ! فقال: أنا أقول، وأنا أسمع، فهل في الدارين غيري؟

يهمنا في هذا النص قول الجنيد فقط. إنه يخبر عن علم حبره هو تحبيراً، (أي وضع

---

(١) الأنوار القدسية في بيان الآداب للشعراني، هامش الطبقات: ١ / ١٣٤، والمناظر الإلهية، ص٤٤، والفتوحات الإلهية، ص٤٤ وغيرها.

(٢) التعرف لمذهب أهل التصوف، باب ٦٥ ص١٤٥.

(٣) الجنيد، إمام الطائفة، مات في بغداد عام ٢٩٧هـ ويعرف أيضاً بالقواريري.

(٤) الشبلي من أصحاب الجنيد وأقرانه مات في بغداد عام ٣٣٤هـ.

قواعده وأصوله)، ثم خبأه في السراديب! فما هو هذا العلم المخبأ؟! ولم خبأه في السراديب؟!

أما قول الشبلي فسنراه فيما بعد.

ويقول الجنيد أيضاً، مجيباً على رسالة أرسلها له أبو بكر الشبلي:

يا أبا بكر، الله الله في الخلق، كنا نأخذ الكلمة فننشقها، ونقرظها، ونتكلم بها في السراديب، وقد جئت أنت فخلعت العذار! بينك وبين أكابر الخلق ألف طبقة، في أول طبقة يذهب ما وصفت[1].

عندما يتمرس القارىء بالأساليب الصوفية سيعرف أن معنى قوله «يذهب ما وصفت»، هو: تُقتل.

ويقول الجنيد أيضاً:

لا يكون الصدِّيق صدِّيقاً حتى يشهد له في حقه سبعون صدِّيقاً أنه زنديق، فهم يشهدون على ظاهر، مما ظهر من حاله، لأن الصديق يعطي الظاهر حكم الظاهر، ويعطي الباطن حكم الباطن، فلا يلبسون بالباطن على الظاهر ولا بالظاهر على الباطن، فهم يشهدون أنه زنديق ظاهراً، كما يعلمون أنه صديق باطناً، لتحققهم بذلك الحال في نفوسهم[2].

يا للعجب! ظاهراً ـ أي حسب الشريعة ـ زنديق، وباطناً صديق!! فهل الشريعة تخدعنا؟؟

وقال أيضاً (وقد أورده الغزالي في إحياء علوم الدين):

.. أهل الأنس يقولون في كلامهم ومناجاتهم في خلواتهم أشياء هي كفر عند العامة[3]. وقال مرة: لو سمعها العموم لكفروهم، وهم يجدون المزيد في أحوالهم بذلك، وذلك يحتمل منهم ويليق بهم[3].

---

(١) اللمع، ص٣٠٦.

(٢) المناظر الإلهية، ص٤٤، وكشف الحجاب، ص٣٧٣ وغيرها.

(٣) إحياء علوم الدين: ٤/ ٢٩٢، ولعل الفقرة «وهم يجدون المزيد .. الخ» هي من تعليق الغزالي.

وقد كان الجنيد ينشد أبياتاً يشير بها إلى أسرار أحوال العارفين، وإن كان ذلك لا يجوز إظهاره، وهي هذه الأبيات[1]:

سرت بأُناس في الغيوب قلوبهم ... فحلّوا بقرب الماجد المتفضّل[2]

عراصاً بقرب الله في ظل قدسه ... تجول بها أرواحهم وتنقّل

مواردهم فيها على العز والنهى ... ومصدرهم فيها لما هو أكمل

تروح بعز مفرد من صفاته ... وما كتمه أولى لدين وأعدل

سأكتم من علمي به ما يصونه ... وأبذل منه ما أرى الحق يبذل

وأُعطي عباد الله منه حقوقهم ... وأمنع منه ما أرى المنع يفضل

على أن للرحمن سرًّا يصونه ... إلى أهله في السر والصون أجمل

وقال سهل التستري[3]:

«للعالم ثلاثة علوم، علم ظاهر يبذله لأهل الظاهر، وعلم باطن لا يسعه إظهاره إلا لأهله، وعلم هو بينه وبين الله تعالى لا يظهره لأحد»[4].

ـ أما العلم الظاهر، فقد عرفناه، إنه علم الشريعة. فما هو علم الباطن؟! ولم هو باطن؟!

ويقول الحلّاج[5]:

«المنكر في دائرة البراني، وأنكر حالي حين لم يراني، وبالزندقة سماني، وبالسوء رماني»[6].

ـ يعني بدائرة البراني: ما هو خارج دائرة الصوفية.

ـ فلم يسميه المنكِرُ زنديقاً؟ ويرميه بالسوء؟! ما هو السر؟!

---

(١) إحياء علوم الدين: ٤ / ٢٨٨.

(٢) في البيت إقواء.

(٣) سهل التستري، من تستر، بلدة من الأهواز، من أئمة القوم، توفي عام ٢٨٣هـ أو ٢٧٣هـ.

(٤) إحياء علوم الدين: ١ / ٨٩.

(٥) قتل صلباً عام ٣٠٩هـ.

(٦) الطواسين، طاسين النقطة.

وقال (يخاطب الناس في المسجد)، ويروي القصة عبد الودود بن سعيد الزاهد:

. . . اسمعوا، إن الله أباح لكم دمي فاقتلوني، فبكى بعض القوم، فتقدمت من بين الجماعة، وقلت: يا شيخ، كيف نقتل رجلاً يصلي ويصوم ويقرأ القرآن؟ فقال: يا شيخ، المعنى الذي به تحقن الدماء خارج عن الصلاة والصوم وقراءة القرآن، فاقتلوني تؤجروا وأستريح، فبكى القوم، وذهب، وتبعته إلى داره، وقلت: يا شيخ، ما معنى هذا؟ قال: ليس في الدنيا للمسلمين شغل أهم من قتلي. فقلت له: كيف الطريق إلى الله تعالى؟ قال: الطريق بين اثنين، وليس مع الله أحد. فقلت: بيّن. قال: من لم يقف على إشارتنا لم ترشده عبارتنا[1].

- إنه يقرر أن الشريعة تبيح قتله! فلِمَ؟

- ويقرر أن المعنى الذي يباح قتله من أجله خارج عن الصلاة والصوم وقراءة القرآن! فما هو هذا المعنى؟

لننتبه إلى قوله: «ليس مع الله أحد»، وقوله: «من لم يقف على إشارتنا لم ترشده عبارتنا»؟

ويقول:

كفرت بدين الله والكفر واجب ... عليّ وعند المسلمين قبيح[2]

- يعني بقوله: «كفرت» أي سترت. والكفر هو الستر، فهو يقول: سترت بالإسلام، والستر واجب عليّ.

- فما هو هذا الأمر الذي يستره بدين الله؟! ما هو؟!

- من الممكن أن نعرف هذا السر من بعض أقواله وفلتات شعره، يقول:

رأيت ربي بعين قلب ... فقلت: من أنت؟ قال: أنت[3]

---

(١) أخبار الحلاج، ص٥٧.

(٢) ديوان الحلاج، ص٢٨.

(٣) الطواسين «طاسين النقطة».

فالحقيقة، والحقيقة خليقة، دع الخليقة، لتكون أنت هو، أو هو أنت من حيث الحقيقة[1].

- ولا أعلق على هذا القول بشيء، فهو واضح، وهو هو السر الذي يكتمونه.

وقال أبو الحسين النوري[2] مخاطباً الجنيد:

يا أبا القاسم، غششتَهم فأجلسوك على المنابر، ونصحتُهم فرموني على المزابل[3].

- وسنرى فيما يأتي من النصوص كيف غشهم الجنيد؟ إنه كان يتكلم عليهم بالفقه.

ومما يورده الغزالي:

. . . قال بعضهم: للربوبية سر لو أظهر لبطلت النبوة، وللنبوة سر لو كشف لبطل العلم، وللعلماء بالله سر لو أظهروه لبطلت الأحكام[4].

- أسرار!! تبطل بها النبوة، ويبطل بها العلم، وتبطل بها الأحكام!؟ فما هي هذه الأسرار؟

وقال ابن عطاء[5]، في قوله تعالى: ﴿وقل لهم في أنفسهم قولاً بليغاً﴾، قال: على مقدار فهومهم ومبلغ عقولهم[6].

- واضح أنه يعني: على مقدار فهوم أهل الظاهر «أهل الشريعة»، ومبلغ عقولهم.

وقال بعض المتكلمين لأبي العباس بن عطاء: ما لكم أيها المتصوفة قد اشتققتم ألفاظاً أغربتم بها على السامعين؟ وخرجتم على اللسان المعتاد! هل هذا إلا طلب للتمويه؟ أو ستر لعوار المذهب؟

---

(١) الطواسين «طاسين الصفاء».

(٢) أحمد بن محمد النوري، بغدادي من أقران الجنيد مات سنة ٢٩٥هـ، وترد كنيته في كتبهم أحياناً «أبو الحسن» وأحياناً «أبو الحسين»، وقد اعتمدت الثانية «أبو الحسين» دون تحقق، إذ لا يهمنا ذلك في هذا الكتاب.

(٣) التعرف لمذهب أهل التصوف، ص١٤٦.

(٤) إحياء علوم الدين: ١ / ٨٨.

(٥) أبو العباس بن محمد بن عطاء الأدمي البغدادي، من أقران الجنيد، مات سنة ٣٠٩هـ.

(٦) التعرف، باب ٦٥ ص١٤٦.

فقال أبو العباس: ما فعلنا ذلك إلا لغيرتنا عليه، لعزته علينا، كيلا يشربها غير طائفتنا. ثم اندفع يقول:

أحسن ما أظهره ونظهره ... بادىء حق للقلوب نَشعره
يخبره عني وعنه أخبره ... أكسوه من رونقه ما يستره
عن جاهل لا يستطيع ينشره ... يفسد معناه إذا ما يعبره
فلا يطيق اللفظ بل لا يعشره ... ثم يوافي غيره فيخبره
فيظهر الجهل وتبدو زمره ... ويدرس العلم ويعفو أثره[1]

وأنشدونا أيضاً له[2]:

إذا أهل العبارة ساءلونا ... أجبناهم بأعلام الإشارة
نشيربها فنجعلها غموضاً ... تقصر عنه ترجمة العبارة
ونَشْهَدها وتُشْهِدُنا سروراً ... له في كل جارحة إنارة
ترى الأقوال في الأحوال أسرى ... كأسر العارفين ذوي الخسارة

ـ البادي: ويقال: بادي الحق، والباده[3]، وهو بداية الوارد[4]، والوارد: كل ما يرد على القلب من المعاني من غير تعمد من العبد[5].

ـ وقوله: أكسوه من رونقه ما يستره عن جاهل... أي يكسو الكلام الذي يظهره للناس من الرونق الذي يعجب السامع ما يستر حقيقة السر، لأنه لو لم يفعل ذلك، لأخبر الجاهل (أي: غير الصوفي) به غيره، فكان ذلك سبباً لقتل صاحب هذا السر.. وبقتله، وقتلهم، يزول هذا العلم (الصوفي) ويظهر الجهل به.

ـ وفي الأبيات التي بعدها.

ـ أهل العبارة: يعني بها الناس غير الصوفيين الذين يحتاج في خطابهم إلى العبارة

---

(١) التعرف، باب ٣١ ص٨٩.

(٢) عبارة «وأنشدونا أيضاً له» هي لأبي بكر الكلاباذي مؤلف «التعرف».

(٣) الباده وردت في الرسالة القشيرية، حاشية العروسي ج٢ ص٨٤.

(٤) تعريف البادي من معجم مصطلحات الصوفية مادة (وارد).

(٥) تعريف الوارد من معالم الطريق إلى الله ص٤٢٨.

ذات الرونق.

- الأحــوال: جمع حال، وهــو ما يرد على القلب من طرب وحـزن أو بســط وقبض (وغيرها)، وتسمى أيضاً: الوارد[1].

- في البيت الأول والثـاني، يخبرنـا أنـه يجيب على السـؤال بالإشـارة، ويجعـل هذه الإشارة غامضة! فلِمَ؟!

- في البيت الثالث يخبر عن تلك التي يَشْهدها هو، وتُشهده هي سروراً تستنير له كل جارحة من جوارحه، فما هي هذه التي يَشْهدها، وتُشْهده كل هذا السرور؟؟

- في البيت الـرابـع، يبـين أنـه عندما ترد عليه الأحوال - وعلى غيره - تكون الأقوال والكلمات لديهم أسيرة لا يطلقونها بحرية، ويشبهها بالعارفين (أي الذين بلغوا الغاية من الصوفية) الذين خسروا حريتهم لأنهم باحوا بالسر، فأصبحوا أسرى مكبلين، وكذلك الأقوال.

- فلم كل هذا؟!

ويورد أبو بكر الكلاباذي في «التعرف» ما يلي[2]:

.. وقال غيره في قوله تعالى: ﴿ولو تقول علينا بعض الأقاويل لأخذنا منه باليمـين﴾[3]، أي لو نطق بالمـواجيـد على أهـل الرسوم. يدل عليه قوله: ﴿بلغ ما أنزل إليك من ربك﴾[4]، ولم يقل بلغ ما تعرفنا به إليك.

- المواجيد: جمع وجد على غير قياس، وهي ثمرات الأوراد[5]، أو الوجد هو غلبة ما كان يبعثه (المتواجد) ويتواجد له على قلبه[6]. وهو يشبه الحال والوارد.

---

(١) تعريف الأحوال من معجم مصطلحات الصوفية، مادة «حال».

(٢) التعرف، باب ٦٥.

(٣) سورة الحاقة.

(٤) المائدة ٦٧.

(٥) حاشية العروسي: ٢ / ٤٦، الهامش.

(٦) حاشيـة العـروسي: ٢ / ٤٣، ويعـرف ابن عربي في «كتاب اصطلاح الصوفية» الوجد بأنه ما يصادف القلب من الأحوال المغيِّبة له عن شهوده.

ـ إنه يفسر الآية كما يلي: «لو نطق بما يجده عندما يرد عليه الحال، على أهل الرسوم، أي أهل الشريعة، أو أهل الظاهر، لأخذنا منه باليمين..».

ـ وطبعاً هذا تفسير ما أنزل الله به من سلطان، ولا عرفه محمد ﷺ ولا أصحابه، وهو هنا يفتري على الله سبحانه أنه يأمر محمداً ﷺ أن يكتم سر المواجيد! فما هو هذا السر؟

ويقول الطوسي (صاحب اللمع):

... وهم في حقيقة التوحيد لسان آخر، وهو لسان الواجدين، وإشاراتهم في ذلك تبعد عن الفهم، ونحن نذكر من ذلك طرفاً كما يمكن شرحه، وهذا العلم أكثره إشارة لا تخفى على من يكون أهله[1]...

ويقول الطوسي نفسه في تعريف «التقية»:

قال قوم: استعمال الأمر والنهي، وقال قوم: ترك الشبهات، وقال قوم: التقية حرم المؤمن كما أن الكعبة حرم مكة، وقال قوم: التقية نور في القلب يفرق بها بين الحق والباطل[2]...

ـ هكذا جعلوا التقية مقدسة يتسترون بها. إذن فنحن أمام فرقة باطنية.

ويقول أبو طالب المكي[3]:

... فتفصيل معاني التوحيد من شواهد الناظرين أضيق الضيق، وشهادة الجمع في التفرقة، والبقاء في الفناء، أخفى الخفي، وشرح غريب عن الأسماع يُنكر أكثرَه أكثرُ من سمعه؛ غير أن من له نصيب منه يشهد ما رمزناه، فينكشف له ما غطيناه[4].

ـ شواهد: جمع شاهد، وهو ما تعطيه المشاهدة[5] من الأثر في قلب المشاهد[6].

---

(١) اللمع، ص٥١.

(٢) اللمع، ص٣٠٣.

(٣) محمد بن علي بن عطية الحارثي المكي، نشأ في مكة ومات في بغداد سنة ٣٨٦هـ.

(٤) قوت القلوب: ٢/ ٨١.

(٥) أي مشاهدة الحق «الله».

(٦) رسائل ابن عربي «اصطلاح الصوفية».

ـ الجمع : إشارة إلى حق بلا خلق[1]. (لننتبه جيداً إلى معنى «حق بلا خلق»).

ـ التفرقة (أو الفرق) : وهو إشارة إلى خلق بلا حق، وقيل : مشاهدة العبودية[2].
(هناك الفرق الأول، والفرق الثاني، ولها عندهم تعابير كثيرة، ولننتبه إلى عبارة «خلق بلا حق»).

ـ الفناء على ثلاث درجات : فناء الظاهر، وهو مسلوبية العبد عن إرادته واختياره بتجلي الحق عليه بصفة الفعالية، وتسمى «فناء الأفعال». وفناء الباطن، وهو مغلوبية صفاته في سلطنة أنوار الصفات القديمة الأزلية، وتسمى «فناء الصفات». وفناء سر الباطن، الذي هو ذات العبد، فإن الأفعال هي حجاب الصفات، فالصفات باطنها؛ والصفات هي حجاب الذات، فالذات باطنها وسرها، ولذا يسمى «فناء الذات»، وهو كناية عن مغلوبية ذات العبد في إشراق أنوار عظمة الذات وأحديتها[3].

ـ البقاء : لا بد لصحة العبودية من التنزل عن عالم الجمع إلى عالم التفرقة، ويقال لهذا «البقاء»[4].

● **الملاحظة** : يلاحظ القارىء هنا، أن الألغار تفسر بالألغاز، ويُشرح الغموض بالغموض!؟ وذلك لأننا الآن وجهاً لوجه أمام السر الذي يكتمونه.

ويقول أيضاً (أبو طالب المكي) :

. . . وقال الجنيد : «وهؤلاء (أي الصوفية) هم المدلون على الله تبارك وتعالى، والمستأنسون بالله تعالى، هم جلساء الله تعالى، قد رفع الحشمة بينه وبينهم، وزالت الوحشة بينهم وبينه، فهم يتكلمون أشياء هي عند العامة كفر بالله تعالى، لما قد علموا أن الله تعالى يحبهم، وأن لهم عند الله جاهاً ومنزلة. ثم قال عن بعض العلماء : أما أهل الأنس بالله تعالى فليس إلى معرفتهم سبيل». . هذا من كلام الجنيد ونحو معناه، حدثني به الخاقاني المقري، ولولا أنا روينا عنه ما ذكرناه، ما كنا نشرح حال هؤلاء إشفاقاً على

---

(١) رسائل ابن عربي.
(٢) رسائل ابن عربي.
(٣) حاشية العروسي : ٢ / ٦١.
(٤) حاشية العروسي : ٢ / ٦١.

الألباب[1] . . .

- يوهم أبـو طالب المكي القـارىء أنـه لا يشـرح حال هؤلاء القـوم الذين يتكلمون بأشيـاء هي الكفـر عنـد العامة - أي عند أهل الشريعة - إشفاقاً على الألباب . وهذا غير صحيح ، فهو لا يشرح خوفاً من السيف ، وليس شيئاً آخر .

نعـود إلى ما مر من مصطلحـاتهم وألغـازهم ، ولا بأس من وضـع بعض الصوى الصغيرة التي قد تساعد على فهم هذه الألغاز ، على أن توضيحها الكامل سيأتي في ما يأتي إن شاء الله .

فالفنـاء : ويسمى أيضـاً : المحـو ، والسكـر ، والغيبـة ، والطي ، والحضـور بالحق ، والجلوة ، والإحسـان ، والجمـع . . وكلهـا أسماء لمسمى واحد ، وهو مقام الجمع . (وهناك بعض الاختلاف بين مدلول الكلمات) ، فالجمع هو الفناء ، وضم تعريفيهما إلى بعضهما يساعد - بعض الشيء - على فهم السر والألغاز .

أما البقاء : ويسمى أيضاً : الفرق الثاني ، أو الجمع في التفرقة ، أو الفرق في الجمع ، أو صحـو الجمـع ، أو الإطـلاق . . فهـو مقام أعلى من مقام الجمع ، يجتمع فيه الفناء مع الصحـو ، أو الجمـع مع الفـرق . والاستغراق في مقام البقاء يسمى «جمع الجمع» ، وبيت من تائية ابن الفارض قد يلقي أمام القارىء بعض النور ، يقول :

ومن «أنـا إيـاهـا» إلى «حيث لا إلى» عرجـت وعطـرت الـوجـود برجـعتي

في هذا البيت ، يخبرنـا ابن الفـارض أنـه بدأ عروجـه إلى الله «سبحانه وتعالى علوًّا كبيراً» من «أنا إياها» الذي هو مقام الفناء ، أو الجمع . . إلخ ، حتى وصل إلى «حيث لا إلى» ويكني بذلك عن مقام جمع الجمع .

- الرجاء من القارىء أن ينتبه إلى كل عبارة ، وخاصة «أنا إياها» ، وماذا يعني بـ «إياها» .

ويقول أبو حيان التوحيدي[2] في (رسالة ١) :

---

(١) قوت القلوب : ٢ / ٧٧ .

(٢) علي بن محمد بن العباس ، نزيل فارس ، بقي إلى سنة ٤٠٠ هـ ويمكن أن تكون وفاته سنة ٤٠٧ هـ .

يا هذا، إن كنت ثاكلاً فنح على ما أُصبت به، وإن كنت مكروباً بالسر فبح، فلعلك تشفي غليلك فيه[1].

● **الملاحظة**: في هذه الفقرة، يذكر التوحيدي أحد الأسباب التي تدفع العارف بالسر إلى إفشائه.

ويقول أيضاً (رسالة كد):

. . . يا هذا، تجمع عن تفرقك، وتفرق في تجمعك! أتدري ما تفسير هذا اللغز؟ أي: احضر عن غيبتك، وتغيب عن حضورك؛ هذا أيضاً لغز آخر! أنا أكشف لك بما هو أبين، فتحل منه بما هو أزين؛ معنى ذلك: انف عن سرك الهموم كلها، حتى تنقى من كل دنسٍ يكون في الإنس، ثم اخطب مجلسك من حضرة الحق بقبول ما يجود به لك[2].

ـ أنبه إلى ما يلي: إنه يستعمل حرف الجر «عن» في العبارة الأولى «تجمع عن تفرقك» بينما يستعمل «في» في العبارة الثانية «تفرق في تجمعك» وذلك لأن كلمة «تفرُّق» تعني «الفرق الأول» الذي هو حالة المحجوبية التي نتخبط فيها نحن المحجوبين؛ فنحن نرى أن الخلق غير الحق! وهذا هو ما يسمونه «الفرق الأول» فهو يطلب الانخلاع عنه بالترقي إلى مقام الجمع، فيقول «تجمع عن تفرقك»، بينما في العبارة الثانية: «تفرق في تجمعك» يطلب من الواصل إلى «الجمع» أن يتحقق بالتفرقة في جمعه، أي يجمع التفرقة والجمع، وهذا، كما مر معنا، هو مقام «البقاء» أو «الفرق الثاني».

ـ والفرق الأول هو ما عبر عنه بعد ذلك بـ (الهموم كلها)، وبـ (كل دنس يكون في الإنس). فالهموم كلها، وكل دنس يكون في الإنس: يعني بهما «الفرق الأول»، أو حالة المحجوبية التي نحن المحجوبين فيها.

ـ السر: في قوله: «انف عن سرك . .»، هو حسب اصطلاحهم، لطيفة مودعة في القلب، كالروح في البدن، وهو محل المشاهدة[3] (أي مشاهدة الألوهية).

ـ لاحظنا أنه عبر هنا عن «الفرق الأول» أو حالة المحجوبية التي هي عدم رؤية

---

(١) الإشارات الإلهية، ص٤٨.
(٢) الإشارات الإلهية، ص١٩٥.
(٣) معجم مصطلحات الصوفية باختصار.

الحق في الخلق، عبر عنها بـ «الهموم والدنس». وقد يعبرون عنها أيضاً بـ «الصفات الذميمة، أو الردية»، و «الأفعال الذميمة، أو الردية»، وما شابه هذه التعابير.

كما يعبرون عن «الجمع» بـ «الصفات الحميدة» أو «الأفعال الحميدة» أو «الإحسان» وما شابه ذلك.

ويقول أبو بكر الكلاباذي[1]:

إن للقوم عبارات تفردوا بها، واصطلاحات فيما بينهم، لا يكاد يستعملها غيرهم، نخبر ببعض ما يحضر، ونكشف معانيها بقول وجيز.

وإنما نقصد في ذلك إلى معنى العبارة دون ما تتضمنه العبارة، فإن مضمونها لا يدخل تحت الإشارة فضلاً عن الكشف، وأمّا كنه أحوالهم، فإن العبارة عنها مقصورة، وهي لأربابها مشهورة[2].

ـ يعني بكلمة «الكشف» هنا: المعنى اللغوي المعروف، لا معناهم الاصطلاحي، أما عبارة «العبارة عنها مقصورة» فسنرى بعد التمرس بأسلوب القوم، أنها مغالطة للإيهام، وأن المانع عن كشفها هو الخوف من عقوبة الردّة.

ويقول القشيري[3] (صاحب الرسالة):

. . . وهذه الطائفة يستعملون ألفاظاً فيما بينهم، قصدوا بها الكشف عن معانيهم لأنفسهم، والإجمال والستر على من باينهم في طريقتهم، لتكون معاني ألفاظهم مستبهمة على الأجانب غيرة منهم على أسرارهم، أن يشيع استعمالها في غير أهلها، إذ ليست حقائقهم مجموعة بنوع تكلف، أو مجلوبة بضرب تصرف، بل هي معان أودعها الله تعالى قلوب قوم، واستخلص لحقائقها أسرار قوم[4].

ـ عبارة «غيرة منهم على أسرارهم» هي أيضاً مغالطة، وسنرى أمثالها كثيراً، إنها

---

(١) محمد بن إبراهيم، فارسي، مات سنة ٣٨٠هـ أو ٣٩٠.

(٢) التعرف، ص١١١.

(٣) أبو القاسم، عبد الكريم بن هوازن مات سنة ٤٦٥هـ في نيسابور.

(٤) الرسالة القشيرية، ص٣١.

ليست الغيرة، وإنما هو الخوف من السيف؟ سيف الردة.

ويقول أبو حامد الغزالي «الذي يسمونه حجة الإسلام»[1] :

. . . ليس كل سر يكشف ويفشى، ولا كل حقيقة تعرض وتجلى، بل صدور الأحرار قبور الأسرار، ولقد قال بعض العارفين: «إفشاء سر الربوبية كفر»، بل قال سيد الأولين والآخرين: «إن من العلم كهيئة المكنون، لا يعلمه إلا العلماء بالله، فإذا نطقوا به لم ينكره إلا أهل الغرَّة بالله. ومهما كثر أهل الاغترار، وجب حفظ الأسرار على وجه الإسرار، لكني أراك[2] مشروح الصدر بالله بالنور، منزه السر عن ظلمات الغرور، فلا أشح عليك في هذا الفن بالإشارة إلى لوامع ولوائح، والرمز إلى حقائق ودقائق، فليس الخوف في كف العلم عن أهله بأقل منه في بثه إلى غير أهله.

فمن منح الجهال علماً أضاعه ومن منع المستوجبين فقد ظلم

فاقنع بإشارات مختصرة، وتلويحات موجزة[3].

● الملاحظات:

أ ـ يبين «حجة الإسلام» متى يكتم هذا العلم المكنون؟ ومتى ينشر؟ ولمن؟

ب ـ يذكر «أهل الغرة بالله»، وأهل «الاغترار الذين يجب حفظ الأسرار عنهم»، و «الجهال . . .» فمن هم هؤلاء؟ من هم؟

ج ـ يقول لسائله: «أراك مشروح الصدر بالله بالنور» فما هو هذا النور؟

د ـ بالعودة إلى ما سبق من نصوص، نعرف أن الجهال هم أهل الظاهر، أهل الشريعة، وهم هم أهل الغرة بالله!؟

هـ ـ يشير «حجة الإسلام» إلى أن ما سيذكره هو إشارات إلى لوامع ولوائح، هو رمز إلى حقائق يخفيها، هو إشارات مختصرة وتلويحات موجزة!؟ فما هي؟

---

(١) محمد بن محمد بن محمد بن أحمد الطوسي الغزالي مات في طوس سنة ٥٠٥هـ.

(٢) هذا الكلام، بل الكتاب «مشكاة الأنوار» كله هو جواب لسائل سأله.

(٣) مقدمة كتاب مشكاة الأنوار.

ويقول:

. . . نعم، قد تختلف الأعصار في كثرة الحاجة وقلتها، فلا يبعد أن يختلف الحكم لذلـك، فهـذا حكم العقيـدة التي تعبـد الخلق بها، وحكم طريق النضـال عنها وحفظها (يعني بذلـك علم الكـلام)، فأمـا إزالة أشبهة وكشف الحقائق، ومعرفة الأشياء على ما هي عليـه، وإدراك الأسـرار التي يترجمها ظاهـر ألفـاظ هذه العقيـدة، فلا مفتـاح له إلا المجـاهـدة وقمـع الشهوات، والإقبال بالكلية على الله تعالى وملازمة الفكر الصافي عن شوائب المحـاولات، وهي رحمـة من الله عز وجـل تفيض على من يتعرض لنفحاتها بقدر الرزق، وبحسب التعرض، وبحسب قبول المحل، وطهارة القلب، وذلك البحر الذي لا يدرك غوره ولا يُبـلغ ساحـله. فإن قلت: هذا الكـلام يشـير إلى أن هذه العلوم لها ظواهر وأسرار، وبعضها جلي يبدو أولاً وبعضها خفي يتضح بالمجاهدة والرياضة والطلب الحثيث والفكر الصافي والسر الخالي عن كل شيء من أشغال الدنيا سوى المطلوب، وهذا يكاد يكون مخالفاً للشرع، إذ ليس للشرع ظاهر وباطن وسر وعلن، بل الظاهر والباطن والسـر والعلن واحـد فيـه، فاعلم أن انقسـام هذه العلوم إلى خفيـة وجليـة لا ينكرها ذو بصيرة، وإنما ينكرها القاصرون الذين تلقفوا في أوائل الصبا شيئاً وجمدوا عليه، فلم يكن لهم ترقٍّ إلى شأو العلاء، ومقامات العلماء والأولياء[1]. . .

● **الملاحظات:**

أ ـ يقـول: إن معـرفـة حقـائق الأمـور وكشفها، ومعرفة الأشياء على ما هي عليه (لا كما يعرفها الناس) وإدراك الأسرار، كل هذا لا يعرف إلا بالمجاهدة وقمع الشهوات و. . !

فهل يجيز لنا «حجة الإسلام» هنا أن نتساءل: ما هو دور الرسل؟ وما هو دور الشريعة؟ وما هو دور العلم؟! بل ما هي الفائدة من إرسال الرسل؟!

ب ـ ما الذي كان يمنع محمداً ﷺ من أن يعلمنا أن الحقيقة لا تعرف إلا بالمجاهدة وقمع الشهـوات و. . ، ومـا هو الخطـر الـذي كان يخشـاه ﷺ من ذلـك؟ حتى جاء هؤلاء العارفون ليعرفونا بهذا السر؟!

---

(١) إحياء علوم الدين: ١ / ٨٨.

ج ـ تقريره وتأكيده على وجود الظاهر والباطن، والسر والعلن، وأن هذا لا ينكره إلا من عميت بصيرته! فهل كان رسول الله ﷺ أعمى البصيرة عندما قال لنا: «قد تركتكم على البيضاء، ليلها كنهارها، لا يزيغ عنها بعدي إلا هالك...»[1].

د ـ ما هي غاية «حجة الإسلام» من تعريضه بـ «الذين تلقفوا في أوائل الصبا شيئاً وجمدوا عليه..»، وماذا يعني بكلمة «شيئاً» التي تفيد التعميم بكونها اسماً نكرة؟! طبعاً إن من هذا الشيء الذي تلقفوه هو علوم القرآن والسنة (الشريعة).

ويقول أيضاً:

.. فإن قلت: .. فإن الباطن إن كان مناقضاً للظاهر ففيه إبطال الشرع، وهو قول من قال: إن الحقيقة خلاف الشريعة، وهو كفر، لأن الشريعة عبارة عن الظاهر، والحقيقة عبارة عن الباطن، وإن كان لا يناقضه ولا يخالفه فهو هو، فيزول به الانقسام، ولا يكون للشرع سر لا يفشى، بل يكون الخفي والجلي واحداً؟ فاعلم أن هذا السؤال يحرك خطباً عظيماً، وينجر إلى علوم المكاشفة، ويخرج عن مقصود علم المعاملة، وهو غرض هذه الكتب، فإن العقائد التي ذكرناها من أعمال القلب، وقد تعبدنا بتلقينها[2] بالقبول والتصديق بعقد القلب عليها، لا بأن يُتوصل إلى أن ينكشف لنا حقائقها، فإن ذلك لم يكلف به كافة الخلق... وإنما الكشف الحقيقي هو صفة سر القلب وباطنه، ولكن إذا أبحر الكلام إلى تحريك خيال في مناقضة الظاهر الباطن، فلا بد من كلام وجيز في حله. فمن قال: إن الحقيقة تخالف الشريعة، أو الباطن يناقض الظاهر، فهو إلى الكفر أقرب منه إلى الإيمان! بل الأسرار التي يختص بها المقربون بدركها ولا يشاركهم الأكثرون في علمها، ويمتنعون عن إفشائها إليهم، ترجع إلى خمسة أقسام:

القسم الأول: أن يكون الشيء في نفسه دقيقاً تكل أكثر الأفهام عن دركه! فيختص بدركه الخواص، وعليهم أن لا يفشوه إلى غير أهله، فيصير ذلك فتنة عليهم حيث تقصر أفهامهم عن الدرك، وإخفاء سر الروح[3] وكفُّ رسول الله ﷺ عن بيانه من هذا

(١) سنن ابن ماجة، المقدمة، حديث ٤٣.

(٢) بتلقينها، هكذا في الإحياء، ولعلها غلطة في النسخ أو الطباعة، ولعل الصحيح هو «بتلقيها».

(٣) إشارة إلى حديث ابن مسعود حين سأله اليهود عن الروح فأمسك النبي ﷺ فلم يرد عليهم حتى نزلت الآية، واستعماله في هذا الموضوع هو مغالطة صريحة.

القسم، فإن حقيقته تكل الأفهام عن دركه وتقصر الأوهام عن تصور كنهه. . بل في صفات الله عز وجل من الخفايا ما تقصر أفهام الجماهير عن دركه، ولم يذكر رسول الله ﷺ منها إلا الظواهر للأفهام من العلم والقدرة وغيرهما، حتى فهمها الخلق بنوع مناسبة توهموها إلى علمهم وقدرتهم، إذ كان لهم من الأوصاف ما يسمى علماً وقدرة فيتوهمون ذلك بنوع مقايسة، ولو ذكر من صفاته ما ليس للخلق مما يناسبه بعض المناسبة شيء، لم يفهموه، بل لذة الجماع إذا ذكرت للصبي أو العنين لم يفهمها إلا بمناسبة إلى لذة المطعوم الذي يدركه، ولا يكون ذلك فهماً على التحقيق[1].

● **الملاحظات:**

أ ـ تقرير «حجة الإسلام» أن القول بأن «لا يكون للشرع سر لا يفشى، بل يكون الخفي والجلي واحداً»، يحرك خطباً عظيماً! وينجر إلى علوم المكاشفة.

ـ وقد عرفنا ما هو الخطب! وسنعرف أيضاً.

ب ـ تقريره أنهم «أي الصوفية» تعبدوا الله بتلقيها بالقبول المباشر، قبل أن ينكشف لهم! لأن الكشف لم يكلف به كافة الخلق. وهذا الكلام هو عرض فيه إيحاء للقارىء أن يتلقى هو أيضاً هذه العلوم الكشفية بالقبول المباشر، لا بأن يتوصل إلى أن تنكشف له!

ج ـ هذه الجملة (الأسرار التي يختص بها المقربون) وما فيها من إيهام وإيحاء مغري!

د ـ تقريره أن السر لا يمكن فهمه فهماً صحيحاً بالشرح، ولا يفهم إلا بالذوق، ويشبهه بلذة الجماع.

ويقول: . . . زاد الفلاسفة فأولوا كل ما ورد في الآخرة، وردوه إلى آلام عقلية وروحانية، ولذات عقلية، وأنكروا حشر الأجساد، وقالوا ببقاء النفوس، وأنها تكون إما معذبة وإما منعمة بعذاب ونعيم لا يدرك بالحس؛ وهؤلاء هم المسرفون. وحد الاقتصاد بين هذا الانحلال كله وبين جمود الحنابلة دقيق غامض لا يطلع عليه إلا الموفقون الذين يدركون الأمور بنور إلهي، لا بالسماع، ثم إذا انكشفت لهم أسرار الأمور على ما هي

---

(١) الإحياء: ١ / ٨٩.

عليـه، نظـروا إلى السمـع والألفـاظ الواردة، فما وافق ما شاهدوه بنور اليقين قرروه، وما خالف أولوه. فأما من يأخذ معرفة هذه الأمور من السمع المجرد، فلا يستقر له فيها قدم، ولا يتعـين موقف . . . والآن فكشف الغطـاء عن حد الاقتصـاد في هذه الأمور داخل في علم المكـاشفـة، والقـول فيـه يطـول، فلا نخـوض فيـه؛ والغـرض بيان موافقة الباطن الظاهر، وأنه غير مخالف له[1].

● **الملاحظات:**

١ ـ ماذا يعني بعبـارة «جمـود الحنابلة»؟ في حدود معرفتي، كان علماء الحنابلة يطلبون دائماً الدليل من القرآن والسنة ويتمسكون به، فهل هذا هو الجمود الذي يعنيه «حجة الإسلام»؟!

٢ ـ تقـريـر «حجـة الإسلام ومحجة الدين التي يتوصل بها إلى دار السلام» أن الحق الذي يسميه «حد الاقتصاد» لا يعرف بالسماع، والسماع، بدهيًّا، يكون من عالم بالقرآن أو عالم بالحديث أو عالم بالفلسفة. . . وغيرها. وهؤلاء ـ طبعاً ـ أخذوا علومهم بالسماع من علماء قبلهم، وهؤلاء ـ حسب قول الغزالي ـ لا يطلعون على حد الاقتصاد، ولا يمكن أن يعرفوه! إذن، فكيف يمكن معرفته؟!

الجواب يقدمه «حجة الإسلام»: لا يطلع عليه إلا الموفقون الذين يدركون سر الأمور بنور إلهي (أي: بالكشف)، لا بالسماع!

فنسـألـه: ما هو دور القـرآن والحديث؟ ولم أنزلا؟ ونسأل غيره: أليس هذا الكلام هو كفر من جهة، ومحاربة للعلم من جهة ثانية؟!

٣ ـ يقرر «حجة الإسلام ومحجة الدين التي يتوصل بها إلى دار السلام» أن علم الكشف هو الحق، هو واقـع الـوجود وحقيقته، بقوله: «إذا انكشفت لهم أسرار الأمور على ما هي عليـه»، وقـولـه: «ما شاهـدوه بنـور اليقـين»! وسنرى فيما يأتي أنه مخدوع، وأن كشفه لا يمت إلى اليقين بأي صلة.

٤ ـ اعـترافـه بوضـوح كامـل وصـراحـة تامـة أنهم لا يأخـذون بغير الكشف، وأنهم لا

---

(١) إحياء علوم الدين: ١ / ٩٢.

يعترفون بشيء من الشريعة إلا إن وافق كشفهم! وما يخالف كشفهم يؤولونه! وهذا يعني بكل جلاء، أنهم يعتبرون الشريعة غير صحيحة، وأنها ليست هي الحق، وأنها ـ على الأقل ـ فيها أخطاء يجب أن تؤوّل لتتفق مع كشفهم!

والسؤال: إذا لم يكن هذا ضلالاً وزندقة. . ! فما هو الضلال والزندقة. . ؟

وقد يقول قائل ـ وما أكثرهم ـ: إنه لا يعني الشريعة بقوله: «السمع والألفاظ الواردة»، فنجيبه:

أ ـ الفلسفة، لا يحتاجون تأويل نصوصها، لأن من أسهل الأمور أن يقولوا عنها: إنها كذب وخطأ وضلال وكفر وأي شيء يريدون، دون أن يخافوا أحداً أو يخشوا شيئاً. أما الشريعة فهي التي لا يستطيعون أن يقولوا عنها: إنها كذب أو خطأ، أو يقولوا: فيها شيء من ذلك، لأن وراء هذا القول حد الردة، لذلك يستعملون الإشارة والرمز واللغز ليموّهوا علينا، فيقول قائلهم: «السمع والألفاظ الواردة» بدلاً من «الشريعة»!

ب ـ الغزالي نفسه يوضح لنا مراده من مثل هذا التعبير في مكان آخر من إحيائه، يقول: «. . أن يكون مقلداً لمذهب سمعه بالتقليد، وجمد عليه وثبت في نفسه التعصب له بمجرد الاتباع للمسموع من غير وصول إليه ببصيرة ومشاهدة، فهذا شخص قيده معتقده. . فصار نظره موقوفاً على مسموعه، فإن لمع برق على بعد وبدا له من المعاني التي تباين مسموعه حمل عليه شيطان التقليد حملة[1]. . .

إذن فالغزالي يعني بـ «السمع والألفاظ الواردة» الشريعة الإسلامية.

٥ ـ وقد يأتي متحمس، وقد يحمل شارة علمية ذات اسم أو ذات شكل، ليفور ويثور، ويأتي بنصوص من هنا وهناك، يحاول أن يثبت له بها الإمامة والاستقامة! فنجيبه:

أ ـ هذا أسلوب معروف من أساليب المغالطة.

ب ـ الجواب عليه ورده واضح في هذه النصوص المنقولة عنهم.

ج ـ نحن هنا أمام نصوص محددة نناقشها، وموضوع معين ندرسه.

---

(١) إحياء علوم الدين: ١ / ٢٥٥.

٦ ـ بما أن سيف التأويل «السحري» مصلت على رقاب النصوص (من قرآن وحديث)، إذن، فلا مخالفة بين الشريعة والكشف! (هذا ما يقرره الحجة)!

ـ هنا نتقدم، بخشوع صوفي، لنسأل «الإمام، حجة الإسلام، ومحجة الدين التي يتوصل بها إلى دار السلام!» لنسأله: ما معنى قوله سبحانه: ﴿فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر﴾.

ـ وهل، يا إمام! عبارة ﴿فردوه إلى الله والرسول﴾، تعني: ردوه إلى الكشف!

ـ جوابنا لهذا الإمام، ولأتباع هذا الإمام، هو: إن من يؤمن أن محمداً رسول الله، يقول: إذا خالف القرآن الكشف، ندوس الكشف تحت أقدامنا، ونتبع القرآن الكريم، هذا هو سبيل المسلم.

ويقول أيضاً:

. . . علم المكاشفة، وهو علم الباطن، وذلك غاية العلوم، فقد قال بعض العارفين: من لم يكن له نصيب من هذا العلم أخاف عليه سوء الخاتمة، وأدنى نصيب منه التصديق به والتسليم لأهله . . . وأقل عقوبة من ينكره أنه لا يذوق منه شيئاً . . . وهو علم الصديقين والمقربين، أعني علم المكاشفة، فهو عبارة عن نور يظهر في القلب عند تطهيره وتزكيته من صفاته المذمومة[1]، وينكشف من ذلك النور أمور كثيرة كان يسمع من قبل أسماءها، فيتوهم لها معاني مجملة، غير متضحة، فتتضح إذ ذاك، حتى تحصل المعرفة الحقيقية بذات الله سبحانه، وبصفاته الباقيات التامات، وبأفعاله، وبحكمه في خلق الدنيا والآخرة، ووجه ترتيبه للآخرة على الدنيا، والمعرفة بمعنى النبوة والنبي، ومعنى الوحي، ومعنى الشيطان، ومعنى لفظ الملائكة والشياطين، وكيفية معاداة الشياطين للإنسان، وكيفية ظهور الملك للأنبياء، وكيفية وصول الوحي إليهم، والمعرفة بملكوت السماوات والأرض، ومعرفة القلب، وكيف تصادم جنود الملائكة والشياطين فيه، ومعرفة الفرق بين لمة الملك ولمة الشيطان، ومعرفة الآخرة والجنة والنار، وعذاب القبر والصراط والميزان والحساب، ومعنى قوله تعالى: ﴿اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم

---

(١) مر معنا قبل صفحات معنى عبارة «صفاته المذمومة».

عليـك حسيبـاً﴾ . . ومعنى لقـاء الله عزوجل، والنظر إلى وجهه الكريم، ومعنى القرب منـه والنـزول في جواره . . . إذ للنـاس في معـاني هذه الأمـور بعـد التصديق بها مقامات شتى، فبعضهم يرى أن جميع ذلك أمثلة . . وبعضهم يدعي أموراً عظيمة في المعرفة بالله عزوجـل . . . فنعني بعلم المكـاشفـة أن يرتفـع الغطاء حتى تتضح له جلية الحق في هذه الأمور إيضاحاً يجري مجرى العيان الذي لا يشك فيه، وهذا ممكن في جوهر الإنسان لولا أن مرآة القلب قد تراكم صدؤها وخبثها بقاذورات الدنيا، وإنما نعني بعلم طريق الآخرة العلم بكيفيـة تصقيـل هذه المـرآة عن هذه الخبـائث التي هي الحجـاب عن الله سبحـانه وتعالى وعن معرفة صفاته وأفعاله . . ولا سبيل إليه إلا بالرياضة التي يأتي تفصيلها[1] . . .

● الملاحظات :

أ ـ علم المكاشفة هو علم الباطن، وهو غاية العلوم .

ب ـ يجب التصديق به والتسليم لأهله .

ج ـ هو علم الصديقين والمقربين .

وعلينا أن نلاحظ ما في الفقرتين ب ، ج من إيحاء براق وجذاب! كما علينا أن ننتبه إلى تزكيتهم أنفسهم (صـديقـون ومقـربـون) بالـرغم من الآيات الكريمة : ﴿ألم تر إلى الـذين يزكـون أنفسهم، بل الله يزكي من يشـاء ولا يظلمـون فتيلاً . انظر كيف يفترون على الله الكذب وكفى به إثماً مبيناً﴾ و ﴿فلا تزكوا أنفسكم هو أعلم بمن اتقى﴾ و ﴿وما أدري ما يفعل بي ولا بكم إن أتبع إلا ما يوحى إلي﴾ .

د ـ يلقي الغزالي هنا بصيص نور على السر الذي يكتمونه (نور يظهر في القلب، تتضح به المعرفة بذات الله وبصفاته التامات، حتى إن «بعضهم يدعي أموراً عظيمة»، وتتضح أيضاً معرفة معنى النظر إلى وجهه الكريم) . . .

وعلينـا أن ننتبـه بشكـل خاص إلى قولـه : «المعرفة بذات الله»، وهي وبقية العبارات جزء يسير من السر سمح لنفسه أن يسطره في هذه الفقرات، فهذا الخيط إذا أمسكناه

---

(١) الإحياء : ١ / ١٨ .

فسنصل إلى السر.

هـ ـ تسميته للحجاب عن الله سبحانه بـ «قاذورات الدنيا والخبائث»، ومر معنا في نص سابق تسميتـه له بـ «الصفـات المـذمومة»، وعرفنا من قول أبي حيان التوحيدي، أن هذه إشارات ورموز يعنون بها «الفرق الأول» وسنعرف فيما بعد ما هو «الفرق الأول».

ويقول: . . . وعبر ابن عباس رضي الله عنهما عن اختصاص الراسخين في العلم بعلوم لا تحتملهـا أفهـام الخلق، حيث قرأ قولـه تعالى: ﴿يتنزل الأمر بينهن﴾، فقال: لو ذكرت ما أعرفه من معنى هذه الآية لرجمتموني، وفي لفظ آخر: لقلتم إنه كافر[1].

ـ وطبعاً ابن عباس بريء من هذه الضلالات والهذيانات.

ويقول أيضاً:

. . . فاعلم أن هذا قرع باب من المعـارف، وهي أعلى من علوم المعـاملة، ولكنـا نشـير منهـا إلى ملامـح، ونقـول: هاهنا نظران، نظر بعين التوحيد المحض، وهذا النظر يعرفك قطعاً أنه الشاكر وأنه المشكور، وأنه المحب وأنه المحبوب، وهذا نظر من عرف أنه ليس في الوجود غيره، وأن كل شيء هالك إلا وجهه، وأن ذلك صدق في كل حال أزلاً وأبداً، لأن الغير هو الذي يتصور أن يكون له بنفسه قوام، ومثل هذا الغير لا وجود له، بل هو محال أن يوجـد، إذ المـوجـود المحقق هو القـائم بنفسـه، ومـا ليس له بنفسه قوام، فليس له بنفسـه وجـود، بل هو قائم بغـيره، فهو موجود بغيره، فإن اعتبر ذاته ولم يلتفت إلى غيره لم يكن له وجود البتة، وإنما الموجود هو القائم بنفسه، والقائم بنفسه هو الذي لو قدر عدم غيره بقي موجوداً، فإن كان مع قيامه بنفسه يقوم بوجوده وجود غيره، فهو قيوم، ولا قيـوم إلا واحـد، ولا يتصـور أن يكـون غير ذلـك. . فإذا ليس في الـوجود غير الحي القيـوم، وهـو الـواحد الصمد، فإذا نظرت من هذا المقام، عرفت أن الكل منه مصدره، وإليه مرجعه، فهو الشاكر وهو المشكور، وهو المحب وهو المحبوب[2]. . .

---

(١) الإحياء: ٤ / ٨٥.

(٢) الإحياء: ٤ / ٧٤.

● ما يجب أن نلاحظه:

أ ـ في هذا النص، كشف الغزالي حجاباً آخر عن السر المصون، ومع ذلك فهويشير إلى ملامح منه، وقد سمى السر هنا «التوحيد المحض» (وهذا النظر بعين التوحيد المحض يعرفك أنه الشاكر وأنه المشكور، وأنه المحب، وأنه المحبوب، بل وأنه ليس في الوجود غيره)، (وأخيراً صرح بالسر المصون، فغدا السر غير مصون)، ومع هذا التصريح فقد لا يكون القارىء قد عرف هذا السر بعد.

ب ـ بعد التصريح بالسر (ليس في الوجود غيره)، هذا التصريح الذي قد يجرد عليه السيوف، بدأ الغزالي يلوك كلاماً بأسلوب علم الكلام، ليبعد به شبح ما بعد التكفير، ثم يعود ليقرر من جديد: «فإذاً ليس في الوجود غير الحي القيوم... الكل منه مصدره، وإليه مرجعه..».

ـ وهكذا نكون الآن قاب قوسين أو أدنى من معرفة نور اليقين.

ويقول: ... الفريق الثاني ليس بهم عمى، ولكن بهم عور، لأنهم يبصرون بإحدى العينين وجود الموجود الحق فلا ينكرونه، والعين الأخرى إن تم عماها لم يبصر بها فناء غير الموجود الحق، فأثبت موجوداً آخر مع الله تعالى، وهذا مشرك تحقيقاً... فإن جاوز حد العمى إلى العمش أدرك تفاوتاً بين الموجودين، فأثبت عبداً وربًّا، فبهذا القدر من إثبات التفاوت والنقص من الموجود الآخر دخل في حد التوحيد. ثم إن كحل بصره بما يزيد في أنواره، فيقل عمشه، وبقدر ما يزيد في بصره يظهر له نقصان ما أثبته سوى الله تعالى، فإن بقي في سلوكه كذلك، فلا يزال يفضي به النقصان إلى المحو، فينمحي عن رؤ ية ما سوى الله، فلا يرى إلا الله، فيكون قد بلغ كمال التوحيد، وحيث أدرك نقصاً في وجود ما سوى الله تعالى دخل في أوائل التوحيد... وترجمته قول «لا إله إلا الله»، ومعناه أن لا يرى إلا الواحد الحق، والواصلون إلى كمال التوحيد هم الأقلون... إذ عبدة الأوثان ﴿قالوا ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى﴾، فكانوا داخلين في أوائل أبواب التوحيد دخولاً ضعيفاً[1].

---

(١) الإحياء: ٤ / ٧٥.

● الملاحظات :

أكتفي مؤقتاً بوضع خط تحت الجمل التي يجب أن نلاحظها وننتبه أليها ، ففيها من الوضوح ما يكفي .

ولا بأس الآن من إضافة فقرة متممة للنص ، أفردتها عنه لأن لها قيمة خاصة ، يقول :

« . . . وفيهم من تنفتح بصيرته في بعض الأحوال ، فتلوح له حقائق التوحيد ، ولكن كالبرق الخاطف لا يثبت ، وفيهم من يلوح له ذلك ويثبت زماناً ولكن لا يدوم ، والدوام فيه عزيز» .

ـ هذه صورة مما يحدث عندما يبلغ السالك إلى ما يسمونه : «الفناء في الله أو الجمع . . .» ، ستفيدنا فيما بعد .

ويقول : . . . فإن قلت كيف يتصور أن لا يشاهد إلا واحداً ، وهو يشاهد السماء والأرض وسائر الأجسام المحسوسة ، وهي كثيرة ، فكيف يكون الكثير واحداً؟ فاعلم أن هذه غاية علوم المكاشفات ، وأسرار هذا العلم لا يجوز أن تسطر في كتاب ، فقد قال العارفون : إفشاء سر الربوبية كفر ، ثم هو غير متعلق بعلم المعاملة ، نعم ذكر ما يكسر سورة استبعادك ممكن ، وهو أن الشيء قد يكون كثيراً بنوع مشاهدة واعتبار ، ويكون واحداً بنوع آخر من المشاهدة والاعتبار ، وهذا كما أن الإنسان كثير إن التفت إلى روحه وجسده وأطرافه وعروقه وعظامه وأحشائه ، وهو باعتبار آخر ومشاهدة أخرى واحد ، إذ نقول إنه إنسان واحد ، فهو بالإضافة إلى الإنسانية واحد وكم من شخص يشاهد إنساناً ولا يخطر بباله كثرة أمعائه وعروقه وأطرافه ، وتفصيل روحه وجسده وأعضائه . والفرق بينهما أنه في حالة الاستغراق والاستهتار به مستغرق بواحد ليس فيه تفريق ، وكأنه في عين الجمع ، والملتفت إلى الكثرة في تفرقة . فكذلك كل ما في الوجود من الخالق والمخلوق له اعتبارات ومشاهدات كثيرة مختلفة ، فهو باعتبار واحدٍ من الاعتبارات واحدٌ ، وباعتبارات أخر سواه كثيرٌ ، وبعضها أشد كثرة من بعض ، ومثاله الإنسان ، وإن كان لا يطابق الغرض ، ولكنه ينبه في الجملة على كيفية مصير الكثرة في حكم المشاهدة واحداً . ويستبين بهذا الكلام ترك الإنكار والجحود لمقام لم تبلغه ، وتؤمن به إيمان تصديق ، فيكون

لك من حيث إنك مؤمن بهذا التوحيد نصيب، وإن لم يكن ما آمنت به صفتك، كما أنك إذا آمنت بالنبوة وإن لم تكن نبيًّا كان لك نصيب منه بقدر قوة إيمانك، وهذه المشاهدة التي لا يظهر فيها إلا الواحد الحق، تارة تدوم، وتارة تطرأ كالبرق الخاطف وهو الأكثر، والدوام نادر عزيز، وإلى هذا أشار الحسين بن منصور الحلاج حيث رأى الخواص يدور في الأسفار، فقال: في ماذا أنت؟ فقال: أدور في الأسفار لأصحح حالتي في التوكل، وقد كان من المتوكلين، فقال الحسين: قد أفنيت عمرك في عمران باطنك، فأين الفناء في التوحيد؟ فكأن الخوّاص كان في تصحيح المقام الثالث في التوحيد، فطالبه بالمقام الرابع، فهذه مقامات الموحدين في التوحيد على سبيل الإجمال... أما الرابع فلا يجوز الخوض في بيانه، وليس التوكل أيضاً مبنيًّا عليه[1]...

● الملاحظات على النصين الأخيرين:

أ ـ في النص الأول، قوله: «فأثبت موجوداً مع الله تعالى وهذا مشرك تحقيقاً»، يقرر فيه بأسلوب فيه رونق، أن من يرى أن هذه المخلوقات هي شيء غير الله تعالى فهو مشرك تحقيقاً.

ـ أي إنه، آخر الأمر، شرح لنا ما هو السر، ولكن بأسلوب فيه شيء من الزحلقة للقارىء.

ـ وفي النص الثاني، يرد على شبهة من يقول: كيف لا يشاهد إلا واحداً مع وجود السماوات والأرض؟.. ويقرر أن هذا هو علم الكشف، وبالتالي هو السر الذي لا يجوز أن يسطر في كتاب».

ـ ومع ذلك فقد سطر ما يفشي هذا السر إلى غير أهله! ثم يقدم مثلاً يعين على فهم هذا الأمر «أي رؤية الواحد في الكثرة».

ب ـ قوله: «فلا يرى إلا الله، أي لا يرى في هذا الكون في كل ما يراه من المرئيات إلا الله. فيكون قد بلغ كمال التوحيد.

ـ وفي النص الثاني، يوضح أكثر فأكثر، فيقول: «وكذلك كل ما في الوجود من الخالق

---

(١) الإحياء: ٤ / ٢١٣.

والمخلوق له اعتبارات . . . فهو باعتبار واحد من الاعتبارات واحد . . » .

ـ إذن : فالخـالق والمخلوق هما واحـد ، أوهما وحدة . وهكذا ، وضح لنا السر أخيراً ، إنه «وحدة الوجود» ، وما أدراك ما وحدة الوجود؟ !

ج ـ في النص الأول يقرر أن عبدة الأوثان داخلون في أوائل التوحيد دخولاً ضعيفاً .

ـ فأسأل : إن لم يكن هذا هو الكفر والزندقة ، فما هو الكفر والزندقة؟

ـ وأنبه إلى أن القارىء الكريم عندما يمتلك ناصية العبارة الصوفية سيعرف أن معنى جملة الغـزالي هو أن عبـدة الأوثـان دخلوا في التوحيد عندما عبدوا الوثن (لأنه جزء من الله) وكـان دخـولهم ضعيفـاً عندما قالوا : ﴿ . . . ليقربونا إلى الله زلفى﴾ ، لأن هذا القـول هو تفـريق بين الخـالق والمخلوق ، وهـو عكس التـوحيد ، ولو كانوا داخلين في التوحيد دخولاً كاملاً لقالوا ـ عن إيمان وعقيدة ـ إنهم يعبدون الله بعبادتهم للصنم لأنه جزء من الله .

د ـ أطلب من القـارىء الكـريم أن يقـرأ النصـين الأخـيرين بتعمق ويكرر قراءتهما حتى يستوعبهما جيّداً ، ففي هذا تسهيل كبير لفهم كل نصوصهم ، وفهم سرهم .

وهذه نصوص إضافية لـ «حجة الإسلام» أوردها دون تعليق :

يقـول : . . . والـرابعـة أن لا يرى في الوجود إلا واحداً ، وهي مشاهدة الصديقين ، وتسميـه الصـوفيـة الفنـاء في التـوحيد ، لأنه من حيث لا يرى إلا واحداً ، فلا يرى نفسه أيضاً ، وإذا لم ير نفسه لكونه مستغرقاً في التوحيد ، كان فانياً عن نفسه في توحيده ، بمعنى أنه فني عن رؤ ية نفسه والخلق[1] .

ويقـول : من هنـا ترقى العارفون من حضيض المجاز إلى يفاع الحقيقة ، واستكملوا معـراجهم ، فرأوا بالمشـاهـدة العيـانية أن ليس في الوجود إلا الله تعالى ، وأن ﴿كل شيء هالك إلا وجهه﴾ ، لا أنه يصير هالكاً في وقت من الأوقات ، بل هو هالك أزلاً وأبداً ، ولا يتصـور إلا كذلـك . . . فإذن لا موجـود إلا الله تعالى ووجهه ، فإذن كل شيء هالك إلا

(١) الإحياء : ٤ / ٢١٢ .

وجهه أزلاً وأبداً . . . ولم يفهموا من معنى قوله: «الله أكبر» أنه أكبر من غيره، حاش لله، إذ ليس في الوجود معه غيره حتى يكون أكبر منه[1] . . .

ويقول: العارفون بعد العروج إلى سماء الحقيقة، اتفقوا على أنهم لم يروا في الوجود إلا الواحد الحق[2] . . .

- وأختم هذه الجرعة الضئيلة من بحر أقوال الغزالي في هذا الموضوع بنتف من تائيته؛ يقول:

إذا كان قد صح الخـلاف فواجـب ... على كل ذي عقـل لزوم التـقيـة[3]

* * *

وهـل أنـا إلا أنـت ذاتـاً ووحـدة ... وهـل أنـت إلا نفـسي عين هويـتي
كأني لم أحـجـب بها وكأنـما ... هي احتجبت بي فازدهى الناس عشقتي
فدِنْـتُ بأمـر حرمـتـه شريـعـتي ... وأحـييتُ حكـماً قد أمـاتتـه سنتي[4]

* * *

تسـترتُ جهـدي في هواك وطـاقـتي ... فلما مُنِعْـتُ الصـبر أبـديت صفحتي
فأعـلنـتُ ما أسـررتَ فيّ فلم يكـن ... بقـولٍ ولا فعـلٍ سواك فضـيحـتي
وقـد كان لي في الصـبر ستر على الهوى ... بهتكـك ستر الصـبر أبـديت عورتي[5]

* * *

يكِـلُّ لسـاني عن صفـاتـي وإنـما ... يُعـبر عني أنـني ذاتُ وحـدة[6]

* * *

---

(١) مشكاة الأنوار «حقيقة الحقائق»، ص٥٥.
(٢) مشكاة الأنوار «إشارة» ص٥٧.
(٣) النفحات الغزالية، ص١٤٩.
(٤) النفحات الغزالية، ص١٧٣، والأبيات ليست متتابعة في القصيدة.
(٥) النفحات الغزالية، ص١٦٩.
(٦) النفحات الغزالية، ص١٧٠.

- لا بأس من التنبيه إلى فكرة «لزوم التقية» في البيت الأول، حيث نعرف أننا أمام «فرقة باطنية» ترى لزوم التقية، وقد مر هذا، وهي ملاحظة هامة جدًّا جدًّا.

ويجب أن أعود فأنبه في أقوال الغزالي إلى ما يلي:

١ - اعتبار الغزالي أن كشفهم ومشاهدتهم هو الحق والحقيقة والصدق، وإليه يجب أن يرجع في كل الأمور، حتى القرآن الكريم والسنة يجب أن يعرضا عليه ليحكم في صحتهما. فهذا إن لم يكن كفراً وزندقة، فما هو الكفر والزندقة؟!

٢ - نفهم من هذا أنه - وأنهم - لا يرون القرآن حقًّا لأنهم يؤ ولون منه ما خالف الكشف. مع العلم أن الإيمان بالقرآن يقتضي نبذ كل ما يخالفه لأنه كفر وزندقة. وهذا واضح.

٣ - علم المكاشفة عنده هو علم الصديقين والمقربين!! فأين ذهب القرآن وصحيح السنة؟!

٤ - ليس في الوجود غير الله، وكما يعلم كل من في بصيرته ذرة من عقل أو إيمان أن الكون موجود، أوجده الله، ولكن عند الغزالي، وعندهم، الكون هو الله، «ما الكون إلا القيوم الحي». وهي وحدة الوجود.

٥ - يقرر «حجة الإسلام» أن من يثبت موجوداً آخر مع الله، أي (من يقول: إن المخلوقات هي غير الله) هو مشرك تحقيقاً!!

- سبحان الله! ما هو هذا الكشف الغريب العجيب!!! إننا نقرأ في كتاب الله، مثلاً: ﴿إنما حرم عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل به لغير الله﴾، وواضح حتى للأغبياء أن عبارة «غير الله» تعني الأوثان والقبور والأولياء وغيرهم، وكل هؤلاء مخلوقات. إذن فالقرآن يقرر بوضوح كامل، أن المخلوق غير الخالق. فنسأل «الحجة»، وأتباع الحجة، والمخدوعين بالحجة: هل القرآن شرك؟ أم الذين يخالفون القرآن هم المشركون؟ والضالون المضلون؟ والزنادقة الكفرة المارقون؟

٦ - كلمة «التوحيد» يعني - ويعنون - بها «وحدة الوجود» وحيثما وردت في كلامهم فهذا هو معناها.

٧ - يقرر أن عابد الأصنام داخل في أوائل التوحيد.

٨ - تقريره أن وحدة الوجود هي مشاهدة الصديقين «والرابعة أن لا يرى في الوجود إلا واحداً وهي مشاهدة الصديقين»!!

٩ - تقريره لزوم التقية! فلِمَ؟؟ وعلامَ؟؟ وفيم؟؟

١٠ - حكم وحدة الوجود في القرآن الكريم سنراه فيما يأتي.

١١ - هذه الأقوال للغزالي، وهي جزء صغير جدًّا من فيضه، هي من كتابه المشهور، بل المقدس، والمسمى «إحياء علوم الدين»، كلها منه إلا نصين، ومع ذلك فيسمى صاحبه «حجة الإسلام»، ويتخذ الكتاب مرجعاً رئيسيًّا عند غالبية المسلمين؟! فإنا لله وإنا إليه راجعون.

١٢ - للغزالي كتب كثيرة يذكر فيها العلم «المضنون به على غير أهله» لم أتطرق إليها؟ لأن كتاب الإحياء فيه الكفاية والشهرة، وهو ثقة عند القوم، وعند غير القوم.

١٣ - أنبه بشكل خاص إلى قوله في تائيته: «فذنت بأمر حرمته شريعتي وأحييت حكماً قد أماتته سنتي»، التي نفهم منها أنهم يعرفون تماماً أن الصوفية تناقض الإسلام، كما يعترف بالشطر الثاني أن الإسلام أماتها، فجاء هو وأحياها؟! كما يُفهم من هذا الكلام أنها كانت موجودة قبل الإسلام.

- وننتقل إلى غيره، لنعود إلى التواصي بالكتمان، ونرى صوراً من العبارة التي يستعملونها:

يقول عبد القادر الجيلاني[1] «قطب الأولياء الكرام»:

... هم (أي: الواصلون) أبداً في سرادق القرب، فإذا جاءت نوبة الحكم كانوا في صحن الحكم. إذا جاءت نوبة الخروج كانوا على الباب يأخذون القصص من الخلق يصيرون وسائط بينهم وبين الحق عز وجل. هذه أحوالهم، ولكن من الحال ما يكتم[2].

(١) أبو محمد محيي الدين عبد القادر بن أبي صالح موسى جنكي دوست، ولد في جيلان عام ٤٧٠، وعاش في بغداد، وتوفي فيها عام ٥٦١هـ.

(٢) الفتح الرباني، ص٢٠٠.

● ما يجب الانتباه إليه:

١ ـ الـواصلون «في سرادق القـرب»: واضـح أنـه القـرب من الله، و«كـانـوا في صحن الحكم»: واضـح أنـه الحكم في الكـون، أو التصرف! وهذا هومقام الغوثية وهو ـ كما يعرف كل من قرأ القرآن وفهمه ـ أنه (أي القول بالتصرف) من الشرك الأعظم، لأنه سبحانه يقول: ﴿. . ولا يشرك في حكمه أحداً﴾.

٢ ـ في نوبة الخروج، يكونون على الباب وسائط بين الخلق والحق. وهذا أسلوب آخر في التعبير عن مقام «الفرق الثاني» أترك تحليله للقارىء.

٣ ـ مع ما في قوله من الشرك العظيم، فهويقول: «ولكن من الحال ما يكتم»، فما هوهذا الحال الذي يكتم؟! وهل هناك ما هو أعظم من الشرك «كانوا في صحن الحكم»؟!

ـ في الواقع، نحن الآن نعرف الجواب، ومع ذلك نكرر السؤال! ما هو؟

ـ كما يحق لنا، منذ الآن، أن نعرف أن سيف التأويل صقيل صقيل، طويل طويل، لفاف دوار!

ويقول أيضاً «سلطان الأولياء»:

. . . فهكـذا العـارف، الخلق جميعهم كالأولاد، يخاطب الخلق بلسان الحكم، ثم يرحمهم لاطـلاعهم على العلم، فيرى أفعـال الحق عزوجـل فيهم، ينظـر إلى خروج الأقضية والأقدار من باب الحكم والعلم، ولكنه يكتم ذلك ويخاطب الخلق بالحكم الذي هو الأمر والنهي، ولا يخاطبهم بالعلم الذي هو السر[1].

ويقـول: . . . حتى إذا رأيت موارد الحق إلى قلبـك، غمض عينيـك وأخبت، لا تفش إلى الغـير سره، وارد الحق يأتي قلوبهم. على اختـلاف أحـوالهم ومقـاماتهم تتغير ظواهـرهم لتغـير بواطنهم، ويحتـاج المـريـد المطلع على أسـرارهم أن يكون أعمى أصم سكران، حتى إذا ظهرت نجابته عنده، وتحقق أدبه، يكتم سره، لعله يكسو قلبه ببعض ثيابه، يدعو الله بظاهره[2].

---

(١) الفتح الرباني، ص٢٢٥.

(٢) الفتح الرباني، ص٣٦٢.

ـ نكرر السؤال رغم معرفة الجواب: ما هو السر الذي يكتمه؟؟

ويقول: . . . ليس الخبر كالمعاينة، فحينئذ تكون من أمرك على بيضاء نقية لا غبار عليها ولا تلبيس ولا تخليط ولا شك ولا ارتياب، فالصبر الصبر، والرضا الرضا، حفظ الحال حفظ الحال، الخمول الخمول، الخمود الخمود، السكوت السكوت، الصموت الصموت، الحذر الحذر، النجا النجا، الوحا الوحا، الله الله ثم الله، الإطراق الإطراق، الإغماض الإغماض، الحياء الحياء، إلى أن يبلغ الكتاب أجله، فيؤخذ بيدك، فتقدّم وينزع عنك ما عليك، ثم تغوص في بحار الفضائل والمنن والرحمة، ثم تخرج منها فتخلع عليك خلع الأنوار والأسرار والعلوم والغرائب اللدنية، ثم تقرب وتحدث فيه بإعلام وإلهام وتكلم وتعطى[1] . . .

● **ملاحظة**: نحن ـ مع عبد القادر الجيلاني ـ أمام القمة في الأسلوب الإشاري الرمزي. ففي هذا النص الأخير مثلاً، يريد أن يقول: الكشف هو الحقيقة التي لا شك فيها، ويحتاج إلى الصبر على المجاهدة مع الرضا وحفظ السر حتى إذا وصل السالك تخلع عليه الأنوار ويعطى العلوم اللدنية، ويرى أشياء كثيرة ويسمع.

وللقارىء أن يحلل النص بنفسه.

ومما ينسب إليه (وهي في الحقيقة لابن عربي):

أنا القرآنُ والسبعُ المثاني ... وروحُ الروحِ لا روحُ الأواني

* * *

وغُصْ في بحر ذات الذات تنظرْ ... معانيَ ما تبدَّتْ للعيانِ

وأسراري قراءةُ مبهماتٍ ... مسترةٌ بأرواح المعاني

فمَنْ فَهِمَ الإشارةَ فلْيَصُنْها ... وإلا سوف يُقتل بالسِّنان

كحلاجِ المحبة إذ تبدَّت ... له شمسُ الحقيقة بالتَّداني

وقال أنا هو الحقُّ الذي لا ... يُغير ذاتَه مرُّ الزمان[2]

---

(١) فتوح الغيب، ص٦٣ و ٦٤.

(٢) فتوح الغيب، ص٢٣٠، وقد أورد ابن عربي هذه القصيدة في «كتاب الإسرا» في «باب سفر القلب» كما أورد =

ـ ما أنبه إليه هو قوله: «كحلاج المحبة» الذي يدل على أن قائل القصيدة يؤمن بعقيدة الحلاج، وكذلك أهل الطريقة القادرية لأنهم يتبنون هذه القصيدة. وكذلك توضيحه لسبب الكتمان «وإلا سوف يقتل بالسنان».

ويقول أحمد الرفاعي الغوث[1]:

. . . أي علي، كل القوم شربوها فحكمت عليهم، فعربدوا وباحوا، وخالك شربها فحكم عليها، فكتم حبه، وأخفى وجده، فظهر بكتمانه على أقرانه، وارتفع بكتمان حُبه عند حِبه على صحبه، أي علي، عليك بكتمان الأسرار، تنال الفخار[2].

ـ يريد بقوله: «شربوها»، أي شربوا الخمرة الإلٰهية، وهي إشارة إلى التحقق بالألوهية وما يصاحبه من لذة.

ويقول: أي سادة، من أراد أن يتكلم بلسان أهل المعرفة، فينبغي أن يحفظ أدب كلامه، فلا يكشف وثائقه إلا عند أهله، وأن لا يحمِّل المريد فوق طاقته، ولا يمنع كلامه من كان من أهله، ويكون كلامه مع أهل المعرفة بلسان المعرفة، ومع أهل الصفاء بلسان المحبة، ومع أهل الزهد بلسانهم، ومع كل صنف على قدر مراتبهم ومنازلهم وقدر عقولهم، فإن الله تعالى جعل للعارف هذه الألسن، نعم كلها تتلاشى عند ظهور سلطان الحق، وينبغي ألا يتحدث بحديث لا يبلغ عقل المستمع إليه، فيكون ذلك فتنة، فإن أكثر الناس جاهلون، اشتغلوا بعلوم الظواهر، وتركوا علم تصحيح الضمائر، فلا يحتملون دقائق كلام العارفين، لأن كلماتهم لاهوتية، وإشاراتهم قدسية، وعباراتهم أزلية . . . وأي دهشة أشد من دهشة العارف، إن تكلم عن حاله هلك، وإن سكت احترق[3] . . .

= أبياتاً منها في مقدمة الفتوحات المكية مع التصريح بأنها له، وقد أورد البيت «وأسراراً تراءت مبهمات» بدلاً من «وأسراري قراءة مبهمات».

(1) أحمد محيي الدين أبو العباس الرفاعي ولد وعاش في أم عبيدة (كسفينة) من أعمال واسط بالعراق، وتوفي فيها عام ٥٧٨هـ.

(2) قلادة الجواهر ص٨٣، وعلي هذا هو علي بن عثمان ابن أخت الشيخ أحمد، وهو صاحب كتاب «السر الجلالي والمقامات والمعالي».

(3) أعلام التصوف الإسلامي لأحمد أبوكف ص٢٦ و ٢٧.

ـ أقول: الكلام واضح جدًّا، لا يحتاج إلى شرح (الكتمان عن غير أهله، والبوح به لأهله.. مع وصف إشاري للسر).

ويقول:

ومستخبرٍ عن سر ليلى تركتُه ... بعمياءَ من ليلى بغير يقين
يقولون خبِّرنا فأنت أمينُها ... وما أنا إن أخبرتُهم بأمينِ[1]

ـ نلاحظ أنه يشير إلى ما يكتمه بالاسم المؤنث «ليلى».

ويقول:

ولما شربناها ودبَّ دبيبُها ... إلى معدنِ الأسرارِ قلت لها قفي
مخافةَ أن يسطو عليَّ مدامُها ... فتظهرَ جُلاسي على سرِّيَ الخفي[2]

ـ إذن هناك سر خفي يكتمه، ويتحدث بكتمانه تعليماً لمريديه، ويرمز بالمدامة التي شربها إلى الجذبة ولذتها.

ويقول:

يسقي ويشربُ لا تلهيه سكرتُه ... عن النديم ولا يلهو عن الكاسِ
أطاعهُ سكرُه حتى تمكَّنَ من ... حال الصُّحاة وهذا أعظمُ الناس[3]

ونعرف طبعاً أن السكر هو مقام الفناء، أو هو لذة الشعور بالألوهية.

ويقول: . . . فإذا أتقن السالك معرفة هذه الآداب اللازمة المطلوبة منه في حق مرشده علماً وعملاً، فحينئذ يلزم عليه أن يدخل باب القوم رضي الله عنهم بفناء النفس والإعراض عن الدنيا بالكلية، والإعراض عن الخلق. . . وعدم التفاخر وترك الدعوى وستر الأحوال وكتمان الأسرار[4]. . .

---

(١) قلادة الجواهر ص٢٢٦.

(٢) و(٣) قلادة الجواهر ص٢٢٧.

(٣) في كتاب «بهجة الأسرار ومعدن الأنوار»، ص١١٧ يعزى البيتان للشيخ سيف الدين قاضي القضاة أبي صالح؟؟

(٤) قلادة الجواهر، ص٢٧٩.

وطبعاً، نعرف الآن ماذا يعني بقوله: «بفناء النفس والإعراض عن الدنيا. . .».

ويقول: . . . اعلم أن المدَّاح الذي يمدح بمجلس الفقراء بغير طمع. . . يكون له من الفقر سبعة قراريط، بشرط أن يكون مداحاً بالحقيقة. . . ولهذا الشرط في المعنى شروطاً: الأول: أن يكون فقيراً. . . السادس: أن يكون أمين الخزائن السرية، أي أميناً على الأسرار فلا يكون مبيحاً بالسر[1].

- ولا أظننا، منذ الآن، بحاجة للتعليق على النصوص، فقد أصبحت واضحة المعاني لمن درس النصوص السابقة بإمعان.

- ويقول أبو مدين المغربي[2] «الغوث»:

وفي السر أسرار دِقاق لطيفةٌ　　　تُراقُ دِماؤنا جَهْرة لو بها بُحنا[3]

ويورد عبد الحليم محمود (الدكتور، شيخ الجامع الأزهر)[4]:

قيل له (أي لأبي مدين) مرة في المنام: حقيقة سرك في توحيدك؟

فقال: سري مسرور بأسرار تستمد من البحار الإلٰهية التي لا ينبغي بثها لغير أهلها، إذ الإشارة تعجز عن وصفها، وأبت الغيرة الإلٰهية إلا أن تسترها، وهي أسرار محيطة بالوجود لا يدركها إلا من كان وطنه مفقوداً، وكان في عالم الحقيقة بسره موجوداً، يتقلب في الحياة الأبدية، وهو بسره طائر في فضاء الملكوت، ويسرح في سرادقات الجبروت، وقد تخلق بالأسماء والصفات، وفني عنها بمشاهدة الذات. . . وكشف لي عن مكنون التحقيق، فحياتي قائمة بالوحدانية، وإشاراتي إلى الفردانية[5]. . .

- يلاحظ هنا أن الكلام منامي! رؤيا رآها أحدهم!! ولكن نحن، ماذا علينا؟ فقد

---

(١) قلادة الجواهر، ص٢٧٩.

(٢) أبو مدين شعيب بن حسين الأنصاري، أصله من «حصن قطنيانة» قرية تابعة لإشبيلية في الأندلس، هاجر إلى بجاية صغيراً، وعاش فيها، وتوفي في «العباد» خارج تلمسان عام ٥٩٤هـ وقيل قبل ذلك.

(٣) الفتوحات الإلهية، ص٤٥، وهي من قصيدة أولها: تضيق بنا الدنيا إذا غبتمو عنا وتزهق بالأشواق أرواحنا منا» أوردها عبد الحليم محمود في كتابه «أبو مدين الغوث» حاذفاً منها هذا البيت؟؟!!.

(٤) من أكبر مشايخ الصوفية في مصر، توفي منذ سنوات قليلة.

(٥) كتاب «أبو مدين الغوث»، ص١٣٠.

رواه في كتابه الشيخ الأكبر شيخ الجامع الأزهر! كما يجب أن ننتبه إلى عبارة: «وإشاراتي إلى الفردانية».

ويورد أيضاً أن ابن عربي يقول:

شيخنـا أبـو مدين، من الثمـانيـة عشر نفساً الظاهرين بأمر الله عن أمر الله، لا يرون سوى الله في الأكوان[1].

ويورد أيضاً ما يلي (على لسان ابن عربي أيضاً):

ذهبت (المتكلم هو ابن عربي) أنـا وبعض الأبـدال إلى جبـل قاف، فمـررنا بالحية المحـدقـة به، فقـال لي البـدل: سلم عليهـا فإنهـا ستر د عليـك السـلام، فسلمنا عليها فردت، ثم قالت: من أي البلاد؟

فقلنا من بجاية[2].

فقالت: ما حال أبي مدين مع أهلها؟

فقلنا لها: يرمونه بالزندقة.

فقالت: عجباً والله لبني آدم[3]!..

- ويقول عمر بن الفارض[4]:

فلاحٍ وواشٍ ذاك يُهدي لعـزةٍ	ضلالاً وذا بي ظل يَهذي لِغـرةِ
أخـالـف ذا في لومـه عن تقـىً كما	أخـالـف ذا في لؤمـه عن تقيـة[5]

- يجب أن ننتبه في البيت الثاني إلى فكرة «التقية» ومع من يستعملها؟

ويقول:

---

(١) أبو مدين الغوث، ص١٢٤.

(٢) مدينة جزائرية على ساحل البحر الأبيض.

(٣) أبو مدين الغوث، ص١٢٣.

(٤) ولد وعاش في القاهرة ثم هاجر إلى مكة وبقي فيها ١٥ عاماً ثم عاد إلى القاهرة وتوفي فيها عام٦٣٢هـ.

(٥) التائية الكبرى، الديوان ص٢٣.

ولي في الهوى علم تجل صفاته ... ومن لم يفقّهْهُ الهوى فهو في جهلِ
ومَن لم يكن في عزة النفس تائهاً ... بحبِّ الذي يهوى فبَشِّرْهُ بالذُّلِّ
إذا جادَ أقوامٌ بمال رأيتَهم ... يجودون بالأرواح منهم بلا بخل
وإن أُودِعوا سراً رأيت صدورهم ... قبوراً لأسرار تُنزه عن نقل[1]

ويقول:

وثَم أمورٌ تمَّ لي كشفُ سترها ... بصحو مفيقٍ عن سواي تغطّتِ
وعنيَ بالتلويح يفهم ذائقٌ ... غنيٌّ عن التصريحِ للمتعنت
بها لم يَبح من لم يُبح دمه وفي ال ... إشارة معنى ما العبارة حدت[2]

ـ ما يجب أن ننتبه إليه في أقوال ابن الفارض هنا، هو كلمة «الهوى» في قوله: ولي في الهوى علم تجل صفاته . . . وإلى ماذا تشير؟

إن تحليلاً لهذه العبارة «الإشارية» يقدم مساعدة جديدة في فهم إشاراتهم ورموزهم.

نحن نعلم أن الهوى، أو العشق، كائناً ما كان، ليس فيه علم ولا فقه، فما هو هذا الهوى الذي يعلّم ويفقّه؟!

من البدهي أنه يعني بالهوى هنا، هوى الذات الإلهية. ونريد أن نقفز فوق فصول الكتاب، لنوضح هذه الإشارة، رغم أن مكان التوضيح هو في ما يأتي من الفصول.

في الحقيقة والواقع، إن هذا الهوى، هو هوىً لتلك اللذة العارمة التي يذوقونها في «الجلوة» أو «الجذبة»، ففي الجذبة يغدون في حالة لا يرون فيها الأجسام كما هي، فقد يرونها أشباحاً شاحبة يتخللها نور قد يكون باهتاً وقد يكون قويًّا طاغياً، وقد تضمحل هذه الأشباح والرؤ ى فلا يرى أمامه إلا أبعاداً شفافة، وقد يرى مناظر مختلفة، وقد يرى نفسه شفافاً مندمجاً في وجود شفاف، ويفسر هذا حسب الإيحاءات الشيخية أنه فناء في الله (جل وعلا) وما شابه ذلك.

وهم يظنون أن هذا النور الذي يشاهدونه في كل شيء، وفي ذواتهم، هو الله

---

(١) ديوان ابن الفارض، ص٩١.

(٢) التائية الكبرى.

«سبحانه وتعالى عما يشركون»، والحق أن هذه الحالة تشبه بدقة حالة التحشيش والأفينة!

وفي هذه المشاهدة قد يسمعون كلاماً، أو يرون أشياء، يظنونها علماً، وهو ما يسمونه «العلم اللدني». وسنرى فيما بعد أمثلة من هذا العلم «اللدني».

إن الهوى، أو العشق، للخمرة الإلهية ـ كما يسمونها ـ هو الذي يدفعهم إلى الرياضة والمجاهدة من أجل (الوصول إلى الجذبة)، ويسمون ذلك «الوصول إلى الله، أو العروج إلى الله» حيث يتلقون العلم اللدني.

ـ إذن، فهذا الهوى هو الذي قادهم إلى الجذبة فالعلم. ومن هنا كانت إشارة ابن الفارض.

فهو يرمز بكلمة «الهوى» إلى ما يقود إليه الهوى، وهو الجذبة، أو الفناء في الله (بل الصحيح هو اللذة التي يجدونها والتي تستغرقهم حتى الإمناء).

ويقول السُّهرَوَردي المقتول[1]:

بالسرِّ إنْ باحوا تُباح دماؤهم ... وكذا دماء البائحين تُباح[2]

ويقول شهاب الدين السهروردي البغدادي[3]:

.. فصار لهم بمقتضى ذلك علوم يعرفونها وإشارات يتعاهدونها، فحرروا لنفوسهم اصطلاحات تشير إلى معان يعرفونها وتعرب عن أحوال يجدونها، فأخذ ذلك الخلف عن السلف، حتى صار ذلك رسماً مستمرًا وخبراً مستقرًا في كل عصر وزمان[4]

ويقول: .. وربما يتراءى له أنه بالله يصول وبالله يقول، وبالله يتحرك، فقد ابتلي بنهضة النفس ووثوبها، ولا يقع هذا الاشتباه إلا لأرباب القلوب وأرباب الأحوال، وغير أرباب القلب والحال عن هذا بمعزل، وهذه مزلة قدم مختصة بالخواص دون العوام

---

(١) شهاب الدين، يحيى بن حبش، قتل بحلب عام ٥٨٧هـ.

(٢) التصوف في الإسلام لعمر فروخ، ص١١٥.

(٣) أبو حفص، شهاب الدين عمر بن محمد بن عبد الله بن محمد بن عمويه، صحب عمه أبا النجيب السهروردي والشيخ عبد القارد الجيلاني، من سهرورد، توفي في بغداد عام ٦٣٢هـ.

(٤) عوارف المعارف، هامش إحياء علوم الدين: ١ / ٣٠٣.

فاعلم ذلك[1].

● **الملاحظة :**

ـ الأسلوب الإشـاري في القمـة ، يشبـه أسلوب عبد القادر الجيلاني ، أو يفوقه ، ولا غرو فقـد تخرج في مدرستـه ، انظـر إلى قوله : «بالله يصول ، وبالله يقول ، وبالله يتحرك» حيث يمكن تفسيره بتفسير ظاهر لا غبار عليه ، وآخر باطن هو ما يريده ويرمز إليه ، ومن السهل معرفته بشيء من التأمل ، كما يمكن التعرف أيضاً بشيء من التأمل إلى ماذا ترمز العبارة : «ابتلي بنهضة النفس ووثوبها» . والجملة : «وهذه مزلة قدم مختصة بالخواص . . » ، توضح الإشارة وتشرح العبارة وتحل الرمز.

ويقول محيي الدين بن عربي[2] :

وهـذا الفن من الكشف والعلم يجب ستره عن أكثـر الخلق لما فيـه من العلو، فغوره بعيد ، والتلف فيه قريب ، فإن من لا معرفة له بالحقائق ولا بامتداد الرقائق ، ويقف على هذا المشهـد من لسـان صاحبـه المتحقق به ، وهـو لم يذقه ، ربما قال : أنا من أهوى ، ومن أهوى أنا ، فلهذا نستره ونكتمه .

وقـد كان الحسن البصـري رحمـه الله ، إذا أراد أن يتكلم في مثل هذه الأسرار التي لا ينبغي لمن ليس من طريقها أن يقف عليها ، دعا بفرقد السبخي ، ومالك بن دينار ، ومن حضـر من أهـل هذا الـذوق ، وأغلق بابـه دون الناس ، وقعد يتحدث معهم في مثل هذا الفن ، فلولا وجوب كتمه ما فعل هذا[3]! . .

ويقـول : فالسـاتـرون لهذه الأسـرار في ألفـاظ اصطلحوا عليها غيرة من الأجانب ، والقـائلون بوجـود الآثـار بالهمم ، لا يزالون مقيمين على مناهجهم حتى يلوح لهم أعلام بأيدي الروحانيات العلى ، القائمين بالمرتبة الزلفى من مقام الفهوانية ، فيها كتب مرقومة

---

(١) عوارف المعارف ، هامش الإحياء : ٢ / ٩٩ .

(٢) ولد في مرسية في الأندلس ، ثم انتقل منها إلى إشبيلية حيث اتصل بابن برجان وأخذ عنه الطريقة العريفية (وفي إمكـانيـة هذا الاتصـال نظـر) ، ثم ذهب إلى المغـرب واتصل بأبي مدين ، وكثر تنقله في المشرق حتى استقر في دمشق ومات فيها عام ٦٣٨ .

(٣) رسائل ابن العربي ، كتاب الفناء ، ص٣ .

مقدسة، تقوم لهم شواهد على تحقيق ما هم عليه وتعظيم الانتقال عن هذا الوصف إلى وصف آخر ميزها، فينهتك ستر الساتر، فيكشف ما سُتر ويفك معماه، ويحل قفله، ويفتح مغالقه، ويتحد همم ذلك الآخر بمطالعة الحقيقة الأحدية، فلا يرى إلا همًّا واحداً لا غير، عنه تكون الآثار على الحقيقة، فتارة تكون عنه تحويراً، وتارة تكون عنه عند تكون هذه الهمم عنه[1] . . .

الفهوانية: خطاب الحق بطريق المكافحة في عالم المثال[2].

- رجعنا إلى تفسير الألغاز بالألغاز! ولكن سنعرف معناها بالضبط فيما يأتي.

● **ما يجب ملاحظته:**

في النص الأول، يقدم سببين للستر:

١ - علو هذا الفن، وبعد غوره وأظن الإشارة فيه مفهومة.
٢ - التلف (أي الموت أو القتل) القريب لمن لا يستر.

والعبارة «امتداد الرقائق» فيها بعض الوضوح لمن قرأ النصوص السابقة، وفي نص لاحق في هذا الكتاب، سيرى القارىء كلمة «رقيقة» بمعناها الواضح تماماً.

وفي النص الثاني، قوله: «بوجود الآثار بالهمم» يعني الهمم على المجاهدات والرياضات، وآثارها مشروحة فيما سبق. كما أن لها معنى آخر؛ فالآثار، أو سرائر الآثار: يعنون بها الأسماء الإلٰهية[3]، ومنها نعرف معنى الآثار. والهمم: الرسول ﷺ. وقد ورد هذا التفسير في كتاب «معالم الطريق إلى الله» في فصل «معجم مصطلحات الصوفية». مع الملاحظة أنها وردت في «باب الميم» بعد كلمة «مالك الملك» وقبل «المناصفة»، ومع العلم أن محلَّها يجب أن يكون «باب الهاء». والمعنيان مدلولهما واحد.

وهناك العبارة: «. . بمطالعة الحقيقة الأحدية. فلا يرى إلا همًّا واحداً لا غير، عنه تكون الآثار على الحقيقة. . .». وما أظن إلا أن القارىء أصبح الآن يدرك معناها بسهولة، أوّلاً، ففي النصوص المقبلة المعين اللازم الكافي.

---

(١) رسائل ابن عربي، كتاب الفناء، ص٤.
(٢) معجم المصطلحات الصوفية. (عبارة «عالم المثال» هي مصطلح إسماعيلي).
(٣) معجم مصطلحات الصوفية.

ويقول: أما تهمته في دينه، فهو أن يكون من أهل الكشف والوجود، فيلحق بأهل السحر والزندقة، وربما يكفر، فهو يتكلم على الأسرار التي أودعها الله في موجوداته وجعلها أمناء عليها، والناس ينسبونه إلى أنه يقول بنسبة الأفعال إليها، فيكفرونه بذلك[1]. .

- الوجود: وجدان الحق ذاته بذاته، ولهذا تسمى حضرة الجمع حضرة الوجود[2].

أو: وجدان الحق في الوجد[3].

ألغاز تفسر بألغاز، ولكن ابن سبعين يوضح فيقول: ومن اسمه «الوجود» كيف يخصص بأسماء[4]. .

ويقول: ... . وكنت أريد أن أذكر الخلوة وشروطها وما يتجلى فيها على الترتيب، شيئاً بعد شيء، لكن منعني من ذلك الوقت، وأعني بالوقت علماء السوء الذين أنكروا ما جهلوا، وقيدهم التعصب وحب الظهور والرياسة عن الإذعان للحق، والتسليم له إن لم يكن الإيمان[5].

● ما يلاحظ:

١ - الخلوة. . وما يتجلى فيها، هو ما يجب كتمانه (ونعرف الآن ما الذي يتجلى فيها).

٢ - تسميته علماء الشريعة بـ «علماء السوء»!؟

٣ - أسلوبه في مهاجمة الشريعة والدعاية للتصوف.

ويقول: إشارة - لا راحة مع الخلق - فارجع إلى الحق، فهو أولى بك، إن عاشرتهم على ما هم عليه بعدت عن الحق، وإن عاشرتهم على ما أنت عليه قتلوك، فالستر أولى، وأيسره أن تكون كائناً بائناً[6].

---

(١) رسائل ابن عربي «الميم والواو والنون»، ص٧.

(٢) معالم الطريق إلى الله «معجم مصطلحات الصوفية».

(٣) رسائل ابن عربي «اصطلاح الصوفية»، ص٥.

(٤) ابن سبعين وفلسفته الصوفية، ص٤٣٠.

(٥) رسالة الشيخ إلى الإمام الرازي ص٧.

(٦) رسائل ابن عربي «كتاب التراجم»، ص٤٧.

الملاحظة الهامة جدًا: «إن عاشرتهم على ما هم عليه بعدتَ من الحق»!! فما هو هذا الذي هم عليه والذي يبعده من الحق؟! إنه الشريعة الإسلامية بلا ريب!

ويقول: . . . وامتطيت متون الرفارف، وطرت في جو المعارف.

فعايَنْتُ من علمِ الغيوبِ عَجائباً	تُصانُ عن التذكارِ في رأيِ من وعى
ومن واصلٍ سرَّ الحقيقةِ صامتٍ	ولو نطقَ المسكينُ عجَّزه الورى
ومن كاتمٍ للسر يُظهِر ضدَّه	عليه لطلابِ المشاهد للبقا[1]

ـ لننتبه إلى قوله: «يظهر ضده».

ويقول:

وغُصْ في بحر ذات الذات تبصرْ	عجائبَ ما تبدَّتْ للعيانِ
وأسراراً تراءت مبهماتٍ	مسترة بأرواح المعاني
فمَنْ فَهِمَ الإشارةَ فلْيَصُنْها	وإلا سوف يُقتل بالسِّنان
كحلاجِ المحبة إذ تبدَّت	له شمسُ الحقيقة بالتَّداني
فقال: أنا هو الحقُّ الذي لا	يُغير ذاتَه مرُّ الزمان[2]

ـ مرت معنا هذه الأبيات قبل صفحات على أنها لعبد القادر الجيلاني، وأوردها هاهنا على أنها لمحيي الدين بن عربي! وهي له في الحقيقة.

وللقارىء أن يتساءل: إذن لماذا أوردتها باسم الجيلاني مادامت في حقيقتها لابن عربي؟!

الجواب: إن جميع السالكين والواصلين والعارفين والكمل من أصحاب الطريقة الجيلانية، يقرؤونها في كتبهم، وفي خلواتهم ومناجاتهم، يتقربون بها إلى الله، على أنها من قول شيخهم الجيلاني، ولا بد أن العارفين الكمل عرفوا ذلك ـ إخباراً أو إقراراً ـ عن طريق الكشف الذي هو «نور اليقين وحق اليقين وعين اليقين»؟

لذلك، وتأدباً مع الكشف والكاشفين والعارفين، ولئلا أتهم هؤلاء الأشياخ

---

(١) رسائل ابن عربي «كتاب الإسرا»، ص٤٧. (٢) رسائل ابن عربي «كتاب الإسرا»، ص٤.

الكمل، فقد أوردتُها هناك على أنها للجيلاني.

والتزاماً بالبحث العلمي، وبالحقيقة الحقيقة، أُوردها هنا على أنها لابن عربي، لأنها له.

ويقول ابن عربي أيضاً:

. . . إلا أنه تعالى وصف نفسه بالغيرة؛ ومن غيرته حرم الفواحش، وليس الفحش إلا ما ظهر، وأما فحش ما بطن فهو لمن ظهر له، فلما حرم الفواحش، أي منع أن تعرف حقيقة ما ذكرناه، وهي أنه عين الأشياء، فسترها بالغيرة، وهو أنت من الغير، فالغير يقول: السمع سمع زيد، والعارف يقول: السمع عين الحق[1]. .

ويشرح الشيخ عبد الرزاق القاشاني هذا القول، فيقول:

«إلا أنه تعالى قد وصف نفسه بالغيرة، ومن غيرته حرم الفواحش، وليس الفحش إلا ما ظهر» مما يجب ستره، ومن جملته سر الربوبية، فقد قيل: إفشاؤه كفر، «وأما فحش ما بطن فهو لمن ظهر له» وهو الحق ومن أظهره الله عليه، وذلك أن الحق هو الظاهر والباطن، «فلما حرم الفواحش: أي منع أن تعرف حقيقة ما ذكرناه، وهي أنه عين الأشياء، «فسترها بالغيرة» أي ستر هذه الحقيقة بالتعينات المختلفة التي يطلق عليها اسم الغير، فحدث السوى والغير، حيث يقال: أنت غيري وأنا غيرك، فاعتبرها، وأوجب الغيرة من الغير، فلهذا قال: «وهو أنت» أي إلى الغيرة أنت، يعني أنانيتك إذا اعتبرتها، إذ لو لم تعتبرها ونظرت إليها بعين الفناء كما هي عليه في نفس الأمر[2]. . .

نرى أن المتن مفهوم أكثر من الشرح، ونستطيع بكل ثقة واطمئنان أن نسمي الشروح الصوفية بـ «الشروح الباطنية»، أو «شروح المتاقاة»، لأن أكثرها من هذا النوع!

ولكن يهمنا أن نلاحظ أنه قد باح بالسر، حيث يقول: «حرم الفواحش، أي منع أن تعرف حقيقة ما ذكرناه، وهي أنه عين الأشياء».

---

(١) فصوص الحكم «عفيفي» حكمة أحدية في كلمة هودية، ص١١٠.

(٢) شرح القاشاني على الفصوص، ص١٥٧.

إذن فالحقيقة هي أن الله هو الكون (جل الله وعلا) وهذا ما يُسمى «وحدة الوجود»، وهو السر الذي يجب ستره، والفحشاء المحرمة هي إفشاؤه.

ويقول ابن هود(١):

علمُ قومــي بيَ جَهْــلُ	إنَّ شأني لأجَــلُّ
أنــا عبــدٌ أنــا ربٌّ	أنــا عزٌّ أنــا ذُل
أنــا دُنــيــا أنــا أخــرى	أنــا بعضٌ أنــا كُلُّ
أنــا معــشــوقٌ لِذاتــي	لســتُ عنــه الـدهـرَ أسلو(٢)

- ولا حاجة للتعليق فالكلام واضح.

ويقول أبو الحسن الشاذلي(٣):

ليكن الفرق في لسانك موجوداً، والجمع في جنانك مشهوداً(٤).

- التصريح هنا جيد الوضوح، إنه يقول: خاطب الناس بالفرق، واكتم الجمع في قلبك. والفرق والجمع معروفان، عرفناهما في نص سابق.

ويقول ابن سبعين(٥) مخاطباً أحد تلامذته:

. . . وشـرطي عليـك ألا يقف عليـه (أي على الكلام في الحقيقة الموجه في الرسالة إلى التلميـذ) إلا من هو من خواص خواص الخـواص، وأن تكف عن السـؤال فيه على أمر هو من الأمور التي ليست من جنس ما يكتسب، وهو من الغرابة بحيث لا يفهمه إلا

---

(١) الحسن بن عضـد الـدولـة علي، أخي المتـوكل على الله ملك الأندلس، ابن يوسف بن هود الجذامي المرسي، مات في دمشق سنة ٦٩٩هـ.

(٢) أعلام الزركلي، ج٢.

(٣) علي بن عبد الله بن عبد الجبار الضرير الزاهد، ولد في قرية «غمارة» قرب سبتة في المغرب واتصل بابن مشيش وأخذ عنه الطريقة، وبناء على توجيهاته، ذهب إلى شاذلة في تونس، حيث نسب إليها، أقام في الإسكندرية، توفي وهو في طريقه إلى الحج في صحراء عيذاب سنة ٦٥٦هـ.

(٤) بداية الطريق إلى مناهج التحقيق، ص٦٥.

(٥) قطب الدين أبو محمد عبد الحق بن إبراهيم بن محمد . . . ابن سبعين من بلدة رقوطة تابعة لمرسية في الأندلس، ويعرف أيضاً بابن دارة، مؤسس الطريقة السبعينية، تنقل في المغرب ومصر وأقام في مكة وفيها مات سنة ٦٦٩.

السعداء والأخيار، والكلام بما ليس من شأنه أن يلفظ به خبر، وكأني بمن يقف عليه من الجهلة الخفافيش الذين تظلم الشمس والكواكب والأنوار الطبيعية وغير الطبيعية في أعينهم داخل الذهن وخارج الذهن[1].

ـ العبارة «الجهلة الخفافيش. . .» استعملها قبله الغزالي في «إحياء علوم الدين».

ويقول: (بد العارف): كتمانه بد سعادتك، وإفشاؤه فسادها[2].

بد العارف: البد في اللغة هو الصنم. ويفسر أبو الوفا التفتازاني «بد العارف» بـ «المعبود الذي يتوجه إليه العارف»[3].

ويقول: وفي ذلك «أي في التوحيد» يقول الحلاج رضي الله عنه: «أنا الحق» بمعنى لا آنية إلا واحدة، فإذا وقع الاتصاف ونطق بها، وقع في ذلك معنى متشابه عند العامة، وقتل القائل له، والذي حمله على ذلك محض الإفراد والإخلاص، حتى إن بعض الصوفية رضي الله عنهم أنشدوا له في ذلك.

بذِكرِ الله تنفتحُ القلوبُ وتتَّضحُ المعارفُ والغُيوبُ
وتركُ الذِّكْرِ أفضلُ كلِّ شيءٍ فإنَّ الحقَّ ليس لهُ مغيبُ

وهذه هي «الدقيقة» عند القوم تارة، وهي «الحقيقة» أخرى، والذي يتكلم بها على حقيقتها من حيث هي، يقطع رأسه في عالم الشهادة، ويقتل في عالم الكون[4].

ويقول: اعلم أن الحروف خزانة الله، وفيها أسراره وأسماؤه وعلمه وأمره وصفاته وقدرته ومراده، فإذا اطلعت على شيء منها، فأنت من خزانة الله، فلا تخبر أحداً بما فيها من المستودعات، فمن هتك الأسرار عذب بالنار[5].

● **الملاحظة: قوله: «الحروف خزانة الله، وفيها أسراره . . .»، نرى مثل هذا الكلام تماماً في كتب السحر وأقوال علمائه!**

---

(١) رسائل ابن سبعين «الرسالة الفقيرية».
(٢) رسائل ابن سبعين «ملاحظات على بد العارفين».
(٣) ابن سبعين وفلسفته الصوفية، ص١٠٠.
(٤) ابن سبعين وفلسفته الصوفية، ص٧٩.
(٥) ابن سبعين وفلسفته الصوفية، ص٨٥.

ويقول أبو العباس المرسي[1]:

قد يكون الولي مشحوناً بالعلوم والمعارف، والحقائق لديه مشهورة، حتى إذا أُعطي العبارة، كان كالإذن من الله تعالى في الكلام، ويجب أن نفهم أن من أُذن له في التعبير، جلت في مسامع الخلق إشاراته[2].

وكان يقول أيضاً:

كلام المأذون له يخرج وعليه كسوة وطلاوة، وكلام الذي لم يؤذن له يخرج مكسوف الأنوار[2].

- في كلامه هذا يبين - شأنه شأن غيره - أن هناك أسلوباً معيناً يسميه «العبارة» - وقد رأينا هذا سابقاً - لا يجوز للولي أن يتكلم إن لم يتقن هذا الأسلوب.

وقد مر معنا صورٌ كثيرة منه، في قمتها أسلوب الجيلاني ثم تلميذه السهروردي البغدادي «شهاب الدين» الذي سبق أستاذه.

وقال ابن عطاء الله السكندري[3]، من قصيدة:

فالله أعنيه اسم الذات منفرداً ... فاعرفْ حقيقته يا خيرَ مؤتَمَنِ

وارفع به حُجباً واشفِ به عللاً ... واكشِفْ به كُرَباً عن كل ممتحنِ

وابذل له نفساً في كل موهنةٍ ... واحفظ سرائرَه من كل مفْتَتِنِ[4]

ويقول عبد الله اليافعي (الغوث)[5]:

وروي أنه لما سعي بالصوفية إلى بعض الخلفاء، أمر بضرب رقابهم، فأما الجنيد

---

(1) أحمد أبو العباس المرسي، من أكابر العارفين، ومن السلسلة الشاذلية، صحب أبا الحسن الشاذلي، مات عام ٦٨٦هـ.

(2) طبقات الشعراني: ٢ / ١٢.

(3) تاج الدين بن عطاء الله السكندري، صحب ياقوت العرشي وأبا العباس المرسي، مات في القاهرة سنة ٧٠٧هـ.

(4) القصد المجرد، ص٦٦ و٦٧، والأبيات ليست متتابعة.

(5) أبو محمد عبد الله بن أسعد اليافعي، من عدن، انتقل منها حتى استقرَّ في مكة ومات فيها عام ٧٦٨هـ.

فتستر بالفقه، وكان يفتي على مذهب أبي ثور[1]. . .

- يفهمنا اليافعي في هذا النص أن الصوفية كان يحكم عليهم بالقتل على الزندقة، وأن الجنيد كان يتستر بالفقه.

ويقول: . . . وكشف لهم (أي للواصلين) الغطاء، فانكشف لهم من العالم العلوي والسفلي ما أطلعهم عليه من علم الحال والماضي والمآل، فأخبروا بما جاز لهم كشفه من علم الغيوب، ونطقوا بما جاز النطق به مما في ضمائر القلوب. . . وعرفوا العلم الأعظم المقصود الأهم، وهو العلم بالله تعالى وأسمائه وصفاته علم مشاهدة وعيان، لا علم نظر واستدلال. . . وأودع قلوبهم أسراراً من كل مصونٍ لديهم مستور[2]. . .

ويقول:

بها هام بعض في البراري وبعضهم ... به وله ظنوا جنوناً فقيّدا
وبعض عن الأكوان بان وبعضهم ... به جاوز الإسكارُ حدًّا فعربدا
فسلَّ عليه الشرع سيفاً حمى به ... حدوداً فرى الحلاجَ ماض محدداً
فمات شهيداً عندكَم مِن مُحقق ... ولَمْ عندهم يخرج عن القوم ملحداً[3]

ويقول لسان الدين بن الخطيب[4]:

. . . وثالثها خاصة الخاصة، ويختص به من علوم الشريعة علم الحد. . . وهو علم الإلهام، والعلم اللدني، والموهبي، والإلهي. ويحتوي على معان لا يقدر أن يعبر عنها من اطلع عليها، إنما هو استشراف واطلاع على ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر، وهو بحر لا يوصف بطول ولا عمق ولا عرض ولا نقطة ولا خط، إنما هو ذوق تتلون لذاته في الطعمة الواحدة إلى ما لا ينحصر عدده ولا ينتهي أمده، وهو علم النبوة. . . وهذا العلم هو الذي لا يجوز كشفه ولا إذاعته ولا ادعاؤه، ومن كشفه وأذاعه

---

(١) نشر المحاسن الغالية، ص٤٢٢.
(٢) نشر المحاسن، ص٩٠.
(٣) نشر المحاسن، ٢٨٣.
(٤) لسان الدين محمد بن عبد الله بن سعيد . . . السلماني، وزير الأندلس، وهو المخصوص في «نفح الطيب»، مات قتلاً بسبب كتابه «روضة التعريف» الصوفي سنة ٧٧٦هـ.

وجب قتله واستحل دمه . . . وهو المراد بقوله تعالى : ﴿ثم ارجع البصر كرتين ينقلب إليك البصر خاسئاً وهو حسير﴾[1] . . .

ـ كلام ابن الخطيب واضح، ونرى كيف يفسرون الآية الكريمة حسب التفسير الإشاري .

ويقول عبد الكريم الجيلي[2]، (وهو غوث أيضاً) :

أنا الموجود والمعدو م والمنفي والباقي

* * *

ولا تثبت وجوداً لي ولا تنفيه يا باقي
ولا تجعلك غيراً لي ولا عيناً لآماقي

* * *

وقل أنا ذا ولست بذا بأوصافي وأخلاقي[3]

إنه يقول : لا تثبت وجوداً لي «في نفسك باعتباري مخلوقاً»، ولا تنفيه «بلسانك» . وقوله : «يا باقي» أي : «يا من وصل إلى مقام البقاء» . ومثل هذا ما يريده في البيتين الآخرين .

ويقول :

رمزي الذي لي في الهوى أعيا قراءة كل كاتب
أظهرته بعبارة دقت فلم تفهم لصائب
عرضته لوحته صرحته بين الحبائب
فزويت عنه عينهم ورويت منه كل شارب
أبديته وكتمته والله عن كل الحبائب

---

(١) روضة التعريف في الحب الشريف، ص٤٣١ و٤٣٢ .
(٢) عبد الكريم بن إبراهيم ابن سبط عبد القادر الجيلاني، غوث، مات سنة ٨٣٢هـ .
(٣) الأنسان الكامل، ص١١ .

عذل العذول فعندما ظهروا فشا بين الأجانب[1]

يقول: إنه رمز إلى السر ثم أظهره بعبارة دقيقة . . . ولكن عندما عذل العذول أظهره ففشا بين الأجانب، وعذل العذول هو سبب جديد لإفشاء السر يُعرِّفنا به.

ويقول:

واشرب من الثغر المدا م فخمر فيها فيها
وأدر كؤوسك راشداً رغم الذي يطويها
أبدت محاسنها سعا د فلا تكن مخفيها
ودع اغترارك بالسوى ليس السوى يدريها[2]

أظن أن القارىء أضحى الآن يعرف أنه يرمز بـ «سعاد» للذات الإلٰهية. كما يرمز إلى اللذة العارمة التي يشعر بها عندما يتحقق بالألوهية في خلوته، بـ «مدام الثغر، وخمر فيها، والكؤوس، والمحاسن». كما أظن أن كلمة «السوى» أضحت مفهومة، أو سهلاً فهمها.

والملاحظة هي أنه يدعو إلى إعلان السر وعدم إخفائه «فلا تكن مخفيها» وإلى عدم الالتفات إلى السوى «ودع اغترارك بالسوى». وهذا يعني أننا سنرى عنده كل التصريح بالسر، رغم استعماله الرموز في كثير من الأحيان. فنراه يقول مثلاً:

وما الخلق في التمثال إلا كثلجة وأنت بها الماء الذي هو نابع
وما الثلج في تحقيقنا غير مائه وغيران في حكمٍ دعته الشرائع
ولكن يذوب الثلج يرفع حكمه ويوضع حكم الماء والأمر واقع[3]

في هذه الأبيات تصريح ومغالطة:

فهو يصرح أن الخلق من الخالق كالثلجة من الماء، فكما أن الثلجة هي جزء من ماء

---

(١) الإنسان الكامل، من قصيدة مطلعها «لي في الغرام عجائب وأنا وربك ذو العجائب»، ص١٦.

(٢) الإنسان الكامل، ص٤٥.

(٣) الإنسان الكامل، ص٤٦. والأبيات من قصيدته المسماة «البوادر الغيبية في النوادر العينية»، وهي طويلة ومشهورة.

تغير مظهره فقط، كذلك الخلق هو جزء من الحق، تغير مظهره فقط.

والمغالطة، هي تقريره أن الثلج هو الماء في تحقيقهم، بينما هو في حكم الشرائع غير الماء. ونتيجة هذه المغالطة هي انطباع لدى القارىء أن الشرائع مخطئة، وتحقيقهم هو الصحيح.

ـ ولا أدري! هل لم يجد من يقول له: إن حكمه خطأ وقياسه فاسد؟

ويقول من نفس القصيدة:

وهــا أنــا ذا أخـــفــي وأظــهــر تارة ... رمــوز الهــوى ما الســر عنـدي ذائـع

وإيــاك أعـني واسـمـعـي جارتي ومـا ... يصــرح إلا جاهــل أو مخادع

ولـكــنـني آتيــك بالــبــدر أبـلجــاً ... وأخفيـه أخـرى كي تصـان الـودائع[1]

فلننظر إليه كيف يأتينا بالبدر أبلجاً، يقول:

خبــتــني فكــانـــت فيّ عني نيــابــة ... أجــل عوضــاً بل عين ما أنــا واقــع

فكـنت أنـا هي وهي كانت أنـا ومـا ... لها في وجــودٍ مفــردٍ مَن ينــازع

بقـيــتُ بها فيــهــا ولا تاء بيــنــنــا ... وحــالي بها ماض كذا ومــضــارع

ولـكـن رفعتُ النفس فارتفــع الحجــا ... ونُــبّـهــتُ من نومي فما أنــا ضاجــع

وشــاهــدتُني حقًّــا بعــين حقيـقتي ... فلي في جبــين الحسن تلك الطــلائــع

جلوتُ جمالي فاجــتـليــت مرائــيــاً ... ليطــبــع فيــهــا للكــمال مطــابــع

فأوصــافــهــا وصـفـي وذاتـي ذاتهــا ... وأخــلاقــهــا لي في الجــمال مطــالــع

واســمي حقًّــا اسمهــا، واسم ذاتهــا ... لي اسـم ولي تلك الـنعـوت توابــع[2]

قوله: «ولا تاء بيننا» يعني بها تاء المخاطب، أي: إنهما صارا ذاتاً واحدة. ولننتبه إلى أنه يشير إلى الذات الإلهية بضمير المؤنث، حيث يظهر للغافل وكأنه يتغزل بمحبوبته.

ويقول في مكان آخر:

. . . لأن الكـلام عن الحقـائق بالإشـارة، ولا يفهم إشـارتنا ويعرف آفة ما فيها من

(١) فتوح الغيب، ص٢٠٢.

(٢) الإنسان الكامل، ص٦١.

عباراتنا إلا من هو نحن ونحن هو، فافهم. وإليه الإشارة، نقول شعراً:

وغــنــى لي منــى قلبــي فغــنــيــت كما غنــى
وكــنــا حيــث ما كانــوا وكــانــوا حيــث ما كنــا

وقـد أردف سيـدنـا الشيخ العالم الرباني، شهاب الدين أحمد بن أبي بكر الرداد هذه الأبيات ثالثاً، فقال:

فحــاســبــنــا ومــا بانــوا ولا بانــوا ولا بنّــا

ولعمري أشار إلى معنى غريب، لولا المقام، مقام الإشارة، لأنعمنا عنه العبارة[1].

● **الملاحظـة**: منى قلبي يعني به الله سبحـانه. والضمير في كانوا عائد على الله سبحانه وتعالى، وعلى القارىء التحليل.

ويقول ابن البنا السرقسطي[2]:

وهــذه مســألــة معــتــاصــة لم يجد الحــبر لها خلاصــة
لأنهــا مســألــة غريــبــة حقيقــة الجــواب عنهــا ريبــة
وقــلَّ ما تلقــى لها مســاعــداً بل منكـراً أو ناقـداً أو جاحـداً[3]

ويقول:

وهــذه حقــيــقــة الإنــســان حيــث لها أنــمــوذج ربــاني
متــى ارتــقــيــت عن قبــيــل الحس أدركـت في نفــســك معــنــى الــنفس
يا من على الــقــشــر غدا يحوم حتــى عن الــلب متــى تصــوم
ووضــعــه في الــكــتــب لا يجوز بل هو كنــز في الــنهــى مكــنــوز[4]

ويقول منها:

---

(١) المناظر الإلٰهية، ص٧٧.

(٢) أبو العباس أحمد بن محمد بن يوسف التجيبي المعروف بابن البنا السرقسطي، من سرقسطة في الأندلس، انتقل إلى فاس ومات فيها في النصف الأول من القرن التاسع الهجري.

(٣) الفتوحات الإلٰهية ص٢٧، والأبيات من قصيدته المشهورة «المباحث الأصلية».

(٤) الفتوحات الإلٰهية، ص٤٣ وما قبلها.

واستشعروا شيئاً سوى الأبدان ... يدعونه بالعالم الروحاني
ثم أمام العالم المعقول ... معارف تُلغز في المنقول[1]

ويقول منها:

ثم امتحى في غيبة الشهود ... فأطلق القول أنا معبودي
حتى إذا رُدَّ عليه منه ... أثبت فرقاً حيث لم يكنه
فَرُدَّ نحو عالم التحويل ... وعبّروا عن ذاك بالنزول
ورده بالحق نحو الخلق ... كي ما يؤدي واجبات الرق
فكلم الناس بكل رمز ... وألغز التعبير أي لغز[2]

وقال ابن خلدون[3]:

قُتل الحلاج بفتوى أهل الظاهر وأهل الباطن، أهل الشريعة وأهل الحقيقة، لأنه باح بالسر فوجبت عقوبته[4].

ويقول عبد الوهاب الشعراني[5]:

. . . ونور بصائرهم بفضله، وطهر سرائرهم، وأطلعهم على السر المصون، وصانهم عن الأغيار، وسترهم عن أعين الفجار، لأنهم عرائس، ولا يرى العرائس المجرمون، فإذا مر عليهم ولي من أولياء الله ينسبونه إلى الزندقة والجنون، وتراهم ينظرون أليك وهم لا يبصرون، فمنهم المنكر لكراماتهم، ومنهم المنقص لمقاماتهم، ومنهم الثالب لأعراضهم، ومنهم المعترضون يعترضون على أحوالهم[6]. . .

ويقول: ومن الأولياء من سد باب الكلام في دقائق كلام القوم حتى مات، وأحال

---

(1) الفتوحات الإلٰهية، ص112.
(2) الفتوحات الإلٰهية، ص351 وما قبلها.
(3) عبد الرحمن بن محمد بن خلدون الحضرمي، ولد في تونس عام 1334م، تقلب في البلاد، وتوفي في القاهرة عام 1406م، الموافق لسنة 808هـ.
(4) الفتوحات الإلٰهية، ص347.
(5) أبو المواهب عبد الوهاب بن أحمد بن علي الأنصاري المعروف بالشعراني، توفي في القاهرة سنة 973هـ.
(6) الطبقات الكبرى: 1 / 2.

ذلـك على السلوك، وقـال: من سلك طريقهم اطلع على ما اطلعـوا عليـه، وذاق كما ذاقـوا، واستغنى عن كلام النـاس، وسيـأتي في ترجمة عبد الله القرشي رضي الله عنه أن أصحـابـه طلبوا منه أن يسمعهم شيئاً من علم الحقائق، فقال لهم: كم أصحابي اليوم؟ قالوا: ست مئة رجل. فقال الشيخ: اختاروا لكم منهم مئة. فاختاروا، فقال: اختاروا من المئـة عشـرين. فاختـاروا، فقال: اختاروا من العشرين أربعة. فاختاروا، «قلت»: وكـان هؤلاء الأربعـة أصحـاب كشـوفات ومعارف. فقال الشيخ: لو تكلمت عليكم في علم الحقائق والأسرار، لكان أول من يفتي بكفري هؤلاء الأربعة[1].

ـ ما يجب أن ننتبه إليه بشدة في هذا النص، هو قوله: «لكان أول من يفتي بكفري هؤلاء الأربعـة»، مع العلم أنهم أصحـاب كشـوف ومعـارف، فهم متحققـون بمثل ما تحقق به شيخهم، مما لو نطق به لكفـروه! إذن فلم يكفـرونـه وهم على مثـل عقيدته؟! الجواب فيما مر معنا من نصوص، وخاصة قول الجنيد في أوائل هذا الفصل؛ أي يكفرونه لأنه يبوح بالسر.

ويقول الشعراني أيضاً:

قال سيـدي يوسف العجمي رحمـه الله: «وإنـما أمر النبي ﷺ بغلق الباب لما أراد أن يلقن جماعة من أصحابه، كما تقدم، وقال: هل فيكم غريب...؟ لينبه على أن طريق القوم مبنية على الستر، بخلاف الشريعة المطهرة، فلا ينبغي لأحد من أهل الطريق أن يتكلم بالحقيقة عند من لا يؤمن بها خوفاً أن ينكرها فيمقت[2].

وكان يقول:

إياك أيها المريد أن تجادل أصحاب الطروس بما تجده في نفسك من الأمور الذوقيات، فربما شنوا عليك الغارات ولم يرجعوا عما هم عليه، وربما سبّوا الطريق وأهلها[3].

ويقول شيخ الشيوخ عبد الرحمن المجذوب[4] زجلاً:

---

(1) الطبقات الكبرى: ١ / ١٢.

(2) الأنوار القدسية: ١ / ٢٩.

(3) الأنوار القدسية: ١٦٣.

(4) سيـدي عبـد الـرحمن المجذوب من الأولياء الأكابر! كان مقطوع الذكر، قطعه بنفسه في أوائل جذبته. مات في =

احــفــر لســرّك ودكّــو في الأرض سبــعـــين قامــة
وخــلّ الخــلائــق يشــكّــو إلــى يوم الــقــيــامــة[1]

ويقول أحمد بن عبد الأحد السرهندي[2] (مجدد الألف الثاني):

. . . والمنع من إظهار حقائق عالم الأمر إنما هو بسبب دقة تلك المعاني المكنونة . . .

ولــيس في بثــي الأســرار مصــلحــة وإن ظهــرن لنــا كالــشــمس في فلك

. . . وبقية الجواهر العليا التي فوق الصفات الحقيقية داخلة في دائرة حضرة الذات تعالت وتقدست، ولهذا يقال لتجليات هذه المراتب الثلاثة تجليات ذاتية، ولا مصلحة في التكلم وراء ذلك. بلغ اليراع إلى هنا فتكسرا[3]. اهـ.

أظن أن القــارىء يعــرف الآن أن عبـارة «بسبب دقـة تلك المعـاني المكنـونـة» هي للمغالطة، وأن السبب الحقيقي هو خوف التكفير.

- ويقول ابن عجيبة[4]:

. . . فإذا انفرد القلب بالله، وتخلص مما سواه، فهمَ دقائق التوحيد وغوامضه التي لا يمكن التعبـير عنهـا، وإنـما هي رموز وإشارات لا يفهمها إلا أهلها، ولا تفشى إلا لهم، وقليـل ما هم. ومن أفشى شيئـاً من أسـرارها مع غير أهلها فقد أباح دمه، وتعرض لقتل نفسه، كما قال أبو مدين رضي الله عنه:

وفي الــســر أســرار دقــاق لطــيـفــة تراق دمــانــا جهــرة لو بها بحــنــا

وهـــذه الأســـرار هي أسـرار الـذات وأنـوار الصفـات التي تجلّى الحق بها في مظهـر الأكـوان، وإلى ذلــك أشار (ابن عطاء الله السكندري) بقوله: «الكون كله ظلمة، وإنما

= القاهرة عام ٩٤٤هـ.

(١) إيقاظ الهمم، ص١١٢.

(٢) مؤسس الطريقة المجددية، مات في الهند سنة ١٠٣٤هـ / ١٦٢٥م.

(٣) المنتخبات من المكتوبات، ص٧.

(٤) العارف بالله أحمد بن محمد بن عجيبة الحسني مغربي من كبار صوفية القرن الثالث عشر الهجري، مات سنة ١٢٢٤هـ.

أناره ظهور الحق فيه»[1].

ـ هنا، يصرح ابن عجيبة بالسر، فيقول: «وهذه الأسرار هي أسرار الذات... التي تجلّى الحق بها في مظهر الأكوان»، وأظن أن الجملة واضحة.

ويقول: ... فلأن هذه الأمور أذواق باطنية، وأسرار ربانية... وأيضاً هي أمانات وسر من أسرار الملك، وسر الملك لا يحل إفشاؤه، فمن أفشاه كان خائناً واستحق الطرد والعقوبة، ولا يصلح أن يكون أميناً بعد ذلك، فكتْم الأسرار من شأن الأخيار، وهتْك الأسرار من شأن الأشرار. وقد قالوا: قلوب الأحرار قبور الأسرار. وقال الشاعر:

لا يكتُمُ السر إلا كلُّ ذي ثقة ... فالسر عند خيار الناس مكتوم[2]

ويقول أيضاً:

«وقال الحلاج رضي الله عنه:

أنا أنت بلا شك ... فسبحانك سبحاني
وتوحيدك توحيدي ... وعصيانك عصياني

وقال أيضاً (أي الحلاج):

سبحان من أظهر ناسوتُه ... سرَّ سنا لاهوته الثاقب
ثم بدا في خلقه ظاهراً ... في صورة الآكل والشارب
حتى لقد عاينه خلقه ... كلحظة الحاجب بالحاجب

وبإظهار هذا وأمثاله قُتل رضي الله عنه. فمن لطف الله تعالى ورحمته أن ستر ذلك السر بظهور نقائضه، صوناً لذلك السر أن يظهر لغير أهله. ومن أفشاه لغير أهله قُتل كما فُعل بالحلاج...»[3].

● **ملاحظة**: هم يكتمون السر خوفاً من السيف. وتجرؤوا على الله سبحانه فجعلوه

---

(١) إيقاظ الهمم، ص٣٩، وجملة «الكون كله...» من الحكم العطائية.
(٢) إيقاظ الهمم، ص١١٢.
(٣) إيقاظ الهمم، ص١٥٦.

مثلهم! فهل يخاف سبحانه من السيف؟؟!

ويقول: . . . قد يرخص للعارف الماهر إلقاء الحقائق مع من لا يعرفها، بعبارة رقيقة وإشارة لطيفة، وغزل رقيق، بحيث لا يأخذ السامع منها شيئاً. فقد كان الجنيد رضي الله عنه يلقي الحقائق على رؤوس الأشهاد، فقيل له في ذلك، فقال: جانب العلم (أي علم الحقائق الصوفية) أحمى من أن يأخذه غير أهله[1].

ويقول ابن عجيبة أيضاً في شرح قول ابن البنا السرقسطي:

ثم امتحى في غيبة الشهود ... فأطلق القول أنا معبودي
حتى إذا رد عليه منه ... أثبت فرقاً حيث لم يكنه

يقول: العبد في حال غفلته يكون مبتلى برؤية نفسه، واقفاً مع شهود حسّه، مسجوناً بمحيطاته، محصوراً في هيكل ذاته. فإذا أراد الله تعالى أن يرفع عنه الحجاب ويدخله في حضرة الأحباب، ألقاه إلى ولي من أوليائه، وعرفه سر خصوصيته واصطفائه، فلا يزال يسير به ويحاذيه ويخرق عليه عوائد نفسه ويغيِّبه عنها، ويزهده في فلسه وجنسه، فإذا رآه الشيخ قد رق في حقه الحجاب، واستحق الانخراط في سلك الأحباب، فتح له الباب وقال له: ها أنت وربك، فإذا زج في حضرة النور، ورفعت عنه الستور، أنكر الوجود بأسره، وأنكر وجود نفسه، فامتحق وجودُه في محبوبه، وانطوى شهوده في شهود معبوده، فأنشأ يقول: «أنا من أهوى ومن أهوى أنا، أنا المحب والحبيب، ليس ثم ثان»، فإذا تمكن في الشهود وتحقق برؤية نور الملك المعبود، رُدَّ عليه صحوه ورجع إليه سلوكه، فأثبت فرقاً في عين الجمع، قياماً بوظائف الحكمة في عين شهود القدرة، فيكون الجمع في باطنه مشهوداً، والفرق على ظاهره موجوداً، فرقاً لفظيًّا لا حقيقيًّا؛ أدباً مع الربوبية وقياماً بوظائف العبودية. . . (إلى أن يقول): . . . وقوله: «فأطلق القول أنا معبودي». إطلاق هذا القول لا يسلم له إلا في حالة القوة والجذب، وإلا فقد علمت ما وقع للحلاج وهو ولي الله حقًّا، وفي معنى ذلك قيل:

ومن شهد الحقيقة فليصنها ... وإلا سوف يقتل بالسنان

---

(١) إيقاظ الهمم، ص١١٣.

كحلاج المحبة إذ تبدت له شمس الحقيقة بالتداني

وقال آخر:

بالسر إن باحوا تباح دماؤهم وكذا دماء البائحين تباح

وقال ابن خلدون: «قتل الحلاج بفتوى أهل الظاهر وأهل الباطن، أهل الشريعة وأهل الحقيقة، لأنه باح بالسر، فوجبت عقوبته». وممن أفتى بقتله الجنيد والشبلي، غيرة على السر أن يفشى لغير أهله. فالواجب كتم الأسرار، وإظهار شريعة النبي المختار[1]. . .

● **ملاحظة**: قوله: « . . كتم الأسرار وإظهار شريعة النبي . . . » واضح الدلالة على أن الأسرار تناقض شريعة المختار.

ويقول أيضاً:

. . . ثم هؤلاء الجهال (أي أهل الشريعة) لم يقنعوا بالإنكار، حتى كفّروا من قال بشيء من ذلك (أي من ذلك السر). كما قال (أي ابن البنا السرقسطي):

وكفّروا وزندقوا وبدّعوا إذا دعاهم اللبيب الأورع

قلت: هذا من الحرمان، وعلامة الخذلان، إذا دعاهم أحد إلى التحقيق، قالوا: إنه زنديق. وإذا خرق عوائد نفسه في دواء قلبه، قالوا: إنه صاحب بدعة. وهذا كله حجاب وستر لأوليائه، فإذا سمع المريد شيئاً من ذلك فليطب نفساً، فتلك عناية به، نعم، ينبغي أن يجزم نفسه في ستر السر الذي عنده، فإن أفشى شيئاً من ذلك فسيف الحلاج فوق رأسه[2].

ويقول: إذا قال الفقير: «أنا من أهوى ومن أهوى أنا» قبل تحقق فنائه، فما أبعده عن الصواب، وإذا تحقق فناؤه، فلا يقول ذلك إلا مع من يصدّقه في حاله، وإلا تعرض لقتله[3]. . .

---

(١) الفتوحات الإلهية، حاشية الإيقاظ، ص٣٤٦ و٣٤٧.

(٢) الفتوحات الإلهية، ص٤٢٧.

(٣) الفتوحات الإلهية، ص٤٥٦.

ـ نرى أن ابن عجيبة واضح، ونصوصه واضحة، إنه ـ في الواقع ـ يفشي السر رغم دعوته إلى كتمانه، ثم يشرح لنا بوضوح سبب الدعوة إلى الكتمان.

وفي النص الأخير، يبين لنا معنى كلمة «الفناء» بحيث لا نحتاج معه إلى الرجوع إلى غيره. ومن الواضح جدًّا أنه يعني بقوله: «أنا من أهوى» أي: أنا الله! وقد مر في نص قبله، قوله: «أنا معبودي»، ومتى تسلم لقائلها.

ويقول أيضاً:

إياك أن تقول أناه، واحذر أن تكون سواه[1].

واضح أن عبارة «أناه» تعني «أنا هو» أو «أنا الله». وهذه الجملة لابن عجيبة، هي الموضوع الذي دارت حوله كل ما مر معنا من نصوص حول هذا الموضوع. فهو يقول: إياك أن تقول (بلسانك للناس): أنا الله، ولكن احذر أن تكون (عقيدةً) سواه، أي أن تعتقد أنك سواه (أي سوى الله!) ـ وهو نفس قول الشاذلي: «ليكن الفرق في لسانك..».

ويقول محمد مهدي الرواس[2]:

وبويعت في الحضرة على كتم أسرار الحضرة إلا عن أهلها. وقد قال إمامنا الشافعي رضي الله عنه:

ومَن منَحَ الجهَّال علماً أضاعه ومَن مَنَعَ المستوجبين فقد ظلمْ[3]

وبويعت في الحضرة، على خفاء في ظهور، وظهور في خفاء، وطلسمية في مجلى، ومجلى في طلسمية، وانقباض في انبساط، وانبساط في انقباض، وتعين في استتار، واستتار في تعين[4]...

---

(١) الفتوحات الإلهية، ص٣٤٧.

(٢) القطب الغوث الفرد المتمكن... السيد بهاء الدين محمد مهدي الشيوخي الشهير بالرواس، بن علي الرفاعي الصيادي الحسيني الحسني، من بلدة سوق الشيوخ من أعمال البصرة، تجول كثيراً ومات في بغداد عام ١٢٨٧هـ.

(٣) بوارق الحقائق، ص٢٩٢.

(٤) بوارق الحقائق، ص٢٧٣.

ويقول: وبويعت في الحضرة، على الوقوف على قدم الاهتمام، مع حكم الطي في الزمان، بإعلاء أحكام شريعة سيد الأكوان ـ عليه صلوات الرحمن ـ وها أنا والحمد لله على العهد، تجردت لإعلاء أحكامها، برقائق يفهمها من فهمه الله بنوره المبين، وفقهه في الدين، مع طي في منشور الزمان، على منوال قول القائل:

تسترتُ من دهري بظل جناحه ... فصرتُ أرى دهري وليس يراني
فإن تسألِ الأيام عنيَ ما درت ... وأين مكاني ما عرفن مكاني[1]

ويقول «من قصيدة»:

طريقتُنا أنَّا نمرُّ زماننا ... ونحن على مهدِ التَّكتُّم قُوَّم
طريقتُنا أن نجعلَ السرَّ رقعةً ... وفيها سطورُ الصدقِ لله نَرْقُمُ[2]

ومنها:

طريقتُنا أن نحفظَ الشرعَ ظاهراً ... وهذا هو السرُّ الخفيُّ المطلسمُ[3]

ويقول محمود أبو الفيض المنوفي[4] «من قصيدة»:

وأبصرتُ أسراراً تسامت بذاتها ... وإني أرى شرحي لها فوق طاقتي
فإني إذا ما بُحْتُ يوماً بسرِّها ... لقيتُ حِمامي بعد تمزيق مُهجتي
ولستُ على سرٍّ أميناً إذن ولا ... حظيتُ بقرب عند أهل مودتي[5]

* * *

وكن كاتماً للسر عن غير أهله ... ولا تفشه إلا لأهل البصيرة[6]

---

(١) بوارق الحقائق، ص٢٧٤.
(٢) المجموعة النادرة، ص٢٨٧.
(٣) المجموعة النادرة، ص٢٨٨.
(٤) محمود أبو الفيض بن علي بن عمر بن إبراهيم أبو ماضي . . . ولد في مدينة منوف من مديريات مصر عام ١٣١٢هـ، وهو مؤسس الطريقة الفيضية، وصاحب مجلة العالم الإسلامي، ورئيس تحريرها، ولعله يكون متمتعاً بالصحة أثناء كتابة هذه الكلمات.
(٥) بداية الطريق إلى مناهج التحقيق، ص٦٦.
(٦) معالم الطريق إلى الله، ص٤٤٤.

ويقول أيضاً:

ومن أعظم مواهب الله لأوليائه وجود العبارة، وهي (الفتوح بالتعبير عن المقاصد). قال[1]: وسمعت شيخنا أبا العباس يقول: (يكون الولي مشحوناً بالعلوم والمعارف، والحقائق لديه مشهودة، حتى إذا أُعطي العبارة، كانت كالإذن من الله له في الكلام). وقال: من أُذن له في التعبير حسنت في مسامع الخلق عباراته، وحليت لديهم إشاراته. وقال: سمعت شيخنا أبا العباس يقول: (كلام المأْذون له يخرج وعليه كسوة وطلاوة من نور قلبه، وكلام الذي لم يؤذن له يكون مكسوف الأنوار، حتى إن الرجلين ليتكلمان بالحقيقة الواحدة، فيقبل من أحدهما ويرد على الآخر). واعلم أن من أراد الله أن يكون داعياً إليه من أوليائه فلا بد من إظهاره إلى العباد ولو لخاصتهم، إذ لا تكون الدعوة إلى الله إلا كذلك[1].

- لقد مرت أقوال أبي العباس المرسي في صفحات سابقة، وأُكررها هنا، لأن السيد المنوفي يتبناها.

- وعن الشيخ محمد أمين الكردي[2] يقول الشيخ سلامة العزامي[3]:

. . . وكان يرى أن القول بوحدة الوجود من سكْر الوقت وغلبة الحال، يعذر صاحبه إذا كان مغلوباً، ولا يصح تقليد غيره له، وكان يرى الخوض فيه حراماً إلا لمن ثبتت قدمه في عقيدة أهل السنة والجماعة، وعرف ذلك من بقايا السكر ولم يتأثر بما يسمعه من الشطحات[4]. . .

- الوقت: ما هو غالب على العبد[5]. أو ما كان هو الغالب على الإنسان[6]، فيقال: «وقتك الحزن، أو وقتك السرور، أو وقتك الجذبة، أو وقتك الغيبة. . .» وهذا

---

(١) معالم الطريق إلى الله، ص٢٥٧.

(٢) شيخ شيوخ العصر . . . القطب الكبير محمد أمين الكردي الإربلي ابن الشيخ فتح الله زاده، أخذ الطريقة النقشبندية عن الشيخ عمر النقشبندي، رحل إلى الحجاز ثم إلى القاهرة ومات فيها عام ١٣٣٢هـ.

(٣) الشيخ سلامة العزامي، أحد أكابر علماء الأزهر وتلميذ الشيخ الكردي.

(٤) ترجمة الشيخ الكردي في مقدمة كتاب تنوير القلوب، ص٤٢.

(٥) معجم المصطلحات الصوفية.

(٦) شرح حاشية العروسي: ٢ / ٢٢.

النص أكثر وضوحاً من أن يحتاج إلى تعليق، ولكنه مع ذلك بحاجة إلى تأمل.

ويقول الشيخ عبد القادر الحمصي[1]:

احـــذر نفس الله في كل آن واكـــتـــم سر الله ضـمــن الجـــنـــان
واعــلـم أن الله عين الـــعـــيـــان واجمـــع خلق الله في الـــوحـــدة[2]

ومن قوله:

اكـتـم الأســـرار عن ذوي الأغـيـــار واهـــدم الأســـوار واهــجــر بيعــك[3]

- ذوو الأغيـار، أو أصحـاب الأغيـار: أي الذين يتوهمون أن في الوجود غير الله، أو الذين يتوهمون أن المخلوق غير الخالق.

ويقول ابن أُنبوجة[4]:

. . . والغيرة عبارة عن التلبس بالرسوم، والكتم عن السر، والإشارة دون تصريح صيانةً للأسرار، واتساعاً لمحل الأمانة، فيرقى عن ضيق الحمل، ومطاوعة البوح[5].

- الرسوم: جمع رسم، وهو الخلق وصفاته، لأن الرسوم هي الآثار، وكل ما سوى الله هي آثاره النـاشئـة من أفعـالـه[6]. ومعنى هذا الكـلام هو أن الرسوم هي المخلوقات إذا توهمناها غير الخالق. ويكون معنى قوله: «التلبس بالرسوم» هو: التظاهر بأن الخلق غير الخالق!

- يبين ابن أُنبوجة لِمَ يستعملون الإشارة في العبارة، دون التصريح، إنها من أجل أن ترقى بهم عن ضيق الحمـــل «أي حمل الســـر» وعن مطـاوعـة البـوح به. فيفـرّجـون عن

(١) الشيخ عبد القادر الحمصي، أخذ الطريقة عن الشيخ علي اليشرطي وهو قريب العهد.

(٢) اللطائف الروحية، ص٤٢.

(٣) اللطائف الروحية، ص٨٢.

(٤) الشيخ العـلامـة العـارف بالله سيدي عبيدة بن محمد الصغير بن أنبوجة الشنقيطي التيشيتي، من أفراد أعلام الطريقة التجانية . . . توفي عام ١٢٨٤هـ.

(٥) ميزاب الرحمة الربانية، ص١١٣.

(٦) معجم مصطلحات الصوفية.

صدورهم بعبارات مموهة على أهل الرسوم .

ولعل في هذا القدر من أقوال الكبار من أئمة الصوفية في كتمان السر عن غير أهله ، والتلبيس على أهل الشريعة بالشريعة ، وتنبيه السالكين أن التصريح بالسر يقودهم إلى السيف ، لأن السر كفر وزندقة ! ! لعل في هذا القدر كفاية .

بل فيه أكثر من الكفاية ، بل وأكثر بكثير ! فقد كانت الكفاية في نص أو نصين من «إحياء علوم الدين» الكتاب العظيم الشأن ! عظيم الوقع ! كثير النفع ! جليل المقدار ! ليس له نظير في بابه ! ولم ينسج على منواله ! ولا سمحت قريحة بمثاله ! كاشفاً عن الغوامض الخفية . . . إلخ ، لمؤلفه «حجة الإسلام ومحجة الدين التي يتوصل بها إلى دار السلام ! الإمام ! بل أكثر من عشرين ألف إمام ! جامع أشتات العلوم ! الضرغام ! والبدر التمام ! كاشف غياهب الشبهات . . . إلخ» أبي حامد الغزالي .

لقد كان في نص أو نصين منه كفاية . إذ لا كلام في هذا الكلام مع كلام حجة الإسلام ؛ لأن حجة الكلام ، كلام حجة الإسلام ! وليس بعد كلامه كلام ! وإلا فما معنى كونه «حجة الإسلام»؟ ! !

ـ هذه الفقرة هي من عدوى الكشف والعلوم اللدنية فالمعذرة ! !

قد يقول قائل : ما دام نص أو نصان يكفيان ! فلِمَ كل هذا الركام ؟ !

الجواب : هو محاولة ـ قد تكون فاشلة وقد تكون ناجحة ـ للوقوف أمام الثعلبيات الزئبقية التي نسمعها دائماً وأبداً من الصوفية وأنصارهم ، ومن السذج الذين خدعوا بالعبارات المنمقة التي تسمي الليل ظهراً والجهل علماً !

فلو أتيناهم مثلاً بمثل من «الإحياء» لسمعنا أقوالاً مختلفة ، فقد يقول قائل منهم : «هذا كلام مدسوس على الكتاب» ، وهي الجملة الظالمة التي كررت وتكرر دون حياء ، وقد يقول آخر : «هذا قول انْتُهِيَ منه ، ولم يبق له رصيد الآن . هذا كان عند بعضهم فقط» . وقد يقول آخر : «التعميم لا يجوز» ، وقد يقولون : هذا له تأويل (وما أدراك ما التأويل ، له ذنب طويل ، وخرطوم طويل ، وناب طويل ، وظفر طويل ، وشعر طويل . . .) .

من أجل هذا أوردت هذا الركام. ولولا الخوف من الإطالة، وأن يبلغ الكتاب حجماً أكبر من حجمه، لأوردت من أقوال من أوردت أسماءهم، ومن أقوال غيرهم في هذا الموضوع ما قد يحتاج إلى مئات الصفحات، إن لم يكن أُلوفها!!

واستكمالاً للفائدة، أُعيد عرض بعض النصوص السابقة ذات الأهمية الخاصة الواضحة، مع بعض الإضافات.

يقول الجنيد:

لا يكون الصدِّيق صدِّيقاً حتى يشهد له في حقه سبعون صديقاً أنه زنديق!! وفي رواية: «ألف صديق أنه زنديق».

ويقول ابن عجيبة:

... وإلا فقد علمت ما وقع للحلاج، وهو ولي الله حقًّا... وممن أفتى بقتله الجنيد والشبلي... (طبعاً لأنه باح بالسر).

ويقول ابن عربي:

ومَنْ كاتمٍ للسر يظهر ضده ... عليه لطلاب المشاهد للبقا

ويقول اليافعي:

... لما سعي بالصوفية إلى بعض الخلفاء، أمر بضرب رقابهم، فأما الجنيد فتستر بالفقه، وكان يفتي على مذهب أبي ثور.

ويقول أبو الحسن الشاذلي:

ليكن الفرق في لسانك موجوداً، والجمع في جنانك مشهوداً.

ويقول ابن عجيبة أيضاً:

إياك أن تقول أناه، واحذر أن تكون سواه.

وهو نفس المعنى تماماً الذي يقوله أبو الحسن الشاذلي.

«الفرق: هو أن تفرق بين الخالق والمخلوق، والجمع أن تجمعهما في ذات واحدة»،

وقد مر هذا الشرح سابقاً، وأُعيده هنا.

وأُعيد قول الحلاج لأهميته الخاصة الخاصة، يقول:

المعنى الذي به تُحقن الدماء، خارج عن الصلاة والصوم وقراءة القرآن.

ولا أُعلق بشيء، فهي واضحة جدًّا، ولذلك أعدت كتابتها. ولكني أُورد قولاً آخر له أهميته الخاصة جدًّا.

يقول الشعراني:

.. قال عبد الله القرشي: .. لو تكلمت عليكم في علم الحقائق والأسرار، كان أول من يفتي بكفري هؤلاء الأربعة[1]!

ـ وطبعاً، يفتون بكفره ظاهراً بألسنتهم، أما في الباطن فهم يعتقدون عقيدة جازمة أنه صدِّيق ولي لله، وأن إفتاءهم ـ في الظاهر ـ بكفره هو للتمويه والنجاة من السيف! أو لكتمان السر!! أو لإعطاء الظاهر حكم الظاهر، ويبقى للباطن حكم الباطن!

ويقول أحمد الشرباصي، معلقاً على قولٍ للغزالي:

فأنت ترى معي، من غير شك، أن الغزالي بعد أن أبان الصعوبة في وضع تعريف جامع مانع للتصوف بسبب سريته وباطنيته... إلى أن يقول: ولعل هذه السرية، أو الباطنية المستكنة في حقيقة التصوف، كانت المدخل لادعاء الكثيرين التصوف[2].

ومما يورده أحمد زيني الدحلان:

«وسئل والد الشيخ محمد الرملي عن القائل بوحده الوجود، فقال: يقتل هذا المرتد وترمى جيفته للكلاب، لأن قوله هذا لا يقبل تأْويلاً، وكفره أشد من كفر اليهود والنصارى، واستحسن الشيخ ابن حجر منه هذه الفتوى... فمن زعم أن وحدة الوجود غير وحدة الشهود لم يشم رائحة معنى الوحدة، فوحدة الوجود ترجع إلى وحدة الشهود من غير حلول ولا اتصال، هذا هو القول الحق[3]. انتهى».

---

(١) طبقات الشعراني: ١ / ١٢.

(٢) التصوف عند المستشرقين، ص١٤.

(٣) تقريب الأصول لتسهيل الوصول، ص٥١.

ـ لنلاحظ أن الكفر عندهم هو التصريح بوحدة الوجود بعبارة لا تقبل التأويل «لأن قوله هذا لا يقبل تأويلاً» كما يجب أن نلاحظ أن وحدة الشهود هي وحدة الوجود.

ويقول عبد القادر الجيلاني:

أشـد الأشيـاء على من عرف الله عز وجـل، النطق مع الخلق والقعود معهم، ولهذا يكـون ألف عارف والمتكلم فيهم واحـد، إلا أنـه يحتـاج إلى قوة الأنبياء عليهم السلام، وكيف لا يحتاج إلى قوتهم وهو يريد أن يقعد بين أجناس الخلق، يخالط من يعقل ومن لا يعقل، يقعد مع منافق ومؤمن، فهو على مقاساة عظيمة صابر على ما يكره، ومع ذلك فهو محفوظ فيما هو فيه، معان عليه، لأنه ممتثل لأمر الحق عز وجل في كلامه على الخلق، لم يتكلم بنفسه وهواه واختياره وإرادته، إنما أُجبر على الكلام، فلا جرم يحفظ فيه[1].

ـ والآن..

نختم هذا الفصـل، بفصـل من كتـاب «اليـواقيت والجواهر في بيان عقائد الأكابر» للإمام العارف الرباني سيدي عبد الوهاب الشعراني..

يقول: (الفصل الثالث) في بيان إقامة العذر لأهل الطريق في تكلمهم في العبارات المغلقة على غيرهم رضي الله عنهم[2]:

اعلم رحمـك الله، أن أصـل دليـل القـوم في رمـزهم الأمـور، ما روي في بعض الأحاديث أن رسول الله ﷺ قال يوماً لأبي بكر الصديق: أتدري يومَ يوم؟ فقال أبو بكر: نعم يا رسول الله، لقد سألتني عن يوم المقادير. وروي أيضاً أنه قال له يوماً: يا أبا بكر، أتدري ما أُريد أن أقول؟ فقال: نعم، هو ذاك هو ذاك، حكاه الشيخ تاج الدين بن عطاء الله في بعض كتبه.

* نقف قليـلاً لنـورد قولـه ﷺ: «إن كذباً عليَّ ليس ككذب على أحد، فمن كذب عليَّ متعمداً فليتبوأ مقعده من النار»[3] جواباً على هذه الأحاديث المكذوبة.

وذكر الشيخ محيي الدين في الباب الرابع والخمسين من الفتوحات ما نصه: اعلم أن

---

(١) الفتح الرباني، ص٢١٦.
(٢) اليواقيت والجواهر: ١ / ١٤.
(٣) صحيح مسلم «كتاب العلم».

أهـل الله لم يضعـوا الإشـارات التي اصطلحـوا عليها فيما بينهم لأنفسهم، فإنهم يعلمون الحق الصـريـح في ذلـك، وإنما وضعوها منعاً للدخيل بينهم، حتى لا يعرف ما هم فيه، شفقة عليه أن يسمع شيئاً لم يصل إليه، فينكره على أهل الله، فيعاقب على حرمانه، فلا ينـالـه بعـد ذلك أبداً، قال: ومن أعجب الأشياء في هذه الطريق، بل لا يوجد إلا فيها، أنـه ما من طائفـة تحمـل علماً من المنطقيـين والنحـاة وأهـل الهندسة والحساب والمتكلمين والفلاسفة، إلا ولهم اصطلاح لا يعلمه الدخيل فيهم إلا بتوقيف منهم، لا بد من ذلك، إلا أهـل هذه الطـريق خاصـة، فإن المـريد الصادق إذا دخل طريقهم، وما عنده خبر بما اصطلحـوه، وجلس معهم، وسمـع منهم ما يتكلمـون به من الإشـارات، فهم جميـع ما تكلموا به، حتى كأنه الواضع لذلك الاصطلاح، ويشاركهم في الخوض في ذلك العلم، ولا يستغرب هو ذلك من نفسه، بل يجد علم ذلك ضروريًّا لا يقدر على دفعه، فكأنه ما زال يعلمه، ولا يدري كيف حصل له ذلك، هذا شأن المريد الصادق، وأما الكاذب فلا يعرف ذلك إلا بتوقيف، ولا يسمح له قبل إخلاصه في الإرادة وطلبه لها أحد من القوم؛ ولم يزل علماء الظـاهـر في كل عصر يتوقفون في فهم كلام القوم، وناهيك بالإمام أحمد بن سريـج، حضـر يومـاً مجلس الجنيـد، فقيـل له: ما فهمت من كلامه؟ فقال: لا أدري ما يقـول، ولكن أجـد لكـلامه صولة . . . ثم إن القوم لا يتكلمون بالإشارة إلا عند حضور من ليس منهم، أو في تأليفهم لا غير. ثم قال: ولا يخفى أن أصـــل الإنكـار من الأعـداء المبطلين إنما ينشأ من الحسد، ولو أن أولئك المنكرين تركوا الحسد وسلكوا طريق أهل الله لم يظهـر منهم إنكـار ولا حسـد، وازدادوا علماً إلى علمهم. ولكن هكـذا كان الأمر، فلا حول ولا قوة إلا بالله العـلي العظيم . . . وأشـد النـاس عداوة لأصحـاب علوم الـوهب الإلهي، في كل زمـان، أهـل الجـدال بلا أدب، فهم لهم من أشـد المنكـرين؛ ولـما علم العـارفـون ذلـك عدلـوا إلى الإشـارات، كما عدلت مريم عليها السلام، من أجل أهل الإفـك والإلحـاد، إلى الإشـارة، فلكـل آيـة أو حديث عنـدهم وجهـان: وجه يرونه في نفـوسهم، ووجـه يرونـه فيـما خرج عنهم، قال تعـالى: ﴿سنُـريهِمْ آيـاتِنـا في الآفاقِ وفي أنفُسِهم﴾ فيسمون ما يرونه في نفوسهم إشارة ليأنس المنكرون عليهم، ولا يقولوا إن ذلك تفسـير لتلك الآيـة أو الحـديث، وقـايـة لشرهـم ورميهم لهم بالكفر، جهلاً من الراميـن معرفة مواقع خطاب الحق تعالى، واقتدوا في ذلك بسنن من قبلهم، وإن الله تعالى كان قادراً أن ينص ما تأوله أهل الله وغيرهم في كتابه، كالآيات المتشابهات، والحروف أوائل

السـور، ومـع ذلـك فما فعل، بل أدرج في تلك الكلمات الإلٰهية والحروف أوائل السور، علوماً اختصاصية لا يعلمها إلا عباده الخُلَّص . . . ومع هذا التفاضل المشهور فيما بينهم ينكرون على أهل الله تعالى . . . فإن القوم لما عملوا بما علموا، أعطاهم الله تعالى علماً من لدنه، بإعلام رباني أنزله في قلوبهم مطابقاً لما جاءت به الشريعة لا يخرج عنها ذرة!!

* وقفـة قصـيرة ثانيـة: بما أننـا الآن نعيش لحظات في التفسير الإشاري، فنريد أن نفهم النصوص فهماً «إشاريًا». وعليه يكون المعنى «الإشاري» لعبارة «مطابقاً لما جاءت به الشريعة» هو: مطابق «أي يشكل طبقة مقابلة» لما جاءت به الشريعة؛ وواضح أن هذا يعني أنهما منفصلان عن بعضهما. أما قوله: «لا يخرج عنها ذرة» فتحتمل معنيين «إشاريين»:

المعنى الأول: لا يخرج عنها، أي عن الشريعة، ذرة، أي واحدة، لتلتحق بالعلم اللدنٍّ. فلا يوجد في العلم اللدني ذرة واحدة خرجت إليه من الشريعة، فهما مختلفان جملة وتفصيلاً.

المعنى الثاني: «بالكشف» نشاهد أن كلمة «ذرة» تعني في لغة «الحقيقة» المسافة بين الجنة وجهنم. فيكـون المعنى: لا يخرج عنهـا ذرة، أي لا يخرج عنهـا المسـافـة بين الجنة وجهنم. فالمسافة بين الجنة وجهنم موجودة بين الشريعة وبين حقيقتهم.

نعود لمتابعة النص، بعد القفز عن تفسيرات إشارية:

. . . ولكن هؤلاء المنكرون، لما تركوا الزهد في الدنيا، وآثروها على الآخرة، وعلى ما يقرب إلى الله تعالى . . .

* وقفة قصيرة ثالثة: أين قوله هنا: «وآثروها على الآخرة» من أقوالهم: «إلى متى الـدنيـا؟ إلى متى الآخرة؟»، و«اخلع نعليك»، و«اخرج من الكونين». . إلخ؟! والتي سنراها في نصوص مقبلة. . . نتابع.

. . . وتعـوّدوا أخـذ العلم من الكتب، ومن أفـواه الـرجـال، حجبهم ذلك عن أن يعلموا أن لله عباداً تولى تعليمهم في سرائرهم، إذ هو المعلم الحقيقي للوجود كله، وعلمه هو العلم الصحيح الـذي لا يشـك مؤمن ولا غير مؤمن في كماله. . . فعُلم أن من كان معلمـه الله تعـالى، كان أحق بالاتبـاع ممن كان معلمـه فكره، ولكن أين الإنصاف؟. .

فصـان الله نفـوسهم بتسميتهم الحقـائق إشارات، لكون المنكرين لا يردون الإشارات.
وأين تكـذيب هؤلاء المنكـرين لأهـل الله في دعواهم العلم، من قول علي بن أبي طالب رضي الله عنه: «لو تكلمت لكم في تفسير سورة الفاتحة لحمّلت لكم منها سبعين وقراً»، فهل ذلك إلا من العلم اللدني الذي آتاه الله تعالى له . . .

* وقفة قصيرة رابعة: الكذب على علي بن أبي طالب أهون من الكذب على الله أو على رسوله. ونتابع.

. . وقد كان الشيخ أبو يزيد البسطامي يقول لعلماء زمانه: أخذتم علمكم ميتاً عن ميت، وأخذنا علومنا عن الحي الذي لا يموت. وكان الشيخ أبو مدين إذا سمع أحداً من أصحـابه يقول في حكاية: «أخبرني بها فلان عن فلان» يقول: لا تطعمونا القديد. يريد بذلـك رفـع همة أصحـابه، يعني: لا تحدثوا إلا بفتوحكم الجديد الذي فتح الله تعالى به على قلوبكم في كلام الله تعـالى أو كلام رسـولـه ﷺ، فإن الواهب للعلم الإلٰهي حي لا يموت، وليس له محل في كل عصر إلا قلوب الرجال.

* وقفـة قصـيرة أيضـاً: يقـول: «الـذي فتح الله تعالى به . . في كلام الله تعالى أو كلام رسوله»!! فهل قول أبي يزيد، وقول أبي مدين يوافق كلام الله أو كلام رسوله من قريب أو من بعيـد؟! أو من أبعـد من بعيـد؟! إلا عن طريق التـأويـل، فسيفـه صقيل، ومفعوله سحري، بل يعجز السحر والسحرة والفجرة عن تحقيق ما يحققه التأويل! . . نتابع.

. . وسئل الأستاذ علي بن وفا رضي الله عنه من بعض العارفين، على لسان بعض المعترضين: لِمَ دوّن هؤلاء العارفون معارفهم وأسرارهم التي تضر بالقاصرين من الفقهاء وغيرهم؟ أما كان عندهم من الحكمة وحسن الظن والنظر والرحمة بالخلق ما يمنعهم عن تدوينهـا؟ فإن كان عنـدهم ذلـك فمخـالفتهم له نقص! وإن لم يكن عنـدهم حكمة ولا حسن ظن فكفـاهم ذلـك نقصـاً؟! فأجاب بقوله: يقال لهذا السائل: أليس الذي أطلع شمس الظهيرة، ونشر ناصع شعاعها مع إضراره بأبصار الخفافيش ونحوها من أصحاب الأمـزجـة الضعيفـة، عليم حكيم؟ فلا يسعه إلا أن يقول: نعم هو تعالى عليم حكيم، فإن قال: صحيح ذلك، ولكن عارض ذلك مصالح أُخر تربو على هذه المفاسد، قلت: وكـذلـك الجـواب عن مسألتك، فكما أن الحق تعالى لم يترك إظهار أنوار شمس الظهيرة

مراعـاة لأبصـار من ضعف بصره! فكذلك العارفون لا ينبغي لهم أن يراعوا أفهام هؤلاء المحجـوبـين عن طريقهم، بل الـزاهدين فيها، بل المنكرين عليها. . وحسبك جواباً أن من دوَّن المعـارف والأسـرار، لم يدونهـا للجمهـور، بل لو رأى من يطالع فيها ممن ليس هو بأهلها لنهاه عنها.

● ملاحظة:

هذا سبب من أسباب تدوين هذياناتهم التي يسمونها «علماً» ظلماً للعلم، ويسمونها «حقيقة» ظلماً للحقيقة! ونتابع:

. . وكـان بعض العـارفـين يقول: نحن قوم يحرم النظر في كتبنا على من لم يكن من أهـل طريقتنـا، وكـذلـك لا يجوز أن ينقـل كلامنا إلا لمن يؤمن به، فمن نقله إلى من لا يؤمن به، دخـل هو والمنقـول إليـه جهنم الإنكار، وقد صرح بذلك أهل الله تعالى على رؤوس الأشهاد، وقالوا: من باح بالسر استحق القتل، ومع ذلك فلم يسمع أهل الغفلة والحجاب، بل تعدوا حدود القوم، وأظهروا كلامهم لغير أهله. . .

* وقفة قصيرة: هذا الكلام كله مغالطات، سيأتي تفصيلها إن شاء الله تعالى بين ثنايا النصوص. . نتابع.

. . فكما أوجب المجتهدون وحرّموا وكرهوا واستحبوا أُموراً لم تصرح بها الشريعة في دولـة الظـاهـر، فكـذلـك العـارفـون أوجبوا أُموراً وحرموا وكرهوا واستحبوا أُموراً في دولة الأعمال الباطنة، فالاجتهاد واقع في الدولتين. . .

* وقفـة يجب أن تكـون ـ هنـا ـ طويلة جدًّا، ولكن لا منـاص من تقصـيرهـا: فالمجتهـدون استنبطـوا أحكـامـاً من النصـوص، وهي موافقـة لها ولكليـات الشـريعـة الإسـلاميـة، بينـما هؤلاء «العارفون!» أوجدوا ـ عن طريق الكشف ـ عقائد لا تمت إلى الإسـلام بصلة، بل جاء الإسـلام وكـل الأنبياء لمكافحة هذه العقائد. أُكرر القول: إن هؤلاء «العارفين» جاؤوا بعقائد غريبة، وبنوا عليها أحكاماً غريبة!! ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم. نتابع.

. . فإن قيـل: فلمَ رمَّـز القـوم كلامهم في طريقهم بالاصطـلاح الـذي لا يعـرفـه

غيرهم، إلا بتوقيف منهم كما مر؟ ولم لم يظهروا معارفهم للناس ـ إن كانت حقًّا كما يزعمون ـ ويتكلموا بها على رؤوس الأشهاد كما يفعل علماء الشريعة في دروسهم فإن في إخفاء العارفين معارفهم عن كل الناس رائحة ريبة، وفتحاً لباب رمي الناس لهم بسوء العقيدة وخبث الطوية؟ فالجواب: إنما رمَّزوا ذلك رفقاً بالخلق ورحمة بهم، وشفقة عليهم ـ (كذب ومغالطة، بل رمَّزوا خوفاً من سيف الحلاج) ـ وقد كان الحسن البصري! وكذلك الجنيد والشبلي وغيرهم، لا يقررون علم التوحيد إلا في قعور بيوتهم، بعد غلق أبوابهم، وجعل مفاتيحها تحت وركهم! ويقولون: أتحبون أن تُرمى الصحابة والتابعون الذين أخذنا عنهم هذا العلم بالزندقة بهتاناً وظلماً.

* وقفة: هذا الكلام ـ أي اتهام الحسن البصري والصحابة والتابعين بهذا الاتهام ـ هو البهتان والظلم، فقد كان الصحابة والتابعون والحسن البصري بريئين من هذه الزندقة. وفي كلامهم واتهامهم هذا مغالطة جريئة جدًّا جدًّا جدًّا. ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم. نتابع.

.. وما ذلك إلا لدقة مداركهم «أي الصوفية» حين صفت قلوبهم وخلصت من شوائب الكدورات الحاصلة بارتكاب الشهوات والآثام! ولا يجوز لأحد أن يعتقد في هذه السادة! أنهم ما يخفون كلامهم إلا لكونهم فيه على ضلال، حاشاهم من ذلك!! فهذا سبب رمز من جاء بعدهم للعبارات التي دونت، وكان من حقها أن لا تذكر إلا مشافهة، ولا توضع في الطروس، ولكن لما كان العلم يموت بموت أهله إن لم يدوّن، دوّنوا علمهم ورمزوه مصلحة للناس، وغيرة على أسرار الله أن تذاع بين المحجوبين. وأنشدوا في ذلك:

ألا إنَّ الرموزَ دليلُ صدقٍ ... على المعنى المُغَيَّب في الفؤادِ
وكلُّ العارفينَ لها رموزٌ ... وألغازٌ تدِقُّ على الأعادي
ولولا اللغزُ كان القولُ كفراً ... وأدَّى العالمينَ إلى الفسادِ

* والآن.. ليست وقفة، بل مشية! إذا قال الشاعر: «الرموز دليل صدق» فقد كذب الشاعر وكذب شعره، لأن الرموز عكاكيز الدجاجلة، والشعراء يتبعهم الغاوون، أما اصطلاحهم فقد غدا معروفاً لدى الباحث، ولننتبه بشكل خاص إلى قوله: «ولولا

اللغز كان القول كفراً». نتابع.

. . فقد بان لك أنه ليس للإنسان مقابلة الوحوش والسباع الكواسر والظهور لهم، إلا إن علم قدرته على دفع أذيتهم له بتهيؤ أسباب القهر لهم بالقوة والمكنة والأنصار. فإن قيل: فلمَ لم يترك هذا العارف إظهار معارفه وأسراره بالكلية ويدخل فيما فيه الجمهور حتى يتمكن ويقوى فيكون ذلك أسلم له؟ . .

* نعود إلى الوقفة، هنا أراد بقوله: «بتهيؤ أسباب القهر لهم بالقوة . .» أن تكون «عبارة إشارية» فكانت أقرب إلى الإفصاح! لقد أشارت هذه العبارة إلى الكيد الذي يكيدونه للإسلام، وأفصحت عن الخطة التي وضعوها لذلك! أو بالأصح، الخطة الذي وضعها الشيطان ليكيد للإسلام باستخدامهم واستغلالهم! وفي قوله: «ويدخل فيما فيه الجمهور حتى يتمكن . .» إفصاح كامل عن أن ما هم فيه يختلف كل الاختلاف عما فيه الجمهور، أي عن الإسلام. نتابع.

. . . ونقل الإمام الغزالي في «الإحياء» وغيره عن الإمام زين العابدين بن علي بن الحسين رضي الله عنه أنه كان يقول:

يا رُبَّ جوهرِ علمٍ لو أبوحُ به	لقيل لي أنت ممَّن يعبدُ الوثنا
ولاستحلَّ رجالٌ مسلمونَ دمي	يرَوْن أقبحَ ما يأتونَهُ حسناً

قال الغزالي: والمراد بهذا العلم الذي يستحلون به دمه: هو العلم اللدني، الذي هو علم الأسرار، لا من يتولى من الخلفاء ومن يعزل، كما قاله بعضهم، لأن ذلك لا يستحل علماء الشريعة دم صاحبه، ولا يقولون له: أنت ممن يعبد الوثن[1] . . . اهـ.

● **تعليق**: هذا الشعر مفترى على زين العابدين، من قِبَل العارفين الصادقين الصديقين الأولياء . .

ويقول محمد العربي السائح التجاني[2]:

---

(١) اليواقيت والجواهر، ص١٤ ـ ١٩، وقد حذفت منه كثيراً مما لا فائدة منه للبحث.

(٢) محمد العربي بن السائح الشرقي العمري نسبةً، التجاني مشرباً، مغربي توفي سنة ١٣٠٩هـ، وهوتلميذ أحمد التجاني وأحد خلفائه.

. . قال الشيخ علي الروذباري : (علمنا هذا إشارة فإذا صار عبارة خفي) . ومن هنا احتاج أهل الله تعالى إلى وضع الإشارات المصطلح عليها فيما بينهم ، فيتكلمون بها عند حضور الغير وفي تآليفهم ومصنفاتهم لا غير ، ولم يضعوها لأنفسهم لأنهم يعرفون الحق الصريح في ذلك ، والحامل لهم على وضعها الشفقة على الدخيل بينهم ، خشية أن يسمع منهم أو يرى في تأليفهم شيئاً لا يصل إليه فهمه ، فينكره ، فيعاقب بحرمان علمه ، فلا يعلمه بعد ، والعياذ بالله تعالى . . . وكان بعض العارفين يقول : «نحن قوم يحرم النظر في كتبنا على من لم يكن من أهل طريقتنا ، وكذلك لا يجوز أن يُنقل كلامنا إلا لمن يؤمن به ، فمن نقله لمن لا يؤمن به دخل هو والمنقول إليه إلى جهنم ، وقد صرح بذلك أهل الله تعالى على رؤوس الأشهاد ، وقالوا : من باح بالسر استحق القتل» . فإن قيل : هلّا طوى العلماء من أهل الطريق بساط التأليف والتصنيف في مثل هذه العلوم وأمسكوا عن الخوض في رقائق الإشارات ودقائق السر المكتوم؟ لأن الكلام في ذلك ربما ضر بالقاصرين من الفقهاء ، فضلاً عمن عداهم ، وربما خفيت وجوه المخرج فيه عن بعض النبلاء فضلاً عمن سواهم! أما كان عندهم من الحكمة والنظر للخلق بعين الشفقة والرحمة ما يمنعهم من الخوض في ذلك والتقحم لمضايق هاتيك المسالك؟! قلنا : قد ذُكر في «اليواقيت والجواهر» عن العارف بالله تعالى سيدي علي بن وفا رضي الله عنه ، أنه قيل له مثل هذا فأجاب بقوله رضي الله عنه : يقال لهذا القائل : أليس الذي أطلع شمس الظهيرة ونشر ناصع شعاعها مع إضراره بأبصار الخفافيش ونحوها من أصحاب الأمزجة الضعيفة عليماً حكيماً؟ فإن قال : صحيح ذلك ، ولكن عارض ذلك مصالح تربو على هذه المفاسد . قلنا له : وكذلك الجواب عن مسألتك! فكما أن الحق سبحانه وتعالى لم يترك إظهار أنوار شمس الظهر مراعاة لأبصار من ضعف بصره ، فكذلك العارفون ، لا ينبغي لهم أن يراعوا أفهام هؤلاء المحجوبين عن طريقهم ، بل الزاهدين فيها ، بل المنكرين عليها . . وكان تدوين معارفهم وأسرارهم من أحق الحقوق عليهم ، لكون غيرهم لا يقوم مقامهم في تدوين أدوية أمراض القلوب وآداب حضرات الحق تعالى في جميع الأمور المشروعة ، فإن لكل مقام حضوراً وآداباً تخصه . . . »[1] .

(١) بغية المستفيد، ص١٨ و ١٩ و ٢٠ .

ـ ولتلخيص ما مضى وتثبيتـه، يجب أن نتـذكر دائماً وألا ننسى أبداً أن غاية الصوفية واحدة وهدفها الذي يسعون إليه واحد، رغـم اختلاف عباراتهم وأسماء طرقهم، وكل ما مضى براهين، ونزيده قولاً آخر لعبد الحليم محمود، يقول:

إن لكـل صوفي طابعـاً معينـاً، ولكـلامـه مذاقـاً خاصًّـا. والصوفية وإن كانوا جميعاً يسـير ون إلى هدف واحـد، وغـايـة لا مذاهب فيهـا، هي التـوحيد ـ فإنهم يختلفون في الشكـل، ويتفـاوتـون في الطـريق، ومن هنـا كانت الكلمـة المـأثـورة: «التوحيد واحد ـ والتوحيد هو الغاية ـ والطريق إلى الله كنفوس بني آدم.. إنها تتعدد وتتفاوت»[1].

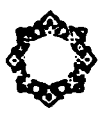
ـ وهكذا عرفنا أن الغـايـة هي «وحـدة الـوجـود». وأنهـا غاية الصوفية وهدف جميع طرقها، ولا هدف ولا غاية لهم غيرها، والوصول إلى ذوقها هو ما يسمونه «الإحسان».

وإن التقية واجبة، وهي التظاهر بالإسلام وشرعه، وإخفاء العقيدة الصوفية إلا لأهلها.

كما عرفنا متى يصرحون بعقيدتهم ولمن..

لكننـا، وكـما قلنـا سابقـاً، أمام مراوغات زئبقية لا تعرف معنى للخجل، فأحدهم يكذب عليك أمامك دون أي شعور بالحياء، كما حدث ويحدث دائماً.

ووقوفاً أمام مراوغاتهم ومكرهم نورد أيضاً أقوالاً لعدد كبير من أئمتهم، تثبت كلها أنهم كلهم يؤمنون بوحدة الوجود. لكن بعد أخذ فكرة عن معاجمهم، وما يسمونه شروحاً لمصطلحاتهم.



(١) أبو بكر الشبلي حياته وآراؤه، ص٥.

□ المعاجم الصوفية :

ألف بعض علماء التصوف معاجم للمصطلحات الصوفية، واكتفى بعضهم بإدراج بعض المصطلحات، أو جملة منها، في ثنايا تواليفهم مع ما يسمونه «شروحها».

وفي الواقع، ليست معاجمهم معاجم شروح وتفاسير، فالقارىء العادي لا يرى فيها إلا تفسير الألغاز بالألغاز، ولا يخرج منها بأي طائل، وذلك لأنها في حقيقة الأمر، معاجم عبارات، فهي مصنوعة من أجل هدف واحد، هو أن تقدم للسالك عبارات إشارية مرموزة جاهزة ليستعملها في كتاباته وفي حواره مع أهل الشريعة، وكذلك ما يقدمونه في ثنايا تواليفهم مما يسمونه «شروحاً» لمصطلحاتهم.

وفيما يلي مجموعة من مصطلحاتهم، مع شيء من العبارات التي تشير إلى معانيها الحقيقية بأسلوب رمزي، مأخوذة من معاجمهم ومن كتبهم، وسوف لن أذكر اسم المرجع الذي آخذ منه العبارة، لئلا أزيد في حجم الكتاب من جهة، ولأن ذلك لا ضرورة له من جهة ثانية، إلا في حالات خاصة.

وأترك للقارىء الكريم أن يتسلى باستخراج معانيها الحقيقية ليتمرس باللغة الصوفية، وقد أُوضِّح بعض المعاني عندما أظن ذلك ضروريًا، وأضع التوضيح بين قوسين، إن كان في درج كلامهم، أو أجعله بعد كلامهم بشكل تعليق أو ملاحظة. .

*** الجمع والفرق :**

الجمع شهود الأغيار بالله، والفرق شهود الأغيار لله. الجمع إشارة إلى حق بلا خلق، والفرق إشارة إلى خلق بلا حق، وقيل: مشاهدة العبودية. الجمع شهود الحق بلا خلق، والفرق (الأول) هو الاحتجاب بالخلق عن الحق، وبقاء الرسوم الخلقية بحالها. الجمع إزالة الشعث والتفرقة بين القدم والحدث، (أي بين الخالق والمخلوق) لأنه لما

انجذبت بصيرة الروح إلى مشاهدة جمال الذات، استتر نور العقل الفارق بين الأشياء في غلبة نور الذات القديمة، وارتفع التمييز بين القدم والحدث لزهوق الباطل عند مجيء الحق. . . والجمع الصرف يورث الزندقة والإلحاد، ويحكم برفع الأحكام الظاهرية (أي: الشريعة). . ولصاحب الجمع أن يضيف إلى نفسه كل أثر ظهر في الوجود (أي يقول: أنا الخالق، أنا البارىء، أنا العرش) وكل فعل وصفة وأثر، لانحصار الكل عنده في ذات واحدة. . . والفرق: ما نسب إليك. . ومعناه أن ما يكون كسباً للعبد من إقامة العبودية وما يليق بأحوال البشرية فهو فرق. فإثبات الخلق من باب التفرقة، وإثبات الحق من نعت الجمع. وشهود الحكمة والنظر إلى الأسباب فرق.

ومن العبارات المرموزة التي يقدمها الطوسي في «اللمع»:

. . . الجمع والتفرقة اسمان، فالجمع جمع المتفرقات، والتفرقة تفرقة المجموعات، فإذا جمعت قلت: الله ولا سواه؛ وإذا فرقت قلت: الدنيا والآخرة والكون؛ وهو قوله: ﴿شهد الله أنَّه لا إلٰه إلا هو﴾ فقد جمع، ثم فرق فقال: ﴿والملائكةُ وأُولو العلمِ قائماً بالقسطِ﴾. كذلك قوله: ﴿قولوا آمنَّا بالله﴾، وقد جمع؛ ثم فرق فقال: ﴿وما أُنزِلَ إلينا وما أُنزل إلى إبراهيمَ﴾.

● **الملاحظة:**

من الواضح جيداً أن في الكلام كثيراً من الوضوح، بل ومن التصريح، ولنلاحظ كيف يفسرون الآيات الكريمة تفسيراً ما أنزل الله به من سلطان.

ومنها:

قال قوم: الجمع ما جمع البشرية في شهود الربوبية، والتفرقة ما فرقها عن تقسيم الرسوم. وقد ذهب الجنيد إلى أن قربه بالوجد جمع، وغيبته في البشرية تفرقة (أي قرب الله في الوجد، وغيبة الله في البشرية). وقال أبو بكر الواسطي: إذا نظرت إلى نفسك فرقت، وإذا نظرت إلى ربك جمعت. . يضيف الطوسي قوله: وهذه أحرف مختصرة في معنى الجمع والتفرقة ولمن يتدبر في فهمه إن شاء الله.

ومن شروح ابن عجيبة في «الفتوحات»: . . . قال شيخ شيوخنا علي العمراني رضي

الله عنـه في كتـابـه : اعلم أن الكلف (أي القيـام بالتكـاليف) صفة من أوصاف الفرق، وعدم الكلف صفة من أوصاف الجمع. والفرق عبودية، وهو حق؛ والجمع ربوبية، وهو حق أيضـاً، صار الحق هو القـائـل وهـو المستمـع لما قال. لأجـل هذا المعنى تجد هؤلاء المتوجهين إلى الله تعالى، من غلب عليه شهود الجمع، تجده في غاية البسط والراحة من الكلف؛ ومن غلب عليه شهود الفرق تجده في غاية القبض والتعب والكلف. . اهـ.

● **المعنى الصريح:**

الجمـع: هو جمع الخـالق والمخلوق في وحدة، وشهود أن الله سبحانه هو كل الأشياء والموجودات، (ما الكون إلا القيوم الحي)، أو أنها جزء منه.

والفرق: هو التفريق بين الخالق والمخلوق، والظن أن المخلوق غير الخالق، والمؤمن بهذا سماه الغزالي في إحيائه «مشرك تحقيقاً» لأنه يجعل مع الله شريكاً له في الوجود.

* **الحق بالحق للحق:**

يقول الطوسي: وأما معنى قولهم: «الحق بالحق للحق» فالحق هو الله عز وجل. قال أبـو سعيـد الخـراز: عبـد موقـوف مع الحق بالحق للحق، يعني: موقوف مع الله بالله لله، وكذلك: «منه له به» يعني: من الله بالله لله[1]. . .

أقول: يتوضح معنى العبارة إذا عرفنا أنها تشير إلى وحدة الوجود وإلى تحقق المعْنيِّ بها بالألوهية.

* **التوحيد:**

محو آثـار البشـريـة وتجـريـد الألوهية (والمعنى الصريح هو: توحيد كل الموجودات في وجـود واحـد، اي لا موجـود إلا الله، وقـد خانتهم العبـارة في هذا القـول الذي يجب أن يكون «محو آثار الخلقية وتجريد الألوهية».

* **الإحسان:**

أن تعبد الله كأنك تراه. . وذلك منهم مع كمال توكلهم على ربهم وصفاء توحيدهم

(١) اللمع، ص٤١١.

وقطعهم النظر إلى الأغيار ورؤيتهم النعم من المنعم (معجم مصطلحات الصوفية).

وهـو التحقق بالعبـودية على مشاهدة حضرة الربوبية بنور البصيرة، أي رؤية الحق موصوفاً بصفاته بعين صفته. . . لأنه تعالى هو الرائي وصفه، وهو دون مقام المشاهدة في مقام الروح (اصطلاحات الصوفية للكاشاني).

* **الفناء**:

الطـوسي في «اللمـع» عن جعفـر الخلدي: سمعت الجنيد يقول: وسئل عن الفناء فقال: إذا فني الفناءَ عن أوصافه وأدرك البقاء بتمامه.

قال: وسمعت الجنيـد يقـول وقـد سئـل عن الفنـاء، فقـال: استعجـام كلك عن أوصافه، واستعمال الكل منك بكليتك.

وقال ابن عطاء: من لم يفن عن شاهد نفسه بشاهد الحق، ولم يفن عن الحق بالحق، ولم يغب في حضوره عن حضوره، لم يقع بشاهد الحق.

وقال الشبلي: من فني عن الحق بالحق لقيام الحق بالحق، فني عن الربوبية فضلاً عن العبودية.

الخلاصة: الفناء هو الجذبة، أو ما يحصل أثناء الجذبة من غيبوبة عن الخلق وهذا هو الفنـاء عن الخلق، أو ما يحصـل من غيبـوبـة يتوهمونها أنها في الحق، ويسمونها: الفناء في الله. وهي شعور المجذوب بالألوهية.

● **ملاحظة**:

بدأْت بالمصطلحات السابقة لأهميتها، والباقية ستكون حسب الترتيب الأبجدي.

* **الاتحاد**: هو شهود وجود الحق الواحد المطلق، الذي الكل به موجود بالحق، فيتحد به الكل من حيث كون كل شيء موجوداً به معدوماً بنفسه، لا من حيث إن له وجوداً خاصًا اتحد به، فإنه محال. (أي إنهم يعنون بالاتحاد «وحدة الوجود». ولننتبه إلى الجملة «لا من حيث إن له وجوداً خاصًا اتحد به، فإنه محال»).

* **الأحد**: هو اسم الذات، باعتبار انتفاء تعدد الصفات والأسماء والنسب والتعينات

عنها.

* **انصداع الجمع**: هو الفرق بعد الجمع، بظهور الكثرة في الوحدة، واعتبارها فيها. (ويسمى أيضاً: الفرق الثاني، وصحو الجمع، . .).

* **البارقة**: هي لائحة ترد من الجناب الأقدس (هكذا يتوهمون) وتنطفىء سريعاً، وهو من أوائل الكشف ومبادئه.

* **الباطل**: ما سوى الحق، وهو العدم، إذ لا وجود في الحقيقة إلا للحق لقوله عليه السلام: أصدق بيت قاله العرب قول لبيد:

ألا كل شيء ما خلا الله باطل وكل نعيم لا محالة زائل

* **البرزخ**: هو الحائل بين الشكين، ويعبر به عندنا «عالم المثال» أعني الحاجز بين الأجساد الكثيفة وعالم الأرواح المجرد، أعني الدنيا والآخرة، ومنه الكشف الصوري. (المعنى الصريح: البرزخ هو عالم الجذبة، ويسمونها «البرزخ الأول» والبرزخ الثاني هو البرزخ بالمعنى الشرعي المعروف).

* **البواده**: جمع بادهة، وهي ما يفجأ القلب من الغيب، فيوجب بسطاً أو قبضاً.

* **الجلاء**: هو ظهور الذات المقدسة لذاتها في ذاتها. والاستجلاء: ظهورها لذاته في تعيناته.

- لننتبه جيداً إلى الجملة الأخيرة: «ظهورها لذاته في تعيناته».

* **الهواجم**: ما يرد على العبد بقوة الوقت من غير تعمق من العبد، وهي البواده المذكورة.

* **الواحدية**: اعتبار الذات (أي الإلهية) من حيث انتشاء الأسماء منها، وأحديتها بها، مع تكثرها بالصفات.

* **الوارد**: كل ما يرد على القلب من المعاني من فحص مواهبه، من غير تعمل من العبد.

* **واسطة الفيض وواسطة المد**: وهو الإنسان الكامل الذي هو الرابطة بين الحق والخلق،

بمناسبة للطرفين، كما قال تعالى: لولاك لما خلقت الأفلاك.

● **ملاحظة:**

هذا كذب على الله سبحانه، إذ لا أصل لهذا القول إلا في اختراعاتهم.

* **الوجود**: وجدان الحق ذاته بذاته، ولهذا تسمى حضرة الجمع حضرة الوجود، وجهان لعناية، هما: الجذبة والسكون، اللذان هما جهتا الهداية، وجهان للإطلاق والتقييد، وهما جهتا اعتبار الذات بحسب سقوط جميع الاعتبارات، وبحسب إثباتها..

● **الملاحظة:**

ليس الفرق كبيراً بين قراءة هذا الهراء وبين علك اللباد. والمعنى بدون ثرثرة هو: الوجود هو الحالة التي يجد بها المجذوب أنه هو الله، وأن كل شيء هو الله (جل الله)، أو أنه يجد أن الله موجود به، أو أنه هو موجود في الله (تعالى الله)، ولذلك يطلقون على الله سبحانه اسم «الوجود»، وللهراء تتمة حذفناها رحمة بأعصاب القارىء.

* **الحال**: ما يرد على القلب بمحض الموهبة، من غير تعمل أو اجتناب كحزن أو خوف أو بسط أو قبض أو شوق أو ذوق (يجب الانتباه إلى معنى كلمة ذوق). ويزول بظهور صفات النفس، سواء يعقبه الميل أو لا، فإذا قام وصار ملكاً سمي مقاماً.

* **الحجاب**: انطباع الصور الكونية في القلب، المانعة لقبول تجلي الحقائق.

* **حقيقة الحقائق**: هي الذات الأحدية الجامعة، بجميع الحقائق، ونسمى حضرة الجمع، وحضرة الوجود.

* **الحقيقة المحمدية**: هي الذات (أي الإلٰهية) مع التعين الأول، فله (أي لمحمد) الأسماء الحسنى كلها، وهو الاسم الأعظم.

* **الطالع**: أول ما يبدو من تجليات الأسماء الإلٰهية على باطن العبد، فيحسن أخلاقه وصفاته بتنوير باطنه.

- لعل القارىء يذكر ما هو معنى «يحسن أخلاقه وصفاته» وإن كان قد نسي فليرجع إلى صفحات سابقة.

* **الطمس**: هو ذهاب رسوم السيار (أي السالك) بالكلية في صفاء نور الأنوار.

* **يوم الجمعة**: وقت اللقاء والوصول إلى عين الجمع (أي: وقت التحقق بالألوهية).

* **الكل**: اسم للحق تعالى، باعتبار الحضرة الواحدية الإلٰهية الجامعة للأسماء كلها، ولهذا يقال: أحد بالذات كلٌّ بالأسماء (وواضح أن «الكل» تعني كل شيء في الوجود).

* **اللائحة**: هي ما يلوح من نور التجلي، ثم يروح، وتسمى أيضاً بارقة وحضرة.

* **اللطيفة**: كل إشارة رقيقة المعنى، يلوح منها في الفهم معنى لا تسعه العبارة.

* **اللوامع**: أنوار ساطعة تلمع لأهل البدايات من أرباب النفوس الصافية الطاهرة، فتنعكس من الخيال إلى الحس المشترك، فتصير مشاهدة بالحواس الظاهرة، فتتراءى لهم كأنوار الشهب والقمر والشمس فتضيء ما حولهم. وهي إما من غلبة أنوار القهر والوعيد على النفس، فتضرب إلى الحمرة. وإما من غلبة أنوار اللطف والوعد، فتضرب إلى الخضرة والفقوع.

* **المحو**: رفع أوصاف العادة، بحيث يغيب العبد عندها عن عقله (أي الجذبة) ويحصل منه أفعال وأقوال لا مدخل لعقله فيها كالسكر من الخمر.

* **محو الجمع والمحو الحقيقي**: هو فناء الكثرة في الوحدة (أي: استشعار وحدة الوجود).

* **المفتاح الأول**: هو اندراج الأشياء كلها على ما هي عليه في غيب الغيوب، الذي هو أحدية الذات: كالشجرة في النواة. ويسمى بالحروف الأصيلة.

* **ممد الهمم**: هو الرسول ﷺ، لأنه الواسطة في إفاضة الحق والهداية على من يشاء من عباده.

* **المنقطع الوحداني**: هو حضرة الجمع التي ليس للغير فيها عين ولا أثر، فهي محل انقطاع الأغيار وعين الجمع الأحدية، ويسمى منقطع الإشارة، وحضرة الوجود، وحضرة الجمع.

* **نهاية السفر الأول**: هو رفع حجاب الكثرة عن وجه الوحدة.

* **نهاية السفر الثاني**: رفع حجاب الوحدة عن وجوه الكثرة العلية الباطنية.

* **نهاية السفر الثالث**: هو زوال التقيد بالضدين (أي الجمع والفرق) ظاهراً وباطناً، بالحصول في أحدية عين الجمع.

* **نهاية السفر الرابع**: شهود اضمحلال الخلق في الحق، واندراج الحق في الخلق، حتى يرى العين الواحدة (أي الله سبحانه) في الصور الكثيرة، والصور الكثيرة في عين الوحدة.

* **السالك**: هو السائر إلى الله (بل إلى الجذبة) المتوسط بين المريد والمنتهي، مادام في السير (أي يقوم بالذكر والخلوة).

* **الستائر**: صور الأكوان، لأنها مظاهر الأسماء الإلهية، تعرف من خلقها.

* **سر التجليات**: هو شهود كل شيء في كل شيء، وذلك بانكشاف التجلي الأول للقلب، فيشهد الأحدية الجمعية بين الأسماء كلها، لاتصاف كل اسم بجميع الأسماء، لاتحادها بالذات الأحدية، وامتيازها بالتعينات التي تظهر في الأكوان التي هي صورها، فيشهد كل شيء.

* **سر الربوبية**: هو ظهور الرب بصور الأعيان، فهي من حيث مظهريتها للرب القائم بذاته الظاهر بتعيناته قائمة به موجودة بوجوده..

* **العالم**: هو الظل الثاني، وليس إلا وجود الحق الظاهر بصور الممكنات كلها، فلظهوره بتعيناتها سمي باسم السوى والغير... وإلا فالوجود عين الحق.. فالعالم صورة الحق، والحق هوية العالم وروحه، وهذه التعينات في الوجود الواحد أحكام اسم الظاهر الذي هو مجلى لاسمه الباطن.

* **العارف**: من أشهده الله تعالى ذاته وصفاته وأسماءه وأفعاله. فالمعرفة حال تحدث عن شهود. (انظر معنى كلمة شهود فيما بعد).

* **عين الجمع**: اسم من أسماء التوحيد (أي توحيد الخالق والمخلوق في وحدة واحدة).

* **عين الحياة**: مظهر الحقيقة الذاتية من هذا الوجود. أو: هو باطن الاسم الحي الذي من تحقق به شرب من ماء عين الحياة الذي من شرب منه لا يموت أبداً لكونه حيًّا بحياة الحق، وكل حي في العالم يحيا بحياة هذا الإنسان لكونه حياتُه حياةُ الحق.

* **الـري**: مزج الأوصـاف بالأوصـاف والأخـلاق بالأخـلاق والأنـوار بالأنـوار والأسـماء بالأسـماء والنعـوت بالنعـوت والأفعـال بالأفعال (هذا التعريف لأبي الحسن الشاذلي من طبقات الشعراني).

* **العيد**: ما يعود على القلب من التجلي، أو وقت التجلي كيف كان.

* **الفـرق الأول**: هو الاحتجـاب بالخلق عن الحق، وبقـاء الرسوم الخلقية بحالها. (أي هي حالة المحجوبين ـ مثلنا ـ الذين يظنون أن الخلق هم غير الحق).

* **الفـرق الثـاني**: هو شهـود قيـام الخلق بالحق، ورؤيـة الـوحـدة في الكثرة، والكثرة في الوحدة، من غير احتجاب صاحبه بإحداهما عن الأخرى.

(أي هو كما يقول ابن عجيبة: إياك أن تقول أنـا الله، واحذر أن تكون سواه).

* **الفرقان**: فرق.

* **القرآن**: جمع.

* **فرق الجمع**: هو الفرق الثاني، ومثله: صحو الجمع، والفرق في الجمع.

* **الفهـوانيـة**: خطاب الحق بطريق المكافحة في عالم المثال. (كلمات كلها غموض ولكن عرفنا ما هو عالم المثال. إنه في الواقع عالم الجذبة عندما يكون المجذوب غائباً عن شعوره بالمخلوقيـة، وعنـدمـا يشعـر أنـه الله. ويكون معنى «الفهوانية» هو الكلام الذي يسمعه المجذوب من نفسه باعتباره هو الله، أثناء الجذبة).

* **صاحب الـزمـان، وصاحب الوقت، وصاحب الحال**: هو المتحقق بجمعية البرزخية الأولى، المطلع على حقـائق الأشيـاء، الخـارج عن حكم الـزمـان وتصـرفـات ماضيـة ومستقبلة، إلى «الآن» الـدائم، فهـو ظرف لأحواله وصفاته وأفعاله، فلذلك يتصرف في الـزمـان بالطي والنشـر، وفي المكـان بالقبض والبسط، لأنه المتحقق بالحقائق والطبائع، والحقـائقُ في القليـل والكثـير، والطـويل والقصير، والعظيم والصغير سواء، إذ الوحدة والكثرة والمقادير كلها عوارض، فكما يتصرف في الوهم فيها، كذلك في العقل. فصدّق، وافهم تصرفه فيها في الشهود والكشف الصريح، فإن المتحقق بالحق المتصرف بالحقائق، يفعل ما يفعل في طور وراء أطوار الحس والوهم والعقل، ويتسلط على العوارض بالتغيير

والتبديل .

* **الصعق**: هو الفناء في الحق بالتجلي الذاتي (أي التحقق بالألوهية وذوقها) .

* **صورة الحق**: هو محمد ﷺ، لتحققه بالحقيقة الأحدية والواحدية، ويعبر عنه بـ «صاد» كما لوح إليه ابن عباس رضي الله عنه، حين سئل عن معنى «ص» فقال: جبل بمكة كان عليه عرش الرحمن .

* **الرداء**: هو ظهور صفات الرب على العبد .

* **الرسم**: هو الخلق وصفاته .

* **الرعونة**: الوقوف مع حظوظ النفس ومقتضى طباعها . (أي هي الركون إلى الشعور بالمخلوقية، أو هي الركون إلى الفرق الأول) .

* **الشاهد**: ما يحضر القلب من آثار المشاهدة (أي مشاهدة الألوهية) وهو الذي يشهد له بصحة كونه محتظياً من مشاهدة شهوده، إما بعلم لدني لم يكن له فكان، أو وجد، أو حال، أو تجل وشهود .

* **شعب الصدع**: هو جمع الفرق بالترقي عن حضرة الواحدية إلى حضرة الأحدية، ويقابله صدع الشعب، هو النزول عن الأحدية إلى الواحدية .

* **الشهود**: رؤية الحق بالخلق (أي رؤية الله في المخلوقات، يعني رؤية أن كل شيء هو الله) .

* **شهود المفصل في المجمل**: رؤية الكثرة في الذات .

* **شهود المجمل في المفصل**: رؤية الأحدية في الكثرة .

* **شواهد الحق**: هي حقائق الأكوان، فإنها تشهد بالمكون .

* **الشؤون الذاتية**: اعتبار النفوس والأعيان والحقائق في الذات الأحدية، كالشجرة وأغصانها وأوراقها وأزهارها وأثمارها في النواة .

* **التحقيق**: شهود الحق في صور أسمائه التي هي الأكوان، فلا يحتجب بالحق عن الخلق ولا بالخلق عن الحق (أي هو مقام البقاء) .

* **الذوق**: هو أول درجات شهود الحق بالحق في أثناء البوارق المتوالية، عن أدنى لبثة من التجلي البرقي، فإذا زاد وبلغ أوسط مقام الشهود، سمي شرباً، فإذا بلغ النهاية سمي ريًّا.

* **ذو العقل والعين**: هو الذي يرى الحق في الخلق، والخلق في الحق، ولا يحتجب بأحدهما عن الآخر، بل يرى الوجود الواحد بعينه حقًّا من وجه، وخلقاً من وجه، فلا يحتجب بالكثرة عن شهود الوجه الواحد الأحد، ولا يزاحم في شهود كثرة المظاهر أحدية الذات، التي يتجلى فيها، ولا يحتجب بأحدية وجه الحق عن شهود الكثرة الخلقية..

* **ظاهر الممكنات**: هو تجلي الحق بصور أعيانها وصفاتها، وهو المسمى بالوجود الإضافي، وقد يطلق عليه «ظاهر الوجود».

* **ظل الإله**: هو الإنسان الكامل المتحقق بالحضرة الواحدية.

* **الغوث**: هو القطب حينما يلتجأ إليه.

* **غيب الهوية**. هو الذات (الإلهية) باعتبار اللاتعيّن.

* **العبارة والإشارة والرمز**: الإشارة أرق وأدق من العبارة، والرمز أدق من الإشارة، فالأمور ثلاثة: عبارات وإشارات ورموز، وكل واحدة أدق مما قبلها، فالعبارة توضح، والإشارة تلوح، والرمز يشرح، أي يفرح القلوب بإقبال المحبوب.

- أقول: هكذا يعرف ابن عجيبة العبارة والإشارة والرمز في كتابه «إيقاظ الهمم» ص ١١٨، لكن أقوال القوم واستعمالاتهم تجعل المعنى خلاف ذلك.

فالعبارة: هي الجملة التي يستعملها المتصوفة فيتفاهمون بها فيما بينهم، ولا يفهم الآخرون من حقيقة معانيها شيئاً، إلا معاني يتوهمونها لجهلهم. والعبارة تكون إشارة أو رمزاً أو لغزاً. وهذه الثلاثة متقاربة المعاني، ولا فائدة من تفصيلها هنا[1].

* **عالم المثال**: الجذبة ورؤاها.

---

(١) من يريد التفصيل يمكنه الرجوع إلى كتبهم، مثل: «إيقاظ الهمم» لابن عجيبة، ص١١٨ و١١٩، وغيره من كتبهم.

* **طريق المكافحة**: هو معاملة السالك (أي مشاهدته ومخاطبته وسمعه) لله بالله (أي لله الكائن في السالك، بالله الذي استشعره السالك. فهو، مثلاً: يسمع من الله بالله، أي يسمع من الله الباطن فيه بالله الذي هو نفسه حين استشعار الألوهية. أو يسمع من نفسه بنفسه، أي من نفسه التي هي الله الباطن فيه، بنفسه التي وصلت إلى الشعور بالألوهية وذوقها وذوق معانيها).

* **الحضور**: النفس حين تتحد بالواحد في حال الجذب (هذا التعريف هو لأفلوطين، من المعجم الفلسفي الصادر عن مجمع اللغة العربية)، وإذا أردنا أن نصيغ هذه الجملة بالعبارة الصوفية، نقول: الحضور هو الفناء في الذات.

- قبل الانتقال إلى الفصل الثاني، نورد هذا النص للتذكير والتوكيد.

- يقول الدكتور سيد حسين نصر (صوفي شديد التحمس للصوفية):

.. والأدب الصوفي الضخم الوارد في جميع اللغات الإسلامية.. هذا الأدب أشبه بمحيط يزخر بأمواج تندفع في جهات مختلفة، وتتخذ صوراً متباينة لكنها تعود دوماً إلى المنشإ الذي انطلقت منه.. لقد كان أقطاب التصوف على اتفاق في لباب ما قالوه عبر العصور وإن تباينت تعابيرهم[1]..

- يفهمنا هذا النص أن كل العبارات الصوفية المختلفة التي مرت والتي ستمر والتي لن تمر معنا، كلها تشير إلى معنى واحد، (وقد عرفناه، إنه وحدة الوجود).

يقول سيد حسين نصر مؤكداً:

.. وكل ما نستطيعه هو التشديد على أن التعاليم الصوفية تدور حول عقيدتين أساسيتين هما «وحدة الوجود»، و«الإنسان الكامل». إن جميع الأشياء تجليات للأسماء الحسنى والصفات الإلٰهية، فبالإنسان الكامل يتصور الله بذاته، ويتأمل جميع الأشياء التي جاء بها إلى حيز الوجود[2].

- لننتبه إلى تعريفه للإنسان الكامل، وقد عرفنا مما سبق أن الإنسان الكامل عندهم

---

(١) الصوفية بين الأمس واليوم، ص٢٢.

(٢) الصوفية بين الأمس واليوم، ص٤٢.

هو الـذي وصـل إلى مقام الفرق الثاني، وقد يضيفون المقدرة على كسب ثقة الآخرين، ويجعلون محمـداً ﷺ هو المثـل الأعلى للإنسـان الكـامل، ولذلك، كثيراً ما يطلقون هذه العبارة «الإنسانِ الكامل» وهم يعنونه بها.

في ختام هذا الفصل، أعود فأُذكر أن كتّاب الصوفية وشعراءها ومتكلميها يتفاوتون فيما بينهم بالمقدرة الفنية على سبك العبارة الصوفية بإشاراتها ورموزها وألغازها التي تطوي دائـماً في ثنـايـاهـا معنى وحـدة الوجود. ويأتي في مقدمتهم الجنيد وعبد القادر الجيلاني، وأحمد الرفاعي، وشهاب الدين السهروردي البغدادي... وآخرون.

وكان من الممكن أن يكون محيي الدين بن عربي منهم، لولا كثرة تواليفه مع كثرة ما يورد فيها من عبارات شعرية ونثرية، جعلت قسماً منها يخونه بوضوحه، لأن من كثر لغطه كثر غلطه.

وللزيادة في التبيين والمساعدة على التمرس باللغة الصوفية، أُورد مثلاً من عبارات الجنيد:

جاء في كتاب «دقائق التفسير الجامع لتفسير الإمام ابن تيمية» قول ابن تيمية رحمه الله:

«.. وبين لهم الجنيد الفرق الثاني، وهو أنهم مع مشاهدة المشيئة العامة، لا بد لهم من مشـاهـدة الفـرق بين ما يأمر الله به وما ينهى عنه، وهو الفرق بين ما يحبه وما يبغضه، وبين ذلك لهم الجنيد، كما قال في التوحيد: هو إفراد الحدوث عن القدم»[1].. إلخ.

أقول: رحم الله ابن تيمية، لم يكلف نفسه دراسة اللغة الصوفية وعباراتها، فانزلق مثل هذا الانزلاق.

وأظن أن عبـارة الجنيـد «مشـاهـدة المشيئـة العـامة» هي الآن واضحة المدلول. أما العبـارتـان «مـا يأمـر الله به، وما ينهى عنه» فقد تغيب الإشارة فيهما عن القارىء الذي لم يتمرس بعد باللغة الصوفية، فإلى ماذا تشيران؟

---

(١) دقائق التفسير الجامع لتفسير الإمام ابن تيمية، جمع وتحقيق د. محمد السيد الجليد: ١ / ٤٢٦.

مر معنـا في صفحـات سابقـة، وسيمـر فيـما يأتي من فصـول أنهم يقولون بالإسلام والإيمان والإحسان الذي جاء في الحديث الشريف، وأنهم يفسرون «الإحسان» أنه الفناء في الذات، أو استشعار الألوهية وتذوقها، وبالتالي معرفة وحدة الوجود استشعاراً وذوقاً وتحققاً.

ومـر معنـا ـ وسيمـر ـ أنهم يجعلون معنى كلمـة «الفاحشة، أو الفواحش» الواردة في القرآن الكريم هو البوح بالسر. ولنتذكر أيضاً تفسيرهم للآية الكريمة: ﴿ولو تَقَوَّلَ علينا بعضَ الأقاويلِ . .﴾، وغيرها.

من هنا تتوضح الإشارة في قول الجنيد «ما يأمر الله به» التي تشير الى الآية الكريمة: ﴿إنَّ الله يأمُر بالعدلِ والإحسانِ . .﴾ وكذلك الإشارة في قوله: «وما ينهى عنه» التي تشير إلى الآية الكريمة: ﴿وينهى عن الفحشاءِ والمنكرِ . .﴾.

أي إن عبارة الجنيد: «ما أمر الله به» تشير إلى «الإحسان» الذي يأمر الله به والذي هو عندهم معرفة وحدة الوجود؛ وعبارته: «وما ينهى عنه» تشير إلى «الفحشاء» التي ينهى الله سبحانه عنها، والتي هي عندهم البوح بالسر.

وبـذلـك تكـون العبـارة: «لا بد لهم من مشـاهدة الفرق بين ما يأمر الله به وما ينهى عنه» لها نفس معنى عبارة الشاذلي: «اجعل الفرق في لسانك موجوداً، والجمع في جنانك مشهـوداً» ونفس معنى عبـارة الجيـلاني «فبظاهره ينظر إلى ما في السوق، وبقلبه ينظر إلى ربـه عز وجـل، إلى جلاله تارة وإلى جماله تارة أُخرى»، ونفس معنى عبارة ابن عجيبة: «إياك أن تقول أناه واحذر أن تكون سواه» . .

وكذلك العبارة: «الفرق بين ما يحبه وما يبغضه» تشير إلى نفس المعنى.

أما عبارة: «إفراد الحدوث عن القدم» فتحمل نفس معنى «اجعل الفرق في لسانك موجوداً».

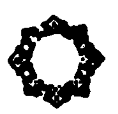
ـ ومثلٌ آخر من عبارات أحمد الفاروقي السرهندي[1]، يقول:

---

(١) أحمد بن عبد الأحد، يلقبونه بـ «مجدد الألف الثاني»، وهو مؤسس الطريقة المجددية، مات سنة ١٠٣٤هـ / ١٦٢٥م في الهند.

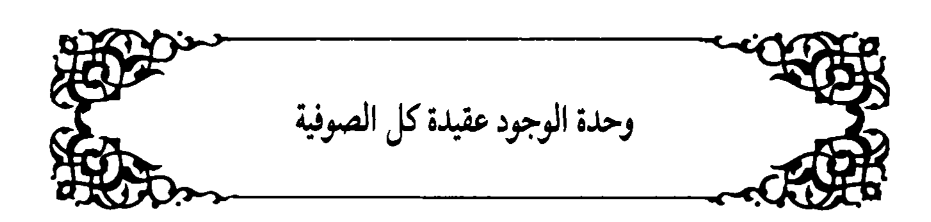
. . . مثـلاً، قالت طائفـة، من السُّكْـر، بالإحـاطـة الـذاتية، ورأوا أن الحق محيط بالعالم بالذات تعالى وتقدس، وهذا الحكم مخالف لآراء علماء أهل الحق، فإنهم قائلون بإحاطة علمية، وآراء العلماء أقرب إلى الصواب في الحقيقة[1]. . . اهـ.

إنـه يقـول: إن القـائلين إن الله سبحـانـه محيـط بالعـالم إحـاطـة علمية (أي بعلمه سبحـانـه)، هم أقـرب إلى الصواب من القائلين بأنه محيط بالعالم بذاته. ولعل القارىء انتبـه إلى أن القـول بالإحـاطـة الـذاتيـة يقتضي الاثنينيـة: محيط ومحاط به، بينما القول بالإحاطة العلمية لا يقتضي لا الوحدة ولا الاثنينية، أي إن القول بأن الله سبحانه محيط بالعـالم بعلمـه لا يتنـافى مع وحـدة الـوجـود، كما أنـه لا يتنـافى مع التفـريق بين الخـالق والمخلوق، ولـذلـك كان هذا القـول أقرب إلى الصواب. (ولننتبه إلى عبارة «أقرب إلى الصـواب» التي تعني أنـه ليس الصـواب بعينـه، وإنـما هو أقـرب إليـه من ذلك القول). وبعبارة أوضح: إن مقولة «الإحاطة الذاتية» يمكن أن تحمل معنى الاثنينية أكثر من مقولة «الإحاطة العلمية» ولذلك كانت مقولة «الإحاطة العلمية» أقرب إلى الصواب الذي هو وحدة الوجود.



(١) المنتخبات من المكتوبات، ص١٠.

الفصل الثالث:



وحدة الوجود عقيدة كل الصوفية

إن كنت لم تقطع بـ «لا» عنق السِّوى   في قصر «إلا الله» لستَ بواصل

عن أحمد الفاروقي السرهندي

قبل البدء بقراءة هذا الفصل يجب استيعاب الفصلين السابقين، وهضمهما وتمثلهما، ليصبح القارىء ممتلكاً ناصية العبارة الصوفية، يفهمها كما يفهمها أصحابها وواضعوها، لا كما يحلو له أن يتوهم، أو كما يوهمونه.

إن الصوفيين كلهم، من أولهم إلى آخرهم، (إلا المبتدئين)، يؤمنون بوحدة الوجود. وما مضى، ومئات النصوص التالية هي أدلة وبراهين.

يقول أبو بكر الكلاباذي في التعرف:

قال الجنيد: المعرفة وُجودُ جهلك عند قيام علمه. قيل له: زدنا. قال: هو العارف وهو المعروف.

يفسر أبو بكر الكلاباذي هذا الكلام فيقول:

«معناه: أنك جاهل به من حيث أنت، وإنما عرفته من حيث هو»[1].

ـ قوله: «العارف هو المعروف»، واضح تماماً، فالعارف (وهو مخلوق) هو نفس المعروف (الذي هو الله).

(١) التعرف لمذهب أهل التصوف، باب ٢٢، ص٦٦.

ـ وقول الكلاباذي: «أنك جاهل به من حيث أنت. . »، فضمير المخاطب «أنت» يرمز به إلى «الفرق»، فهو يريد أن يقول: «إنك جاهل به» (أي بالحق) من حيث تعتقد أنك «أنت» ولست «هو». وإنما عرفته من حيث أنك «هو».

وبيت لابن الفارض قد يساعد على توضيح المعنى، يقول:

فقد رُفعت تاء المخاطب بيننا وفي رفعها عن فرقة الفرق رِفعتي

ـ هذا هو نفس المعنى الذي أراده الجنيد بقوله: «المعرفة وجود جهلك. . ».

وقال أيضاً (أي الجنيد):

حقيقة التوكل: أن يكون لله تعالى كما لم يكن، فيكون الله له كما لم يزل[1].

ـ قوله: أن يكون (أي المتوكل الذي هو خلق)، كما لم يكن (أي كأنه غير موجود كما كان سابقاً)، وهذا ما يسمونه «الفناء عن الخلق»، فيكون الله له كما لم يزل (أي هو الموجود الوحيد ولا موجود غيره).

ويقول سهل بن عبد الله التُّستَري:

يا مسكين، كان ولم تكن، ويكون ولا تكون. فلما كنتَ اليوم صرت تقول: أنا وأنا! كن الآن كما لم تكن، فإنه اليوم كما كان[2]. . .

ـ قول سهل هذا، هو نفس قول الجنيد، لكنه أكثر وضوحاً منه. وهو في الواقع لا يريد من جملته كلها إلا قوله: «كان ولم تكن، وإنه اليوم كما كان». وليس في باقي كلامه معنى يزيد على هذا.

ـ في هذه الأقوال وضوح قد يغيب عن بعض القراء. لكن بالرجوع إلى ما سبق من نصوص، وبملاحقة ما يأتي، يتبين المعنى تماماً؟ إنه «لا موجود إلا الله»، و«الكون هو الله».

ويقول أبو نصر الطوسي[3] في «اللمع»:

(١) التعرف، باب ٤٤، ص١٠١.

(٢) إحياء علوم الدين: ٤ / ٢٢٢.

(٣) أبو نصر الطوسي مؤلف «اللمع»، الكتاب الأم في التصوف، مات سنة ٣٧٨هـ.

وبلغني عن أبي حمزة (الصوفي)[1] أنه دخل دار حارث المحاسبي، وكان لحارث دار حسنة وثياب نظاف، وفي داره شاة مُرغية، فصاحت الشاة مرغية، فشهق أبو حمزة شهقة، وقال: «لبيك يا سيدي»، قال: فغضب الحارث وعمد إلى سكين، فقال: إن لم تتب من هذا الذي أنت فيه أذبحك. قال: فقال له أبو حمزة: أنت إذا لم تحسن أن تسمع هذا الذي أنت فيه فلِمَ لا تأكل النخالة بالرماد..

يعلق الطوسي على هذا الكلام فيقول: يريد (أبو حمزة) بذلك أن إنكارك عليّ يشبه أحوال المريدين والمبتدئين[2]!

ـ أي إن الشاة هي الله (أو جزء منه) وإن صوتها صوته (!) تعالى الله علوًّا كبيراً.

وتكلم أبو حمزة في جامع طرسوس فقبلوه، فبينا هو ذات يوم يتكلم، إذ صاح غراب على سطح الجامع، فزعق أبو حمزة وقال: لبيك لبيك. فنسبوه إلى الزندقة، وقالوا: حُلولي زنديق. وبيع فرسه بالمناداة على باب الجامع: «هذا فرس الزنديق»[3].

وأبو الحسين النوري[4]: سمع أذان المؤذن فقال: طعنة وسم الموت، وسمع نباح الكلاب فقال: لبيك وسعديك[5].

ـ وهذا يعني أن الله هو كل ما نرى (وما لا نرى) بما في ذلك(!؟) تعالى الله.

وقد مر معنا قول الشبلي، وهو يجيب الجنيد: «أنا أرى وأنا أسمع، فهل في الدارين غيري».

ـ وهذا قول بعيد الإشارة بعض الشيء، على أن الشبلي يكون أكثر وضوحاً عندما يقول لبعض زواره عند خروجهم من عنده:

---

(١) قتل على الزندقة ولم أقف على تاريخ قتله، وهو من أقران الجنيد.

(٢) اللمع، ص٤٩٥، وقد أورد القصة أيضاً عبد الفتاح أبو غدة في ترجمته للحارث المحاسبي في «رسالة المسترشدين»، ص٢٣.

(٣) تلبيس إبليس، ص١٦٩.

(٤) أحمد بن محمد النوري، بغدادي من أقران الجنيد، مات سنة ٢٩٥هـ.

(٥) اللمع، ص٤٩٢.

أنا معكم حيثما كنتم، أنتم في رعايتي وكلاءتي[1].

يقول الطوسي شارحاً: «أراد بقوله ذلك: إن الله تعالى معكم حيث ما كنتم وهو يرعاكم..».

ويقول الشبلي أيضاً:

كنت أنا والحسين بن منصور شيئاً واحداً، إلا أنه أظهر وكتمت[2].

ـ وسنرى بعد قليل ما هي عقيدة الحلاج هذه التي كتمها الشبلي وأظهرها الحلاج فقُتل.

وعندما صُلب الحلاج ليُقتل، أرسل الشبلي امرأة متصوفة وأمرها أن تقول للحلاج: إن الله ائتمنك على سرٍّ من أسراره فأذعته؛ فأذاقك طعم الحديد[3].

ـ ونحن نعرف الآن ما هو هذا السر، ومع ذلك فسنراه من أقوال الحلاج الصريحة.

ويقول إبراهيم بن محمد النصراباذي[4]:

إن كان بعد النبيين والصديقين موحدٌ فهو الحلاج[5].

ـ نفهم مما سبق أن الشبلي والنصراباذي يوافقان الحلاج في عقيدته كل الموافقة، فعقيدته التي سنراها هي عقيدتهما.

ويقول أبو سعيد الخراز[6]:

معنى الجمع: أنه أوجدهم نفسه في أنفسهم، بل أعدمهم وجودهم لأنفسهم عند وجودهم له[7].

---

(١) اللمع، ص٤٧٨.

(٢) من كتاب «الحلاج» لطه عبد الباقي سرور، «وهو شيخ الصوفية في مصر»، معاصر، ص١٠٤.

(٣) الفكر الصوفي، ص٦٢.

(٤) أبو بكر النصراباذي من نيسابور، صحب الشبلي، وخرج في آخر حياته إلى مكة، ومات فيها عام ٣٦٧هـ.

(٥) تلبيس إبليس، ص١٧٢.

(٦) أحمد بن عيسى الخراز «لسان التصوف» من أهل بغداد، صحب ذا النون المصري وغيره، مات سنة ٢٧٧هـ.

(٧) التعرف، ص١٢١.

يفسر الكلاباذي هذا الكلام بقوله:

معناه قوله: «كنت له سمعاً وبصراً ويداً، فبي يسمع وبي يبصر. .» الخبر.

- كلام الخراز أوضح من تفسير الكلاباذي، وفي الحقيقة، إن الكلاباذي لا يريد تفسير كلام الخراز، بل يريد دعمه بالحديث الشريف، الذي أورده مشوهاً. مع العلم أن هذا المعنى الذي يعتمده الصوفية لهذا الحديث هو معنى فاسد. وسيأتي تفصيله. وقوله: «أوجدهم نفسه في أنفسهم» واضح جدًّا.

وقال فارس[1]:

سألت أبا عبد الله المعروف بشكثل[1]: «ما الذي منعك عن الكلام؟»، فقال:

يا هذا، الكون توهمٌ في الحقيقة، ولا تصح العبارة عما لا حقيقة له، والحق تقصُرُ عنه الأقوالُ دونه! فما وجه الكلام؟ وتركني ومر[2].

- إنه يصرح بكل وضوح، أن الكون توهم لا حقيقة له باعتباره كوناً «أو خلقاً» وليس إلا الحق الذي تقصر عنه الأقوال دونه.

● **ملاحظة:**

كان يكفيه أن يقول: تقصر عنه الأقوال. أو: تقصر الأقوال دونه. ولكنه استعمل الكلمتين «عنه» و «دونه» للتعمية بالتعقيد.

ويقول أبو يزيد البسطامي:

غبتُ في الجبروت، وخضت بحار الملكوت، وحُجُبَ اللاهوت، حتى وصلتُ إلى العرش، فإذا هو خالٍ، فألقيت نفسي عليه، وقلت: سيدي أين أطلبك؟ فكشف، فرأيت أني أنا، فأنا أنا، أوّلي فيما أطلب، وأنا لا غيري فيما أسير[3].

وقال عندما تجلى له هذا النور (أي نور وحدة الوجود):

---

(١) لم أقف على ترجمتهما، ويفهم من أقوال الكلاباذي أنهما معاصران له.

(٢) التعرف، ص١٤٨.

(٣) شطحات الصوفية، ص١٦٤.

«سبحاني ما أعظم شأني»[1]!!

ويقول الحلاج:

وأي الأرض تخلو منك حتى   تعالَوْا يطلبونك في السماء
تراهم ينظرون إليك جهراً   وهم لا يبصرون من العماء[2]

- يريد بقوله: «ينظرون إليك جهراً»، أي أن كل ما يرونه هو أنت.

ويقول:

يا عينَ عينِ وجودي يا مدى هممي   يا منطقي وعباراتي وإيمائي
يا كلَّ كلي ويا سمعي ويا بصري   يا جملتي وتباعيضي وأجزائي[3]

ويقول:

سبحان من أظهر ناسوته   سرَّ سنا لاهوته الثاقب
ثم بدا في خلقه ظاهراً   في صورة الآكل والشارب
حتى لقد عاينه خلقُه   كلحظة الحاجب بالحاجب[4]

ويقول:

رأيتُ ربي بعين قلبٍ   فقلتُ من أنت قال أنت
فليس للأين منك أينٌ   وليس أينٌ بحيث أنت
في محو اسمي ورسم جسمي   سألتُ عني فقلتُ: أنت
أشار سري إليك حتى   فنيتُ عني ودمتَ أنت[5]

ويقول:

---

(١) إيقاظ الهمم، ص١٥٦.

(٢) أخبار الحلاج، ص١٢٥، وفي ديوانه.

(٣) أخبار الحلاج، ص١١٥، وفي الديوان أيضاً.

(٤) الديوان وأخبار الحلاج، ص١٢٧.

(٥) الديوان، ص١٦، والأبيات هنا غير متتابعة، وأوائلها موجود في «طاسين النقطة».

عقـد الخـلائـقُ في الإلٰـه عقـائـداً وأنـا اعـتقـدت جميـع ما عقـدوه[1]

ويقول:

يا سرَّ سرٍّ يدقُّ حتـى يجلُّ عن وصـف كل حيْ
وظـاهـراً باطـنـاً تبـدَّى من كل شيء لكـل شيْ
إن اعـتـذاري إلـيـك جهـلٌ وعظـم شك وفـرط عيْ
يا جملة الـكـل لسـتَ غيري فما اعـتـذاري إذاً إليْ[2]

ويقـول: فالحقيقـة، والحقيقـة خليقـة، دع الخليقة لتكون أنت هو، أو هو أنت من حيث الحقيقة[3].

ويقول: وما كان في أهل السماء موحد مثل إبليس، حيث إبليس تغيَّر عليه العين، وهجر الألحاظ في السير وعبد المعبود على التجريد[4].

ـ وكتب كتاباً هذه نسخته:

بسم الله الرحمن الرحيم، المتجلي عن كل شيء لمن يشاء. السلام عليك يا ولدي، ستر الله عنك ظاهر الشريعة، وكشف لك حقيقة الكفر، فإن ظاهر الشريعة كفر خفي، وحقيقة الكفر معرفة جلية.

أمـا بعـد، حمداً لله الـذي يتجلى على رأس إبـرة لمن يشـاء، ويستـتر في السماوات والأرضـين عمن يشـاء، حتى يشهـد هذا بأن لا هو، ويشهـد ذلـك بأن لا غيره، فلا الشـاهـد على نفيـه مردود، ولا الشـاهـد بإثبـاتـه محمود، والمقصود من هذا الكتاب أني أوصيك أن لا تغتر بالله ولا تيأس منه.. وإياك والتوحيد، والسلام[5].

ويقـول: ... إن بعض النـاس يشهـدون عليَّ بالكفـر، وبعضهم يشهـدون لي

---

(١) الديوان، ص٧٦، وينسب أيضاً لابن عربي، وهو الأصح.
(٢) أخبار الحلاج، ص٧٨.
(٣) طاسين الصفاء.
(٤) طاسين الأزل والالتباس.
(٥) أخبار الحلاج، ص٥٠.

بالولاية، والذين يشهدون علي بالكفر أحب إلي وإلى الله من الذين يقرون لي بالولاية . . لأن الذين يشهدون لي بالولاية من حسن ظنهم بي، والذي يشهدون علي بالكفر تعصباً لدينهم، ومن تعصب لدينه أحبُّ إلي ممن أحسن الظن بأحد[1] . . .

وقال: . . . يا إلـه الآلهة، ويارب الأرباب، ويا من لا تأخذه سنة ولا نوم، رُدَّ إليَّ نفسي لئلا يفتتن بي عبادك، يا من هو أنا وأنا هو، لا فرق بين أنّيتي وهويتك إلا الحدث والقدم[2] . . .

- هذه عقيدة الحلاج، عقيدة **وحدة الوجود** «الكون هو الله»، أو هو جزء من الله (!) سبحانك اللهم عما يصفون.

وسنرى أن هذا القسم المتعين «أي المتشكل في أعيان» من اللاهوت، يسمى بلسان العارفين «الملكوت»، ويسميه المحجوبون أمثالنا «الملك»، أما القسم اللطيف من اللاهوت، الذي لم يتعين، فهو «الجبروت». وناقل الكفر ليس بكافر.

بمعرفتنا عقيدة الحلاج نعرف عقائد كثيرين من كبار الطائفة الذين يصرحون بولايته وصدِّيقيته. ومرت معنا أمثلة منها.

وقد درج كثير من كتابهم على ألا يذكروا اسمه صراحة، لئلا يفضحوا عقيدتهم، وإنما يقولون: «أحد الكبراء» أو «أحد كبار العارفين» أو ما شابه ذلك. وكمثل نورده: الكلاباذي في «التعرف» الذي يستعمل عبارة «بعض الكبار» بدلاً من اسمه الصريح.

وقبل الانتقال إلى غير الحلاج، نورد له أمثلة، تجري عباراتها على ألسنتهم وفي كتبهم.

يقول:

كن لي كما كنت لي   في حين لم أكن[3]

إنه يسأل الله مقام «الفناء» أو «الجمع».

---

(1) أخبار الحلاج، ص٢٦.

(2) أخبار الحلاج، ص٣٠.

(3) ديوان الحلاج، ص٩٠.

ويقول:

وأقبـل الـوجـد يُفني الكـلَّ من صفتي   وأقـبـل الحـق يُخفيـني وأُبـديـه[1]

من هذا البيت نفهم معنى «الوجد» ومعنى «فناء الصفات».

ويقـول: صفـات البشـريـة لسـان الحجـة على ثبـوت صفـات الصمد، وصفات الصمدية لسان الإشارة إلى فناء صفات البشرية، وهما طريقان إلى معرفة الأصل الذي هو قوام التوحيد[2].

ويقول: نزول الجمع ورطة وغبطة، وحلول الفرق فكاك وهلاك[2]. . .

- مصطلحا «الجمع والفـرق» معروفان الآن. وأترك للقارىء أن يفسر لِمَ كان الجمع ورطة والفرق فكاكها؟ ولِمَ كان الجمع غبطة والفرق هلاكا؟

وللتوضيح: الجمع كفر بالنسبة للشريعة، والفرق كفر بالنسبة لعقيدة الصوفية.

*** فقرة معترضة:**

مع أني أتـدرج بإيـراد النصـوص حسب التسلسل التاريخي، بدون دقة، مع ذلك، أرى من المفيـد إيـراد نص كان مكـانـه بعـد صفحـات. أورده لأن فيـه توضيحاً لبعض المصطلحات الصوفية الأساسية.

يقول شيخ مشايخ الإسلام، مظهر الفيض القدوسي، الأستاذ السيد مصطفى العروسي:

. . . والعلم بكيفيتـه (أي الفنـاء، أو الجمـع، أو ما يرادفـه من ألفاظ) مختص بالله تعالى لا يمكن أن يطلع عليه إلا من يشاء من عباده الكمَّل الذين حصل لهم هذا المشهد الشـريف والتجـلي الـذاتي المفني للأعيـان بالأصـالـة، كما قال تعـالى: ﴿فلمَّا تجلَّى ربُّه للجبـلِ جعلَه دكًّـا وخـرَّ موسى صَعِقاً﴾، فإذا علمتَ ما قدمتُه لك علمتَ معنى الاتحاد الـذي اشتهـر، وعلمت اتحـاد كل اسم من الأسماء مع مظهره وصورته، أو اسم مع اسم

---

(1) ديوان الحلاج، ص٩٤.

(2) أخبار الحلاج، ص٤٤.

آخر، أو مظهر مع مظهر آخر؛ وشهودُك اتحادَ قطرات الأمطار بعد تعددها، واتحادَ الأنوار مع تكثرها، كالنور الحاصل من الشمس والكواكب على وجه الأرض، أو من السرج المتعددة في بيت واحد، وتبدُّل صور عالم الكون والفساد على هيولى واحدة، دليلٌ واضح على حقيقة ما قلنا، هذا مع أن الجسم كثيف، فما ظنك بالخبير اللطيف الظاهر في كل المراتب، الخسيس منها والشريف. والحاصلُ أن الاتحاد والحلول بين الشيئين المتغايرين من كل الوجوه شركٌ عند أهل الله؛ وذلك لفناء الأغيار عندهم بسطوع نور الواحد القهار، بل المراد أن الحق تعالى باعتبار أنه مصدر الكائنات جميعها، علويها وسفليها، مركبات أو بسائط أو مجردات، جواهر وأعراضاً، كليات أم جزئيات، واعتبار انفراده بالوجود الذاتي، وأن جميع الموجودات مستمدة من وجوده، فهو هي وهي هو، على معنى: لا هو إلا هو، كان الله ولا شيء معه ويبقى الله ولا شيء معه، وإنما الكائنات تعينات له مخصوصة في أزمنة مخصوصة، محكوم عليها بأحكام مخصوصة، ثم إليه يرجع الأمر كما بدا، لِحِكَم عليَّة، وأسرارٍ إلٰهية، عَلِمها مَن علمها وجهلها من جهلها، بتدبيره تعالى وتقديره، لا يُسأل عما يفعل، فافهم ولا تك أسير النقل والتقليد[1]. . .

ـ وردت في هذا النص عدة عبارات، نراها مبثوثة في كتبهم، وهم يستعملونها دائماً، مع غيرها طبعاً، وقد شرحت هذه العبارات بوضوح، لذلك، كان من المفيد جدًّا إعادة قراءة هذا النص مراراً حتى تنطبع عباراته في الذهن، مما يجعل النصوص الصوفية واضحة المدلول.

وأهمها العبارات التالية:

ـ التجلي الذاتي المفني للأعيان ـ الظاهر في كل المراتب ـ فناء الأغيار ـ سطوع نور الواحد القهار ـ انفراده بالوجود الذاتي ـ فهو هي وهي هو ـ لا هو إلا هو ـ كان الله ولا شيء معه ويبقى الله ولا شيء معه ـ الكائنات تعينات ـ إليه يرجع الأمر كما بدأ.

وهي كلها تعني «وحدة الوجود» أو تشير إليها وإلى سطوعها.

لكن يجب أن ننتبه بشكل خاص إلى قوله: «. . ولا تك أسير النقل والتقليد»! ما

(١) حاشية العروسي: ٢ / ٢٠.

معناها؟

ـ وقال أبو الحسين النوري :

كان الله ولا أين ، والمخلوقات في عدم ، فكان حيث هو، وهو الآن حيث كان ، إذ لا أين ولا مكان[1]. . .

وقال أيضاً :

عِزٌّ ظاهـر، وملك قاهـر، ومخلوقـات ظاهـرة به وصـادرة عنـه ، لا هي متصلة به ولا منفصلة عنه[1].

إ نه في قوله : «لا هي متَّصلة به» ينفي الاتصال لأن كلمة «الاتصال وما اشتق منها» تعني وجـود اثنـين متصلين ببعضهـا، لذلـك فهوينفي الاتصال نفياً لتوهم الاثنينية ، ثم ينفي الانفصال لإثبات الوحدة .

ـ وقال أبو سليمان الداراني :

. . . إنك لا تكون مخلصاً في عملك حتى لا ترى في الدارين أحداً غير ربك[2].

ـ ويقول أبو طالب المكي[3] «مفسراً» :

. . . يعني أنـه رجـع إلى العبـد في أولـه ، أي يكـون كما كان قبـل أن يكون لقوله : ﴿ألست بربكم؟ قالـوا بلى﴾ ، إذ كان ذلـك قبـل أن يكـون . وهـل أجابت إلا الأرواح الطـاهـرة المقـدسـة؟ بإقـامـة القدرة النافذة والمشيئة السابقة؟ فيكون العبد كما كان ، وأيًّا كان ، ولماذا كان ، وكيف كان . وهـذا غايته تحقيق توحيد الموحِّد للواحد ، وهو أن يذهب كما لو لم يكن ، ويتـلاشى وتنمحي أوصـافـه وتبقى أوصـاف الحق كما لم يزل ، على معنى قوله : صرت سمعه وبصره ويده ورجله وقلبه يسمع به ويبصر به ويأخذ به ويعقل به[4].

---

(١) إيقاظ الهمم، ص٤٦ .

(٢) علم القلوب، ص١٥٧ .

(٣) محمد بن علي بن عطية الحارثي المكي ، من كبار القوم ، مات سنة ٣٥٨هـ .

(٤) علم القلوب ص٩٥ .

وقال أيضاً:

ظاهر التوحيد هو توحيد الله في كل شيء، وتوحيده بكل شيء، ومشاهدة إيجاده قبل كل شيء، ولا نهاية لعلم التوحيد[1]. . .

- بشيء من التمعن ينكشف المعنى واضحاً في النصين.

ويقول أبو حيان التوحيدي في رسالة (كط):

. . . بل أنت الموجود في كل شيء، لا كما يوجد ما دام بك وافتقر إليك، ولكن كما توجد أنت وليس واجدُك سواك؛ واجدٌ لك وواجدٌ بك وواجد منك؛ فأما واجد بك فلأنه وجد عينه بك، وأما واجد لك فلأنه وجد وجده من أجلك، وأما واجد منك فلأنه وَجَدَ ما به وَجَدَ ما وَجَدَ مِن جهتك. فأنت المحيط وأنت المشتمِل، إلا أن إحاطتك بالقدرة، واشتمالك بالمعونة، وكل ما لخلقك بالمجاز؛ فَلَكَ الحقيقة، وكل ما لسواك بالأثر؛ فَلَكَ بالعين، والإشارة التي هي إليك هي منك، والذاكر الذي هُو لك هُو بك، والوجد الذي هو منك هو بك، والوجد الذي هو بك هو منك. ولم تختلف هذه الحروف إلا لحاجة الخلق إليها في التكور، وإلا فالمعنى واحد مؤتلف متفق، لا يرنّق عليه لبس، ولا يمر به جن ولا إنس[2]. . .

ويقول أيضاً، رسالة (يه):

أشرقت الأكوان بالأشباح، وشرفت الأعيان بالأرواح، وتجلت أسرار الحق فيها بين الافتراح والارتياح، وتناجت النفوس على بُعد الديار بما تتخافت فيه الأفواه على قرب المزار، ورُدَّت على الناظرين خوائن الأبصار، والتقت في الغيب سوانح الإقرار والإنكار. . . فعندها لَحَظَ اللاحظون بعين الصدق، ولفظ اللافظون بلسان الحق شنآن الحال، واضمحلال المقال، والتواء المنال، فناجوا في السرائر، وباحوا بالضمائر، ورفعوا رقوم البواطن والظواهر، وافترقوا عن الألفة، وتكثروا بالوحدة، وخيموا بين سواحل التجني وبلاغ التمني[3] . . . ومنها:

---

(١) علم القلوب، ص١٠٤.
(٢) الإشارات الإلهية: ١ / ٢٢٤.
(٣) الإشارات الإلهية: ١ / ١٣٩.

. . . فـالأسـماء مطروحة بالتوقيف، والمعاني مأخوذة بالتعريف. الأسماء مختلفة بكَدَر الخلق، والمعـاني مؤتلفـة بصفـو الحق. الأسـماء مجموعة بلسان التفرقة، والمعاني مسموعة بلسان الجمع. الأسماء متنافية باللغات، والمعاني متصافية بحكم الصفات. أما تعلم أن الأنس بالمعـاني على إيثـار الحق، مقـدم على الاستيحـاش في الأسماء لتنافيها على إيثار الخلق. الأسـماء محدودة بالأفهـام، والمعاني معدودة بالإلهام. فإياك أن تلحظ المعاني بعين الاسم فتعطب، وإيـاك أن تعطي الاسم ذات المعنى فتتعب، وإيـاك أن تعطي المعنى رسم الاسم فتكذب، وإياك أن تفرق بينهما فتُتهم، وإياك أن تجمع بينهما فتُوهّم. هاهنا زلقت أقدام المتكلمين، وانتكست أعلام المتحذلقين، لأنهم «سعوا في آياته معاجزين»، ونظـروا في الآيـة مستهـزئـين، وركنـوا إلى عقـولهم مفتخـرين متعززين، فنكصوا على أعقابهم خائبين خاسرين[1].

ويقول: رسالة (لد):

. . . وتحصَّن من نفسـك في نفسـك، وتـبرأ من جنسـك في بني جنسـك، واشهـد الغيب وغب عن الشهـادة، واحفظهـا عنـد بروز الحق الذي إذا بدا لك أباد، وإذا أحب أعـاد وأفـاد؛ وإيـاك ومـلابسـة الكون فإنها تؤديك إلى الفرقة والبين، وعليك بالتجريد والتفريد، وعليك بهجران كل شيطان مريد[2].

ويقول: رسالة (لح هـ):

تبـاركـت خطـراتـي في تعـالائـي	فلا إلـه إذا فكـرت إلائي[3]

ـ نلاحـظ أن أسلوب التوحيدي فيـه جزالـة ألفاظ وغموض يشعر أن هناك سرًّا تحاك حولـه هذه الألفـاظ، والهلع من ظهـور السـر متـماثل بين السطور، وهويستعمل عبارات قليـلاً ما يستعملهـا غيره، ولكنهـا مستعملة على كل حال. وبشيء من التأني في القراءة والتكرار تتوضح الأسرار. وكلمة «تعالائي» من فعل الثناء «تعالىٰ».

ويقول القشيري:

---

(١) الإشارات الإلهية: ١ / ١٤٠.

(٢) الإشارات الإلهية: ١ / ٢٥٩.

(٣) الإشارات الإلهية: ١ / ٣٨٨.

. . . فإذا فني عن توهم الآثار من الأغيار، بقي بصفات الحق، ومن استولى عليه سلطـان الحقيقـة حتى لم يشهـد من الأغيار ولا أثراً ولا رسماً ولا طللاً، يقال: إنه فني عن الخلق وبقي بالحق[1].

ويقــول: . . . ومن محاه الحق سبحـانـه عن مشـاهـدتـه (أي مشـاهـدتـه لنفسـه وأفعاله)[2]، أثبته بحق حقه، ومن محاه الحق عن إثباته به، ردّه إلى شهود الأغيار وأثبته في أودية التفرقة[3]. .

* فقرة معترضة:

مر معنـا ويمـر هنـا وفي كتبهم مصطلح «المشـاهدة» والفعل منه «شاهد، يشاهد»، فماذا يعنون به؟

يقول القشيري:

«. . . وتـوهم قوم أن المشـاهـدة تشـير إلى طرف من التفـرقة، لأن باب المفاعلة في العربية بين اثنين، وهذا وهم من صاحبه، فإن في ظهور الحق سبحانه ثبور الخلق، وباب المفاعلة جملتُها لا تقضي مشاركة الاثنين، نحو: سافر، وطارق النعل، وأمثاله[4]. . .

ـ يفهمنـا القشـيري أن المشـاهـدة لا تكـون بأن تشاهد الله سبحانه خارجاً عنك، فتكـونـا اثنـين، لا، بل تشـاهده في ذاتك، تشاهده أنك هو، إذن، منذ الآن، يجب أن نفهم مصطلح «المشـاهـدة ومشتقـاتهـا» في كلام القوم حسب هذا المعنى. (مشاهدة الله تعني الاستشعار بالألوهية أو ذوق معنى الألوهية).

ويقول أبو حامد الغزالي «حجة الإسلام، الإمام»:

. . . فمن عرف الحق رآه في كل شيء، إذ كل شيء فهـو منـه وإليـه وبـه وله، فهو الكل على التحقيق، ومن لا يراه في كل ما يراه فكأنه عرفه؟ ومن عرفه عرف أن كل شيء

(١) الرسالة القشيرية، ص٣٧.
(٢) الجملة بين القوسين من شرح الرسالة في هامش حاشية العروسي: ٢ / ٧٦.
(٣) الرسالة القشيرية، ص٣٩.
(٤) الرسالة القشيرية، ص٤٠.

ما خلا الله باطـل، وأن كل شيء هالـك إلا وجهـه، لا أنه سيبطل في ثاني الحال، بل هو الآن باطل[1]. . .

ـ يبـين لنـا الغـزالي هنـا كيف يفهمون الجملة «كل شيء ما خلا الله باطل»، والآية ﴿كـل شيء هالـك إلا وجهـه﴾، ومنـذ الآن يجب أن نعرف كيف يفهمونها، ولا نحاول التأويل واللف والدوران مثلهم.

ويقول: . . . واعلم أن الطواف الشريف هو طواف القلب بحضرة الربوبية، وأن البيت مثال ظاهر في عالم الملك لتلك الحضرة التي لا تشاهد بالبصر، وهي عالم الملكوت[2]. . .

ـ يبين الغزالي هنا أن حضرة الربوبية هي عالم الملكوت! فما هو عالم الملكوت؟

يشـرحـه ابن عجيبـة بقـولـه: «مـراتب الوجود هي العوالم الثلاثة: الملك والملكوت والجبروت. وذلك أن الوجود له ثلاثة اعتبارات: وجود أصلي أزلي، وهو الذي لم يدخل عالم التكـوين، ويسمى عالم الأمـر، وعـالم الغيب، وهـو المسمى بعالم الجبروت. ووجود فرعي، وهو النور المتدفق من بحر الجبروت، وهو كل ما دخل عالم التكوين لطيفاً كان أو كثيفاً، ويسمى عالم الشهادة، وعالم الخلق، وهو المسمى بعالم الملكوت[3]. .

ـ إذن فحضـرة الـربـوبيـة يعني بها «الكـون»، وسنرى هذا في نص آت، وقول ابن عجيبـة: «وهـو النـور المتـدفق من بحـر الجبروت»، هو نفس نظرية «الفيض» اليونانية، والعريقة في تاريخ الوثنيات.

ويقول الغزالي أيضاً:

. . . نعلم أن للقلب ميـلاً إلى صفـات بهيميـة. . وإلى صفـات سبعيـة. . وإلى صفـات شيطـانيـة. . وإلى صفـات ربـوبية. . فهو لما فيه من الأمر الرباني يحب الربوبية بالطبع!؟ ومعنى الربوبية التوحد بالكمال، والتفرد بالوجود على سبيل الاستقلال؛ فصار

(1) إحياء علوم الدين: ١ / ٢٥٤.

(2) إحياء علوم الدين: ١ / ٢٤٢.

(3) الفتوحات الإلهية حاشية إيقاظ الهمم، ص١٠٩.

الكمال من صفات الإلهية، فصار محبوباً بالطبع للإنسان. والكمال بالتفرد بالوجود، فإن المشاركة في الوجود نقص لا محالة؛ فكمال الشمس في أنها موجودة وحدها، فلو كان معها شمس أخرى لكان ذلك نقصاً في حقها إذ لم تكن منفردة بكمال معنى الشمسية. والمنفرد بالوجود هو الله تعالى إذ ليس معه موجود سواه، فإن ما سواه أثر من آثار قدرته لا قوام له بذاته، بل هو قائم به... وكما أن إشراق نور الشمس في أقطار الآفاق ليس نقصاناً في الشمس بل هو من جملة كمالها، وإنما نقصان الشمس بوجود شمس أخرى.. فكذلك وجود كل ما في العالم يرجع إلى إشراق أنوار القدرة.. فإذاً معنى الربوبية التفرد بالوجود، وهو الكمال... ولذلك قال بعض مشايخ الصوفية: ما من إنسان إلا وفي باطنه ما صرح به فرعون من قوله: ﴿أنا ربكم الأعلى﴾، ولكنه ليس يجد له مجالاً. وهو كما قال[1]...

ـ هذا النص مشحون، لكن أهم ما فيه هو:

١ ـ استعمال الغزالي أساليب علم الكلام لإثبات أمر غيبي تتعذر معرفته إلا عن طريق الوحي.

٢ ـ قوله: «المنفرد بالوجود هو الله تعالى إذ ليس معه موجود سواه» يعني أن الله جلت قدرته، لم يخلق شيئاً من العدم، إذ لو خلق شيئاً من العدم لكان هذا الشيء غير الله، ولكان مع الله موجود آخر غيره، لكن الحجة يقرر أن ليس مع الله موجود سواه، وهذه هي وحدة الوجود.

٣ ـ إعطاؤه لكلمة «الربوبية» معنى لم يرد عن خير البشر ولا عن خير القرون ولا عن تابعيهم.

٤ ـ إيراده القول الذي يعزوه إلى بعض مشايخ الصوفية والذي يفيد:

أ ـ إن فرعون رب في الباطن، وقد صرح بهذه الربوبية. لننتبه إلى كلمة «صرّح».

ب ـ هذه الربوبية هي في باطن كل إنسان، أي إن كل إنسان هو رب في الباطن، لكنه لا يجد مجالاً لاستشعار هذه الربوبية أو للتصريح بها مثل فرعون.

٥ ـ تقرير الغزالي صحة هذا القول بقوله: «وهو كما قال».

---

(١) إحياء علوم الدين: ٣ / ٢٤٣.

ويقول الغزالي أيضاً:

. . . ومن ارتفع الحجاب بينه وبين الله تجلى صورة الملك والملكوت في قلبه، فيرى جنةً عرض بعضها السماوات والأرض، أما جملتها فأكثر سعة من السماوات والأرض، لأن السماوات والأرض عبارة عن عالم الملك والشهادة. . وأما عالم الملكوت، وهي الأسرار الغائبة عن مشاهدة الأبصار، المخصوصة بإدراك البصائر، فلا نهاية له. نعم، الذي يلوح للقلب منه مقدار متناه. . وجملة عالم الملك والملكوت إذا أُخذ دفعة واحدة تسمى «الحضرة الربوبية»، لأن الحضرة الربوبية محيطة بكل الموجودات، إذ ليس في الوجود شيء سوى الله تعالى وأفعاله؛ ومملكتُه وعبيدُه من أفعاله[1]. . .

ـ نحن الآن نعرف مما سبق ومما سيأتي من نصوص، أنه وأنهم يعنون بقوله وقولهم: «أفعال الله» أي حركاته (سبحانه عما يصفون).

ويقول: . . . والثالثة: أن يشاهد ذلك بطريق الكشف بواسطة نور الحق، وهو مقام المقربين، وذلك بأن يرى أشياء كثيرة، ولكن يراها على كثرتها صادرة عن الواحد القهار. والرابعة: أن لا يرى في الوجود إلا واحداً، وهي مشاهدة الصديقين، وتسمِّيه الصوفية «الفناء في التوحيد» . . . والثالث: موحد، بمعنى أنه لم يشاهد إلا فاعلاً واحداً إذا انكشف له الحق كما هو عليه، ولا يرى فاعلاً بالحقيقة إلا واحداً وقد انكشفت له الحقيقة كما هي عليه، لا أنه كلَّف قلبه أن يعقد على مفهوم لفظ الحقيقة، فإن تلك رتبة العوام والمتكلمين. . والرابع: موحد بمعنى أنه لم يحضر في شهوده غير الواحد، فلا يرى الكل من حيث إنه كثير، بل من حيث إنه واحد. وهذه هي الغاية القصوى في التوحيد[2]. . .

ويقول: . . . فإن قلت: كيف يُتصوَّر أن لا يشاهد إلا واحداً، وهو يشاهد السماء والأرض، وسائر الأجسام المحسوسة، وهي كثيرة؟ فكيف يكون الكثير واحداً؟ فاعلم أن هذه غاية علوم المكاشفات. . وهو أن الشيء قد يكون كثيراً بنوع مشاهدةٍ واعتبار، ويكون واحداً بنوع آخر من المشاهدة والاعتبار. وهذا كما أن الإنسان كثير إن التفتَّ إلى

---

(١) إحياء علوم الدين: ٣ / ١٣.

(٢) إحياء علوم الدين: ٤ / ٢١٢.

روحه وجسده وأطرافه وعروقه وعظامه وأحشائه ، وهو باعتبارٍ آخر ومشاهدةٍ أخرى واحدٌ ، إذ نقول : إنه إنسان واحد . . والفرق بينهما أنه في حالة الاستغراق والاستهتار به مستغرقٌ بواحد ليس فيه تفريق ، وكأنه في عين «الجمع» ؛ والملتفتُ إلى الكثرة في «تفرقة» . فكذلك كل ما في الوجود من الخالق والمخلوق له اعتبارات ومشاهدات كثيرة مختلفة ، فهو باعتبار واحدٍ من الاعتبارات واحدٌ ، وباعتبارات أخر سواه كثيرٌ . . . وهذه المشاهدة التي لا يظهر فيها إلا الواحد الحق ، تارة تدوم ، وتارة تطرأ كالبرق الخاطف ، وهو الأكثر ، والدوام نادر عزيز[1] . . .

● **الملاحظة** : أرجو الانتباه إلى كلمتي : «الجمع والتفرقة» اللتين يشرح معناهما بوضوح .

ويقول : . . . فكذلك عقولنا ضعيفة ، وجمال الحضرة الإلٰهية في نهاية الإشراق والاستنارة ، وفي غاية الاستغراق والشمول ، حتى لم يشذ عن ظهوره ذرة من ملكوت السماوات والأرض ، فصار ظهوره سبب خفائه . فسبحان من احتجب بإشراق نوره ، واختفى عن البصائر والأبصار بظهوره ، ولا يُتعجب من اختفاء ذلك بسبب الظهور ، فإن الأشياء تُستبان بأضدادها ، وما عمّ وجوده حتى إنه لا ضدّ له ، عسر إدراكه[2] . . .

ويقول بعد أن يذكر ـ إشارةً ورمزاً ـ صفة الذي لا يرى إلا الله :

. . . فهذا الذي يقال فيه : «إنه فني في التوحيد وفني عن نفسه» ، وإليه الإشارة بقول من قال : «كنا بنا ففنينا عنا فبقينا بلا نحن . . . ولذلك قيل :

لقد ظهرتَ فلا تخفى على أَحدٍ ... إلا على أكمهٍ لا يعرف القمرا
لكن بطنتَ بما أظهرتَ محتجباً ... فكيف يُعرف من بالعرف قد سُتِرا[3]

ويقول : «حقيقة الحقائق» :

. . من هنا ترقى العارفون من حضيض المجاز إلى يفاع الحقيقة ، واستكملوا معراجهم ، فرأوا بالمشاهدة العيانية أن ليس في الوجود إلا الله تعالى ، وأن «كل شيء

---

(1) الإحياء : ٤ / ٢١٣ .
(2) الإحياء : ٤ / ٢٧٦ .
(3) الإحياء : ٤ / ٢٧٦ و ٢٧٧ .

هالـك إلا وجهـه» لا أنـه يصـير هالكاً في وقت من الأوقات، بل هو هالك أزلاً وأبداً، لا يُتصـور إلا كذلـك . . فإذن لا موجـود إلا الله تعـالى ووجهـه، فإذن كل شيء هالك إلا وجهه أزلاً وأبداً . . . ولم يفهموا من معنى قوله «الله أكبر» أنه أكبر من غيره، حاش لله، إذ ليس في الوجود معه غيره حتى يكون أكبر منه، بل ليس لغيره رتبة المعية، بل رتبة التبعية[1] . . .

ويقول: «إشارة»

العـارفـون بعـد العـروج إلى سماء الحقيقـة، اتفقـوا على أنهم لم يروا في الوجود إلا الواحد الحق[2].

ـ نلاحظ أن أسلوب الغزالي فيه وضوح وصراحة، ونرى أنه عندما يريد التعمية، لا تسـاعـده العبـارة الإشـاريـة، لذلـك فهو يضيف جملاً موهمة. فمثلاً يقول: «إذ ليس في الـوجـود معـه غيره . . . »، ثم يقـول بعـدهـا مباشرة: «بل ليس لغيره رتبة المعية . . . »! فكيف ينفي وجود الغير في الجملة الأولى ثم يثبته في الثانية؟!

في الـواقـع، الغـزالي غير متناقض مع نفسه وعقيدته في هذا النص ـ أو غيره ـ فهذا أسلوبه في العبارة الملغزة، الذي يحاول به، مثل غيره من الصوفية، التعمية على من هم غير أهله، وقد نجح في هذا الأسلوب.

والنصـان الأخـيران يوضحـان معنى قولهم (أو قول بعضهم) أحيـانـاً: «وحـدة الشهود»، حيث نفهم منهما أن عبارة «وحدة الشهود» تعني بكل بساطة «مشاهدة وحدة الوجود».

ويقول: . . . لكن ينبغي أن يُعلم أن الحضرة الإلٰهية محيطة بكل ما في الوجود، إذ ليس في الوجود إلا الله وأفعاله، فالكل من الحضرة الإلٰهية، كما أن جميع أرباب الولايات في المعسكـر، حتى الحـراس، هم من المعسكـر. . . فاعلم أن كل ما في الـوجود داخل في الحضرة الإلٰهية[3]. . . (أفعال الله تعني حركاته سبحانه وتعالى).

---

(١) مشكاة الأنوار، ص٥٥.
(٢) مشكاة الأنوار، ص٥٧.
(٣) إلجام العوام عن علم الكلام، ص٣٢.

ويقول في تائيته التي مطلعها:

بنور تجلي وجه قدسك دهشتي ... وفيك على أن لا خفيَّ بك حيرتي

منها:

وهل أنا إلا أنت ذاتاً ووحدةً ... وهل أنت إلا نفس عين هويتي[1]

ومنها:

فكيف بشكري كل عضو وقوة ... جعلت لنفعي عند تأليف بنيتي
وشكر التي قد حُجبت بي وإنها ... لأظهرُ لي من نور شمس تبدت[2]

ومنها:

ملأت جهاتي الست منك فأنت لي ... محيط وأيضاً أنت مُركز نقطتي
فصرتُ إذا وجهت وجهي مصلياً ... فرايض أوقاتي فنفسي كعبتي
فصار صيامي لي ونسكي وطاعتي ... ونحري وتعريفي وحجي وعمرتي
وحولي طوافي واجبٌ وخلاله ... استلامي لركني من مناسك حجتي
وذكري وتسبيحي وحمدي وقربتي ... لنفسي وتقديسي وصفو سريرتي
ولو همَّ مني خاطر بالتفاتة ... لما كان لي إلا إليَّ تلفُّتي
ولو لم أُؤدِّ الفرض مني إليَّ لم ... يضح بوجه لي ولم تَبْرَ ذمتي[3]

ويقول: . . . فإن الفاعل بالحقيقة واحد، فهو المخوف والمرجو وعليه التوكل والاعتماد، ولم نقدر أن نذكر من مجاز التوحيد إلا قطرة من بحر المقام الثالث من مقامات التوحيد. . . وكل ذلك ينطوي تحت قول لا إله إلا الله، وما أخف مؤنته على اللسان، وما أسهل اعتقاد مفهوم لفظه على القلب، وما أعز حقيقته ولُبَّه عند العلماء الراسخين في العلم، فكيف عند غيرهم. . فإن قلت: فكيف الجمع بين التوحيد والشرع؟ ومعنى التوحيد أن لا فاعل إلا الله تعالى، ومعنى الشرع إثبات الأفعال للعباد، فإن كان العبد

---

(١) النفحات الغزالية، ص١٧٣، ومعارج القدس، ص١٩٥.
(٢) النفحات الغزالية، ص١٨٣، ومعارج القدس، ص١٩٩.
(٣) معارج القدس، ص٢٠٢ و٢٠٣.

فاعـلاً فكيف يكـون الله تعـالى فاعـلاً؟ وإن كان الله تعـالى فاعـلاً فكيف يكـون العبد فاعـلاً؟ . . . ولأجـل توافق ذلـك وتطـابقـه نسب الله تعـالى الأفعـال في القرآن مرة إلى الملائكة ومرة إلى العباد، ونسبها بعينها مرة أخرى إلى نفسه! فقال تعالى في الموت: ﴿قل يتـوفَّـاكم ملكُ المـوتِ﴾، ثم قال عز وجـل: ﴿الله يتـوفَّى الأنفسَ حين موتِهـا﴾، وقـال تعالى: ﴿أفرأيتُم ما تحرثونَ﴾، أضاف إلينا، ثم قال تعالى: ﴿أنَّا صببْنا الماء صبًّا، ثم شقَقْنا الأرض شقًّا، فأنْبَتنا فيها حبًّا، وعِنباً. . ﴾، وقال عز وجل: ﴿فأرْسَلْنا إليها روحَنا فتَمَثَّلَ لها بشراً سويًّا﴾، ثم قال تعالى: ﴿فنَفَخْنا فيها من روحِنا﴾ وكان النافخُ جبريل عليـه السـلام، وكـما قال تعالى: ﴿قاتِلوهم يعذِّبْهم الله بأيديكُم﴾ فأضاف القتل إليهم والتعـذيب إلى نفسـه! والتعـذيبُ هوعينَ القتل! بل صرح وقال تعالى: ﴿فلم تَقْتُلوهم ولكنَّ الله قتَلَهم﴾ وقال تعالى: ﴿وما رميْتَ إذْ رميْتَ ولكنَّ الله رَمى﴾ وهو جمع بين النفي والإثبات ظاهراً، ولكن معناه: وما رميت، بالمعنى الذي يكون الرب به رامياً، إذ رميت، بالمعنى الذي يكون العبد به رامياً؛ إذ هما معنيان مختلفان. وقال الله تعالى: ﴿الذي علَّم بالقلمِ، علَّم الإنســانَ ما لم يعلم﴾ ثم قال: ﴿الـرحمنُ علَّم القـرآنَ﴾ وقـال: ﴿علَّمَـهُ البيانَ﴾ وقال: ﴿إنَّ علَيْنا بيانَهُ﴾ وقال: ﴿أفرأيتُم ما تُمْنون أأنْتُم تخلقونَهُ أم نحنُ الخالقونَ﴾[1] . . . اهـ.

- أمثال هذا النص تتكرر كثيراً في كتب الغزالي، وخاصة في كتاب «إحياء علوم الدين».

ولقـد رأينـا، في النصـوص السـابقـة، تصريح الغزالي بوحدة الوجود، التي يسميها «التوحيد». وهذا النص واضح، لكن بالنسبة لمن قرأ نصوص الغزالي السابقة واستوعبها معنى وألفاظاً وجملاً.

أمـا من يقـرأ هذا النص لأول مرة، وهـو خالي الفكر، فقد لا يستطيع ملاحظة فكرة «وحدة الوجود» الماثلة في كل جملة من جمله. لذلك كان من اللازم لمن يريد فهمه أن يرجع إلى نصـوص الغـزالي السابقة، خاصة، وإلى نصوص الصوفية عامة، ثم يعود إلى هذا النص ليرى «وحدة الوجود» واضحة كل الوضوح في ثنايا الكلام.

---

(١) الإحياء: ٤ / ٢٢١.

ولهذا النص فائدة كبيرة، لمعرفة كيفية فهمهم للنصوص القرآنية. ولنصوص الحديث، وكيف يضعونها في سياق موهم، بحيث تظهر لأهل الأذواق وكأنها تحمل المعاني التي يريدونها! وكيف يلوون أعناقها ببراعة وانسياب تظهر وكأنها تتفق مع كشفهم وعقيدتهم!؟.

إنه يقدم ما أورد من آيات في سياق الكلام عن «التوحيد» الذي يعني به توحيد الخالق والمخلوق في وحدة واحدة!. يقدم هذه الآيات ليجعلها دليلاً على نظريته!.

وهرباً من الإطالة، نقدم توضيحاً لثلاث آيات منها فقط:

١ ـ الآية ﴿فأرسلنا إليها روحنا فتمثل لها بشراً سوياً﴾ يريد الغزالي أن يقول: «إن الله سبحانه أرسل (روحه)؛ وروحه كما يتبادر إلى أذهاننا، هي جزء منه، وهذا الروح هو ملك كما تخبرنا آية ثانية، إذن فالملك هو روح الله، وهو بالتالي جزء منه! أو هو هو حسب تعابيرهم».

٢ ـ الآية: ﴿فإذا قرأناه فاتَّبع قرآنه﴾ التي يتبعها بتفسيره حيث يقول: «معناه: إذا قرأه عليك جبريل...». فالله سبحانه يقول: ﴿قرأناه﴾ بصيغة المتكلمين، بينما القارىء هو جبريل، إذن فجبريل هو الله، أو هو جزء منه!!. سبحانه وتعالى علوًّا كبيراً عما يصفون.

٣ ـ الآية ﴿وما رميتَ إذ رميتَ ولكنَّ الله رمى﴾ التي يفسرها بقوله: «... وما رميت، بالمعنى الذي يكون الرب به رامياً، إذ رميت، بالمعنى الذي يكون العبد به رامياً ...»، وهو كلام واضح جدًّا! إنه يقول: «معناه: وما رميت (يا محمد الرب) إذ رميت (يا محمد العبد) ولكن الله رمى»، إذن محمد هو الله، تعالى الله علوًّا كبيراً.

ولو نظرنا إلى بقية الآيات التي أوردها في هذا النص ـ وفي غيره في كتبه ـ لرأيناه يريد بها نفس المعنى الذي بيّنّاه في هذه الآيات الثلاث.

يورد الغزالي بعد كلامه الذي سجلناه، حديثين، يوجههما لأداء نفس المعنى الذي يحاول تقريره. يقول العراقي عن أولهما: «... في سنده جهالة، وقال ابن عدي: إنه منكر ...». ويقول عن ثانيهما: «لم أجد له أصلاً». (ولم أوردهما تجنباً للإطالة). ويورد

أيضاً بعدها آيات أخرى، وأقوالاً لبعضهم، وشعراً، نوردها دون تعليق الغزالي، ودون أي تعليق غيره. ليستطيع القارىء أن يفهم مرادهم من الآية حيثما مرت معه. يقول:

. . . وكذلك ذكر الله تعالى في القرآن من الأدلة والآيات في الأرض والسماوات ثم قال: ﴿أوَلم يكفِ بربِّك أنَّه على كلِّ شيء شهيدٌ﴾ وقال: ﴿شهِدَ الله أنَّه لا إلٰه إلا هو﴾، فبين أنه الدليل على نفسه . . . قال بعضهم: «عرفت ربي بربي ولولا ربي لما عرفت ربي»، وهو معنى قوله تعالى: ﴿أوَلم يكْفِ بربِّك أنَّه على كلِّ شيء شهيدٌ﴾، وقد وصف الله تعالى نفسه بأنه المحيي والمميت ثم فوَّض الموت والحياة إلى ملكين، ففي الخبر «أن ملكي الموت والحياة تناظرا . . .»[1]. لذلك قال ﷺ للذي ناوله التمرة: «خذها: لو لم تأتها لأتتك»، أضاف الإتيان إليه وإلى التمرة. . . وأصدق بيت قاله الشاعر قول لبيد: «ألا كلُّ شيء ما خلا الله باطل» . . . فإذاً لا حقَّ بالحقيقة إلا الحي القيوم . . . فهو الحق وما سواه باطل. فإنه قائم بذاته وكل ما سواه قائم بقدرته . . »[2].

هذه عبارات، أو بعض العبارات، التي يستعملونها يشيرون بها إلى وحدة الوجود، أوردها الغزالي متتابعة، وقد أورد غيرها الكثير في أماكن أخرى من «الإحياء» وغير «الإحياء»، مع التكرار لها في مواضع كثيرة.

وهذه صورة أخرى من صور العبارة الإشارية:

يقول ابن عطاء الله في حِكَمه:

متى جعلك في الظاهر ممتثلاً لأمره، ورزقك في الباطن الاستسلام لقهره فقد أعظم عليك المنة[3].

وقد أوردها محمود أبو الفيض المنوفي (القطب) على أنها تحمل نفس معنى قول أبي الحسن الشاذلي، الذي رأيناه: «ليكن الفرق بلسانك موجوداً . . .» وهي إشارة إلى مقام «الفرق الثاني». ويقول ابن عطاء الله أيضاً في حِكَمه:

«كن بأوصاف ربوبيتي متعلقاً وبأوصاف عبوديتك متخلقاً، فإن تحققتَ بأوصافك

---

(١) الحديث مكذوب.

(٢) الإحياء: ٤ / ٢٢٢.

(٣) جمهرة الأولياء، ص٧٨.

أَيَّدَكَ بأوصافه»[1]، وهي كما يقرر المنوفي تحمل نفس معنى سابقتها، أي: «الفرق الثاني».

ويقول عبد القادر الجيلاني «قطب الأولياء الكرام»:

الحمد لله الذي كيّف الكيف وتنزه عن الكيفية، وأيّن الأين وتعزز عن الأينية، ووُجد في كل شيء وتقدس عن الظرفية، وحضر عند كل شيء وتعالى عن العندية[2] . . .

ويقول:

. . . ثم قال لي: يا غوث الأعظم، ما أكل الإنسان شيئاً وما شرب وما قام ولا قعد وما نطق وما صمت وما فعل فعلاً وما توجه لشيء وما غاب عن شيء إلا وأنا فيه، ساكنه ومتحركه. ثم قال لي: يا غوث الأعظم، جسم الإنسان ونفسه وقلبه وروحه وسمعه وبصره ويده ورجله ولسانه وكل ذلك طهرت له نفس بنفس لا هو إلا أنا ولا أنا غيره[3].

ويقول: . . . فإذا تحقق عندكم العمل، رأيتم القدرة، فحينئذ يَجْعَلُ التكوينَ في أيدي قلوبكم وأسراركم، إذا لم يبق بينك وبين الله حجاب من حيث قلبك، قدّرك على التكوين وأطلعك على خزائن سره، وأطعمك طعام فضله، وسقاك شراب الأنس، وأقعدك على مائدة القرب منه، وكل هذا ثمرة العلم بالكتاب والسنة اعمل بهما ولا تخرج عنهما، حتى يأتيك صاحب العلم، الله عز وجل. فيأخذك إليه، إذا شهد لك معلم الحكم بالحذق في كتابه، نقلك إلى كتاب العلم، فإذا تحققت فيه أقيم قلبك ومعناك، والنبي في صحبتهما آخذ بأيديهما، ويدخلهما إلى الملك، ويقول لهما: ها أنتما ربكما[4].

اهـ (أرجو الانتباه إلى حدود العمل بالكتاب والسنة «حتى يأتيك صاحب العلم»).

ويقول: . . . إذا قال لك القلب «لا» فهو حرام، وإن قال «نعم» فهو حلال، وإن

---

(١) جمهرة الأولياء، ص٨٠.

(٢) الفيوضات الربانية، ص٤١.

(٣) الفيوضات الربانية، ص٥. وتبرز هنا ملاحظة هامة، هي أنه لا يهمنا إن كان كل ما في كتاب «الفيوضات الربانية» صحيح النسبة للجيلاني أم لا، لأن الذي يهمنا هو أن هذا الكتاب هو عقيدة عشرات الملايين من الذين ساروا على نهج الطريقة القادرية طيلة قرون طويلة.

(٤) الفتح الرباني، ص٢١٧.

سكت فلم يقل «نعم» ولا «لا» فهو شبهة، إن عدمت المألوفات وصبرت نفسك فهو القناعة، تدري كم عنده من الطاعات، والصوم والصلاة لا يعبأ بها، إنما مراده منك قلب صاف من الأقدار والأغيار[1].

ويقول: . . . بقي أبو يزيد البسطامي سبع مرات، لما سُمع منه من الكلام العجيب، يفتح إلى قلوبهم أبواب القرب، لا يجمعهم مع الخلق سوى الصلوات الخمس ولقب الآدمية البشرية؛ وصورتهم صورة الإنس، وقلوبهم مع القدر، وأسرارهم مع الملك[2].

ـ يخبر عبد القادر الجيلاني عن أبي يزيد البسطامي، أنه كان يفتح أبواب القرب (من الله وبه وإليه وفيه) إلى قلوبهم، أي إلى قلوب المريدين. إذن فعبد القادر الجيلاني، في هذا النص، يزكي أبا يزيد، وبالتالي فهو يوافقه على أقواله التي مرت معنا آنفاً.

ويقول: قيل للحلاج حين صلب: «أوصني»، قال: نفسك إن لم تشغلها وإلا شغلتك[3].

ـ يُظهر الحلاجَ هنا بمظهر المعلم الحكيم، المقصود، حتى عند الصلب، إذن فالحلاج مزكىً عند الجيلاني، وهذا يعني أن الجيلاني يتلقى أقوال الحلاج بالقبول. فهو يؤمن بأقواله وعقيدته. ونستطيع أن نرجع إليها حالاً، لتكون: تذكرة وتعيها أذن واعية.

ويقول: . . . وإذا كان القطب اطّلع على أعمال أهل الدنيا وأقسامهم وما تؤول أمورهم إليه، ويطّلع على خزائن الأسرار، ولا يخفى عليه شيء في الدنيا من خير أو شر، لأنه مفرد الملك، بطانته، نائب أنبيائه ورسله، أمين المملكة، فهذا هو العين القطب في زمانه[4] . . .

ويقول: . . . يا عبدَ الهوى والطبع، يا عبدَ الثناء والحمد، ما جفّ به القلم وسبق به العلم من الأقسام، لا بد من استيفائهما، لكن الشأن هل يأخذها بك، أو به يوجدك، ويقعدك مع التوحيد . . . أطلب القرب من باب فنائك . . . ويكون «أي العارف أو

---

(1) الفتح الرباني، ص٣٥٧.
(2) الفتح الرباني، ص٣٦٧.
(3) الفتح الرباني، ص٣٦٠.
(4) الفتح الرباني، ص٣٥٤.

الـواصـل» نائب الـرسـول في المتـابعة، يُترك ثم يؤخذ، ثم يُؤخذ، يَتْرُكُ المتروك ويأخذ المأخوذ، يضيء لك الأمر كفلق الصبح، يجدد على العبد ثوبَي الوجود تارة والفناء تارة، يُفْتقد، فيُقبل الحقّ عليه، وتارة يوجد، فيخبر عن الحق «روى قلبي عن ربي»[1] . . .

ـ قبـل الانتقـال إلى كتـاب آخـر من كتب الشيـخ، يجدر الانتبـاه إلى قوله: «يجعل التكـوين في أيـدي قلوبكم وأسراركم»، و«قدّرك على التكوين»، وقوله في نص سابق: «فـإذا جاءت نوبـة الحكم كانـوا في صحن الحكم»، ثم عرض هذه الأقـوال على الآيـة القـرآنيـة الكـريمة: ﴿. . . مالهم من دونه من وليٍّ ولا يشرِكُ في حكمِهِ أحداً﴾، وقوله: «ها أنتما ربكما».

طبعاً، الأمر واضح، إن الذي يعتقد أن مخلوقاً ما، سواء كان إنساناً أو ملكاً، يمكن له «التكوين»، وأن يتصرف في الكون، إنما هو كافر، لأنه يناقض نص الآية الصريح.

ـ لكن! همسـة أهمسهـا في أذن القـارىء: إنهم يؤ ولـون ـ كما يقول الإمام الغزالي ـ النصوص المخالفة للكشف لتتفق مع كشفهم!!. وعليه فهم يؤ ولون هذه الآية، ليصبح معناها: «إن كل من يحكم فهو الله»، لأن الله لا يشرك في حكمه أحداً، وبما أن هناك من يحكم ولو في أمر واحد، إذن فهو الله، لأن الحاكم هو الله وحده، ولأنه لا يشرك في حكمه أحداً؛ وطبعاً، هذه هي وحدة الوجود. نعود إلى الشيخ.

يقول الجيلاني:

. . . ثم إذا لم يجد عنـد الخـالق نصـرَةً، استطـرح بين يديه مديماً للسؤال أو الدعاء والتضرع والثناء والافتقار مع الخوف والرجاء، ثم يعجزه الخالق عز وجل عن الدعاء، ولم يجبه حتى ينقطع عن جميع الأسباب، فحينئذ يَنْفذ فيه القدر، ويفعل فيه الفعل، فيفنى العبد عن جميع الأسباب والحركات، فيبقى روحاً فقط، فلا يرى إلا فعل الحق، فيصير موقناً موحداً ضرورة، يقطع أن لا فاعل في الحقيقة إلا الله، لا محرك ولا مسكن إلا الله، ولا خير ولا شر ولا ضر ولا نفع ولا عطاء ولا منع، ولا فتح ولا غلق، ولا موت ولا حياة، ولا عز ولا ذل إلا بيد الله . . . ويكون ولا حراك به في نفسه ولا في غيره، فهو غائب عن

---

(١) الفتح الرباني، ص٣٥٥.

نفسه في فعل مولاه، فلا يرى غير مولاه وفعله، ولا يسمع ولا يعقل من غيره، إن بَصُر وسمع[1] . . . اهـ.

ـ كل العبارات الدالة على وحدة الوجود في هذا النص، مرت معنا فيما سبق، مثل: «يفنى العبد عن جميع الأسباب . .»، و«يصير موحداً»، و«لا فاعل إلا الله»، و«غائب عن نفسه في فعل مولاه».

لكن أمامنا الآن عبارة جديدة هي: «فيبقى روحاً فقط»، وكذلك المفردات المتلاحقة: «لا خير ولا شر ولا ضر . . .»، والتي يفهم الصوفي والمتمرس بعباراتهم إلى ماذا ترمز وتشير، وكذلك قوله: «فلا يرى غير مولاه وفعله».

ويقول: . . . والحكاية المشهورة عن أبي يزيد البسطامي رحمه الله، لما رأى رب العزة في المنام فقال: كيف الطريق إليك؟ قال: اترك نفسك وتعال، فقال: فانسلخت من نفسي كما تنسلخ الحية من جلدها[2] . . .

ـ في هذا النص تزكية واضحة لأبي يزيد البسطامي ولمكاشفته، وهذا يعني أنه يؤمن بعقيدة أبي يزيد، وبالتالي يمكننا أن نكون موقنين أنه يتبنى أقواله التي مرت فيما سبق. كما يتبنى قوله في هذا النص، الذي هو: «فانسلخت من نفسي . . .»، والذي نعرف، بعد قراءتنا لهذا الركام من أقوالهم وإشاراتهم، أنه يعني به الانسلاخ من فكرة تفريق الخلق عن الحق ومن الشعور بها.

ويقول: . . . فحينئذ يصير مُحْقاً من أهل الحقيقة . . . وإن كنتَ في حالة «حق الحق»، وهي حالة «المحو والفناء»، وهي حالة الأبدال المنكسري القلوب لأجله، الموحدين العارفين، أرباب العلوم والعقل، السادة الأمراء خفراء الخلق خلفاء الرحمن وأخلائه وأعيانه وأحبائه عليهم السلام[3] . .

ـ ما يجب الانتباه إليه: قوله: «حق الحق، المحو، الفناء، الموحدين، العارفين، خفراء الخلق وما بعدها . .»، ومن لم يعرف معناها ومرماها فعليه البدء بقراءة الكتاب من

---

(١) فتوح الغيب، ص٨ و٩.
(٢) فتوح الغيب، ص٢٥.
(٣) فتوح الغيب، ص٢٨.

أوله بوعي وحفظ.

ويقول: . . . فحينئذ يسمع نداءً من قبل الحق عز وجل من باطنه: اترك نفسك وتعـال، اتـرك الحظوظ والخلق إن أردت الخالق، واخلع نعليك «دنياك وآخرتك»، وتجرد عن الأكوان والموجودات وما سيوجد والأماني بأسرها، وتَعرَّ عن الجميع وآفْنَ عن الكل، وتطيَّب بالتوحيد، واترك الشرك، وصدِّق الإرادة[1]. . .

ويقـول: إلى متى المعـاد؟ إلى متى الحق؟ إلى متى الهوى؟ إلى متى الرعونة؟ إلى متى الدنيا؟ إلى متى الأخرة؟!!! إلى متى سوى المولى؟ أين أنت من خالقك والأشياء؟ المكوّن الأول الآخر الظاهر الباطن، والمرجع والمصدر إليه[2].

● **الملاحظات:**

قولـه: اخلع نعليـك: «دنيـاك وآخـرتـك»، وقـوله: إلى متى الآخرة؟! إذا خلعنا الآخرة! فماذا بقي لنا؟ وماذا نفعل بعشرات الآيات التي تأمرنا بالإيمان بالله واليوم الآخر؟!

وما معنى قوله سبحانه: ﴿. . . لمن كان يرجو الله و اليوم الآخر. .﴾؟!

وما معنى قوله: ﴿والآخرة خير لمن اتقى﴾؟!

وما معنى قوله: ﴿وللدار الآخرة خير للذين يتقون أفلا تعقلون﴾.

وما معنى قوله سبحانه: ﴿. . . والله يريد الآخرة﴾؟!

وما معنى قوله سبحانه: ﴿ولأجر الآخرة خير للذين آمنوا وكانوا يتقون﴾.

وما معنى قوله سبحانه: ﴿والدار الآخرة خير للذين يتقون أفلا تعقلون﴾، وقوله: ﴿ولـدار الآخـرة خير للذين اتقـوا أفلا تعقلون﴾، وقوله: ﴿ولدار الآخرة خير ولنعم دار المتقين﴾، وقوله: ﴿ومن أراد الآخرة وسعى لها سعيها وهو مؤمن﴾، وقوله: ﴿وإن الدار الآخـرة لهي الحيـوان لو كانـوا يعلمـون﴾، وقـولـه: ﴿وإن كنتن تردن الله ورسوله والدار الآخـرة﴾، وقـولـه: ﴿ومن كان يريد حرث الآخرة نزد له في حرثه﴾. . . وغيرها وغيرها

(١) فتوح الغيب، ص١٢٧.

(٢) فتوح الغيب، ص١٤٤.

من الآيات.

فهل حكمة الشيخ «الكشفية» تنسخ آيات الله؟!

وماذا في الأمر؟! فهؤلاء القوم هم المحبون المحبوبون العارفون المقربون الصديقون الواصلون الموحدون الذائقون المدللون الأولياء الصالحون الخلّص أصحاب الأسرار الذين أشرفوا على عتبة أحوال الأنبياء المتحققون بالأسماء والصفات والذات المتصرفون في الكون الأقطاب الغيوث الطيبون الراضون المرضيون المقدسون القديسون المتقون الذاكرون المحفوظون السائرون السالكون العارجون الأوتاد الأبدال الأخيار الصفوة المخلصون المختارون المصطفون المختصون بالعلوم اللدنية الداخلون في بحار الأنوار الذائقون من معاني اسمه الصمد والقيوم والعزيز والجبار والمتكبر أي المتصفون بها والمتحققون بها والعارجون بها منها فيها إليها عليها حتى يصبحوا في الغاية ﴿وأنَّ إلى ربِّك المنتهى﴾..

والأوصاف كثيرة تعجز عنها العبارات والإشارات والكلمات والحروف والجمل والسطور والمقاطع والصفحات والملازم والفصول والأبواب والكتب والمجلدات والمكتبات..

- فلا جرم، من كانت هذه نعوتهم وصفاتهم، فهم يستطيعون - ولهم الحق - التصرف والحكم بنسخ القرآن كله، وحديث رسول الله ﷺ كله، ووجود الأنبياء كلهم، وأحكام الشرائع كلها، ورسالات النبيين كلهم، بجرة قلم، أو بقولة: «كن فيكون»!! ولهم المنة والفضل والشكر والإحسان والحمد والثناء والنعمة والكرم والجود والحكم والتصرف والحكمة والعلم والكشف وما بعد الكشف وما قبل الكشف وما فوق الكشف وما تحت الكشف، وكشف الكشف، وكشف كشف الكشف، والعلم اللدني، وما فوقه وتحته وأمامه وخلفه وحوله وقبله وبعده... إلخ.

- (هذا من عدوى العلوم اللدنية).

ويقول الشيخ:

.. فبظاهره ينظر إلى ما في السوق، وبقلبه ينظر إلى ربه عز وجل، إلى جلاله

تارة وإلى جماله تارة أخرى[1].

- عرفنا فيما سبق، أن عبد القادر الجيلاني له أسلوب هو في القمة من حيث التعمية والإلغاز. وهذا نص يحمل نفس معنى الجملة التي مرت قبل صفحات: «إياك أن تقول أناه، واحذر أن تكون سواه». وأترك للقارىء تحليلها مع العلم أن أسلوب عبد القادر الجيلاني في الرمز واللغز لا يفوقه إلا أسلوب تلميذه عمر السهروردي.

ويقول: . . . ما ذُكر عن ابن عباس رضي الله عنهما في تفسير قوله تعالى: ﴿وسخر لكم ما في السماوات وما في الأرض جميعاً منه﴾، فقال: في كل شيء اسم من أسمائه، واسم كل شيء من اسمه، فإنما أنت بين أسمائه وصفاته وأفعاله، باطنٌ بقدرته وظاهرٌ بحكمته، ظهر بصفاته وبطن بذاته، حَجَبَ الذات بالصفات وحَجَبَ الصفات بالأفعال، وكشف العلم بالإرادة وأظهر الإرادة بالحركات، وأخفى الصنع والصنيعة، وأظهر الصنعة بالإرادة، فهو باطن في غيبه وظاهر في حكمته وقدرته، ليس كمثله شيء وهو السميع والبصير.

ولقد أظهر في هذا الكلام من أسرار المعرفة ما لا يظهر إلا من مشكاة فيها مصباح أمرِه برفع يد العصمة: «اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل»[2]. . . اه.

١ - نسبة هذا التفسير لابن عباس غير صحيحة.

٢ - يريد الشيخ أن يجعل ابن عباس يفسر قوله سبحانه: ﴿. . ما في السماوات وما في الأرض جميعاً منه﴾، أن السماوات والأرض جميعاً هي من الله، بمعنى هي جزء منه! لذلك جعله (ناقلًا) يقول: «في كل شيء اسم من أسمائه، واسم كل شيء من أسمائه»، ومعنى هذا واضح، فاسم «الشمس» مثلاً هو من أسماء الله! والقمر هو من أسمائه سبحانه، وكذلك كل ما في السماوات والأرض، مثل: المريخ، المشتري، الثريا، الهواء، التراب. . . ومنها الدنسيات (جل الله وعلا علوًّا كبيراً).

وهنا نرى بوضوح أن هذه العبارات «في كل شيء اسم من أسمائه واسم كل شيء من أسمائه. . .» تحمل نفس معنى قول قائلهم: «وما الكلب والخنزير إلا إلٰهنا»، وقول

---

(١) فتوح الغيب، ١٦٢.

(٢) فتوح الغيب، ص١٦٥.

الآخـر: «ولا يهولنـك صدور الكـائنـات الدنسية من سنخ القدسية» وما ماثلها مما ورد في هذا الكتاب ومما لم يرد.

ثم جعله يقـول: «فـإنـما أنت بين أسـمائه وصفاته وأفعاله». وهذا واضح أيضاً. إنه يعني: إنــك، يا مخاطب، بما أنـك موجـود بين الأشيـاء التي في الأرض، من هواء ومـاء وتراب وأحجار وغيرها، وفي السماوات، وبما أنها كلها أسماء الله وصفاته وأفعاله، إذن، فأنت بين أسـمائـه وصفـاتـه وأفعاله!! (ولا ننسى أن عبارة «أفعال الله» يعنون بها حركاته جل وعلا).

وقوله: «ظاهر بصفاته...»، يعني أن كل ما يظهر لنا ونراه ونلمسه هو صفات الله! فهـو ظاهـر بها، فالحجـر ـ مثـلاً ـ يحمـل صفـة الحجرية التي نراها وهذه الصفة الحجرية تحجب عنا حقيقة كونه من الذات!؟

ويقـول: يا هذا، الفنـاء إعـدام الخـلائق، وانقلاب طبعك عن طبع الملائكة، ثم الفنـاء عن طبـع المـلائكـة، ثم لحوقك بالمنهاج الأول، وحينئذ يسقيك ربك ما يسقيك، ويزرع فيك ما يزرع[1]؟!

ـ يفسـر كلمـة «الفنـاء»، إنها إعدام الخلائق... ثم لحوقك بالمنهاج الأول، فما هو المنهـاج الأول؟ إنـه القـول الذي يكررونه «كان الله ولا شيء معه» هذا هو المنهاج الأول! وسنراه فيما يأتي، وقد مر معنا فيما سبق.

وقـال: ثم قال لي: يا غوث الأعظم، نم عنـدي لا كنـوم العوام ترني! فقلت يا رب كيف أنـام عنـدك؟ قال: بخمـود الجسم عن اللذات.. في فنـاء ذاتك بالذات. ثم قال لي: يا غوث الأعظم، قل لأصحـابـك وأحبـابـك، من أراد منكم جنـابي فعليه باختيار الفقر، ثم فقر الفقر، فإذا تم الفقر فلا ثمَّ إلا أنا[2].

ـ ما يُنتبه له هو: «في فناء ذاتك بالذات»، و«فلا ثَمَّ إلا أنا» وهما واضحتان، فقد مرا فيما سبق بلفظها أو بمعناهما.

---

(1) فتوح الغيب، ص١٧٠.

(2) الفيوضات الربانية، ص٨.

ولكن معنا الآن عبارة جديدة، هي «فقر الفقر» التي يعني بها «إعدام فكرة الخلق» وكذلك عبارة «فإذا تم الفقر» أي فإذا تمت الغيبة عن مشاهدة الخلق على أنهم خلق.

ومما ينسب له، من قصيدة (والعارفون كلهم ينسبونها له):

وسِرِّي سِرُّ الله سارٍ بخلقه	فلذ بجنابي إن أردتَ مودتي
وأمري أمرُ الله إن قلتُ كن يكن	وكلٌّ بأمر الله فاحكم بقدرتي
وشاهدتُ ما فوق السماوات كلها	كذا العرشُ والكرسيُّ في طي قبضتي
وجودي سَرى في سِرِّ سِرِّ الحقيقة	ومرتبتي فاقت على كل رتبة
ومطلع شمس الأفق ثُم مغيبها	وأقطار أرض الله في حال خطوتي
أقلِّبها في راحتيَّ ككورة	أطوف بها جمعاً على طول لمحتي[1]

ويقول أحمد الرفاعي (الغوث):

. . . وراقبه في الخلوات والجلوات، واحمده واشكره على الفقر والغنى، واترك الأغيار، فما في الدار غيره ديار، وكن صوفيًّا صافياً[2]. . .

ويقول: الذكر حِفْظُ القلب من الوسواس، وتركُ الميل إلى الناس، والتخلي عن كل قياس، وإدراك الوحدة بالكثرة، وحسنُ ملاحظة المعنى[3]. . .

ويقول: . . . إن لله تعالى بعدد كل شيء خلقه أسماء[4]. . .

ـ علينا هنا أن نتذكر قول الجيلاني الذي مر آنفاً في هذا المعنى.

ويقول:

طلبتُ في الكون باقي كي أُهيم به	غير الحبيب، فسرُّ الحب وافاني
وقال لي: خل عنك الغير منخلعاً	عن السوى، فسوى من تَدْره فاني
فصرتُ منه لديه فيه عنه به	والغير راح بلا تَرْكي ونسياني[5]

---

(١) الفيوضات الربانية، ص٤٨ و٤٩ و٥٠.

(٢) قلادة الجواهر، ص١٥١.

(٣) قلادة الجواهر، ص١٤٨.

(٤) قلادة الجواهر، ص١٩١.

(٥) قلادة الجواهر، ص٢٣٢.

ويقـول: . . . إذا أراد الله تعـالى لعبـد أن يؤهله لهذه المنـزلـة (الغـوثيـة) وهـذه الأحـوال، أول ما يكلِّفه نفسه، فإذا داراها وأدبها وساسها واستقامت معه، كلَّفه أهله، فإذا داراهم وأحسن عشـرتهم، كلَّفـه جيرانـه ومحلتـه، فإذا داراهـم وأحسن إليهم وأقـام بحقـوقهم كلفـه أمـر بلده، فإذا أحسن إليهم وداراهم كلَّفـه جهةً من الأرض، فإذا أقام بحقوقهم وأحسن إليهم كلفه جميع الأرض، وإذا سبقت له العناية الأزلية وأحسن إليهم وداراهم وأحسن سريرته مع الله تعالى فيهم، كلفه أمور الدنيا كلها، فإذا أقام بها كلَّفه ما بين السـماء والأرض، فإن بينهـما خلقـاً كثيـراً لا يعلمهم إلا الله تعـالى، فإن هو داراهم وأحسن إليهم كلفـه ما عدا بني آدم من المخلوقـات، فإن هو داراهم وأحسن إليهم كلفـه سماء بعد سماء إلى جميع السماوات، حتى ينتهي إلى مقام الغوثية، ثم يرفع منزلته حتى تصيـر صفتـه من صفـات الحق سبحانه . . . فإذا صح لهذه الأمور، صار عينَ سرّ الله في أرضه، فيه ينزل الغيث، وبه يرفع البلاء، وبه تنزل البركات، حتى لا تنبت شجرة، ولا تخضر ورقةٌ، ولا يَطَّلِعُ الله على خلقه إلا بنظره، ولا تقطر قطرة إلا بإذنه[1] . . .

ويقول أبو يعزى المغربي[2]:

من طلب الحق من جهة الفضل وصل إليه، ومن لم يكن بالأحد لم يكن بأحد[3].

ويقـول: لا يكـون الـولي وليًّـا حقًّـا حتى يكـون له قَدَمٌ ومقـام وحال ومنازلة وسرٌّ، فالقدم ما سلكتَه من طريقك إلى الحق، والمقام ما أقرتك عليه سابقتُك في العلم الأزلي، والحال ما بعثك في فوائد الأصول لا من نتائج السلوك، والمنازلة ما خُصِّصتَ به من تحف الحضـور بنعت المشـاهـدة لا بوصف الاستتـار، والسـر ما أُودِعتَه من لطائف الأزل عند هجوم الجمع، ومحق السوى، وتلاشي ذاتك، فحفظ حكم المقام يفيد الفقه في الطريق، ويفيد الاطلاع على خبايا معانيه، وحفظ حكم الحال يفيد بسطة في التصريف لله بالله[3].

● **ملاحظة**: حبـذا لو استظهـر القارىء هذا النص، فكل جملة منه هي «عبارة» صوفية

---

(١) قلادة الجواهر، ص١٩٥.

(٢) يلنوَّر بن ميمون الهزميري، أستاذ أبي مدين، مات بالطاعون سنة ٥٧٢هـ.

(٣) طبقات الشعراني: ١ / ١٣٧.

تحمل إشارة ورمزاً.

ويقول أبو مدين المغربي (الغوث):

من لم يصلُح لخدمته شَغَلَهُ بالدنيا، ومن لم يصلُح لمعرفته شَغَلَه بالآخرة[1]!!

ـ رأينا مثل هذا الكلام قبل صفحات: (إلى متى الدنيا، إلى متى الآخرة) والجواب عليه هناك.

ويقول: إذا ظهر الحق لم يبق معه غيره[1].

ـ المعنى واضح، فالعارف الذي يظهر له الحق، يظهر له في كل شيء، فيرى كل شيء هو الحق، ولا شيء غيره؛ وما كان يظنه غيره يظهر على حقيقته أنه الحق، حيث تزول عنه الغيرية.

ويقول: علامة الإخلاص أن يغيب عنك الخلق في مشاهدة الحق[2].

ويقول: الفقر أمارةٌ على التوحيد، ودلالةٌ على التفريد، وحقيقة الفقر ألا تشاهد سواه[2].

عبارتا أبي مدين، الثانية والثالثة، يحملان نفس المعنى وبدقة.

ـ مصطلح «التوحيد» شرحه لنا الغزالي بوضوح تام؛ إنه وحدة الوجود.

ـ والتفريد هو تفريد الله بالوجود، فليس معه غيره..

ويقول: الجمع ما أسقط تفرقتك، ومحا إشارتك، والوصول استغراقُ أوصافك، وتلاشي نعوتك[3].

ـ المعنى واضح، إذ معنى «الجمع والتفرقة» أصبح معروفاً، وما بقي يمكن فهمه بسهولة.

ويقول:

---

(١) من كتاب «أبو مدين الغوث»، ص٥٩.

(٢) أبو مدين الغوث، ص٦٠.

(٣) أبو مدين الغوث، ص٨٤.

فلا تلم السكران في حال سكره — فقد رُفع التكليف في سكرنا عنا
ويا عاذلي كرِّرْ عليَّ حديثهم — فأَعيُننا منهم وأَعينُهم لنا[1]

ـ وواضح ما يعني بضمير الغائبين في «حديثهم، منهم، أعينهم» إنه إشارة إلى الحق سبحانه.

ويقول:

فالكل دون الله إن حققته — عدمٌ على التفصيل والإجمال
فالعارفون فنوا ولما يشهدوا — شيئاً سوى المتكبر المتعال
ورأوا سواه على الحقيقة هالكاً — في الحال والماضي والاستقبال[2]

ـ هذه الأبيات تذكرنا بأقوال الغزالي، فهي هي بحروفها وكلماتها، كما نفهم منها معنى «وحدة الشهود».

ويقول شهاب الدين السهروردي البغدادي:

. . . فقلب الصوفي مجرد عن الأكوان، ألقى سمعَه، وشهد بصرُه، فسمع المسموعات وأبصر المبصرات، وشاهد المشهودات، بتخلّصِه إلى الله تعالى، واجتماعه بين يدي الله؛ والأشياء كلُّها عند الله، وهو عنده، فسمع، وشاهد فأبصر، وسمع جملها، ولم يسمع ويشاهد تفاصيلها، لأن الجمل تدرك لسعة عين الشهود، والتفاصيل لا تدرك لضيق وعاء الوجود، والله تعالى هو العالم بالجمل والتفاصيل[3].

ويقول: . . . قال الله تعالى: ﴿إن في ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد﴾، قال: . . . قال بعضهم: لمن كان له قلب سليم من الأغراض والأمراض. قال الحسين بن منصور: «لمن كان له قلب لا يخطر فيه إلا شهود الرب»[4]. . .

ـ إنه يستشهد بالحلاج، وبتفسير الحلاج، وحكمة الحلاج، إذن، فهو يؤمن

---

(1) أبو مدين الغوث، ص١١١.
(2) أبو مدين الغوث، ص١١٢.
(3) عوارف المعارف هامش الإحياء: ١ / ٢١٧.
(4) العوارف: ١ / ٢١٣.

بالحلاج وعقيدته وأقواله، وهذا واضح .

ويقول (في دعاء) :

. . . يا دهر يا ديهور يا ديهار، يا أبد يا أزل، يا من لم يزل ولا يزال ولا يزول، هو يا هو، لا إله إلا هو، يا من لا هو إلا هو، يا من لا يعلم ما هو إلا هو، يا كان يا كينان، يا روح، يا كائن قبل كل كون، يا مكوناً لكل كون، أهيا، أشراهيا، أدوناي، أصبؤت، يا مجلىٰ عظائم الأمور[1] . . .

ـ الكلمات : «أهيا، أشراهيا . . .» هي كلمات عبرية، وفيها إشارة إلى أثر اليهودية في الصوفية .

وقال : . . . وقال بعضهم : الروح (وهي غير الروح التي في الجسد) لطيفة تسري من الله إلى أماكن معروفة، لا يعبر عنه بأكثر من موجود بإيجاد غيره . . .»[2]

ـ ما هي هذه الأماكن المعروفة، سنعرفها فيما بعد!

وقال : . . . والصوفي صفا عن هذه البقية (رؤية الخلق) في طرفي العمل، والتركِ للخلق، وعَـزْلِهم بالكليـة، ورآهم بعين الفناء والزوال، ولاح له ناصية التوحيد، وعاين سرَّ قولـه : ﴿كـلُّ شيء هالـكٌ إلا وجهـه﴾ كما قال بعضهم في بعض غلبـاتـه : ليس في الدارين غير الله . . .»[3]. اه .

ـ بالـرغم من أن الأسلوب الإشـاري عنـد عمـر السهروردي هو في القمة العليا من حيث الرمز واللغز، ولكن العبارة خانته في هذه الفقرة، فكانت وحدة الوجود فيها واضحة تماماً، كما أنها، في الفقرات السابقة، واضحة لمن عرف لغة القوم .

ويقول عبد السلام بن مشيش[4] (الغوث) في صلاته :

---

(١) العوارف : ٤ / ١٩ .

(٢) العوارف : ٤ / ١٨٢ .

(٣) العوارف : ١ / ٣٢٤ .

(٤) أبو محمد عبد السلام بن مشيش، أو بشيش، أحد الأئمة العارفين، كان يسكن مغارة في رأس جبل في المغرب، مات عام ٦٢٢هـ، ومن تلامذته أبو الحسن الشاذلي .

اللهم صل على من منه انشقت الأسرار، وانفلقت الأنوار وتنزلت علوم آدم . . . ولا شيء إلا وهو به منوط، إذ لولا الواسطة لذهب كما قيل الموسوط . . . اللهم إنه سرُّك الجامع الدالّ عليك، وحجابك الأعظم القائم لك بين يديك . . . وزُجَّ بي في بحار الأحدية، وانشلني من أوحال التوحيد، وأغرقني في عين بحر الوحدة، حتى لا أرى ولا أسمع ولا أحس إلا بها[1] . . .

● **الملاحظة:**

يلاحظ هنا أنه يستعمل كلمة «التوحيد» بمعناها الإسلامي، أي توحيد الله، ويجعلها أوحالاً، وهو يصرح بالوحدة.

وقال مخاطباً تلميذه أبا الحسن الشاذلي:

يا أبا الحسن، حدّدْ بصر الإيمان، تجد الله في كل شيء، وعند كل شيء، ومع كل شيء، وقبل كل شيء، وبعد كل شيء، وفوق كل شيء، وتحت كل شيء، وقريباً من كل شيء، ومحيطاً بكل شيء، بقربٍ هو وصفه، وبحيطةٍ هي نعته، وعَدِّ عن الظرفية والحدود، وعن الأماكن والجهات، وعن الصحبة والقرب في المسافات، وعن الدور بالمخلوقات، وامحق الكل بوصفه الأول والآخر والظاهر والباطن، وهو هو هو، كان الله ولا شيء معه، وهو الآن على ما عليه كان[2].

ويقول تاج العارفين أبو الوفا[3]:

. . . الذكر ما غَيّبك عنك بوجوده، وأَخذك منك بشهوده، فإن الذكر شهود الحقيقة وخمود الخليقة[4] . . اه.

- يعني أبو الوفا بكلامه أن الذكر لا يكون ذكراً إلا إذا أنتج ما بَيَّنه لك (. . . ما غيبك . . وأخذك . . .).

---

(١) النفحة العلية في أوراد الشاذلية، ص١٦.

(٢) إيقاظ الهمم، ص٤٠ و ٢٠١.

(٣) كردي عراقي من أهل النصف الأول من القرن السادس الهجري.

(٤) طبقات الشعراني: ١ / ١٣٥.

ويقول الشيخ عقيل المنبجي[1]:

. . . فإذا جاء الفضــل، قل إلٰهي فَضْلُك لصنعـك بلا أنـا، فإذا شئتَ فقد حصل لك عنـد الخشــوع عبودية، وعند الدلال توحيد، فعبوديتك بفقرك إليه، ودلاله أنه ما ثم غيره، فإذا جاءت الإلٰهيـة «قـل الله ثم ذرهم في خوضهم يلعبـون»، فبمجـاهـدة الهوى تعرفه، وبخروجك عن الخلق توحده[2]. . اه. (لاحظ عبارة «فإذا جاءت الإلٰهية»).

ويقول الشيخ علي بن الهيتي[3]:

كل من كوشف بالحقيقة، أو شاهد الحق، أو اختُطِف عن مَشاهِدِه بوجود الحق، أو استُهلك في عين الجمع، أو لم يشهد سوى الحق تعالى، أو لم يحس سوى الحق، إلى آخر ما يعبرِّ عنه معبرٍّ، أو يشير إليه مشير، أو ينتهي إليه علم، فإنما هي شواهد الحق، وحق مَّن الحق له، وكلُّ ما بدا على الخلق فذاك مما يليق بالخلق[4]. . .

ـ وحدة الوجود واضحة في قول أبي يعزى «عند هجوم الجمع ومحق السوى وتلاشي ذاتك»، وفي قول المنبجي: «. . إنه ما ثَم غيره، فإذا جاءت الإلٰهية. . .».

أمـا الهيتي فيـورد عدةً من العبـارات المـرمـوزة التي تشير إلى وحدة الوجود، يقدمها للسالك الواصل ليستعملها في أحاديثه وكتاباته، وليتدرب على إنشاء العبارات المماثلة، ويجدر بالقارىء الكريم أن يستظهرها ليزداد تمرساً باللغة الصوفية.

ويقول عبد الرحمن الطفسونجي[5]:

---

(١) شيخ شيوخ الشام في وقته، ولد في قرية في الشرق، وانتقل منها «طيراناً» إلى منبج، ومات فيها، ولم أقف على تاريخ وفاته، لكن من الذين تخرجوا بصحبة عدي بن مسافر، فيكون من أهل النصف الأول من القرن السادس.

(٢) الطبقات الكبرى للشعراني: ١ / ١٣٦.

(٣) نسبة إلى هيت على الفرات، من أكابر مشايخ العراق، ينسب إلى القطبية العظمى، سكن رزيران ومات بها عام ٥٦٤هـ.

(٤) الطبقات الكبرى للشعراني: ١ / ١٤٥.

(٥) نسبـة إلى طفسـونـج، بلدة بأرض العـراق، من أكـابـر مشايخ العراق وأعيان العارفين وصدور المقربين، مات بطفسونج مُسناً، ولم أقف على تاريخ وفاته، ولكنه معاصر لعبد القادر الجيلاني.

. . . وينسى باستيلاء ذكر ربه عليه جميعَ الإحساس، فيقال: انْدَرجَ في رؤ ية مذكوره، ويقال: فني عن نفسه، ويقال: فني بربه، ويقال: فني عن فنائه أي غفل عن ذكر غفلته عن نفسه باستيلاء ذكر ربه عليه، وصار ليس يشهد غيره، وهٰهنا يكون مصطلماً عن مَشَاهِدِه، مختطَفاً عن نفسه، ممحوًّا عن جملته، فانياً عن كله، وما دام هذا الوصف باقياً فلا تمييز ولا إخلاص ولا صدق، وهذا جمع الجمع، وعين الوجود، وهذا هو الوصول الذي يرد على أحوال التمييز والتكليف[1] . . .

ـ أقول: هذه عبارات أخرى مرموزة وملغزة تشير إلى وحدة الوجود، وتساعد على التمرس بلغة الصوفية.

ويقول الشيخ مطر الباذرائي[2]:

. . . ولذة الأرواح الشربُ بكأس المحبة من أيدي عرائس الفتح اللدني، في خلوة الوصل، على بساط المشاهدة والهيام، بين عالَم الكون، في نور العزة وقراءة ما كُتب على صفحات ألواح نسمات ذرات الوجود، بقلم التوحيد «كلا بل هو الله العزيز الحكيم»[3] اه. (أي إن ذرات الوجود هي الله العزيز الحكيم).

ويقول محيي الدين بن عربي (الشيخ الأكبر والكبريت الأحمر):

. . . فإن العارف من يرى الحق في كل شيء، بل يراه عينَ كل شيء[4].

ويقول: . . . والعارف المكمَّل من رأى كلَّ معبود مجلى للحق يُعبد فيه، ولذلك سموه كلهم إلٰهاً مع اسمه الخاص بحجر أو شجر أو حيوان أو إنسان أو كوكب أو ملك[5] . . .

---

(١) طبقات الشعراني: ١ / ١٤٦.

(٢) من أجل مشايخ العراق وسادات العارفين، من الأكراد، سكن «باذراء» قرية من أعمال النجف، وبها مات، ولم أقف على تاريخ وفاته، ولعله في الربع الأخير من القرن السادس الهجري.

(٣) طبقات الشعراني: ١ / ١٤٨.

(٤) فصوص الحكم «فص حكمة إمامية في كلمة هارونية»، ص١٩٢.

(٥) الفصوص، ص١٩٥.

ويقــول: . . . ولا يُشهَــد، ولا تدركـه الأبصـار، بل هويدرك الأبصـار، للطفـه وسريانه في أعيان الأشياء[1].

ويقول (الشيخ الأكبر نفسه):

فإن الإلٰـه المطلق لا يسعـه شيء، لأنـه عين الأشيـاء وعين نفسه، والشيء لا يقال فيه: يسع نفسه ولا لا يسعها، فافهم[2].

ويقول: . . . ﴿ونحن أقرب إليه من حبل الوريد﴾، وما خص إنساناً من إنسان، فالقـرب الإلٰهي من العبـد لا خفـاء به في الإخبـار الإلٰهي، فلا قربَ أقـربُ من أن تكون هويَّته (أي هوية الله) عينَ أعضاء العبد وقواه، وليس العبد سوى هذه الأعضاء والقوى، فهـوحقٌّ مشهـود في خلقٍ متـوهَّم، فالخلق معقـول، والحق محسوس مشهود عند المؤمنين وأهل الكشف والوجود، وما عدا هاذين الصنفين، فالحق عندهم معقول والخلق مشهود[3]. . . .

في هذا النص، يفسر لنا الشيخ الأكبر، معنى كلمة «القرب» عند الصوفية، وهذا يجعلنا نفهم بوضوح كل العبارات السابقة واللاحقة، والتي تمر معنا، والتي فيها كلمة «القرب». ونستطيع من هذا النص، فهم كلمة «الوجود» الاصطلاحية.

ويقول: . . . فمن عَرَف أن الحق عينُ الطريق، عَرَف الأمر على ما هو عليه، فإن فيه، جل وعلا، تسلُكُ وتسافر، إذ لا معلوم إلا هو، وهو عينُ الوجود، والسالكُ والمسافر[4]. . . .

ويقول الشيخ الأكبر والكبريت الأحمر أيضاً:

. . . وبالإخبار الصحيح أنه عين الأشياء، والأشياء محدودة وإن اختلفت حدودها، فهــو محدودٌ بحــدِّ كل محدود، فما يُحَدُّ شيء إلا وهـو حد الحق، فهـو الساري في مسمَّى

---

(١) الفصوص، ص١٩٦.

(٢) الفصوص، «فص حكمة فردية في كلمة محمدية»، ص٢٢٦.

(٣) الفصوص، «فص حكمة أحدية في كلمة هودية»، ص١٠٨.

(٤) الفصوص، ص١٠٩.

المخلوقات والمبدعات، ولو لم يكن الأمر كذلك ما صح الوجود، فهو عينُ الوجود، فهو على كل شيء حفيظ، بذاته، ولا يؤوده حفظ شيء، فحفظه تعالى للأشياء كلها حفظه لصورته أن يكون الشيء غير صورته، ولا يصح إلا هذا، فهو الشاهد من الشاهد، والمشهود من المشهود، فالعالم صورته، وهو روح العالم المدبِّر له، فهو الإنسان الكبير.

فهو الكون كله وهو الواحد الذي قام كوني بكونه ولذا قلت يغتذي
فوجودي غذاؤه وبه نحن نحتذي فبه منه إن نظرتَ بوجه تعوُّذي[1]

ـ في النصين الأخيرين، يستعمل كلمة «الوجود» بمعناها اللغوي، وليس بمعناها الاصطلاحي، كما في النص الذي قبلهما.

ويقول: . . . وإذا كان الحق وقايةً للحق بوجه، والعبدُ وقايةً بوجه، فقل في الكون ما شئت: إن شئت قلت هو الخلق، وإن شئت قلت هو الحق، وإن شئت قلت هو الحق الخلق، وإن شئت قلت لا حقَّ من كل وجه، ولا خلق من كل وجه، وإن شئت قلت بالحيرة في ذلك[2] . . .

ـ هذا النص يساعدنا كثيراً على فهم عبارات مرت معنا، وستمر، مثل: «أفنِ الخلق، أو أفن من لم يكن يبق من لم يزل. أو الفناء عن الصفات، أو الفناء عن الأفعال الرديئة، أو الفناء عن الكون. . .» إذ بما أن الكون هو الحق في الحقيقة، وهو خلق، أو كون بالتوهم، فإذا أفنينا الخلق، أو الكون، أو الصفات «التي تعني الخلق» بقيت الصفة التي تعني «الحق» وهذا هو معنى «الفناء في الحق».

ويقول:

فلا تنظر العينُ إلا إليه ولا يقعُ الحكم إلا عليه
فنحن له وبه في يديه وفي كل حالٍ فإنا لديه

لهذا يُنكَر ويُعرف ويُنزَّه ويوصف، فمن رأى الحق منه فيه بعينه فذلك العارف، ومن رأى الحق منه فيه بعين نفسه فذلك غير العارف، ومن لم ير الحق منه ولا فيه وانتظر أن يراه

---

(١) الفصوص، ص١١١.
(٢) الفصوص، ص١١٢.

بعين نفسه فذلك الجاهل[1]. . .

- هذا النص يعيننا على فهم العبارات التي تمر معنا مثل: «له وبة وفي يديه ولديه»، و «منه فيه بعينه»، وما شابهها، كما يدلنا على معنى المعرفة (منه فيه بعينه «أي بعين الله»).

ويقول: . . . إن لله تجلِّيَيْن: تجلّي غيبٍ، وتجلي شهادة. فمن تجلي الغيب يُعطي الاستعداد الذي يكون عليه القلب، وهو التجلي الذاتي الذي الغيبُ حقيقتُه، وهو «الهوية» التي يستحقها بقوله عن نفسه «هو». فلا يزال «هو» له دائماً أبداً[2]. . .

- في هذا النص يشرح لنا بصراحة معنى مصطلح «الهوية»، ومصطلح «هو»، حيث نستطيع أن نفهم بوضوح تام ماذا يعنون بكلمة «هو» حيثما وردت، مثل قولهم: «لا هو إلا هو».

ويقول: . . . التجلي الشهودي في الشهادة. . . ثم رَفَعَ الحجابَ بينه وبين عبده، فرآه في صورة مُعْتقَدِه، فهو عين اعتقاده، فلا يشهدُ القلب ولا العينُ أبداً إلا صورةَ معتقده في الحق. فالحق الذي في المعتقد هو الذي وسع القلبُ صورتَه، وهو الذي يتجلى له فيعرفه. فلا ترى العين إلا الحق الاعتقادي. ولا خفاء بتنوع الاعتقادات. فمن قيَّدَه (أي في عقيدة واحدة) أنكره في غير ما قَيَّدَه به، وأقرَّ به فيما قيَّده به إذا تجلى. ومن أطلقه عن التقييد لم ينكره وأقرَّ به في كل صورة يتحول فيها، ويعطيه من نفسه قدر صورة ما تجلّى له. إلى ما لا يتناهى، فإن صور التجلي ما لها نهاية نقف عندها[3].

- يقول «الشيخ الأكبر والكبريت الأحمر» في هذا النص: إن كل الاعتقادات صحيحة، وكل المعبودات حق. . . كما يفهمنا أن الكشف تابع للقناعات الفكرية المسبقة.

ويقول: . . . فإذا نظرتَ في قوله: «كنتُ رجله التي يسعى بها، ويده التي يبطش

---

(١) الفصوص، ص١١٣.

(٢) الفصوص، «فص حكمة قلبية في كلمة شعيبية»، ص١٢٠.

(٣) الفصوص، ص١٢١.

بها، ولسانه الذي يتكلم به»[1]، إلى غير ذلك من القوى ومحلّها الذي هو الأعضاء، لم تفرق، فقلتَ: الأمر حقٌّ كله، أو خلقٌ كله، فهو خلقٌ بنسبةٍ، وهو حقٌّ بنسبة، والعينُ واحدة. فعينُ صورةِ ما تجلّى عينُ صورة من قَبِل ذلك التجلّي. فهو المتجلي والمتجلّى له. فانظر ما أعجب أمر الله من حيث هويته، ومن حيث نِسبتُه إلى العالَم في حقائق أسمائه الحسنى[2].

ويقول:

فلولاه ولولانا لما كان الذي كانا	فإنا أعبدٌ حقًّا وإن الله مولانا
وإنا عينُه فاعلم إذا ما قلت إنساناً	فلا تُحجب بإنسان فقد أعطاك برهانا
فكن حقّاً وكن خلقاً تكن بالله رحمانا	وغذّ خلقَه منه تكن رَوْحاً وريحانا
فأعطيناه ما يبدو به فينا وأعطانا	فصار الأمر مقسوماً بإياه وإيانا

فكنا فيه أكواناً وأعياناً وأزماناً[3]

ويقول: . . . ﴿لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا﴾، وإن اتفقا. فنحن نعلم أنهما لو اختلفا تقديراً لنفذ حكم أحدهما، فالنافذُ الحُكْمِ هو الإله على الحقيقة، والذي لم ينفذ حكمه ليس بإله، ومن هنا نعلم أن كل حكم يَنْفُذ اليوم في العالم أنه حكم الله عز وجل، وإن خالف الحكْمَ المقرر في الظاهر المسمى شرعاً، إذ لا ينفذ حكم إلا لله في نفس الأمر، لأن الأمر والواقع في العالَم إنما هو على حكم المشيئة الإلٰهية، لا على حكم الشرع المقرَّر، وإن كان تقريره من المشيئة، ولذلك نفذ تقريره خاصة، فإن المشيئة ليست لها فيه إلا التقرير، لا العمل بما جاء به. فالمشيئة سلطانها عظيم. . . فلا يقع في الوجود شيء ولا يرتفع خارجاً عن المشيئة، فإن الأمر الإلٰهي إذا خولف هنا بالمسمى «معصية» فليس إلا الأمْرَ بالواسطة، لا الأمر التكويني. فما خالف الله أحدٌ قط في جميع ما يفعله من حيث أمر المشيئة، فَوَقعت المخالفة من حيث أمر الواسطة، فافهم. وعلى الحقيقة، فأمر المشيئة إنما

---

(١) جزء من حديث مشهور يستغله الصوفية في غير معناه الحقيقي.

(٢) الفصوص، «فص حكمة قلبية في كلمة شعيبية»، ص١٢١.

(٣) الفصوص، «فص حكمة نبوية في كلمة عيسوية»، ص١٤٣.

يتوجه على إيجاد عين الفعل، لا على من ظهر على يديه، فيستحيل ألا يكون[1]. . .

ـ أرجو من القارىء أن يتسلى بتحليل النص بهدوء.

ويقول: . . . فإن العقل إذا تجرد لنفسه . . . وإذا أعطاه الله المعرفة بالتجلي، كملت معرفته بالله، فنزَّه في موضع وشبَّه في موضع، ورأى سريان الحق في الصور الطبيعية والعنصرية، وما بقيت له صورة إلا ويرى عينَ الحق عينَها. وهذه المعرفة التامة التي جاءت بها الشرائع المنزلة من عند الله، وحكمت بهذه المعرفة الأوهام كلها. ولذلك كانت الأوهام أقوى سلطاناً في هذه النشأة من العقول[2]. . . وبه جاءت الشرائع الإلٰهية فشبهت ونزهت، شبهت في التنزيه بالوهم، ونزهت في التشبيه بالعقل، فارتبط الكل بالكل[2]. . .

ـ في هذا النص، نتبين ماذا يعني الصوفية عندما يقولون: إن طريقهتم، أو طرقهم، مقيدة بالشريعة، فهم يفهمون الشريعة على هذا المنوال. كذلك، يتبين لنا بوضوح ما معنى عبارتهم «الكل بالكل» عندما نسمعها في مثل قولهم: «فناء الكل بالكل، أو بقاء الكل بالكل، أو وجود الكل بالكل، أو ارتباط الكل بالكل. . .».

وبتوضيح: يقولون: إن طرقهم مقيدة بالشريعة على أساس المنهج التأويلي المبيَّن بعضه في هذا النص. وأرجو من القارىء أن يحلله بنفسه بهدوء، لأن تحليل بضعة نصوص تحليلاً صحيحاً يفيد في التمكن من العبارة الصوفية أكثر من قراءة بضعة كتب.

ويقول: . . . ولما كان الاستواء الإلٰهي على القلب من باب «وسعني»[3]، صارت الألوهية غيباً في الإنسان، فشهادتُه إنسان، وغيبُه إلٰه، ولسريان الألوهية الغيبية في هذا الشخص الإنساني، ادَّعى الألوهية بالاسم الإلٰه، فقال فرعون: ﴿ما علمت لكم من إلٰه غيري﴾. . وصرح بالربوبية لكونها لا تقوى قوة الألوهية، فقال: ﴿أنا ربكم الأعلى﴾، بخلاف من قالها عن الحال، من طريق الأمر، بمساعدة المشيئة، فكان

---

(١) الفصوص، «فص حكمة وجودية في كلمة داودية»، ص١٦٥.

(٢) الفصوص، «فص حكمة إيناسية في كلمة إلياسية»، ص١٨١.

(٣) إشارة إلى الحديث القدسي الذي يقول فيه: «. . . ووسعني قلب عبدي المؤمن».

جمعاً، مثل أبي يزيد حين قال: «إنني أنا الله لا إلـه إلا أنا فاعبدوني»، وقال مرة: «أنا الله»، فلم يكن للألوهية فيه موضع فراغ ترمي سهمها فيه لكمال السريان[1]. . .

ـ في هذا النص ردٌّ ملجم للذين حاولوا، ويحاولون، خداعاً، تأويل أقوال أبي يزيد البسطامي؛ وتصريحٌ بعقيدة سريان الإلٰهية في المخلوقات.

ويقول: . . . ونحن من جانب الحقيقة، في عين ﴿ولقد خلقتك من قبل ولم تك شيئاً﴾، و﴿ولم يكن شيئاً مذكوراً﴾، فكأنا لم تكن، فلا أولية إذن ولا آخرية، إذ لا نحن، فبقي هو خاصة وهو المطلوب[1].

ـ هذه الفقرة تساعدنا وتوضح لنا معنى عبارتهم: «إذا كان كما كان قبل أن يكون»، و«كان ولم تكن وهو اليوم كما كان» و«أفن من لم يكن يبق من لم يزل» وما شابهها.

ويقول: لما كان مرتبة الإمكان بما تحويه الممكنات غيباً، ولها الظلمة، وكانت الممكنات هي التي تتعينّ في النور الوجودي، ويظهر أحكام بعضها للبعض بالحق وفيه، وهو سبحانه لا قيدَ له ولا تميز، كان المثال بالواقع في الوجود مطابقاً للأصل، فالمداد مع الدواة نظير مرتبة الإمكان وما حوته من الممكنات، من حيث إحاطة الحق بها وجوداً وعلماً، وحقائقُ الممكنات كالحروف الكامنة في الدواة، وإليه الإشارة بقوله: «كان الله ولا شيء معه»[2]، ونحوه قولي.

وليس في الغيب الذاتي الإلٰهي تعدد ولا تعين وجودي، والورق وما يُكتَب فيه كانبساط النور الوجودي العام الذي يَتعينّ فيه صور الموجودات، والكتابة سر الإيجاد والإظهار، والواسطة والآلة القلمُ الإلٰهي، والكاتب الحقُّ، من حيث كونه موجداً وخالقاً وبارئاً ومصوراً[2]. . .

ـ في هذا النص، يتبين لنا مرادهم باستعمال الأسماء الحسنى «موجد، خالق، باريء، مصور. . . وغيرها».

ويقول:

---

(١) رسائل ابن عربي، «كتاب الجلالة»، ص٥.

(٢) رسائل ابن عربي، «رسالة الشيخ إلى الإمام الرازي»، ص١٢.

أنْضِ الــركــابَ إلــى رب الــسـماوات ... وانبــذْ عن القلب أطــوارَ الكـرامـات

واعكف بشــاطيء وادي القــدس مرتقباً ... واخـلعْ نعــالـيــك تحظى بالمنــاجــاة

وغـب عن الـكـون بالأســماء متـصـفــاً ... حتى تغيبَ عن الأوصــاف بالـذات[1]

ـ بعد أن وضح لنا ابن عربي كل السر، وأكثَرَ الأساليب التي يستعملونها، نستطيع أن نعرف، بوضوح أيضاً، في هذه الأبيات، معاني العبارات الواردة فيها «أنض الركاب إلى رب السماوات» المرادفة لـ «السير إلى الله» و «العكوف بشاطيء وادي القدس» وقد عرفنا آنفاً معنى «خلع النعلين»، ونعرف الآن ما معنى «الغياب عن الكون» و «الاتصاف بالأسماء» و «الغياب عن الأوصاف بالذات»، وعلينا أن نحفظها لأنها تستعمل كثيراً كثيراً، وكلها تعني «التحقق بالألوهية»، أوبوضوح أكثر: «العمل للوصول إلى الجذبة التي تجعلك تذوق شيئاً فشيئاً معاني الألوهية، حيث تعرف، بالذوق، أن الخالق هونفس المخلوق» وهو ما يُسمَّى «وحدة الوجود».

ويقول ابن عربي أيضاً:

رأيــتُ الحــق في الأعــيــان حقّــا ... وفي الأســما فلم أره سوائــي

ولـســتُ بحــاكــم في ذاك وحــدي ... فهــذا حكــمــه في كل رائــي

وعــنــد المــثــبــتــين خلافُ هذا ... هو الــرائـي ونـحـن له المـرائي[2]

ويقول:

الخــلق تقــديــرٌ ولــيس بكــائــنٍ ... والمبْــدَعــاتُ هي الـتي تتكــون

الــروح والــكــلمات شيء واحــد ... والحـق فيــه هو الــذي يتـعــينّ[3]

ويقول:

تجســدتُ أســمائــي فكــنــتُ كثــيراً ... ولم يرني غيري فكــنــت بصــيرا

فيــا قائــلاً بالــغــير أيــن وجــودُه؟ ... وأين يكـون الغـير؟ كنتَ غيـورا[4]

---

(١) رسائل ابن عربي، «كتاب الإسرا»، ص٣٦.

(٢) الفتوحات المكية: ٣ / ٥٤٩.

(٣) الفتوحات: ٣ / ٥٥٣.

(٤) الفتوحات: ٣ / ٣٦١.

ويقول:

مَن ستر الحقَّ ولم يُفشه ... فذلك الشخص الذي قد كَفَر

* * *

تبارك الله الذي لم يزل ... يَظْهر فيما قد بدا مِن صور
فإنه منشئها دائماً ... في كل ما يَظْهر أو قد ظَهَر[1]

ويقول:

فليس إلا عينه بالخبر ... وليس إلا غيره بالبصر

* * *

إن قيل هُوْ قيل لهم ليس هُوْ ... لأنه مطلوبكم بالفِكَر
أو قيل ما هوْ. قيل هُوْ إنه ... عين الذي تشهده في البصر[2]

ويقول أيضاً:

وقد أتى في الصلاة حُكْم ... منه بتقسيمه المثاني

* * *

فقال بيني وبين عبدي ... فمن رآه فقد رآني
فلست غيراً له ولا هُوْ ... لوحدتي في الوجود ثاني[3]

ويقول:

عِنْديَّة الحق عينُ ذاته ... فهي لأشيائه خزائن
ينزل منها الذي يراه ... فهي لما يحتويه صائن
إنزاله لم يُزِله عنها ... لأنه أعينُ الكوائن[4]

وكل هذه الأبيات واضحة كل الوضوح فيما يخص عقيدة وحدة الوجود. ومعها

---

(١) الفتوحات: ٣ / ٣٧٥.
(٢) الفتوحات: ٣ / ٣٧٦.
(٣) الفتوحات: ٣ / ٥٣٥.
(٤) الفتوحات: ٣ / ١٩٣.

أبيات أترك تحليلها للقارىء ليدرب نفسه على فهم نصوصهم أينما وردت.

ويقول أيضاً:

لقد صار قلبي قابلاً كلَّ صورة	فمرعى لغزلانٍ وديرٌ لرهبان
وبيتٌ لأوثان وكعبةُ طائف	وألواحُ توراةٍ ومصحف قرآن
أدين بدين الحب أنى توجهت	ركائبه فالحب ديني وإيماني[1]

- وبدهي أن هذه العقيدة تنبثق من «وحدة الوجود»، ولنعلم أنه كان ينشر هذا الكلام في زحمة الحروب الصليبية.

ويقول جلال الدين الرومي[2]، مؤسس الطريقة المولوية:

نَفْسي، أيها النور المشرق، لا تَنْءَ عني لا تَنْءَ عني
حبي، أيها المشهد المتألِّق، لا تَنْءَ عني لا تَنْءَ عني
انظرْ إلى العمامة أحكمتُها فوق رأسي
بل انظر إلى زنار زرادشت حول خصري
أحملُ الزنار، وأحملُ المخلاة[3]
لا بل أحمل النور، فلا تَنْءَ عني، لا تَنْءَ عني.
مسلمٌ أنا، ولكني نصراني وبرهمي وزرادشتي
توكلتُ عليك أيها الحق الأعلى، فلا تَنْءَ عني لا تَنْءَ عني
ليس لي سوى معبدٍ واحد، مسجداً كان أو كنيسة أو بيت أصنام
ووجهك الكريم فيه غاية نعمتي، فلا تَنْءَ عني لا تَنْءَ عني[4].

● **الملاحظات:**

- التشابه واضح بين هذا الكلام وكلام ابن عربي السابق، وعقيدة وحدة الوجود،

---

(١) ديوان ترجمان الأشواق، ومحاضرة الأبرار، ص٤٠٢.
(٢) مؤسس الطريقة المولوية، بلخي انتقل إلى سيواس، ثم إلى تركيا، ومات في قونية سنة ٦٧٢هـ.
(٣) جملة «وأحمل المخلاة» يشير بها إلى الهندوسية، لأن البراهمة منهم يحملون المخلاة للاستجداء.
(٤) في التصوف الإسلامي وتاريخه، ص٩٤.

هي التي ترى كل الأديان صحيحة، لأن كل المعبودات هي الله وكل شيء هو الله.

ـ ولنا أن ننتبه إلى قوله: «نفسي أيها النور المشرق لا تنء عني»، ثم سيره بخطابه لنفسه حتى يقول: «أيها الحق الأعلى لا تنء عني»، حيث نلاحظ أسلوباً جديداً في العبارة وتدرجها، ولننتبه إلى العبارة «لا تنء عني».

ويقول جلال الدين الرومي أيضاً:

مجهول أنا عند نفسي، بربك خبِّرني ما العمل

* * *

ولا بهذا الكون ولا ذاك، ولا في الجنة ولا النار موطني
ولا طردت من عدن ولا يزدان، ولا من آدم أخذت نسبتي
بل من مقام ما أبعده من مقام، وطريق خفي المعالم
تجردت عن بدني وروحي، فمن جديد أحيا في روح محبوبي[1].

ـ ما يجب ملاحظته قوله: «من مقام ما أبعده من مقام، وطريق خفي المعالم»، وقوله: « فمن جديد أحيا في روح محبوبي».

ويقول أيضاً:

يظهر الجمال الخاطف كل لحظة في صورة، فيَحْمِلُ القلبَ ويختفي، في كل نفسٍ يظهر ذلك الصديق في ثوب جديد، فشيخاً تراه تارة وشاباً تارة أخرى... انظر إليه وقد خرج من طينة الفخار، وانتشر في الوجود، ظهر بصورة نوح وأغرق الدنيا بدعاء منه... وفي نهاية المطاف ظهر بصورة عربي، ودان له ملك العالم... ذلك الجميل فتان القلوب قد ظهر بصورة سيفٍ في كف علي، وأصبح البتَّار في زمانه، لا لا! بل هو الذي ظهر في صورة إنسان، وصاح أنا الحق، ليس (منصور) هو الذي صُلِبَ على الدار، ولو ظن الجاهلون خلاف ذلك[2]... اهـ. (منصور هو الحلاج).

ويقول: أنا سَرِقَة اللصوص، أنا أَلَم العصا، أنا السحاب وأنت الغيث، أنا الذي

---

(١) في التصوف الإسلامي وتاريخه، ص٩٥.

(٢) في التصوف الإسلامي وتاريخه، ص١٠٥ و١٠٦.

أمطرتُ في المروج[1]. . .

ويقول على لسان قطبٍ يخاطب البسطامي :

إن الله هو ما تراه فيَّ بعين قلبك، لأنه اختارني بيتاً له، فإذا رأيتَني فقد رأيته، وطفْتَ حول الكعبة الحنفية، وإذا عبدتَني فقد عبدتَه وسبَّحت له، فلا تظنَّ أنني شيء غيره[2].

● **الملاحظة**: الكلام، وخاصة النص الأخير، هو واضح جدًّا.

ويقول الشيخ أرسلان الدمشقي[3]:

كلّك شركٌ خفي، ولا يبين توحيدك إلا إذا خرجتَ عنك، فكلما أخلصتَ يُكْشَفُ لك أنه هو، لا أنت، فتستغفر منك، وكلما وحّدْتَ بان لك الشرك، فتجدّد في كل ساعة ووقتٍ توحيداً وإيماناً، وكلما خرجتَ عنهم زاد إيمانك، وكلما خرجتَ عنك قوي يقينك. . . اليقين الأقوم في غيبتك عنك ووجودك به، فكم بين ما يكون بأمره وبين ما يكون به، إن كنت قائماً بأمره خَضَعت لك الأسباب، وإن كنتَ قائماً به تضعضعت لك الأكوان. . . ما صلُحتَ لنا وفيك بقية لسوانا، فإذا حوّلتَ السِّوى عنك، أفنيناك عنك، فصلُحْت لنا وأودعناك سرَّنا. إذا لم يبق عليك حركةٌ لنفسك كمل يقينك، وإذا لم يبق لك وجودٌ عندك كمل توحيدُك. . . إذا أفناك عن هواك بالحكمة وعن إرادتك بالعلم صرتَ عبداً صرفاً لا هوى لك ولا إرادة، فحينئذ يكشف لك، فتضمحلُّ العبودية في الوحدانية، فيفنى العبد ويبقى الرب تعالى، الشريعة كلها قبض، والعلم كله بسط، والمعرفة كلها دلال. . . إذا زال هواك يكشف لك عن باب الحقيقة، فتفنى إرادتك، فيكشف لك عن الوحدانية، فتحققتَ به أنه هو، بلا «أنت معه». . . إن جئت بلا «أنت» قَبِلَك، وإن جئت بك حجبك. . . الخلق حجاب، وأنت حجاب، والحق ليس بمحجوب، وهو محتجب عنك بك، وأنت محجوب عنك بهم، فانفَصِلْ عنك تشهده، والسلام[4]. اهـ.

---

(١) في التصوف الإسلامي وتاريخه، ص١٥٢.

(٢) في التصوف الإسلامي وتاريخه، ص١٥٧.

(٣) مات في دمشق سنة ٥٤١هـ.

(٤) مقتطفات من رسالة الشيخ أرسلان من كتاب «شروح رسالة الشيخ أرسلان».

ـ في هذا النص، يبيِّن الشيخ أرسلان أن التحقق بالألوهية لا يكون إلا بنسيان كل شيء على الإطلاق، حتى الإحساس بالذات، وهذا مثل قولهم: «اخلع نعليك»، وسيأتي شرح لبعض عباراته.

ويقول عمر بن الفارض:

فلم تَهْوَني ما لم تكن فيَّ فانياً ... ولم تفنَ ما لم تجتلي فيك صورتي

ـ إنه يشرح معنى «الفناء» بقوله: «تجتلي فيك صورتي»، أي: تصير صورتك صورة الله!

أمَّتُ إمامي في الحقيقة فالورى ... ورائي وكانت حيث وجَّهتُ وجهتي
يراها أمامي في صلاتيَ ناظري ... ويشهدُ في قلبي أمامَ أئمتي
ولا غرو أن صلّى الإمامُ إليَّ أن ... ثوت في فؤادي وهي قِبلةُ قِبلتي
وكل الجهات الست نحوي توجهت ... بما تمَّ من نسكٍ وحجٍّ وعمرة
لها صلواتي بالمقام أقيمها ... وأشهدُ فيها أنها ليَ صلَّتِ
كلانا مصلٍّ واحدٌ ساجدٌ إلى ... حقيقته بالجمع في كل سجدة
وما كان لي صلَّى سواي ولم يكن ... صلاتي لغيري في أدا كل ركعة[1]
فأفنى الهوى ما لم يكن ثَم باقياً ... هنا مِن صفاتٍ بيننا فاضمحلَّت
فألفيتُ ما ألقيتُ عني صادراً ... إليَّ ومني وارداً بمزيدتي
خرجتُ بها عني إليها فلم أعُدْ ... إليَّ ومثلي لا يقول برجعة[2]
جَلَت في تجليها الوجودَ لناظري ... ففي كل مرئيٍّ أراها برؤية
وأشهدتُ عيني إذ بدت فوجدتُني ... هنالك إياها بجلوة خلوتي
ففي الصحو بعد المحو لم أك غيرها ... وذاتي بذاتي إذ تحلت تجلت
فوصفيَ إذ لم تُدْعَ باثنين وصفُها ... وهيأتُها إذ واحدٌ نحن هيأتي
فإن دُعيت كنتُ المجيب وإن أكن ... منادى أجابت من دعائي ولبَّت
وإن نَطَقَت كنتُ المناجي كذاك إن ... قصصتُ حديثاً إنما هي قصت

---

(١) تذكرنا هذه الأبيات بتائية الغزالي.

(٢) يريد بقوله «ومثلي لا يقول برجعة» أنه ليس شيعيًّا، وفيه تورية.

فقــد رُفــعَــت تاء المـخــاطب بيـنـنــا | وفي رفْـعهــا عن فرقــة الفــرق رفعتي
فإن لم يجوّز رؤيــة اثــنـين واحــداً | حجــاك ولم يثـبــت لبــعــد تثـبُّـت
سأجــلو إشـــاراتٍ عليــك خفـيــةً | بها كعــبــاراتٍ لديــك جليــة

* * *

ومــا شانَ هذا الشأنَ منك سوى السـوى | ودعـــواه حقًّــا عنــك إن تُمحَ تُثـبــت
كذا كنت حينــاً قبــل أن يكشف الغِطــا | من الــلَّبس لا أنــفــك عن ثَنــويــة
أروح بفــقــد بالــشــهــود مؤلِّــفــي | وأغــدو بوجــد بالــوجــود مشــتِّــتي
يفــرقــني لبِّي الـتــزامــاً بمـحـضـري | ويَجْـمَـعُـني سلبـي اصطــلامــاً بغيبتي
ومــن فاقــتي سكــراً غنــيــت إفــاقــةً | لدى فرقيَ الثــاني فجمعي كوحــدتي
فجــاهــد تشــاهــدْ فيك منك وراء ما | وصفتُ سكــونــاً عن وجــود سكينــة
وفــارقْ ضلال الـفــرقِ فالجمــعُ مُنتــجٌ | هدى فِرقــة بالاتحــاد تحدّت
وصــرِّحْ بإطــلاق الجــمال ولا تقــل | بتــقــيــيــده ميــلاً لزخــرف زيـنــة

من معاني البيت الأخير: كل شيء هو الله وكل العقائد صحيحة، وكل معبود هو الله..

ومــا زلــتُ إيــاهــا وإيــاي لم تزل | ولا فرقَ بل ذاتــي لذاتــي أحــبّــت
ولــيس معــي في المــلك شيء سواي والـ | معــيــة لم تخطــر على أَلْمــعــيَّــتي

نفي المعية في هذا البيت يوضح أنه لا يريد من كلمة «الاتحاد» حيثما أوردها إلا «الوحدة»:

ولـكــن لصــدِّ الـضــدِّ عن طعنــه على | عُلا أولــيــاء المـنـجــدين بنـجــدتي
رجــعــتُ لأعــمال الـعــبــادة عادةً | وأعــددتُ أحــوال الإرادة عدتــي

في البيتين الأخيرين اعتراف جريء من الشيخ بأنه كان قد قطع العبادة، ثم رجع إليها لتكون «عادة» لا عبادة، وليصد بها الأضداد (أهل الشريعة) عن الطعن على الأولياء مثله. وهذا مثل قول الغزالي الذي مر في صفحة سابقة تماماً.

وهــذبــت نفسـي بالــريــاضــة ذاهبــاً | إلى كشف ما حُجْبُ العــوائــد غطَّت

متـى حِلْتُ عن قولي «أنـا هي» أو أقـل ، وحـاشـا لمثـلي «أنهـا فيَّ حلَّت»
منـحـتـك علماً إن تُرِدْ كشـفـه فَرِدْ سبيـلي واشـرع في اتبـاع شريـعتي
فنبـعُ صداءٍ من شرابٍ نقيـعُـه لديَّ فدعـني من سرابٍ بقـيـعـة

واضح أنه يعني بقوله: «سراب بقيعة» كل ما ليس من سبيله ولا من شريعته التي هي «وحدة الوجود»، وبذلك تكون الشريعة الإسلامية هي من «السراب بقيعة».

وكـل الـورى أبـنـاء آدم غير أنـ ـيَ حزت «صحو الجمع» من بين إخوتي
ومـن «أنـا إيـاهـا» إلـى حيث «لا إلى» عرجت وعطـرت الـوجـود برجـعتي
وغـيري على الأغيـار يُثْـني ولـلسـوى سواي يثَـنِّي منـه عطـفـاً لعطـفـتي
ومـبـدأ إبـداهـا الـلذان تسـبـبـا إلـى فرقـتي والجمـع يأبـى تشتـتي
هما مَعَـنـا في باطـن الجـمـع واحـدٌ وأربـعـةٌ في ظاهـر الـفـرقِ عُدَّت

- يبين في البيت الأخير وما قبله معنى الجمع والفرق.

ولم ألـهُ بالـلاهـوت عن حكم مظهـري ولم أَنْسَ بالـنـاسـوت مظهـرَ حكمتي

يقول: إنه في الحكم إله وفي المظهر إنسان، وإنه يعي ذلك ولم ينسه.

تحققـتُ أنَّـا في الحـقـيـقـة واحـد وأثـبتَ «صحْـوُ الجمـع» محوَ التشتت
إذا ما أزال الـسـتْرَ لم تر غيره ولم يبـق بالأشـكـال إشـكـال ريـبـة
فأشـكـالُـه كانـت مظـاهرَ فعـله بسـترٍ تلاشـت إذ تجلى وولـت

- يقول: إن فعل الله هو أشكاله التي يظهر بها والتي تتلاشى عندما يتجلى.

تنـزهـتُ في آثـار صنـعـي منـزِّهـاً عن الـشـرك بالأغيـار جمعي وأُلفتي
فبـي مجلس الأذكـار سمـعُ مطـالـعٍ ولي حانـة الخـمار عينُ طليـعـة
ومـا عقـدَ الـزنـارَ حكـماً سوى يدي وإن حُلَّ بالإقـرار بي فهـي حَلَّتِ
وإن نار بالـتـنـزيـل محرابُ مسـجـدٍ فما بار بالإنـجـيـلِ هيكـل بيعـة
وأسـفـارُ توراة الـكـلـيـم لقـومـه يناجـي بها الأحـبـارُ في كل ليـلة
وإن خرّ للأحـجـار في الـبـدِّ عاكـفٌ فلا وجـه للإنـكـار بالـعـصـبـيـة
فقـد عبـد الـديـنـارَ معـنـى منـزهٌ عن الـعـار بالإشـراك بالـوثـنـيـة

ومـا زاغــت الأبـصـــار من كلِّ ملَّةٍ ... ومـا زاغــت الأفــكــار في كل نحـلة

ومـا اختــارَ مَنْ للشمس عن غرةٍ صبـا ... وإشـراقُــهــا من نور إسـفــارِ غُرَّتـي

وإن عَبَــدَ الـنــارَ المجـوسُ ومـا انطفت ... كما جاء في الأخـبـار في ألـف حجـة

فما قصــدوا غيري وإن كان قصــدهــم ... سواي وإن لم يُظـهــروا عقــد نيـتي[1]

ـ يقـول: كل شيء حق، وكـل العبادات حق، وكل العقائد حق، فعابد البد «أي الصنم» وعـابـد النـار والنصراني واليهودي والمسلم كلهم على حق. وعلينا أن نلاحظ أن هذه الأقوال قيلت في زحمة الحروب الصليبية.

ويقول ابن سبعين في الرسالة النورية مخاطباً تلميذه:

وجميع ما توجّهَ الضميرُ إليه اذكره به ولا تبال، وأي شيء يخطر ببالك سمّه به. مَنْ اسمُه «الوجود» كيف يُخَصّ بأسماء منحصرة؟ هيهات! الله لا اسم له إلا الاسم المطلق أو المفروض، فإن قلت: نسميه بما سمى به نفسه أو نبيه، يقال لك: من سمى نفسه «الله» قال لك: أنا كل شيء، وجميع من تنادي أنا. وقد يصعب عليك هذا، فعسى أن تُسَلِّم أنه معك بالعلم والفعل، فإذا سلَّمت هذا تُسَلِّم أن الذي استجاب لك هو الوجود، فإذا سلَّمت ذلك فعجِّل بذلك، ولا تكن كذلك، فما يحقُّ لك ذلك؛ يا هالك يا مالك انظر مِنْ حالك، وقل بعد ذلك: يا حق يا أبد يا راحم يا أحد يا أكبر يا واجبَ الوجود، الذي الـوجـود ووحـدتـه واحـد، يا ماهيـة كلِّ ماهيـة، يا آنيـةَ كلِّ آنيـة. لا شيء عندي إلا أنـت. . . . لأن الكـذب لا يجوز على الله، ولا مع الله، ولا شيء أكـذب من لســان الإضـافـة، ولا شرك أقبـح من شركها. . . ولا يعتبر المحقّق في ذلك إلا الله، وبُدُّ البُدِّ، والهو هو[2].

ـ يعني بقـولـه: «لســان الإضـافـة» إضافة شيء إلى الله، مثل «عبدالله أو مخلوقات الله. . . » أو إضافة الله إلى شيء، مثل «خالق الكون. . ». لأن الإضافة تعني الاثنينية، أي وجود اثنين، خالق ومخلوق، وهذا عند الصوفية كذب وشرك، لأنه لا موجود إلا الله، والكون هو الله.

---

(١) هذه الأبيات من التائية الكبرى في ديوانه.

(٢) رسائل ابن سبعين، ص١٨٤.

ويقول في إحدى رسائله:

. . . واضرب عن الوهم والحس والخيال والعادة، واخرج عن لواحقك ومحمولك وموضوعك. . . واطلب واحدك بوحدتك، واخرج عن وترك الخاص بك كما خرجت عن شفعك التابع لك، حتى يبقى الواحد[1]. (أقول: هذا الكلام مثل كلام الشيخ رسلان).

وكان ابن سبعين يقول هو وأصحابه في ذكرهم: «ليس إلا الله» بدل قول المسلمين: «لا إله إلا الله»[2].

ويقول في أحد الفصول التالية لـ «ملاحظات على بد العارف»:

يا هذا، غُضَّ بصر إدراكك عن غير الله، ثم قل لنفسك: يا خسيسة المنزلة، متى ثبت سواه؟ حتى تستر يبي فيه وتغضي بصرك عنه! هو الله. . فلا هو إلا هو ولا يمكن غير ذلك[3]. اهـ.

- أرجو الانتباه والتدقيق في معنى العبارة الأخيرة: «. . . ولا يمكن غير ذلك».

ويقول: . . . لو كان فيهما موجود غير الله، لكان الله، وبالوهم لفسدت[4]. . .

ويقول:

كم ذا تُموِّه بالشِّعبين والعلم ... والأمر أوضح مِنْ نارٍ على علم
وكم تُعبِّر عن سَلعٍ وكاظمةٍ ... وعن زرودٍ وجيران بذي سلم
ظللتَ تسأل عن نجدٍ وأنت بها ... وعن تهامة! هذا فعل مُتَّهِمِ
في الحي حيٌّ سوى ليلى فتسأله ... عنها؟! سؤالك وهمٌ جرَّ للعدم[5]

ويقول:

ليس مَنْ فوَّه بالوصل له ... مثلَ مَنْ سِيرَ به حتى وصل

---

(1) رسائل ابن سبعين، ص٢٦١.
(2) ابن سبعين وفلسفته الصوفية، ص١٦٧.
(3) رسائل ابن سبعين، ص٢٥٧.
(4) رسائل ابن سبعين، (كتاب فيه حكم ومواعظ).
(5) ابن سبعين وفلسفته الصوفية، ص١٢٩.

لا ولا الـواصـل عنـدي كالـذي	قرع الـبـاب ولـلدار دخـل
لا ولا الـداخـل عنـدي كالـذي	سارروه وهــو للسـر محلّ
لا ولا من سارروه كالـذي	صار إيـاهـم فدع عنـك الـعـلل
فمـحَـوْه عنـه فيـهـم فانـمـحـى	ثم لما أثـبـتـوه لم يزل
ذاك شيء عَلِقَ الـقـلبُ به	لو تجلّى ذاك للخـلق قَتَـلْ[1]

ويقول في «رسالة الإحاطة»:

. . . ربٌّ مالك، وعبدٌ هالك، ووهم حالك، وحق سالك، وأنتم ذلك! اختلط في الإحاطة الزوج مع الفرد، واتَّحد فيه النجو مع الورد، واتفق فيه السقر مع القر. وبالجملة السبت هو يوم الأحد، والمَوَحِّد هو عين الأحد، ويوم الفرض هو يوم العرض، والذاهب من الزمان هو الحاضر، والأول في العيان هو الآخر، والباطن في الجَنان هو الظاهر، والمؤمن في الجِنان هو الكافر، والغني هو الولي، والفقير هو الغني، وهذه وحدات حكمية، لا أحداث وهمية[2].

يريد بقوله: «عبد هالك»، أي: لا وجود للعبد؛ والنجو هو الغائط.

ويقول في إحدى رسائله:

الله فقط، الله المستعان والمستعين. والإعانة معنىً فيه في كونه معيناً ومستعيناً، الحمد لله في الأزل والأبد ولي المجد، ومن هو بهما عينُ الحامد والحمد. . . ولا حول ولا قوة إلا بالساري بذاته في أفعاله عن أسمائه بصفاته، أحبَّ فتسمّى بالحي وأحاط فتسمَّى بالعالم . . . هو عين كل ظاهر، فحُقَّ له أن يتسمى بالظاهر، وهو معنى كل معنى فحق له أن يتسمى بالباطن[3]. . . .

ويقول في رسالة ثانية:

استمع لما يوحى ويستقرا . . . من أبصر مقصودَه كفَّ عن سِواه لأنه سَواه، وشرْطُ مَنْ سُرِّي واستوى قطع وهم السوى. فمَنْ قَرَّبه الله يقول: الله فقط . . . ويحرر قضيته

---

(1) ابن سبعين وفلسفته الصوفية، ص١٢٩

(2) رسائل ابن سبعين، ص١٤٣.

(3) رسائل ابن سبعين، ص١٩٠.

البسيطة بإطلاق الهوية على الآنية[1]...

ـ للتذكير: الهوية من قولهم: «هو» إشارة إلى الله سبحانه. والآنية إشارة إلى المخلوقات التي هي تعينات.

ويقول الششتري[2]:

ما للحجاب مكانٌ في وجودكم — إلا بسرِّ حروف «انظر إلى الجبل»[3]
أنتم دللتم عليكم منكمُ ولكم — ديمومةٌ عبَّرت عن غامض الأزل
عرَّفتمُ بكمُ هذا الخبيرَ بكم — أنتم هُمُ يا حياة القلب يا أملي[4]

ويقول «زجلاً»:

لقد أنا شيء عجيب — لمن رآني — أنا المحب والحبيب — ليس ثَم ثاني
يا قاصداً عينَ الخبر — غطَّاه أيْنُك — الخمر فيك والخبر — والسرُّ عندك
ارجع لذاتك واعتبر — ما ثمَّ غيرك[5]

ويقول أيضاً:

لقد فشا سرِّي — بلا مقال — وقد ظهر عني — في ذا المثال
ترى وجودَ غيري — من المحال — وكلُّ ما دوني — خيالٌ فيَّ
متحد فيَّ — كل شيْ — أنا هو المحبوب — وأنا الحبيب
والحب لي مني! — شيء عجيب! — وحدي أنا فافهم — سرِّي غريب
فمَنْ نظَر ذاتي — رآني شيْ — وفي حُلا ذاتي — طواني طيْ
صفاتي لا تخفى — لِمَن نظر — وذاتي معلومة — تلك الصّورْ

---

(1) رسائل ابن سبعين، ص٢٣.
(2) أبو الحسن علي النميري الششتري، أندلسي، أخذ عن ابن سبعين رحل إلى المغرب، ثم إلى مصر، حيث أسس الطريقة الششترية، مات عام ٦٦٨هـ، ودفن بدمياط.
(3) إشارة إلى الآية: ﴿قال لن تراني ولكن انظر إلى الجبل...﴾.
(4) إيقاظ الهمم، ص٤١.
(5) إيقاظ الهمم، ص٤٢.

افـنَ عن الإحـســاس ترى عِبرَ في الـســرّ والمـعـنــى خفـيــت كي
لأنه مني ستر عليّ[1]

يعلق ابن عجيبـة على هذه الأشعـار بعـد شرحهـا، فيقـول: وقد اتفقت على هذا المعنى، وهو سر الوحدة، مقالات العارفين، ومواجيد المحبين، وأشعارهم كل على قدر ذوقـه وشُـربـه، جزاهم الله عنـا وعن المسلمـين خيراً، ولا يفهم هذه العبـارات إلا أهل الأذواق والإشارات[2]. . .

ويقول الششتري أيضاً:

محبــوبي قد عمَّ الــوجــود وقـد ظهـر في بيض وســود وفي النصـارى مع اليهـود
وفي الخنــازيــر مع الـقــرود وفي الحــروف مع النقــط أفهمني قط أفهمني قط
عرفــتــه طول الـزمــان ظهــر لي في كل أوان وفي المـيــاه وفي الــدلــوان
وفي الطلوع وفي الهبوط أفهمني قط أفهمني قط[2]

ـ قولـه هنـا: «وفي الخنازير مع القرود»، هو مثل قول قائلهم: «وما الكلب والخنزير إلا إلٰهنـا»[3]، ومثـل قول ولي الله الـدهلوي: «ولا يهولنـك صدور الكائنات الدنسية من سنـخ القـدوسيـة»، ومثـل قول ابن سبعـين: «واتحـد فيـه النجـوم مع الورد»، ومثل قول مصطفى العروسي: «الظاهر في كل المراتب، الخسيس منها والشريف»، ومثل قول عبد القادر الجيلاني الذي ينسبه لابن عباس: «في كل شيء اسمٌ من أسمائه واسم كل شيء اسمه»، ومثل قول أحمد الرفاعي: «إن لله تعالى بعدد كل شيء خلقه أسماء» وغيرهم وغيرهم.

ـ وقبـل الانتقـال إلى غيره، نستشـير متصـوفة كباراً آراءهم بهذا الششتري، فمن أقوالهم فيه:

١ ـ كان الششـتري يذكـر في أزجـاله قوله: «شيوخي هم شاذلية»[4]. وكان ذلك في حياة أبي الحسن الشاذلي وتلميذه أبي العباس المرسي.

---

(١) إيقاظ الهمم، ص٤٢.
(٢) إيقاظ الهمم، ص٤٣.
(٣) النفحات الأقدسية، ص٣٣٨.
(٤) ابن سبعين وفلسفته الصوفية، ص١٧٤.

٢ ـ قَبِلَ الشاذليةُ إلى حد ما أشعاره في حضراتهم واحتضنوها[1].

٣ ـ عبّر ابن عباد الرتدي[2] في رسائله الكبرى عن إعجابه بأزجال الششتري وموشحاته، وهو ينصح مريديه الشاذلية بقراءتها، ويقول عنها: «وكلام الششتري عندي أقرب مأخذاً من كلام ابن سبعين، وأما أزجاله ففيها حلاوة وعليها طلاوة»[1].

٤ ـ شرح الشيخ أحمد زرّوق[3]، وهو من كبار الشاذلية، بعض أشعار الششتري ووصفه بقوله: «الشيخ العارف، أحد الصوفية، من أبناء الملوك ثم صار من سادات الصوفية، كان يُقرأ عليه القرآن والسنن، عارف بالحديث، وأما علم الأسرار والأنوار والحِكَم والأذواق، فحاز فيه قصب السبق[1]. . .

٥ ـ ويقول أبو العباس الغبريني[4]:

الشيخ الفقيه الصوفي الصالح العابد الأديب أبو الحسن علي النميري الششتري من الطلبة المحصّلين، ومن الفقراء المنقطعين، له معرفة بالحكمة، ومعرفة بطريق الصالحين الصوفية، وله تقدم في علم النظم والنثر على طريق التحقيق، وشعره في غاية الانطباع والملاحة، وتواشيحه ومُقَفّياته ونظمه الزجلي في غاية الحسن[5].

٦ ـ ويقول عنه ابن عجيبة الحسني:

. . . وكذلك قصة الششتري رضي الله عنه مع شيخه ابن سبعين، لأن الششتري كان وزيراً وعالماً وأبوه كان أميراً. فلما أراد الدخول في طريق القوم قال له شيخه: «لا تنال منها شيئاً حتى تبيع متاعك وتلبس قشابة وتأخذ بنديراً وتدخل السوق»، ففعل جميع ذلك، وقال له: «ما نقول في السوق». فقال: قل: «بدأت بذكر الحبيب»، فدخل السوق يضرب بنديره ويقول: «بدأت بذكر الحبيب»، فبقي ثلاثة أيام،

---

(١) ابن سبعين وفلسفته الصوفية، ص١٧٤.

(٢) محمد بن إبراهيم بن أبي بكر. . بن عباد النفري الرندي، من رندة جنوبي الأندلس من شيوخ الشاذلية توفي سنة ٧٩٢هـ، ممن تأثر به، القديس يوحنا الصليبي من صوفية المسيحيين.

(٣) الشيخ أحمد بن أحمد بن محمد بن عيسى البرنسي الفاسي الشهير بزروق، كان قطباً غوثاً، توفي سنة ٨٩٩هـ.

(٤) المؤرخ الفقيه صاحب «عنوان الدراية»، توفي سنة ٧١٤هـ.

(٥) ابن سبعين وفلسفته الصوفية، ص١٧٠.

وخُرِقَت له الحجب، فجعل يغني في الأسواق بعلوم الأذواق، ومن كلامه رضي الله عنه:

شُويخ من أرض مكناس ... في وسط الأسواق يغني
آش علي مِن الناس ... وآش على الناس مني[1]

إذن فالششتري من كبار القوم وشيوخهم وعارفيهم، يذكرون اسمه مصحوباً بـ «رضي الله عنه»، ويأخذون أقواله حكماً ونبراساً ومعارف، وما دام هو كذلك، فشهادته كافية لتزكية أي شخص عند القوم، وهو يزكي شيخه ابن سبعين، بل يقدسه ويدعوه بكعبة الحسن وكنز حياته وشمسها وبدرها ومحيي الرسم، ومُمِدّ الذات، وذات الخير، وكمية السعادة، وإكسير الذوات، ومغناطيس النفوس»[2].

ويقول أبو الحسن الشاذلي:

إنا لننظر إلى الله ببصر الإيمان والإيقان، فأغنانا عن الدليل والبرهان، وإنا لا نرى أحداً من الخلق، فهل في الوجود أحدٌ سوى الملك الحق، وإن كان ولا بد فكالهباء في الهواء، إن فتَّشتهم لم تجدهم شيئاً[3].

ـ لنلاحظ أن أبا الحسن الشاذلي يصرّح بالاستغناء عن الدليل والبرهان!؟ وطبعاً يكون الدليل والبرهان من القرآن والسنة، والحق عنده هو ما يراه بالكشف! كما أن وحدة الوجود ظاهرة في النص.

ويقول: إذا أردت الوصول إلى الطريق التي لا لون فيها فليكن الفرق في لسانك موجوداً والجمع في سرّك مشهوداً[4].

وقد مر هذا النص فيما سبق، ولننتبه إلى قوله: «التي لا لون فيها».

ويقول: . . . مِنَ الأولياء مَنْ يسكر من شهود الكأس ولم يذق بعد شيئاً، فما ظنك بعد ذوق الشراب وبعد الري؟ واعلم أن الري قل من يفهم المراد به، فإنه مزج

(١) إيقاظ الهمم، ص٢٨.
(٢) ابن سبعين وفلسفته الصوفية، ص١٧٢.
(٣) إيقاظ الهمم، ص٤٤.
(٤) طبقات الشعراني: ٢ / ٧.

الأوصاف بالأوصاف والأخلاق بالأخلاق، والأنوار بالأنوار، والأسماء بالأسماء، والنعوت بالنعوت، والأفعال بالأفعال[1]. اهـ.

ـ أي إن الري هو التحقق بالألوهية الكاملة بكل معانيها.

ويقول: أبى المحققون أن يشهدوا غير الله تعالى لما حققهم به من شهود القيومية وإحاطة الديمومية[2]. اهـ.

ـ من مثل هذا النص نعرف معنى عبارة «وحدة الشهود».

ويقول: لا يتزحزح العبد عن النار إلا إن كفَّ جوارحه عن معصية الله، وتزيَّن بحفظ أمانة الله، وفتح قلبه لمشاهدة الله، ولسانه وسرَّه لمناجاة الله، ورفع الحجاب بينه وبين صفات الله، وأشهده الله تعالى أرواح كلماته[3].

ويقول: العلوم التي وقع الثناء على أهلها، وإن جلّت فهي ظلمة في علوم ذوي التحقيق، وهم الذين غرقوا في تيار بحر الذات، وغموض الصفات، فكانوا هناك بلا هُمْ، وهم الخاصة العليا الذين شاركوا الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام في أحوالهم[4].

ـ يجب الانتباه إلى قوله: فكانوا هناك بلا «هُمْ»، الذي مر معنا مثله، وإلى العبارتين الجديدتين علينا: «غرقوا في تيار بحر الذات» و«وغرقوا في غموض الصفات». وفي النص السابق عبارة: «رفع الحجاب بينه وبين صفات الله». وهي واضحة تماماً من حيث المعنى. ثم لننتبه إلى هذا الأسلوب في محاربة العلم: «العلوم... وإن جلّت فهي ظلمة...».

ويقول: فإذا أمدَّه الله تعالى بنور ذاته، أحياه حياة باقية لا غاية لها، فينظر جميع المعلومات بنور هذه الحياة؛ ووجد نور الحق شائعاً في كل شيء، لا يشهد غيره[5]...

ـ لننتبه إلى قوله: «أحياه حياة باقية لا غاية لها»، فما هي هذه الحياة الباقية؟ المعنى

---

(1) طبقات الشعراني: ٢ / ٨.
(2) طبقات الشعراني: ٢ / ٩.
(3) طبقات الشعراني: ٢ / ١٠.
(4) طبقات الشعراني: ٢ / ١١.
(5) طبقات الشعراني: ٢ / ١٢.

واضـح، ففي حيـاتنـا الـدنيا لا حياة باقية إلا لله، فيكون معنى «أحياه حياة باقية . . »، أي: حققـه بالألوهية، ونرى مثل هذه العبارة كثيراً في نصوصهم.

ويقول: . . . فبينما هم كذلك، إذ ألبسهم ثوب العدم، فنظروا فإذا هم لا «هُمْ»، ثم أردف عليهم ظلمـة غيَّبتهم عن نظـرهم، فصـار نظـرهم عدمـاً لا علة له، فلا معرفة تتعلق به، اضمحلت المعلومـات، وزالت المـرسـومات زوالاً لا علة فيه، وبقي من أُشير إليه، لا وصف له ولا صفة ولا ذات، واضمحلت النعوت والأسماء والصفات، وكذلك فلا اسم له ولا صفة ولا ذات، فهنالك ظهر من لم يزل ظهوراً لا علة فيه، بل ظهر بسرّه لذاته في ذاته، ظهوراً لا أولية له، بل نظر مِن ذاته لذاته في ذاته، وهناك يحيا العبد بظهوره حيـاة لا علة لها، وصـار أولاً في ظهـوره، لا ظاهـراً قبله، فوجـدت الأشيـاء بأوصـافـه، وظهرت بنوره في نوره سبحانه وتعالى، ثم يغطس بعد ذلك في بحر بعد بحر إلى أن يصل إلى بحر السرّ، فإذا دخل بحر السر غرق غرقاً لا خروج له منه أبد الآباد، فإن شاء الله تعالى بعثه نائباً عن النبي ﷺ، يُحيي به عباده، وإن شاء ستره، يفعل في ملكه ما يشاء، فهذا عنبرةٌ من طريقَي الخصوص والعموم. فتنبه[1].

ويقول أبو العباس المرسي[2]، تلميذ أبي الحسن الشاذلي:

قال لي الشيخ أبو الحسن: يا أبا العباس، ما صحبتك إلا لتكون أنت أنا وأنا أنت[3].

- هذا الكـلام اعـتراف من المـرسي بأنـه يسـير على قدم أستـاذه، فهـما من عقيدة واحدة، وهذا بدهي.

ويقول: لو كان الحق سبحانه وتعالى يرضيه خلاف السنة، لكان التوجه في الصلاة إلى القطب الغوث أولى من التوجه إلى الكعبة[3].

ويقول: لو كُشف عن نور الولي لعُبد من دون الله[4]!!؟ (ولا تعليق).

---

(١) طبقات الشعراني: ٢ / ١٢.
(٢) مرت ترجمته، مات عام ٦٨٦هـ.
(٣) طبقات الشعراني: ٢ / ١٤.
(٤) إيقاظ الهمم، ص١٥٦، ولطائف المنن، ص٩٥.

ويقول ابن عطاء الله السكندري[1] في حِكَمِه:

لا ترحل مِنْ كونٍ إلى كون، فتكون كحمار الرحى، يسير، والذي ارتحل إليه هو الذي ارتحل عنه، ولكن ارحل مِنَ الأكوان إلى المكوِّن، ﴿وأن إلى ربك المنتهى﴾[2].

- قوله: «لا ترحل من كون إلى كون... ولكن ارحل من الأكوان إلى المكون» هو تماماً مثل قول عبد القادر الجيلاني الذي مر معنا: «.. إلى متى الدنيا؟ إلى متى الآخرة؟ إلى متى سوى المولى؟..» إذ المعنى واحد تماماً، وكذلك هو مثل قوله: «اخلع نعليك: دنياك وآخرتك..»، لكن يزيد عليه أن الذي يبتغي الآخرة يكون كحمار الرحى (كانت الطواحين تدار بالحمير)، إذ إن حمار الرحى يدور، يدور ثم يرجع إلى مكانه، وهكذا طالب الآخرة عند السكندري!؟

ويقول: لا تترك الذكر لعدم حضور قلبك مع الله فيه، لأن غفلتك عن وجود ذكره أشد من غفلتك في وجود ذكره، فعسى أن يرفعك مِنْ ذكر مع وجود غفلة إلى ذكرٍ مع وجود يقظة، ومِنْ ذكر مع وجود يقظة إلى ذكر مع وجود حضور، ومِنْ ذكر مع وجود حضور إلى ذكر مع غيبة عن ما سوى المذكور، وما ذلك على الله بعزيز[3].

- في هذا النص يتضح لنا معنى المصطلح «حضور» ومعنى العبارة «غيبة عن ما سوى المذكور..»، وسنشاهدهما كثيراً في كتبهم.

ويقول: إنما أورد عليك الوارد لتكون به عليه وارداً[4].

أورد عليك الواردَ ليتسلمك من يد الأغيار وليحررك مِنْ رق الآثار[4].

أورد عليك الوارد ليخرجك من سجن وجودك إلى فضاء شهودك[4].

- في هذه النصوص، يتبين لنا معنى «الوارد». وبدهيًّا، أننا الآن نعرف بدقة معنى العبارات «لتكون به عليه وارداً، ليتسلمك من يد الأغيار وليحررك من رق الآثار، ليخرجك من سجن وجودك إلى فضاء شهودك». فهي كلها تعني «شهود وحدة الوجود»،

---

(١) مرت ترجمته توفي سنة ٧٠٧هـ.

(٢) إيقاظ الهمم، ص٧٢.

(٣) إيقاظ الهمم، ص٧٩.

(٤) إيقاظ الهمم، ص٨٦.

ويعني بالآثار شهود الخلق.

ويقول: «فمَنْ رأى الكون ولم يشهده فيه أو عنده أو قبله أو بعده، فقد أعوزه وجود الأنوار، وحُجبت عنه شموس المعارف بسُحُبِ الآثار»[1].

«مما يدلّك على وجود قهره سبحانه أن حَجَبك عنه بما ليس بموجود معه»[2].

«كيف يُتصور أن يحجبه شيء وهو الذي ظهر بكل شيء»[3].

«كيف يُتَصور أن يحجبه شيء وهو الذي ظهر في كل شيء»[3].

«كيف يُتَصور أن يحجبه شيء وهو الظاهر لكل شيء»[3].

«كيف يُتصور أن يحجبه شيء وهو أظهر من كل شيء»[4].

«كيف يُتصور أن يحجبه شيء وهو الذي ليس معه شيء»[4].

ـ لنر كيف يقدم ابن عجيبة (الذي يشرح حكَم ابن عطاء الله) هذه التعجبات! إنه يقول: «. . . ثم استدل (أي ابن عطاء الله) على بطلان وجود الحجاب في حقه تعالى بعشرة أمور، متعجباً من كل واحد، لظهوره مع خفائه، أي لشدة ظهوره عند العارفين، وشدة خفائه عند الغافلين الجاهلين، فأشار إلى الأول بقوله: «كيف يُتصور أن يحجبه شيء . . .»، ومعنى هذا الكلام، أن الحجاب الذي يحجب الحق تعالى عن الغافلين الجاهلين هو الوهم فقط، لأن الحق ظاهر شديد الظهور، لكنه اختفى عن الغافلين بسبب غفلتهم وجهلهم. فهم يظنون أن المخلوقات هي غير الله. وهذا باطل عند العارفين.

ـ ويعلق ابن عجيبة على قول ابن عطاء الله: «وهو الذي أظهر كل شيء» شارحاً، فيقول:

---

(١) إيقاظ الهمم، ص٤٠.

(٢) إيقاظ الهمم، ص٤١.

(٣) إيقاظ الهمم، ص٤٣.

(٤) إيقاظ الهمم، ص٤٤، (موجودة كلها في حاشية لطائف المنن ص٦٠٣).

والظاهر هو الباطن، ما بطن في عالم الغيب هو الذي ظهر في عالم الشهادة، فحياض الجبروت متدفقة بأنوار الملكوت:

انظر جمالي شاهداً في كل إنسان الماء يجري نافذاً في أس الاغصان
تجده ماءً واحداً والزهر ألوان

يا عجباً كيف يُعرف بالمعارف من به عُرفت المعارف[1]...

ـ ويشرح قوله: «... وهو الذي ظهر بكل شيء»، فيقول: بباء الجر، أي تجلّى بكل شيء، فلا وجود لشيء مع وجوده، فكيف يحجبه شيء، والفرض أن لا شيء. قال صاحب العينية[2] رضي الله عنه:

تجليتَ في الأشياء حين خلقتَها فها هي ميطت عنك فيها البراقع[3]

ـ ويشرح قوله: «... وهو الظاهر قبل وجود كل شيء»، فيقول: فكل ما ظهر فمنه وإليه، فكان في أزله ظاهراً بنفسه، ثم تجلى لنفسه بنفسه، فهو الغني بذاته عن أن يظهر بغيره، أو يحتاج إلى من يعرفه غيره، فالكون كله مجموع، والغير عندنا ممنوع[4].

ـ ويشرح قوله: «... وهو الواحد الذي ليس معه شيء»، فيقول: لتحقُّق وحدانيته أزلاً وأبداً، كان الله ولا شيء معه، وهو الآن على ما عليه كان، أإله مع الله، تعالى الله عما يشركون، أفي الله شك، فكل ما ظهر للعيان فإنما هو مظاهر الرحمن، قال صاحب العينية:

تجلّى حبيبي في مرائي جماله ففي كل مرأى للحبيب طلائع
فلما تجلّى حسنه متنوعاً تسمّى بأسماءٍ فهنَّ مطالع

فالحق تعالى واحد في ذاته وفي صفاته وفي أفعاله، فلا شيء قبله ولا شيء بعده ولا شيء معه[4].

ـ هذا النص الأخير يبين مرادهم من قولهم: «توحيد الذات وتوحيد الصفات

(١) إيقاظ الهمم، ص٤٣.
(٢) هو عبد الكريم الجيلي المتوفى سنة ٨٠٥هـ.
(٣) إيقاظ الهمم، ص٤٣.
(٤) إيقاظ الهمم، ص٤٤.

وتوحيد الأفعال التي تعني كلها وحدة الوجود.

ويقول ابن عطاء الله:

«ما حجبك عن الله وجود موجودٍ معه، إذ لا شيء معه، ولكن حجبك عنه توهم موجودٍ معه»[1].

«مَن عرف الحقَّ شهده في كل شيء، ومن فني به غاب عن كل شيء، ومن أحبه لم يؤثر عليه شيئاً»[2].

«إنما حَجَب الحقَّ عنك شدةُ قربه منك، إنما احتجب بشدة ظهوره، وخفي عن الأبصار لعظيم نوره»[3].

قبل الانتقال من حِكم (بل نقم) ابن عطاء إلى غيرها يجب أن نعرف قيمتها عند القوم.

يقول ابن عجيبة: سُمِعَ شيخُ شيخنا مولاي العربي (أي الدرقاوي) رضي الله عنه يقول: سمعت الفقيه البناني يقول: «كادت حكم ابن عطاء الله أن تكون وحياً، ولو كانت الصلاة تجوز بغير القرآن لجازت بكلام الحكم» أو كما قال[4].

كما أنها تُدرس في مساجد المسلمين، يدرسها «علماء» لهم شهرة، ويحمل بعضهم ألقاباً علمية.

ويقول ابن عطاء الله أيضاً:

... ﴿قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن أيًّا ما تدعوا فله الأسماء الحسنى﴾، وإن تعدَّدت الأسماء، فالمقصودُ منها واحد، وهو الله، وكل الأسماء هي صفتهِ ونعته، وهو أولها وأصلها، والأسماء كلها سرت في العالم سريان الأرواح في الأجساد، وحلّت منه محل الأمر من الخلق، ولزمَته لزوم الأعراض للجواهر، فإنه ما من موجود دقَّ أو جلَّ، علا أو سفل، كثف أو لطف، كثر أو قل، إلا وأسماء الله جل وعز ذكره محيطة به عيناً ومعنى، ومقتضى

---

(1) إيقاظ الهمم، ص١٩٩.

(2) إيقاظ الهمم، ص٢٣٥.

(3) إيقاظ الهمم، ص٢٣٦.

(4) إيقاظ الهمم، ص٤.

اسم الألوهية جامع لجميعها[1]. . .

● **الملاحظة:**

قوله: «فإنه ما من موجود دقّ أو جلّ، علا أو سفُل. . . إلى آخر النص» هو مثل ما مرّ في صفحة سابقة من قولهم: «وما الكلب والخنزير إلا إلٰهنا. . . وبقية العبارات».

ويقول إبراهيم الدسوقي[2]:

من أُدخل دار الفردانية، وكُشف له عن الجلال والعظمة، بقي هو بلا هو[3]. . . .

ويقول: (وهي في الحقيقة لعامر بن عامر البصري، ولكن نوردها على أنها له احتراماً لكشف العارفين):

تجلّى لي المحبوب في كل وجهة ... فشاهدته في كل معنى وصورة

وخاطبني منّي بكشف سرائري ... فقال: أتدري من أنا؟ قلت: منيتي

فأنت مناي بل أنا أنت دائماً ... إذا كنت أنت اليوم عَينَ حقيقتي

وأنظر في مرآة ذاتي شاهداً ... لذاتي بذاتي وهي غاية بغيتي

وما شهدتْ عيني سوى عين ذاتها ... وإن سواها لا يلم بفكرتي

بذاتي تقومُ الذات في كل ذروة ... أُجدِّد فيها حلَّة بعد حلَّة

فليلى وهند والرباب وزينب ... وعلوى وسلمى بعدها وبثينة

عبارات أسماءٍ بغير حقيقة ... وما لوّحوا بالقصد إلا لصورتي[4]

ـ ومن المفيد إيراد النص التالي. . .

يقول: أنا موسى عليه السلام في مناجاته، أنا علي رضي الله عنه في حملاته، أنا كل ولي في الأرض خِلْعَته بيدي أُلبس منهم مَنْ شئت، أنا في السماء شاهدتُ ربي، وعلى الكرسي خاطبتُه، أنا بيدي أبواب النار غلقتُها، وبيدي جنة الفردوس فتحتُها، مَن زارني

(١) القصد المجرد، ص٣٣.

(٢) إبراهيم بن أبي المجد بن قريش بن الحسين بن أبي طالب، مات في مصر عام٦٧٦هـ.

(٣) طبقات الشعراني، ١ / ١٦٧.

(٤) طبقات الشعراني، ١ / ١٨٢.

أسكنته جنة الفردوس[1] . . . (ولا تعليق)!

وكتب إلى بعض مريديه، بعد السلام؛ وإنني أحب الولد وباطني خليّ من الحقد والحسد، ولا بباطني شظا، ولا حريق لظى، ولا جوى من مضى، ولا مضض غضا، ولا نكص نصا، ولا سقط نطا، ولا ثطب غطا، ولا عطل حظا، ولا شنب سرى، ولا سلب سبا، ولا عتب فجا، ولا سمداد صدا، ولا بدع رضا، ولا شطف جوا، ولا حتف حرا، ولا خمص خيس، ولا حفص عفص، ولا خفض خنس، ولا حول كنس، ولا عنس كنس، ولا عسعس خدس، ولا جيقل خندس، ولا سطاريس، ولا عيطافيس، ولا هطامرش، ولا سطامريش، ولا شوش أريش، ولا ركش قوش، ولا بسملاد نوس، ولا كتبا سمطلول الروس، ولا بوس عكمسوس، ولا انفداد أفاد، ولا قمداد أنكاد، ولا بهداد ولا شهداد[2] . . . .

وغيرها كثير من هذه الهذيانات التي يسمونها «علماً لدنيًّا».

ويقول: أشهدني الله تعالى ما في العلى وأنا ابن ست سنين، ونظرت في اللوح المحفوظ وأنا ابن ثمان سنين، وفككت طلّسم السماء وأنا ابن تسع سنين، ورأيت في السبع المثاني معجماً حار فيه الجن والإنس ففهمته وحمدت الله تعالى على معرفته، وحركت ما سكن، وسكّنت ما تحرك بإذن الله تعالى وأنا ابن أربع عشرة سنة[3].

ويقول داود الكبير بن ماخِلاّ[4]:

كلما جدد العبد المؤمن بالصدق حقيقة الإيمان، اقتضى تجديدُه ذلك فناءَ عوالم الأكوان[5].

ـ الرجاء الانتباه إلى ربطه الإيمان بفناء عوالم الأكوان، «أي وحدة الوجود».

---

(١) طبقات الشعراني، ١ / ١٨١.
(٢) طبقات الشعراني، ١ / ١٦٨.
(٣) طبقات الشعراني، ١ / ١٨٣.
(٤) الشيخ داود الكبير بن ماخلا، شيخ محمد بن وفا الشاذلي، كان شرطياً في بيت الوالي بالإسكندرية في أوائل القرن الثامن الهجري.
(٥) طبقات الشعراني: ١ / ١٩١.

ويقــول: ما ظهـر متلصِّص كونٍ إلا عنـد غيبـة حارس المعـرفـة، ولـولاهـا ما لاح متلصِّصُ كون أبـداً، وإن شئتَ قلتَ تنـويعاً لمثل التوصيل: ما لاح كوكب كونٍ إلا عند غيبة شمس المعرفة، ومتى طلعت شمس المعرفة مِنْ مشارق التوحيد أَفَلَت كواكب الآثار وغابت نجوم الأغيار[1]. . .

- عبارات جديدة نراها في هذا النص: «متلصِّص كون» يعبر بها عن التفرقة، وكأنه يقول: إن الذي يعتقد أن الكون شيء خارج عن الوحدة، إنما هو لص يسرق الكون من الوحدة. وعبارة «حارس المعرفة» التي يعني بها «مقام الجمع». وكذلك بقية العبارات.

ويقول: . . . فلسان اللسان هواء عن هواء، ولسان القلب داع إلى هدى، ولسان الغيب يشير إلى عالم المحق والفناء، وانطوى الفرع الأدنى في الأصل الأعلى[2].

- الفـرع الأدنى هو المخلوق، أو هو الإنسـان، هنـا، أو هو السـالك، إذا أردنـا التخصيص؛ والأصل الأعلى هو الحق سبحانه.

ويقول: إنما صد الناس عن العارف المحقِّق، وجود شِرْكهم، لأن العارف يدفع بهم في حضرات الجمع والتفريد، فتفرُّ نفوسهم من حر نار الأنوار إلى ظل ظلال الأغيار[3].

ويقول: لو زال منك «أنا» للاح لك مَن أنا[4].

- يعني بكلمة «أنا» الأولى، ما يسمونه في مصطلحهم بالأنية، أي الشعور بالذات كمخلوق، ويعني بـ «أنا» الثانية، ضميراً عائداً على أي متكلم كان (أو على الحق).

وكان يقول:

كلما وجّه العبد قلبه إلى الله تعالى انجمع، وكلما وجّه قلبه إلى الخلق تفرق[5].

كلُّ سببٍ فرَّقك فقد أفناك وأماتك، وكل سببٍ جَمَعك فقد أحياك وأثبتك[5].

---

(١) طبقات الشعراني: ١ / ١٩١.
(٢) طبقات الشعراني: ١ / ١٩٢.
(٣) طبقات الشعراني: ١ / ١٩٣.
(٤) طبقات الشعراني: ١ / ١٤٩.
(٥) طبقات الشعراني: ١ / ١٩٦.

ويقول محمد وفا[1] «الشاذلي الغوث» مؤسس الطريقة الوفائية:

قال لي الحق: أيها المخصوص، لك عند كل شيء مقدار، ولا مقدار لك عندي، فإنه لا يسعني غيرك، وليس مثلك شيء، أنت عينُ حقيقتي، وكل شيء مَجازك، وأنا موجود في الحقيقة، معدوم في المجاز، يا عينَ مطلعي، أنت الحد الجامع المانع لمصنوعاتي، إليك يرجع الأمر كله، وإليَّ مرجعك، لأنك منتهى كل شيء، ولا تنتهي إلى شيء، طويتُ لك الأرضين السبع في سبع من الحب والنوى، المتنوعة بالفعل إلى أصنافٍ من نباتٍ شتى، فإذا شئتَ على نشرها، أَوْلجتَ فيها جواهر السماء، اهتزت وربت وأنبتت من كل زوج بهيج «إن الذي أحياها لمحيي الموتى، وهو على كل شيء قدير»[2]. . .

ـ هذا العارف «محمد وفا» يتبع في تصريحه وتبيانه للحقيقة في هذا النص، أسلوب الحلاج والبسطامي وابن عربي وابن الفارض وغيرهم، لكن بشكل معكوس، فالحلاج قال: أنا الله، والبسطامي: أنا أنا، أو سبحاني، وهذا يقول: قال لي الحق، فالحق ـ سبحانه وتعالى عما يصفون ـ هو الذي يقول لمحمد وفا: «ليس مثلك شيء، أنت عين حقيقتي، يا عينَ مطلعي، إليك يرجع الأمر كله. .».

ويقول لسان الدين بن الخطيب:

. . . وإنما وقعت الكثرة بالتفصيل، والأمر في نفسه حقيقة واحدة وما ثم غيرها، الغدير إذا امتلأ عند المطر ملأ جباباً، ثُم لم يكن غير الغدير صباباً[3].

ويقول: . . . وأول مراتب العلم هو عين الذات، المعبَّر عنه بحقيقة الحقائق الكلية، وسريانُه في كل اعتبار، ففي الإلهية إلهيًّا، وفي الكونية كونيًّا، والكلُّ مظاهره. . . وهو قسمان: ذاتي وحْداني، يلازمه الغنى، معناه شهود الذات نفسَه مِن حيث الواحدية التي هي مظهرٌ للأحدية بجميع الاعتبارات والشؤون، معنويِّها ومثاليِّها وحسِّيِّها، دنيا

---

(١) محمد وفا، من أكابر العارفين، خاتم الأولياء، صاحب الرتبة العلية، مات سنة ٧٦٥هـ في القاهرة.

(٢) طبقات الشعراني: ٢ / ٢٢.

(٣) روضة التعريف، ص٦١١.

وبرزخاً وآخرة، دفعة واحدة، من حيث الكل في شهود الحق عيناً واحدة[1]. . .

ويقول علي وفا[2] (ابن محمد وفا) وهو غوث أيضاً:

. . . لا يصح لأحد أن يقول في استفتاحه «وما أنا من المشركين» إلا حتى لا يرى غيره، ولا المصلّى، ولا القبلة، ولا المناجى، فاجعل ربك مشهودك دون غيره[3].

من أعجب الأمور قول الحق تعالى لسيدنا موسى عليه السلام: ﴿لن تراني﴾، أي مع كونك تراني على الدوام، فافهم[3].

﴿ولذكر الله أكبر﴾، وهو شهود ذاته وحده لا شريك له، لم يكن شيء غيره فافهم[3].

- قوله: «لا يصح لأحد أن يقول: وما أنا من المشركين حتى لا يرى غيره»، هو مثل قولٍ للغزالي أرجو من القارىء أن يتسلى بالبحث عنه.

وكان يقول في قوله: ﴿ألا إنه بكل شيء محيط﴾: أي كإحاطة ماء البحر بأمواجه معنى وصورة، فهو حقيقة كل شيء، وهو ذات كل شيء، وكلُّ شيء عينُه وصفتُه، فافهم[3].

وكان يقول في حديث: «أنا عند ظن عبدي بي وأنا معه إذا ذكرني» أي: مهما تصورني به من الصور، كنتُ مُمِدَّه من أفق تلك الصورة بحكمها، فافهم[3].

وكان يقول: ما عبد عابد معبوداً إلا من حيث رأى له وجهاً إلٰهيًّا[3].

وكان يقول في حديث: «فإذا أحببته كنت سمعه»، وفي رواية: «كنتُه» ليس المراد به معنى الحدوث في نفس الأمر! لأنه كذلك بالذات، وإنما ذلك ليكون الشهود مرتباً على ذلك الشرط الذي هو المحبة، فمن حيث الترتيب الشهودي جاء الحدوث لا من حيث التقرير الوجودي، فافهم[4].

---

(١) روضة التعريف، ص٥٨١.

(٢) هو وأبوه من سلسلة الخرقة الشاذلية، مات في مصر سنة ٨٠١هـ حسب طبقات الشعراني، و٨٠٧هـ حسب جمهرة الأولياء وشذرات الذهب وغيرها.

(٣) طبقات الشعراني: ٢ / ٢٣.

(٤) طبقات الشعراني: ٢ / ٢٤.

ـ قولـه : «مـا عبـد عابد معبوداً إلا من حيث رأى له وجهاً إلٰهيًّا» يذكرنا بقول الغزالي الذي مر معنا سابقاً وبقول محيي الدين بن عربي . .

والحـديث : «كنت سمعـه» هو من حديث مشهور يستغله الصوفية أبشع استغلال، يحرفون معناه ويعطونه معنى هو في نظر الإسلام كفر.

وكان يقول (وهي عبارات تشير إلى وحدة الوجود يقدمها بين يدي القوم) :

ما عبد الله أحدٌ إلا على الغيب، لكن فَتَح لك الشرعُ الذوقي، في الذوق الشرعي المحمـدي بابـاً إلى الجمـع، بأن تشهد كل شيء من معبودك، حتى عبوديتك، فتراه هو الـذي يُجْري الأحكـام عليـك، ويُقيمهـا فيـك بقيوميته، فتصير عند شهودك هذا تعبده كأنـك تراه، لأنـك لو رأيتَـه، رأيتـه وجـودَك القـائمَ بجميـع صفـاتـك، وسمّى اللسانُ المحمدي هذا الشهودَ مقامَ الإحسان، وليس بعده إلا مقام الإيقان، وهو العيان[1]، فافهم. (أرجو الانتباه إلى معنى «الإحسان» عندهم).

وكان يقول في معنى حديث: «كنت كنزاً لا أعرف»، يعني: مرتبة التجرد «فأحببت أن أعرف فخلقت خلقاً»، أي: قدَّرت أعياناً تقديرية، وتعرفت إليهم ودللتهم على كل منهـا بكـل منهـا، «فبي عرفـوني»، أي: لأني أنـا الكـل، هذا حقيقـة هذا الكـلام في التحقيق، وله في الفرقان من معانٍ أُخَر، وكل من عند الله، فافهم[2].

وكان يشير أن يكون صدر كل كتاب هو: «بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه. . . أما بعد فإني أحمد الله الذي لا إله إلا هو، وهو هو بما هو، سيدي وربي، وهو مولاي وحسبي، ليس إلا هو[3]. . .

وكان يقول:

. . . فهو تعالى ذات كل موجود، وكل موجود صفته، وليس لها مبدأ أول إلا هو، إذ ليس بعده إلا العدم، والعدم لا يكون مبدأ، سيما لموجود[4].

---

(١) طبقات الشعراني: ٢ / ٢٧.
(٢) طبقات الشعراني: ٢ / ٣٢.
(٣) طبقات الشعراني: ٢ / ٤٠.
(٤) طبقات الشعراني: ٢ / ٤٥.

● **ملاحظة هامة :**

هذا الكـلام ينفي عن الله سبحـانـه قدرة الإيجـاد من العدم! وهو واضح للمتأمل. وقوله: «هو ذات كل موجود» هو مثل قول الآخر: «وما الكلب والخنزير. . . أو اجتمع فيه النجو مع الورد، وغيرها».

وكان يقول:

من هو بكـــل شيء محيــط، لا يسعـه شيء، هذا ومعه شيء! فكيف بمن هو كل شيء؟ ولم يكن شيء غيره، ويكفيك هذا فاصبر نفسك في جدك أو أثبت التجريد[1].

ويقول عبد الكريم الجيلي:

صفـــات الله فرقـــان وذات الله قرآن
وفـــرق الجـمـــع تحقـيـــق وجمــع الـفـــرق وجـــدان[2]

نعـرف الآن أنهم يعنـون بعبارة «صفات الله، أو أسمائه» أنها هي المخلوقات بجميع أشكالها وأنواعها.

والجيـلي هنـا، يعني بكلمـة «فـرقـان» أي مقـام التفـرقـة، أو الفرق، وهو كما نعلم «التفـريق بين الخـالق والمخلوق». ويعني بكلمـة «قـرآن» مقـام الجمع، وهو جمع الخالق والمخلوق في وحدة، هي الله، وحيثما وردت في كلام القوم عن الحقائق فيريدون بها هذا.

ويقول:

عجـبـــاً لذاك الحـــي كيـــف يُهِمُّــه قحـــطُ الـســـنين وأحمـــدُ نيســـانـــه
أوجُ الـتـعـــاظـم مركـــز الـعـــز الـــذي لِرحـــى الـعـــلا مِن حولـــه دورانـــه
ملكٌ وفـــوق الحـضـــرة الـعـليـــا على الـ عرش المـكـــين مثـبَّــتٌ إمكـــانـــه
ليس الـــوجـــودُ بأســـره إن حقـقـــوا إلا حبـــابـــاً طفـحـتْـــه دِنـــانـــه
الـكـــل فيه ومـنـــه كان وعـنـــده تفـنـى الـدهـــورُ ولم تزل أزمـــانُـــه

---

(١) طبقات الشعراني: ٢ / ٤٢.

(٢) الإنسان الكامل: ١ / ١١٣.

فالخلق تحت سما علاه كخردلٍ ... والأمرُ يُبْرِمُه هناك لسانه
والكون أجمعه لديه كخاتمٍ ... في إصبع منه أَجَلْ أكوانه
والملكُ والملكوت في تياره ... كالقطر بل مِنْ فوق ذاك مكانه
وتطيعه الأفلاك من فوق السما ... واللوحُ يُنفِذ ما قضاه بنانه
هو نقطة التحقيق وهو محيطه ... هو مركز التشريع وهو مكانه[1]

- يظهر في هذه الأبيات، وكأن الجيلي يجعل محمداً ﷺ هو الله، ولكن حقيقة الأمر ليست كذلك؟ بل هي عقيدة يؤمن بها كل الصوفية دون استثناء! ويسمونها «الحقيقة المحمدية» ويقولون: إن محمداً هو المجلى الأعظم للذات الإلٰهية، وبتعبير أوضح: «هو أعظم جزء في الذات الإلٰهية، والمسيطر على بقية الأجزاء» سبحانك اللهم.

وظن بعض الباحثين أن «الحقيقة المحمدية» هي عقيدة بعض الصوفية دون بعضهم الآخر، وأخطؤوا، فكلهم يعتقدون نفس العقيدة! وسيأتي بيان ذلك، وهي عندهم جزء من عقيدة وحدة الوجود.

ويقول:

الواحديَّة مظهر للذات ... تبدو مُجمَّعة لفرق صفات
الكل فيها واحد متكثِّرٌ ... فاعجبْ لكثرة واحدٍ بالذات
هذاك فيها عينُ ذا وكمثل ما ... نبَّاك في حُكْم الحقيقة هاتي
فهي العبارة عن حقيقة كثرة ... في وحدة مِن غير ما أشتات
كل بها في حكم كلٍّ واحدٌ ... فالنفي في ذا الوجه كالإثبات
فرقان ذات الله صورة جمعه ... وتعدد الأوصاف كالآيات
فاتلوه واقرأ منك سرَّ كتابه ... أنت المبين وفيك مكنوناتي[2]

ويقول «من العينية»:

خبتني فكانت فيَّ عني نيابة ... أجلْ عوضاً بل عينَ ما أنا واقع

---

(1) الإنسان الكامل: ١ / ٧٣.

(2) الإنسان الكامل: ١ / ٤٣.

فكنت أنا هي، وهي كانت أنا وما ... لها في وجودٍ مفردٍ من ينازع

بقيتُ بها فيها ولا تاءَ بيننا ... وحالي بها ماضٍ كذا ومضارع

وشاهدتُني حقًّا بعين حقيقتي ... فلي في جبين الحسن تلك الطلائع

فأوصافها وصفي وذاتي ذاتها ... وأخلاقها لي في الجمال مطالع

واسمي حقًّا اسمها، واسم ذاتها ... لي اسم، ولي تلك النعوت توابع[1]

ومنها:

فما ثَم من شيء سوى الله في الورى ... وما ثَم مسموع وما ثم سامع

هو العرش والكرسيّ والمنظر العلي ... هو السدرة اللاتي إليها المراجع

هو الأصل حقًّا والرسوم مع الهوى ... هو الفلك الدوار وهو الطبائع

هو النور والظلماء والماء والهوى ... هو العنصر الناري وهو الطبائع

هو الشمس والبدر المنير مع السها ... هو الأفق وهو النجم وهو المواقع

هو المركز الحكمي والأرض والسما ... هو المظلم العتام وهو اللوامع

هو الدار وهو الحي والأثل والغضا ... هو الناس والسكان وهو المرابع

هو الحكم والتأثير والأمر والقضا ... هو العز والسلطان والمتواضع

هو اللفظ والمعنى وصورة كل ما ... يجول من المعقول أو هو واقع

هو الجنس وهو النوع والفصل إنه ... هو الواجب الذاتيّ والمتمانع

هو العَرَض الطاري نعم وهو جوهرٌ ... هو المعدن الصلديُّ وهو الموائع

هو الحيوان الحي وهو حياته ... هو الوحش والإنسي وهو السواجع

هو القيس بل ليلى[2] وهو بثينة ... أجل نشرها، والخيف وهو الأجارع

هو العقل وهو النفس والقلب والحشا ... هو الجسم وهو الروح والمتدافع

هو الموجد الأشيا وعين وجودها ... وعين ذوات الكل وهو الموانع

حقائق ذات في مراتب حقه ... تسمّى باسم الخلق والخلق واسع

ونزِّهْهُ عن حكم الحلول فما له ... سوى، وإلى توحيده الأمر راجع

فيا أحديَّ الذات في عين كثرة ... ويا موجد الأشياء، ذاتُك شائع

(١) الإنسان الكامل: ١ / ٦١.

(٢) ليستقيم الوزن يجب أن تكون: «بل ليلاه».

تجليتَ في الأشياء حين خلقتها ... فها هي ميطت عنك فيها البراقع
قطعتَ الورى من ذات نفسك قطعةً ... ولم يك موصولاً، ولا فصل قاطع
فأنت الورى حقًّا وأنت إمامُنا ... وإنك ما يعلو وما هو واضع
وما الخلق في التمثال إلا كثلجة ... وأنت بها الماء الذي هو نابع
فما الثلج في تحقيقنا غير مائه ... وغيرانِ في حكم دعته الشرائع
ولكن يذوب الثلج يُرْفَع حكْمه ... ويوضعُ حكْمُ الماء والأمر واقع
تجمعت الأضداد في واحد البها ... وفيه تلاشت فهو عنهن ساطع
فكل بهاء في ملاحة صورة ... على كل قدٍّ شابه الغصن يافع
وكل اسوداد في تصافيق طرة ... وكل احمرارٍ في الطلائع صانع
وكل كحيل الطرف يقتل صبّه ... بماضٍ كسيف الهند حالٌ مضارع
وكل اسمرار في القوائم كالقنا ... عليه من الشعر الوسيم شرائع
وكل مليح بالملاحة قد زها ... وكل جميل بالمحاسن بازع
وكل لطيف جل أو دق حسنه ... وكل جليل وهو باللطف صادع
محاسن مَنْ أنشاه ذلك كله ... فوحّدْ ولا تشرك به فهو واسع
وإياك لا تلفظ بغيرية البها ... فما ثم غيرٌ وهو بالحسن بادع
وأطلق عنان الحق في كل ما ترى ... فتلك تجليات من هو صانع
وشاهده حقًّا فيك منك فإنه ... هويَّتك اللاتي بها أنت دالع
ففي، أينما، حقًّا، تولوا وجوهكم ... فما ثم إلا الله، هل مَنْ يُطالع
ودع عنك أوصافاً بها كنت عارفاً ... لنفسك فيها للإله ودائع
فقد صح في متن الحديث «تخلقوا ... بأخلاقه» ما للحقيقة مانع
وما هو سمعٌ بل لسانٌ أجلْ بدا ... لنا هكذا بالنقل أَخْبرَ شارع
فعمَّ قوانا والجوارحَ كونُه ... لساناً وسمعاً ثم رِجْلاً تسارع
ويكفيك ما قد جاء في الخلق أنه ... على صورة الرحمن، آدم واقع[1]

ـ في الأبيات الأخيرة، نرى كيف يفسرون الآية: ﴿أينما تُوَلوا فثَم وجهُ الله﴾،

(١) فتوح الغيب، ص٢٠٣ ـ ٢٠٧.

والحديث: «تخلَّقوا بأخلاق الله»، وهو حديث موضوع، وكيف يفسرون الحديث: «. . . فإذا أحببتُه كنت سمعَه الذي يسمع به، وبصرَه الذي يُبصر به ويدَه التي يبطِش بها. . .» كما نرى في الأبيات التي قبلها تقرير الشاعر أن كل شيء هو الله، ونرى استعمالهم لعبارة: «دع عنك أوصافاً. . .» أي: دع أوصافك. . .

ويقول: ثم كتب (أي الحق سبحانه) على جناح الطير الأخضر، بقلم مداد الكبريت الأحمر، أما بعد؛ فإن العظمة نار، والعلم ماء، والقوى هواء، والحكمة تراب، عناصر بها يتحقق جوهرُنا الفرد، ولهذا الجوهر عرضان؛ الأول: الأزل، والثاني: الأبد. وله وصفان؛ الوصف الأول: الحق، والوصف الثاني: الخلق، وله نعتان؛ النعت الأول: القِدَم، والنعت الثاني: الحدوث. وله اسمان؛ الاسم الأول: الرب، والاسم الثاني: العبد[1]. . .

ويقول: اعلم أن جميع حقائق الوجود، وحفظها في مراتبها، تسمى الألوهية، وأعني بحقائق الوجود: أحكم المظاهر مع الظاهر فيها، أعني الخلق والحق، فشمول المراتب الإلٰهية، وجميع المراتب الكونية، وعطاء كل حقه من مرتبة الوجود، هو معنى الألوهية[2]. . .

ويقول: . . . واعلم أن الرب في كل موجود وجهٌ كامل، وذلك الوجه على صورة ذلك الموجود، وروح ذلك الوجود على صورة محسوسة وجسد، وهذا الأمر للرب أمر ذاتي. . . وإلى ذلك الإشارة في قوله: «خلق آدم على صورة الرحمن»، وقوله: «خلق آدم على صورته»، وهذان الحديثان، وإن كانا يقتضيان معاني قد تحدثنا عليها، فإن الكشف أعطانا أنهما على ظاهر اللفظ[3]. . .

ويقول محمد بن سليمان الجزولي[4] «مؤلف دلائل الخيرات»:

. . . اللهم صل على محمد وعلى آله، بَحْرِ أنوارك ومعدن أسرارك. . . وإمام

---

(١) الإنسان الكامل: ١ / ٢٤.

(٢) الإنسان الكامل: ١ / ٣٧.

(٣) الإنسان الكامل: ٢ / ٦.

(٤) أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن . . . بن سليمان الجزولي السملالي مات سنة ٨٧٠هـ.

حضرتك[1].

. . . اللهم صل على مَن فاضت من نوره جميع الأنوار[2]. . .

. . . اللهم صل على سيـدنـا محمـد . . . إنسـانِ عينِ الـوجـود، والسببِ في كل موجود، عينِ أعيانِ خلقك[3]. . .

اللهم صل على سيـدنـا محمـد نور الـذات، وسرِّه الساري في جميع الأسماء والصفات، ﷺ[4]. . .

. . . اللهم صل على محمد الذي هو قطب الجلالة[5]. . . .

ـ هذهَ العبـارات هي صور عن «الحقيقـة المحمدية» واضحة المعنى، ووحدة الوجود واضحة فيها.

ويقـول: . . . ووفِّقْني لاتبـاعـه . . واجْمعني عليه . . . وارفع عني العلائق والعوائق والوسائط والحجاب[6]. . . يا هو، يا من لا هو إلا هو، لا إله إلا هو[7]. . .

ـ لقـد مرت هذه العبـارات في الصفحـات السـابقة وشرحت هناك. إنها كلها تعني «وحدة الوجود».

ويقول زكريا الأنصاري[8] «شيخ الإسلام»:

. . . قالوا: والفناء على ثلاثة أوجه: فناءٌ في الأفعال: «لا فاعل إلا الله»، وفناء في الصفات: «لا حي ولا عالم ولا قدير ولا مريد ولا سميع ولا بصير ولا متكلم على الحقيقة

---

(١) دلائل الخيرات، ص٧٦ و ٩٩.
(٢) دلائل الخيرات، ص٩٠.
(٣) دلائل الخيرات، ص١٠٠.
(٤) دلائل الخيرات، ص٢٣٣.
(٥) دلائل الخيرات، ص٢١٤.
(٦) دلائل الخيرات، ص١٥.
(٧) دلائل الخيرات، ص٢٢٣.
(٨) زكريا الأنصاري الخزرجي، مات في مصر سنة ٩٢٦هـ.

إلا الله»، وفناء في الذات: «لا موجود على الإطلاق إلا الله»، وأنشدوا في ذلك:

فيفنى ثم يفنى ثم يفنى فكان فناؤه عينَ البقاء[1]

● **ملاحظة**: قول الأنصاري هذا، هو أوضح ما قالوه في تعريف الفناءات.

ويقول شارحاً:

. . . وسئل الجنيد عن هذا، أعني عن قولهم: «حسنات الأبرار سيئات المقربين»، فأنشد جواباً للسائل:

طوارقُ أنوارٍ تَلُوحُ إذا بدت فتُظْهِر كتماناً وتُخبر عن جمع

أي: المقامات، أولها طوارق تلوح إذا ظهرت، ونهايتها أنها إذا قويت بعد ظهورها، أظهرت الجمع وكمال الحال وكتمان السر، فأول المقام طوارق، ونهايته جمع، وكمال حال، وكتمان سر، فأشار بالأول إلى مقام الأبرار، وبالثاني إلى مقام المقربين[2]!

ويقول عبد الرحمن العيدروس[3] في مقدمة كتابه «لطائف الجود في مسألة وحدة الوجود»[4]:

باسم الله بداية ونهاية، والحمد لله رواية ودراية، وأصلي وأسلم على الأول والآخر والباطن والظاهر وعلى آله وأصحابه الراتعين في بساتين المظاهر.

أما بعد، فهذه لطائف تتعلق بمسألة الوحدة، القائل بها أهل المعارف.

● **ما يلاحظ**:

قوله: «وأصلي وأسلم على الأول والآخر والباطن والظاهر».

نعلم أن الأول والآخر والباطن والظاهر هي من صفات الله تعالى، لكنه هنا،

---

(١) هامش الرسالة القشيرية، ص٢٨، وهامش حاشية العروسي: ٢ / ٣.

(٢) هامش حاشية العروسي: ٢ / ٣٣.

(٣) عبد الرحمن بن مصطفى العيدروس، ولد في مدينة «تريم» في حضرموت، تنقل ثم استقر في مصر ومات فيها سنة ١١٩٢هـ.

(٤) كتاب من ١٤ صفحة فقط، والكتابة في أكثر صفحاته لا تتجاوز الصفحة.

جعلها صفات للرسول ﷺ، وهذا هو ما يسمونه «الحقيقة المحمدية» إذ يعتبرون أن محمداً ﷺ هو المجلي الأعظم للذات الإلهية، أي إن أعظم ظهور الله سبحانه هو في شخص محمد ﷺ.

والملاحظة الثانية قوله: «. . . بمسألة الوحدة، القائل بها أهل المعارف»، حيث يبين لنا ماذا يعنون بمصطلح «العارف» كما يبين أن أهل المعارف يدينون بوحدة الوجود. وهو تصريح يشكر عليه.

ويقول في نفس الكتاب «اللطيفة الثالثة»:

قال الشيخ الأكبر ـ نفع الله به ـ في الباب الثامن والأربعين ومائة من «الفتوحات المكية»: الحق خلق، وما الخلق حق!

قال أهل المعرفة ـ نفع الله بهم ـ: وذلك لأن الإطلاق الحقيقي ذاتي للحق، فلا تقيِّده الأكوان بظهور تعيناتها في تجلّيه المنبسط عليها.

والخلق مقيد، والقيد ذاتي له، لأن الخلق عبارة عن تعينٍ خاصٍّ في الوجود المنبسط، اقتضته ماهيته الثابتة.

فلو ارتفع القيد لم يكن خلق، فلا يصح أن يقال: الخلق عين الحق، لأن المقيَّد الذي يكون القيد ذاتيًّا له، لا يكون عين المطلق الذي يكون الإطلاق ذاتيًّا له.

بخلاف أن يقال: الحق عين الخلق، فإنه صحيح، لأن المطلق الحقيقي لا تقيده الأكوان، فتجلّيه فيها لا ينافي التنزيه بـ ﴿ليس كمثله شيء﴾.

ـ وهكذا أخضعوا الله ـ جل وعلا ـ وصفاته لعلم الكلام.

ويقول في نفس الكتاب: «اللطيفة السادسة»:

علم وحدة الأفعال، ووحدة الصفات، ووحدة الذات، من غير مباشرة ذلك ذوقاً وكشفاً وشهوداً، ليس لغير الخاصة، وأما الخواص فلهم مباشرة ذلك كشفاً.

. . . وإذا كان السالك في مباشرة «وحدة الأفعال» قَدِرَ على طي الأرض واختراق الهواء والمشي على الماء والإشباع بالقليل مكان الكثير والارتواء بالقليل، ونحو ذلك.

وإذا كان في مباشرة «وحدة الصفات» سمع في تجلّي صفة السمع له جميع الأشياء ناطقة، من جمادٍ ونبات وحيوان، لأنه بالحق يسمع لا بنفسه، وكذلك يبصر في «تجلي صفة البصر له» جميع المُبْصَرات، ولا يحجبه شيء عن شيء، لأنه بالحق يبصر، وكذا جميع بواقيه (أي بواقي الحديث) كما ورد: فبي يبصر وبي يسمع وبي يبطش إلى آخره.

وإن كان في مباشرة «وحدة الذات» كان بحسبها، لأنها تعود الأسماءُ الذاتية عنده كالملوِّنة لون إنائه، فيتصف به (أي بالله) بقبول الألوان كلها؛ فلا يدري العبد من هو لشهود الحق بالحق بلا نسبة شهودٍ له، بل كـ ﴿شهد الله أنه لا إلٰه إلا هو﴾ و ﴿وكفى بالله شهيداً﴾ و ﴿والله على كل شيء شهيد﴾، فتتَّصل الشاهد بالشاهد في جميع المشاهد والشواهد. اهـ.

ـ **وحدة الأفعال**: أي ليس في الوجود إلا فاعل واحد، وكل فعل، كائناً ما كان، فهو فعل الواحد الذي لا فاعل غيره، وقد مر معنا معنى مصطلح «فعل الله» عندهم، يعني حركته.

ـ **وحدة الصفات**: لا يوجد إلا حي واحد وسميع واحد وبصير واحد ومتكلم واحد... فجميع الذين يتصفون بالحياة والسمع والبصر والكلام و... و... هم واحد، وهو الله.

ـ **وحدة الذات**: وهي أن يرى كل الممكنات هي من ذات الحق، ويشرحها عبد الرحمن العيدروس شرحاً أوضح عندما يقول: كـ ﴿شهد الله أنه لا إلٰه إلا هو﴾.. أي إن الواصل يشهد أنه هو نفسه الله الذي لا إلٰه إلا هو. ويشهد وحدة ذاته وذات كل شيء مع الذات الإلٰهية مثل: ﴿وكفى بالله شهيداً﴾، أي لا شهيد غيره.

ويقول محمد بن عبد الله ابن شيخ العيدروس[1]:

... فانتبه لنفسك أيها الأخ، وتقربْ إلى مولاك بالصدق، تر العجائب فيما بينك

---

(1) محمد بن عبد الله بن شيخ بن عبد الله العيدروس، ولد بمدينة «تريم» بحضرموت، وتخرج بوالده في طريق القوم، ورحل إلى الهند شابًّا حيث مات ببندرسوت عام ١٠٣١هـ حسب الإيضاح، أو سنة ١٠٠٥هـ حسب أعلام الزركلي.

وبين الوقوف على كنه الأشياء والاطلاع على أسرارها، إلى أن تنطلق من أسر هواك، وتتجرد عن علائق نفسك، فهناك تشرق عليك أنوار القبول، وتلوح عليك آثار الوصول، فإذا كنت كذلك:

بدا لك سرٌّ كان منك اكتتامُه ... ولاح صباحٌ كنتَ أنت ظلامه
وكنتَ حجابَ القلب عن سرّ غيبه ... ولولاك لم يطلع عليك ختامه
فمذ غبتَ عنه حلّ فيك وطنّبت ... على موكب الكشف المصون خيامه
وجاء حديثٌ لا يُمَلُّ سماعه ... شهيٌّ إلينا نثره ونظامه[1]

ويقول عبد القادر ابن شيخ العيدروس[2]:

السائر إلى الله تعالى تتجلى له في أثناء سلوكه أنوار وتبدو له أسرار، فإن أرادت همته أن تقف عند ما كشف لها من ذلك، لاعتقاده أنه وصل إلى الغاية القصوى، والنهاية من المعرفة، نادته هواتف الحقيقة: «المطلوب أمامك فجدّ في السير»، وإن تبرجت له ظواهر المكوَّنات بزينتها، فمال إلى حسنها وجمالها، نادته حقائقها الباطنة: «إنما نحن فتنة فلا تكفر؛ وغض عينيك عن ذلك. وأن إلى ربك المنتهى».

فلا تلتفت في السير غيراً وكلُّ ما ... سوى الله غيرٌ فاتخذ ذكره حصنا
وكلُّ مقام لا تقم فيه، إنه ... حجاب فجدّ السير واستنجد العونا
ومهما ترى كلّ المراتب تُجتلى ... عليك، فحلْ عنها فعن مثلها حلنا
وقل ليس لي في غير ذاتك مطلب ... ولا صورة تجلى ولا طرفة تجنى[3]

قال الجنيد: أدركتُ سبعين عارفاً كلهم يعبدون الله على ظن ووهم، حتى أخي أبا يزيد منهم لو أدرك صبيًّا من صبياننا لأسلم على يديه. قال سيدي أبو العباس المرسي رضي الله عنه في قوله: «يعبدون الله على ظن ووهم»، وإنما ذلك أنهم ظنوا أنه من المقامات ما لا يصلح أن يكون فوقه مقام، وليس كذلك، فلو أنهم تحققوا لعلموا أن فوق

---

(١) إيضاح أسرار علوم المقربين، ص٣١، والشعر لابن العريف صاحب الطريقة العريفية.

(٢) قطب العارفين، غوث الواصلين، محيي الدين، عمّ محمد بن عبد الله السابق، لم أقف على تاريخ وفاته.

(٣) الأبيات من قصيدة للششتري.

ذلك المقام مقاماً، إلى ما لا نهاية. قولُه «لأسلم على يديه» أي: لانقاد له؛ والإسلام الانقياد، فليكن المريد عالي الهمة والنية حتى لا يكون له التفات إلى غير الله، وتكون النية إلى هذا المقام بإرشاد الشيخ العارف الردَّاد:

ولو كان لي ما كان في الكون كله   وكانت لي الأكوان بالأمر ساجدة
لما نظرت عيني إليها وما رأت   إذا لم تكن ذاتي لذاتك واحدة

ولسيدي الحبيب الوالد شيخ ابن عبد الله العيدروس في المعنى:

لا ترتضِ بالاسم دون مُسَمَّه   إن كنت يا ندمان صبًّا عاشقاً
واعكف على حب الحبيب وذكره   في جمع جمع الجمع لا تتفرقا
وإذا نأى لك قرنه من دونه   لا ترضها وارحل ولا تتعوقا
فهناك نادتك الحقائق لا تقف   فأمامك المطلوب دُمْ متشوِّقا[1]

وقال عبد الله بن أبي بكر العيدروس[2]:

. . . فمن فني عن أفعال نفسه فهو باق بأفعال الله، ومن فني عن صفاته فهو باقٍ بصفات الله تعالى، ومن فني عن ذاته فهو باق بذات الله تعالى، كما قال بعضهم:

وقومٍ تاهوا في أرضٍ بقفر   وقوم تاهوا في ميدان حبه
فأفْنَوا ثم أُفْنَوا ثم أفْنَوا   وأبقَوْا بالبقاء بقرب ربه

فالأول، كما قالوا: فناء صفاته لبقاء صفات الحق، ثم فناؤه عن صفات الحق بشهود الحق، ثم فناؤه عن شهود فنائه باستهلاكه في وجود الحق، وهو فناء الذات في الذات، وهذه حقيقةُ ﴿قُل الله ثم ذرهم . . . الآية﴾[3].

وقال: «فصل في حقيقة عالم التوحيد المبني على التفريد بعد أداء حق التجريد»:

---

(١) غاية القرب من مجموعة «إيضاح أسرار علوم المقربين»، ص٨٥.

(٢) إمام أئمة الأولياء العارفين، مؤسس الطريقة العيدروسية، من مدينة «تريم» في حضرموت، مات فيها سنة ٨٦٥هـ.

(٣) الكبريت الأحمر والإكسير الأكبر من مجموعة «إيضاح أسرار علوم المقربين»، ص٧٦.

وهو أن يُفردك الحق بفردانيته، عند استيلاء سلطان الذكر، حتى تخرج من قشور الحروف والصوت، فتفنىٰ بسطوة بقية وجودك الذاكر، وبقية سلطنة إثباته، فثبوت المذكور عن الذكر بدوام الذكر على مقتضى قوله: ﴿اذكروني أذكركم﴾، فيصير حينئذ الذاكر مذكوراً والمذكور ذاكراً، ويستبدل الأين بالعين، والمباينة بالمعاينة، والأنيَّة بالوحدانية، وفني عن نفسه وعن غيره بالكلية في عين جمع الجمعية، فشاهَدَ الذات الحقيقة الصمدية المنزهة عن الجسمية الكثيفة واللطيفة وتوابعها ولوازمها بالكلية، ولا يرى إلا الواحد الحق أولاً وآخراً وظاهراً وباطناً، ﴿ليس كمثله شيء وهو السميع البصير﴾، هذا توحيد خواص الخواص.

. . . فالجذبة تبعده عن أنانيته وتقربه لهويته، إلى أن تورث الجذبةُ المشاهدة، فالمشاهدة أحضرته معه وغيبته عنه، إلى أن ظهر بالعيان، فالعيان يسحقه والعين تمحقه، ثم يحققه الحق ويزهق باطله، فيكاشف بأنوار غيب الغيب، فيطالع أسرار الملك والملكوت، ويتيه في تيه العظموت والجبروت، حتى تتجلى له شمس الربوبية عن سماء العبودية، فأشرقت أرض البشرية بنور ربها، ويرقى في المقام إلى تلألؤ نور الألوهية المستفاد من الله تعالى: ﴿الله نور السماوات والأرض﴾، ثم نفحة الألطاف الربوبية، وانفتح في عين الشمس باب الهوية، وانغمس فيه المنغمس، ثم لا تسأل:

قد كان ما كان مما لا أفوه به فظن خيراً ولا تسأل عن الخبر

فاستضاءت الآفاق الجسدانية بضوء الشريعة، وظهرت المشكاة النفسانية بلوامع الطريقة، وتنورت الزجاجة القلبية بأنوار حقيقة الروحانية، وأشرق الصباح الروحية بنار نور الألوهية، وبدت شجرة الوحدانية، ونوديَ موسى السرّ: ﴿أن يا موسى إني أنا الله رب العالمين﴾، فانمحت الجهات، وتلاشت الصور، وانطمس الأبعاض، وانعدمت الأجزاء، وسطعت عزة الوحدانية بتجلّي نور الصمدانية الربانية، فتدكدك جبل الإنسانية الروحانية صعقاً، فاحترقت الغيرية بنار الغيرة، وارتفعت الشركة وبقيت الوحدة، متعززاً برداء الكبرياء والعزة، متزراً بإزار العلاء والعظمة، وحده لا شريك له، ﴿كل شيء هالك إلا وجهه له الحكم وإليه ترجعون﴾، هذا أوان ﴿وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى﴾، وهذا وقت ﴿وما ينطق عن الهوى﴾، وهو سرُّ «كنت له سمعاً وبصراً ولساناً، فبي يسمع وبي يبصر وبي ينطق»، ولعمري إن هذا حال من كوشف بأسرار «كنت كنزاً

مخفيًّا» فلما كُشف الغطاء، وذهب الجفاء، ودام اللقاء ﴿فما كذب الفؤاد ما رأى﴾، وللقلب ما زوى، فرعى في رياض المعرفة . . . إذ تجافى عن المحاط المطلق المحاطِ به غيبُ الغيب المحيطُ المطلق، فتحقق له: ﴿ألا إنه بكل شيء محيط﴾.

أبان الحق ليس به خفاء وباح السرُّ وانكشف الغطاء
فنفسي زائل والروح نادت فلم يبق التكبر والصفاء
بقاء الحق أفنانا فأفنى بقاء فنائنا، ذاك البقاء
تجلت سطوة الجبروت حتى فنينا ثَمَّ إذ فني الفناء

هذا مقام المعرفة بمشاهدة الحقيقة[1] . . .

● ملاحظات:

ـ هناك أخطاء ، ية، نقلتها على شكلها الصحيح الذي يجب أن تكون عليه أنبه عليها:

ـ الجملة: «ويستبدل الأين بالعين . . . والأنية بالوحدانية»، وردت في الكتاب: «. . و . . والأينية بالوحدانية»، وهي غلطة مطبعية.

ـ «المنزهة عن الجسمية الكثيفة واللطيفة»، وردت: «الكشفية واللطيفة . .».

ـ «فالجذبة تبعده عن أنانيته وتقربه لهويته»، وردت: «. . . تبعده عن إنابته . .».

ـ «فاحترقت الغيرية بنار الغيرة . .»، وردت: «. . بنار الغيرية».

ـ «متزراً بإزار العلاء . .»، وردت: «. . مترزاً . .».

ـ «هذا أوان ما رميت إذ رميتَ . .»، وردت: «هذا وإن ما رميت إذ رميت . .».

«فلما كشف الغطاء . .»، وردت: «فلما كوشف الغطاء . .».

ويبرز لنا في هذا النص ما يلي:

أ ـ دور الجذبة في الصوفية، وأنها هي المطلب.

ب ـ ما يظهر للسالك أثناء الجذبة، وأن المشاهدة هي في الجذبة.

ج ـ وحدة الوجود التي يشاهدها في الجذبة.

---

(١) الكبريت الأحمر والإكسير الأكبر، من مجموعة «إيضاح أسرار علوم المقربين»، ص٧٦ وما بعدها.

د ـ عبارات تشير إلى وحدة الوجود وهي من عباراتهم التي يستعملونها.

هـ ـ كيف يفسرون بعض الآيات والأحاديث.

والرجاء من القارىء أن يتسلى بتحليل عبارات النص التي تشير كلها إلى وحدة الوجود.

ويقول مجدد الألف الثاني أحمد الفاروقي السرهندي[1]:

. . . وإذا قال هؤلاء الصوفية بنفسهم بأن ذات الحق سبحانه وتعالى لا يُحكم عليها بحكم؛ يكون الحكم عليها بالإحاطة والسريان مخالفاً لهذا القول، والحق أن ذاته تعالى ليس كمثله شيء، لا سبيل لحكم من الأحكام إليها أصلاً، بل في ذلك الموطنِ الحيرةُ الصرفة والجهالة المحضة، فكيف يتطرق السريان والإحاطة إليها؟ ويمكن الاعتذار من جانب الصوفية القائلين بهذه الأحكام بأن مرادهم بالذات هو التعين الأول، فإنهم لما لم يقولوا بزيادة ذلك التعيين على المتعيِّن، قالوا لذلك التعين عين الذات، وذلك التعين الأول المعبر عنه بالواحدية سارٍ في جميع الممكنات[2]. . .

ـ لتسهيل التحليل؛ يعني بالإحاطة قولهم: «الله محيط بكل شيء، أو بالممكنات»، ويشيرون بها إلى وحدة الوجود، وبالسريان قولهم: «الله سار في كل الممكنات، أو الأشياء»، ويعنون بها وحدة الوجود أيضاً. وطبعاً القول بالإحاطة هو حكم، وكذلك القول بالسريان هو حكم أيضاً، لذلك لا يقولون بها، لأن ذات الحق لا يحكم عليها بحكم.

ويعني، ويعنون بكلمة «المتعين» الجزء من الله (جل الله وعلا)، الذي تشكل أو تعين بالمخلوقات، ويقرر المجدد أنهم لم يقولوا بزيادة التعين (أي الخلق) على المتعين. فهو هو. والمتعيِّن الأول هو محمد ﷺ.

وطبعاً، هذا أسلوب جديد يقدمه المجدد لتقرير وحدة الوجود بأسلوب موهم فيه شيء من التعقيد، أرجو من القارىء أن يحلله بهدوء ليزداد تمرساً باللغة الصوفية، وليتأكد أن العقيدة عندهم تلاعب الألفاظ.

---

(١) مؤسس الطريقة المجددية النقشبندية، هندي مات سنة ١٠٣٤هـ.

(٢) المنتخبات من المكتوبات، ص١٠.

ويقول الشيخ عبد الغني النابلسي[1] في شرح رسالة الشيخ أرسلان:

واعلم أن الشرك الجليّ هو أن يَظْهر للعبد أو لغيره منه اعتقاد أن مع الله تعالى ربًّا آخر يستحق العبادة من الخلق، أو مع الله تعالى غيره موصوفاً بصفةٍ مثل صفاته تعالى، أو له فعل كأفعاله تعالى، أو اسم كأسمائه، أو حكم كأحكامه.

والشرك الخفي، هو خفاء شيء، من ذلك على العبد، وهو فيه بسبب استيلاء الغفلة على قلبه، فترى الغافل عن معرفة نفسه جازماً أنه مشارك لله تعالى في الوجود، وفي جميع الصفات التي منها السمع والبصر والعلم والحياة والقدرة والإرادة وغير ذلك؛ وفي جميع الأسماء التي منها الحليم والكريم واللطيف والعليم إلى آخره؛ وفي جميع الأفعال كالإيجاد للعبادات والإعدام للمخالفات ونحو ذلك، وفي جميع الأحكام كالجزم بالحرام والحلال على الأمور الداخلة بانفرادها وتشخصها تحت أحكام القرآن والسنة؛ ومع ذلك هو غافل عما هو فيه، غير منتبه لأمره، قاطع بأنه موجودٌ آخر مع الله تعالى، موصوف بأوصافٍ، مسمى بأسامي، له فعالٌ وأحكامٌ تصدر منه[2]. . . . اهـ.

* تبيين:

قوله: إن الشرك الجلي هو: . . اعتقاد أنه . . مع الله تعالى غيره موصوفاً بصفة مثل صفاته . . . يعني: من صفات الله، مثلاً أنه يسمع ويرى، والإنسان كذلك يسمع ويرى، فمن اعتقد أن الإنسان هو غير الله، فقد جعل لله شريكاً في السمع والرؤ ية. وهكذا بقية الأسماء والصفات، ومنها الوجود، ويجعل هذا شركاً جليًّا.

ويجعل من الشرك الخفي أن يكون هذا الاعتقاد بسبب الغفلة.

ويجعل من الشرك الخفي مثلاً، أن يظن إنسان، بسبب الغفلة، أنه مشارك لله في الوجود، فمن ظن أن الإنسان هو غير الله، فقد جعل لله شريكاً في الوجود . . وكذلك من اعتقد أن الأوثان التي تعبد هي غير الله فقد جعل لله شريكاً غيره يعبد.

ويقول عبد الغني النابلسي أيضاً شارحاً لقول الشيخ أرسلان: «فكلما أخلصتَ

---

(١) دمشقي، توفي في دمشق سنة ١١٤٣هـ.

(٢) شروح رسالة الشيخ أرسلان، ص٧٥ و ٧٦.

يُكشف لك أنه هو لا أنت. . .» :

«فكلما أخلصتَ»، أي : في خروجك عنك بأن خرجت عن هذا الخروج أيضاً. . . «يُكْشَف لك» ـ بالبناء للمفعول ـ أي يَكشِف الله تعالى لك، بأن يَظهر فيك وتجده في نفسك المعدومة، وهذا الانكشاف ليس كانكشاف الأشياء المغطاة. . . قال أحد العارفين :

توهمتُ قدماً أن ليلى[1] تبرقعت ... وأن حجاباً دونها يمنع اللثما

فلاحت فما أن ثَمَّ والله حاجب ... سوى أن طرفي كان من حسنها أعمى

أي هو كشف، لكنه ليس كما يكشف الغطاء عن الآنية، أو الستر عن الباب، بل هو أمر إذا ظهر يرى العبد أن ذلك لم يكن مستتراً بشيء، وإنما الإدراك كان ضعيفاً عن الوصول إليه، فقواه الحق، فأدرك ما كان ظاهراً : «أنه . . . هو»، أي : الله سبحانه وتعالى الموجود وحده فقط، بالوجود القديم الخاص به «لا أنت»، أي : لا وجود لك بالكلية، بل أنت عدمٌ محض حينئذ، وإن كنتَ عند ذلك على ما كنت عليه قبل ذلك، مِن غير تغيير، إلا أن بصيرتك قويت فأدركت ما لم تكن تدرك من قبل[2]. .

ويقول أيضاً :

قد بالغ في الظهور والكتمان ... حتى حارت به أولو العرفان

والسرُّ على التحقيق كالإعلان ... قد أودعه في هذه الأكوان[3]

ويقول عبد الغني النابلسي أيضاً :

أنا كل الوجود والكائنات ... أنا كل الأرواح كلُّ الذوات

أنا كل العقول بل كل شيء ... في جميع الأزمان والأوقات

ليس كل الوجود إلا أسامي ... والمسمّى بكل ذلك ذاتي

والتباسي عليك حيث لباسي ... كل شيء يلقيك في الآفات[4]

(١) يشير بكلمة «ليلى» إلى الحق سبحانه عما يصفون. (٣) شروح رسالة الشيخ أرسلان، ص١٠٧.

(٢) شروح رسالة الشيخ أرسلان، ص٨٠ و ٨١. (٤) شروح رسالة الشيخ أرسلان، ص١٧٥ و ١٧٦.

ـ وسيتسلى القارىء بتحليل هذه النصوص، وهي واضحة تماماً.

ويقول الشيخ أحمد الدردير[1] في صلواته:

. . . وزج بي في بحار الأحدية، وانشلني من أوحال التوحيد، وأغرقني في عين بحر الوحدة حتى لا أرى ولا أسمع ولا أجد ولا أحس إلا بها[2]. . .

ـ هذه الفقرة هي جزء من الصلاة المشيشية، والشيخ الدردير يتبناها، ويضعها في أول صلواته، التي هي من الأوراد الخلوتية، إذن فيمكن اعتبارها، وكأنها له.

ويقول «حرف التاء»:

. . . وصل وسلم وبارك على سيدنا محمد، وأَنْعم علينا بتجلّي الأسماء والصفات، وصل وسلم وبارك على سيدنا محمد، وأغرقنا في عين بحر الوحدة السارية في جميع الموجودات، وصل وسلم وبارك على سيدنا محمد، وأَبْقنا بك لابثاً في جميع اللحظات. . . وصل وسلم وبارك على سيدنا محمد، وأذقنا لذة تجلّي الذات، وأَدِمْها علينا ما دامت الأرض والسماوات[2].

ويقول في منظومة أسماء الله الحسنى:

وهب لي أيا رباه كشفاً مقدساً ... لأدري به سرّ البقاء مع الفنا
وجُدْ لي بجمع الجمع فضلاً ومنة ... وداوِ بوصل الوصل روحي من الضنا
ومُنَّ علينا يا ودود بجذبةٍ ... بها نلحق الأقوام مَن كان قبلنا[3]

يشرح الشيخ أحمد الصاوي هذا الكلام، فيقول:

لما كان جمع الجمع ووصل الوصل أعلى من الفناء والبقاء، ترقّى إليهما بقوله: «وجُد لي . . إلخ»، واعلم أن لهم مقاماً يقال له: «الفناء»، ومقاماً يقال له: «البقاء» و«الجمع

---

(1) أبو البركات أحمد بن محمد بن أحمد العدوي المالكي الشاذلي الخلوتي الملقب بالدردير مات في القاهرة سنة ١٢٠١هـ.

(2) كتاب الأوراد الخلوتية «الصلوات الدرديرية».

(3) الأسرار الربانية والفيوضات الرحمانية، ص١٢٥ وما بعدها.

والفرق»، ومقاماً يقال له: «جمع الجمع»، ومقاماً يقال له: «الفرق الثاني»، ومقاماً يقال له: «الوصل»، ومقاماً يقال له: «وصل الوصل».

فأما المقام الأول الذي هو الفناء، فهو استغراق العبد في الله، حتى لا يشهد شيئاً سوى ذات الله، ويقال لصاحبه: «غريق في بحار الأحدية».

وأما المقام الثاني، وهو «البقاء»، فهو الرجوع بعد الفناء إلى ثبوت الآثار، بشهود ذاتِ وصفاتِ المؤثِّر فيها، ويقال لصاحبه: «غريق في عين بحر الوحدة»، فمُشاهد الأحدية مُشاهد للذات دون الأسماء والصفات وآثارها، وهو «الفاني»، ومُشاهد الوحدة مشاهد للذات متصفةً بالأسماء والصفات، مثبتاً للآثار، جامعاً بين الحق والخلق، وهذا هو الكمال بعينه، فلذلك قالوا: «لا بد لكل فناء من بقاء، ومقام «البقاء» هذا، هو المسمى بـ «الجمع والفرق»، فجمعه شهوده لربه، وفرقه شهوده لصنعه، وأما «جمع الجمع» فهو مقام أعلى من «البقاء» وهو أن يأخذه الحق بعد بقائه، فيسكره في شهود ذاته تعالى، فيصير مستهلَكاً بالكلية عما سوى الله تعالى، فمنهم من يبقى بهذه السكرة إلى الموت، كالسيد البدوي رضي الله عنه، ولذلك قال العارفون: «إنه جُذب جذبة استغرقته إلى الأبد»، ومنهم من يُرَد إلى الصحو عند أوقات الفرائض والقيام بأمور الخلق، كالسيد الدسوقي وأضرابه والمؤلف (أي الشيخ الدردير) رضي الله عنهم، فيكون رجوعاً لله بالله لا للعبد بالعبد، وهذا الرجوع يسمى «الفرق الثاني»؛ وأما «الوصل» فهو تلذذ القلب بشهود الحق بعد زوال الحجب الظلمانية والنورانية، فإن دام له الشهود يقال له: «وصل الوصل»، أي الوصل الكامل، كقولهم: «سر السر وعين العين» مبالغة في كمال الشيء[1]...

ويقول الشيخ الدردير:

... فإذا أدركَتْه العناية الإلهية واستند إلى شيخه بالكلية ولازم المجاهدة حتى تمكن من الصفات المحمودة، وانقطع عنه عِرْق الرياء، وصارت نفسه ذليلة، واستوى عنده المدح والذم، ودخلت (أي نفسه) في مقام الفناء، ورضيت بكل ما يقع في الكون من غير اعتراض أصلاً، سُمِّيت راضية...

---

(١) الأسرار الربانية والفيوضات الرحمانية، ص١٢٥ وما بعدها.

ولكن رؤية الفناء والإخلاص ربما أوقع في شيء من الإعجاب فيرجع به القهقرى، فليستعذ بالله من ذلك، مع مداومة الذكر والالتجاء إلى الله، وملاحظة أنه لا يتم له الخلاص إلا بمدد الشيخ، فإذا فني عن الفناء، خلص من رؤية الإخلاص، وتجلّى عليه الرضا، وعفا عن كل ما مضى، وتبدلت سيئاتها (أي النفس) حسنات، وانفتح لها أبواب الأذواق والتجليات، فصارت غريقة في بحار التوحيد. . . ولذا سُميت «مرضية». . . إلا أن صاحب الهمة العلية لا يرضى بالوقوف عند هذه المقامات وإن كانت سنية، بل يسير من الفناء إلى البقاء، ويطلب «وصل الوصل» بتمام اللقاء، فتناديه حقائق الأكوان، ﴿إنما نحن فتنة فلا تكفر﴾، ﴿وأن إلى ربك المنتهى﴾، فإذا سار إلى منازل الأبطال وخلف الدنيا وراء ظهره، ناداه بأحسن مقال: ﴿يا أيتها النفس المطمئنة ارجعي إلى ربك راضية مرضية فادخلي في عبادي وادخلي جنتي﴾[1]. . . اهـ.

● **الملاحظات:**

نلاحظ في هذا النص ما يلي: - الدور الأساسي للشيخ في السير وفي الوصول. - الأوصاف التي يطلقونها على الجذبة وما بعدها (الصفات المحمودة، انقطاع عرق الرياء. . .). - دور مداومة الذكر. - عبارة «صارت غريقة في بحار التوحيد» التي تشير إلى الاستشعار الدائم لوحدة الوجود، أو للألوهية. - عدم الوقوف عند هذه المقامات، أي الغرق في التوحيد الذي هو مقام الفناء، بل يسير منه إلى البقاء بمداومة الذكر ومدد الشيخ. - يشير إلى وجوب هذا الانتقال بالعبارة «فتناديه حقائق الأكوان إنما نحن فتنة فلا تكفر».

ونعرف الآن أن العقيدة الصوفية هي أن الأكوان ليست شيئاً غير الله سبحانه وتعالى، إذن فحقائقها هي أنها تعينات إلٰهية، أو هي الله جل وعلا، التي تناديه: ﴿إنما نحن فتنة فلا تكفر﴾، والنداء هنا مجازي طبعاً، ويجعل الشيخ الفتنة مشيرة إلى استشعار الألوهية حيث يبهت الواصل ويقول: «أنا الله، سبحاني. . . إلخ»، فيحكمون عليه بالكفر.

---

(١) حاشية العلامة الصاوي «شرح الخريدة»، ص١٣٤.

والجـديـد في هذا النص هو فهمهم للآيـة: ﴿ارجعي إلى ربـك... فادخلي في عبادي..﴾، أوردَها مشيراً بها إلى مقام «البقاء» الذي يستشعر فيه العارف أنه الله (جل الله وعـلا)، ويشـاهـد بنفس الـوقت العبـوديـة؛ وجملة: ﴿فادخلي في عبادي﴾ يجعلونها مشيرة إلى رؤ ية العبودية (أو الفرق)، والجمع مع الفرق هو مقام البقاء.

ـ ويقـول ابن عجيبـة[1] شارحـاً قول ابن عطـاء الله السكنـدري: «الحق ليس بمحجوب عنك، إنما أنت المحجوب عن النظر إليه، إذ لو حجبه شيء لستره ما حجبه، ولـو كان له ساتـر لكـان لوجـوده حاصر، وكل حاصر لشيء فهو قاهر له، وهو القاهر فوق عباده»، يقول:

... قلت: الحق تعالى محال في حقه الحجاب.. فلا يحجبه شيء، لأنه ظهر بكل شيء، وقبـل كل شيء، وبعـد كل شيء، فلا ظاهـر معه، ولا موجود في الحقيقة سواه، فهـو ليس بمحجـوب عنـك، وإنـما المحجـوب أنت عن النظر إليه، لاعتقادك الغيرية، وتعلُّقِ قلبك بالأمور الحسية، فلو تعلَّق قلبك بطلب المولى، وأعرضْتَ بالكلية عن رؤ ية السـوى، لنظـرت إلى نور الحق ساطعـاً في مظـاهـر الأكوان، وصار ما كان محجوباً عنك بالوهم في حقّ الشهود والعيان، ولله در القائل:

لقـد تجلّى ما كان مخبّـى   والـكـون كله طـويـت طي
مني عليّ دارت كؤوسـي   مِنْ بعـد موتـي تراني حي

فالنـاس كلهم يشـاهـدون ولا يعـرفون، وكلهم في البحر ولا يشعرون، وسمعتُ شيخنا رضي الله عنـه يقـول: والله ما حجب النـاس عن الله إلا الـوهم، والـوهم أمر عدميٌّ لا حقيقة له[2].

ويقول ابن عجيبة أيضاً:

... واعلم أن هذه الأوصـاف البشـريـة التي احتجَبَتْ بها الحضرة، إنما جعلها الله منـديـلاً لمسح أقـذار القـدر (كـالنفس والشيطان والدنيا)، فجعل الله النفس والشيطان

---

(١) أحمد بن عجيبة الدوريس الشاذلي الفاسي، توفي سنة ١٢٢٤هـ.

(٢) إيقاظ الهمم، ص٦٤ و ٦٥.

منديلاً للأفعال المذمومة، وجعل البشرية منديلاً للأخلاق الدنيئة، وما ثم إلا مظاهر الحق وتجليات الحق، وما ثم سواه[1].

ويقول: . . . فإذا تكامل إشراق نور الإيقان، وغطى وجود الأكوان، ووقع العيان على فقد الأعيان، ولم يبق إلا نور الملك الديان، كما أشار (أي ابن عطاء الله) إلى ذلك بقوله: «ما حجبك عن الله وجود موجود معه، إذ لا شيء معه، ولكن حجبك عنه توهُّمُ موجود معه».

قلت: الحق تعالى ظاهر، ونوره للبصائر باهر، وإنما حَجَبَه مقتضى اسمه الحكيم واسمه القاهر؛ فما حَجَبك عن شهود الحق وجود شيء معه: ﴿أإله مع الله تعالى الله عما يشركون﴾، ولكن حجبك عن شهوده توهُّمُ وجود موجود معه، ولا شيء معه، وكما كان ولا شيء، بقي ولا شيء[2]. . .

ـ أرجو أن ينتبه القارىء إلى كيفية تفسيرهم للآية: ﴿أإله مع الله . .﴾.

ويقول: واعلم أن سرّ الخصوصية الذي جعله الله في بواطن أوليائه، وسَتَره بظهور وصف بشريتهم، قد يُظهره عليهم على وجه خرق العادة، فقد يُظهر على وليه من قدرته وعلمه وسائر كمالاته ما تحار فيه العقول وتذهل فيه الأذهان، لكن لا يدوم ذلك لهم، بل يكون على سبيل الكرامات وخرق العادات، يُشرق عليهم شموسُ أوصافه، فيتصفون بصفاته، ثم يقبض ذلك عنهم فيردهم إلى حدودهم، فنور الخصوصية، وهي المعرفة، ثابت لا يزول، ساكن لا يحول؛ وسرُّها، وهو كمالاته تعالى، تارة يشرق على أفق بشريتهم فيستنير بأوصاف الربوبية، وتارة ينقبض عنهم فيُردون إلى حدودهم وشهود عبوديتهم، فالمعرفة ثابتة، والواردات مختلفة، والله تعالى أعلم[3].

ويقول: . . . وقال سيدي علي رضي الله عنه، على قول الشيخ أبي الحسن الشاذلي في شأن الخلق: «أراهم كالهباء في الهواء، إن فتشتهم لم تجدهم شيئاً»، قال: « إن فتشتهم وجدتهم شيئاً، وذلك الشيء ليس كمثله شيء» يعني: وجدتهم مظاهر من

---

(١) إيقاظ الهمم، ص٦٦.

(٢) إيقاظ الهمم، ص١٩٩.

(٣) إيقاظ الهمم، ص١٥٧.

مظاهر الحق، أنواراً من أنوار الملكوت فائضة من بحر الجبروت[1].

- نرى في هذا النص أن عبارات عارفيهم ليست دائماً موافقة لما يريدون، فقد يخطِئون ويُخَطَّؤون.

ويقول ابن عجيبة أيضاً:

. . . والتحقيق ما قدمناه من أن التعلُّق بأوصاف الربوبية يكون في الباطن، والتحقُّقَ بأوصاف العبودية يكون في الظاهر، فالحرية في الباطن على الدوام، والعبودية في الظاهر على الدوام، فحرية الباطن هي شهود أوصاف الربوبية، وهو معنى «التعلق بها»، لكن إن كان مجاهدةً فهو «تعلُّقٌ»، وإن كان طبيعة وغريزة فهو «تحقُّقٌ».

. . . والحاصل أن عظمة الربوبية ظهرت في مظاهر العبودية، فمن نظر للعظمة صرفاً تحقق بعظمة الربوبية، ومن نظر بظاهر المظهر تحقق بأوصاف العبودية، والكامل ينظر لهما معاً، فيتحقق بعظمة الربوبية في الباطن، ويتحقق بأوصاف العبودية في الظاهر، فيُعطي كل ذي حق حقه. فالتجمع في باطنه مشهود، والفرق في ظاهره موجود[2]. . .

ويقول: . . . اعلم رحمك الله ووفقك للتسليم لأوليائه، أن الحرية إذا تحققت في الباطن، لا بد من رشحات تظهر على الظاهر، فكل إناء بالذي فيه يرشح. . . ولذلك نجد أهل الباطن رضي الله عنهم، جلُّهم أقوياء في الظاهر، فربما تصدر منهم مقالات تستخرجها القدرة منهم، فيظن الجاهل بحالهم أن ذلك دعوى وظهور! وليس كذلك. وإنما ذلك رشحات من قوة الباطن لا قدرة لهم على إمساكها، منها ما يكون تحدثاً بالنعم، ومنها ما يكون نصحاً للعباد ليعرفوا حالهم فينتفعوا بهم في طريق الإرشاد؛ ومِنْ هذا الأمر رفَضَهم كثيرٌ من أهل الظاهر المتعمقون في العبادة أو المتجمدون على ظاهر الشريعة[3]. . .

- يوضح ابن عجيبة في هذا النص سبب تصريح العارفين بمعارفهم، وطبعاً، صار القارىء الآن يعرف معنى عبارة «الحرية»، فهي ضد العبودية، وتحققها في الباطن يعني

---

(١) إيقاظ الهمم، ص١٦٦.
(٢) إيقاظ الهمم، ص١٨٤.
(٣) إيقاظ الهمم، ص١٨٦.

استشعار السالك أنه ليس عبداً بل هو الله .

ويقول: . . . وقال في «لطائف المنن»: وأشبه شيء بوجود الكائنات إذا نظرت إليها بعين البصيرة وجود الظلال . . . ومِنْ ها هنا تبين لك أن الحجاب ليس أمراً وجوديًّا بينك وبين الله تعالى، ولو كان بينك وبينه حجاب وجودي للزم أن يكون أقرب إليك منه! ولا شيء أقرب من الله، فرجعت حقيقة الحجاب إلى توهم الحجاب[1] . . .

ويقول «معلقاً على قول ابن البنا السرقسطي»:

حتى إذا جاء بطور القلب	خوطب إذ ذاك بكل خَطْب
فقيل لو عرفْتَني بكوني	قيل إذن فاخلع نعال الكون

يقول: إذا وصل النور، مِنْ ناحية المذكور، إلى جبل الطور، وهو قلبك المستور، بحجاب هيبة المذكور، رَفَع عنه الستور، وخاطبه حينئذ بكل أمر جليل، وسرّ جليل، فلا تعلم نفس ما خُصِّص به من المساررة، والمصافاة، والمكالمة، والمناجاة، فيناديه لسان الملكوت مترجماً عن عالم الجبروت: يا أيها العبد الشائق إلى حضرتي، لتعاين سرَّ قدرتي هلا عرفتني بكوني، وقنعت بذلك مني؟ فيقول العبد المشتاق إلى حضرة التلاق: لا أريد إلا وجهك الكريم، ومشاهدة سرّك العظيم، فيقول له الحق جل جلاله: إن أردت هذا الخطب الجسيم، والأمر العظيم، فاخلع عنك نعال الكونين، وتخطَّ بقدم همتك نعيم الدارين، فإذا خلعتَ عنك الحظوط والهوى، فأنت بالوادي المقدس طوى[2].

ويقول: . . . فأوصاف الربوبية رفيعة القدر عظيمة الشان، وأصاف العبودية خسيسة القدر دنيئة المقدار، فلا مناسبة بينهما في القدر، مع تلازمهما في المحل بتحقيق الوحدة، فهما متلازمان في القيام، متضادان في الأحكام[3] . . .

ـ هذا القول مثل قولهم: «واتحد فيه النجوم مع الورد»، وقولهم: «وفي الخنازير مع القرود» . . وغيرها . .

ويقول: إذا حققت أن الأكوان ثابتة بإثباته، ممحوَّةٌ بأحدية ذاته، علمت علم يقين

---

(١) إيقاظ الهمم، ص٢٠١.

(٢) الفتوحات الإلهية، ص٣٤٢.

(٣) إيقاظ الهمم، ص٤١٩.

أن الأكوان والمكان والزمان لا وجود لها، وأن الحق كما كان وجوده وحده ولا أين ولا مكان، بقي كذلك، لا أين ولا مكان ولا زمان، نورُ أحديته محى وجودَ الأكوان، فانتفى بوجوده الزمان والمكان، ولم يبق إلا الواحد المنان[1]. . .

ويقول: . . . ثم قال «أي ابن البنا السرقسطي»:

أو قال بالظهور والحلول　　فبدعةٌ يقدحُ في الأصول

قلت: (القائل ابن عجيبة): مراده بالظهور: ظهور الذات العالية لبصر الحس، حتى تدرك بالبصر الحسي، وقد قال تعالى: ﴿لا تدركه الأبصار﴾، وإنما تدركه البصيرة، فإذا انفتحت وقوي نورها، استولت على البصر، فصار الحكم لها، فالبصر لا يرى إلا الحس، والبصيرة لا ترى إلا المعنى؛ وقد يتلطف الحس فيصير كأنه معنى، فيكون ما تراه البصيرة في حق العيان، وهو محل الشهود، إذ الحس لا يفارق المعنى، وأما الحلول، فمعناه: إثبات «السوى» وحلول الألوهية فيه، وهو كفر صراح، فمن ادعى شيئاً من الظهور والحلول فارفضه، فقد أتى ببدعة تقدح في أصول إيمانه والعياذ بالله من الزلل. ثم قال (أي السرقسطي):

وقوله أنا الذي أهواه　　قبل الفنا عنه فما أقصاه

إذا قال الفقير: «أنا من أهوى ومن أهوى أنا»، قبل تحقق فنائه، فما أبعده عن الصواب، وإذا تحقق فناؤه، فلا يقول ذلك إلا مع من يُصدّقه في حاله، وإلا تعرض لقتله[2]. . .

● **تعليق:**

يعني بالظهور: الرؤية بالعين المجردة «الحاسة البصرية» وقد مر معنا معنى «الحلول» عندهم، وقد يُعبِّرون، في عصرنا هذا، عن الحلول بقولهم: «التلبُّس»، وقد سمعت من يقول: «إن الولي يتلبسه الله، وفي هذه الحالة، عندما يتكلم الولي، فالمتكلم حقيقة هو الله . . .»، وطبعاً قائل هذا القول هو إنسان جاهل بالصوفية،

---

(١) إيقاظ الهمم، ص٢٩٧.

(٢) الفتوحات الإلهية، ص٤٥٥ و٤٥٦.

فالحلول عنـدهم كفـر، وكذلك الاتحاد! لأن هذا وذاك لا يكون إلا بين اثنين، ولا يوجد إلا واحد.

والتعليقات كثيرة، أتركها للقارىء.

ويقول ولي الله الدهلوي[1]:

والفنـاء إمـا شفـاهي، وإمـا حجـابي، أمـا الشفاهي فانصباغٌ بحقيقة الذات، لا تجليـاتـه، انصبـاغـاً قويًّـا تامًّـا، ويختصُّ برجل شديد، فسَوْرة مزاجه لا تنقهر إلا بتكرار التجليـات، قويّ جذبِـه لا يغـادر حالاً ولا شيئـاً إلا غلبـه وقهـره، ولا يدعـه حتى يبلغ الدرجة القصوى.

. . . وذلـك لأنـه ربـما لم يتحقق الفنـاء الشفـاهي، وحينئـذ تَظهر النفس في صورة الربوبية، فيعسر زواله، ويُعقب خلافُه خزياً شديداً في الحياة الدنيا[2]. اهـ.

- قوله: «فسورة مزاجه»، أي: «فسورة مزاج الفناء». . .

- وقوله: «. . . فيعسر زواله»، أي: يعسر زوال ظهور صورة الربوبية، فيبقى الولي يقول عن نفسه: «أنا الحق. . .».

- وقـولـه: «ويعقب خلافـه خزيـاً شديـداً. . .»، نعلم ما هو هذا الخـزي؟ إنـه التكفير. . . والقتل.

ويقـول: وأمـا الخاص، فكل فناء في حضرة الذات، كان مع الصورة المزاجية. . . وأصـل مذهبهم أن يتجشمـوا عمـلاً نيرنجيًّـا، وذلـك العمـل أن يتلطفوا من أنفسهـم، فينقدح لهم سرٌّ عظيم الشأن، على درجاته.

فأول ما ينقدح استناد الأفعال إلى الله سبحانَه، فهناك يتوكل على الله ولا يخاف إلا إيـاه، وهـذا ظَهْـرُ السـرِّ في الدرجة الأولى، وأما بطنها، فأن يرى الله سبحانه في عين كل

---

(١) أبو الفياض ولي الله أحمد بن أبي الفيض عبد الرحيم الدهلوي (نسبة إلى دهلي) شيخ محدثي الهند في القرون الأخيرة، توفي سنة ١١٧٦هـ.

(٢) الخير الكثير، ص١٠٦.

فعل على أن الفعل من أستاره وتقيداته. ووجه أوليتها أن الأفعال على شرف العدم في نفس الأمر، وإنما الموطن العلمي من تمثلات هذا الموطن، وهذه هي «المحاضرة» عندهم.

وثانياً: ينقدح لهم استناد الصفات بأجمعها إليه، فيرى أن كل بصر فهو من بصره، وكل سمع فهو من سمعه، إلى غير ذلك؛ ولعلك حرور باقتناص بطنها ووجه ثانويتها، فهذه هي «المكاشفة».

وثالثاً: ينقدح استناد الذوات، فيرى أن كل ذات فهو من ذاته، فإذا انتقل إلى بطنها، وهو أن الواجبَ جلَّ مجدُه سَنْخُ كل موجود، وأن كل موجود مُفاضٌ منه إفاضة مقدسة، ثم السير إلى الله، وهذه هي «المشاهدة»، ثم إن جذبات الله تعالى تجاذبه حيناً فحيناً حتى ترتفع الحجب والتقيدات ولا يبقى إلا ذو الجلال والإكرام في وحدته وكبريائه، ويكون المدرَكُ عينَ المدرِك، فلا يعلم بالعلم الحضوري إلا الله سبحانه[1]. . . اهـ.

ـ مر هذا النص في معناه أكثر من مرة في الصفحات السابقة، ملخصه أن السالك في سيره إلى المعرفة، أي إلى معرفة وحدة الوجود، يمر في ثلاث مراحل:

أولاً: معرفة وحدة الأفعال حيث يشاهد الواصل ذوقاً واستشعاراً أن كل الحركات التي تجري في الكون هي حركات الواحد وأفعاله، وهذه هي المحاضرة.

ثانياً: معرفة «وحدة الصفات» حيث يشاهد الواصل أن الصفات جميعها التي يراها المحجوبون صفات لمخلوقات، مثل: سميع، بصير، طويل، عريض، أحمر، أخضر، شجاع، جبان.. هي صفات للواجب جل مجده (حسب تعبير الدهلوي) تظهر في تعيناته التي يظنها المحجوبون غيره، وهذه هي «المكاشفة».

ثالثاً: وحدة الذات، أو وحدة الوجود، وهذه هي «المشاهدة»، وفي واقع الأمر، إن الأصل هو وحدة الوجود، وما وحدة الأفعال ووحدة الصفات إلا نتائج لها.

ويجب أن نعرف أن هذا الترتيب قد يحصل لواصل وقد لا يحصل، وهو تابع، إلى حد ما، لتوجيهات الشيخ وإيحاءاته.

---

(١) الخير الكثير، ص١٠٤ و١٠٥.

ويقول ولي الله الدهلوي أيضاً:

ولا يهولنَّك صدور الكائنات الدنسية من سَنْخ القدوسية على سبيل الظهور والتمثل، فإنه لكل متدنس قدُّوسية هي أقرب من حبلِ وريده، وهو أبعد منها بما هو هو كبعد المشرقين[1]. . . اهـ.

ـ هذه المقولة هي مثل مقولة ابن سبعين: «واتحد فيه النجوم مع الورد»، ومثل مقولة الششتري: «وفي الخنازير مع القرود»، ومقولة ابن عجيبة: «متلازمان في المقام متضادان في الأحكام»، ومثل قول قائلهم: «وما الكلب والخنزير إلا إلٰهنا»، وغيرها من الأقوال المماثلة التي مرت والتي ستمر.

ويقول أيضاً مقرراً:

قال الشيخ صدر الدين القونوي[2]: الحق سبحانه من حيث وحدةُ وجوده، لم يصدر عنه إلا الواحد، لاستحالة إظهار الواحد وإيجاده ـ من حيث كونه واحداً ـ غيرَ الواحد؛ وذلك الواحد عندنا هو الوجود العام المفاض على أعيان المكوَّنات ما وُجد منها وما لم يوجد مما سبق العلم بوجوده؛ وهذا الوجود مشترَك بين القلم الأعلى الذي هو أول موجود، المسمى بالعقل الأول أيضاً، وبين سائر الموجودات، ليس كما يذكره أهل النظر من الفلاسفة، فإنه ليس ثمة عند المحققين إلا الحق، والعالَم ليس بشيء زائد على معلومه لله تعالى أولاً، المتصفة بالوجود ثانياً[3]. . . اهـ.

● **الملاحظات:**

نلاحظ في هذا النص ما يلي:

١ ـ وضوح عقيدة وحدة الوجود.

٢ ـ إيمان قطبين كبيرين بها «القونوي صاحب النص، والدهلوي الذي أورده مقرًّا بها

---

(١) الخير الكثير، ص٢١.

(٢) صدر الدين محمد بن إسحاق القونوي تلميذ ابن عربي وابن زوجته، له مكاتبات مع نصير الدين الطوسي وزير هولاكو، مات في قونية سنة ٦٧٣هـ / ١٢٧٥م.

(٣) الخير الكثير، ص٣٧.

فيه».

٣ ـ العقيدة الإسماعيلية التي هي أصلاً من اليونانيات: «الصدور والفيض والعقل الأول..».

٤ ـ محاولتهم التوفيق بين الإسلام واليونانيات عندما جعلوا العقل الأول (وهو من اليونانيات) هو القلم الوارد في الحديث الشريف.

٥ ـ يخالفون أصحاب اليونانيات (أهل النظر من الفلاسفة) الذين يقولون: إن العقل الأول انفصل عن الحق سبحانه وصار كأنه غيره رغم أنه صدر عنه بالفيض، بينما يقرر المحققون (أي الصوفية) أنه ليس ثمة إلا الحق، حيث لا وصل ولا فصل ولا غيره. وللعلم: القلم الأعلى الذي هو أول موجود، المسمى بالعقل الأول، هو محمد ﷺ عندهم.

ويقول الدهلوي أيضاً مقرراً:

قال مولانا عبد الرحمن الجامي[1] بعدما فصّل القول في تسويغ كون الوجود العام المنبسط على هياكل الموجودات عينَ الواجب جَلَّ مجده بهذه الألفاظ: الصوفيون القائلون بوحدة الوجود، لما ظهر عندهم أن حقيقة الواجب هو الوجود المطلق، لم يحتاجوا إلى إقامة الدليل على توحّده ونفي الشريك عنه (أي الشريك في الوجود)، فإنه لا يمكن أن يُتوهم فيه اثنينية وتعدّد من غير أن يُعتبر فيه تعين وتقيد[2]... اهـ.

ـ في هذا النص يظهر إيمان الجامي والدهلوي بوحدة الوجود، وكلاهما من الأقطاب.

ويقول أحمد زيني الدحلان[3]:

... قال أهل المعرفة إن تجلّي الحق سبحانه وتعالى على الدوام، ولا يمنع من ظهور

---

(١) نور الدين، عبد الرحمن بن أحمد الجامي، ولد في جام من بلاد ما وراء النهر، وتوفي في هراة سنة ٨٩٨هـ / ١٤٩٢م.

(٢) الخير الكثير، ص٣٨.

(٣) شيخ مشايخ الإسلام ورئيس العلماء الأعلام، شيخ الفريقين وإمام الطريقين أحمد بن زيني الدحلان، ولد في مكة وتوفي في المدينة سنة ١٣٠٤هـ / ١٨٨٦م.

أنـوار التجـلي إلا الاشتغـال بالسِّـوى والإقبال على الغير، فلذلك يأمر الأشياخ المريدين بذكر لا إله إلا الله، لأنها مكنسة الأغيار، فإذا ذهب السوى ظفر بالمولى، فالحق سبحانه وتعالى ليس بغائب، إنما الغائب أنت لاشتغالك بسواه، فأحضرْ قلبك تكن كأنك تراه، وهذا هو مقام الإحسان، فإن لم تكن تراه فإنه يراك.

وهٰهنا نكتة ذوقية في قوله ﷺ: «فإن لم تكن تراه فإنه يراك»، فَهِمها بعض العارفين حيث قال: «تكن» تامة بمعنى توجد، أي فإن لم توجد، بأن فنيت فيه، فإنك تراه، أي إذا تحققت بمقـام الفنـاء، نلت مقـام الشهـود، وهو الرؤ ية القلبية التي تصير في الآخرة بصـريـة؛ ولا يُشْكـل على ذلك أن مقتضى هذا المعنى أن يكون «تراه» جواب الشرط، ومقتضى قواعد العربية حذفُ الألف من «تراه» لأنه مجزوم جواباً للشرط. لأنَّا نقول: إن بعض العرب يبقي مثل هذه الألف في الفعل المجزوم، فلا مانع أن يخرج ذلك على تلك اللغة لإفادة هذا المعنى اللطيف؛ ويكون قوله: «فإنه يراك» كلاماً مستأنفاً.

والحاصل أن الأصل في ذلك كله التحلي بالتوحيد، ومعرفة أن الأشياء كلها صادرة منـه سبحـانـه وتعالى، ومستمدة من فضله. فلو أنك لا تصل إليه إلا بعد فناء مساويك ومحو دعاويك لم تصل إليه أبداً.

ولكن إذا أراد أن يوصلك إليـه غطّى وصفَـك بوصفه، ونَعْتَك بنعته، وأوصلك إليه بما مِنْه إليك، لا بما مِنْك إليه، عناية بك[1]. . . اهـ.

ـ نحن في هذا النص، أمام أسلوب جديد ومبتكر في تفسير الحديث، ولا حاجة بنا للتعليق، لأنـه من البـدهي أن الـذي يحرف كلم رسول الله ﷺ من بعد مواضعه، يكون منحدراً في منزلقٍ سحيق.

وقد أصبحت ـ الآن ـ العبارات: «الأشياء كلها صادرة منه ومستمدة من فضله»، و «فنـاء مسـاويـك ومحو دعاويك»، مفهومة تماماً لدينا، فالعبارتان الأوليان تعنيان الوحدة، والثانيتان تعنيان: «الفناء عن الأغيار» أي عدم شهود الخلق، فلا خلق موجود.

ويقـول: . . . فالسـالـك سائـر عن عالم الطبيعـة إلى عالم الملكوت، ومنه إلى عالم

(١) تقريب الأصول لتسهيل الوصول، ص٢١٦ و ٢١٧.

الجبروت، ومنه إلى عالم حضرة اللاهوت، حضرة تمحى فيها العبارة والإشارة، وتذهب الأسماء والرسوم، ولا يبقى هناك مشهود إلا الحي القيوم، فإذا ظهرت شمس المعرفة ذهبت نجوم التفرقة، فلا يشهد المنتهي إلا مولاه، ولا يظهر له فعل ولا وصف ولا وجود إلا لله، فمن عرف الله شهده في كل شيء، فلا يتوحش من شيء ويستأنس به كل شيء، ويستأنس هو من كل شيء، ويشهد معنى قوله تعالى: ﴿كل شيء هالك إلا وجهه﴾ عياناً، ويفهم معنى قوله ﷺ: «أصدق كلمة قالها الشاعر لبيد: ألا كل شيء ما خلا الله باطل»، وتشرق على قلبه لمعة من قوله تعالى: ﴿هو الأول والآخر والظاهر والباطن﴾، ويتجلّى له: ﴿فأينما تولوا فثم وجه الله﴾، ويرتفع عنه اشتباه معنى: ﴿ونحن أقرب إليه من حبل الوريد﴾، وينطق بالحق، لأن الحق يكون حينئذ سَمْعَه وبصره ولسانه، كما في الحديث القُدسي: «فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ولسانه الذي ينطق به».

والحاصل أن العارف يصل إلى حالة يفنى فيها عن أفعاله وأوصافه وذاته، فلا يشهد إلا فعل مولاه وأوصافه وذاته، وهذا يسمى جمعاً، ومع ذلك لا يحجبه هذا عن فَرْقِه. فالعارف لا يحجبه جَمعه عن فرقه، ولا فرقه عن جمعه، ولا صحوه عن سكره، ولا سكره عن صحوه. . ويوضح لك شَمَّة من ذلك قولُه تعالى: ﴿وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى﴾، فنفى عنه الرمي أولاً بقوله: ﴿وما رميت﴾، وهو عين الجمع، وأثبته ثانياً بقوله: ﴿إذ رميت﴾، وهو عين الفرق، ثم قال: ﴿ولكن الله رمى﴾، أي إن الرمي منسوب إلى الله[1].

ويقول مصطفى العروسي[2] «شيخ مشايخ الإسلام»:

الحمد لله الذي عيّن الأعيان بفيض نوره الأقدس، وقدَّرها بعلمه في ذاته على وجه الحكمة الأنفس. . . فسبحانه من إله قد تجلّى بذاته لذاته، فأبدع آدم وأودعه مظاهر أسمائه المنعوتة (بالعالَم)، وأجمل فيه جميع الحقائق وألْهم، فجعله مظهر اسمه الجامع لما تأخر وتقدم، وجعل له من نعوت التلوين ما قد يكون بغير التمكين مزلّةً للقدم، ومنحه

---

(١) تقريب الأصول لتسهيل الوصول، ص٢٦٦.

(٢) شيخ الجامع الأزهر حتى سنة ١٨٧٠م، مات سنة ١٨٧٦ الموافق لـ ١٢٩٣هـ.

سر العليم الأعلم، فهـو العـالم[1] والعلم والمعلّم والحـاكم والمحكـوم عليـه والحكم[2]، والمسمى بالأسماء الحسنى، ومرآة درج الكمال الأسنى... كيف لا وهو الإنسان الكامل والطلسم المعمى على سائـر الأواخـر والأوائـل... مَنْ قيـل فيـه لولاك ما خلقت الأفلاك... سيدنا ورسولنا أبو القاسم، جمع الجوامع، وسر الأسرار، مَـنْ كان مِن نوره سائـر الأنـوار، فهـو الاسم الأعظم، النـاطق بلسان: «أنا سيد ولد آدم»، أول التعينات الإلٰهيـة، وآخـر الدلالات الإرشادية المبعوث إلى كافة الأرواح والأجسام، من المجردات والمركبات، من أول التعيين إلى آخر الختام[3]. اهـ.

ـ الجديد في هذا النص هو قوله: «المبعوث إلى كافة الأرواح والأجسام من المجردات والمـركبـات»!! وهـذا الكـلام يعني أن محمـداً ﷺ مبعـوث إلى القـرود والـذئاب والهرة والفئران والكلاب والخنازير!! كما أنه مبعوث رسولاً إلى المزابل والحجارة والتراب، وإلى الهيـدروجـين والأكسجين والآزوت والحديد والنحاس..! لكن ما هي رسالته لهؤلاء؟! الكشف أعلم!! لأن الكشف يعلم ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر، ويعلم ما لم يعلمه رسل الله ولا كتبه ـ والمشتكى إلى الله ـ.

ـ كما نرى العبـارة: «أول التعينـات الإلٰهيـة وآخر الدلالات الإشارية»، التي تعني: «أول تشكّلٍ صدر عن ذات الله وخاتم الرسل»، وقد عرف «المقربون الصديقّون الأولياء العارفون» هذا الأمر من حديث موضوع، وضعه أحد الكذابين الضالين المضلين، ولكن كشفهم صحح هذا الحديث، وإذا قال الكشف فصدقوه! فإن القول ما قاله الكشف!!

ويقـول: ... وهـذه الحضـرة «أي حضـرة الـذات الأحدية، أو حضرة العماء، أو الحضـرة الـواحـديـة»، تتعـين بالتعـين الأول، لأنهـا محل الكثرة، ومظهر ظهور الحقائق والنسب الأسـمائيـة، وكل ما تعين فهو مخلوق، فهي العقل الأول... القائل بهذا القول يسمّي هذه الحضـرة بحضـرة الإمكـان، وحضرة الجمع بين أحكام الوجوب والإمكان، والحقيقـة الإنسـانية، وكل ذلك من قبيل المخلوقات، ويعترف بأن الحق في هذه الحضرة

---

(١) وردت في الكتاب «فهو العلم والقلم والمعلّم» وهي غلطة مطبعية كما هو واضح.

(٢) وردت في الكتاب «المحكم»، وهي غلطة مطبعية كما هو واضح.

(٣) حاشية العروسي، ص٢.

متجلٍّ بصفات الخلق. . . ويوضح قولنا: «يُشار بالألف إلى الحضرة الأحدية» أن الحقيقة إن أُخذت بشرط أن لا يكون معها شيء، فهي المسماة بالمرتبة الأحدية المستهلكة فيها جميع الأسماء والصفات، وتسمى أيضاً «جمع الجمع»، و«حقيقة الحقائق»، و«العماء»، وإن أُخذت بشرط شيء: فإما أن تؤخذ بشرط جميع الأشياء اللازمة لها، كلّياتها وجزئياتها المسماة بالأسماء والصفات، فهي المرتبة الإلٰهية المسماة عندهم «بالواحدية»، و«مقام الجمع»، وهذه المرتبة باعتبار الإيصال لظاهر الأسماء التي هي للأعيان والحقائق، إلى كمالاتها المناسبة لاستعداداتها في الخارج، تسمى مرتبة «الربوبية»، وإن أُخذت لا بشرط شيء، ولا بشرط لا شيء، فهي المسمَّاة بـ «الهوية السارية في جميع الموجودات»، وإن أُخذتْ بشرط ثبوت الصُّوَر العلمية فيها، فهي مرتبة «الاسم الباطن المطلق، والأول، والعليم، ورب الأعيان الثابتة»، وإن أُخذت بشرط كليات الأشياء فقط، فهي مرتبة الاسم: «الرحمن، ورب العقل الأول المسمى بلوح القضاء، وأم الكتاب، والقلم الأعلى»، وإن أُخذت بشرط أن الكليات فيها جزئيات مفصلة ثابتة من غير احتجابها عن كلياتها فهي مرتبة الاسم «الرحيم، رب النفس الكلية المسماة بلوح القدر، وهو اللوح المحفوظ، والكتاب المبين»، وإن أُخذت بشرط أن تكون الصور المفصّلة جزئية متغيرة، فهي مرتبة الاسم «الماحي والمثبت والمحيي، رب النفس المنطبعة في الجسم الكلي، المسمى بلوح المحو والإثبات». . . ومرتبة الإنسان الكامل عبارة عن جميع المراتب الإلٰهية والكونية، من العقول والنفوس الكلية والحسية، ومراتب الطبيعة إلى تنزلاتِ الوجود، وتسمى بالمرتبة العمائية أيضاً، فهي مضاهية للمرتبة الإلٰهية، ولا فرق بينهما إلا بالربوبية والمربوبية، فلذلك صار خليفة الله سبحانه وتعالى[1]. . . اهـ.

● **الملاحظات:**

نلاحظ في هذا النص الطويل «وقد حذفت منه كثيراً» ما يلي:

١ ـ يُظهر أن الأسماء الحسنى هي مظاهر الكون، ويضيف إلى الأسماء الحسنى، أسماء

---

(١) نتائج الأفكار القدسية، «حاشية العروسي»، ص٥.

ابتدعها القوم على أنها من أسماء الله، مثل: «الهوية السارية..».

٢ - يوفق بين الفلسفة اليونانية «الأفلاطونية الحديثة» التي تبناها الإسماعيلية، وبين العقيدة الإسلامية، وفي هذا دليل على أن في الصوفية نُسُغاً يونانيًّا.

٣ - يبين عقيدة القوم بالإنسان الكامل، وأفكار غيرها يراها القارىء.

ويقول: ... وظلُّ الإلـه هو الإنسان الكامل المتحقق بالحضرة الواحدية، والعالَم الذي هو علامة على وجود موجده «الظل الثاني»، إذ ليس إلا الوجود الحق الظاهر بصور الممكنات كلها، فلظهوره بتعيناتها سُمِّيَ باسم السوى والغير، وذلك باعتبار إضافته إلى الممكنات، إذ لا وجود للمكنات إلا بمجرد هذه النسبة، وإلا فالوجود عين الحق، فالممكنات ثابتة على عدميتها... فالعالَم صورة الحق، والحق هوية العالَم وروحه[1]..

ويقول: ... وإن جميع الموجودات مستمدة من وجوده، فهو هي وهي هو، على معنى: «لا هو إلا هو، كان الله ولا شيء معه، ويبقى الله ولا شيء معه»، وإنما الكائنات تعينات له مخصوصة في أزمنة مخصوصة محكوم عليها بأحكام مخصوصة، ثم إليه يرجع الأمر كما بدا، الحِكَمُ عَليَّة، وأسرار إلٰهية علمها من علمها وجهلها من جهلها بتدبيره تعالى وتقديره، لا يسأل عما يفعل فافهم، ولا تك أسير النقل والتقليد[2]...

ويقول الشيخ عبد الرزاق القاشاني[3]:

... أي كل خلق تراه العين فهو عين الحق.. ولكن خيال المحجوب سماه خلقاً لكونه مستوراً بصورة خلقية، محتجباً بها، وإن كان متجلياً لم يعرفه[4]...

---

(١) نتائج الأفكار القدسية: ١ / ٨.

(٢) نتائج الأفكار القدسية: ٢ / ٢٠.

(٣) الأستاذ الفاضل والعالم الكامل الشيخ عبد الرزاق القاشاني، توفي بعد سنة ٧٣٠هـ، وكان محله أن يرد في مكان سابق حسب تاريخ وفاته، لكني أوردته هنا لأنني لم أعثر على ترجمة له، ولم أعرف تاريخ وفاته، وظننت أنه من أحياء القرن الثالث عشر هجري، فأوردته هنا، ثم عثرت على كتاب آخر له هو «رشح الزلال في شرح الألفاظ المتداولة بين أرباب الأذواق والأحوال»، وقد ذكر المحقق في مقدمته أنه توفي بعد سنة ٧٣٠هـ، وهو شيعي (حسب الصوفية بين الأمس واليوم ص١٣٦)، وكتبه مقدسة عند جميع المتصوفة السنة والشيعة.

(٤) شرح فصوص الحكم للقاشاني، ص١٥٢.

● **الملاحظة:**

نلاحظ مخالفة للقاشاني، فهو هنا يشرح «فصوص الحكم» لابن عربي، وابن عربي يقول: «الحق خلق وما الخلق حق»، وقد شرحها العيدروس فيما مر قبل صفحات، بقوله بعد شرح: «... فلا يصح أن يقال: الخلق عين الحق... بخلاف أن يقال: الحق عين الخلق، فإنه صحيح...». بينما نرى القاشاني يقول: «كل خلق، فهو عين الحق»، وهو اختلاف في أسلوب التعبير فقط.

ويقول: ... فمن عرف علم الطريق، وأنه ليس إلا الحق، إذ لا شيء غيره عليه، عرف أن أسفل سافلين لا يخلو عن الحق، فعلم أن الجهنميين في القرب وإن توهموا البعد[1]...

ويقول: ... وإن تعلقت مشيئته بإرادة الرزق لنا من لدنه، فهو المراد أن يكون لنا رزقاً، من حيث إنه الوجود الحق، فيوجدنا كما يشاء، ويختفي فينا، ويُظهرنا كالغذاء بالنسبة إلى المغتذي؛ فإنا نقوش وهيئات وشؤون وتعينات لا وجود لنا ولا تحقق، فهو المتعيّن بنا، ومظهرنا، وغذاؤنا بالوجود، كما نحن غذاؤه بالأحكام[2]...

ويقول أحمد الصاوي المالكي الخلوتي[3] في شرح الصلوات الدرديرية:

«بتجلي الأسماء والصفات» أي: بظهور أسمائك العظيمة وصفاتك الكريمة بحيث لا نشهد حادثاً من الحوادث، ولا كوناً من الأكوان، إلا بشهود الأسماء والصفات قبله، لكون الأكوان آثارها، وهو معنى قولهم: «العارف يرى الله في كل شيء»، وقول بعض العارفين:

وفي كل شيء له آية تدل على أنه واحد

ومعنى قول سيدي عبد الغني النابلسي:

كل شيء عقد جوهر حلية الحسن المهيب

---

(١) شرح الفصوص للقاشاني، ص١٥٦.

(٢) شرح الفصوص للقاشاني، ص٢٨٨.

(٣) من شيوخ الطريقة الخلوتية عاش في مصر وأخذ عن الدردير، مات في سنة ١٢٤١ في مصر.

ومعنى حديث: «لا يزال عبدي يتقرب إليّ بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها.. الحديث». أي كنت مسموعه عند سمعه الحوادث، مبصوره عنده إبصاره الحوادث، وحوله وقوته عند بطشه ومشيه، أي يشهدُني كذلك، لأنها آثاري وهي ظاهرة بي على حد قول بعض العارفين:

اللهَ قل وذر الوجود وما حوى ... إن كنت مرتاداً بلوغ كمال
فالكل دون الله إن حققته ... عدمٌ على التفصيل والإجمال
من لا وجود لذاته من ذاته ... فوجوده لولاه عين محال

وهذا المقام هو المسمى بوحدة الوجود، ولا يدركه الشخص إلا بعد الفناء في الأحدية الذي قال فيه ابن بشيش: «وزج بي في بحار الأحدية»، ووحدة الوجود هذه يسمى صاحبها في مقام «البقاء» ويسمى «غَرقان في بحر الوحدة» التي هي شهود المولى من حيث قيام الأسماء والصفات به[1]....

ويقول الشيخ حسن رضوان[2]، من منظومته «روض القلوب المستطاب»:

وتنجلي الرقائق المطويّة ... في لفظةٍ والحكمة المنوية
لا سيما ما كان في العقائد ... فإنه من أعظم المقاصد
وحسبه من ذلك المقصود ... إشراق نور وحدة الوجود
وكل ما سواه نجمٌ آفل ... بل في شهود العارفين باطل
فليس إلا الله والمظاهر ... لجملة الأسماء وهو الظاهر
فمن صفت مرآته تحققا ... بها من الأسما عليه أشرقا
وشاهد المَشاهد المصونة ... وأدرك المواهب المكنونة[3]

ـ قوله: «وكل ما سواه نجم آفل بل في شهود العارفين باطل» هي شهادة واضحة

---

(١) الأسرار الربانية والفيوضات الرحمانية، ص٦٠.

(٢) الشيخ حسن رضوان من كبار القوم، مصري توفي عام ١٣١٠هـ، ومنظومته هذه كما يقول زكي مبارك، تقرب من اثني عشر ألف بيت، وربما كانت أعظم منظومة في قواعد التصوف.

(٣) من كتاب التصوف الإسلامي لزكي مبارك: ١ / ٢٦٠.

وجريئة من «عارف» أن العقيدة الإسلامية باطلة في شهود «العارفين»، لأنها لا تؤمن بوحدة الوجود، ولأن القرآن الكريم يحكم على القائلين بوحدة الوجود بالكفر المبين، ﴿وجعلوا له من عبادة جزءاً إن الإنسان لكفور مبين﴾.

- وقوله: «فليس إلا الله والمظاهر»، يذكرنا بالذكر: «ليس إلا الله» الذي استعمله جماعة منهم بدلاً من «لا إله إلا الله» كما مر آنفاً.

ويقول أيضاً:

إذا مَنَّ الحق تعالى على عبد من عباده، وصافاه بصفاء نفسه من كدورة التعلق بما سواه، وطهّره من جنابات غفلته ورعونات شهوته، حتى أفناه به فيه حَقَّ اليقين، وبلغ بذلك مرتبة «جمع الجمع»، ولحقت نفسُه بعالَمها العلوي الأصلي، قامت به حينئذ رقيقةٌ لطيفة ذاتية حقِّية، مفاضَة من جانب الحق تعالى بفيض رحمانيته، ينكشف له به سريان الوجود الحق في جميع ذرات الممكنات، وسرُّ تجليات الأسماء والصفات، وظهوره في كل مظهر بحسب استعداده، كشفاً إيمانيًّا، وذوقاً روحانيًّا؛ فيرى الحق في الخلق، والخلق بالحق؛ وهذا هو مشهد كمّل العارفين المحققين[1]. اهـ.

- قبل الانتقال إلى غيره، لا بأس من إيراد شهادة تزكية للشيخ حسن رضوان من لفَّةٍ كبرى في الجامع الأزهر، يقول زكي مبارك: «وقد حدثني الأستاذ الشيخ مصطفى عبد الرازق (وكان شيخ الجامع الأزهر الأكبر)، أن البلد الذي أقام فيه الشيخ حسن رضوان، كثر فيه العلماء والمدرسون، فهو من الهداة الصالحين»[2].

ويقول الشيخ محمد مهدي الرواس «قطب الغوث»:

... قلنا لَزِم الشكر والاعتبار، وطرحُ الدنيا عن الأفكار، والاشتغالُ بالمؤثر عن الآثار، إذ ما في الدار غيره ديار[3].

ويقول: وبويعت في الحضرة، على دوام الحضور بالانفراد الطُّوري من حيث مشهد القلب إلى الله تعالى، منقلباً عن مشاهدة الأكوان، ومنسلخاً عنها انسلاخ مقيم

---

(١) التصوف الإسلامي لزكي مبارك: ١ / ٢٦٥.
(٣) فصل الخطاب: ص٢٢٤.
(٢) التصوف الإسلامي لزكي مبارك: ١ / ٢٦٠.

مع مراقبته، محترزاً من انتقاد مراقبه، فإن الناقد بصير، والأمر المقصود خطير، وإلى الله تصير الأمور[1].

ـ إن العبارة عند محمد المهدي الصيادي تذكرنا بالعبارة عند عبد القادر الجيلاني، فهي في القمة من حيث الأسلوب الإشاري الرمزي، وهذا النص الأخير واضح بالنسبة للمتمرس بالأساليب الصوفية، أما حديث العهد بها فيرى نفسه أمام كلام غير مفهوم.

ويقول: . . . وطَرْحُ هياكل الأكوان، هو عبارة عن التحقق بالتوحيد الخالص، والعلم بأن الخلق والأمر لله سبحانه، ألا له الخلق والأمر[2]. . . اهـ.

● الملاحظة:

التوحيد في الإسلام لا يحتاج إلى طرح هياكل الكون لا كثيراً ولا قليلاً، ولا جملة ولا تفصيلاً. أما عند الصوفية، فطرحها هو الأساس، لأن هياكل الكون لا حقيقة لها باعتبارها هياكل، لأن حقيقتها هي الحق.

ويقول: المادة الثانية والتسعون من المائة الثانية: طَرحُ هياكل الأكوان تحققاً بالتوحيد، مع حفظ الآثار، وإرجاع التأثير الذي يصدر عن الكل إلى الله تعالى[3].

ـ يعبر في هذا النص عن مقام «الفرق الثاني»، وأترك تحليله للقارىء.

ويقول:

آمنت بالله الوجود كله ... سواه يفنى وهو باق لم يزل[4]
فطَهِّر القلب لقدسه وكن ... ممتثلاً كتابه كما نزل

ويقول:

ولدى الأمرين حقًّا ... ليس إلا الله فاعل
ثق به واترك سواه ... واربطَنْ فيه الوسائل
وخذ الهادي إماماً ... فهو برهان الدلائل

---

(١) فصل الخطاب: ص٥٤.
(٢) فصل الخطاب: ص٦٢.
(٣) المجموعة النادرة، ص٢٢٥.
(٤) المجموعة النادرة، ص٢٩١.

واتـبـع الـقـوم فمـنهـم كل مقـبـول وواصـل
عَرَفـوا الله وحـقّـا ما خلا الله فبـاطـل[1]

ويقول:

وغـب عن جميـع الحـادثـات لربهـا ولا تتـخـذ فيهـا سوى شغله شغـلاً
وإن وهبـوك العـرش والفـرش والفضـا برمـشـة عين ضمـن حُجبٍ فقـل لا
وسـر سيرتـي واسـلك بنهـج طريـقـتي إلـى الله لا تشـهـد لدى غيره فعـلاً
وجـرّدْكَ من كل الـوجـودات واضطجـع على خُصُـر التسليم يا من سما عقـلاً

ـ يشير بهذه الأبيات إلى «وحدة الأفعال».

ولا تر للمـخـلوق حولاً وقـوة فلا قوة للخـلق طرًّا ولا حولاً
وخـذ حلْوَ أمـر الله في الـدين مشـربـاً فلن ترى من مجلى مشـاربـه أحـلى

ـ البيتان يشيران إلى «وحدة الصفات»:

ومَـن قاد للأغـيـارِ فاهـجـر سبـيـله ورافـقْ محب الله إن قل أو جلا[2]

ـ هذا البيت الأخير يشير إلى «وحدة الذات».

ـ في البيتين: «وإن وهبوك العرش. .»، و«وخذ حلو أمر الله. .»، في الشطر الثاني من كل منهما خلل في الوزن.

ويقول «من صلوات له»:

اللهم اجمعنا بك عليك، وارددنا منك إليك، وأرشدنا في حضرة جمع الجمع، حيث لا فرقة ولا منع، إنك أنت المانح الفاتح، تمنح ما شئت من مواهب ربانيتك لمن شئت[3].

ويقول «من نفس الصلوات»:

اللهم صل على المتخلِّق بصفـاتـك، المستغـرق في مشـاهدة ذاتك، رسول الحق،

---

(١) المجموعة النادرة، ص٣٠٣.
(٢) المجموعة النادرة، ص٢٨٩ و ٢٩٠.
(٣) بوارق الحقائق، ص٣٢٨.

المتخلق بالحق، حقيقة مدد الحق ﴿أحق هو قل إي وربي إنه لحق﴾، اللهم إنا قد عجزنا من حيث إحاطة عقولنا، وغاية أفهامنا، ومنتهى إرادتنا، وسوابق هممنا، أن نصلي عليه من حيث هو، وكيف نقدر على ذلك، وقد جعلت كلامك خلقه، وأسماءك مظهره، ومنشأ كونك منه[1]. . . اهـ.

ـ نحن الآن نعرف كثيراً من مصطلحات القوم، ومنها «المشاهدة» وقد مرت قبل صفحات، إذن، فالعبارة: «المستغرق في مشاهدة ذاتك» واضحة المعنى، أترك للقارىء البحث عنها وتحليلها.

وما يجب أن نلاحظه بشكل متميز، هو إدراجه للجملة: ﴿أحق هو قل إي وربي إنه لحق﴾، التي توهم الساذج أنه يعني بها المعنى المعروف في كتب التفسير، أي إن كلمة «حق» تعني الصدق، لكن بشيء من التروي «لمن تمرس بأسلوب القوم»، يرى أنه يستعمل كلمة «حق» على أنها اسم من أسماء الله الحسنى، فهو يقول: «أمحمد هو الله قل إي وربي إنه الله». ثم لننتبه إلى قوله: «وأسماءك مظهره»، وإلى قوله: «ومنشأ كونك منه»، وكل هذا داخل فيما يسمونه «الحقيقة المحمدية» التي هي جزء من عقيدة «وحدة الوجود».

أما قوله: «ومنشأ كونك منه»، فهو أكثر وضوحاً من قول البوصيري في البردة:

فإن من جودك الدنيا وضرتها ومن علومك علم اللوح والقلم

ويقول «من نفس الصلوات»:

اللهم بك توسلت. . . أن تصلي عليه صلاة أبدية ديمومية قيومية إلهية ربانية، تُصَفِّينا بها من شوائب الطبيعة الآدمية، بالسُّحْق والمحق، وتطمس بها آثار وجودنا الغيرية عنا في غيب غيب الهوية، فيبقى الكل للحق في الحق بالحق، وترقينا بها في معاريج شهود وجود ﴿سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق﴾[2].

ـ السحق: ذهاب تركيبك تحت القهر (ابن عربي في «اصطلاح الصوفية»)، ويفسره الدكتور عبد المنعم الحفني: «هو الاضمحلال، أي ذهول العبد تجاه قهر الحق».

---

(١) بوارق الحقائق، ص٣٢٦. (٢) بوارق الحقائق، ص٣٤٠.

- المحق: فناء وجود العبد في حضرة الحق، أو فناء وجود العبد في ذات الحق، أو فناؤك في عينه.

- وسياق الكلام يُظْهِر المعنى الذي يشيرون إليه من الآية: ﴿حتى يتبينَّ لهم أنَّه الحق﴾، فهو يعني أن محمداً هو الحق، بجعل الهاء من «أنه» عائدة على محمد ﷺ، وجعل «الحق» من أسماء الله الحسنى.

- وهذا الكلام يدور - كما هو واضح - حول الحقيقة المحمدية، وبالتالي وحدة الوجود.

ويقول:

قد حاول الجمعَ أقوامٌ فأرجعهم	موتى وهم بظَنين الظنّ أحياء
فالعارفون بباب الفَرْق موقفهم	والأنبياءء العرانين الأجلاء
قال اتحاداً أناس والحلولَ حكوا	والكل صذمتُهم في الدين دهماء
لو حلّ فيهم على فرض المحال لما	منهم تحلل بالتحويل أجزاء[1]

- يقول في البيت الأول: إن أقواماً حاولوا الوصول إلى مقام الجمع، ولكنهم فشلوا ورجعوا خائبين موتى ويظنون أنفسهم أحياء، وطبعاً يقول هذا الكلام ليقارنهم مع نفسه والمقام الذي وصل إليه.

- وفي البيت الثاني يقول: إن العارفين، وهم الذين وصلوا إلى مقام الفرق الثاني «أو صحو الجمع . .»، وكذلك الأنبياء، يقفون بباب الفرق، بمعنى أنهم يظهرون للناس العبودية لله، ويكتمون سر «الجمع».

- يهمنا من هذه الأبيات، البيتان الأخيران، لأنه ينفي بهما الاتحاد والحلول، ونعرف أن الاتحاد لا يكون إلا بين اثنين يتحدان ببعضهما. وكذلك الحلول يحتاج إلى اثنين يحل أحدهما في الآخر.

ويقول في نفس القصيدة:

وقائل الحق لم تُقلَب حقيقته	وإن ترنَّم بالتبديل ورقاء

(١) بوارق الحقائق، ص١١٠.

سرٌّ تكاتمه أهل القلوب فخذ ... منه الرموز وما للسر إفشاء
الفرق بين نماط الجمع متسق ... والجمع يَشْهَدُه لطفٌ وإنطاء
يُسِفُّه الحق سفًّا ثم يرجعه ... فرقاً وفي الأمر تجريد وإكساء[1]

ـ في الواقع، ليس هنا مكان هذه الأبيات، والتي قبلها، فمكان هذه في فصل سابق، ومكان التي قبلها في ما يلحق، وقد أوردتها هنا من أجل القارىء الذي يريد الرجوع إلى كتب الرواس ـ مَن نحن في حضرته الآن ـ فإنه سيجد في كتبه كلاماً يوهم لأول وهلة بـ «الفرق»، وقد يوهم بـ «الحلول» أو بـ «الاتحاد»، وكل ذلك هو من الأسلوب الإلغازي، أو «العبارة» ومن التقية.

ولتوضيح ذلك، لا بأس من نظرة سريعة على الأبيات الأخيرة.

في البيت الأول: «وقائل الحق لم تقلب حقيقته. . .»، يقول: إن الذي يقول الحق، أو «العارف» لا يتغير، ولا تُقلب حقيقته، أو حقيقة أنه عارف، إذا ترنَّم بالتبديل، أي إذا بدل القول، وقال بعكس الحقيقة . . فإنه يبقى على حقيقته.

ـ وفي البيت الثاني يشرح سبب ذلك، فيقول: إنه السر الذي يتكاتمه أهل القلوب ـ وهم طبعاً الصوفية ـ ويطلب من المخاطَب الذي يعنيه هو، يطلب منه أن يأخذ من الكلام الرموز، لأنه لا يفشي السر.

ـ وفي البيت الثالث: «الفرق بين نماط الجمع . .»، يقول: إنه يذكر في كلامه «الفرق» الذي هو التفريق بن الخالق والمخلوق، أو «العبودية»، متسقاً مع الجمع، أي إنه يذكر الجمع ثم الفرق ثم الجمع ثم الفرق، وهكذا . . . وأن الجمع يَشْهَدُه اللطف في البحث والتمعن به.

ـ والبيت الرابع واضح جدًّا.

ويقول علي اليشرطي[2]:

(١) بوارق الحقلثق، ص١٠٩.

(٢) الشيخ علي نور الدين اليشرطي، مغربي هاجر إلى عكا، وأسس الطريقة الشاذلية اليشرطية، مات عام ١٣١٦هـ.

الـوجـود، هو الكتاب، والأنبياء سوره، وأكابر المسلمين والكفار آياته، وعامة الخلق كلامه، والوجود الناقص حروفه، والمجموع هو الله[1].

ويقـول: انظـر لمن يقـرأ القرآن، كل إنسان يقرأ بسورته، فالوجود كله فرقان، فمن جاوز قرآنه فرقانَه، كمل إيمانه وعرفانه[2].

ـ لعلنـا نذكـر، من النصوص السابقة، أنهم يعنون بـ «القرآن» مقام «الجمع»، وبـ «الفرقان» مقام «الفرق».

ويقول: قارىء القرآن مناجي الحق، قارىء القرآن ترجمان الحـق، والقرآن حضرة الجمع[3].

وقـال: متى استـوى الجمـع في بطن الفقـير، تتفجـر ينـابيع الحكمة من قلبه على لسانه، وتظهر الأسرار والأنوار، وعلى هذه الحالة كان مَنْ قُتل وعُذِّب في مقام الجمع، أما صاحب الفرق الثاني، فهو يسري في الممكنات سريان الماء بالعود الأخضر[4].

وقال: مَن استوى جمعه، صار قيومَ كل ذرة من ذرات الوجود[4].

وقال: إذا كان الإنسان في حالة جمعه سائراً لله، شهد اللهَ في كل شيء، فيكون في مقام الواحدية؛ فإذا تم جمعه، سار به الحق، وما رأى شيئاً طلبه إلا أنكره، ويكون ذلك الإنكار من جملة مطلوبه، ويكون الوجودَ الحق، وهذا مقام الأحدية، فهي أصل لظهور الممكنات التي هي أرض العبودية[5].

ـ كلمـة «الممكنـات» وشـرحهـا في النص الأخـير يوضح مراد الشيخ من قوله: «فهو يسري في الممكنات. . .» في النص السابق.

وقال: اجعل ظاهرك عبودية، وباطنك أحدية، وميّز ومهّد[6].

هذا القـول هو نفس قول الجيـلاني، «فبظـاهره ينظر إلى ما في السوق، وبقلبه ينظر

---

(١) نفحات الحق، ص٦٩.
(٢) نفحات الحق، ص٧٠.
(٣) نفحات الحق، ص٩٧ و٩٨.
(٤) نفحات الحق، ص٩٨.
(٥) نفحات الحق، ص٩٨ و٩٩.
(٦) نفحات الحق، ص٩٩.

إلى ربه»، ونفس قول أبي الحسن الشاذلي: «اجعل الفرق في لسانك موجوداً والجمع في جنانك مشهوداً»، وقول ابن عجيبة: «إياك أن تقول أناه، واحذر أن تكون سواه». . وقد مرت معنا ومر غيرها أيضاً بنفس المعنى.

وقال: يصل الفقير إلى مقام يقول فيه للشيء: كن فيكون. ثم تابع حديثه فقال: والبعضُ عند الخاطر[1].

- ويعني بقوله: «عند الخاطر»، أي يحصل الشيء عندما يمر بخاطره فقط، دون أن يقول له: «كن».

وقال: ما زال العبد يذكر الله، حتى يستولي عليه الاسم، ومتى استولى عليه الاسم، انطوت العبدية بالربية، وظهرت عليه صفات الرب، ولذةُ الرب تُغيِّب العبد عن وجوده حسًّا ومعنى[2].

وقال: . . . ومَن يرحمُ الفقير ربي يحسن إليه، وهذه وحدة الوجود لا يحصل عليها أي إنسان، فهي للأصفياء والأنبياء[3].

وقال: مر سائح كان يبحث عما يقربه إلى الله تعالى، ثم إذا هو بامرأة تحمل ولدها على منكبها فقالت له: ألم تر ولدي؟ فقد فقدته! فنظر إليها وقال: هو ذا الولد على منكبيك وتسألين عنه! فقالت: يا عجباً هو معنا وندور نبحث عنه! فانتبه الرجل لحاله وقال لها: جزاك الله عني خيراً[4].

وقال: ما في فراق (أي الفرق غير موجود)، ﴿فأينما تولوا فثم وجه الله﴾، الفراق من هذا القفص، ومتى خرجت منه تنظر جميع العوالم متصلة بك[5].

- يعني بالفراق: الفرق، وبالقفص: الجسد.

وقال: العبد قابل لظهور تجليات الحق[6].

---

(١) نفحات الحق، ص٩٩.
(٢) نفحات الحق، ص١١٠.
(٣) نفحات الحق، ص١٣٤.
(٤) نفحات الحق، ص١٦٣.
(٥) نفحات الحق، ص٢٢٥.
(٦) نفحات الحق، ص٢٣٥.

ـ هذا القول ظاهر المعنى، ومع ذلك فالنصوص التالية تزيده ظهوراً.

يقول محمد بهاء الدين البيطار[1]:

... فاعلم أيدك الله وإيانا بروح القدس، وأراك آياته في الآفاق وفي النفس، أن لله أسماء، وأسماء الأسماء، فأما أسماء الأسماء فهي التي يعلمها عموم الناس من الأسماء الرقمية أو اللفظية أو الذهنية، فهي في الحقيقة أسماء للأسماء وليست عين الأسماء، والأسماء الحقيقية هي أعيان العالم وصور حقائق المعاني، إذ من المعلوم أن اسم الله المميت مثلاً ليس المؤثِّر منه بالموت هذه الحروف التي هي الألف واللام والميمان والياء والتاء، وإنما المؤثر بالموت معنى هذه الحروف الذي هو الحقيقة العزرائيلية، وليس المميت عزرائيل[2] فقط، بل عزرائيل مظهر من مظاهر الاسم المميت وصورة من صوره، ومعلوم أن صوَرَه لا تتناهى، فكل ما أمات فهو صورة للاسم «المميت»، فصورة الاسم تفنى، وأما جوهر الاسم وعينه فلا تفنى، لأنها عين الوجه الباقي، وكل شيء هالك إلا وجهه. فأسماء الله على الحقيقة أعيان العالَم وحقائقُه، ومظاهر الأسماء هي صور العالم، فلكل اسم إلٰهي من الصور ما لا يتناهى، فكل ما أمات، مثلاً، من ثعبان أو سيف أو رصاص أو حجر أو عصا فهو صورة من صور الاسم المميت، ومعنى المميت شأنٌ من شؤون الذات الإلٰهية، وهو عين الذات، ومن هنا يُفهم قوله تعالى: ﴿فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم﴾، فتارة ينسب الله تعالى الإماتة إلى عزرائيل، فيقول: ﴿قل يتوفاكم ملك الموت﴾، وتارة إلى الملائكة مطلقاً، فيقول: ﴿الذين تتوفاهم الملائكة﴾، وتارة إلى البشر، فيقول: ﴿فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم﴾، وتارة يقول: ﴿الله يتوفى الأنفس﴾، فإذا فهمت ذلك، وعلمت أن المظاهر صور الظاهر، والظاهر حقيقةٌ واحدة، وهو وجود مطلق أحديّ العين، تجلّى في صور مختلفة، فأنت بالخيار، فإن شئت فانسبْ إلى الصورة الظاهرة مراعاة للأسباب، وإن شئت فانسبْ لحقيقة الصور كلها، والتي هي وجود الله تعالى، إذ الصور كلها مندرجة في وجود الله اندراج أمواج البحر، فالأمواج هالكة في البحر، وهي عينه، فالمظاهر عين الظاهر، فليس إلا الله بلا مزج ولا حلول ولا اتحاد، بل القوم بريئون من

---

(١) محمد بهاء الدين البيطار الشامي الميداني، من شيوخ الطريقة الرشيدية، مات سنة ١٣١٤هـ.

(٢) الاسم عزرائيل لم يرد في قرآن ولا في سنة صحيحة، وقد عبر إلى كتب المسلمين من اليهودية بواسطة المتصوفة.

جميـع ذلـك والله على ما نقـول وكيل . وإذا فهمت ذلك ، فخذ جميع أسماء الله على هذا المنـوال ، فالـرزاق والحفيـظ والسميـع والبصير إنما هي المظاهر القائمة بهذه المعاني ، فهي الأسماء لا الكلمات المؤلّفة من بسائط حروف هذه الأسماء ، لأن حروف الرزاق لا ترزق ، ولا لفظ الرزاق ، وكذلك لفظ السميع ليس هو السميع ، هكذا ، بل هذه الكلمات أسماء الأسماء لا عين الأسماء ، كما حققه شيخنا الأكبر في «الفتوحات المكية» ، سأل مريد أستاذه عن الاسم الأعظم ، فضـربـه بحصـاة ، فكـان هذا الضربُ هو الجوابَ ! يشير له : أنك أنت الاسم الأعظم ، إن عرفت نفســك وأقمت الجــدار عنــك ، فيظهــر لك كنـزك ، وينكشف لك سر قوله ﷺ : «من عرف نفسه عرف ربه» ، إذا تحققت ذلك وتيقنته وسلمه قلبـك بالإيـمان القطعي . قال الشيـخ الأكـبر قُدس سره في كتاب «بلغة الغواص» : قال تعالى : ﴿إنه من سليمان وإنه﴾ يعني سليمان ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ ؛ فجعل سليمان عليه السلام عين ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ . وإذا فهمت التفصيل المتقدم بين الأسماء وأسـماء الأسـماء ، سهُـلَ عليـك فهمُ هذا . فإن الكامل في وقته مظهرُ هذه الأسماء الثلاثة التي هي : الله والرحمن والرحيم ، بل مظهر أسماء الله على الكمال ، القائم بحقيقة الجمال والجـلال . قيـل لبعضهم : كيف أصبحت؟ فقـال : أصبحت أحيي وأميت وأنا على كل شيء قدير[1] . . .

ويقـول : نحمـدك اللهم يا من صلى على محمد بفيض ذاته فكان مجلى له في جميع تجلّياته . . . وأشهد أن لا إله إلا الله ولا موجود في هذا الوجود إلا إياه ، وأشهد أن محمداً ﷺ إنسان عين ذاته وسرُّ إمداداته[2] . . .

ويقـول : . . . ورد في الحـديث القدسي : «العظمة إزاري والكبرياء ردائي» فإزاره عينـه ، ورداؤه عينـه ، فالمظهـر عين الظـاهـر ، والاسم عين المسمى ، فهـو المحيـط بذاته بإحاطةٍ هي عين ذاته ، فكل ما تحيط به ذاته هو عين ذاته ، فكل شيء له الكمال الذاتي المشار له بقوله تعالى حكاية عن هود عليه السلام : ﴿ما من دابة إلا هو آخذ بناصيتها إن ربي على صراط مستقيم﴾ ، فصـراطـه ذاتـه ، فهو الآخذ بناصية كل شيء بذاته لذاته ، والمأخـوذ عين ذاتـه ، فهو عين الصراط المستقيم الأحدي ، وهو الذي عليه ، فما على هذا

(١) النفحات الأقدسيه ، ص٥ و٦ .

(٢) النفحات الأقدسية ، ص٣ .

الصراط إلا هو، وكل شيء عليه، فهو ذات كل شيء، وحقيقة النور والظل والفيء، ﴿وأن إلى ربك المنتهى﴾، فالأول عين الآخر، والظاهر عين الباطن، فالوجود واحد، كان الله ولا شيء معه، فهو تعالى كائن لا يزول، وأسماؤه لا تزول، كل يوم هو في شأن، فالشمس تجري لمستقر لها، ولا مستقر لها سواها، وها هنا كنز مطلسم[1]. . .

ويقول: . . . فما الأمر إلا هو، فكل أمرٍ عينُ الهو، وواقعٌ على الهو، وأوله هو، وآخره هو، وظاهره هو، وباطنه هو، وحقيقته هو، وذاته هو، قال الله تعالى: ﴿قل هو الله أحد﴾، غير أن هذه الهوية لها وجهان، كل منهما مرآة الآخر في عينٍ واحدة[2]. . .

- في هذا النص يتوضح لنا معنى كلمة «الهوية» التي مرت معنا في نصوص سابقة، ولنتنبه إلى تفسيرهم لـ ﴿قل هو الله أحد﴾.

ويقول: «جَمع الجمع، وفرّق الفرق، من حيث لا جمع ولا فرق»[3]، أي إن الجمع والفرق حُكمان اعتباريان معقولان، وما ثَم إلا عين واحدة، هي المخبَّر عنها بالحي القيوم، فلا حي سواها، ولا قيوم سواها، كان الله ولم يكن شيء غيره، أي: «لا غير»، وهذا الحكم مستمرٌّ أزلاً وأبداً، كل شيء هالك إلا وجهه له الحكم وإليه ترجعون، فمن رأى الأشياء معه فقد جهل، فإن الله تعالى دفع هذا الوهم بقوله: ﴿فأينما تولوا فثم وجه الله﴾، فأين الأشياء؟ إلا أن الكاملين يَسْتُرُون هذا الوجه بأسماء الأشياء[4].

ويقول محمود أبو الفيض المنوفي[5]:

وكذلك كل ما يبزغ أو يبدو في الكون من حياة أو وعي أو إرادة تنجلي كلها لكفاياتنا العليا كأنها نعوت وخصائص أصلية لذلك الكائن الأسمى الذي يبدو أنه مطلقٌ يشملُ اقتدارُه وإبداعه وجودنا ووجود غيرنا من الكائنات وما وراءها من كائنات معجبة بأفعالها

---

(١) النفحات الأقدسية، ص١١٣.

(٢) النفحات الأقدسية، ص٢٨٠.

(٣) هذه الجملة بين الحاصرتين هي من الصلوات الأحمدية الإدريسية التي هي من أوراد الطريقة الرشيدية.

(٤) النفحات الأقدسية، ص٢٨١.

(٥) مؤسس الطريقة الشاذلية الفيضية في مصر، أسس الكلية الصوفية عام ١٩٢٧، وبقيت حتى عام ١٩٣٣، ثم أصدر مجلة البهلول.

الخفية، ودليل ذلك أن الوجود في شموله ـ مع ما يبدو فيه من كثرة وتعدد ـ يمثل لإدراكنا الذاتي وحيرتنا النفسية الوجدانية وحدة شاملة مؤتلفة الروابط والعلائق وإن تفاوتت فيها النسب والأوضاع والكيفيات والوظائف لدى الحس والحواس والعقل والمعقولات، مما يدلك دلالة صريحة موجبة لليقين قاطعة للشك على أن أصلها سبب إلهي مبدع لأسباب أولى الكائنات وعللها القريبة التي تصدر عن مشيئته، وهو ضرورةً يدرك ما يفعل قبل أن يفعل وبعد أن يفعل، وتصير إليه أيضاً في النهاية نتيجة ما أراد وما فعل، وهو نفسه، فهو يقيناً ذلك الكائن الغيبي الذي نظم الكون ما علا منه وما سفل، بسماواته وأراضيه، وقد طبعها جميعها على أسلوب يجعلها كمًّا واحداً متناغم الوحدات مترابط الحلقات، إن صانعها ومبدعها واحد أحد، وقد جعل الكائنات كلها تتطور وتترقى إلى هدف خاص بالمجموع، كما لو كان هذا المجموع الكلي كائناً واحداً يهدف إلى حقيقة لا يُدْرك لها غور ولا نهاية، وما ذلك إلا لأن مبدع الكل كائن مطلق، ومتوحد في وجوده المتسامي[1].

● **الملاحظة:**

نحن الآن أمام ظاهرة في الكتابة الصوفية، فيها شيء من الجدة، هذا الشيء هو العبارة الخائنة، التي خانت قائلها فأظهرته بمظهر التناقض الصارخ، وإليك النص التالي الذي هو أكثر وضوحاً من هذا السابق.

يقول: . . . وقد أقاموا ـ أي الذين يهاجمون التصوف ـ أنفسهم بمعارفهم الضئيلة حكاماً قساة على أولياء الله وعارفيه بدون مبرر يبرر نظرياتهم لا من الشرع ولا من العقل، حالةَ أنهم لم يتذوقوا من مشارب القوم وعلومهم ومعارفهم ومواجيدهم فيما بينهم وبين ربهم، وكذلك في نظراتهم السامية العميقة لهذا الوجود! وأول ما يرمون التصوف به من كذب عظيم اتهام جميع شيوخ التصوف بوحدة الوجود، فما وحدة الوجود يا ترى؟ هل هي الجمع بين وجودين أزليين أبديين أو واقعين، وهو المستحيل، أو بين حادث وقديم وهو مستحيل أيضاً، والقوم أهل توحيد؛ أو يريدون بالحقيقة جعلها اثنينية بين خالق ومخلوق؟ وهذا باطل ينفيه التصوف الحق[2].

---

(١) معالم الطريق إلى الله، ص ٤٣.

(٢) معالم الطريق إلى الله، ص ٤٠٤.

● التعليق على هذا الكلام:

ـ يقول: «وقد أقاموا أنفسهم بمعارفهم الضئيلة . .»، فنجيبه:

وقال السها للشمس أنت ضئيلة   وقال الدجى «للظهر» لونك حائل

لكن تقريراً للحقيقة: إن هذه العبارة تعني معارفهم الضئيلة بالصوفية، وهو بهذا صادق، لأن كل الذين هاجموا التصوف كانوا لا يعرفون عنه إلا أموراً سطحية، فمعارفهم به كانت ضئيلة.

وقوله: «. . . حكاماً قساةً على أولياء الله وعارفيه بدون مبرر. . .»، فنجيبه:

أ ـ الذي يحكم بالقرآن والسنة لا يكون حاكماً قاسياً، والذي يتهمه بذلك يخرج من الإيمان: ﴿فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجاً مما قضيت ويسلموا تسليماً﴾[1].

ب ـ يقول: «. . على أولياء الله . .»، فمن قال لك يا هذا أنكم «أولياء الله»، أولم تقرأ الآية الكريمة: ﴿ألم تر إلى الذين يزكون أنفسهم بل الله يزكي من يشاء ولا يظلمون فتيلاً. انظر كيف يفترون على الله الكذب وكفى به إثماً مبيناً﴾[2].

ج ـ أما قوله: «بدون مبرر!!»، فجوابنا: بل المبرر موجود وموجود وموجود، وهو من الشرع، ومن القرآن، ومن السنة، وهو فرض لا سنة، إنه الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

ـ ويقول: «وكذلك في نظراتهم السامية العميقة لهذا الوجود. .»، فنجيبه: قرر مشايخ الصوفية وكبارهم وعارفوهم والمكاشفون والمشاهدون أن الحقيقة هي زندقة بالنسبة للشريعة، فإن كانت نظرات «أهل الحقيقة» سامية وعميقة! فكيف تكون نظرات الشريعة المناقضة لها؟؟ طبعاً ستكون بعكس ذلك! ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم. وإنا لله وإنا إليه راجعون.

ـ ويقول: «وأول ما يرمون به التصوف من كذب عظيم اتهام جميع شيوخ التصوف

---

(١) سورة النساء: ٦٥.

(٢) سورة النساء: ٤٩ و٥٠.

بوحدة الوجود. . .» فنجيبه:

لقد أفحمتنا يا شيخ؟! لأن القول بأن اتهام جميع شيوخ التصوف بوحدة الوجود هو كذب عظيم!! هذا القول هو مفحم جدًّا!! بل وجدًّا جدًّا أيضاً!! ولا يسعنا أمام ما يأتي به هؤلاء الأولياء العارفون من صدق عظيم وجرأة عظيمة وفصاحة أعظم إلا أن نقول: اللهم إنا نشكو إليك هذا البلاء العظيم الذي دمر الأمة الإسلامية، والذي يصر أقطابه على السير في طريقهم للقضاء على ما تبقى لهذه الأمة من عقيدة إسلامية وأخلاق ووجود، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

ـ ثم يقدم التساؤلات: «فما وحدة الوجود يا ترى؟! هل هي الجمع بين وجودين أزليين أبديين أو واقعين؟». ويجيب نفسه: «وهو المستحيل».

ونقول: نعم، هو مستحيل، ولم يقل أحد إن هذه هي وحدة الوجود، ونعجب من شيخنا كيف يورد هذا التساؤل الذي لم يرد!! ولكنه الأسلوب الماهر.

ويواصل شيخنا تساؤله: «أو بين حادث وقديم؟! وهو مستحيل أيضاً».

ونجيبه نعم، إن الصوفية لا تقول بهذا، لأنه هو ما يسمى بالحلول أو الاتحاد، والصوفية بريئة من كليهما، والإسلام بريء من الجميع.

ويقول: «والقوم أهل توحيد».

فنجيبه: نعم، إنهم أهل توحيد، وقد رأينا توحيدهم في أكثر من مائة نص سابق، وعرفنا ما هو، إنه توحيد الوجود.

ثم يقول: «أويريدون بالحقيقة جعلها اثنينية بين خالق ومخلوق؟! وهذا باطل ينفيه التصوف الحق». فنجيبه:

نعم، نعم، الاثنينية بين الخالق والمخلوق، أي وجود خالق ووجود مخلوق، حيث يكون في الوجود اثنان، «خالق ومخلوق» فهذا مرفوض عند الصوفية، وقولك يا شيخنا: «هذا باطل ينفيه التصوف الحق» هو صحيح تماماً. فالتصوف الحق لا يؤمن بوجود «خالق ومخلوق»، وإنما يؤمن بوجودٍ واحدٍ فقط هو الحق، وما الخلق منه إلا كموج البحر من البحر، وهي هي نفسها «وحدة الوجود».

ونقـول: يا شيخنـا، ها أنت تقـرر وحدة الوجود عندما ترفض الاثنينية، إذن، فلم اتهمت (الذين يرمون شيوخ التصوف بوحدة الوجود)، لم اتهمتهم بالكذب العظيم؟ وهم لا يرمونكم إلا بما أنتم عليه.

وللإيضاح: يقول النص: «. . . اتهام جميع شيوخ التصوف»، وهذا يعني أن قسماً من شيوخه لا يؤمنون بوحدة الوجود، وسنرى فيما يأتي أن الذين لا يؤمنون بالوحدة هم الدخلاء على التصوف الذي يدّعون المشيخة دون ذوق أو معرفة (ومن تشبه بقوم فهو منهم).

ويقول في نص آخر:

إنـما ترجحت هذه الطـائفـة من حيث ارتفـاع معـارفهـا، لأن من تحقق عنده العلم بانفراد الله سبحانه بالفعل والصفة والذات وقيام مآثر الموجودات بما يخلقه لهم وفيهم من الصفـات والحيـاة، قاده ذلـك إلى جمع الهمـة عليه وعكوفها لديه، وتصفو هذه المعرفة في ميدان الفناء عن ذكر غيره ورؤية سواه، وإذا فني العبد عن الأغيار، كملت معرفته لبقائه مع الحق، وقلت غفلاته عنه، وهو علم البقاء، وإذا وصل من المعرفة إلى هذا الحد من التمكن، شارف عين الجمع، أي الحقيقة، وصار الجمع له حالاً، فَعَينُ الجمع بخلاف علم الجمـع الخـاص بذلـك (والجمـع هنا جمع معنوي خالص لجمع الروح على خالقها ونافخها دون حلول أو اتحاد أو اتصال أو انفصال كما يحدث في المحسّات وهو الحلول)[1].

● **تعليق:**

الأسلوب فيـه شيء من الجـدة كما قلنـا. فهـو يقـول: «انفـراد الله سبحـانه بالفعل والصفـة والـذات»، بدلاً من قولهم: «وحدة الأفعال والصفات والذات»، ولكنه يضيف عبـارة جديـدة هي انفـراده سبحانه بـ «قيام مآثر الموجودات» التي هي لا تخرج عن معنى وحدة الوجود، ولكن فيها شيء من الغموض يساعد هذا العارف على إضاعة القارىء العـادي، خاصـة عندما يضيف الجملة: «بما يخلقه لهم وفيهم من الصفات والحياة» التي تعني «الفرق». ويعني بعبارة «جمع الهمة عليه وعكوفها لديه» مقام الجمع، وهو واضح.

---

(١) معالم الطريق إلى الله، ص٢٦٢.

على أننا لوقبلنا جملته الأخيرة حسب ظاهرها الذي يمكن أن يفهمه القارىء العادي لكان النص كله تفاهة وسخافة، بل لكان كتابه كله كذلك.

ويشرح لنا كلمتين يستعملونهما كثيراً وهما: «اتصال وانفصال» ويقرر أن ذلك هو الحلول.

وتوضيح ما يريده هو أن الاتصال يقتضي وجود اثنين متصلين ببعضهما، وهو الحلول، والانفصال يقتضي وجود اثنين أيضاً منفصلين عن بعضهما، وبما أن الاثنينية مرفوضة، إذن فلا اتصال ولا انفصال، بل وحدة، والجمع هو الإحساس بهذه الوحدة ذوقاً واستشعاراً.

ويقول: وأما المرحلة السابعة، فهي مرحلة السعادة الأبدية التي يقول الله سبحانه وتعالى في وصفها بحديثه القدسي: «ما تقرب إلي عبدي بمثل ما افترضت عليه، وما زال يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه وبصره ويده ولسانه إلى آخره»، وهي المرحلة التي قيل فيها أيضاً: (وهناك ما لا عين رأيت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر)، وهي المرحلة التي قلنا فيها من قصيدتنا الوجدانية:

فلما قرعتُ الباب قصدَ لقائها ... خلعتُ لها جاهي وعلمي ودعوتي
وحقّقتُ وصفي وهو ذلي لعزها ... وعاديت فيها حظ نفسي وعادتي
فلما رأت ذلي وعجزي وفاقتي ... تجلّت إلى قلبي بمكنون حكمتي
وقرّبني الساقي لحان شرابها ... فكان بها سكري وصحوي ونشوتي
ولما بدتْ من طُور ليلاي نارها ... رأيت بها منها إليها هدايتي
وصارت تناجيني بحُلْوِخطابها ... فشاهدتُها لكن بعين بصيرتي
وأبصرت أسراراً تسامت بذاتها ... وإني أرى شرحي لها فوق طاقتي
فإني إذا ما بحت يوماً بسرها ... لقيت حمامي بعد تمزيق مهجتي
ولست على سرٍّ أميناً إذن ولا ... حظيت بقربٍ عند أهل مودتي

وفي مثل هذا المقام يقول الإمام الغزالي رضي الله عنه حيث بلغه ووصل إليه من طريق الشهود:

وكـان ما كان مما لسـت أذكـره فظنَّ خيراً ولا تسأل عن الخـبر[1]اهـ.

ـ اعتـدنـا أن نسمـع من القوم قولهم: «تحققت بأوصافها» وما شابه ذلك، أما هنا، فيعكس الأسلوب زيادة في التعمية، حيث يقول: «وحققت وصفي»، إذن فهو بعد كل الجهـد الطـويـل والـرياضات المملة والخلوة والجوع والسهر، وبعد تأليف الكتب، ما زاد على أن حقق وصفه فقط!! وبكل هذه البساطة. مع العلم أن كل ما يدب على الأرض محقّقٌ وصفـه الـذي هو ذلـه لعـزهـا، دون هذه الفلسفـة، لأنـه فُطِر على تحقيق وصفه: ﴿فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله﴾[2].

ولكن، نقول للقارىء، إنه الإمعان في التقية! ولنوضح الأمر:

في مراحـل من تاريـخ المسلمين، وصلت المجتمعات الإسلامية، بمساعي الصوفية وجهـودهم المستمـرة، إلى أحـط دركـات الجهل والغفلة، حيث «أخذ الأولياء العارفون الصـديقـون المقـربـون الطـاهـرون المطهـرون الأبـرار الـواصلون المحققون المصطفون المحبـوبـون المؤيـدون العالمون الموحدون خواص الخواص. . .»، حيث أخذوا حريتهم الكاملة في البيان، وأرْخوا لعباراتهم العنان، وباحوا بالسر المصان.

وقد رأينا قول بعضهم: «وحسبه. . إشراق نور وحدة الوجود».

ولعل النص التالي يغني عن الإطالة وإيراد نصوصٍ أُخر.

يقول الشيخ عبد الرزاق القاشاني:

وبعـد، فإن الـزمـان تقاصرت أذياله، وكادت ترتفع بانكشاف الحق أسباله، ونطق الحق على لسـان الخلق بأسـراره، وزهق البـاطـل بتشعشع أنواره، واقتضت الحقيقة أن تُهْتَك أستـارهـا، وطفقت في كل سمـعٍ يُحدّث أخبـارُهـا؛ أقبـل عليّ جماعـة من إخوان الصـدق والصفـا، وأربـاب الفتوة والوفا، من أهل العرفان والتحقيق، ومَن أيدته العناية بالتـوفيق، خصـوصـاً كالصـاحب المعظم العـالم العـارف المـوحّـد المحقق، شمس الملة

---

(١) بداية الطريق إلى مناهج التحقيق، ص٦٦. والواقع أن نص الغزالي هذا مسروق، أو منقول نقلاً شبه حرفي من كتاب: «قوت القلوب»، وكذلك نصوص كثيرة غيره.

(٢) سورة الروم: ٣٠.

والـدين، قدوة أربـاب اليقـين. . . أن أشرح لهم كتاب «فصوص الحكم». . . شارطين عليّ أن لا أكتم شيئاً من جواهر كنوزه[1]. . . اهـ.

ـ والكتب الصوفية التي أُلفت في القرن الثالث عشر الهجري وعدة قرون قبله، تحمل كلها، أو جلها، طابع التصريح الكامل بوحدة الوجود، وما يدور حولها من عقائد وفلسفات.

وجـاء القـرن الـرابع عشر، وتوسعت الثقافة، وزاد فهم بعض المسلمين للإسلام، ولبعض أعـداء الإسـلام، ولبعض أمراض المسلمين، وفهموا، بسبب الكتب التي ألفت في القرون السابقة، الكثير عن هذا السرطان الخبيث، وخطره ومكره، وأخذوا ينبهون عليه.

فأسـرع «العـارفـون الصـديقون الصادقون» إلى تقيّتهم ورموزهم وألغازهم، وكلما توسع الوعي الإسلامي قليلاً، كلما زادوا في التعمية والغموض.

والنصـوص الأخـيرة صور من هذه التقيـة الجديدة، التي أخذت تمعن في الغموض والتعمية، حتى وصلت إلى حد الكذب الجريء.

كان القـوم يستعملون فيـما سبق العبـارة والـرمـز واللغـز والإشارة، أما في حاضرنا، فأخذوا يستعملون الإنكار!؟

ومـاذا عليهم؟ فالمهم هو «جلب الـزبـائن»، حتى إذا خضـع الزبون للشيخ، وقام بالـريـاضـات والمجاهدات والخلوات، التي تحقنه بالإيحاء الذاتي حقناً يملأ كل خليَّةٍ في جسمه، وطبَّق عليه شيخه الإيحاء الخارجي المستمر، حتى يصل إلى الجذبات، وتتجلى عليـه التجليـات، ويـذوق من معاني الألوهية، أو يذوق على الأقل معْنى اسم من أسماء الحق، عندئذ يُمسون عارفين، ولات حين؟؟

والـذين لا يصلون، من الـذين وقعـوا في الشبكـة، يمسـون، بتأثـير الإيحـاءات، أنصـاراً مغفَّلين متحمسـين، يدافعون عن الشيخ العارف، وعن الطريقة المجيدة، وعن

---

(١) شرح القاشاني، ص٤.

السـالـك المـريـد . . . ويمهـدون المنـزلقـات إلى الهـاوية، ويغطونها بالألفاظ المنمقة، والأكاذيب الجريئة المزوقة . . . انتظاراً لصيد جديد، في يوم جديد.

وقد تطور هذا الأسلوب أكثر وأكثر، وصار أكثر جدةً.

وهـذا الأسلوب الجـديـد، لا يخرج على القاعدة التي وضعها سيد الطائفة الجنيد، عنـدمـا قرر: «لا يكـون الصـدِّيق صدِّيقـاً حتى يشهـد له في حقـه سبعـون صدّيقـاً أنه زنديق»، وفي رواية: «ألف صديق . . ».

ولا يخرج على قاعدة الجنيد عندما أفتى هو والشبلي بقتل الحلاج، وهما يعلمان أنه، في الحقيقة، ولي الله حقًّا.

ولا يخرج على القـاعـدة التي وضعهـا أقطـابهم وعارفوهم، والتي هي شرحٌ لقاعدة الجنيـد، والتي تقـول: «إن الصـدِّيق يعطي الظـاهـر- أي الشـريعـة - حكم الظـاهر، ويعطي الباطن - أي حقيقتهم - حكم الباطن»، وبالتعبير الآخر «لا يلبس بالباطن على الظاهر ولا يلبس بالظاهر على الباطن».

كما لا يخرج على القانون الأساسي للطائفة: «إياك أن تقول أناه، واحذر أن تكون سواه».

وكما قلنا: المهم هو جلب الزبائن، وبعد ذلك يأتي التسليك، ثم يأتي الباقي.

ويقول عبد القادر عيسى[1]:

اختلف علماء النظر في موقفهم من العارفين المحققين القائلين بوحدة الوجود، فمنهم من تسرع باتهامهم بالكفر والضلال وفهم كلامهم على غير المراد[2] . . .

- إذن، فالعارفون المحققون يقولون بوحدة الوجود، وهذا اعتراف كامل من عارف محقّق، كما يعـتـرف أن من علماء النظـر من يتهمهم بالكفر والضلال، لكنه يتهم المتَّهِمين

---

(١) شيخ الطريقة الشاذلية الدرقاوية في حلب.

(٢) حقـائق عن التصـوف ص٥٥٢، وللعلم، يقـال: إن كتـاب «حقائق عن التصوف» هو من تأليف أحد تلاميذ الشيخ، نسبه إلى شيخه طلباً للقربى والوصول.

بالتسرع، وعدم فهم كلامهم. فهل صحيح أنهم لم يفهموا كلامهم؟ مع أنه يقرر بوضوح أن العارفين المحققين يقولون بوحدة الوجود، فكيف ذلك؟

يتمم كلامه، فيقول:

... ومنهم من لم يتورَّط بالتهجم عليهم، فتثبت في الأمر، ورجع إليهم ليعرف مرادهم، لأن هؤلاء العارفين، مع توسعهم في هذه المسألة، لم يبحثوا فيها بحثاً يزيل إشكال علماء النظر، لأنهم تكلموا في ذلك ودونوا لأنفسهم وتلاميذهم، لا لمن لم يشهد تلك الوحدة من غيرهم، لذلك احتاج الأمر للإيضاح، لتطمئن به قلوب أهل التسليم من علماء النظر[1].

- تقرير جديد؛ إن غيرهم لم يشهد تلك الوحدة! إذن فهم شهدوها.

يتمم: ومن العلماء الذين حققوا في هذه المسألة وفهموا المراد منها، السيد مصطفى كمال الشريف، حيث قال: «الوجود واحدٌ لأنه صفة ذاتية للحق سبحانه وتعالى، وهو واجب فلا يصح تعدده، والموجود هو الممكن، وهو العالَم، فصحَّ تعدده باعتبار حقائقه. وقيامه إنما هو بذلك الوجود الواجب لذاته، فإذا بقي الوجود كما هو، فالموجود غير الوجود، فلا يصح أن يقال: «الوجود اثنان: وجود قديم ووجود حادث»، إلا أن يراد بالوجود الثاني «الموجود» من إطلاق المصدر على المفعول، فعلى هذا لا يترتب شيء من المحاذير التي ذكرها أهل النظر على «وحدة الوجود» القائل بها أهل التحقيق...

... إلى أن قال: الحس لا يرى إلا الهياكل، أي الموجود، والروح لا تشهد إلا الوجود، وإذا شهدت الموجود فلا تشهده إلا ثانياً، على حدّ من قال: ما رأيت شيئاً إلا ورأيت الله قبله. وأراد بهذه الرؤيةِ الشهودَ، لا رؤية البصر، لأن الرؤية من خصائص البصر، والشهود من خصائص البصيرة، لذلك ورد: أشهد أن لا إله إلا الله، ولم يرد «أرى» بل ولا يصح أن يقال: «أرى»[2]. أهـ.

- إذن فقد قُتل الحلاج وأبو حمزة وابن برّجان والسهروردي وغيرهم، واستتيب من الكفر الجنيد والشبلي والبسطامي وأبو حيان وغيرهم، وكُفِّرَ وكُذِّب الغزالي وأُحرق كتابه

---

(١) حقائق عن التصوف، ص٥٥٢.

(٢) حقائق عن التصوف، ص٥٥٢ و٥٥٣.

«إحياء علوم الدين» وكذلك ابن عربي وغيره وغيره. . . من أجل إطلاق الاسم «الوجود» على المخلوق «الموجود» من باب إطلاق المصدر على اسم المفعول!!

أي قالوا: «الوجود» بدلاً من أن يقولوا: «الموجود».

من أجل استعمال المصدر بمعنى اسم المفعول، صُنع بهؤلاء المساكين الأبرياء ما صُنع! ومن أجل هذا تسرَّعَ علماء النظر باتهامهم بالكفر والضلال! (يا حرام).

على أنه يعود فيعترف أن «الموجود» هو الهياكل فقط، أي الأشكال والصور التي تُرى بالبصر، وهي في حقيقتها إنما هي الوجود، أي الحق سبحانه، وهذا لا يشاهده إلا الروح.

وهناك ملاحظة هامة جدًّا، إنها تفسيره لمعنى «أشهد»، فنحن نعرف أن معناها لغة وشرعاً: أعترف وأُقر، وكذلك فهمها رسول الله ﷺ وفهمها عنه أصحابه وتابعوهم وكل المسلمين المسلمين. . بينما يفسرها هنا بمعنى «شهود البصيرة» وهو الذي يكون أثناء «الجذبة»!! وإلى الله المشتكى.

يتمم: وهكذا شأن العلماء المنصفين، يغارون على الشريعة الغراء، ويتثبَّتون في الأمور، دون أن يتسرّعوا بتكفير أَحدٍ من المؤمنين، ويرجعونِ في فهم كل حقيقة إلى أهل الاختصاص بها[1].

ـ الجواب على هذا الكلام: ﴿. . . يخادعون الله والذين آمنوا وما يخدعون إلا أنفسهم وما يشعرون﴾.

ـ يا هؤلاء، ما دام علماء النظر يكفِّرون أهل هذا الاختصاص، فكيف تطلبون منهم أن يرجعوا إليهم؟! ثم، هل الغيرة على الشريعة الغراء تكون بالتسليم للكفر وقبوله، واستفتاء أهله ليحكموا على أنفسهم؟! عجيب والله! إن الله سبحانه يقول: ﴿فإن تنازعْتُم في شيءٍ فرُدُّوه إلى الله والرسولِ﴾، وأنتم تطلبون من الآخرين أن يردُّوه إليكم لتقولوا لهم: «إن كلمة الوجود هي من باب إطلاق المصدر على اسم المفعول»!

---

(١) حقائق عن التصوف، ص٥٥٣.

وكفى الله المؤمنين القتال! وصار الكفر إسلاماً والضلال إيماناً وحقيقتكم شريعة غراء. ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

ويقول: . . . وهكذا تحقق السادة الصوفية بأعلى مراتب التوكل، فقلوبهم مطمئنة بالله تعالى، معتمدة عليه، واثقة به، متوجهة إليه، مستعينة به، لأنه لا فاعل في الوجود سواه[1].

* **تنبيه**: أرجو من القارىء الذي عرف لغة القوم أن ينتبه إلى المراد من هذه العبارات؟

ويقول: . . . ولذا طَرَق السادةُ الصوفية باب شكر الله تعالى على جميع أحوالهم، وحمدوا الله تعالى في سائر شؤونهم، وشهدوه الفاعلَ المطلق والمنعم المتفضل والبر الرحيم[2] . . .

- قد مر معنا عشرات الأمثلة على معنى قولهم: «لا فاعل إلا الله»، وهنا يزيد المعنى توكيداً وتوضيحاً بقوله: «لا فاعل في الوجود سواه»، و«شهدوه الفاعل المطلق»، أي أضاف في الأولى عبارة: «في الوجود»، وفي الثانية: «المطلق»، وهذا زيادة في التوضيح.

ويقول: قالوا: وإنما السماعُ حقيقةٌ ربانية ولطيفة روحانية، تسري من السميع المُسْمع إلى الأسرار بلطائف التحف والأنوار، فتمحق من القلب ما لم يكن، ويبقى فيه ما لم يزل، فهو سماع حق بحق من حق[3].

- وطبعاً، نحن نعرف الآن تماماً ما معنى: «فتمحق ما لم يكن، ويبقى ما لم يزل» و«سماع حق بحق من حق»، وإن وُجد من لا يعرف معناها بعد مئات الأمثلة السابقة فلن يكون هذا ذنبنا.

ويقول: ويختلف الواصلون في وصولهم إلى الله تعالى، كل على حسب مقامه وهمته:

---

(1) حقائق عن التصوف، ص٣٨٠.

(2) حقائق عن التصوف، ص٣٩٣.

(3) حقائق عن التصوف، ص٢٠٩.

فمنهم من وصل في سيره إلى وحدة الأفعال ذوقاً وشهوداً، ويفنى فعله وفعل غيره، ويتذوق معنى قوله تعالى: ﴿وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى﴾، وهذه رتبةٌ في الوصول.

ومنهم من يصل في سيره إلى وحدة الصفات ذوقاً وشهوداً، فيتذوقون معنى قوله تعالى: ﴿وما تشاؤ ون إلا أن يشاء الله﴾، ويتذوقون معنى الحديث القدسي: «فإذا أحببتُه كنتُ سمعَه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به»، وهذه رتبةٌ في الوصول.

ومنهم من يترقى إلى مقام الفناء في الذات، فيشهد عرضية كل شيء مقابل وجود الحق عز وجل، وتفيض عليه أنوار اليقين ولسان حاله يقول:

وُجودي أن أغيبَ عن الوجود بما يبدو عليَّ من الشهود

ويتذوق قول رسول الله ﷺ: «أصدق كلمة قالها الشاعر كلمة لبيد: ألا كل شيء ما خلا الله باطل»[1].

ـ الكلام واضح واضح، ونعرف الآن تماماً ماذا يريدون عندما يوردون قوله سبحانه: ﴿وما رميتَ إذ رميتَ..﴾، وقوله: ﴿وما تشاؤ ون إلا أن يشاء الله﴾، فقد مرت كثيراً في الأمثلة السابقة مع شروحها التي قدَّموها، وكذلك قول الرسول ﷺ في الحديث القدسي: «.. كنتُ سمعه..» وقد مر شرحها أيضاً.

ولكن الملاحظ هنا، أن الشيخ استعمل عبارة «وحدة الأفعال» و«وحدة الصفات» حتى إذا وصل إلى الذات لم يستعمل العبارة التي استعملها أسلافه في مثل هذا التسلسل، وهي عبارة «وحدة الذات» بل لاص عنها ليستعمل عبارة تحمل نفس المعنى، استعملها العارفون الصديقون المقربون في أقوالهم ويستعملونها، وهي: «الفناء في الذات» ووضوحها كاف.

ونُضيف: إن كل من يأخذ أقوال شخص ما على أنها أقوال حكيمة يُطلب تطبيقُها، ثم يقدِّس هذا الشخص، فلا يذكر اسمه إلا مصحوباً بـ«سيدي» يتبعها بالدعاء له، إن كل من يفعل مثل هذا مع شخص ما فهو لا يفعله إلا إن كان يؤمن بعقيدته وسلوكه إيماناً

(١) حقائق عن التصوف، ص٢٨٠ و ٢٨١.

كاملاً .

وهذه نبذ من كتاب عبد القادر عيسى المسمى «حقائق عن التصوف» يورد فيها أسماء متصوفة مرت معنا أقوالهم في وحدة الوجود، ورأينا مدى صراحتها ووضوحها .

يقول تحت عنوان : «أقوال العارفين بالله مِن رجال التصوف . .»(١) .

أبو حامد الغزالي :

«قال الإمام حجة الإسلام أبو حامد الغزالي»(٢) :

وقد أورد اسمه في الكتاب متمثلاً بأقواله ومستشهداً بها وداعياً إليها، تسعاً وثلاثين مرة .

- ومرت معنا أقوال الغزالي، فليرجع إليها القارىءُ ليرى ما فيها مما يغضب وجه الله .

ويقول : «قال سيد الطائفتين الجنيد»(٣) . .

- وقد مرت معنا أقوال الجنيد في وحدة الوجود، وورد اسمه في الكتاب سبعاً وعشرين مرة .

- وورد اسم ابن عطاءِ الله السكندري تسع عشرَة مرة . جاء في المرة الأولى بقوله : «يقول ابن عطاء الله السكندري»(٤) .

وقد مرت أقواله الصريحة في وحدة الوجود .

ويورد اسمَ ابن الفارض وأقوالاً له ست مرات، جاء فيها في المرة الأولى النص التالي : « . . . وما علموا كيف كانت بدايةُ ابن الفارض مِن حيث مجاهدته لنفسه، وإليك بعض كلامه يصف مجاهداته في سيره، مما يدل على أهمية المجاهدة، مع العلم أنه ابتدأ سيرَه إلى الله تعالى من نفسٍ لوَّامة، لا أمَّارة بالسوء، ويُبين أن السالك الذي

---

(١) حقائق عن التصوف، ص٥٩ .

(٢) حقائق عن التصوف، ص٦٠ .

(٣) حقائق عن التصوف، ص١٤ .

(٤) حقائق عن التصوف، ص٦٦ .

لا مجاهدة له، لا سير له، ولا محبة له . . .»[1].

ـ ونعرف إعلانَ ابن الفارض إيمانه بوحدة الوجود وتصريحه بذلك.

ـ وممن يورد أسماءهم مع أقوال لهم مشفوعة بالتقديس والدعاء: أبو الحسن الشاذلي في خمسة عشر موضعاً، أبو حمزة البغدادي في ثلاثة مواضع، أبو القاسم القشيري في خمسة عشر موضعاً، أبو يزيد البسطامي في خمسة مواضع، إبراهيم الدسوقي في موضع واحد، ابن عجيبة في ثلاثين موضعاً، أحمد زيني الدحلان في أربعة مواضع، زكريا الأنصاري في خمسة مواضع، عبد الكريم الجيلي في ثلاثة مواضع . . . وغيرهم الكثير مما مر معنا ومما لم يمر.

وقد رأينا أقوالَ هؤلاء العارفين في وحدة الوجود، وإيرادُ عبد القادر عيسى لهؤلاء «الصوفية المشهورين» هو دليل أكثر من كافٍ على إيمانه بما كانوا يؤمنون به، وهو «وحدة الوجود» ولا يبقى على الذين يخادعون إلا أن يكفُّوا عن مخادعتهم.

ويقول آية الله الخمْيني:

واعلم أن الأسماء والصفات الإلٰهية كلُّها كاملٌ، بل نفس الكمال . . . وأكمل الأسماء هو الاسم الجامع لكل الكلمات، ومظهرُه الإنسانُ الكامل المستجمعُ لجميع الصفات والأسماء الإلٰهية ومَظْهَرُ جميع تجلياته[2] . . .

ويقول: فالإنسان الكامل جميعُ سلسلةِ الوجود وبه يتمّ الدائرة، وهو الأول والآخر والظاهر والباطن، وهو الكتاب الكلِّي الإلٰهي[3] . . .

ويقول: الموجودات كلها أسماء إلٰهية.

ولعلك بعد التدبر في روح الاسم والتفكر في حقيقته ومطالعة دفتر سلسلة الوجود وقراءة أسطره ينكشف لك بإذن الله وحسن توفيقه أن سلسلة الوجود ومراتبها ودائرة الشهود ومدارجها ودرجاتها كلها أسماء إلٰهية[4] . . .

---

(١) حقائق عن التصوف، ص١٢٧.
(٢) شرح دعاء السحر، ص٧٨.
(٣) شرح دعاء السحر، ص٦٧.
(٤) شرح دعاء السحر، ص٨٤.

ـ هـذا مثل قول قائلهم: «واجتمع فيه النجوم مع الورد» وغيرها مما مر.

ويقول: تحصيل إشراقي . . .

فإذا بلغ السـالـك إلى الله والمجـاهدُ في سبيله إلى ذاك المقام، وتجلّى عليه الحق في مظاهر الخلق، مع عدم احتجابٍ عن الحق والخلق، بنحو الوحدة في ملابس الكثرات، والكثرةِ في عين الوحدة، ينفتح عليه أبوابٌ من المعرفة والعلوم والأسرار الإلٰهية[1] . . .

ـ أقول: سنرى فيما يأتي من الفصول قيمة هذه المعرفة والعلوم الكشفية.

ويقول سعيد حوّى:

. . . وبشكل عام، فإن السائر إلى الله لِيَصلَ إلى مقام الإحسان، فإنه يمر على ما يسميه الصوفية «الفناءات»، والفناء في الأفعال بأن يحسَّ الإنسان أن كل شيء فعلُ الله، والفناء في الصفات بأن يستشعر الإنسان صمات الله عز وجل، والفناء في الذات، وهو أن يستشعر الإنسان أوَّليّة الذات الإلٰهية وصمدانيتها. ومتى استقرَّ في هذا المقام أحسّ بمقام الإحسـان، ويحـاولـون في هذه الحـالـة أن ينقلوه إلى مقام «المشاهدة مع رؤ يته الخلق»، وهـذا الـذي يسمـونـه مقـام «البقـاء»، وقـد تكون النقلة سريعة إلى الفناء في الصفات مباشرة، أو قد تكون إلى الفناء في الذات مباشرة، ثم يبدأ السالك يستشعر ما سوى ذلك[2]؟

ـ النص واضح جدًّا، مر معنا أمثاله. وفيه بعض العبارات الغامضة:

فعبارة: « . . . أولية الذات الإلٰهية» يعني بها: «كان الله ولا شيء معه وهو الآن على ما كان عليـه»، فأوليـة الـذات الإلٰهيـة هي: «كان ولا شيء معه»، ويستشعر بها، أي: يستشعر أنها على حالها كما كانت، «وهو الآن على ما كان عليه».

وعبـارة: « . . . وصمـدانيتهـا»: للاسم «الصمد» معنيان؛ أحدهما: الذي يُصمد إليـه، أي يُرجـع إليـه ويُتـوجـه إليه في كل شيء. ومعنى «صمدانية الذات الإلٰهية» عند الصـــوفيـة هو نفس معنى الآيـة: ﴿وأن إلى ربـك الـرُّجْعى﴾ عنـدهم، ونفس معنى:

---

(1) شرح دعاء السحر، ص١١٣.

(2) تربيتنا الروحية، ص٢٩٨.

﴿ارجِعي إلى ربِّك راضيةً مَرضيةً﴾ عندهم. . وقد مر معنا كيف يفهمون الآيتين.

إذن، فمعنى قوله: «يستشعر الإنسان أولية الذات الإلٰهية وصمدانيتها» هو: أنه يستشعر «وحدة الوجود». وهذا المعنى واضح تماماً لكل من فهم عباراتهم وتذوق معانيها. أما من لم يستطع بعدُ فهمها، رغم مئات الأمثلة والنصوص السابقة! فلا حيلة لنا معه.

وأمامنا أيضاً العبارة: «. . . أن ينقلوه إلى مقام المشاهدة مع رؤ يته الخلق، وهذا . . . مقام البقاء».

إذن فمقام البقاء ـ ونعرفه سابقاً ـ هو المشاهدة يضاف إليها رؤ ية الخلق. وبالرغم من أننا الآن نعرف معنى مصطلح «المشاهدة» ولكن النص يزيدنا إيضاحاً، فالمشاهدة هي رؤ ية الحق بدون خلق، أي: رؤ ية الله، جل وعلا، في كل شيء، بحيث لا يرى الواصل خلقاً، بل يرى كل شيء هو الحق، وهذا هو مقام الفناء في الذات، لكنَّ الشيخ ينقله إلى مقام «المشاهدة مع رؤ يته الخلق»، وهو مقام «البقاء» أو الفرق الثاني، أو صحو الجمع . . . أو . . . وهو المقام الذي يقول فيه أبو الحسن الشاذلي: «اجعل الفرق في لسانك موجوداً والجمعَ في جنانك مشهوداً»، ويقول فيه الجنيد: «لا بد من مشاهدة الفرق بين ما يأمر الله به وما ينهى عنه». ويقول فيه ابن عجيبة: «إياك أن تقول أناه، واحذر أن تكون سواه»، وهو المقام الذي يتواصون به منذ مقتل الحلاج وغيره.

وأترك للقارىء تحليل قوله: «ثم يبدأ السائر يستشعر ما سوى ذلك» ليزداد تمرساً بفهم النصوص الصوفية.

ويقول سعيد حوّى أيضاً:

ولئن كان جزءُ السير التحققَ بأسماء الله، ولئن كانت مراحلُ السير تتم بالانتقال من فناءٍ إلى فناءٍ، فإن الذكر هو وسيلة ذلك كله[1]. . . .

ـ معنى «التحقق بأسماء الله» واضح، ومر كثيراً في النصوص السابقة، ومع ذلك أورد أمثلة تساعد على التوضيح أكثر:

---

(١) تربيتنا الروحية، ص٣٠٣.

لو قال قائل: «فلان متحققٌ باسم الشجاع» فإن كل من يسمع هذا القول يعرف أن فلاناً شجاع بكل معنى الشجاعة.

ولو قال: «فلان متحقق باسم الفيلسوف»، لفُهم مباشرةً أن فلاناً فيلسوف ضالع.

ولو قال القائل: «فلان متحقق باسم الصوفي» لعُرف دون تردد أن فلاناً صوفي.

وهكذا.. عندما يقول القائل: «إن السائر إلى الله، تحقق باسم من أسماء الله: وليكن مثلاً: الرب»، فكل من يسمع هذا القول يعرف أن فلاناً تحقق بالربوبية، أي صار ربًّا.

وهكذا بالنسبة للاسم «الرحمن»، وفي آخر الطريق بالنسبة للاسم «الله». ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

ويقول سعيد حوى أيضاً:

... ومع أنني في سيري إلى الله أذاقني الله مِن فضله مِن معاني اسمِهِ الصمد جل جلاله وهو المقام الذي زل به هؤلاء[1]...

- لو سمعت قائلاً يقول: «فلان ذاق معنى الوزارة» فماذا تفهم من ذلك؟ إن أي إنسان يسمع هذا الكلام يفهم منه بدهيًّا أن فلاناً صار وزيراً، فذاق معنى الوزارة. وكذلك قول الشيخ هنا: «أذاقني... مِن معاني اسمه الصمد»، أي مَرَّت به حال صار فيها صمداً، أو استشعر من الألوهية الاسم الصمد.

وقد رأينا فيما سبق من نصوص أن الواصل يذوق معنى الأسماء الإلٰهية، أو يتحقق بها بالتدريج، اسماً بعد اسم، حتى يصل إلى الاسم «الرب» ثم يصل إلى الاسم الأعظم «الله» حيث يصير هو هو، ويقول حينئذ: «أنا أنا» أو كما قال ابن البنا السرقسطي في «المباحث الأصلية»:

ثم امْتحى في غيبةِ الشهودِ   فأَطْلَق القولَ أنا معبودي

ويقول سعيد حوى أيضاً:

---

(١) تربيتنا الروحية، ص٣١٧.

نحن نعلم أن هناك حالاتٍ للسالك يُحسُّ فيها بأحدية الذات الإلٰهية ويستشعر فيها اسم الله الصمد، وهي حالةٌ يستشعر فيها السالك فناء كل شيء، ولكن هذا الشعور لا بد أن يرافقه الاعتقادُ بأن الله خالق، وأن هناك مخلوقاً، وأن الخالق غير المخلوق[1].

ـ إذن فالسالك يحس «بأحدية الذات الإلٰهية» وقد مر معنا ماذا يعنون بعبارة «أحدية الـذات الإلٰهيـة»، مرت في نصوص يمكن أن يقال عنها كثيرة، وكذلك يستشعر السالك أيضاً في تلك الحالات اسم الله الصمد، أي يستشعر الصمدانية، أو الألوهية، فالمدلول الأخير للصمدانية والألوهية واحد، ويفسر استشعار الاسم الصمد، باستشعار فناء كل شيء، أي لا يشعـر إلا بالله وحـده في كل شيء ومـع كل شيء وبكـل شيء، وهذه هي «وحدة الوجود».

ولكنه يقرر بأن هذا هو إحساس واستشعار، وذوق ـ كما يقول في مكان آخر ـ ولكن لا بد أن يرافقه الاعتقاد بأن الخالق غير المخلوق.

وهكـذا أوصلنـا إلى مقـام «الفـرق الثـاني»، الـذي هو مقـام الكمَّـل من الـرجال «الإنسـان الكـامـل»، مع ملاحظـة نبهنـا إليها؟ كانوا فيما سلف من القرون يطلبون من الواصل أن يقول بلسانه: إن الخالق غير المخلوق، بينما في قلبه، يجب أن يعتقد بأنه هو هو، أمـا الآن فالشيـخ يطلب من الـواصل الاعتقادَ ـ المرافق للشعور بالوحدة ـ أن الخالق غير المخلوق، وهذا تطور في التَّقية، على أننا لو تفحصنا الكلام بهدوء، لرأينا أن النتيجة واحدة.

لنأت إلى مَثَـل «المـاء والثلج»، فالذائق لكليهما يحس ويستشعر ويذوق أن الثلج هو نفس المـاء تكثف عنـه، فهـو هو، ولكن لا بد أن يعتقـد أن المـاء غير الثلج، فمظهـرهما مختلف، ودرجـة حرارتهـما مختلفـة، وهذا مائع وهذا جامد، إذن، فالاعتقاد بأن هذا غير هذا تؤكـده عدة ظواهـر؛ وكـذلك الوجود، فالملكوت غير الجبروت وبينهما عدة فروق في المظاهر، لكن الحقيقة واحدة، هي «أحدية الذات الإلٰهية»، وهي هي «وحدة الوجود».

وقد يقول قائل: إن هذا الاستنتاج فيه توجيه معين!

---

(١) تربيتنا الروحية، ص٧٩.

لكن لو نظرنا في كلام الشيخ لرأينا الأمر واضحاً، فهو يقول: «يحس أحدية الذات الإلٰهية، ويستشعر الاسم الصمد، ويذوق معنى الاسم الصمد»، وهذا التصريح واضح بأن الواصل يستشعر «وحدة الوجودة»، حيث لا شيء إلا الله، ثم يقول: لا بد من الاعتقاد بأن الخالق غير المخلوق! فكيف التوفيق بين المتناقضين؟ مع العلم أن الوحدة شيء يحسه ويستشعره ويذوقه ويتحقق به، وهذا ما يسمونه «حق اليقين»، بينما اعتقاد الغيرية هو شيء مفروضٌ فرضاً «لا بد منه»! كيف التوفيق؟؟! نترك الأمر للقارىء.

ثم لننتبه إلى قول الشيخ: «وهو المقام الذي زل به هؤلاء. . .» وماذا تعني هذه العبارة؟ وأترك تحليلها للقارىء الكريم ليتسلى بها، وهي سهلة المتناول.

* **وأخيراً**؛ هذه نصوص دامغة من أقوالهم من كتبهم المعتمدة لديهم، بدءاً من الجنيد وعصره، حتى يومنا هذا، وهي غيض من فيض، فلو حاولنا جمع أقوال عارفيهم ومحققيهم في «وحدة الوجود» لاحتجنا إلى ألوف الصفحات، على أن في ما أوردناه كفاية وأكثر من كفاية.

إذن؛ فالصوفية كلهم يؤمنون بوحدة الوجود، مع العلم أن بعضهم لم يسمعوا بعبارة «وحدة الوجود»، وإنما يعرفون أن المخلوقات هي الله، وأنه يجب كتم هذه المعرفة عن العامة، ولا تقال إلا للخاصة.

ونحن، في عرضنا للصوفية، نواجه نوعين من الناس: خبثاء وبسطاء.

والبسطاء يردّدون أقوال الخبثاء بسلامة صدرٍ وحسن نية.

ومن جملة ما سيقوله لنا كلا النوعين في هذا المقام: إن الصوفيين الحاليين لا يعرفون هذه الأمور! أو: إنهم الآن لا يفهمون ذلك! أو: إن هذا شيء انتهى! أو. . أو. . وما أكثر ما عندهم مِن اعتراضات كلها باردة وليس فيها شيء من الحق.

فسدًّا لذرائع أمثال هؤلاء، نورد نصوصاً معتمدةً لدى الطرق الصوفية، من أورادهم وصلواتهم التي يتعبدون بها في خلواتهم واجتماعاتهم، يطبعونها في كتبٍ يوزعونها، ويحفظون نصوصها:

★ **من أوراد الطريقة القادرية (وقد يستعملها الآخرون):**

... الاسم الثالث «هو»، عدد تلاوته أربعة وأربعون ألفاً وستمائة مرة، وتوجُّهُه: يا من هو الله لا إله إلا أنت هو هو هو، إلٰهي حقِّق باطني بسرّ هُوِّيتك، وأفْنِ مني أنانيَّتي إلى أن تصل إلى هُويَّة ذاتك العلية، يا مَن ليس كمثله شيء، أفنِ عني كلَّ شيْء غيرك، وخففْ عني ثقل كثائف الموجودات، وامحُ عني نقطة الغَيريَّة لأشاهدك ولا أدري غيرك، يا هو يا هو يا هو، لا سواك موجود، لا سواك مقصود، يا وجود الوجود[1]...

★ **ومن أوراد الطريقة القادرية أيضاً:**

الحمد لله الذي كيَّف الكيْف، وتنزه عن الكيفية، وأيّن الأيْن وتعزز عن الأيْنِيَّة، ووُجد في كل شيء وتقدس عن الظرفيَّة، وحَضَرَ عند كل شيء وتعالى عن العِنْدِيَّة[2]...

★ **ومنها:** .. يا أول كل شيء، ويا آخر كل شيء، ويا ظاهر كل شيء، ويا باطن كل شيء[3]..

ـ أقول: هذا مثل قولهم: «وما الكلب والخنزير إلا إلٰهنا»، و«ولا يهولنك صدور الكائنات الدنسية من سنخ القدوسية»، وغيرها.

★ **ومنها:** .. إلٰهنا فَطَهِّر قلوبنا من الدنس لنكون محلاً لمنازلاتِ وُجودك، وخلصنا من لُوَث الأغيار لخالص توحيدك، حتى لا نشهد لغير أفعالك وصفاتك وتجلّي عظيم ذاتك[4]...

★ **ومنها:** ... رباه رباه غوثاه، يا خفيًّا لا يَظْهر، يا ظاهراً لا يخفى، لطُفَتْ أسرار وجودك الأعلى فترُى في كل موجود، وعلت أنوار ظهورك الأقدس فبدت في كل مشهود[5]...

---

(١) الفيوضات الربانية في المآثر والأوراد القادرية، ص١٦.

(٢) الفيوضات الربانية «عقيدة الغوث الأعظم»، ص٤١.

(٣) الفيوضات «ورد الصبح»، ص١١٥.

(٤) الفيوضات «ورد العشاء»، ص١٣٨.

(٥) الفيوضات «ورد الاثنين»، ص١٤٣.

ـ وهذا أيضاً مثل قولهم: «ولا يهولنك صدور الكائنات الدنسية من سنخ القدوسية» وما شابهها.

★ ومنهـا: . . رب أشهـدْني مُطْلَقَ فاعليتـك في كل مفعـول حتى لا أرى فاعـلاً غيرك، لأكـون مطمئنًّـا تحت جَرَيـان أقـدارك، منقـاداً لكـل حكْمٍ ووجودٍ عينيٍّ وغيبيٍّ وبـرزخي، يا نافخـاً روح أمْـره في كل عين، اجعلني منفعـلاً في كل حالٍ لِما يحوّلني عن ظلمات تكويناتي، وألْحِقْ فعلي وفعلَ الفاعلين في أحدية فعلك[1]. . .

★ ومن أوراد القادرية أيضاً:

إلٰهي عمّ قِدَمُك حَدَثي ولا أنا، وأشرقَ سلطان نور وجهك فأضاء هيكل بشريتي فلا سواك، فما دام مني فبدوامك، وما فَني مني فبرؤ يتي إليك، وأنت الدائم لا إلٰه إلا أنت، أسألك بالألف إذا تقدَّمَتْ، وبالهاء إذا تأخرت، وبالهاء منّي إذا انقلبت لاماً، أن تفنيني بك عني، حتى تلتحِق الصفةُ بالصفة، وتقعَ الرابطةُ بالذات[2]. . .

ـ أقول: «الألف إذا تقدمت، والهاء إذا تأخرت، والهاء مني إذا انقلبت لاماً»، هذا لغز أرجو من القارىء أن يتسلى بحله قبل قراءة هذا الحل في السطور التالية.

الحـل: أمـامنـا في هذا اللغز ثلاثة عناصر: الألف المتقدمة، والهاء المتأخرة، واللام (المنقلبة عن الهاء منه)؟

بما أن الألف متقـدمـة والهـاء متأخرة، إذن، فاللام متوسطة بينهما، ويكون اللغز هو كلمة «إلٰه».

ويحوي هذا اللغز لغزاً آخر هو قوله: «والهاء مني»، التي يعني بها: «الهاء من الضمير «هو» العائد عليه». وأترك للقارىء التسلي بتحليله وإلى ماذا يشير؟

★ ومن اورادهم:

. . . يا هو يا الله «ثلاثاً» لا إلٰه غيرك، اسْقِنا مِن شراب محبتك، واغمسْنا في بحار

---

(1) الفيوضات «ورد الاثنين»، ص١٤٤.

(2) الفيوضات «رود الأربعاء»، ص١٤٥.

أحديتك، حتى نرتع في بحبوحة حضرتك، وتقطع عنا أوهام خليقتك[1]. . .

★ ومنهــا: اللهم صلِّ وسلم على من له الأخــلاق الــراضيــة. . . الأنيس بك والمستوحش من غيرك، حتى تَمتَّع من نور ذاتك، ورجع بك لا بغيرك، وشهدَ وحدتك في كثرتك[1]. . .

★ ومنها: . . . وطهِّرْنا من قاذورات البشرية، وصفِّنا بصفاء المحبة الصدِّيقية من صدإ الغفلة ووهم الجهل، حتى تضمحل رسومنا بفناء الأنانية ومعاينة الطِّمْسَة الإنسانية في حضــرة «الجمــع»، والتحلية، والتحلِّي بألوهية الأحدية، والتجلِّي بالحقائق الصمدانية في شهــود الــوحــدانيّــة، حيث لا حيث ولا أين ولا كيف، ويبقى الكل لله وبالله ومن الله وإلى الله ومع الله غَرَقاً بنعمة الله في بحر منّة الله[2]. . .

★ ومنهــا: . . . صلاةً هُوَلها أهــل، صلاة تُفــرَّج بها عنــا هموم حوادث عوارض الاختيــار، تمحــو بها عنــا ذنــوب وجودنا بهاء سماء القُربة حيث لا بين ولا أين ولا جهة ولا قرار، وتُفنينــا بها عنّــا في غيــاهب غيــوب أنوار أحديتك، فلا نشعر بتعاقب الليل والنهار، وتحــوّلنــا بها سماحَ ريــاحِ فُتــوحِ حقــائق بدائــع جمالِ نبيــك المختــار، وتُلحقنا بها أسرارَ ربوبيتك في مشكاة الزجاجة المحمدية، فتُضاعِف أنوارنا بلا أمدٍ ولا حدٍّ ولا إحصار[3].

★ ومن أورادهم:

. . . وأيِّــدْني اللهم عنــد شهــود الواردات بالاستعداد والاستبصار، وأَفِضْ علي مِن بحــار العنــايــة المحمــديــة والمحبــة الصدِّيقية ما أُندرِجُ به في ظُلَم غياهب عيون الأنوار، واجْمَعْني، واجعــل لي بَيْنَ سرِّك المكنــون الخفي والاستظهــار، واكشف لي عن سر أســرار أفلاك التدوير في حواشي التصوير، لأدبِّرَ كلَّ فلكٍ بما أقمته من الأسرار، واجعلْ لي الحظَّ الخطــير المـمــدود القــائم بالعــدل بين الحرف والاسم، فأُحيطَ ولا أُحاطَ، بإحاطة: ﴿لِمَن المُلْكُ اليوم لله الواحدِ القهّار﴾[4].

ـ الــرجــاء الانتبــاه بإمعــان إلى الجملة «فــأُحيــط ولا أُحــاط. . »! وبأي إحــاطة؟!

---

(١) الفيوضات «ورد صلاة الكبرى»، ص١٥٨.
(٢) الفيوضات «ورد صلاة الكبرى»، ص١٦٧.
(٣) الفيوضات، ص١٧٧.
(٤) الفيوضات، «حزب الحفظ»، ص١٨٣ و ١٨٤.

بإحاطة: ﴿لمن الملك اليوم لله الواحد القهار﴾!! وفهمكم كفاية.

- ومن الجدير بالملاحظة أن الطريقة القادرية (بل كل الطرق الصوفية) تتبنى عينية عبد الكريم الجيلي، التي مر أبيات كثيرة منها، يتبنّونها على أنها من نظم عبد القادر الجيلاني. ولا يهمنا نسبتها لهذا أو لذاك، وإنما الذي يهمنا هو تبنّيهم لها، ويستطيع القارىء الرجوع إليها في صفحات سابقة، ولا بأس من إيراد بيتين منها:

وما الخَلْقُ في التِّمثال إلا كثلجةٍ   وأنت لها الماءُ الذي هو نابعُ
وما الثلجُ في تحقيقنا غير مائه   وغَيْرانِ في حكمٍ دعته الشرائعُ

★ ومن أوراد الطريقة الرفاعية (ويستعملها غيرهم):

. . . فكفى به برهان عينِ علمك المكنون، ببحرِ سرّ معنى نٓ، ودقيقة أمرك المصون، بتجلّي بهاءِ إشارةِ كُنْ فيكون، واسطة الكلِّ في مقام الجمع، ووسيلة الجمع في تجلي الفرق، رحمة للعالمين قبل العالمين[1]. . .

★ ومن أوراد الرفاعية من «صلاة الأنس»:

. . . اللهم صل على أَلِفِ إنْس إنسان الأزل، بحكمة باء برهان من لم يزل، أصلِ الأشياء الكلية، آدم في حقيقة البداية، أَثرِ السرّ في آثار خفايا المظاهر الخفية، أولِ الكل في أول الأولوية. . . المتجلي في سماء المعرفة بظهور مظهَرِ شهادة الرحمن، محمدي الذات، المدلّى إلى قاب الوحدة بتجلّي مَوْكَبَيْ العناية والإحسان. . . أصل السبب في الإيجاد، فالكلُّ منه والكلُّ إليه، خزانة الأسرار، فالوارد والذاهب عنه وإليه[2]. . .

★ ومن أورادهم:

اللهم صلِّ على المتخلق بصفاتك، المستغرق في مشاهدة ذاتك، رسول الحق، المتخلق بالحق، حقيقةِ مدد الحق: ﴿أحقٌّ هو قل إي وربي إنه لحق﴾. . . وقد جعلتَ كلامَك خُلُقَه، وأسماءَك مَظْهَره، ومنشأ كونك منه[3]. . .

---

(1) قلادة الجواهر، ص٢٥١.
(2) قلادة الجواهر، ص٢٦٣.
(3) بوارق الحقائق، ص٣٢٦.

★ ومنهـا: اللهم اجْمعنـا بك عليـك، واردُدْنـا منك إليك، وأَرشدنا في حضرة جمع الجمع، حيث لا فُرقة ولا منع[1]. . .

★ ومنهـا: اللهم بك توسلت. . أن تصـلي عليـه صلاةً أبـدية ديمومية قيومية إلٰهية ربانية، تصفينا بها من شوائب الطبيعة الآدمية بالسحق والمحق، وتطمس بها آثار وجودنا الغيرية عنا في غيب غيب الهوية، فيبقى الكل للحق في الحق بالحق[2]. . .

★ ومن الأدعية التيجانية (ويستعملها غيرهم):

اللهم حقّقْني بك تحقيقـاً يُسقِـط النِّسب والرتب والتعيينات والتعلّقات والاعتبارات والتـوهُّمات والتخيـلات، حيث لا أين ولا كيف ولا رسم ولا علم ولا وصف ولا مسـاكنة ولا ملاحـظ، مستغـرقـاً فيـك بمحـو الغَيْر والغيرة بتحقيقي بك مِن حيث أنت كما أنت وكيف أنت، حيث لا حسّ ولا اعتبـار إلا أنت بك لك عنـك منـك، لأكون لك خالصاً وبك قائماً وإليك آيباً وفيك ذاهباً بإسقاط الضمائر والإضافات[3]. . .

★ ومن أدعيتهم «ياقوتة الحقائق»:

الله الله. اللهم أنت الله الـذي لا إلٰـه إلا أنت العـالي في عظمـةِ انفـرادِ حضرةِ أحـديتـك التي شئتَ فيهـا بوجـود شؤ ونـك، وأنشأت من نورك الكـامـل نشـأَةَ الحق، وأنطَقْتهـا وجعلتهـا صورة كاملةً تامةً تجدُ منها بسبب وجودها من انفراد أحديتك قبل نشر أشبـاحهـا، وجعلتَ منهـا فيهـا بسببها انبساطَ العلم، وجعلت من أَثَر هذه العظمة ومن بركـاتهـا شبحـة الصّـور كلها، جامدها ومتحركها، وأَنطْتها بإقبال التحريك والتسكين، وجعلتها في إحاطة العزة من كونها قبلتَ منها وفيها ولها، وتشعشعتِ الصورُ البارزة بإقبال الوجود، وقدرتَ لها وفيها ومنها ما يماثلها مما يطابق أرقام صورها، وحكمتَ عليها بالبروز لتأديـة ما قدَّرْتَـه عليهـا، وجعلتهـا منقـوشةً في لوحها المحفوظ الذي خُلِقت منه ببركته، وحكمْتَ عليهـا بما أردتَ لها وبما تريـد بها، وجعلتَ كلَّ الكـل في كلك، وجعلت هذا الكلَّ من كلك، وجعلت الكلَّ قبضة من نور عظمتك روحاً لما أنت أهلٌ له[4]. . .

---

(1) بوارق الحقائق، ص٣٢٨.

(2) بوارق الحقائق، ص٣٤٠.

(3) ميزاب الرحمة الربانية، ص٢٣.

(4) الميزاب، ص٢٥.

★ وفي الطريقة النقشبندية:

مرّ معنا قول الشيخ سلامة العزّامي[1] واصفاً شيخه أمين الكردي:

. . . وكان يرى أن القول بوحدة الوجود من سُكر الوقت وغلَبة الحال، يُعْذَرُ صاحبه إذا كان مغلوباً، ولا يَصِحُّ تقليدُ غيره له[2]. . .

ويقول محمد بن سليمان البغدادي الحنفي النقشبندي[3]:

. . . الإسرافُ السابق لا ينافي الجذب اللاحق، لأن كثيراً من الأولياء الأكابر جذبتهم الواردات الإلٰهية وهم في الإسراف والمعصية، وأما الإسرافُ اللاحق، إذا لم يَغْلِب على الخير، بل كان الأمر بالعكس، فلا يُحكَم به على هلاك صاحبه جزماً والطعنِ في حاله. . . واعلم أن الجذب وحده من غير سلوك في الطريق المستقيم بامتثال أوامر الحق تعالى والاجتناب عن نواهيه لا نتيجة له أصلاً. . . وكذلك السلوكُ بامتثال الأوامر واجتناب النواهي من غير جذب إلٰهي لا نتيجة له غير الدخول في حيّز العلماء والعبّادِ من أهل الظاهر[4]. . .

ـ وطبعاً، الجذبة هي التجلّي الإلٰهي، وفيها يحصل التحقق بالأسماء الإلٰهية والاستشعار بالاسم الصمد، أو بالألوهية.

★ ومن أذكار النقشبندية «ذكر النفي والإثبات» أي «لا إله إلا الله» جاء في آدابه:

. . . ضارباً بلفظ الجلالة على القلب منفذاً إلى قَعْره، بقوةٍ يتأثّر بحرارتها جميعُ البدن، مع ملاحظة معنى هذه الجملة، وهو أنه لا مقصود إلا ذات الله تعالى، وينفي بِشِقِّ النفي «لا إلـه» جميعَ المحدثات الإلٰهية، وينظرُها بنظر الفناء، ويُثبت بشِقِّ الإثبات «إلا الله» ذاتَ الحق تعالى وينظره بنظر البقاء. . . ويقول بقلبه قبل إطلاق كل نَفَس «إلٰهي أنت مقصودي ورضاك مطلوبي». . . فإذا انتهى العدد إلى أحدٍ وعشرين، تظهر

---

(١) أحد علماء الأزهر، عاش إلى ما بعد سنة ١٣٤٣هـ، ولم أقف على أكثر من هذه المعلومات، إلا أنه كان خليفة الشيخ أمين الكردي.

(٢) تنوير القلوب «ترجمة المؤلف»، ص٤٢.

(٣) بغدادي، من خلفاء الخالدية «نسبة إلى الشيخ خالد النقشبندي»، توفي سنة ١٢٣٤هـ.

(٤) الحديقة الندية في الطريقة النقشبندية، ص١٠٧.

له نتيجةُ هذا الذكر المبارك، وهي النسبة المعهودة عند سادتنا النقشبندية من الذهول والاضمحلال والاستغراق في شهود المذكور تبارك وتعالى[1]. . .

- والنقشبندية ينبهون إلى ما يلي:

مَنْ كان مستعدًّا لتَقدُّمِ الجذبة على السلوك لقّنه الشيخ الذكر الأول «الله الله. .»
ومَن كان مستعدًّا لتقدم السلوك على الجذبة لقّنه الذكر الثاني «لا إله إلا الله»[2]. . .

ومن أصولهم: «الأصل الرابع المراقبة»:

اعلم أيها الأخ أن المراقبة هي عِلْمُ المريد وتحقُّقُه باطلاع الله عليه، واستغراقُه بمشاهدة الحق، واستهلاكُه بالحضور الإلٰهي، وملازمةُ القلبِ لذلك، فإذا انتهى أَمْرُ السالكِ في المراقبة إلى انتفاءِ علْمِه بنفسه وبالأكوان، حصل له مبادي الفناء، وحينئذ يليقُ له أن يذكر باللسان «لا إله إلا الله» مع التدبُّر الحقيقي، وأقله خمسة آلاف في اليوم والليلة، فإذا فني عن فنائه، وهو المسمَّى بالفناء التام، أو مبادي البقاء، حصل له أول درجة من درجات الولاية الصغرى، فإذا تم له البقاء تَشَرَّف بالولاية الكبرى[3]. . .

- نصوص النقشبندية هذه توضح لنا معنى الولاية، وعلاقة «ذوق معنى الأسماء الإلٰهية» بالجذبة، وعدم علاقة الجذبة بالأعمال الصالحة ولا بالسلوك.

★ **ومن الأوراد الشاذلية (وغيرهم يستعملها):**

مر معنا قولهم في الصلاة البشيشية - أو المشيشية -: «وزجَّ بي في بحار الأحدية وانشلْني من أوحال التوحيد، وأغرقني في عين بحر الوحدة، حتى لا أرى ولا أسمع ولا أحس إلا بها»[4]. . .

★ **ومما جاء في الوظيفة الشاذلية «المزوجة بصلاة سيدي عبد السلام بن بشيش، وتُقرأ صباحاً ومساءً»:**

. . . اللهم صل وسلم بجميع الشؤون، في الظُّهور والبطون، على مَن منه

---

(١) السعادة الأبدية فيما جاء به النقشبندية، ص٣٤.
(٢) السعادة، ص٣٤ و٣٥.
(٣) السعادة، ص٣٥.
(٤) النفحة العلية في الأوراد الشاذلية، ص٢٦.

انشقَّت الأسـرار الكـائنـة في ذاتـه العليةِ ظُهوراً . . وفيه ارتقت الحقائق منه إليه، وتنزلت علوم آدم به فيـه عليـه . . ولا شيء إلا وهـو به مَنُوط، وبسرِّه الساري مَحُوط . . اللهم إنه سرُّك الجـامـع لكـلِّ الأسـرار، ونـورُك الـواسـعُ لجميـع الأنوار. . . اللهم أَلحقْني بنَسَبِهِ الـروحي . . وعـرِّفْني إيـاه معـرفـةً أشهد بها محياه وأصير بها مجلاه . . . وسِرْ بي في سبيله القويم وصراطه المستقيم إلى حضرته المتَّصلة بحضرتك القدسية . . . وزجَّ بي في بحار الأحـديـة المحيطـة بكـل مركَّبـةٍ وبسيطة، وانشلْني مِن أوحال التوحيد إلى فضاء التفريد المنـزه على الإطـلاق والتقييـد، وأغـرقْني في عين بحـر الـوحدة شهوداً، حتى لا أرى ولا أسمع ولا أجدَ ولا أحسَّ إلا بها نزولاً وصعوداً، كما هو كذلك لن يزال وُجوداً . . . وأيِّدْني بك لك بتأييد مَن سَلَك فَمَلَك، ومن مَلَكَ فسَلَكَ، واجمع بيني وبينك، وأَزِل عن العين غَيْنَك، وحُلْ بيني وبين غيرك . . الله، منه بدأ الأمر، الله، الأمر إليه يعود، الله، واجبُ الوجود وما سواه مفقود[1] . . .

★ **ومن أورادهم «مناجاة ابن عطاء الله وتُقرأُ وقتَ السحر»:**

. . . إلهي كلَّما أخـرسني لُؤمي أَنطقَني كرمُـك، وكلما أيأستْني أوصـافي أَطْمَعَتْني مِنّتـك . . وترددُّي في الآثـار يوجب بُعْدَ المزار، فاجمعني عليك بخدمة توصلني إليك . . . أيكون لغيرك من الظُّهور ما ليس لك، حتى يكون هو المظهر لك؟ متى غِبْتَ حتى تحتاج إلى دليل يدلُّ عليك؟ ومتى بَعُدْت حتى تكون الآثار هي التي توصل إليك . . . وحقِّقْني بحقائق أهل القُرْب واسلُكْ بي في مسالك أهل الجذب . . أنت الذي أشرقْتَ الأنوارَ في قلوب أوليائك، وأنت الذي أزلْتَ الأغيارَ من أسرار أحبائك . . . يا من أذاق أحبّاه حلاوة مؤانسته فقـامـوا بين يديـه مؤتلفـين، ويـا من ألبس أوليـاءه ملابس هيْـأته فقاموا بعزته مستعـزِّين . . . فاطلُبْني برحمتـك حتى أصـل إليـك، واجـذبْني بمنَّتـك حتى أُقبِـلَ عليك . . . وأنت تعرَّفتَ لي في كل شيء فرأيتك ظاهراً في كل شيء . . . ومحوت الأغيار بمحيطات أفلاك الأنوار[2] . . .

---

(١) النفحة العلية، ص١٨ .

(٢) النفحة العلية، ص٢٤ و ٢٥ و ٢٦ .

★ ومن حزب الفتح لسيدي أبي الحسن الشاذلي:

« . . ونسألـك الإحـاطـة بالأسرار. . وجلّت إرادتك أن يوافقها أو يخالفها شيء من الكائنات، حسبي الله (ثلاثاً) وأنا بريء مما سوى الله . . »[1].

- يُرجى من القـارىء أن ينتبـه لقـوله: «وأنا بريء مما سوى الله» في معنييها، الظاهر والصوفي، وأن يلاحظ مدى شمول البراءة في المعنى الظاهر!!

★ ومن حزب اللطيف لسيدي أبي الحسن الشاذلي قُدس سره:

« . . . إلهي لُطفُك الخفي ألطف من أن يُرى، وأنت اللطيف الذي لطفت بجميع الـورى، حُجبت من سَرَيـان سرّك في الأكـوان فلا يشهـده إلا أهل المعرفة والعيان، فلما شهدوا سر لطفك بكل شيء أمنوا به من سوء كل شيء. . »[2].

★ ومن الأوراد الخلوتية من «الدرة الشريفة» للعارف بالله الشيخ عبد الرحمن الشريف:

« . . . صلِّ اللهم عليـه أكمـل صلوات بدوام التنزيلات العارية عن السوى، وأبْدِ التنقلات المخبآت عن من التوى، ما بَطَنَ الباطنُ بانطوائه في الوجود، وبدأ الظهورُ فعمَّ بصـائـر أهـل الشهود. . . وبجلال صولة عنايتك القَهْرَموتية، صفِّ بواطننا من الأغيار، وظـواهـرنـا من الأكدار، صفاءً صفَّتْه يدُ جذباتك، ففاز بمعالي قرباتك، حتى نخرج من وبال عضال أطوار البشرية، ونراقبك من دون غيرية، ونشهد حضرتك من غير معية. . . »[3].

★ ومن أورادهم من الصلوات الدرديرية:

« . . . وأنْعِم علينا بتجلي الأسماء والصفات، وصلِّ وسلم وبارك على سيدنا محمد، وأغْرِقْنا في عين بحر الوحدة السارية في جميع الموجودات، وصلِّ وسلم وبارك على سيدنا محمـد وأبْقنـا بك لا بنـا في جميـع اللحظـات. . . وأذقنا لذة تجلّي الذات، وأدِمْها علينا ما

---

(١) النفحة العلية، ص١٤٤.

(٢) النفحة العلية، ص١٥٥.

(٣) مجموع أوراد الطريقة الخلوتية الجامعة الرحمانية، ص٣.

دامت الأرض والسماوات»[1].

لِلعلْم: الصلوات الدرديرية هي صلوات (بشكل أوراد) متفرقة لمتصوفة سابقين، جَمَعَها أحمد الدردير وتبنّاها وأضاف إليها؛ وهي بذلك مثل دلائل الخيرات. .

★ **ومن وِرْدِ السَّحَر، للعارف بالله الشيخ مصطفى البكري:**

«اللهم رقِّقْ حجاب بشريَّتي بلطائف إسعافٍ مِن عندِك، لأشهد ما انطوت عليه مِن عجائبِ قدسك. . .»[2].

★ **ومنه:** «إلٰهي صرِّفنا في عوالم الملك والملكوت، وهيِّئنا لقبول أسرار الجَبَروت، وأَفِضْ علينا من رقائق دقائق اللاهوت»[3].

★ **ومنه:** «إلٰهي، نحن الأسارى فمِن قيودنا فأَطْلِقنا. . . نسألك بأهل عنايتك الذين اختَطَفَتْهم يدُ جذباتك، وأَدْهشَتْهم سناء تجلياتك، فتاهوا بعجيب كمالاتك. . .»[4].

★ **ومن أورادهم «الخلوتية»:**

«. . . اللهم افتح لنا أقفال قلوبنا بمفاتيح عنايتك. . . اللهم جذبةً من جذباتك تكشف حجابَ الوهم عن عين اليقين، ونفحةً من نفحاتك نلتمس بها مراتبَ أهل الرسوخ والتمكين. . .»[5].

★ **ومنها:**

ندعوك يا الله بالآيات والذ ... كر الحكيم بمَظْهرِ الأسماء
بالسُّكْر بالغيباتِ مِن صحوٍ كذا ... بالشُّرب والريّ العلي ثناء
بالزاجرات وأهلها ومقامهم ... وبسيرهم من عالَم الأشياء
وبوحدة الذات العليِّ ووصفِها ... وبوحدة الأفعال يا مولائي
وبوحدة الأسما الكثيرة خصَّنا ... بالجمع ثم بجمعه الأسماء

(١) مجموع أوراد الخلوتية، «حرف التاء».
(٢) مجموع أوراد الخلوتية، «حرف الراء».
(٣) مجموع أوراد الخلوتية، «حرف الصاد».
(٤) مجموع أوراد الخلوتية، «حرف النون».
(٥) مجموع أوراد الخلوتية، «حزب السيف».

بالـفـرقِ رَبِّ وفَـرقـه زِلْ غَيـنـنـا | عن عين حقـك يا بديـع سماء
وأنـلْنـا معـرفـة الـيـقـين وعـينَـه | بالحق وامْـحُ الـغـيرَ من أحشـائي
بالـرؤ يـة الـلَّاتـي بكـم منكـم لكـم | ويـوجـد أهـلِ الله دم لي هنـائـي
بِفَـنـائـهـم وصَـفـائـهـم أَفْـنِ الـفـؤا | دَ عن السـوى واجعلْنـا أهـل صفـاء
واجعلنـا من أهـل الـرسـوخ بجمعنا | وأَدِمْ سلوك عبـيـدِك الـضـعـفـاء
بهُويـة الـسَّـريـان في كل الـورى | بالمـحْـقِ المَحْـقْ يا إلٰهـي شقـائـي
بالهـوّ والـتـجـريـد جرِّدْنـا عن الـ | أغـيـار وآفْـردْنـا بكـل علاء
بالهـوت والـلاهـوت والمـلكـوت والـ | جبر وت صفّ الـسـيرَ من وعـشـائـي
بالجـذب ثم بأهـله اسْـقِ الـفـتـى | من فيض سرٍّ قد سمـى ببـهـاء
بالـصـحـو أرجعنـا إلى الإحسـاس مِنْ | بعـدِ الهـبـاء وغـيـبـة الـنـزلاء[1]

ـ تبلغ القصيـدة اثنـين وأربعين بيتاً، تحتوي اصطلاحات الصوفية، أو أهمها، وهي أدعيـة، كما نرى، يُطلبُ بها الـوصـول إلى الجـذب ومـا يستشعـره المجذوب ويذوقه من الوحدة. والشاعر الذي قال هذه القصيدة ضعيف باللغة والشعر! فكشفه لم يسعفه!

★ ومن أورادهم:

وهَـبْ لي أيـا ربـاه كشـفـاً مقـدسـاً | لأدري به سِرَّ الـبـقـاء مع الـفـنـا
وجُـدْ لي بجمـع الجمـع فضـلاً ومِنَّـةً | وداوِ بوصـل الـوصـل روحي من الضنا
وسـرْ بي على الـنهـج القـويم موحّـداً | وفي حضـرة الـقـدس المنيـع أحِلَّنـا
ومُـنَّ علـيـنـا يا ودود بجـذبـةٍ | بها نلحـق الأقـوام مَنْ سار قبـلنـا[2]

★ ومن أوراد الطريقة الرشيدية «الصلوات الإدريسية»:

«... وتجلَّ لي يا إلٰهي باسم الذات، الاسم الله، مَرْجعِ الصفات والأسماء الخفية توحيـداً صرفـاً، تجليـاً ينسف بصرصر عظمته وكبريائه جبالَ الخيالات الخَلْقية في نظري نسفـاً فيـذرهـا قاعـاً صفصفـاً، فتزول غشاوةُ عمشِ الأغيار عن بصري وبصيرتي، بل وعن ذاتي كلهـا، حتى تكـون ذاتي كلُّهـا عينـاً ذاتيـة إلٰهية من جميع الوجوه، وأكون كلي

(١) مجموع أوراد الخلوتية، «حرف الهمزة».

(٢) مجموع أوراد الخلوتية، «منظومة أسماء الله الحسنى».

وجهاً واحداً إلٰهيًّا لا أعلم من جميع جهاتي ولا أشهد ولا أرى في «إياي» وفي كل شيء وفي لا شيءٍ إلا إياك . . »[1].

★ ومنها: «اللهم صل على مَظْهر العظمة الإلٰهية[2]، جمعية عيون الحقائق الرحموتية[3]، سرِّ ملكوت الأسماء المعبَّر عنه بالعَماء قبل خلق أرضٍ وسماء[4]، ساذَجِ الذات الإحاطية الوجود، نقطةِ دائرة الكمال الإلٰهي في الغيب والشهود السذاجة الصرافة[5]، غيب هو[6]، فصلِّ اللهم عليه بهُوَ، في هُوَ، كله هُوَ. . »[7].

★ ومن الصلوات الإدريسية «الرشيدية» أيضاً:

« . . . أن تصلي على النور الذاتي، والمنظر الصفاتي، مجلى الحقائق القرآنية، صورةِ مادَّة التجليات الفرقانية[8]، الحاجز بين خَلْقِك وسبحات وجهك، كل الكل، في سرِّ تجلي كل الكل[9]، حيث الكل للكل فيوض الجمال والجلال والكمال، مِنْ «حيث لا حيث» إلى «حيث لا حيث» في «حيث لا حيث»، فصلِّ اللهم عليه وسلم مِنْ «حيث لا حيث» إلى «حيث لا حيث» في «حيث لا حيث» كما أنتَ حيث لا حيث . . . »[10].

★ ومنها: «اللهم صل على الذات الكُنْه، قِبْلة وجوه تجليات الكنه[11]، عين الكُنْه في الكُنْه، الجامع لحقائق كمال كُنْه الكُنْه، القائم بالكنه في الكنه للكنه، صلاةً لا غاية لكنهها دون الكنه، وعلى آله وصحبه وسلم، كما ينبغي مِن الكنه للكنه، اللهم إني أسألك بنور الأنوار الذي هو عينك لا غيرك[12] . .

★ ومنها «الصلاة السادسة»:

اللهم صل على أم الكتاب، كمالات كُنْه الذات، عين الوجود المطلق، الجامع لسائر التقييدات[13]، صورة ناسوت الخلق، معاني لاهوت الحق، الناظر بالكل في الكل

---

(1) النفحات الأقدسية، ص١٦ و١٧.
(2) النفحات الأقدسية، ص٥٨.
(3) النفحات الأقدسية، ص٦١.
(4) النفحات الأقدسية، ص٦٢.
(5) النفحات الأقدسية، ص٦٣.
(6) النفحات الأقدسية، ص٦٦.
(7) النفحات الأقدسية، ص٦٩.
(8) النفحات الأقدسية، ص٧٦.
(9) النفحات الأقدسية، ص٧٩.
(10) النفحات الأقدسية، ص٨٠.
(11) النفحات الأقدسية، ص١٠٢.
(12) النفحات الأقدسية، ص١٠٤.
(13) النفحات الأقدسية، ص١٠٦.

من الكـــل للكليـــات والجـــزئيـــات، كوثـــر سلسبيـــل منهـــل حوضٍ مشـــاربِ جميـــعِ التجليات[1]، الملتذّ بصورة نفسه في جَنّة فردوس ذاته بنَظَره به منه إليه فيه[2]. . . . روح ذات الوجود، مجمع حقائق اللاهوت المشهود[3]. . . مبدأ الكل ومرجع الكل وهو الكل في الكل بلا بعضٍ ولا كل. . »[4].

★ ومنها «الصلاة العاشرة»:

اللهم صل على سلطان حضرة الذات[5] مالِكِ أزِمَّة تجليات الصفات، قطبِ رحا عوالِم الألوهية[6]. . . جَمَعَ الجمع وفرَّقَ الفرقَ من حيث لا جمع ولا فرق[7]. . .

ـ الصلوات الإدريسيـة هذه هي من أوراد الطـريقـة الـرشيدية، وتظهر فيها «وحدة الـوجـود» مع «الحقيقـة المحمـديـة» بوضوح تام، والحقيقة المحمدية هي الجزء الأهم في عقيدة «وحدة الوجود».

★ وفي الطريقة الأويسية (منتشرة في إيران):

يقول الدكتور إبراهيم الدسوقي شتا، مخاطباً شيخ الطريقة مولانا محمد صادق عنقا [8]:

. . . ومن ناحية أخرى، فإني أدركت من خلال دراسة كتبكم وتفحيصها، وأيقنتُ من ثنـايـا تتبـع خطكم الفكـري، أنكم تؤمنون بأن الحقيقة واحدة، ولكنها تنطق في كل زمانٍ بلسان مختلف، وأن الله واحد والوجود كلـه ناطق بكلماته، وأن ذات الموجودات هي ذات الحق، وأن الشيء الذي كان يُظن أولاً أنه ذات مغايرةٌ لذات الحق، ليس شيئاً في

---

(١) النفحات الأقدسية، ص١٠٧.
(٢) النفحات الأقدسية، ص١٠٩.
(٣) النفحات الأقدسية، ص١١٨.
(٤) النفحات الأقدسية، ص١٢٥.
(٥) النفحات الأقدسية، ص٢٢٧.
(٦) النفحات الأقدسية، ص٢٣١.
(٧) النفحات الأقدسية، ص٢٨١.
(٨) كان هذا في لقاء بينهما عام ١٩٧٤م في قرية «صوفي آباد» وهي لا تبعد كثيراً عن طهران.

الحقيقة، بل ليس ثَم شيء إلا ذات الحق كما يقول ابن طفيل[1].

أخيراً..

إن في هذه النصوص الوحدوية المقدَّمة حتى الآن، كفايةً وكفاية، وأكثر من الكفاية، للدلالة على أن وحدة الوجود هي عقيدة القوم التي تقوم عليها الصوفية.

فالصوفية هي وحدة الوجود مغلَّفةٌ بالتقية، ووحدة الوجود المغلفة بالتقية هي الصوفية.

وهناك كتاب لا يكاد يخلو منه مسجد ولا بيت، يكاد يكون مقدساً لدى كل الطرق الصوفية، إنه كتاب «دلائل الخيرات» لمؤلفه محمد بن عبد الرحمن بن سليمان الجزولي السملالي.

إن كتاب «دلائل الخيرات» معتبر لدى كل الطرق الصوفية، يقرأ صباحاً ومساءً كل يوم، بل هو معتبر عند كثير ممن لا ينتمون إلى الصوفية. ومما جاء فيه:

... وفقني لاتباعه والقيام بآدابه وسننه، واجمعني عليه، ومتِّعني برؤيته، وأسعدني بمكالمته، وارفع عني العلائق والعوائق والوسائط والحجاب، وشنِّف سمعي معه بلذيذ الخطاب[2]...

- أُنبه هنا، إلى أن الذي يحتاج إلى توضيح معاني هذه العبارات، بعد مئات الصفحات السابقة، مثل هذا الإنسان عليه أن يشكو حاله إلى الله جل شأنه.

ومما جاء فيه:

... الواحد الأحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد، يا هو، يا من لا هو إلا هو، يا من لا إله إلا هو[3]...

---

(١) من الفكر الصوفي الإيراني المعاصر، ص٦٨. وابن طفيل فيلسوف أندلسي مشهور، وهو مؤلف كتاب «حي بن يقظان».

(٢) دلائل الخيرات، ص١٥.

(٣) دلائل الخيرات، ص٢٢٣.

ومما جاء فيه أيضاً (صلوات الذات):

اللهم صلِّ على سيدنا محمد نور الذات وسرِّه الساري في جميع الأسماء والصفات[1]...

- نكتفي بهذا القدر من النصوص الوحدوية، ففيه، كما قلنا، كفاية وكفاية، وأكثر من الكفاية.

وهذه النصوص، رغم كثرتها، ما هي إلا جزء ضئيل من عباراتهم المشيرة إلى وحدة الوجود، والتي لو جمعت لملأت ألوفاً من الصفحات.

وكثير من أقوالهم ونصوصهم الوحدوية التي أهملتُها، هي أكثر وضوحاً من بعض ما أوردته على صفحات هذا الكتاب. لكني أهملت تلك، وأوْردت هذه، لأقدم للقارىء أكثر ما يمكن من أنواع عباراتهم ورموزهم وإشاراتهم وألغازهم.

البحر لا شك عندي في توحُّدِهِ وإن تعدَّد بالأمواج والزبد
فلا يغرَّنْك ما شاهدتَ من صور فالواحدُ الرَّبُّ ساري العين بالعدد

«التلمساني»

(١) دلائل الخيرات، ص٢٣٣.

□ **النتيجة :**

مِن كلٍّ ما سَبَقَ نستنتج ما يلي :

ـ الصوفية هي وحدة الوجود والطريقة التي توصل السالك إلى ذوقها واستشعارها .

ـ يَعْلمـون أن وحـدة الـوجـود هي كفـر وزنـدقة بالنسبة للشريعة ، لذلك يتواصون بكتمانها عن غير أهلها .

ـ كلهم يؤمنـــون بها من أولهم إلى آخـرهم ، قديمهم وحـديثهم ، عارفهم وأُمِّيهم ، مشهورهم ومجهولهم ، (لكنهم يكتمونها عن المبتدئين حتى يتأكدوا من إخلاصهم) .

ـ عنـدمـا نسمـع بعبارة «الصوفية الحقة» فهي تعني شيئاً واحداً ليس غير ، إنها تعني «وحدة الوجود» ، والطريق المؤدية إليها ، ثم كتمانها عن غير أهلها .

ـ من أجـل التعميـة على أهـل الظـاهـر ـ أهـل الشريعة ـ أوجد لهم سيدهم الجنيد مصطلحاتٍ خاصةً بهم ، يسجلون بها أوهامهم في كتبهم ، وينقلونها إلى مريديهم .

ـ وزيادة في التزوير والخداع ، اخترعوا أحاديث على لسان الرسول ﷺ ليؤ يدوا بها عقيدتهم .

وزيادة في التزوير والخداع ، أوَّلوا بالباطل آيات القرآن وأقوال الرسول ﷺ ، ليؤ يدوا بالتأويل الباطل عقيدتهم .

ـ وزيادة في التزوير والخداع ، ومن أجل التلبيس على البسطاء والسذَّج ، نشروا بين النـاس أن عقيـدتهم تعتمـد على القـرآن والسنـة ، وأنهـا لا تناقض القرآن والسنة ، وأنها مؤ يدة بالقرآن والسنة ! ؟

ـ وزيادة في التزوير والخداع الذي لا حدود له ، قالوا : إن طريقتهم هي الزهد وتربية

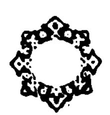
النفس، وأنها السير إلى الله والعروج إليه.

- وبإيحاء شياطينهم وأوهامهم، سمَّوا أنفسهم بأسماء فيها من الجرأة على الله سبحانه وتحدي قرآنه وسنة رسوله ما تجاوز كل حد وكل ذوق، حتى جعلوا أنفسهم يتصرفون في الكون، وحتى جعلوا أنفسهم أو جعلوا الواصلين منهم، متحققين بالاسم الأعظم «الله» أي أن الواصل هو الله.

فهم العارفون الصديقون الصادقون المقربون الأولياء الصالحون الأتقياء الأنقياء رغم جهلهم وضلالهم وكذبهم وبعدهم عن الشريعة الإسلامية وتوليهم الشيطان وممارستهم طقوساً لا تمت إلى الإسلام بصلة وتأليههم البشر والقبور والحجارة والشجر، وهم يطبقون هذا التأليه عمليًّا وينكرونه نظريًّا أمام أهل الظاهر (أهل الشريعة)، وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعاً.

وللحقيقة. إنهم كلهم، مشايخهم ومريديهم (إلا النادر من المبتدئين) يؤمنون بأنهم على حق فيما هم عليه، وأنه هو ما يسمونه «مقام الإحسان»، وعندما يكذبون ويتاقون فهم يرون أن هذا هو الحكمة الإلٰهية، التي أرادها الله لعباده!

ومن العجب أن هذه الحكمة مفروضة فقط على متصوِّفة المسلمين، أما الهندوس والبوذيون والطاويون والجينيون فليست مفروضة عليهم، لأنهم يقولون بوحدة الوجود بكل صراحة، والفرق بين المتصوفة وبين أهل تلك الأديان، أن المتصوفة يكذبون ويجعلون الله سبحانه وتعالى مثلهم، بحجة أنه يغار على السر (جل وعلا علوًّا كبيراً).



□ لا حلول ولا اتحاد:

يتردد بين كثير من العلماء، وفي بعض الكتب، أن المتصوفة ينقسمون إلى ثلاثة أقسام: قسم يؤمنون بالحلول، وقسم يؤمنون بالاتحاد، وقسم يؤمنون بوحدة الوجود. ويجعلون الحلاج مثلاً للحلوليين، وعمر بن الفارض مثلاً للاتحاديين.

* **ومعنى الحلول**: أن الله (سبحانه وتعالى عما يصفون) خلق الخلق، وحل فيه، كما يحل الإنسان في الثوب الذي يلبسه، أو كما يحل الماء في التراب عند مزجه، فيكونان بذلك اثنين متماسَّين (تعالى الله).

* **ومعنى الاتحاد**: أنه سبحانه خلق الخلق واتحد به، وضرب بعضهم مثلاً لذلك: اتحاد الماء بالخمر، مع أن هذا هو حلول في حقيقته وليس اتحاداً، وأصح منه مثلاً: اتحاد الكلور مع الصوديوم حيث يشكلان ملح الطعام. فيكونان بذلك متحدين، أو متماسَّيْن بالاتحاد.

* **أما وحدة الوجود** فقد عرفناها جيداً من النصوص السابقة، إنها تعني أنه ليس في الوجود إلا واحد هو الله، وكل ما نرى هو أجزاء منه تتعين بأشكال مختلفة، بما في ذلك أنا وأنت وهو وهي وهما وهم وهن، والأرض والشمس والقمر والنجوم والملائكة والجن، بما في ذلك الشياطين والحيوانات والحشرات.

والحقيقة، أن هذا التقسيم وهم لا حقيقة له في الواقع، فجميع متصوفة المسلمين من أولهم إلى آخرهم هم على مذهب «وحدة الوجود» وكل ما مر هو براهين على ذلك، نضيف إليه قولاً للحلاج ينفي الاثنينية، وآخر لعمر بن الفارض ينفي به الاثنينية أيضاً، وأقوالاً لبعضهم تنفي الحلول والاتحاد.

يروى عن عبد الودود بن سعيد بن عبد الغني الزاهد قال:

... قلتُ له (أي للحلاج): كيف الطريق إلى الله تعالى؟ قال: الطريق بين

اثنين، وليس مع الله أحد. فقلت: بيِّن! قال: مَن لمْ يقفْ على إشارتنا لم ترشده عبارتنا، ثم قال:

أأنـتَ أم أنـا هذا في إلٰهين ... حاشـاك حاشـاك من إثبات اثنين[1]

ويقول عمر بن الفارض:

ومـا شانَ هذا الشأْنَ منك سوى السوى ... ودعـواه حقًّـا عنـك إن تُمْحَ تثبـت

كذا كنـت[2] قبـل أن يُكْشَـفَ الغِطـا ... مِنَ الـلَّبس لا أنـفـك عن ثنـويـة

متـى حلتُ عن قولي «أنـا هي» أو أقـل ... ـ وحـاشـا لمثـلي ـ «أنهـا فيَّ حلَّت»

وسـرُّ «بـلى»[3] لله مرآةُ كشـفـهـا ... وإثبـاتُ معنى الجمـع نفيُ المعيـة[4]

وأقوالهم في استنكار الحلول والاتحاد ونفي وجود من يؤمن بهما كثيرة، نكتفي منها برشفات:

يقول الطوسي، صاحب اللمع «عنواناً لباب في كتابه»:

باب في ذكر غلط الحلولية وأقاويلهم، على ما بلغني، فلم أعرف منهم أحداً، ولم يصحَّ عندي شيء غير البلاغ[5].

ويقول محمود أبو الفيض المنوفي:

. . . فمَنْ مِن الصوفية يا ترى يعتقد أن الذاتِ الإلٰهي العظيم المقدس المنزه الذي لا يحيط به شيء، ولا يحتويه شيء من المكان على سعته، ولا الزمان على امتداده، يتَّحد أو يحلّ بشيءٍ من مخلوقاته، إلا أن يكون جاهلاً بالتصوف وبالإسلام، أو مدَّعياً أو متطفِّلاً على التصوف والإسلام، وإذن فلْيكفَّ المتخرصون الجاهلون عن تخرصهم بغير علم عن التصوف الحق وأهل التصوف، ولْيَدَعوا أمر الخالق الذي له في خلقه الكثير من

---

(١) أخبار الحلاج، ص٥٧.
(٢) ليستقيم الوزن يجب أن تكون «كذا كنت قدماً أو حيناً. . .».
(٣) كلمة «بلى» يشير بها إلى الآية: ﴿وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى. . .﴾.
(٤) الأبيات، التائية الكبرى.
(٥) اللمع، ص٥٤١.

الشؤون[1].

● **ملاحظة**: لقد أحسن عندما فرق بين التصوف والإسلام.

ويقول ابن عجيبة:

. . . فلا وجود للأشياء مع وجوده، فانتفى القول بالحلول، إذ الحلول يقتضي وجود السوى حتى يحلّ فيه معنى الربوبية، والفرض أن السوى عدم محض فلا يُتصور الحلول . . .

ونزهْهُ في حكم الحلول فما له سوى وإلى توحيده الأمرُ راجع

. . . فقد تقرر أن الأشياء كلها في حيز العدم . . . فانتفى القول بالاتحاد، إذ معنى الاتحاد هو اقتران القديم مع الحادث، فيتحدان حتى يكونا شيئاً واحداً، وهو محال، إذ هو مبنيٌّ أيضاً على وجود السوى، ولا سوى، وقد يُطلقون الاتحاد على الوحدة كقول ابن الفارض:

وهامت بها روحي بحيث تمازجا اتحاداً ولا جِرمٌ تخلّله جرم[2]

ويقول محمد بهاء الدين البيطار:

. . . فالمظاهر عين الظاهر، فليس إلا الله بلا مزج ولا حلول ولا اتحاد، بل القوم بريئون من جميع ذلك والله على ما نقول وكيل[3] . . .

● **الملاحظات**:

نلاحظ في هذه النصوص (وكثير غيرها) ما يلي:

١ ـ ينفون وجود من يؤمن بالحلول أو بالاتحاد، لأن ذلك يقتضي أن في الوجود موجودين، خالقاً ومخلوقاً، أو حسب تعبيرهم، الحق والسوى، وبما أنهم كلهم يؤمنون أن السوى لا وجود له، إذن فلا يوجد فيهم من يؤمن بالحلول أو الاتحاد.

---

(١) معالم الطريق إلى الله، ص٤١٠.
(٢) إيقاظ الهمم، ص٤٥ و٤٦.
(٣) مرت في صفحة سابقة.

٢ ـ الحلاج يتبرأ من الاثنينية وينزه الخالق عن إثبات اثنين، إذن فهو لا يقول بالحلول.

٣ ـ ينفي ابن الفارض الاثنينية[1]، وينفي وجود المعية مع الحق، إذن فهو لا يقول بالاتحاد، وفي شعره يردد كلمة «الاتحاد» وهو يعني بها وحدة الوجود، ولا شيء غير ذلك.

*** الخلاصة:**

الصوفية مذهب واحد، لا يوجد فيهم من يؤمن بالحلول ولا الاتحاد ولا المزج ولا الوصل ولا الفصل، بل كلهم كلهم يؤمنون بوحدة الوجود، وقد غلط العلماء الذين قالوا: إن في الصوفية حلوليين واتحاديين، وكانوا واهمين.

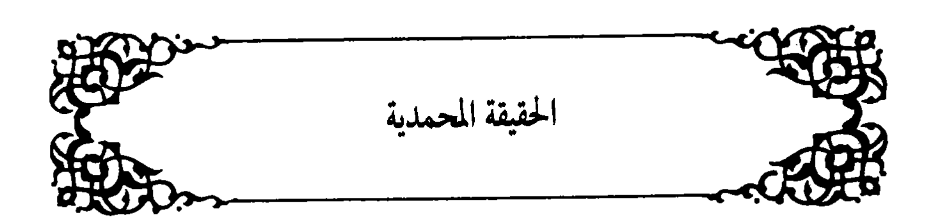
جملة يتسلى القارىء بتحليلها:

يقول أحدهم: . . . وفي الحقيقة، لا فصل ولا وصل، ولذلك قيل:

ولا عن قليً كان القطيعةُ بيننا ولكنه دهرٌ يُشتّ ويَجْمع

(١) مر هذا في الأبيات المنقولة من تائيته في صفحة سابقة.

الفصل الرابع :



الحقيقة المحمدية

وكيف تدعـو إلى الـدنيا ضرورة من لولاه لم تخرج الـدنيـا من العـدم

من النصـوص التـاليـة سنعـرف ماذا تعني «الحقيقة المحمدية» وسنعرف أن الصوفية كلهم يؤمنون بها.

يقول الحلاج :

طس، سراجٌ من نور الغيب بدا وعـاد، وجـاوَزَ السـراجُ وسـاد. . . ما أخبر إلا عن بصيرته، ولا أَمَرَ بسنته إلا عن حق سيرته، حَضَرَ فأحضر، وأبصر فخبَّر. . . أنوار النبوة من نوره برزتْ، وأنـوارهم من نوره ظهـرتْ، وليس في الأنـوار نورٌ أنْـوَرُ وأظهرُ وأقدمُ من القـدم سوى نور صاحب الكـرم. . . همتُـه سبقت الهمم، ووجوده سبق العدم، واسمه سبق القلم، لأنـه كان قبـل الأمم، ما كان في الآفـاق وراء الآفـاق ودون الآفـاق أظـرفُ وأشـرفُ وأعـرفُ وأنصفُ وأرأفُ وأخـوفُ وأعطفُ من صاحب هذه القضيـة، وهـو سيّد الـبر يـة، الذي اسمه أحمد، ونعتُهُ أوحد، وأَمْرُه أوكد، وذاتَه أوجد، وصفته أمجد، وهمته أفـرد. . . يا عجبـاً ما أظهـره وأنظـره وأكـبره وأشهره وأنوره وأقدره وأبصره، لم يزل، كان مشهـوراً قبـل الحـوادث والكوائن والأكوان، ولم يزل، كان مذكوراً قبل القَبْل وبعد البعد والجـواهـر والألـوان. . . هو الـدليـل وهو المدلول. . . بالحق موصول غير مفصول، ولا خارج عن المعقـول. . . العلوم كلهـا قطـرة من بحـره. . الأزمان كلها ساعةٌ مِنْ دهره، الحق وبه الحقيقة، هو الأول في الوصلة، وهو الآخر في النبوة، والباطن بالحقيقة، والظاهر

بالمعرفة . . . الحق ما أسلمه إلى خلقه، لأنه هو، وإني هو، وهو هو[1] . . .

● **الملاحظات :**

نرى في هذا النص ما يلي :

١ ـ ينكـر الـوحي ، ويجعـل الـرسـول ﷺ جاء بالرسالة من ذاته وبصيرته، ونرى هذا في الجمل (ما أخبر إلا عن بصيرته . . . حتى : وأبصر فخبر) .

٢ ـ يجعل محمداً ﷺ هو الله، وله جميع صفاته الحسنى .

ويقول محيي الدين ابن عربي :

. . . ثم تمّمها الجامع للكل محمدٌ ﷺ بما أخبر به عن الحق بأنه عينُ السمع والبصر واليد[2] . .

ـ قول ابن عربي هنا مختصر مفيد، فمحمد ﷺ جامع للكل . . .

ويقول أبو طالب المكي :

قال بعض أهل المعرفة : خلق الله الجنة بما فيها مِنْ نور المصطفى ﷺ، فلما اشتاقت إلى رسـول الله ﷺ ، كان شوقُهـا إلى المعـدن والأصـل ، وصار شوق المشتاقين إلى الجنة شوقَهم إلى النبي ﷺ، لأنها من نوره خُلقت[3].

ويقول البوصيري في البردة :

وكـيـف تدعـو إلـى الـدنيـا ضرورةُ مَن　　　لولاه لم تخرج الـدنـيـا مِن الـعـدم

* * *

دع ما ادَّعــتـه الـنـصـارى في نبـيِّـهـم　　　واحكُم بما شئتَ مَدْحـاً فيـه واحتكم

* * *

---

(١) أخبار الحلاج «طاسين السراج»، ص٨٢ وما بعدها .

(٢) فصوص الحكم، ص١١٠ .

(٣) علم القلوب، ص٣٠ و٣١ .

فإن مِن جودك الدنيا وضرَّتها ومن علومك علمَ اللوحِ والقلم

- أي أن محمداً ﷺ هو الذي أوجد الدنيا والآخرة.

ويقول محمد بن سليمان الجزولي في كتابه الذائع الصيت «دلائل الخيرات» وفيه الكفاية عن غيره:

اللهم صل على سيدنا محمد بحرِ أنوارك . . . إنسانِ عين الوجود، والسَّبب في كل موجود، عينِ أعيان خلقك المتقدِّم من نور ضيائك[1] . . .

- اللهم صل على محمد الذي هو قطب الجلالة[2] . . .

- اللهم صل على سيدنا محمد نور الذات وسرِّه الساري في جميع الأسماء والصفات[3].

ويقول عبد السلام بن بشيش:

. . . اللهم صل على مَن منه انشقَّت الأسرار وانفلقت الأنوار، وفيه ارتقت الحقائق وتنزلت علوم آدم فأعجز الخلائق . . . وحياضُ الجبروت بفيض أنواره متدفقة، ولا شيء إلا وهو به منوط . . . اللهم إنه سرُّك الجامعُ الدالّ عليك، وحجابُك الأعظم القائم لك بين يديك[4] . . .

ويقول سيدي محمد الفاسي الشاذلي:

. . . فهو الياقوتة المنطوية عليها أصداف مكنوناتك، والغيهوبة المُنْتَخَبُ منها معلوماتُك، فكان غيباً من غيبك، وبدلاً مِن سرِّ ربوبيتك، حتى صار بذلك مَظْهراً نستدل به عليك، فكيف لا يكونِ كذلك، وقد أخبرتنا بذلك في محكم كتابك بقولك: ﴿إنَّ الذين يُبايعونَك إنما يُبايعون الله﴾، فقد زال عنا بذلك الريب، وحصل الانتباه[5] . . .

---

(١) دلائل الخيرات، ص١٠٠.

(٢) دلائل الخيرات، ص٢١٤.

(٣) دلائل الخيرات، ص٢٣٣.

(٤) النفحة العلية، ص١٥ و١٦.

(٥) النفحة العلية، ص٣٣.

ـ إذن، فمعلومات الله، جل وعلا، منتخبة من غيهوية محمد ﷺ، وهو بدل سر ربوبية الله، وهو مظهره، وقد أخبرنا الله تعالى في محكم كتابه أن محمداً هو الله، بقوله: ﴿إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله﴾.

ويقول عبد الكريم الجيلي:

أوجُ التعاظم مركزُ العزِّ الذي ... لِرحى العلا مِن حوله دورانُه

مَلِكٌ وفوق الحضرة العليا على ال ... عرش المكين مثبَّتٌ إمكانه

ليس الوجود بأسره إن حققوا ... إلا حباباً طفّحته دنانه

الكلُّ فيه ومنه كان وعنده ... تفنى الدهورُ ولم تزل أزمانه

فالخلقُ تحت سما علاه كخردلٍ ... والأمرُ يُبرِمُه هناك لسانه

والكون أجمعه لديه كخاتم ... في إصبع منه، أجل أكوانه

والملك والملكوت في تياره ... كالقطر بل من فوق ذاك مكانه

وتُطيعُه الأملاكُ من فوق السما ... واللوح يُنْفذُ ما قضاه بنانه

* * *

اعلم، حفظلك الله، أن الإنسان الكامل هو القطب الذي تدور عليه أفلاك الوجود مِن أوله إلى آخره، وهو واحدٌ منذ كان الوجود إلى أبد الآبدين، ثم له تنوعٌ في ملابس، ويظهر في كنائس، فيسمّى به باعتبارِ لباسٍ، ولا يسمَّى به باعتبارِ لباسٍ آخر، فاسمُه الأصلي الذي هو له محمد، وكنيته أبو القاسم، ووصفه عبد الله، ولقبه شمس الدين.

. . . واعلم أن الإنسان الكامل مقابلٌ لجميع الحقائق الوجودية بنفسه، فيقابل الحقائق العلوية بلطافته، ويقابل الحقائق السفلية بكثافته. . ثم اعلم أن الإنسان الكامل هو الذي يستحق الأسماء الذاتية والصفات الإلهية استحقاق الأصالة والملك بحكم المقْتَضَى الذاتي، فإنه المعبَّر عن حقيقته بتلك العبارات، والمشار إلى لطيفته بتلك الإشارات، ليس لها مستندٌ في الوجود إلا الإنسان الكامل، فمثاله للحق مثال المرآة التي لا يرى الشخص صورته إلا فيها، وإلا فلا يمكنه أن يرى صورة نفسه إلا بمرآة الاسم «الله» فهو مرآته، والإنسان الكامل أيضاً مرآته[1]. . .

---

(١) الإنسان الكامل: ٢ / ٧٣، وما بعدها.

- ومن صلواتهم عليه ﷺ في أورادهم:

★ صلاة الإمام الغزالي، وقيل: إنها لعبد القادر الجيلاني:

اللهم اجعل أفضل صلواتك أبداً... على أشرف الخلائق الإنسانية، ومَجْمَع الحقائق الإيمانية، وطُور التجليات الإحسانية، ومهبط الأسرار الرحمانية... ومالك أزمّة المجد الأسنى، شاهدِ أسرارِ الأزل، ومشاهدِ أنوارِ السوابق الأول، وترجمان لسان القدم... مَظْهر سرِّ الجود الجزئي والكلي، وإنسان عين الوجود العلوي والسفلي، روح جسد الكونين، وعين حياة الدارَيْن[1]...

- يقول العارف يوسف النبهاني، معلقاً على هذه الصلوات: قال سيدي أحمد الصاوي في شرح ورد الدردير: إن هذه الصلاة نقلها حجة الإسلام الغزالي عن القطب العيدروس...

وبالرجوع إلى كتاب «الأسرار الربانية والفيوضات الرحمانية على الصلوات الدرديرية» للإمام الهمام... أحمد الصاوي، نقرأ الجملة: «هذه الصلاة نقلها... إلخ» بحرفيتها[2]. ولم أقف على قطب معاصر للغزالي أو سابق له يعرف بالعيدروس، وأول قطب من عائلة العيدروس هو عبد الله بن أبي بكر المار ذكره، وقد وجد بعد الغزالي بثلاثة قرون.

وطبعاً نحن أمام الكشف الذي يعرضون عليه السمع والألفاظ الواردة، كما يقول الغزالي، فما شأننا؟!

★ من صلاة لأحمد الرفاعي (جوهرة الأسرار):

اللهم صل وسلم وبارك على نورك الأسبق... الذي أبرزْته رحمة شاملة لوجودك... نقطة مركز الباء الدائرة الأولية، وسرِّ أسرارِ الألف القطبانية، الذي فتقْتَ به رتقَ الوجود... فهو سرك القديم الساري، وماء جوهر الجوهرية الجاري، الذي أحييْت به الموجودات، من معدن وحيوان ونبات، قلب القلوب، وروح الأرواح، وإعلام الكلمات الطيبات، القلم الأعلى، والعرش المحيط، روح جسد الكونين، وبرزخ

(١) أفضل الصلوات على سيد السادات، ص٨٣. (٢) الأسرار الربانية، ص٢٥.

البحرين[1]. . .

★ **صلاة لأحمد البدوي:**

اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا ومولانا محمد شجرة الأصل النورانية، ولمعة القبضة الرحمانية. . . ومعدن الأسرار الربانية، وخزائن العلوم الاصطفائية، صاحب القبضة الأصلية. . . مَن اندرجت النبيون تحت لوائه، فهم منه وإليه[2]. . .

ـ لننتبه إلى عبارة: «القبضة الأصلية»، التي تعني: القبضة التي قبضها الله سبحانه من نور وجهه، وقال لها: كوني محمداً (كما يفترون).

★ **وصلاة ثانية له:**

اللهم صل على نور الأنوار، وسر الأسرار، وترياق الأغيار[3].

★ **صلاة إبراهيم الدسوقي:**

اللهم صل على الذات المحمدية، اللطيفة الأحدية، شمس سماء الأسرار، ومظهر الأنوار، ومركز مدار الجلال، وقطب فلك الجمال[4].

★ **صلاة لمحيي الدين بن عربي:**

اللهم أفضْ صِلَةَ صلواتك. . . على أول التعينات المفاضة من العماء الرباني، وآخر التنزلات المضافة إلى النوع الإنساني، المهاجِر من مكةِ «كان الله ولم يكن معه شيء ثان» إلى مدينةِ «وهو الآن على ما عليه كان»، مُحْصي عوالم الحضرات الإلٰهية الخمس في وجوده: ﴿وكلَّ شيءٍ أحصيْناهُ في إمامٍ مُبين﴾. . . نقطة البسملة الجامعة لما يكون ولما كان، ونقطة الأمر الجوّالة بدوائر الأكوان، سرّ الهوية التي في كل شيء سارية، وعن كل شيء مجردة وعارية. . . كلمة الاسم الأعظم، وفاتحة الكنز المطلسم، المظهر الأتم الجامع بين العبودية والربوبية، والنفس الرحماني الساري بموادّ الكلمات التامات،

---

(١) أفضل الصلوات، ص٨٤، وقلادة الجواهر، ص٢٤٩.

(٢) أفضل الصلوات، ص٨٥.

(٣) أفضل الصلوات، ص٨٦.

(٤) أفضل الصلوات، ص٨٨.

الفيض الأقـدس الـذاتي الـذي تعينت به الأعيـان واستعـداداتهـا، والفيض المقـدس الصفـاتي الـذي تكـونتْ به الأكوان واستمداداتِها، مطلع شمس الذات في سماء الأسماء والصفـات. . . خَطّ الـوحـدة بين قوسي الأحَـديـة والواحدية. . . ومركز إحاطة الباطن والظـاهـر. . . اللهم يا رب يا من ليس حجـابـه إلا النـور، ولا خفاؤه إلا شدة الظهور، أسألك بك. . . أن تصلي على سيدنا محمد صلاة تكمل بها بصيرتي. . . لأشهد فناء ما لم يكن وبقـاء ما لم يزل، وأرى الأشيـاء كما هي في أصلهـا معدومة مفقودة، وكوْنَها لم تشمَّ رائحة الوجود فضلاً عن كونها موجودة[1]. . .

★ صلاة لفخر الدين الرازي:

اللهم حيِّـد وجـرِّدْ في هذا الـوقت وفي هذه السـاعة من صلواتك التامات، وتحياتك الـزاكيـات. . . إلى أكمـل عبدٍ لك في هذا العالم، من بني آدم، الذي جعلتَهُ لك ظلاًّ، ولحـوائـج خلقـك قبلة ومحـلاًّ. . . وأظهرته بصورتك، واخترته مستوى لتجليك، ومنزلاً لتنفيذ أوامرك ونواهيك، في أرضك وسماواتك، وواسطةً بيْنَك وبين مكوناتك[2].

★ صلاة النور الذاتي لأبي الحسن الشاذلي:

اللهم صل وسلم وبـارك على سيـدنـا محمـد النـور الـذاتي والسر الساري في سائر الأسماء والصفات[3].

★ صلاة الشيخ محمد أبي المواهب الشاذلي:

اللهم صل على هذه الحضـرة النبـويـة. . . يا سيدنا يا رسول الله أنت المقصود من الـوجـود. . وأنت الجـوهـرة اليتيمة التي دارت على أصناف المكوَّنات، وأنت النور الذي ملأ إشراقُه الأرضين والسماوات. . . يا أول يا آخر يا باطن يا ظاهر. . . الصلاة والسلام عليـك يا رسـول الله، الأمـلاكُ تشفعت بك عنـد الله، الصلاة والسلام عليك يا رسول الله، الأنبياء والرسل ممدودون مِن مددك الذي خُصِّصتَ به من الله. . . قد نزلنا بحيك واستجرنا بجنابك وأقسمنا بحياتك على الله[4]. . .

---

(١) أفضل الصلوات، ص٨٩ وما بعدها.
(٢) أفضل الصلوات، ص٩٧.
(٣) أفضل الصلوات، ص١١٣.
(٤) أفضل الصلوات، ص١١٨ وما بعدها.

★ **صلاة محمد بن أبي الحسن البكري:**

اللهم صل وسلم على نورك الأسنى، وسرِّك الأبهى... روحِ المشاهد الملكوتية، ولَوْح الأسرار القيومية، ترجمانِ الأزل والأبد، لسان الغيب الذي لا يحيط به أحد، صورةِ الحقيقة الفردانية... محمد الباطن والظاهر بتفعيل التكميل الذاتي في مراتب قربه... بدايةِ نقطة الانفعال الوجودي إرشاداً وإسعاداً، أمينِ الله على سرِّ الألوهية المطلْسَم، وحفيظهِ على غيب اللاهوتية المكتَّم، مَن لا تدرك العقول الكاملة منه إلا مقدارَ ما تقوم عليها به حجّتُه الباهرة، ولا تعرف النفوس العرشية مِن حقيقته إلا ما يَتَعرف لها به من لوامع أنواره الزاهرة، منتهى همم القدسيين وقد بَدَوْا مما فوق عالم الطبائع، مرمى أبصار الموحدين وقد طمحتْ لمشاهدةِ السر الجامع، من لا تُجلى أشعة الله لقلبٍ إلا مِنْ مرآة سرّه، وهي النور المطلق... وهو الوتْرُ الشفعي المحقق... الفرع الجدثاني المترعرِع في نمائه بما يُمدّ به كل أصل أبدي، جنيّ شجرة القدم، خلاصة نسختي الوجود والعدم... وعابد الله بالله بلا حلول ولا اتحاد ولا اتصال ولا انفصال... اللهم صل وسلم على جمال التجليات الاختصاصيَّة، وجلال التدليات الاصطفائية، الباطن بك في غيابات العزّ الأكبر، الظاهر بنورك في مشارق المجد الأفخر، عزيز الحضرة الصمدية، وسلطان المملكة الأحدية... مستوى تجلّي عظمتك ورحمتك وحُكْمك في جميع مخلوقاتك،... وخلَقْتَ بكلمةِ خصوصيَّتهِ المحمدية بحار الجمع... وجعلته بحكْم أحديتك وِتْر العدد... اللهم صل وسلم على دائرة الإحاطة العظمى، ومركز محيط الفلك الأسمى... بحر أنوارك الذي تلاطمت برياح التعينّ الصمداني أمواجه... خليفتك على كافة خليقتك[1]...

★ **الصلاة المعروفة بالصلوات البكرية:**

اللهم إني أسألك بنيِّر هدايتك الأعظم، وسرِّ إرادتك المكنون مِن نورك المطلْسَم، مختارِك منك لك قبل كل شيْ، ونورك المجرد بين مسالك اللُقِيْ، كنزك الذي لم يحط به سواك، وأشرف خلقك الذي بحكْم إرادتك كونْتَ من نوره أجرام الأفلاك وهياكل الأملاك، فطافتْ به الصافُّون حول عرشك تعظيماً وتكريماً، وأمرتَنا بالصلاة والسلام

(١) أفضل الصلوات، ص١٢٧ وما بعدها.

عليه . . . وزجّيْتَ به في نور ألـوهيتـك العظمى . . . خليفتك بمحض الكرم على سائر مخلوقـاتـك . . . وشيـدْتَ به قوائم عرشـك المحـوط بحيطتك الكبرى . . . بَحْرِ فيضك المتلاطم بأمواج الأسرار[1] . . . .

★ **الصلاة المسماة بالصلوات الزاهرة :**

اللهم صل وسلم على الجمال الأنْفَس ، والنور الأقدس ، والحبيب مِن حيث الهُوية ، والمـرادِ في الـلاهـوتية ، مترجم كتاب الأزل ، والمتعالي بالحقيقة عن حقيقة الأثر حتى كأنه المثل ، الجِلس الأعلى ، والمخصوص الأوْلى ، والحكمة السارية في كل موجود . . . روح صُوَرِ الأسـرار الملكـوتيـة . . . محمـدك وأحمـدك وتْر العدد ، ولسان الأبد ، العرش القائم بتحمّـل كلمـة الاستـواء الـذاتي فلا عارض ، المتجـلي بسلطـان قهـرك على ظُلَل ظُلَمِ الأغيـار لمحْقِ كلِّ معـارض ، النقطـة التي عليهـا مدارُ حروف المـوجـودات بجميـع الاعتبـارات ، . . . لوح الأسـرار ، ونـور الأنـوار . . . ومَظْهـر أنـوار اللاهوت في ناسوت المثـل ، القـائم بكـل حقيقـة سرياناً وتحكيماً . . . المتجلي بملابس الحقائق الفردانية . . . الحـافـظ على الأشيـاء قواهـا بقـوتك ، الممد لذرات الكائنات بما به برزت من العدم إلى الوجود بقدرتك ، كعبة الاختصاص الرحماني ، محجّ التعينّ الصمداني ، قيوم المعاهد التي سجدت لها جباه العقول ، أقنوم الوحدة ولا أقنوم ، إنما نورك بنورك موصول . . . منتهى كمال النقطـة المفـروضـة في دوائـر الانفعال ، ومبدأ ما يصح أن يشمله اسم الوجود القابل لتنـوعـات القضـاء والقـدر على ما سواك من حيث أنت أنت بما شئت من فيـوضـاتـك العلية . . . وسر سرائر الكنز الأحدي الصمدي[2] . . . .

ـ لننتبـه إلى عبـارة : «مـدار حروف المـوجـودات بجميع الاعتبارات» ، والتي تحمل نفس معنى : «وما الكلب والخنزير إلا إلٰهنا» و «اجتمع فيه النجو مع الورد» . . وغيرها . .

★ **الصلاة السقافية لسيدي عبد الله السقاف :**

اللهم صل وسلم على سلّم الأسـرار الإلٰهيـة ، المنطـوية في الحروف القرآنية ، مَهْبط

---

(١) أفضل الصلوات ، ص١٣١ و ١٣٢ .

(٢) أفضل الصلوات ، ص١٣٤ وما بعدها .

الـرقـائق الـربـانيـة، النـازلـة في الحضـرة العلية. . . صاحب اللطيفة القدسية المكسوة بالأكسية النورانية السارية في المراتب الإلهية المتكمّلة بالأسماء والصفات الأزلية والمفيضةِ أنـوارَهـا على الأرواح الملكـوتيـة المتـوجهـة في الحقـائق الحقِّيَّة، النافيـةِ لظُلمات الأكوان العَـدميـة المعنـويـة، اللهم صل وسلم على سيـدنا محمد الكاشف عن المسمَّى بالوحدة الذاتية. . . صاحب الصورة المقدسـة المنزّلة من سماء قدس غيهب الهوية الباطنة الفاتحة بمفتاحها الإلهي لأبواب الوجود القائم بها مِن مطلع ظهورها القديم إلى استواء إظهارها للكلمات التامات، اللهم صل وسلم على حقيقة الصلوات وروح الكلمات، قوام المعاني الـذاتيـات، وحقيقـة الحـروف القـدسيـات، وصور الحقائق الفرقانية التفصيليات. . . موصل الأرواح بعد عدمها إلى نهايات غايات الوجود والنور[1]. . .

★ صلاة (يتعبد بها كل الصوفية):

اللهم صل على طامَّة الحقائق الكبرى، سر الخلوة الإلهية ليلة الإسراء. . . ينبوع الحقـائق الـوجـوديـة، بَصَـر الـوجـود، وسرِّ بصيرة الشهود، حق الحقيقة العينية، وهوية المشـاهـد الغيبيـة، تفصيـل الإجمال الكلي. . . نَفَسِ الأنفاس الروحية، كلية الأجسام الصُّـوريـة، عرش العـروش الـذاتية، كتابك المكنون. . . يا فاتحة الموجودات، يا جامع بَحْـرَي الحقـائق الأزليـات والأبـديـات. . . يا نقطة مركز جميع التجليات، يا عين حياة الحُسْنِ الذي طارت منه رشاشات، فاقتسمتها بحُكْمِ المشيئة الإلهية جميعُ المبدَعات[2]. . .

★ صلاة (يتعبد بها كل الصوفية):

اللهم صل على مولانـا محمـد نورك اللامع، ومظهر سرك الهامع. . . الذي فتحتَ ظهور العالم من نور حقيقته. . . ولولا هو ما ظهرت لصورةٍ عينٌ من العدم الرميم[3]. . .

★ صلاة (لكل الصوفية):

اللهم صل على عين بحـر الحقـائق الـوجـوديـة المطْلقـة الـلاهوتية، ومنبع الرقائق

---

(١) أفضل الصلوات، ص١٥٥ وما بعدها.

(٢) أفضل الصلوات، ص١٦٦ و١٦٧.

(٣) أفضل الصلوات، ص١٦٧ و١٦٨.

اللطيفـة المقَيَّـدة النـاسوتية، صورة الجمال، ومطلع الجلال، مجلى الألوهية، وسر إطلاق الأحـديـة، عرش استـواء الـذات، وجـه محاسن الصفـات، مُزيل برقع حجاب ظُلمات اللَّبْس بطلعة شمس حقائق كُنْه ذاته الأنْفَس، عن وجه تجليات الكمال الإلٰهي الأقدس، كتـابِ مسطـورِ جَمْعِ أحديةِ الذات الحق، في رقٍّ منشورِ تجلياتِ الشؤونِ الإلٰهية المسمّى كثرةُ صُوَرِها بالخلق[1]. . .

★ صلاة (لكل الصوفية):

اللهم صل على سلطـان حضـرات الـذات، مالـك أزمّة تجليات الصفات، قطب رحى عوالم الألـوهيـة. . . جبـالِ موجِ بحـارِ أحـديـةِ الـذاتِ، طِلَّسْمِ كنـوزِ المعـارف الكُنْهيَّات الذاتيات، سقفِ مرفوع الكمالات الأسمائية، بحرِ مسجورِ العلوم اللدنيات، حوض الألـوهيـة الأعظم المُمِـدِّ لبحـار أمـواج صُوَرِ الكـون الظـاهـرة مِن فيوض حقائق أنفـاسـه، قلمِ القـدرة الإلٰهيـة العظمـويـة، الكـاتب في لوح نفسه ما كان وما يكون من محاسن مُبْـدَعـات العـالم وتقلبـاته، وجمال كل صورة إلٰهية وسرِّ حقيقتها غيباً وشهادة. . . جَمْعِ الجمع وفرْق الفرق من حيث لا جَمْعَ ولا فرْقَ[2]. . .

★ الصلاة الكبرى لسيدنا عبد القادر الجيلاني:

. . . اللهم صل وسلم وأَفلحْ وأَنجحْ وأتمَّ وأصلحْ وزكِّ وأَربحْ وأَوْفِ وأَرجحْ أفضلَ الصـلاة وأجـزلَ المنن والتحيات على عبدك ونبيك ورسولك سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم الذي هو فلقُ صبحِ أنوارِ الوحدانية، وطلعةُ شمسِ الأسرارِ الربانية، وبهجةُ قمرِ الحقائق الصمدانية، وحضرة عرشِ الحضرات الرحمانية، نورُ كلِّ رسول وسناه. . . سرُّ كلِّ نبي وهـداه. . . السيـد الكـامـل الفـاتـح الخـاتم، حاءُ الـرحمة، وميمُ الملك، ودالُ الـدوام، بحـر أنـوارك ومعـدن أسـرارك ولسـان حجّتـك وعـروس مملكتـك وعين أعيان خلقك. . . وإمام الحضرة وأمين المملكة. . . وكنز الحقيقة. . . طِلَّسْم الفلك الأطلس في بطون «كنت كنزاً مخفيًّا فأحببت أن أعرف» طاووسُ المَلَكِ المقدس في ظهورِ «فخلقت خلقـاً فتعـرفت إليهم فبي عرفـوني». . . اللهم صل وسلم صلاة ذاتـك على حضـرة

---

(1) أفضل الصلوات، ص١٦٨.

(2) أفضل الصلوات، ص١٦٩ و ١٧٠.

صفاتك الجامع لكل الكمال، المتَّصِفِ بصفات الجلال والجمال، مَن تَنزَّه عن المخلوقين في المثال، ينبوع المعارف الربانية، وحيطة الأسرار الإلٰهية، غاية منتهى السائلين... مظهر سرّ الجود الجزئي والكلي، وإنسان عين الوجود العلوي والسفلي، روح جسد الكونين، وعين حياة الدارَيْن... اللهم إنا نتوسل إليك بنوره الساري في الوجود أن تحيي قلوبنا بنور حياة قلبه الواسع لكل شيء... وتُسْرِيَ سرائره فينا بلوامع أنوارك حتى تُغَيِّبَنا عنا في حقّ حقيقته فيكون هو الحيُّ القيومُ فينا بقيوميتك السرمدية، فنعيش بروحه عَيْش الحياة الأبدية... اللهم صل وسلم على سيدنا ونبينا محمد جمال لطفك وحنان عطفك وجلال مُلكك وكمال قدسك، النور المطْلَقِ بسرِّ المعيَّة التي لا تتقيد، الباطن معنىً في غَيبك، الظاهر حقًّا في شهادتك، شمس الأسرار الربانية، ومجلس حضرة الحضرات الرحمانية... الذي خلقْتَه من نور ذاتك، وحقّقْته بأسمائك وصفاتك، وخلقْت من نوره الأنبياء والمرسلين... اللهم صل وسلم على بهجة الكمال وتاج الجلال... وحياة كل موجود، عزِّ جلالِ سلطنتك، وجلال عز مملكتك، ومليك صنع قدرتك... سر الله الأعظم... والظاهر في مُلكك، والغائب في ملكوتك، والمتخلِّق بصفاتك... الحضرة الرحمانية، والبُرْدَة الجلالية(١)...

- هذه الصلاة الكبرى للشيخ عبد القادر الجيلاني شرحها الشيخ عبد الغني النابلسي، ونقلها يوسف النبهاني من ذلك الشرح، وكلهم أقطاب مكاشفون عارفون يعلمون علم اليقين!

★ ومن صلاة الأنس لأحمد الرفاعي أيضاً:

... اللهم صلّ على أَلِفِ أُنْسِ إنسان الأزل، بحكمة باء برهان من لم يزل أصل الأشياء الكلية... المتصدر في رحاب الأسرار في مركز دائرة القَبول والألطاف المُنْفَرِشَةِ بُسُطُها في حومة العزّ... أصل السبب في الإيجاد، فالكلُّ مِنْه والكل إليه، خزانة الأسرار، فالوارد والذاهب عنه وعليه(٢)...

- ومن شعر لشيخ الإسلام وغوث الزمان الحاج إبراهيم ابن الشيخ الحاج عبد الله

---

(١) أفضل الصلوات، ص١٧٤ وما بعدها. (٢) قلادة الجواهر، ص٢٦٣ و ٢٦٤.

الكولخي :

حرف الباء

فما ليَ غيرِ المصطفى البدرِ مأربٌ ... وفي جائزات الغير ما ليَ مرغَبُ

هو الكلُّ منه الكل بطناً وظاهراً ... فبحرُ سواه ما لنا فيه مشربُ

فمِنْ نورِه الكونان، مِنْه تفَجّرتْ ... علومُ جميع الرسل والكلُّ يشربُ

هو الكامل المحمود والسؤْلُ والمنى ... وأنت الحبيب المصطفى والمقرب[1]

★ **ومن الأوراد التجانية (الصلاة الغيبية في الحقيقة الأحمدية)، فإنها برزت من الغيب من غير إنشاء أحد، وهي :**

اللهم صل وسلم على عين ذاتك العلية، بأنواع كمالاتك البهيَّة، في حضرة ذاتك الأبدية، على عبدك القائم بك منك لك إليك، بأتم الصلوات الزكية، المصلي في محراب عينِ هاءِ الهُوية، التالي السبع المثاني بصفاتك النفسية... الداعي بك لك بإذنك لكافة شؤ ونك العِلْمِيّة... المفيض على كافَّة مَن أوجدتَه بقيومة سرك، المدد الساري في كليةِ أجزاءِ موهبةِ فضلك، المتجلي عليه في محراب قدسك وأنسك، بكمال ألوهيتك في عوالمك وبرك وبحرك[2]...

ويقول عبيدة بن أنبوجة الشنقيطي :

... نعمْ حقيقةُ مقصد هذه الطريقة العثورُ على معرفة بعض أسرار الحقيقة المحمدية مِن مراتب بطونها الأربع، ولا مطمع في خامستها كما تقدم، فالحقيقة المحمدية هي عين جميع المعارف الربانية، فلَمْ تشذَّ شاذَّةٌ منها، وصورتُها البشرية هي باب تلك الحقيقة، فكما لا تؤخذ أحكام الله إلا من أفعال تلك الصورة البشرية وأقوالها... كذلك لا توجد المعارف إلا من تلك الحقيقة وأحوالها[3]...

★ **ومن الصلوات الأحمدية الإدريسية (الصلاة الخامسة) :**

اللهم صل على الذات الكُنْه، قِبْلَة وجوه تجلّيات الكُنْه، عينْ الكُنْه في الكنه،

---

(١) الدواوين الست، ص٥١.

(٢) ميزاب الرحمة الربانية، ص٢٥.

(٣) ميزاب الرحمة الربانية، ص١٥٥.

الجامع لحقائق كمال كُنْه الكنه[1]. . .

★ **ومنها (الصلاة السادسة)**:

اللهم صل على أُمِّ الكتاب، كمالات كُنْه الذات، عينِ الوجود المطْلَق الجامع لسائر التقييدات، صورة ناسوت الخَلْق، معاني لاهوت الحق، الناظر بالكل في الكل من الكل للكليات والجزئيات، كوثرِ سبيلِ منهلِ حوضِ مشاربِ جميعِ التجليات، الملتذ بصورة نفسه في جنة فردوس ذاته بنظره به منه إليه فيه، بحر قاموس الجمع المُطَمْطَم، وطراز رداء الكبرياء المطلْسَم، وراءَ الوراء، ودون الدون بلا دون[2]. . .

ـ قولـه: «وراء الـوراء»، إشارة إلى قوله تعالى: ﴿والله من ورائهم محيط﴾، ومحمدٌ وراء الوراء، أي «هو من وراء الله محيط»!!

ومما يقوله محمد بهاء الدين البيطار، في شرحه على الصلوات الأحمدية الإدريسية:

. . . وللقوم رضوان الله عليهم في الحقيقة المحمدية أقاويل كثيرة، من أحسنها قول العـارف أفضـل الـدين، تلميـذ سيدي علي الخوّاص رضي الله عنهما: الحقيقة المحمدية هي سرُّ وجـوبِ الـوجـود الـذاتي، المِـدَّة لحقائق الممكنات الأسمائية والصفاتية مِن عالم البطون إلى عالم الظهور، بالتدريج القابل لتفصيل المظاهر الكونية وتفصيل حقائقها الإنسانية[3].

* **للعلم**: الصلوات الأحمـدية الإدريسيـة هي من أوراد الطـريقـة الـرشيـديـة، والميرغنية، والختمية. . . وغيرها، مع العلم أيضاً أن أكثر أصحاب الطرق ـ إن لم يكن كلهم ـ يستعملون جميـع الأوراد المـوجـودة في جميـع الطرق، أو أكثرها، ومن الأدلة على ذلك الأوراد الدرديرية، وكتاب دلائل الخيرات.

ومما يقوله الوارثُ المحمدي الجامعُ الغوثُ محمد مهدي الصيادي الروّاس:

---

(١) النفحات الأقدسية، ص١٠٢ و١٠٣.

(٢) النفحات الأقدسية، ص١٠٦ وما بعدها.

(٣) النفحات الأقدسية، ص١٢ ومحمد بهاء الدين البيطار دمشقي توفي سنة ١٣١٤هـ، وأفضل الدين هو أخو عبد الوهاب الشعراني.

وبــويعتُ في الحضـرة، على الإيـمان بحيـاة النبي ﷺ، بل وبحيـاة جميـع النبيـين والمرسلين، وأن النبي ﷺ ذاق طعم الموت بالانتقال مِن هذه الدار إلى دار الآخرة، وردَّ الله عليـه روحَـه، فهـو في حضرة القرب عند مليكٍ مقتدر، يفعل بإذن الله في مُلك الله ما يريـد، ولـه التصـرفُ المحضُ بأمـر الله تعـالى في مُلك الله وملكـوتـه، وهوسُرارة الأزل والأبد... وعليه تُعرضُ الأعمال وإليه تنتهي الأحوال[1]...

- الجـواب: هو أولاً سؤال: هل الـرؤى الشيطـانية التي يشاهدها المتصوفة في حالة غيبوبة هلوسية[2] تنسخ آيات الله وقرآنه؟!

- والجـــواب ثانيـاً هو من كتـاب الله: ﴿... ما لهم من دونـه من ولي ولا يشـرك في حكمه أحداً﴾، ﴿ليس لك من الأمر شيء﴾، ﴿قل إني لا أملك لكم ضرًّا ولا رشداً﴾.

- والجـــواب ثالثـاً: هو من قول رسـول الله ﷺ: «لا تطـروني كما أطـرت النصـارى عيسى بن مريم..».

- والجـواب رابعـاً: إن ما يذكـره الـرواس من رؤياه الهذيانية منقولٌ بدون تغيير من عقيـدة النصـارى بالمسيـح عيسى صلوات الله عليـه، وكـل ما فعله الـرواس هو تبـديل الاسم بالاسم، ولنتـــذكـر توجيهـه للآيـة الـذي مر معنـا: ﴿أحق هو قل إي وربي إنـه لحق﴾، وكيف جعلها تعني: «آلله هو (أي محمد) قل إي وربي إنه الله»!

ولعلهم لم يكتفوا بالحقيقة المحمدية، فأضافت بعض الطرق إليها الحقيقة العلوية، فمن أقوال جلال الدين الرومي (الطريقة المولوية):

منذ كانت صورةُ تركيب العالم: كان عليّ.
منذ نُقِشتْ الأرضُ وكان الزمان: كان عليّ.
ذلك الفاتح الذي انتزع باب خيبر بحملة واحدة: كان علي.
كلما تأملتُ في الآفاق ونظرتُ فيها

---

(١) فصل الخطاب، ص١٤٢.

(٢) أطلق أحد الأدباء الشباب على الجذبة الصوفية اسم «التحشيش الروحاني»، وهي تسمية صحيحة.

أيقنتُ بأنه في الموجودات: كان علي.

إن سرَّ العالمين الظاهِر والباطن الذي بدا في شمس تبريز: كان علي[1].

ـ أما الطريقة البريلوية والطريقة البكطاشية فقد أحرزتا قصب السبق في تأليه علي بن أبي طالب، ومن أدعيتها الرئيسية والأساسية، دعاء السيف: «ناد عليًّا مظهرَ العجائب، تجده عوناً لك في النوائب، كل همٍّ وغمٍّ سينجلي بولايتك يا علي يا علي».

ومن جهة أخرى، أحرزت البكطاشية أيضاً قصبة السبق بإعلان التثليث، فصارت الأقانيم عندهم ثلاثة: صورة الله، محمد، علي.

والبكطاشيون يعترفون بخطاياهم أمام مشايخهم فيغفرونها لهم، ويحللون الخمر، ويعتقدون تناسخ الأرواح[2].

ويقول آية الله الخميني[3]:

. . . وبالمشيئة ظهرَ الوجود، وهي اسم الله الأعظم. . . وهي الحبل المتين بين سماء الإلٰهية والأراضي الخَلْقية، والعروةُ الوثقى المتدليةُ من سماء الواحديّة، والمتحققُ بمقامها الذي أفقُه أفقُها هو السبب المتصل بين السماء، وبه فَتَح الله وبه يختم، وهو الحقيقةُ المحمدية والعلويَّةُ صلوات الله عليه، وخليفةُ الله على أعيان المهيّات، ومقام الواحدية المطلَقَة والإضافةُ الإشراقية[4]. . .

نختم هذه النبذ بالنصوص التالية:

يقول ابن قضيب البان[5] في كتابه «المواقف الإلٰهية»:

موقفُ الحقيقة المحمدية: أوقفني الحقُّ على مرتبة بيان الحقيقة المحمدية، وكشفَ لي عن حقائق الأسماء في مسمّياتها العلوية، ثم قال لي: انظر إلى كل اسم مِن حيث

---

(١) الصلة بين التصوف والتشيع، ص٧٩.

(٢) الفكر الشيعي والنزعة الصوفية، «فصل البكتاشية».

(٣) روح الله الموسوي، من بلدة «خمين» حاكم إيران الحالي.

(٤) شرح دعاء السحر، ص١١٠.

(٥) عبد القادر محمد أبي الفيض السيد الأفضل أبو محمد، يتصل نسبه بقضيب البان الموصلي، ولد بحماة سنة ٩٧١هـ، وتوفي في حلب في حدود سنة ١٠٤٠ هـ.

صورتـه ومعنـاه! فرأيتُ الأسماء الإلٰهية قامت في الأعين الثابتة (أي في المخلوقات)، وقال لي: هي أربـابهـا. وقـال لي ربُّ الأربـاب: الاسم الأعظم وسر الحقيقة المحمدية هو سرُّ قلبك وقطبُ وجودك. ثم كشف لي عن جُملة التجلي الأول ومظاهر التجليات ومَجْمع صُوَر المربوبات... ثم كشفَ لي عن صُوَر العقل الأول (وهذا من اليونانيات)، فإذا هو شيء لا يُكيَّف عند النظر، وكليات الوجود مندرجةٌ تحت إشراقه، ورأيتُه قد قابل شيئاً مثله في الصورة، وقد اشتمل على الجزئيات، فقال لي: هو لوح القضاء، والدرّةُ البيضاء. وقال لي: الحقيقـةُ المحمـديـة هي الـرحمـة التي وسعت كلَّ شيء، وهي أمُّ الكتـاب، وحضرةُ العلم الجامع، وإنسان العين السامع، ومنها كُشف لي عن أسرار النور والوجود والعلم، فقـال لي: كلُّ ذلـك مظاهرُها وكلمتُها الجامعةُ وصحيفتُها الكاملة... ثم كشف لي منها عن نار العشق الأزلي والاتحـاد العيني، وأراني تعلقَـه في الهمم الإنسـانيـة، وقـال لي: هو إنشاء الإرادة، وبه توجّه الحب، وقال لي: هو أصل كل موجود وعدَّتُه، ثم كشف لي عن ينبـوع ذلـك، فإذا هي المـركز والنقطة التي فيْ فؤاد القطب المحمدي... وكشف لي عن سرّ عرش الحقيقة المحمدية، وقال لي: هو القلب الذي هو بيت عزّتي ومخزن سِرّي ومنبع نوري، ومظهـر سعـة علمي وسـريـر سلطـة اسمي. وقـال لي: قالبُهُ الهيكل الذي بنيتُه بيـدي، وهـو مَجْمـع البحـرين، وقـاب قوسـين، وكشف لي فيه عن خزائن الرحمة وتنزُّلِ الآيـات، وكيفيـة حلولهـا من غير ممازجة، وسريانها في الأسماع والأبصار بسرّ التجريد في قوالبها، ورأيت حكْم سريانها في مرآة الخيال، وقيامها في مظاهر النبوة[1].

ويقول مصطفى بن محيي الدين نجا[2]، في شرحه على «الممزوجة بصلاة ابن بشيش»:

«اللهم إنه سرك الجامع لكل الأسرار، ونورك الواسع لجميع الأنوار».

(إنه) أي المصطفى ﷺ.

(سرك) أمرك الخفي الذي لا يحيط به غيرك.

(الجامع لكل الأسرار) أي لجميع حقائق الوجود بحقيقته التي هي مادة كل موجود.

---

(١) الإنسان الكامل في الإسلام، ص١٩٥ و١٩٦ و١٩٧.

(٢) من تلاميذ علي اليشرطي.

(ونورك) أي وإنه مظهرك الأتمُّ الذي نشأ من حضرتك بدون واسطة.

(الواسع لجميع الأنوار) أي المملوء بأنوارك القدسية التي سرتْ بك منه إلى سائر المظاهر الكونية، أو الذي وسع صُوَرَ الكائنات كلها لاندراجها في حقيقته، وانطوائها في عين ماهيته انطواء الأشعة في الضياء؛ والنورُ من أسمائه[1]...

(وأصير بها مجلاه) أي محلاً لظهور كمالاته العلية ومحاسنه السنية، فيكون مَنْ رآني كأنما رآه، لأن الكاملين هم مرايا للكمال المحمدي، وهو مرآة للكمال الإلهي، ولا يكون التكميل لكل كامل إلا من الحضرة المحمدية[2]...

... والحاصل أن الله تبارك وتعالى جعل الحقيقة المحمدية واسطة الإيجاد لمخلوقاته تفضلاً منه وإحساناً، فالأرواح التي لا تشاهد ذلك ولا تدرك أنه ﷺ روحُها وعينُ حياتها كأنها أموات[3]...

(الله منه بدىء الأمر) أي الشأن الكلي الجامع لكل الشؤون، وهو النور المحمدي الشريف، وهو أول صادر عنه سبحانه... ويسمّى بالقلم الأعلى، وبالدرة البيضاء، وبالعقل الأول، وبروح الأرواح، وبالأب الأكبر، وبإنسان عين الوجود، وبالإنسان الكامل، وغير ذلك من الأسماء المشهورة عند العارفين[4].

ـ الرجاء أن يلاحظ القارىء في هذه النصوص: الكذب على الله ورسوله، والشرك الأعظم، واليونانيات (العقل الأول).

والذي يريد استقصاء أقوالهم في الحقيقة المحمدية يستطيع أن يملأ منها مجلدات.

إذن، فالمتصوفة كلهم، من دون استثناء، يؤمنون بالحقيقة المحمدية، وقد وهِمَ الذي خصّوا بذلك جماعةً منهم دون آخرين. لأن الصوفية مذهبٌ واحد.

*** وملخص أقوالهم هو:**

إن الله (سبحانه وتعالى عما يصفون) عندما أراد أن يجعل قسماً من ذاته متعيناً بشكل

---

(1) كشف الأسرار، ص١٠٢ و١٠٣.
(2) كشف الأسرار، ص١١٢.
(3) كشف الأسرار، ص١٢٦.
(4) كشف الأسرار، ص١٣٩.

مخلوقات، كان أول شيء فعله هو أنه قبض قبضة من نور وجهه وقال لها كوني محمداً، فكان محمد هو أول التعينات. وهذه القبضة من النور هي التي يطلقون عليها اسم «الذات المحمدية». ومن هذه الذات المحمدية انبثقت السماوات والأرض، والدنيا والآخرة، التي يسمونها فيما يسمونها «تعيُّنات» فهي كلها تصدر عن الذات المحمدية ثم تعود إليها. وهذا هو ما يسمونه «الحقيقة المحمدية».

وأكرر، إنهم كلهم يؤمنون بالحقيقة المحمدية، وإن أنكر أحدهم ذلك فهو مخادع يستعمل التقية.

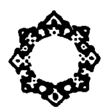
ولننتبه إلى الشبه التام بينهم وبين الهنادكة الذين يقولون: إن الخلائق صدروا من وجه براهمان ومن يديه ومن فخذيه ثم من قدميه (حسب الطبقات الهندوكية).

وأعيد فأكرر، إنهم كلهم يؤمنون بالحقيقة المحمدية، كلهم بدون استثناء، وما مضى براهين.

وبعض الباحثين الذين خصوا بذلك جماعة منهم دون آخرين كانوا واهمين.

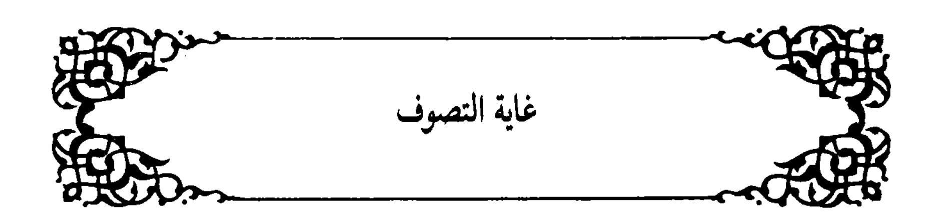
وكثيراً ما يعبرون عنها بعبارة «أسبقية النور المحمدي».

والمولد المكذوب على ابن الجوزي والذي كانت قدسيته متزاملة مع دلائل الخيرات، إن لم تتقدمها في كثير من الأحيان، والذي كان يؤمن بما فيه كل المسلمين، إلا من رحم ربك، هذا المولد المكذوب فيه تفصيل للحقيقة المحمدية يستطيع الرجوع إليه كل من يريد ذلك، فهو متداول وصغير الحجم ومحشو بالشرك بالله والكذب على رسوله، وكذلك مولد البرزنجي.





الفصل الخامس:



غاية التصوف

الزهد عمل ساعة، والورع عمل ساعتين، والمعرفة عمل الأبد.

عبد القادر الجيلاني

في النصوص السابقة، أكثر بكثير من الكفاية، ولكننا أمام مخادعات ومراوغات لا تعرف حدوداً، ولا تعرف منطقاً، ولا تستحيي، وأمام مسلمين غافلين عن واقعهم خدعوا بالكلمات المنمقة.

لذلك، وسدًّا للذرائع، ومنعاً للمراوغات والمخادعات، وإسكاتاً لمقولتهم: «لعل ولعل ولعل..»، نقدم براهين أخرى من أقوالهم، على أن غاية التصوف هي استشعار وحدة الوجود، وأنه لا غاية للتصوف غير هذه الغاية (وسنحاول الاختصار كثيراً):

- والشائع بين أهل الشريعة أن غاية التصوف هي الزهد والتوكل والصبر... إلخ. وقد سَرَت هذه الأغلوطة في الغافلين من أهل الشريعة (أهل الأوراق)، مما يردده عليهم أهل الحقيقة (أهل الأذواق).

لكن لو رجعنا إلى عباراتهم المخصصة لأبناء طائفتهم، وللمريدين الذي قطعوا الشوط المطلوب في السلوك، لرأينا - وبوضوح - أن غاية التصوف هي التحقق بالألوهية، وهو ما يسمونه المعرفة، ولا غاية غيرها.

يقول عبد الحليم محمود وطه عبد الباقي سرور (لجنة نشر الأصول الصوفية):

«طُـرُق التصـوف متعـددة مختلفـة، وبعضهـا أوفق من بعض، وبعضهـا أسرع من غيرها، ولكنها على اختلافها وتعددها، تؤدي إلى هدفٍ واحدٍ وغاية واحدة!»[1].

ـ فما هي هذه الغاية؟

يقول أبو الحسن الشاذلي:

«كنتُ يومـاً جالسـاً بين يديـه «أي بين يديَ ابن مشيش»، وفي حجره ابنٌ له صغير يلاعبه، فخطر ببالي أن أسأله عن اسم الله الأعظم، قال: فقام إليَّ الولدُ ورمى بيده في طَوْقي، وهزّني وقال:

يا أبـا الحسن، أنت أردت أن تسأل الشيـخ عن اسم الله الأعظم. ليس الشأنُ أن تسأل عن اسم الله الأعظم! إنما الشأنُ أن تكونَ أنت هو اسمَ الله الأعظم!!؟

. . . قال: فتبسم الشيخ وقال لي: جاوبك فلانٌ عني . . »[2].

ـ إذن فالشأن أن تكون أنت هو اسم الله الأعظم!!

ـ ورغم وضوح العبارة، فلا بأس من أن نزيدها وضوحاً.

ـ اسم الله الأعظم عند القوم هو «الله».

يقول ابن عطاء الله السكندري:

«إن هذا الاسم . . . أعني «الله» عز ذكره هو اسم الذات العليَّة . . . وهو أعظم الأسماء»[3].

ويقول: «﴿قل الله ثم ذرهم﴾ وهو الاسم الأعظم»[4].

والآن لنبـدل العبـارة «اسم الله الأعظم» بالاسم نفسه «الله»، فتكون الجملة: «إنما الشأن أن تكون أنت هو الله».

ـ هذا حُكمٌ واضح المدلول، يقرره، حسب المرجع الذي أُخذ منه، أربعة أقطاب:

---

(١) التعرف لمذهب أهل التصوف، ص١٣.
(٢) أبو الحسن الشاذلي لعبد الحليم محمود، ص٢٥.
(٣) القصد المجرد، ص١٣.
(٤) القصد المجرد، ص٢٩.

عبد السلام بن مشيش، وأبو الحسن الشاذلي، وابن الصباغ (مؤلف درة الأسرار) وعبد الحليم محمود.

ويقول الغزالي:

. . . ولمثل هذا قالت الصوفية إن العلم حجاب، وأرادوا بالعلم: العقائد التي استمر عليها أكثر الناس بمجرد التقليد، أو بمجرد كلماتٍ جدليةٍ حرّرها المتعصبون وألقوها إليهم، فأما العلم الحقيقي، الذي هو الكشف والمشاهدة بنور البصيرة، فكيف يكون حجاباً وهو منتهى المطلب[1]؟!

ويقول: . . . وفرقةٌ أخرى اشتغلوا بالمجاهدة وتهذيب الأخلاق وتطهير النفس من عيوبها، وصاروا يتعمقون فيها، فاتخذوا البحث عن عيوب النفس ومعرفة خُدَعها علماً وحرفة، فهم في جميع أحوالهم مشغولون بالفحص عن عيوب النفس، واستنباط دقيق الكلام في آفاتها. . .

وفرقة أخرى جاوزوا هذه الرتبة، وابتدؤوا سلوكَ الطريق، وانفتح لهم أبوابُ المعرفة، فكلما تشمموا من مبادىء المعرفة رائحةً تعجبوا منها وفرحوا بها، وأعجبتهم غرابتُها، فتقيَّدَت قلوبهم بالالتفات إليها والتفكر فيها وفي كيفية انفتاح بابها عليهم وانسداده على غيرهم، وكلُّ ذلك غرور، لأن عجائبَ طريق الله ليس لها نهاية، فلو وقفَ مع كل أعجوبة وتقيد بها قَصُرتْ خطاه وحُرِم الوصول إلى المقصد. . .

وفرقة أخرى جاوزوا هؤلاء، ولم يلتفتوا إلى ما يفيض عليهم من الأنوار في الطريق، ولا إلى ما يتيسر لهم من العطايا الجزيلة، ولم يعرجوا على الفرح بها والالتفات إليها، جادين في السير، حتى قاربوا فوصلوا إلى حدّ القُربة من الله، فظنوا أنهم قد وصلوا إلى الله، فوقفوا، وغلطوا. . . سرُّ القلب الذي تتجلى فيه حقيقة الحق كله. . . وتنجلي فيه صورة الكل، وعند ذلك يشرقُ نورُه إشراقاً عظيماً، إذ يظهر فيه الوجودُ كلُّه على ما هو عليه. . . فإذا تجلى نوره، وانكشف جمال القلب بعد إشراق نور الله عليه، ربما التفت

(١) الإحياء: ١ / ٢٥٥، وفي هذا النص إنكار صريح للعقيدة الإسلامية «العقائد التي استمر عليها أكثر الناس لمجرد التقليد..»، وهي جملة تصفع وجوه الذين يسمون الغزالي «حجة الإسلام»، ويُدرسون «إحياء علوم الدين».

صاحب القلب إلى القلب فيرى من جماله الفائق ما يدهشُه، وربما يَسْبِقُ لسانُه في هذه الدهشة، فيقول: «أنا الحق»[1].

ـ الرجاء من القارىء أن ينتبه إلى الجملة الأخيرة.

ويقول الغزالي أيضاً:

. . . فغاية المعاملة المكاشفة، وغاية المكاشفة معرفةُ الله تعالى، ولست أعني به الاعتقاد الذي يتلقفه العاميُّ وراثةً أو تلقفاً، ولا طريقَ تحرير الكلام والمجادلة في تحصين الكلام عن مرواغات الخصوم كما هو غاية المتكلم، بل ذلك نوعُ يقينٍ هو ثمرةُ نورٍ يقذفه الله تعالى في قلب عبدٍ طهَّرَ بالمجاهدة باطنَهُ عن الخبائث. . . فكن حريصاً على معرفة ذلك السرِّ الخارج عن بضاعة الفقهاء والمتكلمين[2].

ـ علينا مع هذا النص، أن نتساءل: ماذا يعني بقوله: «. . . الاعتقاد الذي يتلقفه العامي وراثة أو تلقفاً»؟ (أترك تحليلها للقارىء). والجملة: «. . السر الخارج عن بضاعة الفقهاء» تسهل التحليل وتوضحه. كما يجب أن ننتبه جيداً إلى قوله: «. . عبد طهر بالمجاهدة باطنه عن الخبائث» التي تعني، بوضوح، أن تطهير الباطن عند الغزالي يكون بالمجاهدة، أي: بالرياضة الصوفية، لا بالعبادة! فنسأل: ما هو الكفر؟ (لننتبه أن كلمة «العامي» تعني عندهم: عالم الشريعة).

ويقول: . . . فالقسم الأول علم المكاشفة، وهو علم الباطن، وذلك غاية العلوم. . . فهو عبارةٌ عن نورٍ يظهر في القلب. . . وينكشف من ذلك النور أمورٌ كثيرة كان يَسْمَعُ من قبلُ أسماءها فيتوهم لها معاني مُجْملةً غير متضحة، فتتضح إذ ذاك حتى تحصل المعرفة الحقيقية بذات الله سبحانه وبصفاته الباقيات التامات[3]. . .

ويقول أبو عثمان الهجويري[4]:

---

(١) الإحياء: ٣ / ٣٤٩ و ٣٥٠.

(٢) الإحياء: ١ / ٤٦.

(٣) الإحياء: ١ / ١٨.

(٤) أبو عثمان الجلالي الهجويري الفارسي، من شيوخ الطريقة الحكيمية، مات عام ٤٦٥ أو ٤٦٩هـ.

فاعلم أن أساس التصوف والمعرفة قائم على الولاية، وقد أكد هذه الحقية كل الشيوخ وإن اختلفت عباراتهم في ذلك. وكان محمد بن علي الحكيم هو أوَّل من طبَّق هذا الاصطلاح. وقد ألَّف الشيوخ كتباً في هذا الموضوع ولكنها نادرة... فمن هذا نرى أن الله تعالى اختار له أولياء اختصَّهم بصحبته واختارهم حُكاماً لملكته ومنحهم أنواع الكرامات... وجمع أفكارهم فيه ومعرفتهم به، كانوا فيما مضى، وهم الآن كذلك، وإلى ما شاء الله إلى يوم القيامة[1]...

- هذا النص، يبين لنا غاية التصوف، ويبين إلى جانبها حقيقةً تاريخية، هي أن محمد بن علي الترمذي الحكيم هو أول من أطلق صفة الولاية على الصوفية، وهو غير الترمذي المحدث صاحب السنن، والفرق بينهما كالفرق بين خداع الشيطان وهدى الرحمن.

ويقول أبو حيان التوحيدي:

... لأن غاية المجهود أن يَسْلوَ عن الموجود، ويُغمض عن المشهود، ويقصى عن المعهود، ليجد من يُغْنيه عن هذا كله بعطاءٍ ممدود، ورفد مرفود، وركن موطود، وحد غير محدود[2].

ويقول أبو مدين الغوث:

«مِن أقربِ رحلةٍ تكون للمريد إلى حضرة الحق الخاصة، دوامُ الذكر، فقد أجمعوا على أن من دامت أذكاره صفتْ أسراره، ومن صَفَتْ أسراره كان في حضرة الله قرارُه»[3]...

ويقول أيضاً:

ليس للقلوب إلا وجهة واحدة، متى توجَّه إليها حُجبَ عن غيرها، فإن توجَّه للدنيا حُجب عن الآخرة، وإن توجَّه للآخرة حُجب عن الدنيا، وإن توجه إلى حضرة الله حُجب عن الدارَيْن[4].

---

(١) كتاب الرياضة وأدب النفس، ص٢٢.

(٢) الإشارات الإلهية، رسالة (يا)، ص١١٥.

(٣) الأنوار القدسية: ١ / ١٤٤، (في قواعد الصوفية).

(٤) الأنوار القدسية: ١ / ١٤٢.

ـ إذن، فالآخرة ليست غايتهم!

ويقول الشُّطَيْبي[1] (ومعه ابن عجيبة):

. . . ومن الناس مَن تحجبُه المجاهدة عن المشاهدة، فتسطوعليه الأحوال، فتحول بينه وبين الغاية القصوى[2].

ـ إذن، فالغاية القصوى هي المشاهدة. ونعرف الآن ما معنى «المشاهدة» عندهم.

ويقول، ومعه ابن عجيبة أيضاً:

. . . إن الإنسان إذا جال مع النفس في ميدانها، فجاهدها حتى هذَّبَها وطهرها من الأوصاف الحاجبة لها، رجعت نفسه حينئذ إلى أصلها، وهي الحضرة التي كانت فيها، إذ لم تكن بينها وبين الحضرة إلا الحجب الظَلْمانية، فلما تخلَّصت منها، رجعت إلى أصلها[3]. . . .

ويقول عبد الله اليافعي:

إن الحقيقة هي مشاهدة أسرار الربوبية، ولها طريقة هي عزائم الشريعة، فمن سلك الطريقة وصل إلى الحقيقة[4]. . .

ـ أقول: في كلام الشيخ هنا مغالطة جريئة، فهويجعل الطريقة (الخلوة والجوع والسهر والذكر والشيخ) يجعلها عزائم الشريعة، فنسأله: متى؟ وفي أي موضع عزمت الشريعة هذه العزائم؟

ويُنْسَب لعبد القادر الجيلاني (أتباع الطريقة القادرية يؤمنون أنها له):

قطعتُ جميعَ الحجب لله صاعداً ... فما زلتُ أرقى سائراً في المحبةِ
تجلّى ليَ الساقي وقال إليَّ قم ... فهذا شرابُ الوصل في حان حَضْرَتي
وشاهدتُ معنىً لوبدا كشفُ سرِّه ... بصُمِّ الجبالِ الراسياتِ لدُكَّتِ[5]

(1) لم أقف على ترجمته.
(2) إيقاظ الهمم، ص٣٤٨.
(3) إيقاظ الهمم، ص٣٤٩.
(4) نشر المحاسن الغالية، ص٧٧.
(5) فتوح الغيب، ص٢٣٦.

ـ ما زال يسير حتى وصل إلى الغاية التي بينها، وطبعاً هذا هو عقيدة كل أهل الطريقة القادرية.

ويقول عمر بن الفارض في «نظم السلوك»:

وما زلتُ إياها وإيايَ لم تزل ولا فرقَ بل ذاتي لذاتي أحبت

إلى أن يقول:

فغاية مجذوبي إليها ومُنْتهى مراديَ ما أسلفْتُه قبل توبتي

أي إن غاية مجذوبه هو ما سلف من قوله «فما زلت إياها وإياي لم تزل».

وكان الشيخ داود بن باخلاّ يقول:

«احذر أيها المريد أن يكون قصدُك مِن ذكرك وعبادتك الأجرَ والثوابَ، فإن ذلك حاصل لا محالة، وإنما ينبغي أن تكون همتك في التلذذ بمناجاته..»[1].

وكان يقول:

المريد أوَّلاً يسمع، وثانياً يفهم، وثالثاً يعلم، ورابعاً يشهد، وخامساً يعرف[2].

ويقول ابن خلدون في المقدمة، فصل «علم التصوف»:

... ولا يزال المريد يترقى من مقامٍ إلى مقام إلى أن ينتهي إلى التوحيد والمعرفة التي هي الغاية المطلوبة للسعادة... ثم إن هذه المجاهدة والخلوة والذكر يتبعها غالباً كشفُ حجاب الحسّ والاطلاع على عوالم مِن أَمْرِ الله ليس لصاحب الحسِّ إدراك الشيء منها.

ـ ويقول ابن البنا السرقسطي في «المباحث الأصلية»:

وإنما القوم مسافرون لحضرة الحقّ وظاعنون

* * *

---

(١) الأنوار القدسية: ١ / ١٢٩، (في قواعد الصوفية).

(٢) الأنوار القدسية: ١ / ١٣٠.

فعـنـدمـا مالـت إلـى الـزوال أُدْخـلَ في خلوة الاعـتـزال
وقـيـل قل على الـدوام (الله) واحـذر كطرف العـين أن تنسـاه

* * *

حتـى إذا جاء بطُـور الـقـلب خوطـب إذ ذاك بكـل خطـب
فقـال لو عرفـتـني بكَـوْني قيـل، إذن، فاخْلع نعـال الكـون
ثم فني عن رؤيـة الـعـوالم ولم ير في الـكـون غير الـعـالِمِ
ثُم انـتـهـى لفـلك الحـقـيـقـة فقـيـل هذا غايـة الطـريـقـة
ثم امـتـحـى في غيـبـة الـشـهـود فأَطلقَ الـقـولَ «أنـا معـبـودي»
حتـى إذا رُدَّ عليـه منـه أَثْـبـت فرقـاً حيـث لم يكـنـه

ويقول عبد الوهاب الشعراني:

. . . ومعلومٌ أن مقصود القوم القربُ من حضرة الله الخاصة، ومجالسته فيها من غير حجـاب. وأمـا الثـواب فحُكْمـه حُكْم عَلَف الـدواب، قال تعـالى: «أنـا جليس من ذكرني». . . والمراد بالمجالسة انكشاف الحجب للعبد[1]. . .

ـ لننتبـه إلى قولـه: «وأمـا الثـواب فحكمـه حكم علف الدواب»!! ولنسأل: ما هو سبب فساد الأمة؟

ويقول ابن عجيبة:

. . . والأعمال عند أهل الفن ثلاثة أقسام: عمل الشريعة، وعمل الطريقة، وعمل الحقيقـة. . . أوتقـول: عمـل أهـل البـداية، وعمل أهل الوسط، وعمل أهل النهاية. فالشـريعـة أن تعبـده، والطـريقـة أن تقصُـده، والحقيقـة أن تشهـده. . . فإذا تطهَّر مِن أوصاف البشرية تجلّى بأوصاف الربوبية[2]. . .

ويقول أيضاً:

. . . وأمـا موضـوعـه (أي التصـوف) فهـو الـذات العلية، لأنه يبحث عنها باعتبار

---

(١) الأنوار القدسية: ١ / ٣٤.

(٢) إيقاظ الهمم، ص١٠.

معرفتها، إما بالبرهان، وإما بالشهود والعيان[1].

ويقول ابن عربي:

سَجَدَ الملائكة الكرام لديهم دون اعتقادِ وجودِ ربٍّ ثان

* * *

للذات كان مسيرهم فحباهُمُ بشهودها عيناً بلا أكوان
وصلوا إليه وعاينوا ما عاينوا من غيب سرِّ السرِّ كالإعلان[2]

ويقول علي نور الدين اليشرطي:

يصل الفقير إلى مقامٍ يقول فيه للشيء كن فيكون... والبعضُ عند الخاطر[1].

ـ أي يحصل الشيء عندما يمر بخاطر الفقير فقط، دون أن يتعب لسانه بقول «كن». وطبعاً يحصل له هذا بالكشف لا بالواقع.

ويقول: ما زال العبد يذكر الله حتى يستولي عليه الاسم، ومتى استولى عليه الاسم انطوت العبدية بالربية، وظهرتْ عليه صفاتُ الرب، ولذَّةُ الرب تُغيّب العبد عن وجوده حسًّا ومعنى[4].

ـ أقول: كل من رأينا، ومن قرأنا له، ممن انطوت فيهم العبدية بالربية وظهرت عليهم صفات الرب، كلهم إما بلهاء، أوتنقصهم المقدرة على التفكير السليم، فهل هذه هي صفات الرب؟!

ويقول محمود أبو الفيض المنوفي:

... إن الوجود وحدةٌ، ظاهِرُها الكائنات المتعددة، وباطنها الحقائق المتوحدة المقوِّمةُ للكل... ولذا نرى أن أخصّ خصائص الكون، النزوعُ للترقي: فباطنه ينزع

---

(١) إيقاظ الهمم، ص٥.
(٢) كتاب الإسرا، فصل «مناجاة قاب قوسين»، ص٢٢.
(٣) نفحات الحق، ص٩٩.
(٤) نفحات الحق، ص١١٠.

طالباً للظهور، وظواهره تتحول طلباً للاستبطان والخفاء. فالكائنات كلها تمثِّل على التحقيق دائرةً واحدة، مركزها فعال في محيطها، ومحيطها آيل إلى مركزها. تلك الحقيقة العليا هي غرض الدين، وأمنية الفلسفة، وموضع دهشة العلم، وهي نفسها غايةُ الإنسان الكامل من الوجود، وهي هي بالذات موضوع بحث التصوف الحق[1].

- نسأل هذا العارف: ما هو دليله من الكتاب والسنة على أن وحدة الوجود هي غرض الدين؟؟ ولنتذكر أن مركزها الفعال في محيطها هو محمد ﷺ.

ومر معنا قول حسن رضوان:

وحَسْبُه مِن ذلك المقصود   إشراق نور وحدة الوجود

ويقول أحمد الصاوي (المالكي الخلوتي):

. . . وأما الحقيقة فهي ثمرة الطريقة، مِنْ فَهْم حقائق الأشياء، كشهود الأسماء والصفات وشهود الذات[2]. . .

ومن الأوراد الخلوتية التي مرت في فصل سابق:

وجُدْ لي بجمع الجمع فضلاً ومنّةً   وداوِ بوصل الوصل روحي من الضنا

* * *

ومُنَّ علينا يا ودود بجذبةٍ   بها نلحق الأقوامَ مَنْ كان قبلنا

ويقول محمد بن سليمان البغدادي النقشبندي:

. . . تحقَّقَ بالتجربة والعيان لدى أساطين العلم والكشف والشهود والعرفان، مِنْ أنَّ الطريقة النقشبندية أقربُ وأسهلُ على المريد للوصول إلى درجات التوحيد، لأن مبناها على التصرف وآلقاء الجذبة المقدمة على السلوك[3]. . .

---

(1) معالم الطريق إلى الله، ص١١٦.

(2) الأسرار الربانية والفيوضات الرحمانية، ص٦٩.

(3) الحديقة الندية، ص١٢. وكلمة آلقاء لم أجدها فيما بين يدي من معاجم، ولعلها تصحيف من ألَقات، بمعنى لمعات.

ـ هذه هي غاية التصوف، إنها التحقق بالذات والصفات، إنها وحدة الوجود، التي تشرق بالغيبة عن الحس الطبيعي (الجذبة).

ولو أردنا استقصاء أقوال القوم في غاية التصوف وهدفه، الذي هو الوصول ومعرفة وحدة الوجود، لاحتجنا إلى مئات الصفحات، وقد نحتاج إلى ألوفها. ولكن في هذا القدر كفاية، بالإضافة لما نراه في فصلي «المدخل إلى فهم النصوص الصوفية» و«وحدة الوجود»، بل وفي شتى فصول الكتاب.

وهذا يعني، أننا عندما نسمع أحد الأولياء الأوفياء الأتقياء الأنقياء الصادقين الصديقين المقربين العالمين العارفين المحققين الأغواث الأقطاب الأشراف الأسياد الأشياخ الصالحين الخاشعين المتعبدين الذاكرين المتضرعين المحبين المحبوبين المطمئنين الموقنين الواصلين الموصولين المكاشفين المشاهدين الطاهرين المطهرين المحظيين الموحدين المؤمنين المستنيرين الراضين المرضيين الزاهدين المتوكلين العاشقين المعتصمين المتقين الدَّالين على الله الداعين إليه الذين يُمسون في حضرة الحق ويصبحون، المتحكمين في الكون، القائلين للشيء كن فيكون المتحققين بأسماء الله الحسنى حتى الاسم الأعظم «الله» ذوي الأسرار العجيبة والعلوم الجليلة... إلى آخر هذه الأوصاف التي يصفون بها أنفسهم والتي تجاوزت كل حدود رسمتها الشرائع، حتى الوثنية، وتجاوزت كل حدود الذوق والمنطق والعقل والحياء والخجل والأخلاق والضمير، بل وتجاوزت حدود الهزء بالإنسان وعقله وقلبه ونفسه وسره وسمعه وبصره، بل وتجاوزت حدود السخرية بوجود الإنسان ووجود الدين الإسلامي، والوحي الذي نزل بالدين الإسلامي.

أقول: عندما نسمع أحد هؤلاء الموصوفين بهذه الصفات يقول: إن غاية التصوف هي الزهد والعبادة والاستقامة... فيجب أن نعلم أنه يستعمل التقية، وما أدراك ما التقية، ثم ما أدراك ما التقية، ثم ما أدراك ما التقية؟!

ولنتذكر حكمة الغزالي:

إذا كان قد صحَّ الخلاف فواجب   على كل ذي عقل لزوم التقية

وقبل الانتقال إلى الفصل التالي أنبه إلى أن هذه الأوصاف التي أوردتها هي جزء مما يصفون به أنفسهم وكلها من كتبهم وأقوالهم وأشعارهم وحكمهم.

وجـوابـاً عليهـا نذكـرهم ونـذكـر من يغتر بهم وبأقوالهم بقوله سبحانه: ﴿ألم تَرَ إلى الـذين يُزكُّـون أنفسهم بل الله يزكي من يشـاء ولا يُظلمون فَتيلاً انظُر كيف يفترون على الله الكذب وكفى به إثماً مبيناً﴾، وقوله: ﴿فلا تزكوا أنفسكم هو أعلمُ بمَن اتَّقى﴾.

والآن، أرجو من القارىء أن يتسلى بتحليل بيتٍ وَرَدَ سابقاً مأخوذاً عن مجدد الألف الثاني، وهو:

إن كنـتَ لم تقطـعْ بـ «لا» عنـقَ السـوى في قصـر «إلا الله» لسـتَ بواصـل[1]

ولتسهيل التحليل: «لا» و«إلا الله» مأخوذتان من «لا إله إلا الله» و«قَصْر» من قَصَر يقصر.

وفي هذا البيت ثلاث فوائد:

١ ـ أسلوب من أساليب العبارة الصوفية الملغزة المشيرة إلى وحدة الوجود.

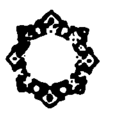
٢ ـ كيف يفسرون «لا إله إلا الله».

٣ ـ من هو الواصل في اصطلاحاتهم، وبالتالي ما هي غاية التصوف.

وأخيراً.. وحدة الوجود هي الصوفية، وهي الصوفية الحقة، وهي غاية التصوف، ولا غاية للتصوف غيرها، وواهم من ظن أو يظن خلاف ذلك، واهمٌ واهم.

يقـول عبـد القـادر الجيـلاني: «الزهد عمل ساعة، والورع عمل ساعتين، والمعرفة عمل الأبد»[2].

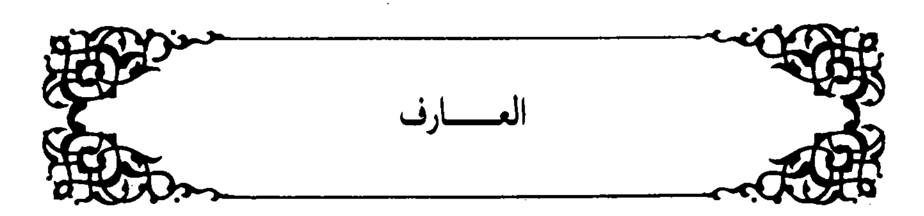
وهذا كلام واضح صريح أن الزهد والورع ليسا من الغاية في شيء وأن المعرفة هي الغاية ولا غاية غيرها! فما هي المعرفة؟ ومن هو العارف؟



(١) المنتخبات من المكتوبات، ص١٧.

(٢) فتوح الغيب، ص١٧١.

الفصل السادس:



العـــارف

كلنا نسمع بالعارف بالله فلان، ونقرأ في الكتب عن العارف بالله علّان، كما نرى مكتوباً على أبواب بيوت الأوثان المنتشرة في بلاد المسلمين طولاً وعرضاً: «هذا مقام العارف بالله . . .».

وليس لهذه العبارة «العارف بالله» مدلول واضح في أذهان كثيرين! وإنما تبعث في النفوس صوراً شاحبة لنوع ما من التزكية على الله تزكية عريضة وغامضة مبهمة، هذا هو الشعور الذي تبعثه هذه العبارة في الأكثرية من الناس الذين يعطونها تفاسير انطباعية غير موضوعية، تتناسب مع هوى المفسر ونفسيته ومستواه العلمي.

فما هو معنى هذا المصطلح؟ وماذا يريدون به وله وفيه ومنه وعليه وإليه وعنه؟

الجواب، بكل بساطة، العارف بالله هو من عرف أن الله هو الكون!! وأن كل ما نرى ونسمع ونحس، بما في ذلك أنا وأنت وهو وهي وهم وهن ونحن وأنتم وأنتن - ونسيت أن أذكر «أنتما» - وبما في ذلك الحيوانات والحشرات والنباتات والجمادات، والأرض والشمس والقمر والنجوم والكواكب. . . كل هؤلاء هم أجزاء من الله! مع العلم أن بعض القوم لا يجيزون أن يقال: «أجزاء من الله» لأن الله كل لا يتجزأ، إنه وحدة غير قابلة للتعدد ولا للتجزؤ، ﴿سبحان الله عما يصفون﴾، فالعارف، وبكل بساطة، هو من توصل إلى معرفة وحدة الوجود بالذوق والمشاهدة. قال الجنيد: المعرفة وُجودُ جهلك عند قيام علمه. قيل له: زدنا، قال: هو العارف وهو المعروف[1].

---

(١) التعرف، ص٦٦.

وسئل الجنيد أيضاً عن العارف، فقال: لون الماء لون الإناء[1].

وسئل الحسين بن علي بن يزدانيار: متى يكون العارف بمشهد الحق؟

قال: إذا بدا الشاهد وفنِيَ الشواهد، وذهب الحواسّ، واضمحلّ الإحساس[2].

معنى: «بدا الشاهد»: يعني شاهِد الحق. و«فناء الشواهد»: بسقوط رؤية الخلق عنك. و«ذهاب الحواس»: هو معنى قوله: «فبي ينطق وبي يبصر»[3].

وسئل ذو النون عن نهاية العارف فقال: إذا كان كما كان حيث كان قبل أن يكون[4].

وسئل الشبلي: متى يكون العارف بمشهدٍ من الحق؟

قال: إذا بدا الشاهد، وفنيت الشواهد، وذهبت الحواس، واضمحل الإحساس بالسوى، ولم يبق إلا شعور الذات بالذات[5].

ويقول الشبلي كذلك: المعرفة أولها الله وآخرها ما لا نهاية له[6].

وسئل أبو يزيد البسطامي عن صفة العارف؟ فقال: إن لون الماء من لون إنائه[7].

- يلاحظ أن قول ابن يزدانيار هو نفس قول الشبلي إلا قليلاً، وقول الشبلي أكمل منه وأوضح. كما أن قول البسطامي هو نفس قول الجنيد؛ ولا غرو! فمن البدهي أن يأخذوا عن بعضهم الأقوال والأفعال. وأظن أن معاني أقوالهم صارت الآن مفهومة تماماً للقارىء.

ويقول الغزالي:

«... فمَنْ عرفَ الحقَّ رآه في كل شيء، إذ كل شيء فهو منه وإليه وبه وله، فهو الكل على التحقيق..»[8]. (ثم يلوك الغزالي بعد هذا الكلام كلاماً يقصد به التمويه

---

(1) التعرف، ص١٣٨.
(2) التعرف، ص١٣٦.
(3) من شرح الكلاباذي في التعرف، ص١٣٦.
(4) التعرف، ص١٣٧.
(5) معالم الطريق إلى الله، ص١١٣.
(6) طبقات الشعراني: ١ / ١٠٤.
(7) معالم الطريق إلى الله، ص١١٣.
(8) الإحياء: ١ / ٢٥٤.

على غير أهل الحقيقة).

ويقول: . . . العارفون بعد العروج إلى سماء الحقيقة، اتفقوا على أنهم لم يروا في الوجود إلا الواحد الحق، ولكن منهم من كان له هذه الحالة عِرفاناً علميًّا، ومنهم من صار له ذوقاً وحالاً، وانتفتْ منهم الكثرةُ بالكلية، واستغرقوا بالفردانية المحضة، فلم يبْقَ عندهم إلا الله، فسكروا سكراً وقع دونه سلطانُ عقولهم! فقال بعضهم: «أنا الحق»، وقال الآخر: «سبحاني ما أعظم شاني»، وقال الآخر: «ما في الجبة إلا الله»[1].

ويقول: . . . مِن هنا ترقَّى العارفون من حضيض المجاز إلى يفاع الحقيقة، واستكملوا معراجهم، فرأوا بالمشاهدة العيانية أن ليس في الوجود إلا الله تعالى[2]. . .

ويقول: . . . قال العارفون: ليس خوفُنا من نار جهنم، ولا رجاؤنا للحور العين، وإنما مطالبنا اللقاء، ومَهْرَبُنا من الحجاب فقط[3]. . .

- بتأمل النص الأخير، نلاحظ أن الغزالي يريد أن يقول: «. . . ولا رجاؤنا للجنة»، لكنها كانت ستكون شديدة الوقع على سمع المسلم وعلى عقيدته «فشلبنها» لتكون أخف وقعاً وقال: «ولا رجاؤنا للحور العين» والمعنى واحد طبعاً.

ويقول ابن عربي (الشيخ الأكبر):

. . . فإن العارف مَنْ يرى الحق في كل شيء، بل يراه عَيْنَ كلِّ شيء[4]. . .

. . والعارف المكمَّل من رأى كلَّ معبودٍ مجلى للحق يُعْبَدُ فيه، ولذلك سمَّوه كلهم إلٰهاً مع اسمه الخاص بحجر أو شجر أو حيوان أو إنسان أو كوكب أو فلك[5].

. . . فمَنْ رأى الحق فيه بعينه (أي بعين الحق) فذلك العارف، ومَنْ رأى الحق منه فيه بعين نفسه فذلك غير العارف، ومن لم ير الحق منه ولا فيه وانتظر أن يراه بعين نفسه

---

(١) مشكاة الأنوار، ص١٢٢.

(٢) مشكاة الأنوار، ص٥٥.

(٣) الإحياء. ٤ / ٢٢.

(٤) الفصوص، «فص حكمة إمامية في كلمة هارونية»، ص١٩٢.

(٥) نفسه ونفس الفص، ص١٩٥.

فذلك الجاهل[1]. . . . (أرجو التمعن جيداً).

ويقول شهاب الدين السهروردي البغدادي:

. . . فلما صحَّ تعرفُه صحَّ تصرفه، وهذا أعز في الأحوال من الكبريت الأحمر[2]. . .

ويقول عبد الكريم القشيري:

. . . وعند هؤلاء القوم، المعرفة صفةُ مَنْ عَرف الحق سبحانه بأسمائه وصفاته. . . ثم تنقَّى عن أخلاقه الرديئة وآفاته، ثم طال بالباب وقوفه، ودام بالقلب اعتكافه، فحظي من الله تعالى بجميل إقباله. . . وانقطع عن هواجس نفسه، ولم يُصْغِ بقلبه إلى خاطرٍ يدعوه إلى غيره، فإذا صار من الخلق أجنبيًّا، ومِن آفات نفسه بريًّا. . . وصار محدَّثاً مِن قِبَل الحق سبحانه بتعريف أسراره فيما يجريه مِن تصاريف أقداره، يسمّى عند ذلك عارفاً وتسمى حالته معرفة[3].

ومما أورده اليافعي للقشيري:

. . . لا يُسمّى العبد في هذه الطريقة عارفاً حتى يحصل بينه وبين الله تعالى أحوالٌ زائدة على العلم، مِن فنون الكشوفات وصنوف التعريفات. . والعارف يبدو في قلبه، في ابتداء التعريف، لوائح ثم لوامع ثم كشوفات وبصائر وطوالع[4]. . .

ـ أقول: القشيري هنا حذر يستعمل الرمز، لكن عن مدى غير بعيد.

ويورد القشيري أيضاً في الرسالة:

قال ذو النون المصري: مُعاشرة العارف كمعاشرة الله تعالى! يحتملك ويحلم عنك تخلقاً بأخلاق الله عز وجل[5]. . .

---

(١) الفصوص، «فص حكمة أحدية في كلمة هودية»، ص١١٣.
(٢) عوارف المعارف في هامش الإحياء: ٢ / ١٥٠.
(٣) الرسالة القشيرية، ص١٤١.
(٤) نشر المحاسن الغالية، ص٦٩.
(٥) الرسالة القشيرية، ص١٤٢.

ومما يورده :

. . . قال الحسين بن منصور (أي الحلاج) : إذا بلغ العبد إلى مقام المعرفة أوحى الله تعالى إليه بخواطره وحرس سره أن يسنح فيه غير خاطر الحق[1].

ويقول ابن عطاء الله السكندري :

. . . والمعرفة رؤيةٌ لا علم، وعينٌ لا خبر، ومشاهدةٌ لا وصف، وكشفٌ لا حجاب، ما هُمْ هُمْ، ولا هُمْ بإياهم، كما قال تعالى : «إن هو إلا عبد أنعمنا عليه. فإذا أحببته كنت له سمعاً وبصراً ويداً ومؤيداً»[2]. . .

- يظهر من القراءة الساذجة لهذا النص أن فيه تنافراً بين جُمَله! لكن هذا يزول إذا تذكرنا أنهم يعنون بعبارة : «أنعمنا عليه»، أي : بالولاية والقرب. وعبارة : «كنت له سمعاً وبصراً»، أي : جعلته يستشعر ويتحقق أنه أنا. وأن «هو» من الأسماء الحسنى.

ويقول أيضاً :

إنَّ ما سوى الله تعالى عند أهل المعرفة، لا يوصف بوجود ولا فَقْد، إذ لا يوجد معه غيره، لثبوت أحديته، ولا فقد لغيره لأنه لا يُفْقَدُ إلا ما وُجد، ولو انهتك حجاب الوهم، لوقع العيانُ على فَقْدِ الأعيان، ولأشرق نور الإيقان فغطى وجود الأكوان[3]. . . .

ويقول لسان الدين بن الخطيب :

ومحصول السعادة عندهم أن ينكشف الغطاء، وتظهر للعارف إنِّيَّةُ الحق، وأنه عينُ إنية كل شيء، ويعقِلُ إنية ذاته وما هي عليه، ومن عرف نفسه عرف ربه[4]. . .

- كلمة «إنِّيَّة» منحوتة من قول القائل : إني إني . .

ويقول ابن خلدون :

. . . ولا يزال المريد يترقى مِنْ مقام إلى مقام، إلى أن ينتهي إلى التوحيد والمعرفة،

---

(1) الرسالة القشيرية، ص١٤٢.

(2) القصد المجرد، ص٨٦.

(3) كشف الأسرار لتنوير الأفكار، ص١٣٩.

(4) روضة التعريف بالحب الشريف، ص٦١١.

التي هي الغاية المطلوبة للسعادة[1].

وقال داود الكبير بن ماخلاّ (أو باخلاّ):

... ما لاح كوكبُ كونٍ إلا عند غيبة شمس المعرفة، ومتى طلعت شمس المعرفة مِن مشارقِ التوحيد أَفَلَت كواكب الآثار وغابت نجوم الأغيار[2]...

«... أولاً تسمع، ثانياً تفهم، ثالثاً تعلم، رابعاً تشهد، خامساً تعرف..»[3].

ويقول ابن عجيبة:

... وأمـا العـارفـون فقـد ظَفِـروا بنفـوسهم ووصلوا إلى شهـود معبـودهم، فهم يستأنسـون بكـل شيء، لمعـرفتهم في كل شيء، يأخـذون النصيب من كل شيء، ويفهمون عن الله في كل شيء، فإذا مُدِحوا انبسطوا بالله، لشهودهم المدح من الله وإلى الله، ولا شيء في الكون سواه[4].

... فإذا تطهَّر من الأغيار مُلىء بالمعارف والأسرار، فالمعارف هي العلوم، والأسرار هي الأذواق، فمَنْ رآهـا وذاقهـا يقـال له عارف، ومن لم يصـل لهذا المقـام وكان من أهل الدليل يقال له عالم[5]...

... وحقيقـة العـارف هو الـذي فني عن نفسه وبقي بربه، وكَمُل غناه في قلبه؛ لا يحجبه جَمْعُهُ عن فَرْقِه ولا فرقُه عن جَمْعه؛ يُعطي كل ذي حق حقَّه، ويوفي كل ذي قسط قسطَه[6]...

ويقول عبد العزيز الدبَّاغ[7] «قطب الواصلين»:

---

(١) مقدمة ابن خلدون، «علم التصوف».

(٢) طبقات الشعراني: ١ / ١٩١.

(٣) طبقات الشعراني: ١ / ١٩٤.

(٤) إيقاظ الهمم، ص٢١٥.

(٥) الفتوحات الإلٰهية، ص٤١٢.

(٦) الفتوحات الإلٰهية، ص٤١٣.

(٧) الشيخ عبد العزيز بن مسعود بن أحمد الدباغ، مغربي من فاس، ولد سنة ١٠٩٥هـ، وتوفي سنة ١١٣٢هـ.

. . . إن الله تعالى لا يُحب عبداً حتى يُعرِّفه به، وبالمعرفة يطَّلع على أسراره تعالى، فيقع له الجذب إلى الله تعالى[1].

ويقول مصطفى العروسي:

. . . العارف، وهو مَن أَشْهده الله تعالى ذاتَه وصفاتِه وأَفعالَه، إذ المعرفة حالةٌ تَحْدُثُ عن شُهود، والعالم من أطلعه الله على ذلك لا عن شهود، بل عن يقين مستنِدٍ إلى دليل وبرهان، والعلماء بهذا المعنى هم العامة في اصطلاح الصوفية[2]. . .

ويقول محمود أبو الفيض المنوفي:

وحاصل المعرفة: أن الله هو النبع السامي لكل شيء، وليس شيء من الأشياء جميعها هو الله[3].

- يقول: «وليس شيء من الأشياء جميعها هو الله» لأن الله في عقيدتهم هو جميع الأشياء لا شيء واحد منها فقط. وهو يستعمل هنا لفظ الجلالة «الله» بمعناه الكلي. بينما ذاك الذي قال: «أنا الله» استعمل لفظ الجلالة «الله» من باب إطلاق اسم الكل على الجزء. تعالى الله عما يقولون علوًّا كبيراً، وسبحان الله عما يصفون، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

ولو أراد باحث أن يجمع أقوالهم في العارف ومعنى المعرفة لاحتاج إلى مئات الصفحات. وفي القدْر الذي مر كفاية لسد الطرق أمام مراوغاتهم التي تخلو من الحياء والمنطق والعقل السليم، بل وتخلو من الخوف من الله!

وزيادة في التوضيح، نذكر نصًّا لابن عطاء الله في حِكَمِه (بل نقمه) مع شرح عليه لابن عجيبة، يقول ابن عطاء الله:

« . . . إن كانت عينُ القلب تنظرُ أن الله واحدٌ في منَّته، فالشريعة تقتضي أن لا بد من شكر خليقته. وأن الناس في ذلك على أقسام ثلاثة:

(1) الإبريز، ص٢١٧.
(2) حاشية العروسي: ١ / ٨.
(3) معالم الطريق إلى الله، ص١١٥.

غافلٌ منهمك في غفلته، قويتْ دائرة حسه، وانطمست حضرة قدسه، فنظر الإحسان من المخلوقين، ولم يشهده من رب العالمين، أما اعتقاداً فشرك جلي، وأما استناداً فشرك خفي.

وصاحبُ حقيقةٍ غاب عن الخلق بشهود الملِكِ الحق، وفَنِيَ عن الأسباب بشهود مسبِّبِ الأسباب، فهذا عبدٌ مواجَهٌ بالحقيقة، ظاهرٌ عليه سناها، سالكٌ للطريقة، قد استولى على مداها، غير أنه غريقُ الأنوار، مطموسُ الآثار، قد غلب سُكْرُه على صَحوه، وجَمْعُه على فَرْقه، وفناؤه على بقائه، وغيبته على حضوره.

وأكْمَلُ منه عَبْدٌ شَرِبَ فازداد صحواً، وغاب فازداد حضوراً، فلا جمعه يحجبه عن فرقه، ولا فرقه يحجبه عن جمعه، ولا فناؤه يصدُّه عن بقائه، ولا بقاؤه يصدُّه عن فنائه، يُعطي كلَّ ذي قسطٍ قسطَه، ويُوفي كلَّ ذي حق حقه[1].

ومن شرح ابن عجيبة لهذه الحِكَم الضلالية:

... عينُ القلب هي البصيرة، ومِنْ شأنها أن لا ترى إلا المعاني دون المحسوسات، كما أن البصر لا يرى إلا المحسوسات دون المعاني، والحُكْمُ للغالب منهما، فمَنْ غلب بصرُه على بصيرته لا يرى إلا الحس، وهو الغافل؛ ومن غلبتْ بصيرته على بصره لا يرى إلا المعاني، وهي معاني التوحيد وأسرار التفريد؛ فالبصيرة لا ترى إلا نور الحق دون ظُلْمة الخلق، لكن لا بدَّ من إثبات الحكمة، وقد تقدم قوله: «الأكوان ثابتة بإثباته، ممحُوَّةٌ بأحدية ذاته»، فلا بدَّ من إثباتها قياماً بالحكمة ونَفْيِها قياماً بالوحدة... (وأن الناس في ذلك على أقسام ثلاثة)، إما واقف مع الحس ناظر للأسباب، أو غائب عن الحس وعن رؤية الأسباب، أو جامع بينهما؛ أو تقول: إما عامة أو خاصة أو خاصة الخاصة... الحقيقة هي شهودُ نور الحق في مظاهِرِ الخلْقِ، أو شهود نور الربوبية في قوالب العبودية، فصاحب الحقيقة هو الذي يغيب عن الخلق بشهود نور الملِكِ الحق، ويفنى عن الأسباب بشهود مسبب الأسباب، فإن كان مع مراعاة الحكمة فهو كامل، وإن كان من غير مراعاة الحكمة، فإن كان غائباً مصطلماً، فهو معذور... (ظاهر عليه

---

(١) إيقاظ الهمم، ص٣٨٥ وما بعدها، والكتاب شروح وتعليقات لابن عجيبة على الحكم العطائية.

سنـاهـا)، أي: نورهـا، فلما دَهَتْه الأنوار سكر وأنكر الحكمة؛ فهو باعتبار ما قبله، كامل لاستغـراقـه في بحـر الـوحـدة، وهـو معـذور في نفيـه الحكمة لِغَلَبة وجده وظهور سكره، وباعتبار ما بعده ناقصٌ لقصور نفعه على نفسه[1]. . .

- بينٌ هنـا حالـة الفنـاء، بأنها تعتبر كمالاً بالنسبة لما قبلها الذي هو حالة الفرق (أي التفـريق بين الخـالق والمخلوق)، وهي نقص بالنسبة لما بعدها، وهو الحال الذي يسمونه الفرق الثاني: أي الاعتقاد بالوحدة وبالحكمة، والحكمة عندهم هي وجود التعينات التي يجب أن نسميها «خَلْقاً» أو «عبودية» مراعاة للحكمة!

- وواضح أن هذا الكلام هو اتهامٌ لله سبحانه ولشريعته بالكذب والمتاقاة.

ويقولَ ابن عجيبة متمماً كلامه:

. . . فمِنَ النـاس من يكـون صدره ضيقاً فلا يحتمل تلك الأنوار ولا يُطيق مشاهدة تلك الأسـرار، فيغيب في شهـود الـوحـدة، وينكر الحِكْمة، ومِن الناس من يكون واسع الصـدر قوي النـور، فإذا أشـرقت عليـه أنوار الحقيقة لم تغلبه عن القيام بالحكمة، وصار برزخـاً بين حقيقـةٍ وشـريعة، هكذا يكون سيره بين فناءٍ وبقاءٍ حتى يتمكن فيهما ويعتدل أمره بينهما، وهذه حالة الأقوياء. . .»[2].

- إذن فالكامل هو بين فناء «أي في الوحدة»، وبين بقاء «أي يحس بالحكمة»، وهي أن في الوجود تعينات يجب أن يقول إنها خَلْق، ويجب أن يرى نفسه ويراها عباداً لله، لتتم الحكمة. فهو غارق في الوحدة ومتظاهر بالفرق. وهذا هو العارف.

- حتى يقول:

«. . . الجمـع رؤ يـة الحق بلا خَلْق، والفـرق رؤ يـة الخلق بلا حق، فإن كان بعد الجمـع فهـو رؤ يـة الخلق والحق، والحـاصل أن أهل الجمع لا يشهدون إلا الحق، وأهل الفـرق لا يشهـدون إلا الخلق، ويستـدلون على الحق، وأهل الفرق في الجمع يشهدون الخلق والحق، أعني يشهدون الواسطة والموسوط من غير فرق بينهما[3]. . .

---

(1) إيقاظ الهمم، ص٣٨٥ - ٣٨٧.
(2) إيقاظ الهمم، ص٣٨٨.
(3) إيقاظ الهمم، ص٣٨٨.

ـ في هذا النص شرح لمصطلحات «الجمع، والفرق، والفرق في الجمع».

«فالجمع» هو رؤية الحق بلا خلق، وأهله هم الذين يقولون: «أنا الله، وسبحاني . . .».

«والفرق» هو رؤية الخلق بلا حق، أي أنهم ليسوا هم الحق، وهؤلاء هم المحجوبون.

«وأهل الفرق في الجمع» هم الذين يعرفون أنهم هم الله، وأن الكون هو الله، وأن الواسطة هي نفس الموسوط لا فرق بينهما، ولكنهم مع ذلك يعترفون بالعبودية، ويقولون: إنهم خلق وعبيد، وهؤلاء هم العارفون.

ومثله قول سعيد حوى:

«نحنُ نعلم أن هناك حالات للسالك يحسُّ فيها بأحدية الذات الإلهية، ويستشعر فيها اسم الله الصمد، وهي حالةٌ يستشعر فيها السالك فناء كل شيء، ولكن هذا الشعور لا بدَّ أن يرافقه الاعتقاد بأن الله خالق، وأن هناك مخلوقاً، وأن الخالق غير المخلوق[1].

ـ هذا قول واضح في تعريف الصوفي الكامل، الذي يسمونه العارف، ويسمونه أسماء كثيرة، منها: الولي والصدِّيق والمقرَّب . . . وغيرها وغيرها مما مر معنا، ومما لم يمر، وعلى رأسها «الإنسان الكامل» أي الواصل إلى مقام الفرق الثاني.

ويجب أن نلاحظ الاستدراك الذي يستدركه على توضيحه للحقيقة التي عبرَّ عنها بقوله: «يحس أحدية الذات، يستشعر اسم الله الصمد، يستشعر فناء كل شيء»، ثم استدرك ليلتزم بالقاعدة التي يتواصون بها، فقال: «ولكن . . . يجب أن يرافقه الاعتقاد بأن الله خالق وأن هناك مخلوقاً، وأن الخالق غير المخلوق»، هذا الاستدراك صريح (بشيء من التأمل) في أن تلك الحالات التي يحسُّ بها أحدية الذات الإلهية ينْعَدمُ فيها فكرة الخالق والمخلوق، فالكل واحد، وهذا ما يعبرون عنه بأحدية الذات، واستشعار

(١) تربيتنا الروحية، ص٧٩. والكتاب هو اقتباسات وتفريعات وزيادات على كتابي ابن عجيبة «إيقاظ الهمم والفتوحات الإلهية».

اسم الله الصمد، وفناء كل شيء (وقد مرت كل هذه التعابير)؛ كما أن هذا الاستدراك ما هو إلا التزام بالقاعدة القائلة «اجعل الفرق في لسانك موجوداً والجمع في جنانك مشهوداً»، مع تطوير لها.

إذ معنى قوله هنا هو: إن وحدة الوجود هي واقع الوجود، وإن الواصل يحس بها ويذوقها ويستشعرها وبالتالي سيعتقد بها، لكن يجب عليه أن يعتقد بالنقيضين معاً! يجب عليه أن يعتقد أن الخالق هو المخلوق، وأن يعتقد معها أن الخالق غير المخلوق! انظر إليه يقول: «.. ولكن هذا الشعور لا بد أن يرافقه...»!

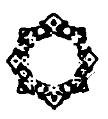
الشعور بماذا؟ بأحدية الذات الإلهية، باستشعار الصمدانية، باستشعار فناء كل شيء، أي باستشعار وحدة الوجود.

وبدهي أن الإنسان إذا استشعر شيئاً وذاقه وأحس به فسيعتقد به اعتقاداً جازماً.

ومع ذلك، فالشيخ يطلب من السالك أن يعتقد مع هذا الاعتقاد (أن يرافقه) نقيضُه، أي أن يعتقد النقيضين معاً! وهذا منطق جديد وتطوير جريء للعقيدة الصوفية وعبارتها.

*** النتيجة:**

من كل ما تقدم، ومما يمكن أن يملأ مئات الصفحات مما لم يتقدم، يظهر بوضوح تام أن معنى المعرفة عند القوم هو معرفة وحدة الوجود، وأن العارف عندهم هو الذي يعرف أن الكون هو الله ذوقاً واستشعاراً، أي يذوق الألوهية ويستشعرها ويحس بها ويتحقق بها.



□ خلاصة كل ما تقدم:

- الصوفية مذهب واحد فقط، فقط، فقط.

- هذا المذهب هو سر يجب كتمانه، وهم يقولون بقتل من يبوح به لغير أهله.

- هذا السر هو «وحدة الوجود»، أي: إن الله هو الكون، والخالق هو عين ما نتوهم أنه المخلوق.

- لهم أسلوب خاص للتعبير عن هذا السر بين بعضهم، بحيث لا يفهمه إلا من كان منهم، ويسمون هذا الأسلوب «العبارة»، وهي تشمل الإشارة والرمز واللغز، أي إنهم يعبرون في كلامهم عن وحدة الوجود بالإشارة والرمز واللغز، مِنْ أجل التعمية على غيرهم. وكلما كانت العبارة أكثر إيغالاً في الإشارة والرمز واللغز، كلما كانوا أكثر تقديساً لها وأكثر إعجاباً بصاحبها، ونجد قمة العبارة عند شهاب الدين السهروردي البغدادي، ثم عند أستاذه عبد القادر الجيلاني والجنيد وأفراد غيرهم.

- كلهم يؤمنون بوحدة الوجود، لكنهم يكتمونها، حسب القاعدة، ويتظاهرون أنهم يؤمنون بالمخلوقية والعبودية، ويسمون ذلك «الفرق الثاني» أو «الفرق في الجمع» أو «صحو الجمع» أو «الصحو بعد المحو»... كما يطلقون على وحدة الوجود اسماً آخر هو «وحدة الشهود»، وكثيراً ما يستعملون الاسم الثاني «وحدة الشهود» للمغالطة، ويتقيدون بالشريعة من أجل ستر حقيقتهم، ويعتقدون أن الله سبحانه هو الذي يريد هذه المخادعة التي يسمونها «الحكمة».

- كلهم يؤمنون بالحقيقة المحمدية، التي تعني أن محمداً ﷺ هو المجلى الأعظم للذات الإلهية، وأن كل التعينات (أي الأشياء) تصدر عنه ثم تعود إليه، يقول شاعرهم:

فإن من جودك الدنيا وضرتها ومن علومك علم اللوح والقلم

- للتصوف غاية واحدة فقط، ولا يوجد في التصوف أية غاية أخرى غيرها على

الإطـلاق، وهـذه الغـايـة هي الـوصـول إلى الجذبة التي يذوقون بها وحدة الوجود، أي يذوقون الألوهية.

وحـسـبـه من ذلـك المـقـصـود إشـراق نور وحـدة الـوجـود

وما يقـولـونـه مِن أن الغاية هي الزهد والتوكل والورع وأخواتهن ما هو إلا أسلوب دعـائي لا أكثـر ولا أقـل، يخادعـون به الله والذين آمنوا. ولنتذكر قول الجيلاني: «الزهد عمل ساعة والورع عمل ساعتين والمعرفة عمل الأبد».

ـ والعـارف، هو من وصـل إلى معـرفـة وحـدة الوجود، يذوق الألوهية واستشعارها والتحقق بها ومشاهدتها، لا بالدليل والبرهان.

وحجـة الكـلام كلام حجـة الإسـلام، الإمام الهمام، بل أكثر من خمسين ألف ألف إمام، بدر التمام، أبي حامد، بل أبي المحامد الغزالي، يقول:

. . . حتى إن مشـايـخ الصـوفية صرَّحوا ولم يتحاشوا، وقالوا: «مَنْ يعبد الله لطلب الجنـة أو للحـذر من النـار فهو لئيم، وإنما مطلب القاصدين إلى الله أمرٌ أشرف من هذا، ومَنْ رأى مشـايخهم وبحث عن معتقـداتهم وتصفـح كتب المصنفـين منهم، فهِمَ هذا الاعتقاد من مجاري أحوالهم على القطع. . .»[1].

هذه هي الصـوفيـة، ومئات الصفحات السابقة هي براهين من أقوالهم على ذلك، وكـل من يقـول خلاف ذلـك، إن كان منهم فهـو مراوغ مخادع، وإن كان من غيرهـم فهو جاهل بالصوفية، جاهل بالصوفية.

ونسأل الـذين يزكـون بعض المتصـوفـة مثل الجنيد وغيره، نسألهم: هل كان الجنيد صوفيًّا أم لا؟ إن كان صوفيًّا فهذه هي الصوفية ولا شيء غيرها، وإن تجرأ متجرىء ونفى عنه الصوفية! نقول له: إن كل الذين كتبوا عن الجنيد كتبوا عنه على أنه صوفي.

ويتوصلون إلى هذه الغاية بالطريقة.

فما هي الطريقة؟

---

(1) ميزان العمل، ص١٦.



لا وصول للحقيقة إلا بعد سلوك الطريقة «ابن عجيبة»

الباب الثاني: الطريقة

☐ تمهيد: طريقتان:

لا يوجد في الصوفية إلا طريقتان هما:

١ ـ طريقة الإشراق:

هي الطريقة الوحيدة الأزلية التي استعملها المتصوفة في كل الأمم.

فما إليه أبداً نُشير هُوَ علاج النفس والتطهير
وهذه طريقة الإشراق كانت وتبقى ما الوجودُ باقي[1]

بالرغم من أن معنى العبارتين «علاج النفس والتطهير» يجب أن يكون الآن، وبعد مئات الأمثلة، واضحاً تماماً، ومع ذلك فلا بأس من شرحهما.

علاج النفس: سياسة النفس، ومعاملتها، بإخضاعها مرحلة بعد مرحلة، إلى ما يوصلها إلى الجذبة.

تطهير النفس: هو تطهيرها مما يسمونه «الصفات المذمومة» وقد مرت عليها أمثلة كثيرة، وهي كل ما يُعيق السالك عن الوصول إلى الجذبة وتذوُّق الوحدة.

٢ ـ طريقة البرهان، أو الطريقة الغزالية، أو التصوف السنّي:

وفِرْقَةٌ قالت بأن العِلْما مِن خارجٍ بالاكتساب أسمى
وشرطوا العلومَ في اصطلاحه إذ لا غنى للباب عن مفتاحه
فليس للطامع فيه مطمع ما لم تكن فيه علومٌ أربع
وهي علوم الذات والصفات والفقه والحديث والحالات
وهذه طريقة البرهان وهي لكلِّ حازمٍ يقظان[1]

---

(١) من قصيدة المباحث الأصلية لابن البنا السرقسطي.

أي إن طريقة البرهان هي نفس الطريقة الإشراقية التي يعبِّر عنها هنا بـ «الباب» أي الباب الذي يمر به السالك كي يصل الجذبة، يضاف إليها العلوم الإسلامية، مع الملاحظة أنه يُعبِّر عن الجذبة ورؤاها بكلمة «الحالات».

ولا بأس من زيادة في التوضيح.

طريقة الإشراق:

هي الطريقة القديمة المستمرة (كانت وتبقى ما الوجود باقي)، وُجدت مع وجود الصوفية في أعماق التاريخ، وهي الطريقة الوحيدة في الحقيقة، ولا طريقة غيرها. يقول عنها الدكتور عبد الحليم محمود:

. . . فإن الصوفية جميعاً وفلاسفة الإشراق منذ فيثاغورس وأفلاطون (بل هي أقدم منهما بكثير) إلى يومنا هذا يعلنون منهجاً محدداً يُقرُّونه جميعاً ويثقون فيه ثقة تامة، ذلك هو المنهج القلبي أو المنهج الروحي أو منهج البصيرة، وهو منهج معروف أقرته الأديان جميعها واصطفته مذاهب الحكمة القديم منها والحديث[1]. . . اهـ.

وأسلوبها الأممي التاريخي القديم الحديث، هو أن يُميت السالك إحساساته وأعصابه بإرهاقها إرهاقاً شديداً جدًّا حتى يصل إلى ما يشبه العته ـ وأقول «ما يشبه العته» ـ لأنه عته اصطناعي غير ناتج عن مرض طبيعي، وإلا فله كل مظاهر العته ـ وذلك بأن يخضع نفسه للرياضة، وهي، كما يقول الغزالي: الخلوة والصمت والجوع والسهر[2]: وقد يضاف إليها شيء من التعذيب الجسدي. كما كان يفعل الشبلي وغيره، مع العلم أن متصوفة المسلمين جعلوا الذكر بدل الصمت، لأنه أسرع في الوصول إلى الجذبة، حتى إذا وصل فقد يأمرونه بالصمت. أما الجوع الذي يطبقونه فقد يمتد إلى عشرات الأيام، وفي سبيل السهر ومقاومة النوم يستعملون أية وسيلة يمكن أن تساعدهم على ذلك: كضرب السالك جسمه أو حرقه، أو الجلوس على الشوك، أو الوقوف على رجل واحدة مع التعلق بوتد اجتناباً للسقوط أو تعليق القدمين في الأعلى والرأس مُدَلًّى إلى أسفل. . . أو أخذ وضع من أوضاع «اليوغا» أو أخذ مادة طاردة للنوم كالشاي والقهوة

---

(١) أبو العباس المرسي، ص١٠.

(٢) الإحياء: ٣ / ٦٥.

المركَّزَيْنِ تركيزاً عالياً أو غيرهما من المواد الكيماوية.

يداوم السالك على هذه الحال، واضعاً أمامه غايةً واحدة، حتى يصل إليها، ويعبرون عنها بمثل قولهم: «لا أريد إلا الله»، وهذا لا يمنعه أن يحصل معه أمر آخر غير الغاية المرجوة التي هي الجذبة ورؤاها.

قد يكون مفيداً إيراد بعض شرح لابن عجيبة:

«. . . فعند ذلك (بعد رياضاتٍ ذكرها) يُدْخِله (الشيخ) إلى الخلوة، أي يأمره بها، ويحضُّه على ذكر الاسم المفرد «الله» حتى لا يفتر عنه ساعة. . . وهذا التدريج ليس بلازمٍ لكل الشيوخ ولا لكل المريدين أن يسلكوه، بل من الشيوخ مَن يلقِّنُ الاسم مِن أول مرة (أي دون الرياضة التي ذكرها قبل هذا الكلام) إذا رأى الفقير أهلاً له، ويأمره بقتل نفسه مع ذكر ربه، بحيث يجعل له وقتاً يذكر فيه ربه، ووقتاً يقتل فيه نفسه، وهذا الذي أدركْنا عليه أشياخَنا: يأمر الفقير بالخلوة في أول النهار إلى وقت العصر، ثم يخرج إلى السوق ويعمل من الأحوال ما تموت به نفسه، فيكمل فناؤه في الاسم مع موت نفسه، فيقرُبُ فتْحُه.

ومن المريدين مَن لا يحتاج إلى خلوة، بل يأمره بالخلطة مِن أول مرة، والناس معادن وطبائع، والعلل متفاوتة، والفتح من الله مِنْ غير توقفٍ على الأسباب، إلا أن الحكمة جارية مع القدرة. والله تعالى أعلم[1]. «انتهى».

- ولعل القارىء يعرف الآن أن «الفتح» هو الجذبة ورؤاها.

- وعادة قد يسبق الجذبة أو يرافقها أمورٌ خارقة للعادة، كأن يرى أشخاصاً أو أشكالاً مختلفة، أو يسمع أصواتاً. . . وقد يحدث مع بعضهم أن يسير على الماء أو يطير في الهواء. . . وهو موجود في كل الأمم، وفي الكافرة قبل المسلمة، ودور الشياطين واضح فيها.

- والمشاهد الجذبية مع خرق العادة هي التي تجعلهم يتشبثون بالتصوف ذلك التشبث الذي لا يقبل النقاش، حتى يصل بهم الأمر إلى تأويل آيات القرآن الكريم

---

(١) الفتوحات الإلهية، ص٣٣٨.

ووضـع الأحـاديث على لسـان الـرسول ﷺ وتأويل الصحيح منها: ﴿يحرفون الكلم من بعـد مواضعـه﴾، لتتَّفق مع رؤ اهـم الإشـراقيـة التي يسمـونهـا كشفـاً وعلوماً لدنية، وقد يسمونها «حكمة الإشراق»[1].

أما طريقة البرهان:

فهي طريقـة الإشـراق نفسهـا مزجـوهـا بالإسلام، وفلسفها حجتهم الغزالي بذكاء ودهـاء. فصـار عالمهم يتعلم، إلى جانب الإشـراق، العلوم الإسـلاميـة، وذلك بقصد التستر، واعتقاداً منهم أن الله سبحانه يريد ذلك.

وهم في علم التـوحيـد (علوم الـذات والصفـات) ينقسمـون ظاهـراً إلى قسمـين: أشعـريـة وماتريدية. أما باطناً فالتوحيد عندهم هو وحدة الوجود، وقد رأينا مئات الأمثلة على ذلك في الفصول السابقة.

أما الحديث فلهم فيه أسلوبهم الخاص!

فقد نرى بعضهم ـ مع الندرة ـ يحفظ ركاماً من الأحاديث، وقد يحفظها بأسانيدها، وقد يكون حافظاً لعدة كتب من كتب الحديث، ولكنه لا يستطيع أن يفقه الحديث ولا أن يميز بين صحيحه وضعيفه وموضوعه! وذلك لسببين:

١ ـ أنه لا يحفظ الحديث من أجل العلم والعمل به ولمعرفة الحق من الباطل، إنما يحفظه ليتسـتر به، وليكـون مقبـولاً عنـد الناس، ويستطيع أن ينتزع منه ما يخال أنه يؤ يد به مذهبه، وليزاود على منتقديه من أهل الظاهر، وقد مر بعض أقوالهم في ذلك، وطبعاً فيهم شاذون يحفظونه للعلم.

٢ ـ رأينـا أن كشفهم هو الـذي يصحـح لهم الحـديث أويضعفـه! وقـد يكـون الحـديث صحيحـاً فيضعفـه الكشف فيصبـح عنـدهم ضعيفـاً! وقـد يكـون الحديث موضوعاً مكـذوبـاً فيصححـه الكشف فيصبـح عندهم صحيحاً! لأن الكشف عندهم هو نور اليقين وعين اليقين وحق اليقين.

---

(١) هناك كتاب ليحيى بن حبش السهروردي اسمه «حكمة الإشراق».

- وفي الإشارة إلى الطريقة البرهانية بالرمز واللغز يستعمل الصوفية عبارات كثيرة لا تخفى على المتمرس بلغتهم، منها على سبيل المثال: «حقيقتنا مقيدة بالقرآن والسنة» أو «طريقتنا سلفية وحقيقتنا صوفية» أو «التصوف السلفي» أو «إن كانت عين القلب تنظر أن الله واحد في منته فالشريعة تقتضي أن لا بد من شكر خليقته» وغيرها . . .

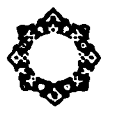
* **خلاصة القول:**

لا يوجد في التصوف إلا طريقة واحدة هي طريقة الإشراق، سواء عند متصوفة المسلمين أو عند غيرهم، ولكن متصوفة المسلمين مزجوا الطريقة الإشراقية بالإسلام، وسموا ذلك «التصوف السني» أو الطريقة البرهانية أو الغزالية، وبذلك استطاعوا أن يخدعوا المسلمين ويجروهم إلى التصوف.

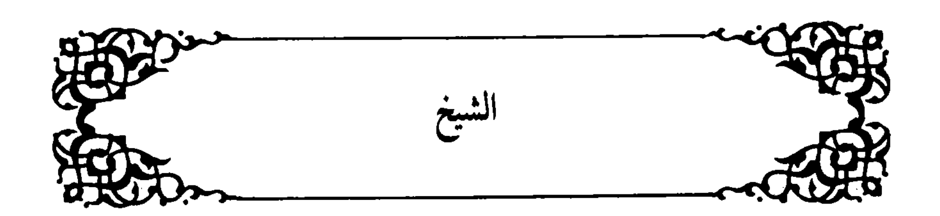
أما ما نرى ونسمع من أسماء كثيرة لطرق كثيرة، فسببه الشيوخ، ولا شيء غير الشيوخ إلا جشع الشيوخ، و«المدد» الذي يقدمه المريدون والمحبّون و«المؤمنون».

وليُظهر الشيخ أن طريقته تختلف عن بقية الطرق، يخترع أوراداً تختلف بألفاظها فقط عن بقية الأوراد، ولذلك قالوا: «الطريقة بأورادها». وقد رأينا كيف أن أورادهم محشوة بما يناقض الإسلام جملة وتفصيلاً، وكلها تحمل معاني واحدة أو متشابهة.

وقد ظهر في المجتمعات الإسلامية عشرات الطرق الصوفية، اندثر بعضها، وتفرع بعضها إلى طرق كثيرة، وسنرى بعد قليل كشفاً لما أمكن الوقوف عليه منها.



الفصل الأول:



الشيخ

ما حرمـة الـشـيـخ إلا حرمـة الله فقـم بها أدبـاً لله بالـله

ابن عربي

□ لا طريقة بدون شيخ:

الشيـخ عنـد المتصـوفـة هو إلـه، يعطونه كل صفات الألوهية، وهو الأساس في كل طريقـة. ومـا تفـرقت الطـرق إلا اتباعاً لشيخ، وتسمى كلها باسم مشايخها ومؤسسيها، ومع الزمن تتفرع الطريقة الواحدة إلى طرق كثيرة تحمل أسماء مشايخها الجدد.

ولنترك أئمتهم يتكلمون...

يقول أبو حامد الغزالي:

... فكـذلـك المـريد يحتاج إلى شيخٍ وأستاذٍ يقتدي به لا محالة، ليهديه إلى سواء السبيـل، فإن سبيـل الـدين غامض، وسبل الشيطان كثيرة ظاهرة، فمن لم يكن له شيخ يهديـه قاده الشيطـان إلى طرقـه لا محالـة... فمعتَصَمُ المـريـد، بعـد تقـديم الشـروط المـذكـورة، شيخُـه، فليتمسـك به تمسـك الأعمى على شاطىء النهـر بالقـائد، بحيث يفـوِّضُ أمـرَه إليـه بالكليـة، ولا يخالفـه في وِرْدِهِ ولا صَدَرِه، ولا يُبْقي في متابعته شيئاً ولا يذر؛ وليعلم أن نفعه في خطإ شيخه ـ لو أخطأ ـ أكثر من نفعه في صواب نفسه لو أصاب؛ فإذا وَجَـد مثـل هذا المُعْتَصَم، وجب على مُعتَصَمِـه (أي شيخـه) أن يحميـه ويعصمـه بحصنٍ حصين[1]....

(1) إحياء علوم الدين: ٣ / ٦٥.

ويقول القشيري:

. . . ثم يجب على المريد أن يتأدب بشيخ، فإن لم يكن له أستاذ لا يفلح أبداً. هذا أبو يزيد يقول: من لم يكن له أستاذ فإمامه الشيطان. وسمعت الأستاذ أبا علي الدَّقاق يقول: الشجرة إذا نبتت بنفسها من غير غارسٍ، فإنها تورق لكن لا تثمر، كذلك المريد إذا لم يكن له أستاذ يأخذ منه طريقته نفساً فنفساً فهو عابد هواه، ولا يجد نفاذاً[1]. . .

ويقول محيي الدين بن عربي في أول الباب الواحد والثمانين والمائة من الفتوحات المكية:

ما حُرمة الشيخ إلا حرمة الله	فقم بها أدباً لله بالله
هم الأدلَّاء والقربى تؤيدهم	على الدلالة تأييداً على الله
كالأنبياء تراهم في محاربهم	لا يسألون مِنَ الله سوى الله
فإن بدا منهم حالٌ تولّههم	عن الشريعة فاتركهم مع الله[2]

ـ لا أظن أن القارىء الذي بدأ الكتاب من أوله بحاجة إلى شرح لهذه الأبيات الضلالية، وتبيان ما فيها مما ينقض الشريعة الإسلامية جملة وتفصيلاً.

وكان عبد القادر الجيلاني يقول:

من لم يعتقد في شيخه الكمال لا يفلح أبداً[3].

ويقول عبد الوهاب الشعراني «القطب الرباني والغوث الصمداني»:

. . . فإن لم يتيسر للمريد صلاة الجمعة عند أستاذه، فليتخيله عنده في أي مسجد صلى فيه[4]. . .

ويقول علي وفا:

. . . فكما أن الله تعالى لا يغفر أن يشرك به، فكذلك محبة الأشياخ لا تسامح أن

---

(١) الرسالة القشيرية، ص١٨١.

(٢) الفتوحات المكية، الباب ١٨١ في أوله.

(٣) الأنوار القدسية: ١ / ١٧٤.

(٤) الأنوار القدسية: ١ / ١٨٨.

يشرك بها[1]. . .

وكان أيضاً يقول:

إذا صدق المريد مع شيخه وناداه من مسيرة ألف عام، أجابه حيًّا كان الشيخ أو ميتاً[2]. . .

وكان أيضاً يقول:

المريد الصادق مع شيخه كالميت مع مغسله، لا كلام ولا حركة، ولا يقدر ينطق بين يديه من هيبته، ولا يدخل ولا يخرج، ولا يخالط أحداً، ولا يشتغل بعلم ولا قرآن ولا ذكر إلا بإذنه[2]. . .

ويقول عدي بن مسافر:

لا تنتفع بشيخك إلا إذا كان اعتقادك فيه فوق كل الاعتقاد[3].

ـ أرجو أن يفتش القارىء الكريم عن حدود قوله: «فوق كل الاعتقاد».

وللعلم: عدي بن مسافر هذا هو تلميذ عبد القادر الجيلاني، وهو شيخ الطريقة العدوية المعروفة الآن باليزيدية (عبادو الشيطان)، طبعاً، بعد أن خضعت لشيء من التطور.

ويقول أبو يزيد البسطامي:

إذا أمر الأستاذُ التلميذَ أمراً من أمور الدنيا وبعثه في إصلاحه، فيقيم مؤذنٌ في بعض طرقاته على مسجد من المساجد؛ فيقول: أُدخل أولاً المسجد وأصلي ثم أكون وراء ما بعثني إليه، فقد وقع في بئر لا يتبين أسفلها، يعني ليس لها مقر[4].

ويقول إبراهيم الدسوقي (أحد الأقطاب الأربعة المدّركين):

. . . وكذلك ينبغي له (أي: للمريد) أن يحذر من تأويل كلام شيخه عن ظاهره إذا

---

(1) الأنوار القدسية: ١ / ١٨٧.

(2) الأنوار القدسية: ١ / ١٨٩.

(3) الحقيقة التاريخية، ص٣٤٣.

(4) شطحات الصوفية، ص١٨٢.

أمره بأمر، بل يبادر إلى فعل ذلك من غير تأويل[1]. . .

ويقول يوسف العجمي:

مِنْ أدب المريد أن يقف عند كلام شيخه ولا يتأوله، وليفعل ما أمره به شيخه وإن ظهر أن شيخه أخطأ[2]. . .

ويقول علي اليشرطي:

إياكم أن تؤوِّلوا كلامي، فإن كلامي صريح لا يُؤوَّل، فاسمعوا ما أقول لكم[3].

ـ كلام الله وحديث رسوله يؤوَّلان ليتفقا مع كشفهم! ـ كما يقول حجة الإسلام وكما يفعلون كلهم مما مرَّ معنا ومما لم يمر ـ أما قول الشيوخ المتصوفة فلا يجوز تأويله؟!

فيا ناس، ويا خلق، ويا عباد الله، ويا أسوياء، ويا مجانين، ويا من عنده ذرة من عقل أو ذرة من ضمير أو ذرة من حياء، أفتونا في هذا البلاء؟ أين المخرج؟ وكيف السبيل؟

ولئن عرضت عليهم هذه الأقوال، فستجد الجواب المعهود: هذا مدسوس، أو: هؤلاء منحرفون، ليس كل الصوفية هكذا. . . إلخ.

ويقول علي المرصفي (الذي قرأ في يوم وليلة ثلاثمائة وستين ألف ختمة!!):

. . . وإن قال (قائلٌ) للمريد: إن كلام شيخه معارض لكلام العلماء أو دليلهم، فعليه الرجوع إلى كلام شيخه. . . وإذا خرج المريد عن حكم شيخه وقدح فيه، فلا يجوز لأحد تصديقه، إنه في حال تهمة، لارتداده عن طريق شيخه[4]. . .

ـ إذن فالدليل لا قيمة له!! وما هو الدليل؟ إنه القرآن والسنة بلا ريب، ومع ذلك فعلى المريد الرجوع إلى كلام الشيخ!؟ ولتُنْسخ الآية الكريمة.

وهذا يفسر لنا الحالة التي وصل إليها المسلمون من الجهل والانحطاط والذل.

---

(١) الأنوار القدسية: ٢ / ٩٧.

(٢) الأنوار القدسية: ٢ / ٣٦.

(٣) نفحات الحق، فصل «إرشاد وهداية».

(٤) طبقات الشعراني: ٢ / ١٢٨.

وعودة إلى يوسف العجمي، الذي يقول:

. . . ومِنْ شأنه (أي المريد) إذا ذكر الله تعالى، أو فَعَلَ عبادةً من العبادات، أن يستحضر نظر شيخه إليه، ليتأدب ويضُم شتات قلبه[1]. . .

ويقول أحمد الرفاعي (الذي تسري كراماته في أتباعه من بعده!!):

. . . مَنْ لم يكن له شيخ فشيخه الشيطان. . . وينبغي للمريد أن يَعْرِف لشيخه الحق بعد وفاته كما كان يَعْرِف له الحق في حالة حياته. . . وقال: من يذكر الله تعالى بلا شيخ، لا الله له حصل! ولا نبيه! ولا شيخه[2]!

- يا مسلمون، بل يا مؤمنون (لأن ليس كل مسلم مؤمناً)، إن لم يكن هذا هو الشرك فما هو الشرك؟ أفيدونا يرحمكم الله.

ويقول العارف بالله سراج الدين الرفاعي الصيادي (ويشاركه أبو الهدى الصيادي):

. . . ومِن آداب المريد اللازمة: أولاً: حفظ قلب شيخه، ومراعاته في الغيبة والحضور. . . والتواضع له ولذريته وأقاربه، وثبوت القدم على خدمته، وأوامره كلِّيِّها وجزئيِّها، وربْط القلب به، واستحضار شخصه في قلبه في جميع المهمّات، واستمداد همته، والفناء فيه، وأن يكون ملازماً له لا يفتر عنه طرفة عين، ولا يُنْكِر عليه ما ظهر منه من صفة عيب، فلربما يَظْهر من الشيخ ما لا يَعْلمه المريد. . . كما وقع لبعضهم أنه دخل على شيخه فرأى عنده امرأةً جميلة يلاعبها ويعانقها ويجامعها!؟ فخرج مُنْكراً على شيخه، فأُخذ منه حالاً جميعُ ما استفاده من شيخه، ومع ذلك إن الامرأة امرأة الشيخ وزوجته[3].

- يا للأولياء النجباء الأتقياء الأنقياء. . . دستور من خاطرهم دستور! يلاعب زوجته ويجامعها أمام مريده!!

---

(1) الأنوار القدسية: ٢ / ٩٨.

(2) قلادة الجواهر، ص١٧٧.

(3) قلادة الجواهر، ص٢٧٨.

لكن ماذا عليه؟ فالمقرَّبون لا يُسألون عما يفعلون؟ هكذا قرروا ويقررون! ولا تعترض فتنطرد، وسلِّم تسلم. ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

ويقول أبو مدين الغوث:

وراقِبِ الشيخ في أحواله فعسى ... يَرى عليك من استحسانه أثرا
ففي رضاه رضا الباري وطاعته ... يرضى عليك فكن مِنْ تركها حَذِرا[1]

وعودة إلى الشعراني حيث يقول:

سمعت أخي أفضل الدين رحمه الله يقول: حقيقة حُبِّ الشيخ أن يحب الأشياءَ من أجله ويكرهها مِنْ أجله، كما هو الشأن في محبة ربنا عز وجل[2].

ويقول أيضاً:

مِن أدب المريد إذا زار شيخاً في قبره أن لا يعتقد أنه ميت لا يسمعه، بل الأدب أن يعتقد حياته البرزخية لينال بركته، فإن العبد إذا زار وليًّا وذكر الله عند قبره، فلا بد أن ذلك الولي يجلس في قبره، ويذكر الله معه كما شهدنا ذلك مراراً[3].

ويقول أيضاً:

... وأجمعوا على أن مِن شَرْط المحب لشيخه أن يصمَّ أذنيه عن سماع كلام أحدٍ في الطريق غير شيخه، فلا يقبل عذل عاذل، حتى لو قام أهل مصر كلهم في صعيدٍ واحد لم يَقْدِروا على أن يُنفروه من شيخه، ولو غاب عنه الطعام والشراب أياماً لاستغنى عنها بالنظر إلى شيخه لتخيله في باله، وبلغنا عن بعضهم أنه لما دخل هذا المقام سَمِنَ وعبل مِنْ نظره إلى أستاذه[4].

ويقول محمد العربي السائح التجاني[5]:

... مِن فضائل هذه الطريق (أي التيجانية) أنَّ من دَخَلها وأسلم قياده إلى

---

(1) الفتوحات الإلهية، ص٢٣٠.
(2) الأنوار القدسية: ١ / ١٦٩.
(3) الأنوار القدسية: ١ / ١٦١.
(4) الأنوار القدسية: ١ / ١٦٨.
(5) أحد خلفاء أحمد التجاني، مات سنة ١٣٠٩هـ.

صاحبها بطريق المحبة الخاصة وكمال التصديق كان من الآمنين عند الله تعالى في الدنيا والآخرة[1]. . .

ويقول ابن عجيبة:

للقوم في لقاء المشايخ آداب، منها: أنهم إذا قربوا المنزل رفعوا أصواتهم بالهيللة والذكر، فلا يزالون كذلك حتى يصلوا إلى الزاوية. . . ومنها تقبيل يد الشيخ ثم رجله، إنْ جَرَتْ بذلك عادة الفقراء، فهو من أحسن التعظيم. . . ومنها جلوسهم بين يديه على نعت السكينة والوقار، خافضين أصواتهم، ناكسين رؤوسهم، غاضّين أبصارهم، فلا يكلمونه حتى يبدأهم بالكلام[2]. . .

. . . فإن تعذر عليه (أي على المريد) الوصول إلى الشيخ، وقد عرض له مرض أو أمر، فليشخّص شيخه بين عينيه بصفته وهيأته ويشكو له، فإنه يبرأ بإذن الله، وإن كان مع جماعة واستحيا فليشتك إليه في قلبه[3]. . . (ما هو الشرك؟).

ويقول علي اليشرطي:

الطريق ذِكْر الله ومحبة الشيخ[4].

ويقول: الطريق طريقنا، والنور نورنا، وإن شئنا نُمِدُّه للفقير، وإن شئنا نطويه عنه[5]. . .

ويقول محمد أمين الكردي:

. . . ومنها أن لا يعترض عليه (أي على شيخه) فيما فعله، ولو كان ظاهره حراماً، ولا يقول: لِمَ فعلَ كذا؟ لأن مَن قال لشيخه: لِمَ؟ لا يفلح أبداً. فقد تصدر من الشيخ صورة مذمومة في الظاهر وهي محمودة في الباطن[6]. . .

ويقول عبد المجيد محمد الخاني النقشبندي:

---

(1) بغية المستفيد، ص٨٤.
(2) الفتوحات الإلهية: ص٣٠٨ و ٣٠٩.
(3) الفتوحات الإلهية، ص٣٣٩.
(4) نفحات الحق، ص٩٥.
(5) نفحات الحق، ص٩٧.
(6) تنوير القلوب، ص٥٢٨.

اعلم أيها الأخ المؤمن أن الرابطة عبارة عن ربط القلب بالشيخ الكامل . . . وحِفْظُ صورته بالخيال، ولو عند غيبته أو بعد وفاته، ولها صُوَر، أهونها أن يتصور المريد صورة شيخه الكامل بين عينيه، ثم يتوجّه إلى روحانيته في تلك الصورة، ولا يزال متوجهاً إليها بكليته حتى يحصل له الغيبة أو أثر الجذب . . . وهكذا يداوم على الرابطة حتى يفنى عن ذاته وصفاته في صورة الشيخ . . . فتربِّيه روحانيةُ الشيخ بعد ذلك إلى أن توصله إلى الله تعالى، ولو كان أحدهما في المشرق والآخر في المغرب، فبالرابطة يستفيض الأحياءُ مِنَ الأموات المتصرِّفين[1] . . .

ويقول القشيري في الرسالة في (باب حفظ قلوب المشايخ وترك الخلاف عليهم):

سمعتُ الشيخ أبا عبد الرحمن السلمي يقول . . . أن شقيقاً البلخي وأبا تراب النخشبي قَدِما على أبي يزيد (البسطامي) فقُدِّمت السفْرة، وشابٌّ يخدم أبا يزيد، فقالا له: كل معنا يا فتى، فقال: أنا صائم، قال أبو تراب: كل ولك أجر صوم شهر، فأبى، فقال شقيق: كل ولك أجر صوم سنة، فأبى، فقال أبو يزيد: دعوا مَن سَقَطَ من عين الله تعالى؛ فأُخذ ذلك الشاب في السرقة بعد سنة فقطعت يده[2] . . . «انتهى».

ـ عجيب والله كل العجب، يؤلهون أنفسهم! يُعطون أجر صوم شهر! وأجر صوم سنة! فماذا بقي من الشرك والكفر؟ ورجل يطيع أوامر الله وأوامر رسوله يصوم تطوعاً لله، ويرفض أن يؤله غير الله أو يأخذ تشريعاً إلا منه. هذا الرجل يصبح ساقطاً من عين الله في حكم هؤلاء القوم! لِمَ وفيمَ يسقط من عين الله؟ لأنه رفض أن يتَّخذ إلٰهاً غير الله! ثم ماذا؟ الصوم أصبح جريمة في نظرهم! فهل يستطيع هؤلاء القوم أن يقولوا لنا ما هو الكفر؟ وما هو الشرك؟ وما هو الإلحاد؟ وما هي الزندقة؟

لكن يجب أن لا ننسى أبداً أن الاعتراض ممنوع، والذي لا يحفظ قلوب هؤلاء المشايخ العارفين الأبرار الأطهار الأخيار الصادقين الصديقين المقربين الواصلين المحظيين العارفين العالمين المدَّركين المتصرفين الأولياء الأتقياء الأنقياء الأصفياء المحبين المحبوبين الغارقين (في جهنم وبئس المصير) الذي لا يحفظ قلوبهم يسقط من عين الله وتُقطع يده

---

(١) السعادة الأبدية، ص٢٢ و٢٣.

(٢) الرسالة القشيرية، ص١٥١.

على السرقة؟!

ثم يتساءل المتسائلون: ما هو سبب انهيار المسلمين؟ ما هو سبب فساد الأمة الإسلامية؟ ما هو سبب ذل المسلمين؟ ما هو سبب انحطاط الأمة الإسلامية؟ يتساءلون؟ والجواب ماثل أمام الناظرين الذين ينظرون بنور القرآن والسنة، لا بأعين الصوفية، لأنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور.

ويورد القشيري إياه، في نفس الباب (حفظ قلوب المشايخ وترك الخلاف عليهم):

... ومِنَ المشهور أن عمر بن عثمان المكي رأى الحسين بن منصور (الحلاج) يكتب شيئاً، فقال: ما هذا؟ فقال: هوذا أُعارض القرآن! فدعا عليه وهجره، قال الشيوخ: إن ما حل به بعد طول المدَّة كان لدعاء ذلك الشيخ عليه[1].

● **جوابنا:-**

أولاً: الدنيا دار بلاء لا دار جزاء.

ثانياً: استهتاره بالقرآن ومحاولة معارضته لم تكن سبب بلائه، وإنما كان سبب بلائه دعاء الشيخ عليه!!؟

وللعلم: الرسالة القشيرية تُدرَّس في مساجد المسلمين، وينصح القومُ بقراءتها هي وكتاب إحياء علوم الدين والحكم العطائية على أنها كتب إسلامية! والمشتكى إلى الله.

ويقول عبد القادر الجيلاني:

... وينبغي له (أي للمريد) أن لا ينتظر من الله مطلوباً سوى المغفرة.... والتحبّبُ إلى الشيوخ من الأولياء والأبدال، إذ ذاك سببٌ لدخوله في زمرة الأحباب ذوي العقول والألباب! الذين عقلوا من رب الأرباب، واطّلعوا على العِبَر والآيات[2]...

● **الملاحظات:**

نلاحظ قوله: «التحبب إلى الشيوخ ... سبب لدخوله في زمرة الأحباب» أي

---

(١) الرسالة القشيرية، ص١٥١.

(٢) الغنية: ٢ / ١٦٤.

أحباب الله!

وهـذا الكـلام مردود عليـه لأن رسول الله ﷺ علمنا ـ وحياً عن ربه ـ أن الدخول في زمرة أحباب الله هو إطاعة الله سبحانه واتّباع رسوله والابتعاد عن الشرك، كل الشرك، ولم يَرِد أيُّ نصٍّ عن المعصوم بالوحي أن التحبب إلى الشيوخ سبب في رضا الله، وبالتالي نطالبه بالدليل من القرآن والسنة، ولا دليل لديه إلا باللف والدوران والتأويل الباطل.

ثم لنتنبه إلى قوله: «الذين عقلوا من رب الأرباب . .»، وهذه العبارة تحمل نفس معنى قولهم: «حدثني قلبي عن ربي . .» وهو افتراء على الله الكذب. إنما هي إحساسات هَلْوسيَّة أقوى من الأفيونية، توهمهم شياطينهم من الإنس والجن أنها رحمانية وأنها خطاب من الله.

ويقول الجيلاني أيضاً:

وأما آدابه (أي المريد) مع الشيخ، فالواجب عليه تركُ مخالفةِ شيخه في الظاهر، وتركُ الاعتراض عليه في الباطن، فصاحبُ العصيان بظاهره تاركٌ لأدبه، وصاحب الاعتراض بسرِّه متعرضٌ لعطبه، بل يكون خصماً على نفسه لشيخه أبداً، يكفُّ نَفْسَه ويزجرها عن مخالفته ظاهراً وباطناً[1] . . .

ـ وهكذا يقرر سلطان الأولياء، عبد القادر الجيلاني، أن الشيخ ينفع ويضر، وأن التحبب إلى الشيخ سببٌ للدخول في زمرة الأحباب، وهذا هو النفع؛ والاعتراض عليه في سره سببٌ لعطبه، وهذا هو الضر.

ـ أما نحن فنؤمن أن لا نافع ولا ضار إلا الله. ونؤمن أن من يعتقد خلاف ذلك فهو مشرك مرتد.

ويقول: . . . إن لم تفلح على يدي، لا فلاح لك قط[2] . . .

ـ مقارنةٌ بين هذه الجملة وبين قوله سبحانه: ﴿قد أفلح المؤمنونَ . الذين هُم في صلاتِهم خاشعونَ . والذينَ هُم عن اللغوِ معرِضونَ . والذينَ هُم لفُروجِهم

---

(1) الغنية: ٢ / ١٦٤.

(2) الفتح الرباني، ص٣٧١.

حافِظونَ. . . ﴾.

ولم يقل سبحانه: لا فلاح إلا على يدي الشيخ كائناً من كان هذا الشيخ؟

فنسأل: من الصادق ومن الكاذب؟ ومن يجب أن نتبع؟

ويقول الدكتور سيد حسين نصر[1] (ترجمة كمال خليل اليازجي)[2]:

والشيخ، فضلًا عن أن تأثيره ثابت، فإن نوره ينتشر في كل مكان، ومع أنه شخصيةٌ روحيَّـةٌ واضحـة المعالم، لكنه مقترنٌ داخليًّا بالنور الذي يشرق على البر والبحر ويضيء كل شيء للمريد المرتبط به[3].

ويقول شهاب الدين السهروردي البغدادي:

. . ومِنَ الأدب مع الشيخ أن المريد إذا كان له كلامٌ مع الشيخ في شيء من أمر دينه أو أمـر دنيـاه، لا يستعجـل الإقـدام على مكالمة الشيخ والهجوم عليه، حتى يتبين له من حال الشيـخ أنـه مستعـدٌّ له، ولسـماع كلامـه وقـوله متفرغٌ، فكما أن للدعاء أوقاتاً وآداباً وشروطاً، لأنه مخاطبة الله تعالى فللقول مع الشيخ أيضاً آداب وشروط لأنه من معاملة الله تعالى[4].

ـ لننتبـه إلى مقـارنتـه مخاطبـة الشيـخ مع مخاطبة الله، وجعله الكلام مع الشيخ من معاملة الله تعالى!!

ويقول أحمد الفاروقي السرهندي (مجدد الألف الثاني):

. . . وهذه المحافظة إنما هي إلى زمان الوصول إلى الشيخ الكامل المكمِّل، ثم بعد الـوصـول إليـه، لا شيء عليـه سوى تفـويض جميع مراداته إليه، وكونه كالميت بين يدي الغسال لديه؛ والفناءُ الأوَّل هو الفناء في الشيخ، ويكون هذا الفناء وسيلة الفناء في الله[5]. . .

---

(١) إيراني أظنه لا زال حيًّا.

(٢) سوري أولبناني، وأظنه لا زال حيًّا أيضاً.

(٣) الصوفية بين الأمس واليوم، ص٧٣.

(٤) عوارف المعارف، هامش الإحياء: ٤ / ٩٨.

(٥) المنتخبات من المكتوبات: ٢١.

□ مشاهد شيخية مرسلة :

★ المنظر الأول:

انتهت الحضرة، ووقف الشيخ تكرماً منه وعطفاً ليسهِّل على المريدين التبرك بتقبيل يده الإلٰهية.

وقف المـريـدون ومـلء قلوبهم الشكـر والامتنان لهذا الشيخ الكريـم العظيـم، الذي يمكنهم دائماً من تقبيل يده المقدسة، وأحياناً من تقبيل رجله، ينعمون بها تفيضه عليهم من روحـانيتـه التي تحققت بأسماء الله وصفاته، يعبُّون منها ذخراً روحيًّا يعيشون في نشوته القـدوسيـة أيـاماً، حتى يتكرم عليهم الشيخ من جديد، بتجل جديد لطلعته الصمدانية التي تملؤهم بالأسرار الربانية.

أخـذوا يتقـدمـون الـواحـد تلو الآخـر، يجللهم صمت المؤمنين أمام وثنهم المعبود، وبخشـوع تعبـدي ينحني صاحب الـدور راكعاً أمام الشيخ، آخذاً يده الكريمة الممدودة بيده الحقيرة، يقبلها ويحاول أن يرتشف منها أكثر ما يستطيع من الأسرار الإلٰهية المختزنة في شيخه. ثم يترك الدور لغيره وينصرف حامداً شاكراً.

وصل الدور إلى شاب ملأ الإيمان الخرافي قلبه وغمره بشوق جنوني إلى تنسم رائحة العـارف الكـامـل الـذي وصل إلى مقام «الفرق الثاني». وجاءت الفرحة، فأمسك بيده المرتعشة يد الشيخ القدوسية، وركع أمامه، ثم أهوى عليها يقبلها ويقبلها، وهو لا يشبع من تقبيلها ومن تمريغ وجهه وجبهته عليها.

عيل صبر المريد الذي كان خلفه ينتظر دوره، فربت على ظهره طالباً منه الإسراع.

لكن الشيـخ الكـريـم الـرحيم العطـوف الـودود قال لهذا الـذي نفد صبره، ناصحاً ومربياً ومعلماً: «خليه يرتوي يا ابني خليه يرتوي». وذهبت مثلاً.

★ المنظر الثاني:

الـوقت بعـد العصر، والطقس شديد البرودة، والسيارة الفخمة تقبع في جانب من أحد الأزقة الفرعية، وليس في الشارع سوى أفراد يسرعون الخطا هرباً من البرد.

مر رجل طاعن في السن، ممن امتلأ قلبه إيماناً بالضبابيات والخرافيات الصوفية، ولم يستطع الوصول إلى الجذبة رغم محاولاته.

التفت هذا العجـوز نحـو السيـارة فعـرفهـا، ومن وراء الـزجـاج المجلل ببخار الماء المتكـاثف، لمح داخلهـا شخصـاً فعـرفـه أيضـاً.. وكيف لا؟ إنه شيخه[1] الولي العارف الصديق المقرب المحب المحبوب الواصل القديس المقدس المتحقق بالاسم الأعظم... إلـخ. فكـان كأنـما عثـر على كنـز الدنيا والآخرة، بل وأعظم من الدنيا والآخرة! فانطلق نحوه دون وعي حتى وقف أمام زجاج السيارة صامتاً خاشعاً، خافضاً رأسه بذلة وخنوع، مادًّا نظره الحقير نحو الشيخ يستجديه نفحة من قدوسيته المستسرة.

نظر إليه الشيخ بعينين جامدتين، وأنزل زجاج النافذة بمقدار ما يكفي لإخراج كفه؟

وأخرجها، فاستلمها العجوز، وقبلها.

ثم سحب الشيخ يده، وأغلق النافذة.

وذهب العجـوز لحال سبيله؛ وهـو مفعم بنشوة تغرقه في أعتم ظلمات الخيالات الوثنية؛ لكنه كان يحس أنه قبّل يد الحق «سبحان الله وتعالى عما يشركون».

مشهد شيخي مسجل:

أورد ابن العماد الحنبلي في أحداث سنة سبع وثمانمائة:

وفيها (أي توفي فيها) أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن وفا... وقال ابن حجر في «أنباء الغمر»... اجتمعتُ به مرة في دعوةٍ فأنكرتُ على أصحابه إيماءهم إلى جهته

---

(١) هذا الشيخ أخبره الكشف أنه المهدي المنتظر، وهو منذ سنين كثيرة ينتظر أن يأذن له الكشف بالتحرك.

بالسجـود، فتـلا هُوَ وهـو في وسط السماع يدور ﴿فأيْنما تُوَلوا فثَمَّ وجه الله﴾ فنادى من كان حاضراً من الطلبة: كفرت كفرت، فترك المجلس وخرج هو وأصحابه . . .

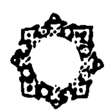
ـ لعــل القــارىء يذكـر أن علي بن محمـد بن محمـد بن وفـا هذا هو غوث من رجال السلسلة الشـاذليـة وهـذا يعني أن الطـريقة الشاذلية تتبنى أفعاله وأقواله وتؤمن بها، وإن كتموا ذلك.

* الخلاصة:

الشيخ عند الصوفية إله، يسبغون عليه كلَّ صفات الألوهية، والمريد الذي لا يعتقد بشيخه القدسية الإلٰهية لا يفلح في سعيه إلى الوصول إلى وحدة الوجود، وهذا هو معنى الفلاح عندهم، الجذبة، ثم مشاهدة الألوهية في نفْس المُشاهد وفي كل شيء.

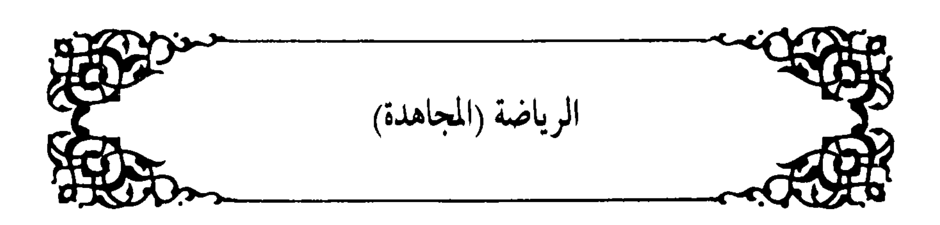
ولنستمع إلى قول الدكتور سيد حسين نصر، وهو من أعلام الصوفية في إيران، يقول:

«إن دور الشيخ المرشد الذي يقتضي التسليم التام له، وأهميته، في تحرير المريد من الارتباك في عالم الكثرة، ثم توجيهه له بالتأمل في عالم الوحدة»[1] . . .



(١) الصوفية بين الأمس واليوم، ص٧٧.

الفصل الثاني :



الرياضة (المجاهدة)

□ لا طريقة بدون شيخ :

لنرجع أولاً إلى عارفيهم يخبرونا كيف يسلِّك الشيخ مريده في الطريقة .

يقول ابن عجيبة :

إذا أتى الفقير إلى الشيخ ليأخذ بيده ، فأول ما يلقنه الورد ، فإن التلقين فيه بركة عظيمة . . . ثم يأمره بالتوبة وردِّ المظالم وقضاء الدين بقدر الاستطاعة ، ويحذّره من الرجوع إلى ما كان عليه ، ثم يعلّمه ما يلزمه في دينه من طهارة وصلاة وما يتعلق بذلك إن كان جاهلاً ، وما يتيسر من علم التوحيد خالياً عن الدليل ، فإن كان الشيخ ليس من شأنه ذلك ، دفعه إلى من يعلّمه ، ثم يأمره بلزوم الطاعة من صلاة وصيام وذكر وغير ذلك ، كل واحد ما يليق به ، لأن الشيخ تقدَّم أنه يكون طبيباً ماهراً ، ثم يأمره بالصحبة ولزوم مجالسة الشيخ ، والاجتماع مع الإخوان ، فطريق التربية ليست طريق الانفراد ، وإنما هي طريق الاجتماع والاستماع والاتباع ، فمهما انفرد المريد عن الإخوان لم يكن منه شيء ، فإن تعذَّر إقامته مع الشيخ أمره بالزيارة والوصول ، فمدد الشيخ جارٍ إلى المريد كالساقية أو القادوس ، فإن كان يتعاهدها ويمشي معها بقي الماء جارياً ، وإن غفل عنها تخرم الماء وانقلب مع غيره ، وأيضاً الوصول إلى الشيخ يدل على المحبة . . . ثم يُذكِّره أولاً بما يُصلح جوارحه الظاهرة وهي التقوى والاستقامة ، فإذا صلحت جوارحه الظاهرة أمره بالعزلة والصمت والجوع المتوسط وفراغ القلب والفناء في الاسم المفرد (الله) فإذا رآه تحقق

فناؤه وكثر تعطشه فتح له شيئاً من علم الحقائق، وأمره بالتفرغ التام وقطع العلائق، والزهد في الكونين، فإذا رآه أخذته حيرة أو دهشة دَفَع له علم الحقيقة، وأمره بتقليل ذكر اللسان وعمل الجوارح، وشغله بالفكرة، فإذا رآه لم يقدر على علم الحقيقة، أو رآه قنع بالعلم دون الذوق، أمره بتخريب الظاهر والتجريد التام، فإذا تمكن من الحقيقة، ورسخت فيه ذوقاً وتحقيقاً أمره بإرشاد الناس إن رآه أهلاً. هذا الذي أخذنا به وفهمناه من طريق أشياخنا[1]...

ويقول ابن البنا السرقسطي مبيِّناً:

حتى إذا انقاد مع الإفادة — وكاد أن يصلح للإرادة
إذ للمريد عندهم حدودُ — لأجلها قيل له مريد
فعندها رُدَّ إلى الأوراد — كالصمت والصوم مع السُّهاد
وعاملوه بالمعاملات — إذ علموا مختلف العلَّات
ولم يُحيلوه على الحقيقة — إذ لم يكن مستوفي الطريقة
لكن أحالوه على الأعمال — لأجل ما فيها من النوال
حتى إذا أحكم علم الظاهرْ — وأبصروا القبول فيه ظاهرْ
ألقوا إليه من صفات النفس — ما كان فيها قبل ذا من لَبْس
وهي إذا أنكرتها فلتعرف — إحدى وتسعين وقيل نيف
فجرعوها أكؤس المنون — وهي تنادي كيف تقتلون
فعندما مالت إلى الزوال — أُدخِلَ في خلوة الاعتزال
وقيل: قل على الدوام (الله) — واحذر كطرف العين أن تنساه

* * *

فلم يزل مستعملاً للذكر — فيصمت اللسان وهو يجري
وقَدْرَ ما تجوهر اللسان — بالاسم يستثبته الجنان
ثم جرى معناه في الفؤاد — جريَ الغذا في جملة الأجساد

(1) الفتوحات الإلهية، ص٣٢٨.

فعـنـدهــا حاذى مِراةَ الـقـلـب	لَوْحُ الـغـيـوب وهـو غير مخْبـي
فأدرك المـعـلومَ والمـجـهـولا	حيـث اقـتـضـى لتركـهـا قبـولا
حتـى إذا جاء بطُـور الـقـلـب	خوطِـب إذ ذاك بكـل خطـب
فقـيـل لو عرفـتـني بكـوني	قيـل إذن فاخـلع نعـال الـكـون
ثم فني عن رؤيـة الـعـوالم	ولم يرى في الـكـون غير الـعـالم
ثم انـتـهـى لفـلك الحـقـيـقـة	فقـيـل هذا غايـة الطـريـقـة
ثم امـتـحـى في غيبـة الـشـهـود	فأطلق الـقـول: «أنـا معبـودي»
حتـى إذا رُدَّ عليه منـه	أثـبـتَ فرقـاً حيث لم يكـنـه
فرُدَّ نحـو عالم الـتـحـويل	وعـبَّروا عن ذاك بالـنـزول
وردُّه بالحـق نحـو الخـلق	كي ما يؤدي واجـبـات الـرقِّ[1]

ويقول ابن عجيبة: . . . ثم يمده بالعلم الظاهر، ومعناه أنه يُذكّره بعلم الشريعة وعلم الطريقة، دون علم الحقيقة، حتى إذا تهذب ظاهره وباطنه صلح لعلم الحقائق، ولا بد من الـترتيب. . . وقـد قالـوا: من قدَّم البـاطن على الظـاهـر فاتـه البـاطن والظاهر[2]. . . اهـ.

- وهكذا فالسالك لا يعرف حقيقة التصوف، لأنهم لا يخبرونه بها حتى يصبح أهلاً لذلك حسب قواعدهم.

وإنما يلقنونه أولاً علم الشريعة، فما هو علم الشريعة هذا الذي يلقنونه إياه؟ لنسمع الغزالي يشرحه، يقول ابن عجيبة:

. . . قال الشيخ أبو حامد الغزالي رضي الله عنه: ولقد أردت في بداية أمري سلوك هذا الطريق بكثرة الأوراد والصوم والصلاة، فلما علم الله صِدْق نيتي، قيّض لي وليًّا من أوليـائـه قال لي: يا بني، اقطـع مِنْ قلبـك كل علاقة إلا الله وحده، واخْلُ بنفسك واجمع همتـك، وقـل «الله الله الله» ولا تزد على ما فرض الله عليـك شيئاً إلا الرواتب، وقل هذا

(١) الفتوحات الإلهية، ص٣٣١ وما بعدها بشكل متقطع.
(٢) الفتوحات الإلهية، ص٣٣١.

الاسم بلسانك وقلبك وسرِّك، وأحضر قلبك واجمع خاطرك، ومهما قالت نفسُك: ما معنى هذا؟ فقل لها: لستُ مطلوباً بمعناه، وإنما قال تعالى: ﴿واذكرِ اسمَ ربِّك وتَبَتَّلْ إليه تبتيلاً﴾[1].

- مِنْ هذا النص (ومن ركامٍ غيره لا نورده اختصاراً) نعرف ما هو علم الشريعة الذي يلقنونه للمريد؟

هذا الوصف الذي يقدمه هنا ابن البنا السرقسطي وابن عجيبة والغزالي، هو ما نراه في كل كتبهم التي تهتم بهذه الناحية.

أما علم الطريقة (الإشراقية) ففي النصوص التي مرت في هذا الكتاب توضيح مبين.

إنهم يعلِّمون المريد، منذ الخطوة الأولى في رحاب الشيخ، أن يقدس الشيخ، وأن يكون عبداً للشيخ أكثر من عبوديته لله.

هذا هو رأس الطريق وأصله منذ أن نزل إبليس إلى الأرض، أو بعد ذلك بقليل، حتى الآن، وإلى ما شاء الله.

ثم يأتي (عند إشراقيي المسلمين وبعض غيرهم) الذكر الإرهاقي، الذي استعاضوا به - بصورة عامة - عن الرياضة، أو عن بعضها.

لكن الرياضة، رغم كل شيء، يبقى لها دورها في التصوف بين المسلمين، كما أن لها دورها الرئيسي، أو الوحيد، في تصوُّف غير المسلمين.

والمجاهدة (أو الرياضة)، كما رأينا، هي: الخلوة والصمت والجوع والسهر. وقد يرافقها تعذيب النفس بشكل من الأشكال، وتركيزُ الفكر في شيءٍ ما أساسيٌّ في المجاهدة الإشراقية.

* **الخلوة (أو العزلة)**: طقسٌ إشراقي أساسي، لا بد منه في السير إلى الجذبة، مارسه الإشراقيون منذ أن اكتشف إبليس أحبولة «الإشراق» التي كانت على مدى

---

(١) الفتوحات الإلهية، ص٣٣٨.

التـاريـخ، ومـا زالت، تسمّى «المعـرفـة»، وجـاء إشـراقيـو المسلمـين فغلّبوا عليها اسم «الصوفية والتصوف».

كان إشـراقيـو الأمم، ومـا زالـوا، يمارسـون الخلوة في كهـوف الجبـال والـوديان وفي شعابها، وفي أعماق الغابات، أو في كهوفٍ (غرف صغيرة) تبنى في المعابد خصيصاً لهذه الغاية.

ومثلهم تمامـاً، مارسهـا متصـوفـة المسلمـين، لكن قرونهم الأولى، استعـاضوا عن كهـوف المعـابد بخلوات في بيوتهم، لأن المسلمين في ذلك الوقت كانوا يعرفون الإسلام ويفهمونه، وكانوا يعرفون أن هذه الزندقة غريبة عن الإسلام، فكل من عُرف بها أقاموا عليه حد الرِّدة.

وتتالت الأيام، شيئاً فشيئاً فعلت السموم الصوفية التي كانوا ينفثونها بهدوء فعلَها في المجتمعات الإسلامية، ففشا فيها الجهل والخرافة، وأخذ كهان الصوفية حريتهم بإعلان عقيـدتهم الفـاسـدة والدعوة إليها، وسموها أسماءً فيها من الوقاحة بقدر ما فيها من الجرأة والافـتراء على الله سبحـانـه، وبنـوا لها هيـاكلهـا الخـاصة التي سموها «الخانقاه»، وفي الخانقاهات أقاموا، وفيها أقاموا كهوف الخلوة، وفي بعض الأحيان سموها «المدرسة».

وتتـالت الأيـام، وبـالتكـرار والـزمن، تمادوا في السيطـرة على الفكر في المجتمعات الإسـلاميـة، فجمـدوه وعقّمـوه، وصـار الجهـل والخـرافـة هو المظهر والمخبر، فانتشرت الخـانقـاهـات في أحيـاء المـدن وأزقتهـا، وفي القـرى، بعـد أن بدلـوا اسم «الخانقاة» بـ «الـزاويـة»، ثم امتـدوا من الـزوايـا ليتوغلوا في المساجد فيهتكوا حرماتها، وليرفعوا بيوت الأوثـان التي يسمـونهـا «الأضـرحـة» وليجعلوا فيهـا ومنهـا كهـوفـاً لخلواتهم، وهيـاكـل لطقوسهم، ومجالس لنشر ضلالاتهم.

وأصبـح من غير المستهجن وجـود أمـاكن الخلوة في المسـاجـد، ومن المظاهر اللازمة انتشار الزوايا، هياكلهم التي يقيمون فيها طقوس المكاء والتصدية، وارتفاع القباب فوق القبور إشارة إلى أن تحتها وثناً يعبد، ومكاناً للخلوة، ولم يعودوا بحاجة إلى كهوف الجبال والوديان وشعابها، ولا للغابات ولا للصحارى.

وأقـل مدة للخلوة يوم وليلة، ولا حد لأكثـرهـا، لكن المعتاد أن تكون أسبوعاً أو أكثر

حتى الأربعين يوماً.

* **الصمت**: طقس إشراقي أساسي، لا بد منه في السير إلى الجذبة، مارسه الإشراقيون منذ أن اكتشف إبليس أحبولة الإشراق التي سموها «الصوفية».

لكن إشراقيي المسلمين الأوائل، عرفوا الأثر السحري لترديد كلمة ما، مئات الألوف من المرات أو ملايينها، بشكل مستمر ودون انقطاع، وهذا ما سموه «الذكر»، فاستعاضوا به عن الصمت، بل وعن الرياضة كلها في كثير من الأحيان.

على أن عارفهم يعود إلى ممارسة هذا الطقس «الصمت» بعد وصوله إلى ما يسمونه «مقام جمع الجمع»، أي: عندما تصبح الجذبة طوع يديه أو مسيطرة عليه.

* **الجوع**: طقس إشراقي أساسي، لا بد منه في السير إلى الجذبة، مارسه الإشراقيون منذ أن اكتشف إبليس أحبولة الإشراق، التي سموها «الصوفية».

وأقل مدة له يوم وليلة تتكرر، ولا حد لأكثرها نظريًّا، وفي كتبهم يتحدثون عن متصوفة صاموا أسابيع وشهوراً، بل وسنين أيضاً، وقد رأينا من أقوالهم هذه أمثلة في هذا الكتاب، حتى تحدثوا عن صوفي صام أربعين سنة كان يأكل كل يوم زبيبة واحدة؟!

* **السهر**: طقس إشراقي أساسي، لا بد منه في السير إلى الجذبة، مارسه الإشراقيون منذ أن اكتشف إبليس أحبولة الإشراق التي سموها «الصوفية».

وهذا الطقس، مضافاً إلى الخلوة، كانا وراء اكتشاف القهوة، فهم يذكرون أن عبد الرحمن العيدروس هو مكتشفها، وهو غير صحيح، لأنها معروفة قبله بأكثر من قرنين[1]، ويقول ابن العماد الحنبلي: «إن مكتشفها هو أبو بكر بن عبد الله العيدروس المتوفى سنة ٩٠٩هـ».

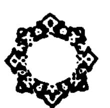
- هذه هي الرياضة أو المجاهدة. وهدفها هو إرهاق الجملة العصبية إرهاقاً يُفقدها المقدرة على القيام بوظائفها، فتتخدر إحساساتها، وتصبح مَرْكباً سهلاً لشياطين الجن

---

(١) عرفت القهوة والمقاهي في استانبول عام ٩٦٢هـ، الموافق لـ ١٥٥٥م، حيث جاء سوريان، أحدهما من حلب، والثاني من دمشق، وفتحا مقهيين في حي «تحت القلعة»، وهذا يعني أن القهوة كانت معروفة في سورية قبل ذلك.

التي تجري من ابن آدم مجرى الدم ؛ وتصبح أكثر استعداداً للتأثر بالمادة المخدرة التي يفرزها الجسم من أجل وظيفة حيوية فيزيولوجية .

* **تعذيب النفس** : كانوا يستعملونه من أجل السهر والصبر على الخلوة ، وقد قلَّت ممارسته الآن ، إذ نادراً ما نسمع به ، واستعاضوا عنه بالمنبهات .



□ الذكر (أو ما يسمى بالذكر):

قلنـا، ونقـول، وقـالـوا هم: إن الطـريقة الوحيدة التي تقود إلى الجذبة هي طريقة الإشـراق، وهي هي نفسهـا طريقـة البرهان، أو الطريقة الغزالية، بعد مزجها بالإسلام مزجاً تعسُّفيًّا.

ورأينـا أن الطـريقـة الإشـراقيـة تعتمـد الرياضة (الخلوة والجوع والسهر والصمت) للوصول إلى الجذبة، لكن متصوفة المسلمين عرفوا أسلوباً أسرع وأكبر إمكانيةً للوصول إليها (إلى الجذبة). .

إنه الذكر، وكثيراً ما استغنوا به عن الرياضة.

فما هو الذكر؟ وما هو دوره؟

يقول عبد الوهاب الشعراني:

. . . إن عُمدة الطريق الإكثار من ذكر الله عز وجل. . . قالوا: إن الذكر منشور الولاية. . .

. . . وأجمع القوم على أن الذكر مفتاح الولاية، وجاذبُ الخير، وأنيس المستوحش، ومنشور الولاية. . . وما ثَم أسرع من فتح الذكر[1]. . .

ويقول ابن البنا السرقسطي:

فعـنـدمـا مال إلـى الـزوال ... أُدخـل في خلوة الاعـتـزال
وقـيـل قل على الـدوام «الـلـه» ... واحـذر كطـرف العـين أن تنسـاه

يشرح ابن عجيبة هاذين البيتين:

(١) الأنوار القدسية في معرفة قواعد الصوفية: ١ / ٣٥.

. . . ومَيْـل النفس إلى الـزوال هو إعطـاؤ ها الطَّوْع مِن نفْسها بحيث يتصرف فيها صاحبهـا بلا نزاع منهـا . . . فعنـد ذلك يدخل الخلوة . . . ويحضّه على ذكر الاسم المفرد حتى لا يفتر عنه ساعة، وهذا التدريج الذي ذكره الناظم (في أبيات سابقة) ليس بلازم لكل الشيوخ ولا لكل المريدين أن يسلكوه، بل من الشيوخ مَن يُلقِّن الاسم مِن أول مرة إذا رأى الفقيـر أهـلاً له . . . ومن المـريدين من لا يحتاج إلى خلوة، بل يأمره بالخلطة من أول مرة، والناس معادن وطبائع، والعلل متفاوتة . . . قال الشيخ أبو حامد الغزالي رضي الله عنه: ولقد أردت في بداية أمري سلوك هذا الطريق بكثرة الأوراد والصوم والصلاة، فلما علم الله صدق نيتي قيَّض لي وليًّا من أوليائه قال لي: يا بني اقطع من قلبك كل علاقة إلا الله وحده، واخلُ بنفسك، واجمع همتك وقل: «الله الله الله» ولا تزد على ما فرض الله عليك شيئاً إلا الرواتب، وقل هذا الاسم بلسانك وقلبك وسرك، وأحضر قلبك، واجمع خاطرك، ومهما قالت نفسك: ما معنى هذا؟ فقل لها: لست مطلوباً بمعناه[1] . . .

ويقول علي نور الدين اليشرطي:

«والله ما أخذناها بالسماع، ما أخذناها إلا بالذكر. . .»[2].

ويقول ابن عطاء الله السكندري:

«الـذكـر الـرابـع: «الله»؛ ويسمى الـذكـر المفـرد، لأن ذاكـره مشـاهـد لجلال الله وعظمته، فانياً عن نفسه، قال الله تعالى: ﴿قلِ الله ثم ذَرْهُم في خوضِهم يلعبونَ﴾[3]،

● ملاحظة:

- يستعمل ابن عطاء الله الآية في غير معناها الذي أُنزلت له، أي يستعمل التأويل.

فماذا يحدث للذاكر؟ . . . لنستمع إلى أقوالهم:

يقول علي نور الدين اليشرطي:

ما زال العبد يذكر الله حتى يستولي عليه الاسم، ومتى استولى عليه الاسم انطوت

---

(١) الفتوحات الإلهية: ٣٣٨.
(٢) نفحات الحق، ص١١٣.
(٣) مفتاح الفلاح، ص٤٢.

العبدية بالربِّية، وظهرت عليه صفات الرب[1]. . .

ـ أقـول: إن سأل سائـل: ما هي صفـات الـرب التي تظهـر عليـه؟ فالجواب: هي الهلوسات التي يشاهدها أثناء الجذبة! ويشاهد فيها أنه الله (جل الله) بأسمائه وصفاته.

ويقول عبد المجيد الخاني النقشبندي:

واعلم أن المريد الصادق إذا اشتغل بالذكر على وجه الإخلاص، يظهر عليه أحوالٌ عجيبـة وخـوارق غريبـة، وهي ثمرات أعماله من فضل الله تعالى عليه، إمَّا تطميناً لقلبه وتأنيساً، وإما ابتلاءً من الله تعالى وامتحاناً له. فالواجب عليه أن لا يلتفت إليها ولا يغتر بها لئلا ينقطع بها عن مقصوده (مشاهدة الوحدة). ولهذا قال العارفون بالله تعالى: أكثر من انقطع من المريدين بسبب وقوعهم في الكرامات[2]. . .

*** خلاصة ما تقدم:**

إذا اشتغل المريد بالذكر، وهو عادة الاسم المفرد «الله»، واستمر عليه ليلاً ونهاراً أياماً كثـيرةً، قد تقصـر وقـد تطـول، وقـد تمتد إلى ما يزيد عن عشرين سنة، كما حصل لعبد القـادر الجيـلاني، تظهر أمامه خوارق؟ كأنْ يرى أشخاصاً يظهرون فجأة ويختفون فجأة، أو يسمع أصواتاً، أو تحدث أمامه حوادث غير عادية وغير معروفة السبب؟ أو قد يحدث مع بعضهم أن يسير فوق الماء أو يطير في الهواء.

هذه الخوارق ليست لازمة بالضرورة، فقد لا يحصل شيء منها. وإذا حصلت فإنهم يتواصَوْن بإهمالها وعدم الالتفات إليها والاغترار بها! لأن غايتهم هي الوصول إلى الجذبة التي يستشعرون فيها وبها الألوهية ويذوقونها.

يستمـر السـالـك بالـذكر. وقد يلجأ إلى الرياضة (المجاهدة) كعامل مساعد، وقد يبدل الخلوة في غرفة بالسياحة في القفار، مع الجوع والسهر والمشاقّ، ويبقى يذكر ويذكر حتى يصل إلى الجذبة التي هي الهدف الأول، وتكون عادةً سريعة الزوال في أول الأمر، عنـدئـذ يسمـونـه: المجذوب أو الولي أو الواصل. . . ، ويعنون بكلمة «مجذوب» أن الله

---

(١) نفحات الحق، ص١١٠.

(٢) السعادة الأبدية فيما جاء به النقشبندية، ص٣٧.

سبحانه جذبه إليه، وينصحونه ألا يغترّ بالجذبات القليلة السريعة الزوال، بل عليه أن يستمر في الذكر، حتى يزداد عدد جذباته ويزداد طولها، ثم حتى يشاهد فيها وبها المشاهد.

يبقى المريد (أو السالك) هكذا مستمرًّا حتى تصبح الجذبة طوع يديه، ففي أي وقت يريدها يبدأ بالذكر، وما هي إلا دقائق حتى يقع فيها، بل قد يقع فيها بمجرد التفكير بها.

وقد يصل إلى مقام تتكرر عليه تلقائيًّا دون ذكر، وهذا عندهم هو الأمل المنشود، ومن وصل إليه فهو البدل أو الوتد أو القطب أو الغوث (حسبما يوحي إليه شيطانه).

على أن عند النقشبندية أسلوباً أسرع (كما يقولون) في الوصول إلى الجذبة، وهو ترديد لا إله إلا الله، مع هز الرأس بالصورة التالية:

يدير المريد وجهه إلى اليمين حتى تصبح ذقنه فوق كتفه اليمنى، ويلفظ كلمة «لا».

ثم يدير وجهه بسرعة إلى الأمام ويضع ذقنه على صدره، ويلفظ كلمة «إله».

ثم يدير وجهه بسرعة أيضاً إلى اليسار، حتى تكون ذقنه فوق كتفه اليسرى، ويلفظ كلمة «إلا».

ثم يدير وجهه بسرعة دائماً، إلى الأمام ويضع ذقنه فوق صدره، كما في الحركة الثانية، ويلفظ كلمة «الله».

ويعيد الكرة ويعيدها، وكل هذا يتم بأسرع ما يمكن.

ويقولون: إن القيام بهذه العملية واحداً وعشرين مرة، يمكن أن يوصل إلى الجذبة، ومن لم يصل، فليعد الكرة، ثم ليعدها، وسيصل أخيراً. ومن الناس من لا يصل مهما عمل وحاول.

ولقد انتقلت هذه الحركة إلى بعض الطرق الأخرى، لما فيها من سرعة في الوصول.

ولعل القارىء أدرك أن ترديد عبارة «لا إله إلا الله» أثناء هذه الحركة لا يقدم ولا يؤخر في الوصول إلى الجذبة، وأن الفعل كله لهز الرأس بالشكل المذكور، ويا لها من ولاية! تهز رأسك فتصبح وليًّا لله؟ (مرحبا ولاية)!

□ المنشطات (الحضرة، السماع، قراءة الكتب الصوفية):

يقول الشيخ سعيد حوى:

. . . ويرافق السيْرَ إلى الله اجتماعٌ وإنشادٌ، وتصحبُه أمورٌ، ويتطلَّب آداباً[1] . . .

ويقـول: . . . هذه الحـالات التي تزيـد من إقبـال الإنسان على الله تعالى أو تُجدِّد همتـه إن فترت، كثـيرةٌ، منهـا الاجتماع على علم أو على قراءة قرآن أو على ذكرٍ أو على مذاكرةٍ، ومنها الإنشاد ومنها المطالعة في كتب السير إلى الله[2] . . .

ـ أقـول: المعـروف أن الصحابة رضوان الله عليهم وتابعيهم وتابعي تابعيهم، كانوا يجتمعون على علم وعلى قراءة القرآن، وكان هذا لا يدفعهم إلى ما يسميه «السير إلى الله»، بل كانوا يسيرون في طريق الإسلام الذي أنزله الله سبحانه على رسوله ﷺ.

كما أنـه من المـؤكـد أن الـذين يجتمعـون على علم وعلى قراءة القرآن بتدبُّرٍ وتطبيق يبتعدون كل البعد عن هذا الذي يسمونه «السير إلى الله».

إن القرآن الكريم والعلم النبوي يحكمان بأن ما يسمونه «السير إلى الله» لا يمتُّ لهما بصلة، وبالتالي ليس سيراً إلى الله، بل هو سير إلى الجذبـة (ليس غير) وسنرى ذلك فيما بعد.

أمـــا الآن، فإلى بعض التفصيـل للمنشطـات: الاجتـماع، ومظهـره الـرئيسي هو الحضرة، والسماع، وقراءة كتب التصوف.

---

(١) تربيتنا الروحية، ص١٦٦.

(٢) تربيتنا الروحية، ص١٦٧.

□ الحضرة (لا طريقة بدون حضرة إلا بعض الشواذ النادرة) :

كلمة «الحضرة» تعني عند القوم الجلسة التي يحضرها رسول الله ﷺ ومعه رجال الغيب، ففيها يكونون في حضرته، ولذلك سموها الحضرة. وقد أفتى شيوخهم أن مَن حلف يميناً، أو طلاقاً، أن محمداً ﷺ حاضر معهم، فلا يحنث ولا تطلق زوجته، وكلهم يعتقدون هذا لكنهم يكتمونه (حسب القاعدة).

ولا بد في الحضرة من الشيخ أو من نائب عنه بإذنه، إذ بدون ذلك لا يحضرها رسول الله ﷺ.

تنقسم الصوفية من حيث الحضرة إلى قسمين:

١ ـ الصوفية الجالسة:

يقومون بطقوس الحضرة وهم جلوس، وينقسمون بدورهم إلى قمسين:

أ ـ الجالسة الصامتة: يقرؤون أورادهم وأذكارهم جلوساً صامتين، كالنقشبندية، والخوفية، وقد يجهرون بعض الأحيان، وقد يقفون (حسب توجيه الشيخ)، مع ندرته.

ب ـ الجالسة الصائتة: يقرؤون أورادهم وأذكارهم جلوساً مع الجهر بالصوت، كالتيجانية، والنعمتللاهية، وقد يقفون ويرقصون (حسب توجيهات الشيخ)، وهذا نادر.

٢ ـ الصوفية الراقصة:

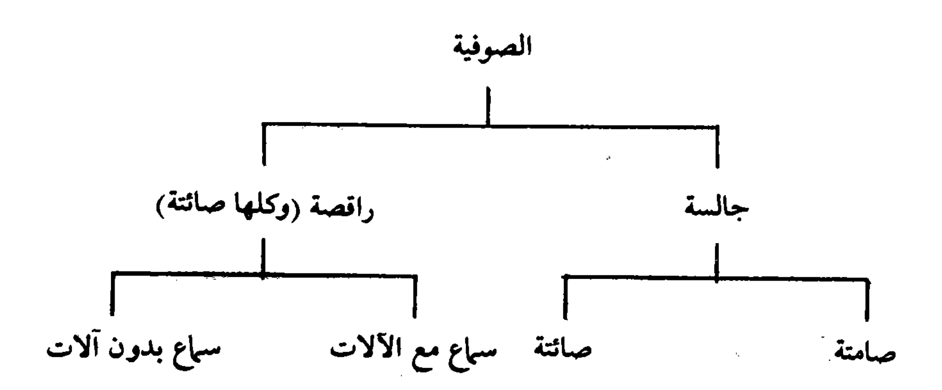
عليها أكثر الطرق، وكلها صائتة، يبدؤون الحضرة في أكثر الأحيان جلوساً، ثم ينهضون للقفز والرقص، وقد يصاحب قفزهم الطبول والزمور والدفوف، وقد يكون الرقص إفراديًا، مع السماع طبعاً.

والصوفية الراقصة تنقسم أيضاً إلى قسمين:

أ ـ الرقص مع السماع بدون آلات.

ب ـ الرقص مع السماع مصحوباً بالآلات.

وتلخيص ذلك بالشكل التالي:



أما الرقص الإفرادي فقد يكون رقصاً مع النقص، (أي: مع هز الخصر)، أو بدون نقص، (أي: بدون هز الخصر).



□ كيفية الحضرة :

نذكر كيفية الحضرة بإيجاز وإجمال، دون تفصيل، إذ لا فائدة من ذلك ولا ضرورة.

مع العلم أنه لا يتم شيء في الحضرة إلا حسب توجيه الشيخ فقط، دون أي كلمة أو إشارة من المريدين، إذ هم أمامه كالميت بين يدي الغاسل.

قد تبدأ الحضرة بدرس يلقيه الشيخ، أوبقراءة بعض أحاديث نبوية دون تمييز، أو بنشيد من أناشيدهم، ثم يبدأ الورد.

ولا يكون الورد إلا مع الالتزام التام بما يسمونه «الرابطة الشريفة»، وهي أن يربط كل مريد في الحضرة بصره بشيخه إن كان حاضراً، وأن يتصوره في خياله إن كان غائباً، ويمكن له في أول أمره أن يضع صورته أمامه وينظر إليها، حتى يتدرب شيئاً فشيئاً على تصوره جيداً في وهمه.

وقد يقرأ أحدهم، بأمر من الشيخ طبعاً، السلسلة المزعومة للمشيخة (الطريقة) والتي يصلونها، زوراً وبهتاناً، بالرسول ﷺ.

ثم تأتي الأذكار والصلوات على النبي، ولكل مشيخة أذكارها وصلواتها التي قد تطول وقد تقصر، والاختلاف طبعاً هو بالألفاظ لا بالمعاني، فالمعاني واحدة أومتقاربة، وقد رأينا نماذج منها فيما مر من الفصول.

وبالنسبة للصوفية الجالسة، تنتهي هذه الجلسة بالفاتحة وإهدائها إلى النبي ﷺ - ومن فضله إلى الشيخ ثم إلى الأولياء. . . إلخ. وقد يزيدون عليها شيئاً من القرآن الكريم.

ثم يمد الشيخ يده، ويبدأ الحاضرون بتقبيلها واحداً بعد واحد، ثم ينصرف من

يريد منهم الانصراف، وأحياناً يقف الشيخ عندما يمد يده للتقبيل كرماً منه، ليسهل على المريدين تقبيل يده دون إلجائهم إلى الجلوس والسجود ثم النهوض.

أما بالنسبة للصوفية الراقصة، فهم، بعد الانتهاء من جلسة الذكر والصلوات يقفون بشكل حلقة غير تامة، أو أكثر من حلقة، حسب العدد، ويأخذون بالقفز وهم في مكانهم، يتوسطهم الشيخ أو نائبه، يحركهم بإشارات يده، وهم يرددون: «الله حي، الله حي، الله حي»، لكن لا بلفظها، بل بأنّات تتفق مقاطعها مع مقاطعها، ويد كل واحد ممسكة بقوة بيد جاره، متشابكة أصابعهم، وهم في قفزهم يرتفعون معاً ويهبطون معاً، ويقف المسِنُّون منهم في الأطراف، وقد لا يشبكون أيديهم بأيدي جيرانهم، وعادة يكون قفز هؤلاء بتحريك الرأس والجذع إلى الأمام والوراء، دون أن يرفعوا أرجلهم عن الأرض، وقد يرفعون أعقابهم فقط.

يرافق ذلك إنشاد من منشد حسن الصوت، ولا يوجد نشيد خاص لكل مشيخة، إن الأناشيد بشكل عام، مشتركة بين الجميع، إلا تلك التي تختص بتقديس شيوخ الطريقة.

وفي بعض الطرق، كالرفاعية، يرافق القفز الطبول الرجاجة، وفي بعضها، كالمولوية، يرافقها الموسيقى المنبعثة من النايات والصنوج والدفوف والمزاهر.

وبعد زمن قد يطول وقد يقصر، يعطي «البيشر»[1]، إشارة الانتهاء، وتختلف من طريقة إلى أخرى.

ثم يجلسون، ويقرؤون الفاتحة مع الإهداء والدعاء، ثم يأتي شرب الشاي الحار، لأن شرب المشروبات الباردة ممنوع بعد الرقص.

وفي جميع المشيخات الصوفية، لا يجوز دخول الحضرة إلا بعد الطهارة والوضوء.

ثم يأتي دور تقبيل يد الشيخ حسب الشكل الذي مر آنفاً.

عادة، إذا كان الشيخ يريد من الحاضرين جميعهم الانصراف، يقف قبل الجميع

(١) البيشر، اصطلاح أورده شهاب الدين السهروردي في عوارف المعارف، ويعني به الشخص الذي يدير الحضرة، سواء كان الشيخ أو نائبه، ويستعملون الآن كلمة «البيشروش».

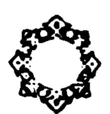
قرب البـاب، ويمـد يده، فيشـرع الحـاضـرون بالخـروج مارين أمام الشيخ واحداً بعد واحد، يقبلون يده المقدسة، وقد يمرغون جباههم عليها. وقد يقبل بعضهم رجله حيث يمدها الشيخ إلى الأمام، تكرماً ومنَّةً وعطفاً منه وتفضلاً ليمكن المريد من تقبيلها وتمريغ وجهه وجبهته عليها.

وأكرر الإشارة إلى أن الرقص قد يكون إفراديًا، فيكون دون ترديد عبارة «الله حي» أو الآهات التي تتناغم معها، والراقص لا يردد أي شيء إلا إن كان الإنشاد الذي يرافقه يقتضي من الجميع أن يرددوا اللازمة معاً، فحينئذ قد يتفاعل الراقص معهم.

ونـوع الـرقص تابـع لمهارة «الولي» الراقص، الذي يمكن أن يكون أي مريد أو أي شيخ، وأكثر ما تكون رقصاتهم من نوع «السماح» الذي هو رقص «المولوية» المشهور، وقد يرقصـون «التـانجو، أو السامبا، أو السلوفوكس»، ولا أدري إن كانت الرقصات العنيفة «بـوغي بوغي، أو الـروك أنـد رول، أو غيرهـا» قد دخلت حلقاتهم أم لا. مع العلم أن هذا ليس عامًّا في كل المشيخات، بل قد يوجد في بعض الأحيان، وفي بعض الأماكن، وقد لا يوجد، ولا يختص بمشيخة دون أخرى.

أما رقصة «السماح» التي يرقصها المولوية «تقرباً إلى الله»، فهي أشهر من أن تعرَّف، وكـذلـك الـرقصـات البكتـاشيـة حول قبر وثنهم «حاجي بكتاش»، وأشهر منها رقصات «الزار» في مصر والسودان والحبشة وغيرها.

لكن، على كل حال، يجب أن لا ننسى أبـداً، أن هذه الـرقصـات هي منشطـات على «السير إلى الله»!!



□ السماع:

ماذا يقولون في السماع؟ نكتفي ببعض الكلمات لبعض كبرائهم، «وكلهم في الهوى سوا».

يقول الغزالي:

. . . فإذاً تأثيرُ السماع في القلب محسوس، ومَن لم يحرِّكْه السماع فهو ناقصٌ مائلٌ عن الاعتدال، بعيدٌ عن الروحانية، زائد في غلظ الطبع وكثافته على الجِمال والطيور، بل على جميع البهائم، فإن جميعها تتأثر بالنغمات الموزونة، ولذلك كانت الطيور تقف على رأس داود عليه السلام لاستماع صوته؛ ومهما كان النظر في السماع باعتبار تأثيره في القلب، لم يَجُزْ أن يُحكم فيه مطلقاً بإباحة ولا تحريم، بل يختلف ذلك بالأحوال والأشخاص واختلاف طرق النغمات، فحكمه حكم ما في القلب، قال أبو سليمان: السماع لا يجعل في القلب ما ليس فيه، ولكن يُحرِّك ما هو فيه. فالترنُّم بالكلمات المسجَّعة الموزونة معتاد في مواضع لأغراض مخصوصة ترتبط بها آثار في القلب[1]. . . .

ومما يورده الطوسي:

. . . سمعت الطيالسي الرازي يقول: دخلت على إسرافيل أستاذ ذي النون رحمهما الله وهو جالس ينكتُ بأصبعه على الأرض ويترنم مع نفسه بشيء، فلما رآني قال: أتُحْسِنُ تقول شيئاً؟ قلت: لا. قال: أنت بلا قلب. سمعتُ أبا الحسن علي بن محمد الصيرفي قال: سمعت رويماً، وقد سئل عن المشايخ الذين لقيهم: كيف كان يجدهم في وقت السماع؟ فقال: مثل قطيع الغنم إذا وقع في وسطه الذئاب[2]. . .

---

(١) الإحياء: ٢ / ٢٤٣.

(٢) اللمع، ص٣٦١.

ويقـول: سمعت أبـا عمـرو إسـماعيل بن نُجيد، قال: سمعتُ أبا عثمان سعيد بن عثمان الرازي الواعظ، يقول: السماع على ثلاثة أوجه. فوَجه منه للمريدين والمبتدئين، يستدعون بذلك الأحوال الشريفة، ويُخشى عليهم في ذلك الفتنة والمراءاة.

والوجه الثاني: للصدِّيقين يطلبون الزيادة في أحوالهم، ويسمعون من ذلك ما يوافق أحوالَهم وأوقاتهم.

والوجه الثالث: لأهل الاستقامة من العارفين، فهم لا يعترضون، ولا يتأبون على الله فيما يردُ على قلوبهم في حين السماع، مِن الحركة والسكون. أو كما قال[1].

ويقـول: وقـال بعضهم: أهـل السماع في السماع على ثلاثة ضروب: فضربٌ منهم أبنـاء الحقـائق، وهم الـذي يرجعـون في سماعهم إلى مخاطبـة الحق لهم فيـما يسمعـون. وضـربٌ منهم يرجعـون فيـما يسمعـون إلى مخاطبـة أحـوالهم وأوقـاتهم ومقـاماتهم، وهم مرتبطـون بالعلم ومطـالبـون بالصـدق فيـما يشير ون إليه من ذلك. والضرب الثالث هم الفقـراء المجردون الذين قطعوا العلائق ولم تتلوث قلوبهم بمحبة الدنيا والاشتغال بالجمع والمنع، فهم يسمعون بِطِيبة قلوبهم، ويليق بهم السماع، وهم أقرب الناس إلى السلامة، وأسلمهم من الفتنة. والله أعلم[2].

★ السماع والتواجد أو الرقص:

رأينـا وصف واصفهم عنـد السـماع أنهم «مثل قطيع الغنم وقع في وسطه الذئاب»، وهذه أبيات لأبي مدين المغربي:

فقـل للذي ينهـى عن الـوجـد أهـلَه	إذا لم تذق معنى شراب الهـوى دَعْنـا
إذا لم تذق ما ذاقـت الـنـاس في الهـوى	فبـالله يا خالي الحـشـا لا تعـنِّـفْـنـا
وسـلِّم لنـا فيـما ادَّعـيـنـا فإِنـنـا	إذا غلبـت أشـواقـنـا ربـما صحـنـا
وتهـتـز عنـد الاسـتـماع حواسـنـا	وإن لم نُطـق حملَ التـوجـد نوَّحـنـا
أمـا تنظـر الطـير المـقـفَّص يا فتـى	إذا ذكـر الأوطـان حنَّ إلى المـغـنـى

(١) اللمع، ص٣٤٩.

(٢) اللمع، ص٣٥١.

وفـــرّج بالـــتـــغـــريـــد ما في فؤاده	فيـــفـــلق أربـــاب الـقـلوب إذا غنـى
ويهـــتـــزُّ في الأقـــفـــاص مِنْ فرط وجـــده	فمضطـرِبٌ الآعضـاءُ في الحس والمعنى
كذلـــك أرواح المـــحـــبّـــين يا فتـــى	تهَزْهِـــزهـــا الأشـــواق للعـــالم الأسنى
أَتُـــلْزِمُـــهـــا بالـــصـــبر وهـــي مشـــوقـــة	وكيف يطيق الصـــبر من شاهـد المعنى
إذا اهـــتـــزت الأرواح شوقـــاً إلـى الـلقـــا	نَعَم ترقص الأشبـــاح يا جاهـل المعنى
فيـــا حادي الـعـــشـــاق قُمْ وآحْـــدُ قائـــماً	وزَمْـــزِمْ لنـــا باسـم الحـبيب وروِّحنـــا
وصُنْ سرَّنـــا في سكـــرنـــا عن حســـودنـــا	وإن نظـــرتْ عينـــاك شيئـــاً فســـامحنا
فإنـــا إذا طِبْـــنـــا وطـــابـــت نفـــوســـنـــا	وخـــامَـــرَنـــا خمرُ الـــغـــرام تهتّـــكـــنـــا
فلا تلم الـــســـكـــران في حال سكـــره	فقـــد رُفـــع التكليف في سكـــرنـــا عنـــا
ويـــا عاذلي كرِّر عليَّ حديـــثـــهـــم	فأعـــيـــنـــنـــا منهـــم وأعـــينهـــم منـــا

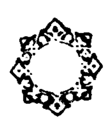
أرجو من القارىء الكريم أن يتسلى بملاحظة العبارات الصوفية الواردة في كل بيت من أبيات القصيدة، وقد مرت كلها (أو أكثرها) في النصوص السابقة.

والسماع في أكثر الأحيان يكون مصحوباً بالآت تبدأ بالدف، ثم تأتي الصنوج والمزاهر والطبول الرجاجة والنايات والأبواق.

وقد يكون السماع بدون آلات.

وكلتا الحالتين قد توجدان في الطريقة الواحدة، حسب الشيخ والظرف.

وأقوالهم في السماع، حسب هذا المعنى الذي رأيناه، تملأ مئات الصفحات وأكثر.



□ قراءة الكتب الصوفية :

مِن المنشطات على الاجتهاد في الرياضة والذكر والإصرار على الوصول إلى الجذبة، قراءة الكتب الصوفية، وهي كلها مشحونة بتقديس التصوف وشيوخه، وبسرْدٍ مثيرٍ لخوارق العادة التي تحدث أمامهم، وبتلك العبارات والرموز والإشارات التي تتكلم عن أسرارٍ غريبة وعجيبة، وغيرها من المثيرات المغريات.

كل هذا يبعث في القارىء شوقاً جامحاً لتلك الأسرار، واندفاعاً ملحًّا للوصول إلى تلك الحالات، ويجعل خياله وآماله وأحلامه تهوم في تلك الأجواء الغنوصية التي يصورونها له إلٰهية وتحققاً بالألوهية، ويعبِّرون عنها بمثل قولهم: «لا أريد إلا وجه الله الكريم»، فيُقْبل على الرياضة الصوفية بإصرار، وعلى الغلوّ في الخضوع الشركي للشيخ، مما يساعده على الوصول إلى الجذبة والتحقق بالألوهية بسرعة أكثر.

وكل المراجع التي اعتمدناها لهذا الكتاب هي كتبهم التي إليها يرجعون وعليها يعتمدون، وهي كتبهم التي يقدسون، مؤلفوها هم عارفوهم وأشياخهم وأقطابهم وعلماؤهم.

وناسخوها هم من عارفيهم وأشياخهم وأقطابهم وعلمائهم ومريديهم.

والمشرفون على طباعتها لجان منتقاة من عارفيهم وأشياخهم وأقطابهم وعلمائهم.

والذين يقتنونها ويقرؤونها هم من المنتسبين إلى طرقهم ومشيخاتهم، الذين لا يعصون الشيخ ما أمرهم، ويفعلون ما يأمرهم به.

والذين يقتنونها ويقرؤونها أيضاً من عارفيهم وأشياخهم وأقطابهم وعلمائهم ومريديهم.

والذين يشترونها ليضعوها في مكتباتهم، أو في مكتبات المساجد أو المدارس، مراجع

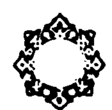
إليهـا يرجعـون ، هم من عارفيهم وأشيـاخهم وأقطـابهم وعلمائهم وأسيـادهم ومـريديهم والسالكين على أيديهم .

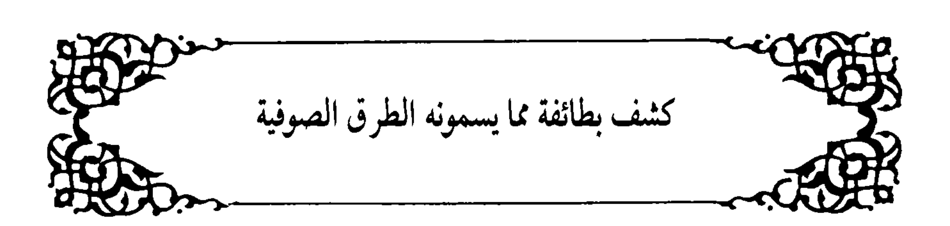
لذلك أرجو من القارىء الكريم ، أن يكون مطمئنًّا كل الاطمئنان ، واثقاً كل الثقة ، مؤمنـاً كل الإيـمان ، أن كل ما في كتبهم هو صحيـح النسبة إليهم ، يؤمنون به كلهم إيماناً كليًّا كاملاً ، ولا يوجد فيه أي دس صغير أو كبير .

وإذا قال لك أحـد منهم عن أمـر من أمـورهم أو قصـة من قصصهم أو نص من نصـوصهم : إنـه مدسـوس . فاعلم أنـه يكـذب عليـك ويخـادعـك ويمكـر بك ويكيـد للإسلام ، (عن وعي أو عن غير وعي) ، ولكن عن إخلاص وإيمان .

وإذا قال أحد من غيرهم : إنه مدسوس . فاعلم أنه جاهل بالصوفية غافل عن واقع المسلمين .

إن البحر الميت لا يحتاج لأن يدس فيه الملح ليصبح ملحاً ، وجهنم لا تحتاج أن يدس فيها الجمر لتغدو حامية .





كشف بطائفة مما يسمونه الطرق الصوفية

إنها ليست طرقاً، وإنما هي مشيخات أخذت أسماءها من أسماء مشايخها الذين كانوا ومازالوا يجمعون حولهم المريدين والسالكين ليحصلوا بذلك على المدد، أي: الأموال التي تنهمر عليهم، إما من المريدين مباشرة، أو بسبب هؤلاء المريدين، هذا المدد، مضافاً إلى اللذة التي يجدونها في الجذبة، مع هلوساتها التي توهمهم أنهم تحققوا بالألوهية، كل هذا يدفعهم إلى التفاني في خدمة إبليس للإبقاء على مسيرة الكهانة، وجر المسلمين إلى أشراكها، والفرق بين الطرق هو بكلمات الأذكار، لا بمعانيها، وبأشكال الحضرة، أما الرياضة والوصول والكشف والحقيقة، التي هي هي الصوفية، فواحدة.

وهذه طائفة مما يسر الله سبحانه الوقوف عليه من مشيخاتهم، أوردها بإيجاز:

المحاسِبيَّة: نسبة إلى الحارث بن أسد المحاسبي، بصري، مات في بغداد سنة ٢٤٣هـ.

الطَّيْفورية (أو البسطامية): نسبة إلى أبي يزيد، طيفور بن عيسى البسطامي، اختلفت كتبهم (المؤيدة بالكشف!!) في تاريخ وفاته على قولين: سنة ٢٣٤هـ، وسنة ٢٦١هـ.

السَّقَطية: نسبة إلى أبي الحسن، السري بن المغلس السقطي، خال الجنيد

وأستاذه، وإليه ينتمي أكثر المشايخ في بغداد، مات فيها سنة ٢٥١هـ.

القصّارية: نسبة إلى أبي صالح، حمدون بن أحمد بن عمارة القصار، شيخ الملامتية في نيسابور، مات فيها عام ٢٧١هـ.

الجُنَيدية: نسبة إلى الجنيد بن محمد (أبي القاسم) سيد الطائفة الصوفية ـ كما يلقبونه ـ أصله من نهاوند، ومولده ومنشؤه في العراق، ويقال له أيضاً: «القواريري»، مات في بغداد سنة ٢٩٧هـ.

النُّورية: نسبة إلى أبي الحسين، أحمد بن محمد بن عبد الصمد النوري، بغوي الأصل، بغدادي المولد والمنشأ، مات سنة ٢٩٥هـ.

السَّهلية: نسبة إلى سهل بن عبد الله التستري (أبي محمد) مات سنة ٢٧٣ أو ٢٨٣هـ.

الخرَّازية: نسبة إلى أبي سعيد، أحمد بن عيسى الخراز، يقال له: «لسان التصوف»، بغدادي، مات سنة ٢٧٧هـ.

الحكيمية: نسبة إلى أبي عبد الله، محمد بن علي الترمذي، الحكيم، مات سنة ٢٩٦ أو ٣٢٠هـ، ولعلها الأرجح، وهو غير الترمذي المحدث صاحب السنن.

الحلاّجية: نسبة إلى أبي المغيث، الحسين بن منصور الحلاج، فارسي، نشأ بواسط في العراق، مات قتلاً على الزندقة في بغداد سنة ٣٠٩هـ. والصوفية كلهم يزكونه، وعلى رأسهم الغزالي في «إحيائه»، والقشيري في «رسالته»، والجيلاني في «**فتحه وفتوحه**»، وابن عربي في كتبه.

الخفيفية: نسبة إلى أبي عبد الله محمد بن خفيف الضبِّي الشيرازي، مات سنة ٣٧١هـ أو ٣٩١هـ.

السيارية: نسبة إلى أبي العباس، القاسم بن القاسم السياري من مرو، مات سنة ٣٤٢هـ.

هذه الطرق، هي الأصول للطرق التي ظهرت فيما بعد، وقد اندثرت أسماؤها بعد أن انقسم كل منها إلى طرق كثيرة، بسبب المشايخ الذين ظهروا فيها، ثم أصَّل كل منهم

طريقـة باسمـه على حسـاب اسم شيخـه . والظن أن هنـاك طرقـاً غير هذه ، واكبتها أو تقدمتها ، لم يتهيأ لي الوقوف على ما يشير إليها .

الجنْبلانيـة : مؤسسهـا أبـو محمـد عبـد الله بن محمـد الجنبلاني ، من بلدة جنبلا في فارس ، مات فيها سنة ٢٨٧هـ وإليها يعود الفضل في نشر المذهب النصيري .

الملامتيـة : تنسب أحيانـاً لحمـدون القصـار ، لكن الـذي بلورها وأعطاها شكلها النهـائي هو تلميـذه أبـو محمـد عبـد الله بن منازل ، مات بنيسابور سنة **٣٢٩** أو **٣٣٠**هـ ، وسموا أنفسهم الملامتية ، من «الملامة» لأنهم يشتغلون بملامة أنفسهم ويهملون الشريعة والأخـلاق ، وقـد اضمحلت كطـريقـة مستقلة ، لكنهـا استمرت تظهر في سلوك كثير من الأولياء في كل الطرق ، يتظاهرون بالتهتك وإتيان البهائم وشرب الخمور وتناول الحشيش والسرقة وغير ذلك ، ليستروا عن الناس ولايتهم وصديقيتهم !

الكازُرونية : نسبة إلى أبي سعيد الكازروني ، تتلمذ على ابن خفيف ، وكان يلقب بـ «المـرشـد» ، ولم أقف من ترجمته على أكثـر من هذا ، ويمكن أن تكـون نسبة إلى أبي إسحـاق ، إبـراهيم بن شهـريـار ، مات في كازُرون (في إيـران) سنـة **٤٢٦**هـ ، تخرج في الخفيفيـة بأبي محمـد الحسـين الأكـار ، ولعل هذا هو الأرجح ، ويدعي أصحاب الطريقة الأويسية في إيران أن الكازروني من رجال سلسلتهم .

السـالميـة : تنسب إلى أبي عبـد الله محمـد بن أحمد بن سالم (الكبير) بصري ، مات سنـة **٢٩٧**هـ ، وإلى ابنـه أبي الحسن أحمـد بن محمـد (ابن سالم الصغـير) مات سنة **٣٦٠**هـ ، وهو أستاذ أبي طالب المكي ، والسالمية فرع من السهلية .

المسـريَّـة : نسبـة إلى محمـد بن عبـد الله بن مَسـرَّة الجبـلي ، مات سنـة **٣١٩**هـ ، إسـماعيـلي ، اتهم بالـزنـدقة فخرج فارًّا من الأندلس ، ثم عاد إليها بعد مدة ، وطريقته أُمُّ الطرق الصوفية في الأندلس ، وهو غير ابن مسرة المحدث الحافظ الفقيه[1] .

---

(١) المحدث الحافظ الفقيه وهب بن مسرة بن مفرج التميمي الحجاري ، من وادي الحجارة بالأندلس ، توفي سنة ٣٤٦هـ ، وقـد وهم فيـه الحـافـظ الـذهبي وتبعـه ابن حجـر بسبب تشـابـه نسبته مع ابن مسرة الصوفي ، (هذا التعريف مقتبس عن مجلة «دار الحديث الحسنية» العدد الثالث ، سنة ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م ، ص١٤٥) .

الحلمانيـة: أسسهـا أبـوحلمان الفـارسي الحلبي في دمشق في القـرن الـرابع أوبعده بقليل، حاربها الأشاعرة لأن أتباعها كانوا يصرحون بوحدة الوجود، فلم تعمر طويلاً.

القشـيريـة: نسبـة إلى أبي القـاسم، عبـد الكـريم بن هوازن القشـيري، مؤلف الرسالة القشيرية، مات في نيسابور سنة ٤٦٥هـ، ولعلها هي التي تسمى أيضاً: «الهوازنية».

الصدِّيقية: ينسبونها إلى أبي بكر الصدِّيق رضي الله عنه، ومؤسسها هوأبوبكر بن هوار من قبيلة الهواريين الكردية، سكن في البطائح في جنوب العراق، في قرية الحدادية، وهومن أهل القرن الخامس الهجري، أخذ طريقته عن أبي بكر الصديق في المنام حيث ألبسـه ثوبـاً وطـاقيـة ومرّ بيده على ناصيته، وقال له رسول الله ﷺ: «يا أبا بكر بك تحيى سنن أهـل الطـريق من أمتي بالعـراق بعـد موتهـا. . .» ثم استيقظ فوجد الثوب والطاقية بعينيهما عليه.

العـريفيـة: نسبـة إلى ابن العـريف، أبي العباس، أحمد بن محمد بن موسى، من المرية في الأندلس، مات في صنهاجة في المغرب سنة ٥٣٥ أوسنة ٥٣٦هـ، وهوغير ابن العريف النحوي الشاعر، وبالعريفية تخرج ابن عربي.

القادرية: أسسها محيي الدين، أبوصالح، عبد القادر الجيلاني (سلطان الأولياء)، مات سنـة ٥٦١هـ في بغـداد، وهـوأعجمي من (جيـلان)، لكنهم يجعلونـه من سلالـة فاطمة الزهراء، رضي الله عنها.

الـرفـاعيـة (أوالبطائحية): أسسها أحمد بن الحسين الرفاعي، من بني رفاعة (قبيلة من العـرب)، ولـد وعـاش في أم عَبيـدة، من أعـمال البصـرة في العراق، ومات فيها سنة ٥٧٨هـ، والبطائح اسم المنطقة، وفي كتبهم يجعلونه من سلالة فاطمة الزهراء رضي الله عنه، ويجعلون رفاعة أحد أجداده.

العَدَوية: أسسها عدي بن مسافر، تلميذ عبد القادر الجيلاني، توفي في قرية بالس في جبـل لالش من جبـال الهكّـاريـة قرب سنجار، شمالي العراق، سنة ٥٥٥ أو٥٥٧ أو ٥٨٥هـ، وقد تطورت هذه الطريقة، وأتباعها اليوم هم «اليزيديون» عبدة الشيطان.

البَيانية: نسبة إلى الشيخ أبي البيان: بنان، أوبناء، بن محمد بن محفوظ (السلمي)

أو (القرشي) الحوراني ثم الدمشقي، مات سنة ٥٥١هـ.

المَدْيَنِيَّة: نسبة إلى أبي مدين، شعيب بن حسين (أوحسن) الأندلسي، استوطن بجاية في المغرب، مات وهو في طريقه للقتل على الزندقة سنة ٥٩٠ أو ٥٩٣هـ في تلمسان.

الرحيمية القنائية: نسبة إلى عبد الرحيم القنائي، مغربي أخذ عن أبي يعزى، ثم انتقل إلى مصر ومات فيها سنة ٥٩٢هـ في قنا. وقد وهم من قال: إنه لم يكن شيخ طريقة. ولكن يظهر أنها اندثرت.

القَلَنْدرية: نسبة إلى قلندر يوسف، أندلسي هاجر إلى المشرق، وقد ظهرت هذه الطريقة لأول مرة في دمشق سنة ٦١٠هـ، وأتباعها يحلقون لحاهم، ولا يأخذون أنفسهم بشعائر الدين الإسلامي ولا بمقومات الأخلاق، مات قلندر يوسف في دمياط بمصر، والطريقة منتشرة في الهند، نشرها الشيخ قطب الدين العمري الجونپوري (أجهل عصره).

الكبروية: للشيخ نجم الدين أبي الجناب أحمد بن عمر بن محمد الخوارزمي الكبري، أشهر صوفية الفرس، ولد وعاش في مدينة (خيوة) من أعمال خوارزم، مات فيها سنة ٦١٨هـ أو قبلها بقليل، ويقال: إنه أخذ التصوف عن روزبهان[1] في مصر، لكني أظنه تخرج في القادرية بأحد تلاميذ عبد القادر.

الجِشْتية: نسبة إلى قرية «جشت» في هراة، (في الشمال الغربي من أفغانستان)، مؤسسها أبو إسحاق الدمشقي الجشتي، وهو من أحياء العقود الأخيرة من القرن السادس الهجري، ولعله أدرك بعض الأولى من القرن السابع، وهي منتشرة في الهند، نشرها هناك خواجه معين الدين حسن السنجري الأجميري، مات في أجمير سنة ٦٢٠ أو ٦٢٧ أو ٦٣٤هـ، وقبره محجة للمسلمين والهندوس على السواء، وقد كان لبعض أتباعها دور في نشر الإسلام بين الهندوس، ويقول مؤلف «الثقافة الإسلامية في الهند»: إنها أول طريقة أخذها أهل الهند.

---

(١) يختلف اسمه من مرجع إلى آخر، فقد ورد: روزبهار وروزبهان وروزنهار، وزون بهار، ولم يساعد الكشف على معرفة الصحيح منها.

اليـونسيـة: نسبـة إلى يونس بن يوسف بن مساعد الشيباني البخاري، لا شيخ له، مات سنـة ٦١٩هـ في قريـة «القنيَّـة» من أعـمال «داريًّا» قرب دمشق، وهي غير اليونسية الفرقة الشيعية التي ذابت فيما بعد في المتاولة، وغير اليونسية، الفرقة المرجئية.

السُّهروردية: نسبة إلى شهاب الدين عمر بن محمد السهروردي البغدادي، مات في بغداد سنة ٦٣٢هـ.

البـابـائيـة (أو البـابيـة): نسبة إلى بابا إسحاق الكفرسودي (من كفرسوت بنواحي حلب) الـتركـماني، وقيـل: نسبـة إلى بابا إلياس، أو إليهما معاً باعتبارهما شريكين، وقد بدأت شهـرة (بـابـا) في بلاد الروم (تركيا) سنة ٦٢٨هـ. قُتل بابا إسحاق سنة ٦٣٨هـ، قتله السلطـان غيـاث الدين كيخسرو الثاني السلجوقي، وعفا عن بابا إلياس، وهي غير البابية التي أنجبت البهائية.

الأكبرية (أو العربية أو الحاتمية): نسبة إلى الشيخ الأكبر... ابن عربي الحاتمي، أنـدلسي من مرسيـة، طاف البـلاد، واستقـر في دمشق، ومات فيها سنة ٦٣٨هـ، تخرج بالعريفية، ويعتبره الإسماعيلية من أعلامهم.

الشُّـوذيـة: مؤسسها أبو عبد الله الشوذي الإشبيلي المعروف بـ (الحلوي) توفي على الأرجح مع مطلع القرن السابع الهجري في تلمسان، وفي الشوذية تخرج ابن سبعين.

الحـريـرية: نسبة إلى علي بن أبي الحسن بن منصور الحريري، مات في (بُسْر) من حوران سنة ٦٤٥هـ، وقد اضمحلت الآن.

البكطـاشيـة: نسبـة إلى حاجي بكطاش، محمد بن إبراهيم بن موسى الخراساني، من أعوان بابا إلياس، نزح من خراسان إلى تركيا ومات في نوشهر حوالي منتصف القرن السـابـع الهجـري، منتشـرة في تركيـا وشرقي أوروبا ومصر، وغلو التشيع الاثني عشري واضح فيها.

الشـاذليـة: مؤسسهـا أبو الحسن علي بن عبد الله بن عبد الجبار الشاذلي، مغربي، رحـل إلى تونس وسكن فيهـا في قريـة «شـاذلـة»، ثم انتقـل إلى مصر، ومات فيها سنة ٦٥٦هـ في صحراء عيذاب وهو في طريقه إلى الحج، وكان كُف بصره، وفي بعض كتب الـرفـاعيـة أن الشـاذليـة فرع من الـرفاعية. (والشاذلي مثل غيره من الصوفية من سلالة

فاطمة الزهراء).

الأحمدية (أو السطوحية): نسبة إلى أحمد البدوي، من المغرب، هاجر أبوه إلى مكة، وهاجر هو منها إلى مصر بعد أن مر على العراق، وزار أضرحتها، أقام في مدينة طندتا (طنطا) ومات فيها سنة ٦٧٥ه‍، وسميت السطوحية لأنه كان يقيم على السطح بصورة دائمة، ويقولون: إنه كان لا يصلي، وهو (مثل غيره من الصوفية) من سلالة فاطمة الزهراء رضي الله عنها.

العَلَوية: مؤسسها الأستاذ الأعظم، محمد بن علي بن محمد... باعلوي، ولد في مدينة تريم بحضرموت، ومات فيها سنة ٦٥٣هـ.

العَلِيَّة السَّعدية: نسبة إلى سعد الدين الجباوي (من قرية جبا في الجولان)، ابن يونس الشيباني، مات حسب «أعلام» الزركلي سنة ٦٢١هـ، والظن أنه أدرك النصف الثاني من القرن السابع.

الأدهمية: نسبة إلى الشيخ أدهم؟ مدفون في القدس، ولعله من أحياء العقود الأخيرة من القرن السابع أو الأولى من الثامن الهجري.

البرهامية (أو الدسوقية) مؤسسها إبراهيم الدسوقي، من المغرب، مات في مصر سنة ٦٧٦هـ.

السبعينية: نسبة إلى ابن سبعين، أندلسي، انتقل إلى مكة ومات فيها (يقال: منتحراً) سنة ٦٦٧ أو ٦٦٨ أو ٦٦٩هـ. وأتباعها يسمون «الليسية» لأن ذكرهم كان: «ليس إلا الله».

الشُّشْتَرية: نسبة إلى أبي الحسن علي النميري الششتري، تلميذ ابن سبعين، أندلسي، مات في مصر (دمياط)، سنة ٦٦٨هـ.

السنِّيَّة السعدية: أسسها سعد الدين محمد بن المؤيد... بن حمويه، شيعي[1]، سكن سفح قاسيون في دمشق، ثم رجع إلى بلده الأصلي خراسان، انتشرت طريقته في الشام وخراسان بين السنة الذين تشيعوا اتباعاً لشيخهم، وسموه «يسعى العجم» إشارة

---

(١) الصوفية بين الأمس واليوم، ص١٣٦.

إلى الآيـة الكـريمـة ﴿وجـاءَ رجـلٌ من أقْصى المـدينـةِ يَسْعى﴾، مات في خراسان سنة ٦٥٠هـ، ويسمونه أيضاً سعد الدين الحموي، تخرج في الطريقة الأكبرية بالشيخ الأكبر نفسه.

المـولـويـة (أو الجـلاليـة): نسبة إلى المولى جلال الدين محمد بن محمد بن الحسين الـرومي، بلخي، هاجـر وهـو صغـير مع أبيـه إلى سيـواس وغيرها حتى استقر في قونية (عـاصمـة السـلاجقـة) في تركيـا، زار دمشق واتصـل بابن عربي وتلاميذه، ومنهم سعد الـدين الحمـوي والقـونوي، وفي قونية وصل إلى مقام الفرق الثاني على يد شمس تبريز محمد بن علي بن ملك داد (لعله إسماعيلي)، مات جلال الدين سنة ٦٧٢هـ.

النعـمانيـة: نسبـة إلى أبي عبـد الله، شمس الـدين، محمد بن موسى بن النعمان، مغربي، قدم الإسكندرية شابًّا ومات فيها سنة ٦٨٣هـ.

المسلّمية: شيخها حسن بن مسلَّم، مصري، مات في القاهرة سنة ٧٦٤هـ.

المنايفية: شيخها رمضان الأشعث، مات في مصر في القرن الثامن؟

الـوفـائيـة: نسبـة إلى محمد وفا بن محمد بن محمد النجم، ولد في الإسكندرية، ثم رحل إلى القاهرة، ومات فيها سنة ٧٦٥هـ، ومحمد وفا معدود من رجال السلسلة الشاذلية.

الهمـدانيـة: نسبـة إلى علي بن الشهـاب الهمـداني، فارسي، مات سنة ٧٨٦هـ، تخرج في الكبروية، ولعل اهتمامه بعبد القادر الجيلاني كان عن طريقها، وللهمدانية دور في نشر التشيع في إيران.

الـركْنيـة: نسبـة إلى ركن الـدين، أبـو المكـارم، علاء الـدولة السمناني، من قرية سمنـان في خراسـان، مات سنـة ٧٣٦هـ، تخرج في الكـبرويـة، وكـان يعـارض بشـدةٍ التصريح بوحدة الوجود.

النقشبنـديـة: أسسهـا بهاء الـدين محمد بن محمد البخاري على صورة ثورة صوفية ألغت كثـيراً من تقـاليد التصوف، من ذكر وخلوة وكرامات، وألغت بشكل خاص خرافة السلسلة الصوفية التي كانوا يرفعونها إلى علي بن أبي طالب، حيث يقول بهاء الدين: «لا

تصل سلسلة أحد موضعاً معيناً»، ويقول: «لم تصل إلى المتأخرين طريقة من أحد المشايخ»، ولكن تلاميذه عادوا فجعلوا لطريقتهم سلسلة رفعوها إلى الجنيد، وجعلوه يكلمهم ويوجههم، مات بهاء الدين سنة ٧٩١هـ، وقد تحولوا عن الجنيد فيما بعد، ففي كتاب «تنوير القلوب» مثلاً، يجعلون سلسلتهم تمر بأبي يزيد البسطامي حتى تصل إلى أبي بكر الصديق، كما عادوا أيضاً إلى الخلوة، وإلى الرقص أحياناً، وإلى بقية الصوفيات، والطريقة من الجالسة الصامتة مع شذوذ نادر.

الحُروفية: أسسها فضل الله بن عبد الرحمن الحسيني الاسترابادي، شيعي، كان يتنقل بين مدن فارس، قتل سنة ٨٠٤هـ، وسميت «الحروفية» لاعتنائهم الزائد بالحروف وأسرارها على طريقة الأوفاق والطلاسم والزايرجة واستنطاق الحروف والتنجيم، وقد اندمجت الحروفية فيما بعد بالبكطاشية وطورتها (كان الخليفة الثاني لفضل الله يسمى: «علي الأعلى»).

الصفَوية: نسبة إلى صفي الدين، إسحاق بن جبرائيل (والظاهر أنه تركي) العلوي (الحسني أو الحسيني)، توفي في أردبيل سنة ٧٣٥هـ على الأرجح، أخذ التصوف عن الشيخ إبراهيم الزاهد الكيلاني (لعلها الطريقة القادرية)، تشيع هو أو ابنه صدر الدين موسى (مات سنة ٧٩٤هـ)، كان أتباعه من السنة الذين انقلبوا إلى شيعة بسبب شيوخهم صفي الدين وأولاده وأحفاده (المؤلهين)، وكلهم من شمالي إيران، وقد قويت طريقته وكثر أتباعها في زمن خلفائه حتى استطاع أحد أحفاده (إسماعيل بن حيدر) أن يتملك بهم على إيران سنة ٩٠٥هـ.

والطرق الأربع: الهمدانية، والسنيّة السعدية، والحروفية، والصفوية، هي التي بدأت العمل على نشر التشيع في إيران، وقد ذابت السنية السعدية والحروفية، بينما تابعت الصفوية عملها حتى تحولت إلى ملك، ثم إلى فرقة جديدة أضيفت إلى الفرق الإسلامية هي «القيزيلباشية».

النوربخشية: نسبة إلى محمد بن عبد الله الملقب «نوربخش» أي واهب الأنوار، هاجر أبوه من الأحساء، وسكن في بلدة «قاين»، وانتسب أولاً إلى الطريقة الهمدانية، ثم أكد نسبته إلى علي بن أبي طالب عن طريق الكشف، فعرف أنه من سلالة موسى

الكاظم، كما عرف عن طريق الكشف أنه المهدي، وساعده على ذلك اسمه «محمد بن عبد الله»، وسمى ابنه «القاسم»، فأصبح «أبو القاسم محمد بن عبد الله»[1] (وكان يصرح علناً أن حركته ترمي إلى الجمع بين التصوف والتشيع)[1]، والملاحظ أنه شيعي، لكنه ادعى المهدوية حسب النصوص السنية، والطريقة الآن شيعية كلها، وقد ساعدت كثيراً جدًّا على انتشار التشيع في إيران والهند، مات نوربخش سنة ٨٦٩هـ[2] في الري. وفي أواسط القرن العاشر هرب شيخ النوربخشية «طاهر بن رضا الإسماعيلي القزويني» مع جمع من أتباعه إلى الهند حيث نشروا التشيع هناك مع الطريقة.

النعمتللاهية: نسبة إلى نعمة الله الولي العلوي الحلبي، ساح ولقي عبد الله اليافعي، ثم استقر في ماهان (من أعمال كرمان)، وكان مريدوه يسجدون له، ويرون أنه المعنيُّ بالآية ﴿يعرفونَ نِعمةَ الله ثمَّ يُنْكِرونَها وأكثرُهم الكافرونَ﴾، وقد صارت الطريقة كلها شيعية بعد أن كان مؤسسها سنيًّا حنفيًّا ميالاً إلى التشيع، تخرج بالشاذلية، مات سنة ٨٣٤هـ، وعمرة قريب من مائة سنة، وانتشرت النعمتللاهية في إيران والهند، وهي أوسع الطرق انتشاراً في إيران، وقد ساعدت كثيراً على انتشار التشيع هناك.

المَشَعْشِعية: مؤسسها محمد بن فلاح بن هبة الله، وهو كغيره من الأولياء، من سلالة فاطمة الزهراء، رضي الله عنها، ولعله في الأصل درزي من وادي التيم، تصوف وتفقه في مدينة الحلة بعلوم الشيعة الاثني عشرية على يد أحمد بن فهد الحلي، وتزوج ابنته، ثم تنقل حتى وصل إلى بادية خوزستان، حيث أخبره الكشف أنه المهدي المنتظر (مهدي السنة)، حصلت على يده خوارق كثيرة كثر بسببها أتباعه، وكلهم من السنة الذين تحولوا إلى مذهب شيخهم المؤله الشيعي، وكان يسمي خوارقه «التشعشع»، وكان يقطع الطرق، وينهب الحجاج، امتلك الأهواز والحويزة (العاصمة)، وأكثر بلاد خوزستان، مات سنة ٨٦٦هـ.

الشطارية: نسبة إلى عبد الله شطار الخراساني، مات سنة ٨٣٢هـ في مدينة ماندو

---

(١) الفكر الشيعي والنزعات الصوفية، فصل محمد بن عبد الله الملقب بنوربخش، وهو نقلاً عن نفحات الأنس، ص٢٨٦.

(٢) الصوفية بين الأمس واليوم، ص١٣٧.

في الهنـد الـوسطى ، وقـد كانت في القرن العاشر طريقة الهند الرئيسية ، أدخلت اليوغا في رياضتها ، واهتمت كثيراً بالسيمياء (السحر) .

المـداريـة : أسسهـا بديـع الدين مدار المكنپوري (الهند) ، مات سنة ٨٤٤هـ ، كان أتبـاعهـا من أهـل الـوحـدة المطلقـة ، أي يصـرحون بوحدة الوجود ، ومن أهل التجريد الظاهري ، يكتفون بستر العورة الظاهرة ، ويجترئون على مناهي الشرع .

العَيْدَروسية : نسبة إلى عبد الله بن أبي بكر بن عبد الرحمن العيدروس ، من مدينة «تريم» في حضرموت ، مات فيها سنة ٨٦٥هـ ، وقد تخرج في العلوية ، وهي منتشرة أكثر شيء في الهند وحضرموت .

الشـــابيَّـة : نسبـة إلى أحمـد بن مخلوف الشـابيّ ، تونسي ، مات في القـيروان سنـة ٨٨٧هـ ، وهي فرع من الشاذلية .

الجـزوليـة : نسبـة إلى محمـد بن عبـد الرحمن . . . بن سليمان الجزولي السملالي ، مؤلف «دلائـل الخـيرات» ، مات سنـة ٨٦٩ أو ٨٧٠هـ في المغـرب ، وجزولة هي إحدى قبائل البربر ، ولكنه مع ذلك من سلالة فاطمة الزهراء .

الزرّوقية : نسبة إلى أبي العباس أحمد بن أحمد بن محمد بن عيسى البرنوي الفاسي المعـروف بزروق ، يقـول عنـه أبو الفيض المنوفي في جمهرة الأولياء : «ولد يوم الخميس ١٢ محرم عام ٨٤٠ هـ ، وعاش ٦٣ سنة ، ومات سنة ٨٩٩هـ»[1] ، وقد تخرج في الشاذلية .

العيســاويـة : نسبة إلى سيدي محمد بن عيسى ، من بلاد السوس (المغرب) ، تخرج فـي الطـريقـة الجزولية ، مات في «مكناسة الزيتون» سنة ٩٣٣هـ ، ويظهر أنها والجزولية فرعـان من الـرفـاعيـة ، لأنهـما تعتمـدان الطبـول وضرب الشيش والخناجر وأكل الزجاج والحيـات ، وفيهما كثـير من المنكـرات ـ شأن كل الطـرق ـ لكن محموداً أبا الفيض المنوفي يجعل الجزولية فرعاً من الشاذلية .

الكَنكَوهية : نسبة إلى الشيخ عبد القدوس الكَنكَوهي ، هندي ، كان يصرح بوحدة

---

(١) الصحيح أنه ولد عام ٨٤٦هـ ، وعاش ٥٤ عاماً ، ومات سنة ٨٩٩هـ .

الوجود ويدعو إليها بقوة، وهي فرع من الصابرية الجشتية، مات الكَنكَوهي سنة ٩٤٤هـ.

الجهنجهانوية: نسبة إلى عبد الرزاق الجهنجهانوي، هندي، مات سنة ٩٤٩هـ، مزج بين القادرية والجشتية، وكان عالماً معروفاً، ويدعو إلى وحدة الوجود متحمساً لها ولمحيي الدين بن عربي.

المهدوية: مؤسسها «المهدي المنتظر» محمد بن يوسف الجنپوري، من جونپور في الهند، ومن أحياء القرن التاسع وأوائل العاشر الهجريين، توفي في خراسان، أخبره الكشف أنه المهدي المنتظر، وانتشرت طريقته في كجرات والدكن من بلاد الهند، وقد تحولت إلى فرقة من الفرق المنحرفة، ويجب أن لا نخلط بينها وبين المهدية السودانية التي جاءت بعدها بأربعة قرون.

الخلْوتية: نسبة إلى «أخي» محمد بن أحمد بن محمد كريم الدين الخلوتي، أخذها عن محمد ﷺ مباشرة في اليقظة لا في المنام، وكان يقول: «طريقتي محمدية»، مات سنة ٩٨٦هـ في مصر.

المجدّدية (أو الأحمدية): نسبة إلى مجدد الألف الثاني أحمد بن عبد الأحد الفاروقي السرهندي، من الهند، توفي سنة ١٠٣٤هـ / ١٦٢٥م، والطريقة فرع من الباقيّة التي هي فرع من النقشبندية، منتشرة في الهند وفي أكثر بلاد المسلمين، ولعلها غير موجودة في شمال إفريقية.

البيرامية: نسبة إلى إبراهيم (بل بيرم) بن تيمورخان، من بوسنة في البلقان، طاف البلاد، وله في كل بلد اسم، فاسمه في ديار الروم علي، وفي مكة حسن، وفي المدينة محمد، استقر في مصر، ومات فيها سنة ١٠٢٦هـ.

الوزّانية: نسبة إلى عبد الله بن إبراهيم بن موسى اليَمْلَحي المصمودي الوزاني، نسبة إلى بلدة وزان في المغرب، مات سنة ١٠٨٩هـ، الموافقة لـ ١٦٧٨م.

الذهبية: نسبة إلى آقاسيِّد محمد القريشي الذهبي، فارسي، ولعله من أهل النصف الأول من القرن الثاني عشر الهجري، والطريقة منتشرة بين الشيعة في إيران

والهند، وهي فرع من النعمتللاهية.

الـدرقـاوية: نسبة إلى العربي (أو محمد العربي) بن أحمد. . . الدرقاوي، مغربي مات سنة ١٢٣٩هـ، وهي فرع من الشاذلية.

الولي اللاهية: نسبة لولي الله، أحمد بن عبد الرحيم الدهلوي المتوفى سنة ١١٧٦هـ / ١٧٦٣م، تخرج بالطريقة الأحسنية التي هي فرع من الطريقة الباقيَّة، التي هي بدورها فرع من النقشبندية، له دور هام في نشر علم الحديث في الهند، ولعل هذا ناتج عن تأثره بدعوة محمد بن عبد الوهاب، والطريقة منتشرة في الهند.

المحمـديـة الأحسنيـة: مؤسسهـا أحمـد بن عرفـان الـبريلوي الشهيد، قاد جهاداً إسـلاميًّـا في محاربـة الاستعـمار، لكن صوفيي الهند خذلوه، لأنه ـ مع تصوفه ـ كان يقول بالنهـج السلفي، قتل مجاهـداً سنـة ١٢٤٦هـ / ١٨٣١م، وطـريقته فرع من الأحسنية (سيرد ذكرها) ولعله تخرج بالولي اللاهية.

الرحمانية: فرع من الخلوتية، تنسب في المغرب إلى محمد بن عبد الرحمن بوقبرين، مات في تونس سنة ١٠٢٨هـ، وينسبونها في بلاد الشام إلى عبد الرحمان الشريف، مات سنة ١٣٠٥هـ.

الإدريسيـة: أسسهـا أحمـد بن إدريس، مغـربي من الأدارسـة، تجول في البـلاد، واستقر في اليمن، طريقته محمدية، أخذها عن النبي ﷺ مباشرة في اليقظة لا في المنام، مات في بلدة «صبية» في تهامة عسير سنة ١٢٥٣هـ، وطبعاً رأى الرسول ﷺ في اليقظة بالكشف.

الـرشيـديـة: نسبـة إلى إبـراهيم الرشيد، تلميذ أحمد بن إدريس، سار على نفس طريقتـه، وهـو سوداني، تنقـل، ومـات في مكة سنة ١٢٩١هـ، ويجب أن لا نخلطها مع الرشيدية إحدى فرق الخوارج.

التيجانية: مؤسسها أحمد التيجاني، أخذ الطريقة عن محمد ﷺ مباشرة في اليقظة لا في المنام، مات في المغرب سنة ١٢٣٠هـ، وقد كان الاستعمار الفرنسي يشجع انتشارها في البلاد الإسلامية التي يحتلها. تسلَّك أحمد التجاني في أول أمره في الخلوتية.

السَّنُوسية: أسسها محمد بن علي السنوسي، تنقل، ومات في جغبوب (ليبيا) سنة ١٢٧٦هـ / ١٨٥٩م، وكانت ولادته في مستغانم (الجزائر)، وفي فترة ما كانت السنوسية شبيهة بالحزب السياسي ولها دور في محاربة الاستعمار.

المدنية: نسبة إلى محمد بن حمزة بن ظافر المدني، خرج من المدينة المنورة واستقر في المغرب الأقصى، وكان مبدأ ظهور طريقته عام ١٢٤٠هـ، وهي فرع من الشاذلية.

الأُوَيْسِيَّة: ينسبونها ـ زوراً ـ إلى أويس القرني (وهذا بدهيًّا غير صحيح)، ظهر أويس في خلافة عمر بن الخطاب، توفي سنة ٣٧هـ ترجيحاً، وفي السلسلة الأويسية كثير من التخليط، فهم يجعلون من شيوخ سلسلتهم: ابن خفيف، والكازروني، والكبرى، ونوربخش، ولا يستبعد أن يكون مؤسسها (جلال الدين علي أبو الفضل عنقا)، توفي في طهران سنة ١٢٩٣هـ، أو شيخه (عبد القادر جهرمي)، مات سنة ١٢٦٢هـ، وإن صعدت فلا تبعد.

الميرغنية: نسبة إلى محمد عثمان الميرغني بن محمد أبي بكر بن عبد المحجوب، من الطائف، انتقل إلى مصر، ثم إلى السودان، واستقر في «الخاتمية» جنوب «كسلا»، ومات فيها سنة ١٢٦٨هـ، وهو من تلاميذ أحمد بن إدريس.

المهدية: نسبة إلى «المهدي المنتظر» محمد بن أحمد بن عبد الله، من السودان، تلقب بالمهدي المنتظر سنة ١٢٩٨هـ، واستطاع السيطرة على السودان، توفي بالوباء سنة ١٣٠٢، ويعرف أتباعه أيضاً بالدراويش، وقد أخذت في فترة ما شكل الحزب السياسي، وهي غير المهدوية الهندية المار ذكرها.

اليَشْرطية: أسسها علي اليشرطي، مغربي هاجر إلى عكا في فلسطين ومات فيها سنة ١٣١٦هـ، وهي فرع من الشاذلية، ويتحدث الناس عن منكر فيها يسمونه «التنوير» وقد انتسب إليها السلطان عبد الحميد قبل انهياره بمدة وجيزة، على يد محمود أبي الشامات (دمشقي).

المدانية: نسبة إلى محمد المداني القصيبي التونسي، من أحياء العقود الوسطى من القرن الرابع عشر الهجري، وهي منتشرة في تونس وما حولها، وهناك من يتهم المداني بالتعامل مع الاستعمار الفرنسي.

الكَسْنْـزانيـة: نسبة إلى عبد الكريم الكسنزاني، عراقي، لعل وفاته كانت بعد عام ١٣٦٠هـ، وهي موجودة في العراق ولعلها فرع من القادرية.

الـبريلويـة: نسبـة إلى أحمـد رضـا الـبريلوي، من مدينـة بريـلي في الهند في ولاية أتّـرْبْـراديش، كان يلقب نفسـه «عبـد المصطفى»، ويدعوه أتباعه دائماً «حضرة الأعلى» وكـان شديـد سواد اللون، والبريلوية منتشرة في شبه القارة الهندية، والتشيع والانحراف واضحان فيها. مات، حضرة الأعلى سنة ١٣٤٠هـ، وكان تخرجه في القادرية.

العلاوية: نسبة إلى أحمد بن مصطفى العلاوي من مستغانم في الجزائر، مات فيها سنة ١٣٥٣هـ.

الحصافية: نسبة إلى حسنين الحصافي، مصري، من أهل النصف الأول من القرن الرابع عشر الهجري، وهي فرع من الشاذلية.

المريدية: منتشرة في السنغال، مؤسسها «أحمد بنب»، سنغالي من أحياء عام ١٩٢٦م.

الفيضيـة: شيخهـا محمـود أبـو الفيض المنوفي، مصري، أسس في عام ١٩٢٧م في القاهرة الكلية الصوفية التي بقيت حتى عام ١٩٣٣م. ولعله لا يزال حيًّا حتى كتابة هذه الكلمات؟ وهي فرع من الشاذلية.

الخليليـة: نسبـة إلى الحـاج محمد أبي خليل، من الزقازيق في مصر، توفي بعد سنة ١٩٤٠م، وهي فرع من الأحمدية.

الخَتميـة: فرع من الميـرغنية، شيخها محمد سر الختم الميرغني من أحياء ١٩٦٨م، منتشرة في السودان.

النُـورْسيـة: نسبـة إلى سعيد النورسي، أبرز المشايخ الذين لم يتعرضوا للتصفية في زمن مصطفى كمال، منتشرة في تركيا.

- إلى جانب هذه الطرق، طرق أخرى يسر الله سبحانه معرفة أسماء مؤسسيها، ولم يتهيأ لي معرفة أزمنتهم وأمكنتهم، وهي:

الجَهْـريـة: مؤسسها الخواجة أحمد السيوري!! منتشرة بين مسلمي الصين، حيث

يجعلون مؤسسها الأول عمر بن الخطاب، وينسبونها في الوقت ذاته إلى «ما هولونج»، لعله من أحياء أوائل القرن العشرين الميلادي.

البرهانية: نسبة إلى الشيخ برهان؟ منتشرة في السودان ومصر، ويجب ألا نخلطها مع البرهانية الغزالية.

المشارعة: نسبة إلى أحمد بن موسى المشْرع اليمني؟

الخشنية: نسبة إلى قطب الدين الخشني؟ وأظنها تصحيفاً من «الجشتية».

النورية: نسبة إلى نور الدين الإسفراييني، وهي غير النورية القديمة المنسوبة لأبي الحسين النوري.

الوفائية: نسبة إلى أبي الوفا لعله العراقي «تاج العارفين» من أهل النصف الأول من القرن السادس؟ إن كان ذلك فهي فرع من الصديقية، وهي غير الوفائية المنسوبة إلى محمد وفا الشاذلي المصري.

العِشْقية: نسبة إلى أبي يزيد العشقي؟ لعلها أصل للشطارية، أو لعلها فرع منها.

الغوثية: نسبة إلى غوث الله؟

العمرية: لعلها نسبة إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه! وأول من دخل بالخرقة العمرية إلى الشام هو عقيل المنبجي، ويسمونه «الطيار»، لأنه انتقل من قريته في المشرق إلى منبج في شمال الشام طائراً في الهواء. ولعل وجوده في منبج كان في العقود الوسطى من القرن السادس الهجري.

الهوازنية: أظنها نسبة إلى عبد الكريم بن هوازن؟ فإن كان ذلك فهي «القشيرية».

العفيفية: شيخها عفيفي أحمد الساكت، مصري، من أحياء ١٩٦٨م، وهي فرع من طريقة تسمى الهاشمية، وهي غير العفيفية الشاذلية.

القادرية: شيخها عبد القادر القادري، مصري، وهي فرع من طريقة اسمها «القاسمية»، وغير القادرية الجيلانية.

الصاوية: لعلها نسبة إلى أحمد الصاوي، فتكون فرعاً من الخلوتية.

الدمرداشية: لعلها نسبة إلى عبد الرحيم مصطفى الدمرداش، مصري، قريب العهد.

العزازية: شيخها إبراهيم العزاوي، (ولعلها العزاوية)، مصري من أحياء ١٩٦٨م.

الحبيبية: شيخها محمد عبد الباقي الحبيبي، مصري، من أحياء ١٩٦٨م.

المغازية: شيخها أحمد أبو الفتح المغازي، مصري، من أحياء ١٩٦٨م.

الخضيرية: شيخها محمد نور الخضيري، مصري من أحياء ١٩٦٨م.

المروانية: شيخها محمد يوسف مروان، مصري، من أحياء ١٩٦٨م.

الطرق الست الأخيرة، ليس من الضروري أن يكون مؤسسوها هم المشايخ المذكورة أسماؤهم، فقد يكون بعضهم، أو كلهم، ورثوا مشيختها عن آبائهم أو أجدادهم.

أهل الحق: طريقة متفرعة عن الصفوية، وفيها غلوها، منتشرة في القرى العراقية والإيرانية الواقعة بين السليمانية وخانقين، وهي الآن أقرب إلى أن تكون فرقة دينية.

وطرق متفرعة عن الجشتية منتشرة في الهند وفي غيرها **(أجهل عصر مؤسسيها)**:

النظامية: نسبة إلى نظام الدين البدايوني، وهي فرع من الجشتية.

الصابرية: نسبة إلى علاء الدين بن أحمد الصابر، وهي فرع من الجشتية من أهل الوحدة المطلقة.

الكَيسودرازية: منسوبة إلى السيد محمد بن يوسف الحسيني الدهلوي المدفون بكَلبركَة، وهي فرع من النظامية.

الحسامية: شيخها الشيخ حسام الذين المانكپوري، وهي فرع من النظامية أيضاً.

الصفوية المينائية: شيخها صفي الدين السائنيوري وهي فرع من النظامية أيضاً.

الفخرية: شيخها مولانا فخر الدين الدهلوي، وهي فرع من النظامية.

وطرق متفرعة عن النقشبندية ومنتشرة في الهند وفي غيرها، أجهل عصر مؤسسيها:

الباقيّة: شيخها رضي الدين أبي المؤيد عبد الباقي بن عبد السلام النقشبندي الدهلوي وقد تفرعت عنها المجددية المار ذكرها، ومنها تشعبت الطرق التالية:

الزبيرية: شيخها زبير بن أبي العلا بن محمد نقشبند، فرع من المجددية.

المظهرية: للشيخ شمس الدين حبيب الله جانجانان العلوي الدهلوي، فرع من المجددية.

الأحسنية: شيخها آدم بن إسماعيل البِنُّوْري، وهي فرع من الباقيّة، والولي اللاهية والمحمدية الأحسنية فرعان منها.

العَلَمية: للشيخ علم الله بن فضيل البريلوي، فرع من الأحسنية.

وطرق متفرعة عن النقشبندية الممزوجة بالجشتية، منتشرة في الهند

العلائية: للأمير أبي العلاء بن أبي الوفاء الحسيني النقشبندي الأكبرآبادي، وهي مزج للطريقة النقشبندية ببعض أشغال الطريقة الجشتية.

المحمدية العلائية: شيخها محمد بن أبي سعيد الكالْبوي، فرع من العلائية.

المنعمية: للشيخ منعم بن عبد الكريم البهاري، فرع من العلائية.

الأفضلية: للشيخ محمد أفضل بن عبد الرحمن العباسي الإله آبادي، فرع من العلائية.

وطرق متفرعة عن الكبروية منتشرة في الهند.

اليعقوبية: للشيخ يعقوب بن الحسن الصرفي الكشميري، وهي فرع من الهمدانية التي مر ذكرها والتي هي بدورها فرع من الكبروية.

الفردوسية: شيخها الإمام شرف الدين أحمد بن يحيى المَنيري، تخرج في الكبروية.

وطرق متفرعة عن الشاذلية، يمكن أن يكون مؤسسوها آباءً أو أجداداً للمشايخ

المذكورين وكلهم مصريون من أحياء ١٩٦٨م.

القاوقجية: شيخها محمد رضا أبو الفتح القاوقجي.

الجوهرية: شيخها رفعت الجوهري.

المحمدية الشاذلية: شيخها محمد زكي إبراهيم، ويجب ألا نخلطها مع الطرق المحمدية الأخرى.

الإدريسية: شيخها الحسن الإدريسي، وهي غير الإدريسية التي تفرعت عنها الرشيدية.

العفيفية: شيخها محمد عبد الباقي العفيفي، وهي غير العفيفية الهاشمية، وكلتاهما منتشرتان في مصر.

العزمية: شيخها أحمد ماضي أبو العزائم، منتشرة في مصر، ويوجد في سورية أيضا طريقة «العزمية» ولا أعرف إن كانت نفس هذه الطريقة المتفرعة عن الشاذلية، أم غيرها؟.

العَروسية: لعلها نسبة إلى مصطفى العروسي، شيخ الجامع الأزهر بين عامي ١٨٦٠ - ١٨٧٠م.

الناصرية، القاسمية، السالمية، الهاشمية المدنية، الحامدية.

وطرق أخرى متفرعة عن الأحمدية (السطوحية)، مشايخها المذكورون مصريون من أحياء ١٩٦٨م، ويمكن أن يكونوا ورثوا المشيخة عن آبائهم أو أجدادهم.

المنايفة: نسبة إلى عبد الله فؤاد المنوفي.

الفرغَلية: نسبة إلى أحمد صبري الفرغلي.

الشعيبية: نسبة إلى محمد حسن الشعيبي.

الشناوية: نسبة إلى حسن محمد سعيد الشناوي.

السالمية: وهي غير السالمية الشاذلية، وهما غير السالمية القديمة التي تخرج بها أبو

طالب المكي .

الكناسية ، الزاهدية ، الإمبابية ، المرازقة ، الحلبية ، التسقائية ، البيومية .

وطرق متفرعة عن الخلوتية (ولها نفس الملاحظات على سابقتها) .

المصلحية : شيخها عبد العزيز المصيلحي .

المسلمية : شيخها محمد حسن المسلمي ، وهي غير المسلمية التي مرت قبل صفحات .

العلوانية : شيخها محمد محمود علوان .

الشبراوية : شيخها مصطفى عبد الخالق الشبراوي .

الطيفية : شيخها أحمد محمد طيف .

الغُنَيْمِيَّة : كنيـة مؤسسهـا «الغُنيمي» ، لا أعـرف اسمـه ، لكن له ذرية من أحفاده هاجروا إلى دمشق ، وقد هداهم الله له المنة ، فنبذوا باطل الصوفية ، وصار منهم دعاة إلى الحق والهدى .

البهوتية : فرع من الخلوتية .

وطرق متفرعة عن البرهامية (ولها نفس الملاحظات على سابقاتها) :

الشهاوية : شيخها أبو المجد الشهاوي .

الزنُّوبية : فرع من البرهامية .

وطرق لم أستطع العثور على أكثر من أسمائها (إلا الشيء القليل) :

الخاكْسارية : فرع من النعمتللاهية ، منتشرة بين الشيعة في إيران والهند .

المغربية : لعلها فرع من الرحمانية المغربية (الخلوتية) ، ولعلها هي نفسها؟

الخـوْفيـة (أو الخفية) : أتباعها لا يجهرون بأذكارهم (الجالسة الصامتة) ، منتشرة بين مسلمي الصين ، وينسبونها هناك إلى أبي بكر الصديق رضي الله عنه .

البكرية : لعلها نسبة إلى أبي بكر بن هواري ، فتكون هي «الصديقية» .

الدرويشية: منتشرة في شمال إفريقية، ولعلها المهدية.

التسعينية: منتشرة في السودان.

البرهومية: منتشرة في السودان ومصر.

النُّورانية: منتشرة في الهند.

الغُرابية: وهي غير الغرابية، الفرقة الشيعية التي ذابت فيها بعد في المتاولة.

الدندراوية: منتشرة في العراق.

الديوبندية: نسبة إلى مدينة ديوبند في الهند.

القاسمية: هي غير القاسمية الشاذلية، وكلتاهما منتشرتان في مصر، ومنها تفرعت القادرية (غير الجيلانية).

الهاشمية: منها تفرعت العفيفية ولا أعرف إن كانت هي نفس الهاشمية المدنية، منتشرة في مصر.

الأحمدية الكتانية: منتشرة في المغرب.

الشيبانية: فرع من التغلبية الآتي ذكرها.

العزمية: منتشرة في سورية، ولا أعرف إن كانت هي نفس «العزمية الشاذلية» أم غيرها.

الكاكائية: منتشرة بين الأكراد في شمال العراق، ولعلها نسبة إلى اسم قبيلة، أو بمعنى «الأخوية».

الإبراهيمية: منتشرة في الأكراد شمال العراق، وهي الآن أقرب إلى أن تكون فرقة دينية، ومثلها: الشَّبَك، والماولية، والباجوان، وكلها منبثقة عن تفاعل بين البكطاشية والقيزلباشية.

الجنابذية: منتشرة في إيران، ولعلها حديثة العهد.

الكونايادية، الصفائية، الأوجاغية: هذه الطرق الثلاث موجودة في شمال إيران

الغربي وشمال العراق وفي الأناضول الشرقي.

السعيدية، التغلبية، الخواطرية، الحيدرية، الخزنوية، اليسوية.

كما يتحدثون عن الطريقة «المحمدية» وهي أن محمداً ﷺ يأتي بذاته ويلقنها للشيخ العارف، في اليقظة لا في المنام (أي يلقنه أورادها)، وطبعاً يرونه بالكشف.

وممن قالوا عن أنفسهم إنهم على الطريقة المحمدية: محمد الخلوتي، عبد الغني النابلسي الذي صنف فيها كتاب «شرح الطريقة المحمدية»، أحمد بن إدريس، أحمد التجاني، وطبعاً هناك غيرهم.

هذا ما يسره الله له الحمد، مع العلم أن بعض هذه الطرق اندثرت أوذابت في طرق نشأت على أنقاضها، وبدهي أن طرقاً كثيرة غيرها وجدت ولم يتهيأ لي الوقوف عليها، وخاصة ما كان في إندونيسيا، وماليزيا، وسريلانكا، وإفريقيا الوسطى والجنوبية، وفي روسيا.

وأذكِّر هنا أيضاً، أن هذه ليست طرقاً بالمعنى الصحيح، إنما هي تبعيات لمشايخ فقط، لذلك كان الصحيح أن تسمى الواحدة منها «المشيخة»، فيقال: المشيخة الرفاعية، والمشيخة القادرية، والمشيخة النقشبندية، والمشيخة السهروردية، والمشيخة البرهامية، والمشيخة الأحمدية، والمشيخة الشاذلية، والمشيخة الخلوتية... إلخ.

وفي إيران يستعملون غالباً كلمة «مكتب»، أي: مدرسة، بدلاً من كلمة «طريقة».

وهناك ملاحظة هامة جدًّا، وهي أن أكثر مؤسسي الطرق يجعلون نسبهم متصلاً بفاطمة الزهراء، ولهم في معرفة ذلك طريقان: الكشف والادعاء الجريء، والذين لا يفعلون ذلك قليلون بينهم.

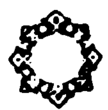
كما يلاحظ أن هناك مركزين رئيسيين كانت تنشأ فيهما الطرق الصوفية ثم تنتشر منهما في بقية البلاد.

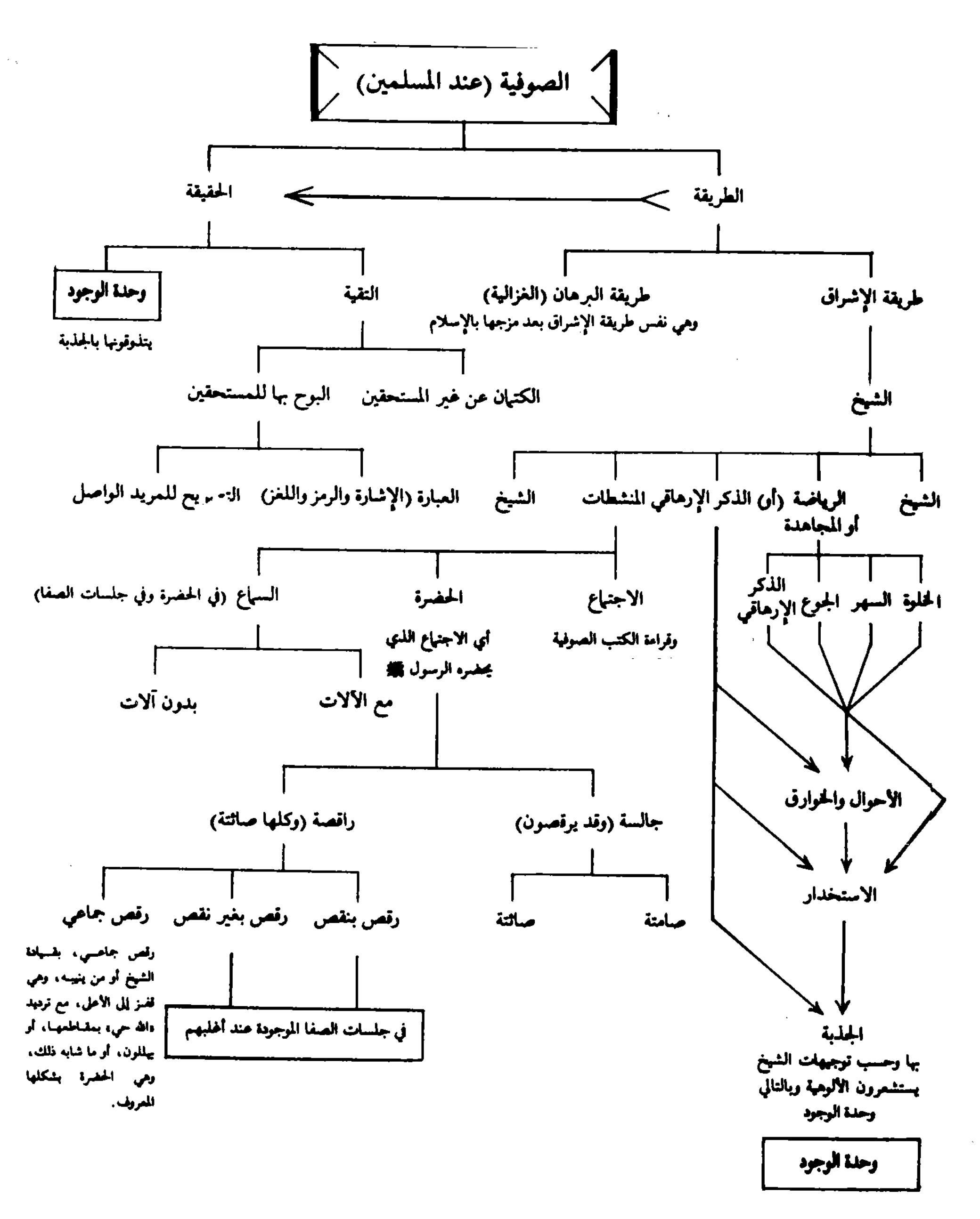
أ ـ مصر: وتأتي في الدرجة الأولى من حيث الكمية، وفي المرحلة الثانية تاريخيًّا، مع ملاحظة أن عدداً مرموقاً من مشايخها وفدوا إليها من المغرب.

ب ـ العراق: وتأتي في الدرجة الثانية من حيث الكمية، وفي المرحلة الأولى تاريخيًّا، مع ملاحظة أن عدداً مرموقاً من مشايخها وفدوا إليها من فارس.

وطبعاً؛ سيل الطرق لا ينقطع، ففي كل يوم جديد.

وقد ظهرت مؤخراً طريقة جديدة في مصر اسمها «العصبة الهاشمية والسدنة العلوية والساسة الحسينية الحسنية»، يقودها رجل من صعيد مصر يسميه أتباعه «الإمام العربي»، وهو يعتزل الناس في صومعة، ويمرون عليه صفوفاً يسلمون عليه ويحدثونه ويمنحهم البركات ويكشف لهم المخبوء، كل هذا من وراء ستار، فهم يسمعون صوته ولا يرون شكله، إلا المقربون.





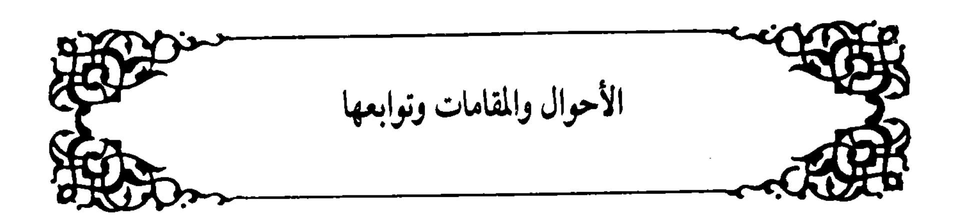
أما المقامات؛ فلعل أفضل مكان توضع فيه هو لافتات دعائية تنصب على قارعات الطرق، ويوضع إلى جانبها عباراتهم التي وضعوها كتعاريف للصوفية.

مع **ملاحظة هامة**؛ وهي أن الذكر الإرهاقي عند متصوفة المسلمين هو الأساس، وقد يغني عن الرياضة.

الباب الثالث: الوصول



الفصل الأول:



الأحوال والمقامات وتوابعها

تتردد في أقوالهم وكتبهم كلمات «الوصول والواصل والواصلون»، فما هو الوصول؟

يبدأ الوصول عادة بخرق العادة، ثم الجذبة، ثم المناظر الجذبية التي يسمونها الكشف، وقد يصل بعضهم إلى الجذبة بدون المرور بخرق العادة.

ولكنهم، في افتراءاتهم، يدّعون أمام أهل الظاهر (أهل الشريعة) أن غاية التصوف هو الوصول إلى ما يسمونه «المقامات» وكثيراً ما يؤكدون هذا في كتبهم، حتى خُدع بذلك المخدوعون، بل وخُدع به بعضهم، فأخذوا يمارسون وسائل شتى، ليتحققوا بما يتوهمونه من مقامات، فما هي هذه المقامات، وما هي الأحوال؟

التعريف نأخذه من كتاب «تربيتنا الروحية» لسعيد حوى، وهو التعريف الذي استقر عليه أكثر الصوفية منذ مئات السنين، يقول:

«يتحدث الصوفية عن شيء اسمُه «حال»، وعن شيء اسمه «مقام» ويعتبرون الحال هو مقدمة المقام، فمثلاً أول ما يبدأ الإنسان يشتغل بالذكر، يصل إلى طمأنينة مؤقتة للقلب لا تلبث أن تزول، فهذا حال، فإذا تابع الإنسان الذكر وصل إلى طمأنينة دائمة للقلب، فهذا مقام...»[1].

(١) تربيتنا الروحية، ص١٩١.

إذن . .

الحال: هو ما يرد على القلب فجأة ودون تعمد، ثم يزول بسرعة، وهو أوائل المقام.

المقام: هو استمرار الحال واستقراره ودوامه بحيث يصبح صفة دائمة لصاحبه.

وهم يختلفون في المقامات ـ نوعها وعددها ـ اختلافاً كبيراً!

فهي عند الطوسي في «لمعه» سبعة: التوبة، والورع، والزهد، والفقر، والصبر، والتوكل، والرضا الذي هو آخر المقامات[1].

وهي عند أبي طالب المكي في «قوت القلوب» تسعة: التوبة، والصبر، والشكر، والرجاء، والخوف، والزهد، والتوكل، والرضا، والمحبة[2].

وهي عند أبي بكر الكلاباذي في «التعرف لمذهب أهل التصوف» غامضة، فهو يذكر المقام ويُعرِّفه تعريفاً ينقصه الوضوح: «لكل مقام بدءٌ ونهاية، وبينهما أحوالٌ متفاوتة، ولكل مقامٍ علمٌ، وإلى كل حال إشارة، ومع كل مقامٍ إثباتٌ ونفي . . .»، حيث نرى أنه لم يكن للحال والمقام معنى واضح عنده، كما أنه يأتي بمَثَلٍ على المقام «الإيمان والأمانة»، ولم أرهما عند غيره، إلا مقام الإيمان عند السهروردي.

وبعد صفحات يفتح الكلاباذي أبواباً للتوبة والزهد والصبر والفقر والتواضع والخوف والتقوى والإخلاص والشكر والتوكل والرضا واليقين والذكر والأنس والقرب والاتصال والمحبة، وعددها سبعة عشر، لكنه لم يُسمِّها «مقامات»، وإنما جعل لكل منها باباً مثل بقية أبواب الكتاب، وعليه نستطيع أن نقرر أن المقامات لم تكن واضحة المدلول عند الكلاباذي! ولم يكن يَعْرِف ما هي!

والمقامات عند القشيري في «رسالته» غير واضحة كذلك، فبالرغم من أن تعريفه للمقام فيه شيء من الوضوح، لكن ماهية المقامات غير واضحة! فهو يورد أمثلة على النحو التالي: «مَنْ لا قناعة له لا يصحّ له التوكل، ومن لا توكل له لا يصحّ له التسليم،

---

(1) اللمع، ص٦٨ ـ ٨٠.

(2) قوت القلوب: ١ / ١٧٨.

وكذلك من لا توبة له لا تصحّ له الإنابة، ومن لا ورع له لا يصحّ له الزهد. .»[1].

مِن هذا النص نستطيع أن نقول: إن المقامات عند القشيري هي: القناعة، والتوكل، والتسليم، والتوبة، والإنابة، والورع، والزهد.

على أنه بعد صفحات، يورد أبواباً مثل بقية أبواب الكتاب للتوبة، والمجاهدة، (والخلوة والعزلة)، والتقوى، والورع، والزهد، (والصمت) والخوف، والرجاء، والحزن، (والجوع وترك الشهوة)، والخشوع، والتواضع، ومخالفة النفس، (والحسد والغيبة)، والقناعة، والتوكل، والشكر، واليقين، والصبر، والمراقبة، والرضا، والعبودية، والإرادة، والاستقامة، والإخلاص، والصدق، والحياء، (والحرية والذكر والفتوة)، وعددها ثلاثون.

ويقول عن التوبة (في باب التوبة): إنها أول المقامات، كما يخلط معها «الحسد والغيبة»، وفي هذا الكثير من الغرابة.

أما الغزالي في إحيائه، فالمقامات عنده مثيرة للاستنكار والتساؤلات!!

فهو يُقسِّم إحياءه إلى أربعة أقسام (أو أرباع)، فيجعل الربع الأول للعبادات، ويجعل الربع الرابع (الأخير) للمقامات التي يسميها «المنجيات».

ومن هنا ينبعث الاستنكار والتساؤل!!

لأن من بدهيات الإسلام، وما يُعرف من الدين بالضرورة، أن العبادات هي المنجيات، فنسأل هذا الذي سمَّوْه «حجة الإسلام» نسأله: كيف يجعل المنجيات غير العبادات؟! وما هو حكم الإسلام في هذا؟

في واقع الأمر، هذا التقسيم هو عقيدة المتصوفة جميعاً، والدليل على ذلك تقديسهم لكتاب إحياء علوم الدين، وتواصيهم بقراءته وتعلُّمه وتعليمه، حتى قالوا: «بع اللحية واشتر الإحيا»، وتقديسهم لمؤلفه وتعظيمهم له حتى سموه: «حجة الإسلام».

ومقاماته هي: التوبة، والصبر، والشكر، والخوف، والرجاء، والفقر، والزهد،

---

(١) الرسالة القشيرية، ص٣٢.

والتـوحيـد، والتـوكـل، والمحبـة، والشـوق، والأنس، والـرضـا، والنيـة (أو الإرادة)، والإخـلاص، والصـدق، والمراقبة، والمحاسبة، وعددها ثمانية عشر. هذه هي المنجيات عند حجة الإسلام!! ونعرف أن مثلها موجود في كل الوثنيات.

ننتقل إلى غيره، فنرى ابن سبعين في «بُدّ العارف» يقفز بالرقم عالياً، حيث يقول:

. . . والقسم الأول من القسم الأول[1] من التصـوف، هو الـذي أدركـه رجـال «الرسالة القشيرية»، وإليه أشار ابن العريف في «محاسنه»، و«مفاتح المحقق»[2]، وهو مُركَّب من طريق وسلوك ووصـول وفنـاء عن الـوصول، ولواحقه مائة وخمسون؛ كالصبر، والحلم، والعلم، وغير ذلك يطول ذكره، وهو مقام الغزالي، وجميع من تكلم في التصوف بالعلوم الصناعية، غير أنه لم يحققه على ما يجب[3].

- يحق لنـا أن نتسـاءل أمـام هذا النص: من أين أتى ابن سبعـين بالعـدد «مـائـة وخمسين»؟! لا نعرف. لعله كان عن طريق الكشف!!

على أن المـلاحـظ أنـه لا يهتم (هو نفسه) بالمقامات، بل ويظهر من كلامه أنه ينتقد متصوفة المقامات، ويسمِّي تصوفهم «التصوف بالعلوم الصناعية».

ومن الملاحظ أنه لا يجعلها من صميم التصوف، بل يسميها «لواحق».

كما أن من المـلاحـظ عند ابن سبعين أنه يصبُّ اهتمامه على المجاهدة، وعلى بَدْئها بالاعتقاد بوحدة الوجود، والتركيز عليها، وهذا عكس طريقة رجال «الرسالة القشيرية» الذين يُعَرِّفون السالك بوحدة الوجود بعد الجذبة، أو بعد أن يقطع شوطاً كافياً بالمجاهدة.

والمقامات عند ابن البنا السرقسطي واحد وتسعون مقاماً أو أكثر. يقول:

أُلـقَـوا إلـيـه من صفـات الـنـفس	ما كان فـيـهـا قبـل ذا من لَبْس
وهـي إذا أنـكـرتَهـا فَلْتـعـرف	إحـدى وتـسـعـين وقيـل نيِّـف[4]

---

(١) نسبة إلى تقسيم سابق لهذا الكلام.

(٢) كتابان لابن العريف «محاسن المجالس» و«مفاتح المحقق».

(٣) بد العارف، ص١٢٨.

(٤) من قصيدة «المباحث الأصلية».

يعني بقـولـه: «صفـات النفس»، الصفـات المـذمـومـة التي يدّعـون أنهم يغيرونها بالصفـات الحميـدة التي هي المقـامـات، ويقـولـون: إن كل صفة مذمومة يقابلها صفة محمودة، وبذلك تكون المقامات عند السرقسطي إحدى وتسعين ونيف.

والمقـامـات عنـد عمـر السهـروردي (إمام الوجود)، شيء آخر، يقول: . . . وإني بمبلغ علمي وقـدر وسعي وجهـدي اعتـبرتُ المقـامـات والأحـوال، وثمَّـرتُـهـا، فرأيتهـا بجميعهـا ثلاثـة أشيـاء بعـد صحـة الإيـمان . . . فصـارت مع الإيمان أربعة[1]، وهي: الإيمان، والتوبة، والزهد، والعبودية.

ويضيف: ثم يستعان على إتمام هذه الأربعة بأربعة أخرى، بها تمامها وقوامها . . . وهي: قلّة الكلام، وقلة الطعام، وقلة المنام، والاعتزال عن الناس[2] . . . .

نلاحظ في قول السهروردي البغدادي ما يلي:

١ ـ احتـاجت المقـامـات والأحـوال منـه أن يبذل وسعه وجهده، بمبلغ علمه، ليعتبرها ويثمرها، وهذا يعني بوضوح أنها مطموسة المعالم، ومجهولة الآثار، لذلك احتاجت منه هذا الجهد ليعتبرها.

٢ ـ لم يُفرِّق بين المقامات والأحوال، بل يظهر من قوله أنها عنده شيء واحد.

٣ ـ جعل الإيمان مقاماً، ولم أر أحداً شاركه هذه النظرة غير الكلاباذي.

٤ ـ جعـل قلَّة الكـلام وقلَّة الطعـام وقلَّة المنـام والاعتـزال عن النـاس مقـامـات! ولعل القـارىء انتبـه إلى أن هذه الأربعة هي عناصر الرياضة الصوفية: «الصمت والجوع والسهـر والخلوة»، أي إن السهـروردي جعـل عناصر الرياضة الصوفية من المقامات! ولعله ينفرد بهذه النظرة.

ـ وعنـد ابن عجيبـة هي: المحاسبة والمراقبة والمشاهدة والتحقق بالفناء والبقاء وعين اليقـين وحق اليقـين، وكـذلك التوبة والورع والزهد والتوكل والرضى والتسليم، فيكون عددها ثلاثة عشر مقاماً.

---

(١) عوارف المعارف في هامش الإحياء: ٤ / ٢٦١. (٢) عوارف المعارف: ٤ / ٢٦٢.

ـ وفي كتاب «الصوفية بين الأمس واليوم» يورد مؤلفه قولاً لأبي سعيد بن أبي الخير يجعل المقامات أربعين: النية والإنابة . . . وآخرها التحقيق، ثم النهاية ثم التصوف. حيث نرى فيها مقامات يكاد ينفرد بها مثل: «مقام الجهد، والولاية، والوجد، والوصال، والكشف، والخدمة، والتفكر، والتجريد، والتفريد، والانبساط» كما نراه يخلط ما قبل الجذبة بما بعدها، بينما أكثر الآخرين يجعلون المقامات في الطريق إلى الجذبة (أي قبلها).

ـ بينما نرى عبد الحليم محمود في كتابه «أبو مدين الغوث» يجعل المقامات خمسة فقط: التوبة والورع والزهد والمحاسبة والمراقبة.

وفي الطريقة القادرية يجعلون المقامات سبعة تختلف عما رأيناه، وهي: النفس الأمارة والنفس اللوامة والنفس الملهمة والنفس المطمئنة والنفس الراضية والنفس المرضية والنفس الكاملة[1].

ويجعلون الأحوال صفات للمقامات: فالنفس الأمارة حالها الميل، واللوامة حالها المحبة، والملهمة حالها العشق، والمطمئنة حالها الوصلة، والراضية حالها الفناء، والمرضية حالها الحيرة، والكاملة حالها البقاء[1].

ـ والمقامات عند عبد القادر عيسى اثنا عشر مقاماً، هي: التوبة، والمحاسبة، والخوف، والرجاء، والصدق، والإخلاص، والصبر، والورع، والزهد، والرضا، والتوكل، والشكر[2]، يذكرها في الصفحة الأولى من الباب الثالث من كتابه.

وبعد خمس صفحات يورد النص الآتي:

قال أبو بكر الكتاني وأبو الحسن الرملي رحمهما الله تعالى: سألنا أبا سعيد الخراز، فقلنا: أخبرنا عن أوائل الطريق إلى الله تعالى؟ فقال: التوبة، وذكر شرائطها، ثم ينقل من مقام التوبة إلى مقام الخوف، ومن مقام الخوف إلى مقام الرجاء، ومن مقام الرجاء إلى مقام الصالحين، ومن مقام الصالحين إلى مقام المريدين، ومن مقام المريدين إلى مقام المطيعين، ومن مقام المطيعين إلى مقام المحبين، ومن مقام المحبين إلى مقام

---

(١) الفيوضات الربانية، ص٣٧.

(٢) حقائق عن التصوف، ص٢٦٩.

المشتاقين، ومن مقام المشتاقين إلى مقام الأولياء، ومن مقام الأولياء إلى مقام المقربين[1]. . .

أي إن عبد القادر عيسى يثبت أن المقامات الخرازية، وعددها عشرة، تختلف عن مقاماته بالكم وبالكيف.

كما نرى أيضاً أن الخراز يذكر مقامات لم يقل بها الآخرون! فمقامات (الصالحين والمريدين والمطيعين والمحبين والمشتاقين. . .)، ما رأيناها فيما مر معنا من أقوالهم، ولعله ينفرد بها في طريقته؟

- كما يلاحظ أن سعيد حوى أثبت مقاماً واحداً «الطمأنينة»، ولم أجده إلا في القادرية والعيدروسية.

في هذه النصوص كفاية، تجنباً للإطالة، ويتبين منها (ومن غيرها) ما يلي:

١ - يختلفون في تعريف المقام والحال (وخاصة قرونهم الأولى).

٢ - يختلفون في عدد المقامات اختلافاً كبيراً.

٣ - يختلفون في ماهيتها (أي ما هي المقامات؟) اختلافاً مثيراً للانتباه!

٤ - بعضهم لا يهتم بها، كابن سبعين (بل كلهم).

٥ - في واقع الأمر، ليست المقامات من أهداف التصوف، وليس لها دور أو شأن في الوصول إلى الغاية التي هي الجذبة التي يذوقون فيها الألوهية ويستشعرون وحدة الوجود، وأقوالهم في هذا كثيرة جدًّا، رأينا بعضها في فصول سابقة، ونضيف إليها قولاً واحداً - تجنباً للإطالة - لعبد القادر عيسى، يقول:

فالانقطاع في الطريق مصيبة كبرى وخسران مبين، وسببه موافقة السالك لشهوات نفسه، وتطلعه للمقامات والكشوفات، وانحرافه عن مقصده الأسمى، فالسالك الصادق المخلص لا يطلب المقامات ولا يقصد المراتب والكرامات، وإنما هي منازل يقطعها في طريقه إلى الغاية الكبرى دون انحراف أو التفات.

---

(١) حقائق عن التصوف، ص٢٧٤.

وكـل مقـام لا تقـم فيـه إنـه | حجـاب فجدَّ السير واستنجد العونا
فلا تلتفـت في السير غيراً وكلُّ ما | سوى الله غيرٌ فاتخـذ ذكـرَه حصنـا
ومهـا ترى كلَّ المـراتـب تُجتـلى | عليـك فحُـلْ عنها فعن مثلها حُلنـا
وقـل ليس لي في غير ذاتـك مطـلبٌ | فلا صورة تجلى ولا طرفـة تجنـى[1]

من كل ما تقدم، نستطيع أن نقرر مطمئنين، أن المقامات هي عناوين بلا مواضيع، أو هي تنطعات دعائية، «من تنطعات ذي النون المصري»، ونرى ما يشبهها في الجينية والهندوكية والبوذية . . .

ومع ذلك فقد خُدع بها بعضهم وظنها واقعية! حيث نرى بعضهم يريد أن يصحح حالَه في التوكل، وآخر في الصبر . . . إلخ، لكن الشيوخ كانوا ينبهونه إلى غلطه.

وعلى كل حال، يجب أن نعرف أن عندهم مقاماتٍ حقيقية غير هذه، نعرفها من وصف القوم لأحوالهم ومشاهداتهم، وهي :

١ ـ مقامان هما نتاج الطريقة، أي إن الطريقة (الإشراقية) تؤدي إليهما، وهما :

أ ـ مقام الاستخدار: يفقد فيه السالك القدرة على المحاكمة الصحيحة والفهم المميِّز للأمور والأشياء، ويظهر عليه ما يُشبه الخبال، ويغدو قابلاً للتأثر بالمخدرات المعروفة (الحشيش والأفيون وزمرتهما) بكمية أقل من الكمية التي كان يتأثر بها عندما كان سليماً، وتقل هذه الكمية كلما زاد رسوخُ هذا المقام في كيانه، ولذلك كان الاسم «الاستخدار» اسماً مناسباً لهذا المقام.

وفي هذا المقام يفقد السالك أيضاً اهتمامه بأي أمر آخر من أمور الدنيا والآخرة، ولا يبقى في نفسه من شاغل إلا الوصول إلى المقام الثاني (الجذبة).

ب ـ مقام الجذبة: ويسمونها أسماء كثيرة مثل : «الغيبة، والصعقة، والمحو، والفناء عن الخلق . . .»، ويريدون بالاسم «الجذبة» أن الله سبحانه يجذب بها السالك إليه، و«الغيبة» أي عن الإحساس بالموجودات، و«الصعقة» أخذوها من الآية الكريمة

---

(١) حقائق عن التصوف، ص٢٧٧ و٢٧٨، والأبيات من قصيدة للششتري.

﴿وخرَّ موسى صَعِقاً﴾، ليوهموا أنفسهم ويوهموا الناس أن صعقة موسى صلوات الله عليه هي جذبة مثل جذباتهم، و«المحو» أي عن الشعور والإحساس، وهي تشبه الحالة التي تحصل لمتعاطي المخدرات شبهاً كاملاً، يكون فيها المجذوب نائماً مثل يقظان، أو يقظانَ مثل نائم، أو كما يصفه القشيري: «إذا كان الغالب عليه المحو فلا علم ولا عقل ولا فهم ولا حس»[1].

والجذبة هي الولاية، فكلمة الولي تعني الذي وصل إلى الجذبة، وكلمة الواصل أيضاً تعني الذي وصل إلى الجذبة.

وتبدأ الجذبة بصورة عامة بشكل «حال»، أي تكون سريعة الزوال، بطيئة المنال، ثم مع الدوام على ممارسة الرياضة، تصير «مقاماً»، أي تصير بطيئة الزوال سريعة المنال.

٢ ـ مقامان ناتجان عن توجيهات الشيخ وإيحاءاته، ويختصان بالرؤى الهلوسية (أحلام الجذبة) التي يراها المجذوب، ولولا الشيخ وإيحاءاته لكانت هذه الرؤى مثل رؤى الحشاش والأفيوني تماماً، ولذلك قالوا: «من لا شيخ له فشيخه الشيطان»، وقالوا:

وصحبة شيخ وهي أصل طريقهم   فما نبتت أرض بغير فلاحة

وهاذان المقامان هما:

أ ـ مقام الجمع، أو الفناء في الله، أو الحضور بالله، أو الوجود، أو الإحسان، أو الحرية (مقابلة مع العبودية). . . إلخ. تمتاز أحلام الجذبة، عموماً، بالجرأة البعيدة والقفز فوق الواقع، وتكون متناغمة كلها مع عواطف المجذوب وأمانيه ومعلوماته المختزنة، لذلك يعمل الشيخ على حقنه بعواطف وأماني جديدة تدور كلها حول رؤية الأنبياء والملائكة ثم العروج إلى الله (جل وعلا)، ثم الفناء فيه، أي: التحقق بالألوهية، وهو مقام الجمع الذي تبدأ رؤاه بشكل «حال»، ثم تتطور حتى تصير «مقاماً»، وتعني كلمة «الجمع» أي جمع الخالق والمخلوق في وحدة واحدة.

وفي هذا المقام تنطلق العبارات المخيفة مثل: «أنا الله، سبحاني، لا إله إلا أنا. . .»،

---

(١) الرسالة القشيرية، ص٣٥.

وما شابهها، وهي عبارات تقود قائلها إلى سيف الردَّة وتدفع المسلمين للانتفاض على الصوفية والقضاء عليها مهما كانت غفلتهم، لذلك يعمل الشيخ على إيصال المجذوب إلى مقام البقاء.

ب ـ **مقام البقاء**، أو صحو الجمع، أو الفرق الثاني، أو الفرق في الجمع، أو الجمع في التفرقة، أو الإطلاق، أو العبودة (يجعلون في افتراءاتهم كلمة «عبد» في الآية ﴿سبحان الذي أسرى بعبده﴾ أنها من العبودة).

يبدأ الشيخ بتدريب المريد على العودة إلى الإحساسات العادية والتمييز، ليعترف أمام الناس بالمخلوقية والعبودية مع تحققه بالألوهية، حيث تتحقق حكمتهم أو قانونهم: «اجعل الفرق في لسانك موجوداً، والجمع في جنانك مشهوداً»، وهم يفترون على الأنبياء أنهم كانوا في هذا المقام، وهو عندهم مقام الكمَّل.

٣ ـ مقام لا علاقة له بالطريقة ولا بالشيخ هو «جمع الجمع» أو «البقاء في الله» وقد يسميه بعضهم «الإطلاق».

وهم يختلفون في تعريفه، فهو عند بعضهم الاستغراق في مقام البقاء، بحيث يصبح الواصل دائم الشعور بالألوهية، وأنه هو الله (جل وعلا)، بكل أسمائه وصفاته، وبنفس الوقت يرى نفسه ويرى الأشياء كما يراها الآخرون.

وهو عند بعضهم الآخر الغيبة الدائمة عن الإحساس، والجذبةُ المستمرةُ ليلاً ونهاراً بحيث يفقد الشعور، ومثل هذا يُهمل كل شيء من أمور الدين وبعضَ أمور الدنيا (مثل أحمد البدوي وغيره). ومنهم من يبقى عرياناً مكشوف العورة أمام الناس، ومنهم من يقبع في مكانٍ ما من الجبال أو البراري فاقد الوعي (وكشف العورة حالةٌ ملازمة). ومنهم من يأتي البهائم في الشوارع أمام الناس، ويؤولون له ذلك بأن سفينة في البحر على وشك الغرق وهو يسندها لينقذها، إلى آخر القائمة التي تحتوي أمثال هؤلاء المخابيل الذين نراهم في الأسواق، وفي مستشفيات المجانين، وفي مخابىء التحشيش.

٤ ـ مقامهم قبل الأخير في الموقف بين يدي الله، ﴿يوم ينظر المرء ما قدمت يداه ويقول الكافر يا ليتني كنت تراباً﴾.

هذه هي المقامات الحقيقية، ولا شيء غيرها، إلا دجلياتهم.

مع العلم أن أول من تكلم بمقاماتهم الموهومة، ووضع لها بعض الأسماء هو ـ كما يقولون ـ ذو النون المصري، ولعله أراد بذلك الدعاية للتصوف، ولعل الجنيد أراد منافسته فسبقه بأشواط.

وهذه بعض أمثلة من بعض ممارساتهم لبعض مقاماتهم التي يتنطعون بأسمائها:

● **من مقام التوبة:**

يقول الغزالي في «كتاب التوبة، وهو الأول من ربع المنجيات»:

. . . وحُكيَ عن أبي عمرو بن علوان، في قصة يطول ذكرها، قال فيها: كنت قائماً ذات يوم أصلي، فخامر قلبي هوى طاولته بفكرتي، حتى تولَّد منه شهوةُ الرجال، فوقعت إلى الأرض، واسودَّ جسدي كله، فاستترت في البيت، فلم أخرج ثلاثة أيام، وكنت أعالج غسله في الحمام بالصابون، فلا يزداد إلا سواداً، حتى انكشف بعد ثلاث، فلقيت الجنيد، وكان قد وجّه إليّ فأشخصني من الرقة، فلما أتيته قال لي: أما استحييت من الله تعالى؟ كنت قائماً بين يديه، فساررت نفسك بشهوة حتى استولت عليك بِرقّة، وأخرجتْك مِن بين يدي الله تعالى! فلولا أني دعوتُ الله لك، وتبتُ إليه عنك، للقيت الله بذلك اللون؟ قال: فتعجبت كيف علم بذلك؟ وهو ببغداد وأنا بالرقة[1]! اهـ.

● **الملاحظات:**

ـ نلاحظ أنه تاب عن غيره، ويكفي لبيان هذا الضلال آيتان من عشرات الآيات والأحاديث: ﴿قلْ إنِّي لا أملِكُ لكم ضرًّا ولا رشداً . قل إنِّي لَن يُجيرَني مِن الله أحدٌ ولَن أجدُ مِن دونه ملتَحَداً﴾.

ـ ونلاحظ أيضاً أنه جعل سواد الجلد في الدنيا عقوبةً من الله! وهذا جهل بالإسلام، إذ لو كان السواد في الدنيا عقوبة أو سوءاً، لما كان بلال أسود البشرة، كما أن القرآن الكريم يخبرنا أنه ما من أمة إلا وظهر فيها نبي منها ﴿وإنْ من أمةٍ إلا خلا فيها

---

(١) الإحياء: ٤ / ٤٨، ونشر المحاسن الغالية، ص٦٨ وغيرها.

نذيرٌ﴾، و﴿ما أرسلنا من رسولٍ إلا بلسانِ قومِه﴾، وهذا يعني أن الأمم الزنجية، مثلهم مثل غيرهم، ظهر فيهم أنبياء زنوج، فهل كان هؤلاء الأنبياء مغضوباً عليهم من الله سبحانه بسبب سواد بشرتهم؟!

ـ ثم لنلاحظ الدور الواضح الذي قامت به شياطين الجن في هذه التمثيلية وأمثالها.

ـ هذه صورة من مقاماتهم التي يسميها الغزالي «المنجيات». وصورة أخرى:

● **من مقام التوكل:**

يقول الغزالي إياه، في إحيائه إياه: .

. . . قال أبو موسى الديلي: قلت لأبي يزيد: ما التوكل؟ فقال: ما تقول أنت؟ قلت: إن أصحابنا يقولون: لو أن السباع والأفاعي عن يمينك ويسارك، ما تحرك لذلك سرُّك. فقال أبو يزيد: نعم، هذا قريب، ولكن لو أن أهل الجنة في الجنة يتنعمون، وأهل النار في النار يُعذَّبون، ثم وقع بك تمييزٌ بينهما، خرجْتَ من جملة التوكل[1]. . . اهـ.

هذه صورة من مقام التوكل عندهم، الذي هو من المنجيات عند الغزالي! ولا أرى حاجة للتعليق عليه، فهو أوضح، بل أقبح، بل أبعد ضلالاً من أن يحتاج إلى تعليق (أهل النار وأهل الجنة سيان!). وصورة ثالثة:

● **من مقامي التوكل والصبر:**

يقول الغزالي نفسه:

. . . والمتوكلون. . على ثلاثة مقامات. الأول: مقام الخوّاص ونظرائه، وهو الذي يدور في البوادي بغير زاد، ثقة بفضل الله تعالى عليه في تقويته على الصبر أسبوعاً وما فوقه، أو تيسير حشيش له أو قوت، أو تثبيته على الرضا بالموت إن لم يتيسر شيء من ذلك[2]. . . اهـ.

ـ لست أدري إلى كم من الصفحات يحتاج التعليق المفصّل على هذه الضلالات،

---

(١) الإحياء: ٤ / ٢٢٧.

(٢) الإحياء: ٤ / ٢٣٠.

لكن بإيجاز الدوران في البوادي بغير زاد ليس من الإسلام، وهو بذلك مَوْزور لا مأجور، وإن مات فهو كالمنتحر.

ـ وهناك ملاحظة يحسن التنويه بها، وهي ادعاؤهم أن المقامات هي من السلوك ومن الطريقة، ويدَّعون أن الشيخ يُسَلِّك مريدَه في المقامات حتى إذا تحقَّق بمقام نقله إلى مقام أعلى . . . وطبعاً؛ هذا أسلوب في الدعاية ناجح.

● **قصة للتسلية:**

يورد الغزالي في الإحياء:

. . . فإذا ضيَّع جميعَ عمره في إصلاح نفسه فمتى يتنعَّم بالقرب؟ ولذلك كان الخوّاص يدور في البوادي، فلقيه الحسين بن منصور (الحلاج)، وقال: فيم أنت؟ قال: أدور في البوادي أصْلِحُ حالي في التوكل، فقال الحسين: «أفنيتَ عمرك في عمران باطنك! فأين الفناء في التوحيد؟!»، فالفناء في الواحد الحق هو غاية مقصد الطالبين ومنتهى نعيم الصديقين[1]. . أهـ.

ـ هذه القصة تتكرر في كتبهم، ونستفيد منها ما يلي:

١ ـ كان الخوّاص مِن الذين يظنُّون أن المقامات واقعية، ذات وجودٍ في الطريق، لذلك كان يريد إصلاح حاله في التوكل حتى يصير هذا الحال مقاماً عنده.

٢ ـ نبَّهه الحلاج إلى أن هذا ليس هدفاً، والهدف هو الفناء في التوحيد (ونعرف الآن ما معنى الفناء في التوحيد).

٣ ـ يقرر «حجة الإسلام» أن الفناء في الواحد الحق (أي استشعار وحدة الوجود باستشعار الألوهية) هو غاية مقصد الطالبين . . . وهذا يعني أن المقامات ليست هناك.

٤ ـ يستشهد الغزالي بالحلاج، ويأخذ عنه الحكم والحكمة (في عدة مواضع من الإحياء)، وهذا يدل على أنه مُزكّى عنده، وأنه يدين بما كان يدين به، وكل الصوفية مثله.

---

(١) الإحياء: ٤ / ٣٦٨.

□ خرق العادة:

في غالب الأحيـان، وبعـد ممارسـةٍ طويلة (وقد تقصر في النادر) لما رأيناه من الرياضة الصـوفيـة، يحدث للسـالك، أو أمامه، أمور غير عادية لا يُعرف لها سبب، هي «خوارق العادة» التي يُصرُّ المتصوفة إصراراً عجيباً على تسميتها «الكرامات» حتى جعلوا التصديق بها عقيدة لا يكمل إيمانهم إلا بها:

وأثـبِـتَـنْ للأولـيـا الـكـرامـة ومَـن نفـاهـا فانـبِـذَنْ كلامـه

مع العلم أن الهنـدوس والطـاويـين. . . والكهـان في الملل الـوثنيـة، والسحـرة الحقيقيين، يفعلون مثلها، وأكثر منها، بل المتصوفة أنفسهم، تكون سرعتهم في الوصول إليها على قدر غلوهم في الشرك بالله في شيخهم.

وفي ما يأتي سنـرى نماذج كثـيرة من «كراماتهم» هذه، وسنرى أنها ليست كرامات، وإنـما هي خوارق شيطـانيـة، يستـدرج بها شيـاطـين الجن هؤلاء القـوم إلى شبـاكهم، فيصيدونهم، ثم يجعلون منهم «دودة الفخ» ليصيدوا بهم.

وهم دائـماً يتـواصـون فيما بينهم، ويوصون مريديهم، ألا يلتفتوا إلى الكرامات لأنها تَشغَلُهم عن الـوصـول إلى التحقق بالألـوهيـة (أي مشـاهدة السالك أنه هو الله). ومن أقوالهم في ذلك:

«اعلم أن المريد الصادق إذا اشتغل بالذكر على وجه الإخلاص، يظهر عليه أحوال عجيبـة وخـوارق غريبـة، وهي ثمرات أعماله مِن فضل الله تعالى عليه، إما تطميناً لقلبه وتأنيسـاً، وإمـا ابتلاءً من الله تعالى وامتحاناً له، فالواجب عليه ألا يلتفت إليها ولا يغتر بها، لئـلا ينقطـع بها عن مقصـوده، ولهـذا قال العارفون بالله تعالى: أكثر من انقطع من

المـريـدين بسبب وقوعهم في الكرامات[1]. . . . بل الكرامة العظمى الوقوف على حدود الشريعة الغرَّاء، واتباع السنَّة الواضحة البيضاء.

ـ أقـول: هذه الجملة الأخـيـرة هي مغـالطة يردِّدونها بحسن نية، وذلك أن الإشراق (الـذي هو الصـوفيـة) يبقى ضلالاً وزنـدقة ولو مُزِجَ بالوقوف على حدود الشريعة الغراء واتِّباع السنَّة الواضحة البيضاء.

وخـوارق العـادة ـ في الـواقع ـ متنوعة، لكن لا تحدث كلها لأي واحد منهم، بل قد يحدث بعضها لبعضهم، ويلاحَظ أنها ـ كلها ـ مما يقوم به شياطين الجن استدراجاً وجرًّا لهم إلى وهدة الضلال والإضلال.

والخـوارق التي يقـوم بها متصـوفـة الهنـدوس وغـيرهم أكثر تنوعاً وأعجب مما يقوم به متصـوفـة المسلمين، فقـد يطـير ون في الهـواء، ويمشون على الماء، ويدخلون في النار، ويرفع أحدهم يده في الظلام فيخرج منها نورٌ يضيء الغابة وغيرها، وضرب الشيش هو أشهر خوارق متصوفة المسلمين، وهو موجود في الطريقة الرفاعية والجزولية. . .

وأكرِّر القول إنها كلها مما يستطيع شياطين الجن تمثيلها أمام أوليائهم.

أمـا المشـاهـد الضخمـة ذات الأبعـاد الـواسعـة التي تتجاوز حجوم الجن وقدراتهم الطبيعيـة، كقطـع الأرض بخطوة أوخطوات، والصعود فوق جبل قاف، ورؤ ية النفس أطـول من السـماوات، أو العـروج إليهـا، ورؤ يـة الله (جـل الله وعـلا)، والفنـاء فيه، واستشعـار الألـوهية (سبحان الله عما يصفون)، وذوق معانيها، فهذا بحاجة إلى الجذبة وأوهامها، وتشويهها لوظائف الدماغ الطبيعية التي طبعها الله عليها.

والجذبة هي الوصول، أو هي أول الوصول.

وهي الفتـوح، وعنـدمـا نسمـع من يدعو لآخر بقوله: «الله يفتح عليك» فعلينا من الآن فصاعداً أن نعرف أن معناها: «أوصلك الله إلى الجذبة».

فما هي الجذبة؟

---

(١) السعادة الأبدية فيما جاء به النقشبندية، ص٣٧.

□ الجذبة:

وأخيراً، وبعد أن اجتزنا الطريق، فإلى أين نصل؟ وإلى أين تقود الطريقة؟

إن الطـريقـة كلهـا، بشركها ووثنيتها ونَصَبها وخلوتها وسهرها وجوعها هي من أجل الوصول إلى الجذبة ورؤ اها.

والجـذبـة أو الصعقة أو الغيبة أو المحو أو السكر، هي حالة نفسية يَفْقِد بها المجذوب إحساسه بما حوله وبالواقع، ويرى فيها ويسمع ويحسُّ رؤ ى وأصواتاً وإحساساتٍ غريبة ومتنـوعـة، وهي تشبه حالة الغيبة التي تصيب متعاطي المخدرات شبهاً تامًّا مظهراً ومخبراً ورؤ ى وإحساسات.

وعنـدمـا يصـل سالكهم إلى الجـذبـة يصبـح وليًّا! فكلمة الولي تعني أنه وصل إلى الجـذبـة ليس غير، وهي التي يسمـونهـا الفتح، أو خرق الحُجب، والكشف هو ما يرونه ويسمعونه فيها.

وهي الهـدف الـذي يسعـون إليه، ويتوهمون أن الله سبحانه يجذبهم بها إليه، وهذه بعض أقوال لبعض أقطابهم وعارفيهم تدل على ذلك:

يقول شهاب الدين السهروردي البغدادي:

«. . . وقد ورد: جذبةٌ مِنْ جذبات الحق توازي عمل الثقلين»[1].

ويقول الشيخ حماد بن مسلم الدباس[2]:

---

(١) عوارف المعارف في هامش الإحياء: ٢ / ٩١.

(٢) أحد العلماء الراسخين في علوم الحقائق، صحب الشيخ عبد القادر الجيلاني، وانتمى إليه معظم صوفية بغداد.

«. . . وإن قال لك: اعبدْني، قل: وفقني، وإن قال لك: وحِّدْني، قل: اجذبني»[1].

ـ لننتبه إلى ربطه التوحيد بالجذبة، ولنتذكر ماذا يعنون بكلمة «التوحيد».

وكان داود الكبير بن ماخلاَّ يقول:

الحال ما جذبك إلى حضرته، والعِلْمُ ما ردَّك إلى خدمته[2].

ويقول الشيخ بهاء الدين المجذوب[3]:

. . . وذلك أن كل حالة أُخذ العبد عليها، يستمر فيها، ولو خرج عنها يرجع إليها سريعاً، حتى إن من المجاذيب من تراه مقبوضاً على الدوام، لكونه جُذب على حالة قبض؛ ومنهم من تراه مبسوطاً، وهكذا. . وكان الشيخ فرج المجذوب رضي الله عنه لم يزل يقول: «عندك رزقة فيها خراج ودجاج وفلاحون»، لكونه جُذب وقت اشتغاله بذلك؛ وزمنُ المجذوب مِن حين يجذب إلى أن يموت زمنٌ فرد، لا يدري بمرور زمانٍ عليه. ورأيت ابن البجائي رضي الله عنه، لم يزل يقول: «الفاعل مرفوع والمخفوض مجرور، وهكذا»، لأنه جُذب وهو يقرأ في النحو. ورأيت القاضي ابن عبد الكافي رضي الله عنه لما جُذب لم يزل يقول ـ وهو في بيت الخلاء وغيره ـ: «ولا حق ولا استحقاق ولا دعوى ولا طلب ولا غير ذلك»[4].

ويقول الشيخ عبد القادر الدشطوطي[5]:

. . . الناس معذورون، يقولون: «عبد القادر ما يصلي»، والله ما أظن أني تركت الصلاة منذ جُذبت، ولكن لنا أماكن نصلي فيها[4]. . . .

ويقول عبد العزيز الدباغ:

---

(١) طبقات الشعراني: ١ / ١٣٥.

(٢) طبقات الشعراني: ١ / ١٩٤.

(٣) من أكابر العارفين، مات في القاهرة بعد سنة ٩٢٠هـ.

(٤) طبقات الشعراني: ٢ / ١٣٩.

(٥) من أكابرهم، كف بصره، مات في القاهرة بعد سنة ٩٣٠.

. . . إن الله تعالى لا يحب عبداً حتى يُعرِّفه به، وبالمعرفة يطَّلع على أسراره تعالى، فيقع له الجذب إلى الله تعالى[1]. . .

ويقول عمر بن الفارض في التائية الكبرى:

فمنِّيَ مجذوبٌ إليها وجاذبٌ إليه، ونزعُ النزعِ في كل جذبة
وما ذاك إلا أن نفسي تذكرتْ حقيقَتها من نفسها حين أوحتِ
فحنَّت لتجريدِ الخطاب ببرزخِ التراب، وكلٌّ آخذ بأزمَّتي

ويقول علي الخواص البرلّسي:

إنما سمي المجذوب مجذوباً لأن العبد لم يزل يتعشق حاله ويألفه ولا ينجذب عنه إلا بما هو أقوى منه، وإذا أراد الله تعالى أن يخلص عبداً ويستخلصه لنفسه جذبه عما كان واقفاً معه من أمر الدنيا والآخرة، فإذا تعشق بما جذبه الحق إليه ثانياً جذبه به عنه ثالثاً[2]. . .

ويقول ولي الله الدهلوي:

. . . وأما طريق وصولهم إلى هذا الكمال المطلق، فهو أنهم ينجذبون إلى الله سبحانه، فيقطعون نور الغيب وغيره، حتى يصلوا إلى ميادين الأسماء. . . ثم يضمحلون في التجلي الذاتي[3]. . .

ويقول عبد الله بن أبي بكر العيدروس:

. . . وحقيقة العارف سائر طائر، ثم السير يستدل بالطير، فالسير يكون في مقامات النفس المطمئنة، والطير يكون في مقامات الروحانية العلوية، ثم يستدل الطير بالجذبات السرية؛ فالجذبة تبعده عن أنيته وتقربه لهويته، إلى أن تورث الجذبة المشاهدة، فالمشاهدة أحضرته معه وغيبته عنه إلى أن ظهر بالعيان[4]. . .

ويقول محيي الدين بن عربي في الباب ٢١٦ من «الفتوحات المكية»:

---

(١) الإبريز، ص٢١٧.
(٢) طبقات الشعراني: ٢ / ١٥٦.
(٣) الخير الكثير، ص١٠٢.
(٤) الكبريت الأحمر والإكسير الأكبر، ص٧٧.

. . . إنما سمي مجذوباً لجذب الحق تعالى له، وأخذه بأعطافه، ولولا أنه كان متعشقاً بحاله، مستحسناً له، ما جذبه الحق تعالى، فكأن سبب هذا الكشف تعشق أحواله الطبيعية، ولولا الجذب العنيف ما ترك ما كان فيه[1] . . . .

ويقول محمد مهدي الصيادي الرواس:

وبويعت في الحضرة: على المباعدة عن أصحاب دعوى الولاية والمحو الذين تحقق أنهم ليسوا من أهل الانجذاب والغيبة، فإن أولئك من اللصوص والدجالين؛ وكأنهم المقصودين بسر قوله تعالى: ﴿وَمَن أظلمُ ممَّنِ افْترى على الله الكذبَ﴾[2].

ومن أوراد الشاذلية (مناجاة ابن عطاء الله السكندري):

« . . . حققني بحقائق أهل القرب، واسلك بي في مسالك أهل الجذب . . . »[3].

ومن الأوراد الخلوتية (من منظومة أسماء الله الحسنى):

ومُنَّ علينا يا ودود بجذبةٍ بها نلحقُ الأقوامَ مَن كان قبلنا

ومن الأدعية التيجانية:

اللهم اجذبني إليك قلباً وقالَباً بجواذب عنايتك، وألبسني خلعةَ استغراق أوقاتي في الاشتغال بك[4] . . .

ويقول الدكتور عبد الحليم محمود:

. . . إننا لا نتحدث هنا عن طريق الاجتباء، فإنه في حقيقة الأمر ليس طريقاً بالمعنى العادي: إنه جذبة مِن جذبات الحق في لحظةٍ بَعْدَها يتبدل المرء حالاً بعد حال، ويدخل رحاب الحق جل وعلا، عبداً من عباده المخلصين[5] . . . .

ويقول الدكتور سيد حسين نصر:

(يتكلم عن المرشد) إلى أن يقول: مثل هذا الشخص، إما أنه مسافر أدركته البركة

---

(١) اليواقيت والجواهر: ١ / ١٣٦.
(٢) فصل الخطاب، ص١٣٧.
(٣) النفحة العلية في أوراد الشاذلية، ص٢٤.
(٤) ميزاب الرحمة الربانية، ص٢٣.
(٥) ذو النون المصري، ص٤٩.

الإلٰهيـة فهـو «سـالـك مجذوب» كان قد عبرَ أولاً جميـع المفـاوز والأخـاديـد التي تعـترض الـروح . . . لكنـه بمسـاعـدة الجذب الإلٰهي بعد ذلك عاد من مقامات القلب ومَصاعد الـروح، وبَلَغ عالم الكشف واليقـين . . . أو أنـه ذاك الـذي جذبته البركة الإلٰهية فسلك الطريق فهو «مجذوبٌ سالِك»، وكان قبلاً قد عَبَرَ بمساعدة الجذب الإلٰهي جميع المقامات وبَلَغ عالَم الرؤ يا والكشف عن الحقائق الإلٰهية[1] . . .

ـ تجنباً لزيادة الإطالة نكتفي بهذه الأقوال الكافية:

إذن؛ فالجذبة هي الهدف الذي يسعون إليه، وهي الفتوح، وعندما نسمع مَن يدعو لآخر بقوله: «الله يفتح عليك» فعلينا منذ الآن أن نعرف أن معناها «أوصلك الله إلى الجذبة».

وأكرر القول بأنها تُشْبه الحالة التي يقع فيها متعاطي المخدرات (الحشيش أو الأفيون والمـورفـين والايثـير وغيرها . .) شبهاً دقيقاً، مظهراً ومخبراً، ورؤ ىً وهلوسات، مع أخذ الدور الذي يلعبه الشيخ وتوجيهه، وإيحاءات الجو الصوفي، بالاعتبار.

وأكـرر أيضـاً أنهم يعتقـدون أن الله يجذب السـالـك إليـه فتحـدث له هذه الحالة، ولذلك يسمونها الجذبة، ويسمون الواصل إليها وليًّا.

وهم يعنـون بقـولهم: «الله» الألـوهية التي يعتقدون أنها باطنة في الإنسان، وفي كل شيء، وأنه محجوب عنها، أو عن الإحساس بها، بالوهم، (أي الوهم أنه مخلوق وأنه غير الله).

هذه الألوهية الباطنة فيه تجذبه إليها، فيفقد إحساساته بالظاهر وبالمخلوقية، حيث تتجـه تلك الإحسـاسـات إلى باطنـه، إلى إلٰهيتـه التي كان محجـوبـاً عن الإحساس بها بالوهم، هكذا يعتقدون!

يرى المجذوبُ أثناء الجذبة رؤ ىً ومشاهداتٍ تختلف باختلاف الأشخاص والأزمنة والأمكنـة والثقـافـات، واختـلافُ الـرؤ ى حسب الثقـافـات تعني أن الرؤ ى التي يراها المتصوف المسلم تختلف بعض الشيء عن رؤ ى المتصوف المسيحي، وهذه تختلف بعض

---

(١) الصوفية بين الأمس واليوم، ص٧٥ و ٧٦.

الشيء عنها عند الهندوسي . . وهكذا.

والجذبة ـ كما رأينا ـ حالة يفقد فيها المجذوب الشعور بما حوله، ويرى ويسمع أشياء لا وجود لها، وقد تأتيه الجذبة ماشياً أو قائماً أو قاعداً أو مستلقياً أو منفرداً أو في جماعة إن كان من الكمَّل، ونظريًّا يمر الولي (الذي وصل إلى الجذبة) في المراحل التالية:

ـ تكون الجذبات الأولى قصيرة ومتباعدة وخفيفة، والعكس ممكن.

ـ مع الاستمرار على ممارسة الرياضة، وبعد زمن قد يطول وقد يقصر، تزداد الجذبات عمقاً وطولاً وتقارباً.

ـ أما المشاهدات (الكشوف)، فكثيراً ما تتجاوز حدود المقاييس العادية، وحدود المعقول لتتخطاها إلى اللامعقول، فيرى نفسه أطول من السماوات، أو يرى نفسه يعرج فيها من سماء إلى سماء حتى يصل إلى العرش، وطبعاً يراها كما يتوهم أنها هكذا، لا كما هي على حقيقتها.

ـ وقد يرى مخلوقات ضخمةً بأشكال مختلفة، يخال بوهمه، أو بتوجيهات شيخه أنها ملائكة.

ـ وقد تكون الرؤى في المقاييس العادية، فيرى أشخاصاً يتوهم أنهم أنبياء أو أولياء حسب توجيهات شيخه وطموحاته.

ـ يستمر السالك على المجاهدة ويزداد إصراراً عليها، لأن كل هذه الرؤى ليست هي غايته، حتى يرى نفسه جالساً مع الله (جل جلاله)، يحادثه ويسامره! وطبعاً هذا كله تابع لتوجيهات الشيخ، ويكون الحضور مع الله (جل الله) بشكل من الأشكال التالية:

* إما أن يرى المجذوب نفسَه يعرج في السماوات حتى يصل إلى العرش، وهناك يجتمع مع الله (سبحانه وتعالى عما يصفون).

* أو أن يرى الله (جل وعلا) ينزل إلى جانبه ويحادثه، وقد يرفعُه بين يديه ويجوّله في السماوات.

* أو أن يرى نفسه مجتمعاً مع الله (تعالى) في مكانٍ آخر.

وهذا ما يسمونه «المحاضرة».

وفي كل الحالات يجد لذة عظيمة، ورغم كل ذلك فليس هذا هو الغاية.

ـ يستمر السالك على المجاهدة، وتتكرر المحاضرات وتتطور حتى يرى المجذوب في إحدى جلساته مع الله (جل وعلا) أن الله سبحانه يدمجه في اسم من أسمائه، أو في مكان ما من ذاته (سبحانه عما يصفون)، وهذا ما يُسمونه «المكاشفة»، ويسمونه «الفناء في الله»، وقد يسميه بعضهم «الإحسان».

ـ ويستمر السالك على المجاهدة، ويتطور الفناء في الله ويزداد عمقاً ونشوة ولذة، وينتقل من اسم إلى اسم، (وهذا التدرج ليس ضروريًّا دائماً)، حتى يصل إلى الفناء في الاسم «الرب» أو «الرحمن» على اختلاف بينهم، وهذا الاسم هو أعلى الصفات الإلٰهية عندهم، فيكون قد وصل إلى قمة المكاشفة، ومع ذلك فليس هذا هو الغاية، إن الغاية هي التحقق بالاسم «الصمد» أو «الله».

ـ ومع المثابرة على المجاهدة، يقفز إلى الاندماج في الذات الإلٰهية كلًّا في كلٍّ (تعالى الله عما يفترون)، فيرى نفسه أنه هو الله (سبحان الله) بجميع أسمائه وصفاته! وهذا ما يسمونه «المشاهدة» أو «الجمع» أو الفناء في الاسم الأعظم؛ الله، الجامع لكل الأسماء والصفات، وعند بعضهم هو «الإحسان»..

وهذه المشاهدات (أو الهلوسات) هي ما يعبِّرون عنها بمثل قول عمر السهروردي: «ابتُلِي بنهضة النفس ووثوبها»، أو بمثل قول الغزالي: «وبعضهم يدّعي أموراً عظيمة في المعرفة بالله عز وجل»، أو بمثل قول الجيلاني: «هم أبداً في سرادق القرب، فإذا جاءت نوبة الحكم كانوا في صحن الحكم».

ومع استمرار إيحاءات الشيخ وتوجيهاته وغرس الطموحات الوثَّابة في نفس الولي، ومع تكرار مشاهدة الاندماج في الله (سبحان الله عما يصفون)، يتعمق الشعور بالألوهية ويترسخ، وقد يدفعه هذا إلى البوح بالسر أثناء صحوه، فيقع في المحذورات التي تجرُّ عليه وعلى طائفته الويل والثبور، لذلك يأخذون بأهون الشرَّين، فإذا فُضِحَ أمرُه وحَكَم عليه أهل الظاهر (الشريعة) بالكفر، حكموا عليه هم أيضاً بالكفر، وإذا أفتى أهل الظاهر بقتله، أفتوا هم أيضاً بقتله، مع إيمانهم بأنه صديق ولي مقرَّب، لكنّ بعض الشر أهون من بعض.

لتخليص الولي من هذا المحذور، ولأن هذا المقام ليس مقام الكمَّل من الرجال والنبيين، لذلك يبدأ شيخه بتدريبه على السيطرة على لسانه وكلماته، ليتحقَّق بمقام الكمَّل الذين يتبعون القاعدة «إياك أن تقول أناه، واحذر أن تكون سواه»، حيث يغدو وليًّا كاملاً ومرشداً يحق له إرشاد الناس ودعوتهم، لكنه لا يكون مرشداً كاملاً إلا بمقدار ما يجمع حوله من الأتباع، ولذلك يعتبرون محمداً ﷺ أكمل الكاملين، لأن أتباعه أكثر الأتباع، وأنه هو الإنسان الكامل الأعلى.

وهذا هو مقام البقاء، أو الفرق الثاني. . . إلى آخر الأسماء، ولهم في التلميح إليه ووصفه عبارات أدبية يتبارون بالتفنُّن بها وتنويع أساليبها، مرَّ معنا مئات منها، وفي كتبهم ألوف كثيرة غيرها.

وقد يقرأ القارىء في بعض كتبهم أسماء مثل مقام «قاب قوسين» أو مقام «أو أدنى» أو مقام «أنا أنا» أو غير ذلك، وكلها تعني شدة التحقق بالألوهية مع طول مدتها.

وأكرر التنبيه إلى أن الترتيب المذكور ليس ضروريًّا، وقد يختلف عند بعضهم اختلافاً كثيراً، وقد ينعكس في نادرٍ من الأحيان.

وهم يقولون إن المناظر متنوعة لا تتكرر.

كما يتحدثون عن المريد والمراد.

— فالمريد هو الذي يسلك الطريقة الإشراقية من أولها حتى يصل إلى الجذبة.

والمراد هو الذي يُجْذَب دون إرادة منه ودون مجاهدة، أو كما هو الواقع، المصاب بمرض عصبي مِمَّن نراهم في الأسواق من المعتوهين والمخبولين والهائمين على وجوههم في البراري، ومنهم نزلاء مستشفيات المجانين.

ويَعْنون بالاسم «المراد» أن الله سبحانه أراده فجذبه إليه دون إرادة منه، ويصِفون المراد عادة بمثل قولهم: «سائح في حب الله»، ويتبركون به، ويطلبون منه أن يكَبِّسهم، أي يضع يده عليهم لتسيل منه الأسرار عن طريقها وتسري في أجسامهم.

وفي جميع الأحوال، ينتاب المجذوب أحد نوعين من الإحساس:

١ ـ إما شعور باللذة ـ وهو الغالب ـ تختلفُ شدته من جذبة إلى أخرى، وقد تبلغ في بعض الجذبات ـ وخاصة في الفناءات في الله ـ من الشدة بحيث تستغرق كلّ ذرةٍ من جسمه، وعندما يعود إلى الصحو، يعود حامداً شاكراً، ويذهب إلى صندوق ملابسه ليخرج منه سروالاً يلبسه بدل سرواله الذي امتلأ بالمنيّ.

لكنه إذا كان من المتحققين بمقام الزهد، مَسَحَ المبتلَّ من سرواله بالتراب، ومضى إلى حال سبيله.

أما إذا كان متحققاً بمقام التوكل، فيتركه كما هو ولا يلتفت إليه لشدة توكله.

يَعرض الوليُّ أمْرَه هذا على شيخه ومشكاة إمداداته، فيهنّئه ويبشره بأن هذا دليل على صحة المقام الذي وصل إليه، ويفهمه أن سببه هو بقايا شعور بالبشرية، وأنه سوف يزول عندما يتخلص كليًّا منها (أو من الشعور بالمخلوقية)، ويتحقق بالألوهية تحققاً كاملاً.

ويسمون هذا الغوع من الإحساس «البَسْط»، ويسمون جذباتها «جمالية»، ويسمون فناءاتها أو تجلياتها التي يشاهدون بها أنفسهم أنهم الله «التجليات الجمالية»، ويوهمون أنفسهم وتائهيهم أن هذه التجليات هي تحقق أو فناءٌ في الصفات الجمالية (عفوٌّ غفورٌ ودودٌ رحيمٌ..).

٢ ـ وإما أن يشعر المجذوب بالاكتئاب أو الغضب أو ضيق الصدر... ويسمون له هذا الإحساس «القَبْض» ويسمون جذبته «الجلالية» ويوهمون أنفسهم وتائهيهم أنها تجليات الحق عليهم بصفاته الجلالية (العزيز الجبار المتكبر القهار...)، ويسمونها «التجليات الجلالية» أو «التحقق بالأسماء الجلالية»...

ويصف عبد القادر الجيلاني هاذين الإحساسين بقوله:

يُكْشَف للأولياء والأبدال في أفعال الله ما يبهر العقول ويخرق العادات والرسوم، فهي على قسمين: جلال وجمال، فالجلال والعظمة يورثان الخوف المقلق والوجل المزعج والغلبة العظيمة على القلب بما يظهر على الجوارح... أما مشاهدة الجمال فهو تجلّي القلوب بالأنوار والسرور والألطاف والكلام اللذيذ والحديث الأنيس والبشارة بالمواهب

الجسام والمنازل العالية[1]. . .

- وهو معنى قوله أيضاً (الجيلاني) الذي مرمعنا: «. . . وبقلبه ينظر إلى ربه عز وجل، إلى جلاله تارة وإلى جمالة تارة أخرى». (ومثل هذا تماماً تماماً يحصل لمتعاطي المخدرات، والاختلاف بينهما هو في التفسير).

وهذه بعض أقوال لبعض أقطابهم يصفون بها بعض جذباتهم ومشاهداتهم.

يقول المعرِّف عن نفسه (شيعي من طهران):

إن الفقير الحقير سيد حسين بن الرضا الحسيني الطهراني النعمتللاهي، نال بركة النعمة الإلهية في سنة ١٣٠٣ للهجرة، ذلك أنني عندما التقيتُ بالسمح الطاهر، مثال العارفين وقطب الهداية في سلوك الطريق، والمرشد الأمين في ممارسة الصلوات، الشيخ عبد القدوس كرمنشاهي. . . بفضل البركة الإلهية ومعونة الأئمة الطاهرين عليهم السلام، التقيت هذا الرجل العظيم في الوقت الذي تَقدَّم ذكره قرب «إمام زادي زيد»[2]، وكان له معي ما كان، وفي غضون أسبوع من الزمان حلّتْ عليّ بركة وجوده وذلك قرب «إمام زادي زيد». . . وبعد أن أُجْرى مراسم الندامة والتوبة، أعطاني التعليمات اللازمة، وأدخلني إلى حلقة الذكر وقراءة الأوراد، ودَرَّبني على ما ينبغي أن يُعمل ويقال، فامتثلت في ذلك كله، وبعد خمس عشرة ليلة، وهو مدى الخلوة الصغرى، عند الفجر، فيما كنت مستغرقاً في التفكير، رأيت جميع الأبواب والجدران في المكان المظلم الذي وُضِعْتُ فيه تشاركني في مراسم الذكر، فغبتُ عن الوعي، وهويتُ إلى الأرض، وبعد شروق الشمس سارع والدي الجسدي بداعي حبه الشديد لي، إلى استدعاء طبيب، ودعا كذلك بمحضّري الأرواح وكاتبي التعاويذ الشافية، ثم إن والدتي الجسدية هي الأخرى عالجتني بكل ما تيسر لها من الأدوات والمنعشات والمغذيات.

وبقيتُ على مثل ذلك عشرين يوماً وأنا لا أقوى على القيام بفرائض الشريعة، ولا أعي لوجوب ممارسة الشعائر والرياضات، ولا أُحدِّث أحداً بذلك. وبعد تلك الفترة عاد إليّ الوضع الطبيعي أو كاد، وأصبحتُ طليقاً من حال الجذبة، فذهبتُ إلى الحمّام

---

(١) فتوح الغيب، ص٢٢.

(٢) مزار أحد الأولياء في طهران.

وتـوضأت، وشعـرت برغبـة شديدة في لقاء ذلك الشيخ العظيم، وبقيتُ بضعة أيام هائماً على وجهي كالمعتـوه في الطـرق والأسـواق، ساعيـاً في طلبه، وأخيراً ظفرتُ به، وقبلتُ يده، فأبدى لي لطفه وعطفه.

وأقـول موجـزاً: إنني سلكتُ الطـريق تحت رعايته مدة سنتين، آخذاً نفسي بجميع تعليـماتـه ووصـايـاه، لذلـك تحوَّلتُ عن العلوم التقليـدية تحوُّلاً تامًّا، وأقبلتُ على تفهم مسائل المعرفة، والسير في طريق اليقين، أطعته بكل ما أمرني به دون أن أجيب بنعم أو لا، وإذا بدا لي أن بعض ما سمعتُ أو رأيتُ منه يعارض في ظاهره للشريعة، رددته إلى عيب في سمعي أو تقصير في بصري . . . أحمد الله أنني بفضل ذلك العالم الكبير، وبفعل إرادته الروحية، استطعت أن أقف على ملابسات الفقر الروحي، ودقائق المعرفة الثابتة، ولطائف الحق اليقين، حتى بلغتُ حال الفناء في الله والبقاء فيه[1] . . .

● الملاحظة:

ما أُنبه إليه بشكل خاص هو تحوله عن العلوم التقليدية تحولاً تامًّا، ومِنْ هذا القول، ومن أقوال كثيرة مرت وستمر، نعرف سبب الجهل الذي تتخبط فيه أمتنا.

والمـلاحظـات كثـيرة، يمكن للقـارىء أن يتسلى بالبحث عنهـا، والمتكلم شيعي يعرف بـ «شمس العرفاء».

ولننتبـه إلى أنـه استعمل عبارة «بركة النعمة الإلٰهية» بمعنى الجذبة، ولعلَّه استعمل عبـارة «النعمـة الإلٰهيـة» انبثـاقـاً من اسم الطـريقة «النعمتللاهية» التي كان شيخه «عبد القدوس كرمنشاهي» شيخها.

ويقول عبد العزيز الدباغ (الولي الكامل والغوث الحافل):

. . . وبعـد وفـاة سيـدي عمـر بثـلاثـة أيام، وقع لي والحمد الله الفتح، وعرَّفنا الله بحقيقـة نفـوسنـا، فله الحمـد والشكـر، وذلـك يوم الخميس الثامن من رجب عام خمس وعشرين ومائة وألف، فخرجنا من دارنا، فرزقني الله تعالى على يد بعض المتصدقين من عبـاده أربـع موزونـات[2]، فاشـتريت الحـوت، وقدمت به إلى دارنا، فقالت لي المرأة:

---

(١) الصوفية بين الأمس واليوم، ص٧٧ و٧٨ و٧٩. (٢) عملة مغربية كانت متداولة آنذاك.

«اذهب إلى سيدي علي بن حرزهم[1] وآقدم لنا بالزيت لنقلي به هذا الحوت»، فذهبت، فلما بلغت باب الفتوح دخلتْني قشعريرة، ثم رعدة كثيرة، ثم جعل لحمي يتنمل كثيراً، فجعلت أمشي وأنا على ذلك، والحال يتزايد إلى أن بلغت إلى قبر سيدي يحيى بن علال نفعنا الله به، وهو في طريق سيدي علي بن حرزهم، فاشتد الحال، وجعل صدري يضطرب اضطراباً عظيماً، حتى كانت ترقوتي تضرب لحيتي! فقلت: هذا هو الموت من غير شك، ثم خرج شيء مِنْ ذاتي كأنه بخار الكسكاس[2]، ثم جَعَلَتْ ذاتي تتطاول حتى صارت أطول مِن كل طويل، ثم جعلتْ الأشياء تنكشف لي وتظهر كأنها بين يدي! فرأيتُ جميع القرى والمدن والمداشر، ورأيتُ كل ما في هذا البر، ورأيت النصرانية ترضع ولدها وهو في حجرها، ورأيت جميع البحور، ورأيت الأرضين السبع وكل ما فيهن من دواب كالبرق الخاطف الذي يجيء من كل جهة، فجاء ذلك النور من فوقي ومن تحتي وعن يميني وعن شمالي وعن أمامي وخلفي، وأصابني منه بَرْد عظيم حتى ظننت أني متُّ، فبادرت ورقدتُ على وجهي لئلا أنظر إلى ذلك النور، فلما رقدت رأيت ذاتي كلها عيوناً؛ العين تبصر، والرأس تبصر، والرجل تبصر، وجميع أعضائي تبصر؛ ونظرت إلى الثياب التي عليّ، فوجدتها لا تحجب ذلك النظر الذي سرى في الذات، فعلمت أن الرقاد على وجهي والقيام على حدٍّ سواء؛ ثم استمر الأمر عليّ ساعة وانقطع[3].

● **الملاحظة**: إن كشفه منبثق من المعلومات السائدة في محيطه، ومثل هذا يحدث لمتعاطي المخدرات.

ويقول نفسه: . . . فبقي معي سيدي عبد الله البرناوي (صوفي من قرية برنو)، يُرشدني ويسدِّدني ويقويني ويمحو الخوف من قلبي فيما أشاهده، بقيَّة رجب وشعبان ورمضان وشوال وذي القعدة وعشر ذي الحجة، فلما كان اليوم الثالث من يوم العيد، رأيت سيد الوجود ﷺ، فقال سيدي عبد الله البرناوي: يا سيدي عبد العزيز، قبل اليوم كنتُ أخاف عليك، واليوم حيث جمعك الله مع رحمته تعالى سيد الوجود ﷺ، أَمِنَ قلبي

---

(١) هو شيخ أبي مدين المغربي، والزيت من النذور التي تقدم للمقام.

(٢) أكلة مغربية معروفة تسمى في الشرق باسم «المغربية» أو «المفتول».

(٣) الإبريز، ص٩.

واطمأنَّ خاطري[1]. . .

ـ ولنسمع إلى العارف القطب عبد الكريم الجيلي، يقدم وصفاً عامًّا، يقول:

أما بعد، فإن المناظر الإلٰهية مَحاضر لجهال العلوم اللدنية، وإن تفصيلها لا يكون إلا عن موهبـة ثابتـة إلٰهيـة، فقد يدرك تلك الموهبة العبدُ في نفس المناظر العلى إيحاء إلٰهيًّا، أو بحقيقـةِ اتِّصـافٍ من الصفـة العلمية. . . وقد يتأخر عليه تفصيل تلك العلوم إلى نزوله عن تلك المنـاظـر، فيفهم ما كان فيهـا إلهاماً إلٰهيًّا، أو بإعلام شيخٍ مربٍّ مكاشفٍ بالمناظر الإلٰهيـة، فيـوفي الـوقت الـذي هو فيـه أدبـاً به، ولكن فاته أدب تلك المناظر لفواتها، لأن التجـلّي الـواحـد لا يبقى زمانين، بل لله تعالى في كل زمان تجل مخصوص، مِن سرِّ قوله: ﴿كلَّ يومٍ هو في شأنٍ﴾. ومن الناس مَن يُجذب إلى بعض المناظر الإلٰهية، فيخرج منها وهـو لا يدري أين كان، ولـو سمـع بأوصـاف المنـاظر التي كان فيها تعجب وأنكر ما كان عليه، وذلك لضعف علمه وقصور فهمه، فإن الدهش لا يطرأ إلا على الضعفاء. اعلم أن لكـل منظـر آفـة تحجب الداخل فيها عما فوقها وتمسكه عندها، ما لم يعلم تلك الآفة، فإذا اطَّلع عليها ترقَّى عن ذلك المنظر إلى غيره[2]. . .

ـ يبيّن الشيخ هنا أن تفسير الرؤ ى الكشفية نابع من معلومات مسبقة أو من إعلام شيخ مربٍّ. . .

ويقول: منظر اعبد الله كأنك تراه:

«هـو باب المنـاظر كلها. . . فيَتصوَّر له حضرةُ الحق تعالى الوليّ بكبريائه وعظمته، فلا يأتي عملاً وهو مأخوذ عن ذلك العمل، لغلبة حال الدهش على قلبه، ويكون سائرُ أحـوالـه وأفعـالـه وأقـواله كلها عبادات، لأنه مأخوذ عنها إلى تصوُّر الحضرة الألٰهية، فهو شاهد لذلك التصوُّر بحقيقته في سائر أموره، وفي هذا المنظر يُفتح عليه علوم الاصطلام، ويُكشف له عن أسرار الحق تعالى في ظواهر المخلوقات، فيقرأ رقوم كتابة أسماءِ الله تعالى على صفحـات وجـوه المخلوقـات، ويَعْلم السـرَّ الـذي أخذ بالعالَم إلى مأخذهم فيما هو عليه، فلا يرى قبيحاً في الوجود[3].

(١) الإبريز، ص١٠.
(٢) المناظر الإلٰهية، ص٧ و٨.
(٣) المناظر الإلٰهية، ص١١.

- مع أن عبد الكريم الجيلي واضح العبارة في ما يكتب، إلا أنه في هذا النص يبعد في الإشارة والرمز، ومع ذكك، فبقليل من التروي يتضح كلامه. إنه يقول: إن هذا المنظر هو منظر الدهش، لأنه يرى نفسه إلٰهاً، ثم تنكشف له علوم الوحدة. . .

ويقول: منظر الوجود:

يتجلّى الحق تعالى في هذا المنظر بأعيان المظاهر، فيكون عينَ الظاهر، وعينَ المُظهر، وهذا أول مجالي الصفة الواحدية، ولا يشهد صاحب هذا المشهد لشيء في العالَم وجوداً البتة، فلا يبقى للمُحْدَثات عنده أثر. . . وفي هذا المشهد ينفتح على الداخل فيه علومُ تنوعاتِ التجلّي، وينكشف له أن العالَم كله تجلٍّ في تجلٍّ، ليس شيء غير ذلكَ. . . . ويطّلع في هذا المنظر على السر الذي عبدتْه المخلوقاتُ من دون الله. . . وفي هذا المشهد يطّلع على السر الإلٰهي، فيكون شافعاً لمن شاء من عبدة الأوثان والمشركين وغيرهم من النِّحَل والمِلَل الماضية، فيحصلون في حقيقة الإيمان قبل الموت أو بعده، ويُحشرون في زمرة الموحدين[1]. . .

ويصف تجلي الأفعال، فيقول:

فأما تجلي الأفعال، فإن الله تعالى إذا كشف عن بصر بصيرة العبد بتجلّي الواحدية في العالَم، فإنه أول ما يقع عنده من تفصيل ذلك المحلّ، إرجاع أفعاله إلى الحق، وينسبها إليه سبحانه بعين ما كان ينسبها إلى نفسه، وفي هذا المشهد يسلب فعل العبد وقوته وإرادته، فلا يبقى له فعل ولا قوة ولا قدرة ولا إرادة، بل هو كسائر الجمادات، فهو في هذا المنظر لا فعل له البتة، فلو تكلم وسألته عن كلامه، لقال: «لم أتكلم في هذا المشهد»، وقد يفوت من الفرائض وغيرها على مَنْ لم يحفظها الله عليه من أوليائه، وقد يصدُر ما يصدُر عليه من لسان المعاصي، فيقال: عصى وترك ما وجب عليه من الفرائض، وهو بريء من ذلك مسلوب القوة والقدرة والفعل والإرادة. . . ويكشف له عن اللوح المحفوظ. . . فيشهد بلا شهود يُنْسَبُ إليه، ويعلم بلا علم، ويرى بلا رؤية، ويفعل بلا فعل يضاف إليه[2]. . . .

ويصف تجلي الصفات فيقول: منظر تجلي الصفات:

---

(١) المناظر الإلٰهية، ص١٤ و١٥.

(٢) المناظر الإلٰهية، ص١٦.

وهو في هذا التجلّي يشهد صفات الحق تعالى النَّفْسِيَّة، فكلما ظهرت لك صفةٌ من صفات النفسية، فنيت صفة من صفاتك، إلى أن تفنى عن جميع صفاتك النفسية، فإذا فني وصفك شهدت وصفه، فتعلم حينئذ أن حياتك وعلمك وإرادتك وقدرتك وسمعك وبصرك وكلامك، جميع ذلك منسوبٌ إليه على حدٍّ ما كان منسوباً إليك بلا صفة لك، بل تكون صفاتك صفات الله، فتتحقق أن لا حياة لك، بل الحياة حياته، وأن لا علم لك بل العلم علمه، وأن لا إرادة لك بل الإرادة إرادته، وأن لا قدرة لك بل القدرة قدرته، وأن لا سمع لك بل السمع سمعه، وأن لا بصر لك بل البصر بصره، وأن لا كلام لك بل الكلام كلامه، وفي هذا المنظر يجيب الله من دعاه بهذه الصفات، فلا يشهد وقوعَها إلا عليه، فأنت بريءٌ من شهود صفاتك لشهودك أنها الله تعالى سنفاً وعياناً يفتح عليك في هذا المحل معرفة الوجود الساري، ويكون عندك هذا العلم من علوم التوحيد[1]. . .

ويقول: منظر اترك نفسك وتعال:

تَرْك النفس إما هو بجحود الأنية وثبوت الهوية الإلٰهية، تعرَّ مِنْ أنيتك فتكون أنت لا أنت، بل هو، بل ما أنت هو، لأنه هو هو. وفي هذا المشهد تضاف أسماء الحق تعالى إليك فتجيب الداعين بها. فإذا قال قائل: «يا الله» أجبته: «لبيك وسعديك»، وما أنت المجيب، بل الله الذي أجاب مَنْ دعاه، لطيفة إلٰهية، لا يعرفها إلا الواقع فيها ذوقاً وُجوديًّا وكشفاً حقيقيًّا، وفي هذا المشهد تنزل عليك الأسماء الألٰهية اسماً اسماً، والصفات الرحمانية صفةً صفة، وأنت تَقْبَلُ بقدر ما يقتضيه حالك[2]. . .

ويقول: منظر التكوين:

هو مشهد ذاتي، تتلون فيه بمعاني الأسماء والصفات، فيغلب عليك في كل زمان حكْمُ صفة، فتكون في لونٍ غير ما كنت عليه قبل. . وفي هذا المشهد تجد من اللذة الإلٰهية ما يسري في جميع أجزائك، إلى أن تكاد تخرج روحك من عالَم التركيب إلى عالَم

(١) المناظر الإلٰهية، ص١٧.

(٢) المناظر الإلٰهية، ص١٨، وفي الكتاب أخطاء مطبعية أو نسخية، منها: «الأينية» بدل من «الأنية»، و«عرض أينيتك» بدلاً من «تعر من أنيتك».

الأرواح لشــدة اللذة المنطبعــة فيـك، تجدهـا بحكم الضـرورة محسـوسـة، كما تجد لذة المحسوسات. وقد أخذتْ هذه اللذةُ فقيراً عن محسوساته حتى غاب عن الكون وما فيه، فلما رجع إلى نفسه وجده قد أُمنى لما سرت فيه اللذة الروحانية، فعمّت الروح والقلب، وأضافته على بشرة جسده، فأعطاه الجسد حكْمَ بشريته، وكان ما كان[1]. . .

ويصف مشهداً آخر، فيقول: منظر اللذة السارية:

يتجلّى الله بتجلٍّ يكشف فيه للعبد بمكانه من الحقائق الإلٰهية، فيظهر له من الله ما لم يكن يحتسب. . . ووجدتُ كلَّ ذرة من وجودي حاملةً من المعارف الكمالية ما لا يمكن شرحــه، فأعطتني عوالمي كل اسم وصفــة ومعنىً ومـرتبـة لا نهايـة لها، فلما وجـدتُ ما وجـدتُ، سرت فيَّ لذةُ الإلٰهيـة حتى ذقت أمـراً محسوساً تكاد الروح أن تذهب لوجدانه، فلما رجعت إلى عالَم الكون، حدث فيّ حادث، وكنتُ يومئذ متقدماً في هذا الطريق. . . ولا وَصَــلَ إلى تحقيق تلك «المقــام اللذة» إلا بذلــك الحـادث، فمَن لم يحدُثْ به ذلـك الحـادث، لم يتمَّ له ذلـك اللذة، بل ما عنـده إلا طَرَفٌ منهـا، لأن اللذة المستـولية عليه، عمَّت الجسد وأخذت صاحبها، لا يجد بدًّا من أن يمني[2]. . .

ويصف مشهداً آخر، فيقول: منظر من أنت:

يتجلى الحق تعـالى على العـارف، بكشفٍ عن حقيقـة ذات العارف، فيقال له في هذا المشهد: من أنت؟ فيقول ما قال الحلاج وأبو يزيد وغيرهما من أهل هذا المقام[3]. . .

● **الملاحظة:**

لعلنا نذكر ما قاله الحلاج وأبو يزيد وغيرهما فيما سبق من هذا الكتاب: «أنا الحق، سبحاني. .»، ومتى يقول العارف هذا الكلام في هذا المقام؟؟ إنه يقوله عندما يُكشفُ له حقيقة ذاته! أي إن حقيقة ذاته هي الله، يعرفها بالكشف!

منظر من أنا:

---

(١) المناظر الإلٰهية، ص٢٢.
(٢) المناظر الإلٰهية، ص٥٦.
(٣) المناظر الإلٰهية، ص٧٦.

يتجلى الحق تعالى في هذا المشهد بتجلٍّ يكشف للعبد فيه عن حقيقة الذات المقدسة، فلا يجد العبد ما ثَمَّ إلا «أنا»، وحقٌّ ما قال، وصحَّ ما ادَّعى، ولكن أين مقام العبودية عن مقام الربوبية[1]؟ . .

منظر الإشارة:

للإشارة منظر جليٌّ، ومشهد عليٌّ، ومعنى سنيٌّ، أنت المراد بها على كل حال، وهو المشار إليه في كل مقال، أنت العين وهو الحُكْم، أنت الوجود وهو المشهود، وأنت الجوهر وهو العرض، أنت هو وهو أنت، أنت الموصوف وهو الصفة، لكنه الموصوف، أنت الأثر وهو الأم وأنت الولد، لكنه الروح وهو الجسد، أنت حاصلُ كنوزه، أنت مغمازُ رموزه، أنت صريحُ لمغموزه، هذا كله منك وفيك، والله تعالى عن الإشارة والعبارة، وهو الكبير المتعال، فأسْجِدْ فهمك، وجَرِّدْ همتك، وافتقْ ما رتقناه عليك ليسهل فهمُ ما أشرناه إليك، كلامُنا لا يُفهم، وحالنا لا يُعلم، أي جان أي دوست، . . . لأن الكلام عن الحقائق بالإشارة[1]. . . .

منظر ﴿وإنْ مِن شيءٍ إلا عندنا خزائنُه﴾:

يتجلّى الله تعالى على العبد بتجلٍّ يُكشف له فيه عن مفاتيح الغيب ذاته، فيلج في خزائن الملكوت، ويرى ما أودَع الله فيها من أسرار الجبروت ما لا يدخل تحت الحصر، ولا يعرفها إلا الله تعالى، وحينئذ يقرأ حقيقة قوله تعالى: ﴿وإنْ مِن شيءٍ إلا عندنا خزائنُه﴾، مَن يتجلى الله عليه في هذا المنظر حلّ رموز العالم من ذات نفسه، وعلِمَ هيكَلَه بجميع ما فيه، كلُّ ذرة منه روحانيةُ عالَم من العوالم الوجودية الشهادية، فإنْ أراد تدبير ذلك العالَم وتحريكَه حرك من نفسه ذلك الرمز الذي هو روح ذلك العالَم، فتحرّك أجزاءُ ذلك العالَم في عالَم الشهادة والملك والملكوت بتحريك ذلك الرمز، فإن الجسد تابع للروح . . . وقد تحققتُ بهذا المشهد في سنة ثلاث وثمانين وسبعمائة[2].

منظر (كُنْ فيكونُ):

---

(١) المناظر الإلهية، ص٧٦ و ٧٧. وكلمة جان فارسية معناها «ابن» ودوست معناها «صاحب».

(٢) المناظر الإلهية، ص٧٨ و ٧٩.

أول ما يتصف العبد بالتكوين في عالَم الغيب، فيكوّن الأشياء في الملكوت، ولا يستطيع على تكوينها في الملك! فمثله مَنْ يستطيع تصور الخيالات في عقله ولا يقدر عليها في محسوسه، فإذا استقام رجلُه في هذا المنظر، ثم اتصف حسًّا بصفتي القدرة والإرادة، يتجلى الله عليه بتجلٍّ إلٰهي يُكْسبه نفوذ الأمر في عالم الأكوان جميعاً، الغيبية والشهادة، فحينئذ يقول للشيء كن فيكون، غيباً وشهادة، والناس في هذا المنظر متفاوتون، فمنهم من يظهر أثر أمره على الفور، ومنهم من يتأخر ظهور أثر أمره[1]. . .

● ملاحظة:

أرجو من القارىء الكريم أن يقرأ في فصل لاحق، مفعول المخدرات ورؤ اها، ثم يقارنها بهذه الرؤ ى والمشاهدات، مع ملاحظة أن رؤ ى حشاش المخدرات تنبثق من عواطفه وأمانيه الساذجة، أما رؤ ى حشاش الإشراق فتنبثق من إيحاءات الشيخ وتوجيهاته والطموحات المسيطرة على الجو الصوفي.

ـ ولنكتف من هذا الغوث بهذه المشاهد.

ـ ولنستعرض بعده الشيخ الأكبر والكبريت الأحمر محيي الدين بن عربي في بعض وصفه لبعض الكشوف، يقول:

. . . واشتغلْ بالذكر حتى يتجلّى لك مذكورك. . .

ثم بعد هذا يُكشَف لك عن عالَم سَرَيان الحياة السببية في الأحياء، وما تعطي من الأثر في كل ذاتٍ بحسب استعداد الذوات. . .

فإن لم تقف مع هذا رُفع عنك، ورُفعت لك اللوائح اللوحية[2]، وخوطبت بالمخاويف، وتنوعت عليك الحالات، وأُقيم لك دولابٌ تعاين فيه صُوَرَ الاستحالات، وكيف يصير الكثيف لطيفاً واللطيف كثيفاً. . .

فإن لم تقف مع هذا رُفع لك نورٌ متطاير الشرر، فستطلب الستر عنه، فلا تخف، ودُمْ على الذكر فإنك إذا دمت على الذكر لم تصبك آفة. . .

---

(١) المناظر الإلٰهية، ص٧٩.

(٢) اللوحية نسبة إلى اللوح المحفوظ.

. . . فإن لم تقف مع هذا رُفع لك عن أرواحٍ مستهلَكة في مشهدٍ من مشاهده، هم فيه حيارى سكارى قد غلبهم سلطان الوجد، فدعاك حالهم.

فإن لم تقف لدعوته رُفع لك نورٌ لا ترى فيه غيرك، فيأخذك فيه وجد عظيم وهيمان شديد، وتجد فيه من اللذة بالله ما لم تكن تعرفها قبلَ ذلك، ويصغر في عينك كلُّ ما رأيته، وأنت تتمايل فيه تمايل السراج[1]. . .

- وهذا وصف آخر لابن طُفَيْل في أول كتابه «حي بن يقظان»، يقول:

سألتَ أيها الأخ الكريم، الصفي الحميم، منحك الله البقاء الأبدي، وأسعدك السعد السرمدي، أن أبثَّ إليك ما أمكنني بثه من أسرار الحكمة المشرقية[2]. . . . ولقد حرّك مني سؤالك خاطراً شريفاً أفضى بي إلى مبلغ هومن الغرابة بحيث لا يصفه لسان، ولا يقوم به بيان، لأنه من طَوْرٍ غير طورهما، وعالَم غير عالَمهما. غير أن تلك الحال، لما لها من البهجة والسرور، واللذة والحبور، لا يستطيع من وصل إليها وانتهى إلى حد من حدودها، أن يكتم أمرها أو يخفي سرها، بل يعتريه من الطرب والنشاط والمرح والانبساط ما يحمله على البوح بها بجملة دون تفصيل، وإن كان ممن لم تحذقه العلوم، قال فيها بغير تحصيل؛ حتى إن بعضهم قال في هذه الحال: «سبحاني ما أعظم شأني»، وقال غيره: «أنا الحق»، وقال غيره: «ليس في الثوب إلا الله»، وأما الشيخ أبو حامد الغزالي، رحمة الله عليه، فقال متمثلاً عند وصوله إلى هذا الحال بهذا البيت:

فكان ما كان مما لست أذكره فظنّ خيراً ولا تسأل عن الخبر

وإنما أدبته المعارف وحذقته العلوم. . .

. . . إلى أن يقول:

. . . وهذه الحال التي ذكرناها وحرّكنا سؤالُكَ إلى ذوقٍ منها، هي من جملة الأحوال التي نبه عليها الشيخ أبو علي (أي ابن سينا)، حيث يقول: «ثم إذا بلغت به الإرادة والرياضة حدًّا ما، عنّت له خلسات من اطّلاع نور الحق، لذيذة، كأنها بروق تومض

---

(١) رسالة الأنوار، ص٨ - ١٢.

(٢) يستعمل ابن طفيل عبارة «المشرقية» بدلاً من «الإشراقية» تقليداً لابن سينا.

إليـه ثم تخمـد عنـه[1]، ثم إنـه تكثـر عليـه هذه الغواشي إذا أمعن في الارتياض، ثم إنه ليوغل في ذلك حتى يغشاه في غير الارتياض، فكلما لمح شيئاً عاج عنه إلى جناب القـدس[2]، فيـذكـر من أمره أمراً، فيغشاه غاش، فيكاد يرى الحق في كل شيء، ثم إنه لَتَبْلُغُ به الرياضة مبلغاً ينقلب له وقته سكينة، فيصير المخطوف مألوفاً، والوميض شهاباً بيِّنـاً، وتحصل له معارفه مستقرةً كأنها صحبة مستمرة. . » إلى ما وصفه مِن تدرُّج المراتب وانتهـائهـا إلى النيـل بأن يصير سرُّه مرآةً يحاذي بها شطر الحق، وحينئذ تدرُّ عليه اللذات العلى، ويفـرح بنفسـه لما يرى بها مِنْ أثـر الحق، ويكـون له في هذه الرتبة نظرٌ إلى الحق ونظرٌ إلى نفسه، وهو بعدُ متردد، ثم إنه ليغيب عن نفسه، فيَلحظ جناب القدس فقط، وإن لحظ نفسه فمن حيث هي لاحظة، وهناك يحق الوصول.

ـ قبل تكملة المسيرة مع ابن طفيل، أريد أن أنبه إلى أننا يجب أن نفهم العبارات: «يرى الحق في كل شيء» و «كأنها صحبة مستمرة» و «يحاذي بها شطر الحق» فهماً منطلقاً من عقيدة الصوفية التي ترفض الاثنينية وما ينبثق عنها من قول بالحلول أو الاتحاد، وتكفِّر من يقول بها، أي يجب أن نفهمها انطلاقاً من عقيدتهم بوحدة الوجود، فقط.

ونعود إلى ابن طفيل، يقول بعد فقرات من قوله السابق:

. . . وظهر بهذا القول أن مطلوبك لم يتعدَّ أحد غرضين:

١ ـ إما أن تسأل عما يراه أصحاب المشاهدة والأذواق والحضور في طَوْر الولاية، فهذا مما لا يمكن إثبـاتـه على حقيقـة أمـره في كتـاب، ومتى حاول أحـد ذلك وتكلفه بالقول أو الكتب، استحـالت حقيقتـه، وصـار من قَبيـل القسم الآخر النظري، لأنه إذا كُسِيَ الحـروف والأصـوات، وقُـرِّب مِن عالم الشهـادة، لم يبق على ما كان عليـه بوجـه ولا حال، واختلفت العبـارات فيـه اختـلافـاً كثيـراً، وزلَّت به أقـدام قومٍ عن الصراط المستقيم، وظُنَّ بآخرين أنها زلَّت وهي لم تزل، وإنما كان ذلك لأنه أمرٌ لا نهاية له في حضرةٍ متسعة الأكناف، محيطةٍ غير محاط بها.

٢ ـ والغَرَض الثاني من الغَرَضين اللذين قلنا إن سؤالك لن يتعدى أحدهما، هو أن تبتغي

---

(١) هذا هو ما يسمونه البوارق أو اللوامع أو اللوامح أو البواده . . . إلخ.

(٢) يعني بعبارة «جناب القدس» الألوهية.

التعريف بهذا الأمر على طريقة أهل النظر، وهذا ـ أكرمك الله بولايته ـ شيء يحتمل أن يوضع في الكتب، وتتصرف به العبارات، ولكنه أعدمُ من الكبريت الأحمر، ولا سيما في هذا الصَّقْع الذي نحن فيه، لأنه من الغرابة في حدٍّ لا يظفر باليسير منه إلا الفرد بعد الفرد، ومَن ظفر بشيء منه لم يكلم الناس به إلا رمزاً، فإن الملة الحنيفية والشريعة المحمدية قد مَنَعت من الخوض فيه وحذرت عنه. أهـ.

ـ مع الانتهاء من فقرات ابن طفيل، أريد أن أظن أن القارىء الذي تمرس باللغة الصوفية يعرف أن معنى جملة ابن طفيل: «وظن بآخرين أنها زلت وهي لم تزل، وإنما كان ذلك لأنه أمر لا نهاية له في حضرةٍ متسعة الأكناف..» هو أن هناك قوماً قالوا العبارات المخيفة «أنا الله، أو سبحاني، أوما شابهها»، وظنَّ أناسٌ بهم أنهم زلُّوا، وهو ليس كذلك، لأنهم قالوا ذلك وهم مغلوبون بشدة الجذبة.

ويريدون بقولهم: «زلُّوا»، أي صرحوا بوحدة الوجود في حالة الصحو، أو فاهوا بالعبارات التي تفضحهم، مثل: «أنا الله، سبحاني...» أوما شابه ذلك، وهذا هو البوح بالسر.

وغوث آخر يصف كشوفه:

يقول ابن قضيب البان[1] في كتابه «المواقف الإلٰهية»:

موقف الإسراء:

... ثُم زَجَّني الروح بالشوق إلى جهة الفوق، حتى حلَلْنا الطبقة الثانية، فتلَقَّانا بها أممٌ سانية، ورأيت في ذلك السَّوْح نبي الله نوحاً يملي على أهل كل صنعةٍ صنعته، ويبكي حتى تجري على خديه دمعته، ورأيتُ دموعه أصل وجود الشهب لتنوير تلك الحجب، ورأيت هناك أرواح العلماء به حافَّة، وأقدام الشهداء بين الملائكة صافة.. ورأيت فيها عين ماءٍ جارية إلى فوق، وأرواح أهل الشوق والعشق واقفة في تلك السماء، ورأيت فيها فارساً على فرسه طارداً لا يمل ولا يكل ساعة واحدة، فسألت عنه، فقيل:

---

(١) عبد القادر بن محمد بن أبي الفيض السيد الأفضل أبو محمد، يتصل نسبه بقضيب البان الموصلي، ولد بحماة سنة ٩٧١هـ، وتوفي في حلب سنة ١٠٤٠هـ.

هو الملك عطارد، كاتب الأخبار، وكلُّ مَن في تلك السماء كتبة . . .

ـ للعلم: عطارد (أو الكاتب)، هو كوكب سيار من المجموعة الشمسية، مثل الأرض، يظهر صباحاً قبيل الشمس في المشرق، أو مساءً في المغرب، حيث يغيب بعد الشمس بقليل، والكشف الجاهل، لم يساعد القطب الجاهل، على معرفة عطارد كما لم يساعده على معرفة الشهب.

ويكمل ابن قضيب البان قصة عروجه فيقول:

ثم ارتقينا إلى السماء الثالثة، وهي أعظم دائرة . . . ورأيت عليها حاجبين مُوَكَّلين، اسم الواحد «القوة»، والآخر «الحول»، فأخذا بيدي ودارا بي في تلك الأماكن كلها . . . وفيها رأيت يوسف الصديق جالساً على كرسي من الحُسْن . . . ورأيت في ذلك السماء صورةً مبتسمة والحياء ظاهرٌ منها، فقال لي الروح: هذا المسيح بن مريم روح الله، ورأيت فيها ملائكة لكل ملك ألف رأسٍ، في كل رأس ألف وجه، في كل وجه ألف فم، في كل فم ألف لسان، وقال لي الروح: هذه الملائكة الذين وكلهم الله بأرزاق أولاد آدم في الأرض، وعليهم ملك أعظمهم اسمه «القاسم».

ثم انتهينا إلى السماء الرابعة، وهي من معدن الفضة، وجنس خلقها منها، لهم أنوار تتلألأ، ورأيت هناك ملكاً على كرسي جالساً، أعظم أهلها هيبة وهيئة، والملائكة صافَّة به، فسألت عنه، فقيل: هو مغناطيس الأرواح وجامعها بعد انبثاثها في الصُّوَر . . . ثم قال لي الروح: اسم هذه السماء: «القدرة الباهرة»، وفيها رأيت إدريس وأكثر أولياء أمة محمد العارفين بالله، وفي هذه السماء انتَشَتْ فيَّ الحواسُّ حتى بقيت أدرك بكل حاسة كلَّ ما تدركه الحواس الخمس، وفيها خَرق بصري الكون وشاهدت أعلى عليين وأسفل سافلين.

ثم انتهينا إلى السماء الخامسة، وإذا هي من معدن الذهب، ولونها حمراء، وخلق أهلها من جنسها . . . وهناك رأيت يحيى وزكريا وهارون . . .

ثم انتهينا إلى السماء السادسة، وهي من لؤلؤة، ونورها أبيض يعطي إلى الصفرة، وخلق أهلها منها، وفيها رأيت موسى بن عمران عليه السلام، وفيها رأيت ملكاً اسمه «بلسائيل» . . . وسألته عن أهل الأرض البيضاء، وأصل نشئها، فأجاب عنها بأنها

خُلقت قبـل أن يخلق الله تعـالى السـماوات والأرض بكذا ألف سنة، وذكر أن هذا الليل والنهار والشمس والقمر كانوا موجودين في عالَمٍ منها، وكذلك الجواري الكنّس، فلمّا خلق الله السـماوات نقـل كل كوكب إلى سماءٍ منهـا، وذكـر أن الجنـة والنـار يسمـع بهما أهـل السماوات من الملائكة وأهل الأرض من الجنّ ولم يدروا أماكنها. . .

ثم انتهينـا إلى السـماء السابعة، وهي درة بيضاء كاللبن، وخلق أهلها من جنسها، وفيها ملك اسمه «روحائيل» موكَّل بأهلها. . . وفيها ملك على كرسي من نور، له أربعة أوجـه، وجـه على صورة الإنسـان، ووجه على صورة الأسد، ووجه على صورة الثور، ووجـه على صورة الأسـد[1]. . . وفي هذه السماء رضوان خازن الجنان. . وفيها إسرافيل رئيس عالَم الجبروت، وهو الذي بشَّرني بالقرب والمنزلة الكريمة عند ربي، وبالسعادة في الآخرة والشفاعة في أمة محمد ﷺ، وفي هذه السماء رأينا إبراهيم الخليل مسنداً إلى البيت المعمـور، وتـركت عنـدَه الـروحَ الملكـوتي، وأخـذ بيـدي الـرئيسُ للأرواح الجبروتية؛ إسـرافيـل، ثم انتهينـا إلى بحـارٍ سبـع، بحـرٍ أحمـر، وبحـر أسود، وبحر أزرق، وبحر أخضـر، وبحـر أبيض، وبحـر أصفـر، وبحر لا لون له، ثم انتهينا إلى حجبٍ سبعين، عنـد كل حجـاب من الحجب من أصنـاف المـلائكة ما لا يعلم صنفهم وعددهم إلا الله تعـالى، وعَـرْضُ كل حجـاب كما بين المشـرق والمغـرب هنـاك، وعمقُـه كما بين السـماء والأرض، ثم انتهينا إلى سبعين حجاباً أُخر، منها مِن ذهب، ومنها مِن فضة، ومنها من نحاس، ومنها من جوهر، ومنها من ثلج، ومنها مِنْ بَرَد، ومنها من نور، ومنها من ظلمة؛ وكنتُ كلما دنـوتُ مِن حجـابٍ تلَقَّـاني حاجبه وزجَّني فيه إلى أعلاه، بعدما يريني عجائبه وصُنْع الحق تعالى فيه، ويبشرني بالكرامة مِن ربي القادر، حتى انتهيت إلى آخر حجاب هنـاك، وإذا بكـرسي من اللؤلـؤ منتصبـة قوائمُـهُ من الجـوهر والياقوت الأحمر والزبرجد الأخضر، فأخذ آخذٌ بيدي وأجلسني عليه، ثم نزل عليَّ شيءٌ ودخل جوفي من حيث لا أعلم، فقال لي شيءٌ في قلبي: ها قد أكرمك مولاك بالسكينة الربانية. . . ثم نُوديت مِنْ مكان قريب، وذلك من جهاتي الست: يا حبيبي ومطلوبي! السلام عليك، فغمضتُ عينيَّ، وكنت أسمع بقلبي ذلك الصوت حتى أظنه مِن جوارحي لقربه مني، ثم نوديت:

(١) صورة هذا الملاك الذي يقدمها هذا القطب، تذكرنا بصور آلهة الهندوس في الهند.

انظـر إليَّ! ففتحتُ عينيَّ فصـرتُ كلي أعينـاً، وكأنّ في باطني ما أراه في ظاهـري، وصرت كأني برزخ بين كونين وقاب. . . . ثم سمعتُ بقارىء يقرأ قوله: ﴿آمنَ الرسولُ بما أُنزِل إليـه. . . ﴾، وإذا بذلـك الحجـاب قد رُفـع، وأُذِنَ لي بدخوله، ولما دخلتُه رأيت الأنبياء صفوفاً صفوفاً، ودونهم الملائكة، ورأيت أقربهم إلى الحق أربعةَ أنبياء، ورأيت أولياء أمةِ محمدٍ أقرب الناس إلى محمد، وهو أقرب الخلق إلى الله تعالى، وأقرب إليه أربعة أولياء فعرفت منهم السيد محيي الدين عبد القادر، وهو الذي تلقَّاني إلى باب الحجاب، وأخذ بعضدي حتى دنوتُ من سيدنا محمد صلى الله عليه وآله، فناولني يمينه، فأخذتُه بكلتا يديّ، فلا زال يجذبني ويُـدنيني حتى ما بقي بين وبـين ربي أحـدٌ، فلما حققتُ النظـرَ في ربي رأيته على صورة النبيِّ، إلا أنه كالثلج أشبه شيء أعرِفُه في الوجود مِن غير رداء ولا ثياب، ولما وضعتُ شفتي على محلٍّ منه لأقبله، أحسستُ ببردٍ كالثلج سبحانه وتعالى، فأردتُ أن أخرَّ صعقاً، فمسكني سيدنا محمد صلى الله عليه وآله، وأعادني إلى ورائي، فعُدْتُ معه، فتلقّاني ثان، فلا زلتُ القهقرى وأنا شاخصٌ إلى ما أراه، فلم أشعر بنفْسي إلا وأنا على الكرسي الأول[1]. . .

ـ جاء في حاشيـة الصفحـة (١٧٢) أن المـؤلف (ابن قضيب البـان) كان علَّق في هامش الصفحة التي فيها هذا النص ما يلي: وإذا أنا بالمسجد الحرام من مكة عند المقام، جالس في الحجر، قريب الفجر، فجدّدت الوضوء، وحضرت الصلاة سنة الألف وكنت مجاوراً بمكة حينئذ، فتمتْ الواقعة بعد الصبح.

ونترك مناقشة هذا الكلام الرهيب والتعليق عليه للقارىء.

ويقول ابن قضيب البان أيضاً في نفس الكتاب:

موقف سر قيام الحياة بالذات الوجودية:

أوقفني الحق على سر قيـام الحيـاة بالـذات الـوجـوديـة، فنظـرتُ إلى سريان وحدة الـوجـود، والتئـام شمـل كل موجـود، ثم حققتُ بعـين الاعتبـار، فإذا أنـا بمـراتب الوصال. . . ثم أَطْلعني على أسرار البدء والعود لدوائر الآثار وتنافر الأسماء، ثم كشف لي

---

(١) الإنسان الكامل في الإسلام، ص١٦٦ ـ ١٧٢.

عن دائـرة الكـون السفـلي . . . ثم كشف لي عن سر التنـزيـل والإرسال، وحكمة الوعد والـوعيـد، وحالة الاجتباء والاصطفاء، ومقام الاختبار، ثم أشهدني العمدة في ذلك بعد كشف السُّبُحات، فرأيتُ هناك صورةَ شاب، وجهه الشمسُ نوراً، وحوله صُوَرٌ كالبدور والنجـوم حُسنـاً، وأشعـة أنـوارهم جاذبـة لكـل موجود، وبين أيديهم موائد وأوانٍ بفواكه مملوءة، وأثمار معددة، وأشخاص يأخذون من ذلك الفضل، ويفعلون ما يؤمرون؛ وقد أشغلني نظري إليه، وأدهشني حضوري لديه، فنظر إليَّ نظر داعٍ وشفيقٍ راعٍ، فسمعت صوتـاً يقـول: أرسـل له الأمانةَ ـ بعدما هممت بالإقبال عليه، وكان بيني وبينه نحو عشرة صفـوف ـ وإذا بشيء حمله ومـدَّ به يده إليَّ، فتنـاولته بكلتا يدي، وهي آنية مملوءة من كل شيء، فابتلعتهـا لوقتي، وتيقظتُ لحسِّي، فإذا أنـا بالبيت الحـرامِ طائف، وقـد حييت بحق المقام، وفي يدي كأس من زمزم، ما رشفته منه متمم، وحمدت الله على ما شهدته من الخير المقدم[1].

ـ ويقول: موقف الأنانية:

أوقفني الحق على بسـاط الأنـانيـة، ثم كشف لي عن سر قيام النفس الرحماني والسر الباعث لروح الكشف والانتباه . . . وهناك أراني سر الحقائق في السعة والمضايق . . . ثم كشف لي عن أسرار المؤالفة والمتابعة وحال المعاينة، وأسرار الأديان المختلفة بالألقاب، ثم كشف لي عن بيت العـزة، وأراني كيفيـة تنزُّل الصحف والكتب المسطَّرة، وكشـف لي عن أمم الحـروف العـاليـة، وتنـزُّلهـا في قوالب الكلِمِ المـرمـوقـة، فرأيت لكـل حرف سبعـة أبطن . . . وكشـف لي عن إبطان المعية الذاتية وسريانها في سبق السوابق ولحق اللواحق. وكشَفَ لي عن قيام أسرار حروف الألِفِ، فرأيت قيام امتداد «الهمزة» بكل حقيقة خفية، «واللام» بكل عالَمٍ كوْنيِّ جليّ، و«الفاء» بمعرفة كل معروف عند تُعريفه، وقال لي: هذا السر لا يظهر إلا عند أُفول قَمَر البشرية، وتجلّي شمس الروحانية (أي في حالة الجذبة)، ثم قال لي: وفي ظهـورهـا قوة «شـين» المشيئـة، و«ميم» الكـلام، و«سـين» السلطان في حجب السبحـاتيـة[2] . . . (إلى آخـر هذه الهـذيـانـات التحشيشيـة الأفيـونيـة الهلوسية «التحشيش الروحاني»).

---

(١) الإنسان الكامل في الإسلام، ص١٨٦ و١٨٧ . (٢) الإنسان الكامل في الإسلام، ص١٨٧ و١٨٨ .

ـ ويقول: موقف القطبية:

أوقفني الحق على بساط القطبية، وقال لي: الإنسان الكامل قطب الشأن الإلٰهي، وغوث الآن الزماني، أول ما أُسلِّم له: التصريف في قُطر نفسه حتى يبلغ الأشد، ثم أُسلِّم له ما وافقه من أقطار الأقاليم، ثم أُسلِّم له الأرض، ثم يُسَلَّم له الملك، ثم يُجمع له الملك والملكوت، وهذا هو النائب الرحماني. وقال لي: القطب يعرفه كل شيء حتى أهل الغيب وعالم المحال وأهل الأرض البيضاء، ويعرض عليه أحوال العوالم، وصُوَرُ أولي العلم حتى يَسِمَها بطابع الرحمة ويردّها بالبصر. وقال لي: القطب قلبه في كِنِّ عالم الأزل، ومخدع الألوهَة، وشخصه قبل كل واردٍ على الله في مركز الوقت على صفةٍ بين كل عالم وبرزخ بين القبضتين والدارين، وبصره في أسرار الوجود ووجوه القلوب، وهو نكتة إنسان العين في الأبد والأزل، وهو المرآة لرؤ ية وجه الحق، وعنده مقر قاب قوسين، وقيام لواء الحمل. وقال لي: القطب فاروق الوقت، وقاسم الفيض، وإليه مُفَوَّض أزمَّة الأمور. . . وقال لي: الكون كله صورة القطب، وأنا ذاته، وبأنفاسه ظهور ألوان الشؤ ون الذاتية، وهو الباب الذي لا دخول ولا خروج إلا منه[1]. . . . (إلى آخر هذه الضلالات الهذيانية الحمقاء).

ـ ويقول: موقف الغوثية:

أوقفني الحق على مقام غوثية الوجود وسر الإغاثة لكل موجود عند خروجه من بحر العدم، ثم كَشَفَ لي عن المعارف الغوثية وأرواح مشاهدها في الشاهدين، وتحققتُ أسرار الصمدانية عند شهود أنوارها. . . ورأيت نشر حلل الرضا وكؤ وس الصفا وهي دائرة على الواردين من أهل الكشف، وفيها شراب النور والرؤ ية ومخاطبة الأسرار وسماط اللقاء، ومؤ يد البقاء على كرسي الارتقاء، فرأيت أعيان حقائق الوجود حافَّة به، ثم رأيت تجلّي الوجه الأحدي، ثم رأيت الهوية ومحاسن «إلاَّ هُويَّة»[2] من مظاهر الألوهية في حضرة الأنس وحظيرة القدس. . . ثم أُتي لي بخلعة الغوثية[3].

---

(١) الإنسان الكامل في الإسلام، ص١٨٩ و ١٩٠.

(٢) «إلاّ هوية» مأخوذة من «إلا هو» في قولهم: «لا هو إلا هو».

(٣) الإنسان الكامل في الإسلام، ص١٩٤.

● ملاحظة :

يخبرنا ابن قضيب البان في هذا النص، أنه غوث زمانه، كما يخبرنا أن مقام الغوثية يرافقه، أو يرتبط به شهود أنوار الصمدانية، أو تحقق أسرارها.

وعبارة «تحقق أسرار الصمدانية» أو «شهود أنوار الصمدانية» تحمل نفس معنى العبارة التي تقول: «ذقت من معاني اسمه الصمد».

إذن، فنضيف إلى سؤال سابق سؤالاً جديداً: لِمَ لا تغيث الأمة الإسلامية وتنقذها مما تتردى فيه من ذل ومهانة ودمار في كل مكان، وجهل بالإسلام الذي أُنزل على محمد ﷺ؟ لِمَ، مادمت غوثاً، أو قطباً على الأقل؟!

وللعلم، فإنه لا يكون موجوداً في وقت واحد إلا غوث واحد (هكذا يقررون)، ومع ذلك فلم يَخْلُ زمن من عدة أغواث مثل الجيلاني والرفاعي وأبي مدين مثلاً، ويوجد الآن عدة أغواث، حيث يظهر أن شياطينهم مختلفون فيما بينهم.

وللعلم أيضاً، كل الواصلين منهم يعرجون في السماوات ويتحققون بالفناءات، إلا من لا شيخ له.

والملاحظة الهامة أن رؤاهم كلها تنبثق من عواطفهم وطموحاتهم، وتتحرك في أجواء مأخوذة من معلوماتهم التي استقوها من المعارف الشائعة في عصرهم، بعجرها وبجرها وعامها وخاصها.

ونختم هذا الفصل بكلمة لأبي الهدى الصيادي «المرشد الكامل» عن اللذة في الجذبة، يقول: «. . . كما أن لهم المناجاة واللذة السارية في جميع وجودهم . . .»[1].

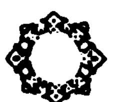
وأقول: إن هذه اللذة هي من الأسباب التي تربطهم بالصوفية، والعشق الإلٰهي هو ـ في الحقيقة ـ الشوق إلى هذه اللذة مع مرض الإدمان.

ولعل أهم ملاحظة يجب أن ننتبه إليها هي هذه الرؤى الكشفية التي وصفوها، والتي تظهر بوضوح أنها منبثقة من معلومات المكاشف وأمانيه المختزنة في لا شعوره،

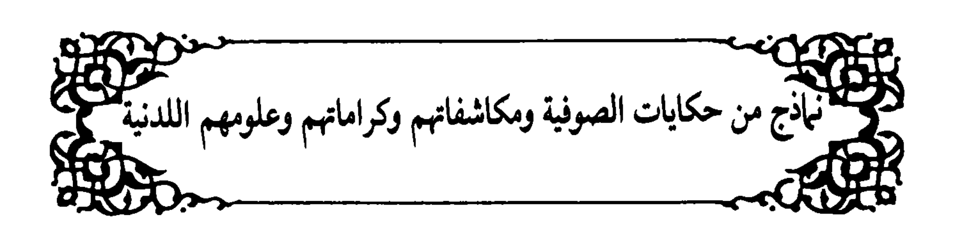
---

(١) قلادة الجواهر، ص١١٢.

وطبعاً، استقى معلومـاتـه من الوسط الثقافي الذي يحيط به، ومن توجيهات الشيخ. كما نرى أن دور قواه الفكـريـة اللاشعـوريـة هو التنسيق والتصـويـر، ولـو كانت معلومـات المكاشف المختزنة وأمانيه مختلفة لتغيرت كشوفه حسب اختلافها.







نماذج من حكايات الصوفية ومكاشفاتهم وكراماتهم وعلومهم اللدنية

يا مُلَسْلَيْنْ يا بلّمعَيْنْ يا منعلهيْ يا ما نقول يا تعليميا يا فَوْأُيَسْ واجفر

حكـايـات الصـوفيـة وكراماتهم ومكاشفاتهم وعلومهم اللدنية هي بيان واضح كاف لكشف حقيقة الصوفية.

إنها لا تزيد عن كونها خليطاً من المعلومات الخرافية التي كان الناس يظنونها حقيقة، ومن أوهـام غروريـة بعثتهـا أمـاني خرقاء، وطموحات هذيانية قفزت فوق الدين والعقل والفطرة والواقع، ومن رؤى ومسرحيات يضحك بها على أذقانهم خبثاء تلك المخلوقات التي ترانا ولا نراها، والتي هي الجن.

ولنـترك حكـاياتهم وكراماتهم ومكاشفاتهم وعلومهم اللدنية، لنتركها تتكلم بواقعها كما هي، لأن واقعها أبلغ من كل كلام.

*** جبال قاف وكاف وعين وصاد :ـ**

مما يذكره أبو طالب المكي :

. . . قيـل لأبي يزيـد (البسطـامي) : بلغت جبـل قاف؟ فقـال : جبـل قاف أمْـره قريب، الشأن في جبـل كاف وجبـل عين وجبـل صاد! قيـل : وما هذا؟ قال : هذه جبال

محيطـة بالأرضـين السفلى، حول كل أرض جبـل بمنـزلة جبل قاف المحيط بهذه الأرض الدنيا، وهو أصغرها، وهذه أصغر الأرضين، وقد كان أبو محمد يخبر أنه صعد جبل قاف ورأى سفينة نوح مطروحة فوقه، وكان يصفه ويصفها؛ وقال: لله عبد بالبصرة يرفع رجله وهو قاعد، فيضعها على جبل قاف[1]... اهـ.

● **الملاحظة:**

النص يبين بوضوح ما هو جبل قاف؛ وقد كان الناس يتوهمون صورة غير صحيحة للأرض؛ والآن عرف سطـح الأرض، وعـرفت مسـاحتـه بدقـة، ولم يبق منـه أي شيء مجهـولاً، حتى قاع البحـر، كل ذلك درس طوبوغرافيًّا وجيولوجيًّا وفيزيائيًّا وكيميائيًّا... والسـؤال: أين يقـع جبـل قاف؟ ولم يكتف القـوم بقاف، حتى أضافوا إليها كاف وعين وصـاد، ثم إن القـرآن الكـريم يخبرنا عن سفينة نوح أنها استوت على الجودي، لا على جبل قاف، فهل كان الكشف أصدق من القرآن الكريم؟

لكن ما شأننـا نحن؟ فالـراوي هو أبـو طالب المكي (القطب)، والمكاشف هو قطب أكبر. (وفي كل كشوفاتهم التي سنرى بعضها، تظهر القيمة التافهة لعلومهم اللدنية الجاهلة).

*** لا يشرب ولا ينام طيلة سنة كاملة:-**

مما يورده أبو طالب المكي وحجة الإسلام الغزالي وغيرهما:

قيـل لأبي يزيـد البسطـامي: حدثنـا عن ريـاضة نفسك في بدايتك؟ فقال: نعم، دعـوت نفسي إلى الله، فجمحت عليَّ، فعـزمت عليهـا أن لا أشـرب الماء سنة ولا أذوق النوم! فوفت لي[2]!

- بدون مناقشة أو تعليق.

*** قصة بدون عنوان:-**

مما يرويه الحجتان، أبو طالب المكي وأبو حامد الغزالي وغيرهما:

---

(١) قوت القلوب: ٢ / ٦٩.

(٢) قوت القلوب: ٢ / ٧٠، وإحياء علوم الدين: ٤ / ٣٠٤.

. . . حكي أن أبا تراب النخشبي كان معجباً ببعض المريدين، فكان يدنيه ويقوم بمصالحه، والمريد مشغول بعبادته ومواجدته؛ فقال له أبو تراب يوماً: لو رأيت أبا يزيد، فقال: إني عنه مشغول؛ فلما أكثر عليه أبو تراب من قوله: «لو رأيت أبا يزيد»، هاج وجد المريد فقال: ويحك، ما أصنع بأبي يزيد؟ قد رأيت الله فأغناني عن أبي يزيد! قال أبو تراب: فهاج طبعي ولم أملك نفسي، فقلت: ويلك، تغتر بالله عز وجل! لو رأيت أبا يزيد مرة واحدة كان أنفع لك من أن ترى الله سبعين مرة!! قال؛ فبهت الفتى من قوله وأنكره، فقال: وكيف ذلك؟ قال له: ويلك، أما ترى الله تعالى عندك فيظهر لك على مقدارك، وترى أبا يزيد عند الله قد ظهر له على مقداره، فعرف ما قلت[1]. . .

ـ لا يسعنا إلا السكوت الحزين أمام أمثال هذه المكاشفات الضلالية التي أوردها صاحبا «قوت القلوب» و «إحياء علوم الدين».

*** ومرة أخرى جبل قاف :ـ**

يقول أبو طالب المكي (وهو حجة عند القوم):

إن وليًّا لله خطا خطوة واحدة خمسمائة عام، ورفع رجله على جبل قاف والأخرى على جانب الجبل الآخر، فعبر الأرض كلها[2]. . .

● المناقشة:

محيط الأرض أربعون ألف كم، ونصف المحيط (أي عشرون ألف كم) هي أبعد مسافة بين نقطتين عليه، وعندما يتحدثون عن «مسافة خمسمائة عام» فإنهم يعنونها بسرعة القوافل في ذلك الوقت، وكانت سرعتها الوسطى (أو أقل من الوسطى) حوالي **٣٥** كم يوميًّا، حيث كانت تقطع في الشهر حوالي ألف كيلومتر، وبذلك يكون محيط الأرض حسب حساباتهم أربعين شهراً (فقط لا غير)، أي ثلاث سنوات وثلث، وتكون مسافة الخمسمائة عام أطول من نصف محيط الأرض بـ (**٣٠٠**) مرة على أقل تقدير، بل وأبعد من المسافة بين الأرض والقمر بـ (**١٥**) مرة، ولكن كشفهم يجهل هذه الحقائق، والسؤال يُترك للقارىء اللبيب مع التوكيد على أنهم يرون ذلك بالكشف وكأنه حقيقي.

---

(١) القوت: ٢ / ٧٠، والإحياء: ٤ / ٣٠٥. (٢) قوت القلوب: ٢ / ٧٠.

* **إرم ذات العماد :-**

يورد أبو طالب المكي نفسه :

. . . قيل لأبي يزيد : دخلت إرم ذات العماد؟ فقال : قد دخلت ألف مدينة لله في ملكه ، أدناها ذات العماد ، ثم عدد كلها : البيت وتاويل وتاريس وجابلق وجابرس ومسك . ولعل قائلاً يقول : فقد قال الله في وصفها : ﴿الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ﴾ . قيل : فإن معناه في بلاد اليمن ، لأنهم خوطبوا في بلادهم . . . فذات العماد مدينة عاد في اليمن بين أبتر والشحر ، يقال : لها سور له ألف باب ، ما بين البابين فرسخ ، مركبة على أعمدة الذهب والفضة والياقوت والزبرجد ، فيها مائة ألف عمود من ذلك . . . تجتمع في هذه المدينة طائفة من الأبدال ليالي الجمع وفي الأعياد . . . وقد كان سهل رحمه الله يزورها في كل جمعة[1] . . . .

● **المناقشة :**

الهذيان الجاهل واضح لا يحتاج إلى من ينبه عليه ، لكن يظهر أن كشفهم أجهل ما يكون في حساب المسافات ! ! لأن سوراً طوله ألف فرسخ كاف لتسوير اليمن كلها بما في ذلك أبتر والشحر ، ويبقى منه بقية ، ولكنه الكشف والعلم اللدني ! فلا تعترض .

* حتى أمر الساعة بيدهم :

يقول الحجتان ؛ المكي والغزالي :-

. . . ولما دخل الزنج البصرة ، فقتلوا الأنفس ، ونهبوا الأموال ، اجتمع إلى سهلٍ إخوانُه ، فقالوا : لو سألت الله تعالى دفعهم؟ فسكت . ثم قال : إن لله عباداً في هذه البلدة لو دعوا على الظالمين لم يصبح على وجه الأرض ظالم إلا مات في ليلة واحدة ! ولكن لا يفعلون . قيل : لِمَ؟ قال : لأنهم لا يحبون ما لا يحب ؛ ثم ذكر من إجابة الله لهم أشياء لا يستطاع ذكرها ، حتى قال : ولو سألوه أن لا يقيم الساعة لم يقمها[2] . . .

يعلق الغزالي «حجة الإسلام» على هذا الهذيان الضلالي بقوله :

---

(١) قوت القلوب : ٢ / ٧٠ .

(٢) قوت القلوب : ٢ / ٧١ ، والإحياء : ٤ / ٣٠٥

وهذه أمور ممكنة في أنفسها، فمن لم يحظ بشيء منها فلا ينبغي أن يخلو عن التصديق والإيمان بإمكانها، فإن القدرة واسعة، والفضل عميم، وعجائب الملك والملكوت كثيرة، ومقدورات الله تعالى لا نهاية لها، وفضله على عباده الذين اصطفى لا غاية له[1]. . .

● الملاحظات:

لا نستطيع التعليق على هذه القصة ولا على التعليق؟ فالقصة يرويها عملاقان من عمالقة التصوف، والتعليق يقدمه حجة الإسلام ومحجة الدين التي يتوصل بها إلى دار؟؟ لكن إذا كان قوله: «لو سألوه ألا يقيم الساعة لم يقمها» بكل ما فيه من تطاول وضلال يُستطاع ذكره، فما هي الأشياء التي لا يستطاع ذكرها!؟ هي ولا شك أكبر بكثير وأضل بكثير ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم. لكنه الكشف والعلم اللدني والولاية، ولا تعترض.

* دعوة إلى الذل والمهانة:

يقول الحجتان نفساهما:

. . . وعن بعضهم أنه قال: أقلقني الشوق إلى الخضر عليه السلام، فسألت الله تعالى مرة أن يريني إياه ليعلمني شيئاً كان أهم الأشياء عليّ، قال: فرأيته، فما غلب على همي ولا همتي إلا أن قلت له: يا أبا العباس! علمني شيئاً إذا قلته حجبت عن قلوب الخليقة، فلم يكن لي فيها قدر، ولا يعرفني أحد بصلاح ولا ديانة؟ فقال: قل: «اللهم أسبل عليَّ كثيف سترك، وحطَّ عليَّ سرادقات حجبك، واجعلني في مكنون غيبك، واحجبني عن قلوب خلقك»، قال: ثم غاب فلم أره، ولم أشتق إليه بعد ذلك؛ فما زلت أقول هذه الكلمات في كل يوم. فحكى أنه صار بحيث يستذل ويمتهن، حتى كان أهل الذمة يسخرون به ويستسخرونه في الطرق يحمل الأشياء لهم لسقوطه عندهم، وكان الصبيان يلعبون به، فكانت راحته ركود قلبه واستقامة حاله في ذلك وخموله[2]. . .

- يعلق الغزالي «الإمام حجة الإسلام» على هذا فيقول: وهكذا حال أولياء الله

---

(١) الإحياء: ٤ / ٣٠٥.

(٢) القوت: ٢ / ٧٣، والإحياء: ٤ / ٣٠٦.

تعالى، ففي أمثال هؤلاء ينبغي أن يطلبوا[1]. . .

- ونحن بدورنا نسأل الغزالي، ونسأل معه المكي قبله: ما معنى قوله تعالى: ﴿ولله العِزةُ ولرسولِهِ وللمُؤْمنين﴾؟ على أن الآية نفسها قدمت الجواب، فقالت: ﴿ولٰكنَّ المنافِقينَ لا يعلمونَ﴾.

وأمثال هذه الدعوة تفسر لنا سبب انحطاط المسلمين وما آل إليه أمرهم.

*** لا قيمة للصلاة والصيام في الآخرة:-**

يقول حجة الإسلام الهمام، بدر التمام، أبو حامد، بل أبو المحامد، الغزالي (بعد أن يتكلم على المقامات الصوفية):

. . . فالعلم بحدود هذه الأمور. . . هو علم الآخرة، وهو فرض عين في فتوى علماء الآخرة (أي الصوفية)، فالمعرض عنها هالك بسطوة ملك الملوك في الآخرة، كما أن المعرض عن الأعمال الظاهرة هالك بسيف سلاطين الدنيا، بحكم فتوى فقهاء الدنيا[2]. . .

● الملاحظات:

نجيب على الضلال السافر الملاحظ في هذا النص بما يلي:

١ - قوله عن العلم بالمقامات الصوفية: «هو فرض عين في فتوى علماء الآخرة»، هو تشريع، فنطالبه بالدليل من القرآن والسنة، ونرد عليه بقول الله سبحانه: ﴿أمْ لَهُم شركاءُ شَرَعوا لَهُم من الدينِ ما لَمْ يأْذَنْ بِهِ الله﴾، ونقول له: هذا تشريع جريء جدًّا، لم يأذن به الله، وهو شرك عظيم.

٢ - واضح كل الوضوح أن عبارة «الأعمال الظاهرة» يعني بها: الصلاة والصيام والحج والجهاد. . . وكل ما ظهر من الأعمال التكليفية، ويقرر «هذا الحجة» أن المعرض عنها هالك بسيف سلاطين الدنيا! أي إنه غير مؤاخذ عند الله! وهذا تكذيب للقرآن

---

(١) الإحياء: ٤ / ٣٠٦.

(٢) الإحياء: ١/ ١٩. وهذا المعنى يتكرر في الإحياء، انظر: ٤ / ١٨٣ و ١٨٤.

والسنـة، كما يقـرر أنـه هالـك بفتوى فقهاء الدنيا، أي إن علماء الآخرة (الصوفية) لا يرون فيها شيئاً! وهذا اعتراف بأن الصوفية لا يدينون بأوامر القرآن والسنة.

يكـ ر «حجة الإسلام» هذا المعنى في عدة مواضع في «إحيائه»، هذا واحد منها، وقد مر بعضها فيما سبق من نصوص، ويُترك الحكم للقارىء اللبيب.

*** أذل من الكلب (ضعها في المقام المناسب):ـ**

يورد الحجتان «إياهما»:

. . . روي أن ابن الكُرَيني، وهو أستاذ الجنيد، دعاه رجل إلى طعام ثلاث مرات، ثم كان يرده ثم يستدعيه، فيرجع إليه بعد ذلك، حتى أدخله في المرة الرابعة، فسأله عن ذلك؟ فقال: قد رُضْتُ نفسي على الذل عشرين سنة حتى صارت بمنزلة الكلب يُطرد فينطرد، ثم يُدعى فيرمى له عظم فيعود، ولو رددتني خمسين مرة ثم دعوتني بعد ذلك لأجبت!

وعنـه أيضـاً أنـه قال: نزلت في محلة، فعُـرفت فيهـا بالصـلاح، فشُتِّتَ عليَّ قلبي، فدخلت الحـمام، وعـدلت إلى ثياب فاخرة، فسرقتها ولبستها، ثم لبست مرقعتي فوقها، وخـرجت أمشي قليـلاً قليـلاً، فلحقـوني، فنـزعـوا مرقعتي وأخذوا الثياب، وصفعوني، وأوجعوني ضرباً، فصرت بعد ذلك أُعرف بلص الحمام، فسكنت نفسي[1]. . .

يعلق الغــزالي على هذا العمـل الـذي لا يمت إلى الإسـلام بأي صلة، فيقـول: «فهكذا كانوا يروضون أنفسهم حتى يخلصهم الله من النظر إلى الخلق، ثم من النظر إلى النفس، فإن الملتفت إلى نفسه محجوب عن الله تعالى (أي لا يستشعر الألوهية) وشغله بنفسه حجاب له[2]. . .

ـ ونجيبـه: إن هذا الأسلوب في ترويض النفس متبـع في الهنـدوسية وفي البوذية وفي الكهانة وفي السحر، والإسلام بريء منه.

---

(١) القوت: ٢ / ٧٤، والإحياء: ٤ / ٣٠٦. وتعزى قصة لص الحمام في القوت إلى مجهول، بينما تعزى في كتاب «نشر المحاسن الغالية» لليافعي إلى إبراهيم الخواص (مات في الري سنة ٢٩١هـ).

(٢) الإحياء: ٤ / ٣٠٦.

ومثل هذا التوجيه المنحرف يفسر لنا سبب ارتكاس الأمة الإسلامية في الدرك الذي تتخبط فيه، وسبب انحراف أبنائها عن المحجة البيضاء.

*** الطريق العجيب إلى الولاية العجيبة:**

يورد الحجتان نفساهما أيضاً:

. . . وحكي أن شاهداً عظيم القدر من أعيان أهل بسطام كان لا يفارق مجلس أبي يزيد، فقال له يوماً: أنا منذ ثلاثين سنة أصوم الدهر ولا أفطر، وأقوم الليل لا أنام، ولا أجد في قلبي من هذا العلم الذي تذكر شيئاً! وأنا أصدق به وأحبه، فقال أبو يزيد: ولو صمت ثلاثمائة سنة، وقمت ليلها، ما وجدت من هذا ذرة! قال: ولم؟ قال: لأنك محجوب بنفسك، قال: فلهذا دواء؟ قال: نعم. قال: قل لي حتى أعمله. قال: لا تقبله. قال: فاذكره لي حتى أعمل. قال: اذهب الساعة إلى المزيِّن، فاحلق رأسك ولحيتك، وانزع هذا اللباس، واتَّزر بعباءة، وعلق في عنقك مخلاة مملوءة جوزاً، واجمع الصبيان حولك، وقل: كل من صفعني صفعة أعطيتُه جوزة؛ وادخل السوق، وطف الأسواق كلها عند الشهود وعند من يعرفك وأنت على ذلك! فقال الرجل: سبحان الله، تقول لي مثل هذا! فقال: أبو يزيد: قولك: سبحان الله شرك! قال: وكيف؟ قال: لأنك عظمت نفسك فسبَّحتها وما سبحت ربك. فقال: هذا لا أفعله، ولكن دلني على غيره؟ فقال: ابتدىء بهذا قبل كل شيء. فقال: لا أطيقه. قال: قد قلت لك إنك لا تقبل[1] . . .

ـ يعلق الغزالي على هذا التوجيه الساقط فيقول:

«فهذا الذي ذكره أبو يزيد هو دواء من اعتلَّ بنظره إلى نفسه، ومرض بنظر الناس إليه، ولا يُنجي من هذا المرض دواء سوى هذا وأمثاله، فمن لا يطيق الدواء فلا ينبغي أن ينكر إمكان الشفاء في حق من داوى نفسه . . .»[2].

ـ وهذا التعليق ينقله الغزالي عن المكي بتصرف.

---

(١) القوت: ٢ / ٧٤ و٧٥، والإحياء: ٤ / ٣٠٦. (٢) الإحياء: ٤ / ٣٠٧.

● الملاحظات :

يلاحـظ في هذا النص اعـترافٌ من ثلاثـة أقطـاب ، أن طريق الصـوفيـة لا صلة له بطـريق الإسـلام ؛ فللإسـلام طريقـه التي أمر الله بها ، من صلاة ، وصيام ، . . . وبقية الأحكام ، وللصوفية طريقها التي ما أنزل الله بها من سلطان . وهذه القصة يوردها أقطاب آخرون في كتبهم شأن كل القصص الأخرى .

أما الملاحظات الأخرى فنتركها للقارىء اللبيب .

*** جعلوا الدعاء منسوخاً (من مقام التسليم والرضا) :ـ**

يورد الغزالي والمكي قبله :

. . . وضـاع لبعض الصـوفيـة ولـد صغـير ثلاثة أيام لم يُعرف له خبر ، فقيل له : لو سألت الله تعالى أن يرده عليك؟ فقال : «اعتراضي فيما قضى أشد علي من ذهاب ولدي»[1] .

ـ سؤال موجه إلى صاحبي «القوت» و«الإحياء» : ما معنى قوله سبحانه : ﴿ادْعوني أسْتَجِبْ لكُم إنَّ الـذينَ يَسْتَكْـبِرون عَن عِبـادَتي سَيَـدْخُلون جهَنَّمَ داخِـرينَ﴾؟ وهـل نسخها كشفهم؟

*** من مقام الفقر :**

يورد شهاب الدين السهروردي البغدادي :

. . . وقـال الـدراج : فتشت كنف أستـاذي أريـد مكحلة ، فوجـدت فيهـا قطعة ، فتحيرت ، فلما جاء قلت له : إني وجدت في كنفك هذه القطعة! قال : قد رأيتها؟ ردها ، ثم قال : خذها واشتر بها شيئاً . فقلت : ما كان أمر هذه القطعة بحق معبودك؟ فقال : ما رزقني الله تعالى من الدنيا صفراء ولا بيضاء غيرها ، فأردت أن أوصي أن تشد في كفني فأردها إلى الله[2] . . .

---

(١) القوت : ٢ / ٤٣ ، والإحياء : ٤ / ٢٩٩ .

(٢) عوارف المعارف في هامش الإحياء : ٤ / ٣١٠ .

● الملاحظة :

لا أظن أن مسلماً عنده شيء من الفهم الإسلامي يجهل ما في هذا القول من غباء وضلال وتفكير وثنيٍّ لا يمت إلى الإسلام بصلة!؟ (يجعل القطعة في كفنه ليردها إلى الله!!).

* صدق أو لا تصدق :-

مما يورده أبو نصر الطوسي وابن الملقن :

إن محمد بن علي الكتاني[1] ختم في الطواف اثنتي عشر ألف ختمة[2]!

- كيف تم هذا؟ لا ندري.

* ومن كراماتهم :-

مما يورده عبد الوهاب الشعراني :

. . . ومنهم عبد الله بن عون رضي الله تعالى عنه . . . كان يخلو في بيته صامتاً متفكراً، وما دخل حماماً قط[3].

- ولا تعليق.

* المهدي الذي لا يعرفه الإسلام :

ويورد الشعراني نفسه :

. . . الشيخ حسن العراقي صاحب الضريح فوق الكوم بقرب بركة الرطلي بمصر، ذكر لي رضي الله تعالى عنه أنه اجتمع بالمهدي إمام آخر الزمان عليه السلام بدمشق، وأقام عنده سبعة أيام، وعلمه ورده كل ليلة خمسمائة ركعة وصيام الدهر[4] . . .

---

(١) الكتاني بغدادي مات في مكة سنة ٣٢٢هـ.
(٢) اللمع، ص٢٢٥، وطبقات ابن الملقن، ص١٤٨.
(٣) طبقات الشعراني: ١ / ٦٤.
(٤) الأنوار القدسية في الآداب، هامش الطبقات: ١ / ٥.

ـ سؤال: من هو هذا المهدي الساكن في دمشق، والذي سيظهر آخر الزمان؟ ومتى ولد؟ وكم عمره الآن؟ وهل هو حي لا يموت؟ . . . إلى آخر الأسئلة.

وفي حدود ما سمعت، يوجد الآن ثلاثة أقطاب يدَّعون المهدوية، قطبان في بلاد الشام، وقطب في الجزائر، وكل واحد منهم ينتظر الإذن بالتحرك! وكم من قطب أخبره كشفه أنه المهدي فكان كشفه كاذباً مثله.

وهنا تتوارد أسئلة كثيرة، أتركها للقارىء ليتسلى بها وبالتعليق على هذه الكشوف والمشاهدات.

. ولكن ما يجب قوله: إن المهدية عن طريق الكشف كانت من الأسباب الرئيسية لتشتت الأمة الإسلامية وتمزقها وانحرافها عن الطريق المستقيم، ومن قرأ التاريخ عرف هذه الحقيقة الأليمة.

ـ كرامات؟ كرامات؟ كرامات؟ ولا حول ولا قوة إلا بالله.

يقول الشعراني «القطب الرباني والغوث الصمداني»:

. . . وسبب حضوري في مولده (أي مولد أحمد البدوي) كل سنة، أن شيخي العارف بالله تعالى محمد الشناوي رضي الله عنه، أحد أعيان بيته رحمه الله، قد كان أخذ عليَّ العهد في القبة تجاه وجه سيدي أحمد رضي الله عنه، وسلمني إليه بيده، فخرجت اليد الشريفة من الضريح، وقبضت على يدي. وقال سيدي: «يكون خاطرك عليه واجعله تحت نظرك»، فسمعت سيدي أحمد رضي الله عنه من القبر يقول: نعم نعم.

ثم إني رأيته بمصر مرة أخرى هو وسيدي عبد العال، وهو يقول: زرنا بطندتا (طنطا)، ونحن نطبخ لك ملوخية ضيافتك، (وطبعاً المرئي في مصر مع سيدي عبد العال هو أحمد البدوي الميت من قرون)، فسافرت، فأضافني غالب أهلها وجماعة المقام ذلك اليوم، كلهم بطبيخ الملوخية.

ثم رأيته (أي أحمد البدوي الذي مات منذ قرون) وقد أوقفني على جسر قحافة، تجاه طندتا، فوجدته سوراً محيطاً، وقال: قف هنا، أدخل عليَّ من شئت وامنع من شئت. ولما دخلت بزوجتي فاطمة أم عبد الرحمن وهي بكر، مكثت خمسة شهور لم أقرب

منها، فجاءني (أي أحمد البدوي) وأخذني وهي معي، وفرش لي فرشاً فوق ركن القبة التي على يسار الداخل، وطبخ لي حلوى، ودعا الأحياء والأموات إليه، وقال: أزل بكارتها هنا، فكان الأمر تلك الليلة.

وتخلفت عن ميعاد حضوري للمولد سنة ٩٤٨، وكان هناك بعض الأولياء، فأخبرني أن سيدي أحمد رضي الله عنه، كان ذلك اليوم يكشف الستر عن الضريح، ويقول: أبطأ عبد الوهاب، ما جاء.

وأردت التخلف سنة من السنين، فرأيت سيدي أحمد رضي الله عنه ومعه جريدة خضراء، وهو يدعو الناس من سائر الأقطار، والناس خلفه، ويمينه وشماله أمم وخلائق لا يحصون، فمر عليَّ وأنا بمصر، فقال: أما تذهب؟ فقلت: بي وجع. فقال: الوجع لا يمنع المحب؛ ثم أراني خلقاً كثيراً من الأولياء وغيرهم، الأحياء والأموات من الشيوخ والزَّمنى بأكفانهم يمشون ويزحفون معه يحضرون المولد، ثم أراني جماعة من الأسرى جاؤوا من بلاد الإفرنج مقيدين مغلولين يزحفون على مقاعدهم[1]...

ـ أقول: المأمول، الآن، من القارىء الكريم أن يكون عارفاً أن هذه كلها هلوسات كشفية، تختلط عند العارف مع الواقع فلا يميز بينهما، وأنها ليست من الإسلام في شيء، وأن الهندوس والطاويين والجينيين يرون مثلها وأكثر، وكذلك بعض مرضى الأعصاب، ونزلاء مستشفيات الأمراض العقلية، والحشاشون، كما أن المأمول أيضاً أن يكون عارفاً لما فيها من شرك ووثنية، ومخالفات صريحة جريئة للإسلام ولدين الإسلام ولرسول الإسلام ولكل ما جاء به الإسلام. (ولكنه الكشف على كل حال).

*** كشف:ـ**

... وكان (علي وفا) يقول في قوله تعالى: ﴿إنَّ أَوَّل بيتٍ وُضِعَ للناس للَّذي ببكةَ... الآية﴾، المراد به قلب آدم عليه السلام، لأنه أول بيت وضع للرب في البشر، وهو أيضاً بجسده مدفون تحت عتبة هذا البيت، كما أعطاه الكشف، وأما بنيَّة البيت فهو مثال مضروب للقاصرين ليتذكروا به المعنى عند رؤية مثاله، فافهم[2].

---

(١) طبقات الشعراني: ١ / ١٨٦.

(٢) طبقات الشعراني: ٢ / ٣١.

ـ التعليق: هذه صورة من التفسير الإشاري أرجو من القارىء أن ينتبه لها، وتترك الأسئلة للقارىء.

*** كرامة.. وكشف عورة:**

... ومنهم الشيخ محمد بن هارون رضي الله تعالى عنه ورحمه... وكان سبب خراب بلده سنهور المدينة، أنه كُشف له عن صاعقة تنزل عليها من السماء تحرقها بأهلها، فأمر بذبح ثلاثين بقرة وطبخها، ومدها في زاويته، وقال للنقباء: لا تمنعوا أحداً يأكل أو يحمل، فأكل الناس وحملوا جهدهم، فجاء فقير مكشوف العورة، أشعث أغبر، فقال: أطعموني، فأطعموه حتى عجزوا، فلم يقدروا عليه يشبع، فدفعوه وأخرجوه، فنزلت الصاعقة على البلد، فخرج الشيخ بأهله ومن تبعه، وهلك الناس في أسواقهم وبيوتهم أجمعين، فقال الشيخ للنقيب: يا ولدي: ما هذا الذي فعلته؟ شخص يريد أن يتحمل البلاء عن بلدنا بأكلة تمنعه! فهي إلى الآن خراب، وعمروا خلافها[1]...

سؤال واحد: متى خرج الشيخ مع أهله وأتباعه من المدينة؟ هل كان ذلك قبل الصاعقة أم بعدها؟ وماذا عن كشف العورة؟ والأسئلة والتعليقات كثيرة تُترك للقارىء اللبيب الفاهم للإسلام.

*** والآن جاء دور السحلية (حيوان زاحف صغير):ـ**

... وحكى لي شيخنا سيدي علي الخواص رضي الله تعالى عنه، أن سيدي محمد بن هارون، سلبه حاله مرة صبي القرَّاد، وذلك أنه كان إذا خرج من صلاة الجمعة، تبعه أهل المدينة يشيِّعونه إلى داره، فمر بصبي القرَّاد وهو جالس تحت حائط يفلِّي خَلَقته من القمل وهو مادٌّ رجليه؛ فخطر في سر الشيخ أن هذا قليل الأدب، يمد رجليه ومثلي مارٌّ عليه، فسُلب لوقته! وفرت الناس عنه، فرجع فلم يجد الصبي، فدار عليه في البلاد إلى أن وجده في رميلة مصر؛ فلما نظر القرَّاد الكبير إليه وهو واقف، وقد فرغوا، قال له: تعال يا سيدي الشيخ، مثلك يخطر في خاطره أن له مقاماً أو قدراً؟ هذا الصبي سلبك حالك،

---

(١) طبقات الشعراني: ٢ / ٣، وجامع النبهاني: ١ / ٢١٠، والنبهاني «يوسف بن إسماعيل» من إجزمْ شمالي فلسطين، درس في الأزهر وعمل في القضاء وتوفي في بيروت سنة ١٣٥٠هـ.

فله أن يمد رجله بحضرتك لكونه أقرب إلى الله منك! فقال: التوبة، فأرسله إلى سنهور المدينة، إلى الحائط التي كان يفلي ثوبه عندها، وقال له: ناد السحلية التي هناك في الشق، وقل لها: إن قزمان طاب خاطره عليَّ فردي عليّ حالي، فخرجت ونفخت في وجهه، فرد الله عليه حاله رضي الله عنه[1].

ـ عجيب! الولاية، يسلبها صبي القراد وتعيدها سحلية!! ومادامت الولاية بنفخة سحلية، فما معنى قوله سبحانه: ﴿ولقَدْ كَرَّمْنا بَني آدَمَ﴾؟ و. . . إلخ.

إن هذه العلوم الخرافية وأمثالها سيطرت على الأمة الإسلامية طيلة قرون طويلة، وسيطر بسببها الجهل بجميع أنواعه وأشكاله حتى وصلت إلى ما هي فيه الآن، ولم تزل هذه العقلية الغنوصية المنبعثة من الرؤ ى الشيطانية التي تضحك بها الشياطين على عقول هؤلاء القوم وعلى أذقانهم، وهم يبثونها بين الناس، لم تزل مسيطرة على أفكار جماهير المسلمين، حتى المثقفين منهم، ولكنها تظهر بصور شتى. (وعلى كل حال هي العلوم اللدنية فسلِّم للقوم حالهم).

* **تسجد لهم الملائكة:ـ**

يقول عبد القادر الجيلاني (قطب الأولياء الكرام، شيخ المسلمين والإسلام):

. . . من الأولياء من تسجد الملائكة له، وتكتف أيديها إلى ورائها. آحاد أفراد من الأولياء ترى الملائكة[2]. . . اهـ.

ـ وأنا أيضاً أقف هنا مكتوف الأيدي إلى وراء، لا أعرف ماذا أعلق على هذا المستوى من الضلال؟ ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، وهذا طبعاً من العلم اللدني.

ويقول الجيلاني نفسه:

يا غلام، اقرن بين الدنيا والآخرة، واجعلهما في موضع واحد، وانفرد بمولاك عز

---

(١) طبقات الشعراني: ٢ / ٣، وجامع النبهاني: ١ / ٢١١.

(٢) الفتح الرباني: ٣٧٠.

وجل عرياناً من حيث قلبك، بلا دنيا ولا آخرة. . . يا غلام، لا تكن مع النفس ولا مع الهوى، ولا مع الدنيا، ولا مع الآخرة، ولا تتابع سوى الحق عز وجل[1]. . .

● **التعليق:**

يأمرنا (سلطان الأولياء) أن نتعرى عن الدنيا والآخرة، ويأمرنا أن نقرن الآخرة بالدنيا، بمعنى أن ننبذ الآخرة كنبذنا للدنيا؟ ويقرن الآخرة مع النفس والهوى والدنيا، فنسأله، ونسأل الذي خُدعوا به: ماذا بقي لنا إن تعرينا عن الآخرة وتركناها؟ ولِمَ يعمل العاملون المؤمنون؟ أليس كل عمل المؤمن هو من أجل الآخرة؟

الله سبحانه يعلمنا أن ندعوه: ﴿ربَّنا آتِنا في الدُّنيا حَسَنَةً وفي الآخرةِ حسنةً وقِنا عذابَ النَّار﴾، فهل نطيع الله أم نطيع الجيلاني؟

عشرات الآيات في القرآن الكريم تأمرنا أن تكون غايتنا هي الآخرة، وأن تكون هي رجاءَنا من الله سبحانه، منها مثلاً: ﴿اعبُدوا الله وارْجوا اليومَ الآخرَ ولا تَعْثَوْا في الأرضِ﴾، فهل وصل (المقام) بالجيلاني إلى مستوى نسخ القرآن!؟

ثم يتساءل المتسائلون: ما دام الإسلام دين الفطرة، فلِمَ انحرف عنه المسلمون وابتعدوا منه بسلوكهم وأخلاقهم وعقائدهم؟ والجواب ماثل أمام الأعين، لكنها لا تعمى الأبصار. . .

ويقول: . . . يا جاهل، اترك الدفتر من يدك، وتعال اقعد ههنا بين يديَّ على رأسك، العلم يؤخذ من أفواه الرجال لا من الدفاتر، يؤخذ من الحال لا من المقال، يؤخذ من الفانين عنهم (أي عن أنفسهم) وعن الخلق، الباقين بالحق عز وجل[2]. . .

- إنه ينهى عن علم الدفاتر، ويأمر بعلم الحال لا بعلم المقال: وطبعاً علم الدفاتر، هو نفسه علم المقال، (الذي يتعلم بالقول واللسان)، وهو كل العلوم الإنسانية بما فيها علم الشريعة الإسلامية من قرآن وحديث وشروحها وفقهها . . . إلخ! ثم يتساءلون عن سبب الجهل المتفشي في المسلمين؟.

---

(١) الفتح الرباني، ص١٤ و ١٥.

(٢) الفتح الرباني، ص٢١٤.

*** كرامة فوق الإعجاز والمعجزات :ـ**

. . . ومنهم الشيخ علي نور الدين المرصفي رحمه الله تعالى ورضي عنه آمين : كان من الأئمة الراسخين في العلم ، وله المؤلفات النافعة في الطريق . . . وذكر لي سيدي أبو العباس رحمه الله أنه قرأ بين المغرب والعشاء خمس ختمات !؟ فقال الشيخ : الفقير وقع له أنه قرأ في يوم وليلة ثلاثمائة وستين ألف ختمة !؟!؟ كل درجة ألف ختمة[1] . . . أهـ .

ـ وإسلاماه! واعقلاه! وإنسانيتاه! واحياءاه!؟ ولكنها الولاية؟

إن هذه الرؤى الشيطانية وأمثالها التي سيطرت على عقول المسلمين هي التي أفسدت فيهم ما أفسدت من تفكير أصبح غير سليم ، لا يفكر إلا بأسلوب خرافي سحري بعيد عن الواقع الصحيح ، ومن عقيدة انحرفت عن عقيدة الإسلام التي جاء بها محمد ﷺ ، ومن سلوك أصبح موجهاً بالخيالات الصوفية الضبابية ، والرؤى الكشفية التي تختلط عند الكمّل مع الواقع فلا يميزون بينها غالباً .

*** كرامات وولاية تمقت الأذان وتحارب الصيام :ـ**

. . . ومنهم سيدي إبراهيم بن عصيفير رضي الله تعالى عنه آمين . . . وكان كثير الكشف ، وله وقائع مشهورة . . . وكان بوله كالحليب أبيض ، وكان يغلب عليه الحال فيخاصم ذباب وجهه ، وكان يتشوش من قول المؤذن «الله أكبر» فيرجمه ويقول : عليك يا كلب نحن كفرنا يا مسلمين حتى تكبروا علينا! وما ضبطت عليه قط كشفاً أخرم فيه . . . وكان رضي الله عنه يقول : أنا ما عندي من يصوم حقيقة إلا من لا يأكل اللحم الضاني أيام الصوم كالنصارى ، وأما المسلمون الذي يأكلون اللحم الضاني والدجاج أيام الصوم فصومهم عندي باطل . . . وكان يفرش تحته في مخزنه التبن ليلاً ونهاراً ، وقبل ذلك كان يفرش زبل الخيل ، وكان إذا مرت عليه جنازة وأهلها يبكون ، يمشي أمامها معهم ويقول : زلابية هريسة زلابية هريسة ، وأحواله غريبة[2] . . . أهـ . ولا تعليق .

---

(1) طبقات الشعراني : ٢ / ١٢٨ ، وجامع النبهاني : ٢ / ٣٦٧ ، وذكرها الشيخ عبد الغني النابلسي في (شرح الطريقة المحمدية) .

(2) طبقات الشعراني : ٢ / ١٤٠ .

* ولي يمنع خادمه من الصلاة ويضربه إذا صلى :ـ

. . . ومنهم سيدي الشيخ شهاب الدين الطويل النشيلي رضي الله تعالى عنه . . . وكان ينادي خادمه وهو في الصلاة، فإن لم يجئه مشى إليه وصكّه ومشى به وقال: كم أقول لك لا تعد تصلي هذه الصلاة المشؤومة، فلا يستطيع أحد يخلصه منه[1] . . .

ـ وبالطبع فإن الصوفية يرون أن منعه من الصلاة له تأويل!

* جبّ نفسه تقرباً إلى الله (لعل هذا من مقام الورع) :ـ

. . . ومنهم سيدي عبد الرحمن المجذوب رضي الله تعالى عنه (وهو من السلسلة الشاذلية) كان رضي الله عنه من الأولياء الأكابر . . . وكان مقطوع الذكر، قطعه بنفسه أوائل جذبه، وكان جالساً على الرمل صيفاً وشتاء، وإذا جاع أو عطش يقول: أطعموه، أسقوه[2] . . . أهـ. ولا تعليق.

* تواضع مرحاضي ويدخل الجامع بالكلاب! رضي الله عنه :ـ

. . . ومنهم الشيخ أبو الخير الكليباتي رضي الله عنه، كان رضي الله عنه من الأولياء المعتقدين، وله المكاشفات العظيمة مع أهل مصر وأهل عصره . . . وكان أغلب وقته واضعاً وجهه في حلق الخلاء في ميضأة جامع الحاكم!! ويدخل الجامع بالكلاب[3]!!

ـ لعل هذا من مقام التواضع المرحاضي الممزوج بالكلاب.

* مأمونية حموية :ـ

وحكى لي خادم سيدي أبي الخير الكليباتي أن شخصاً أتاه وأخبره أنه قال للشيخ: إن زوجتي حامل، وقد اشتهت مامونية حموية، ولم أجدها، فقال له الشيخ: ائتني بوعاء، فأتاه به، فتغوَّط له فيها مامونية سخنة! فقال الخادم: وأكلت منها لعدم اعتقادي أنها

---

(١) طبقات الشعراني: ٢ / ١٤١.

(٢) طبقات الشعراني: ٢ / ١٤١.

(٣) طبقات الشعراني: ٢ / ١٤٣، وجامع النبهاني: ١ / ٤٥٤.

غائط[1]!! (ولا تعليق).

*** يخطب عرياناً ويخرج الريح أمام الناس ويحلف كاذباً رضي الله عنه :-**

. . . ومنهم الشيخ إبراهيم العريان رضي الله تعالى عنه ورحمه . . . وكان رضي الله تعالى عنه يطلع المنبر ويخطب عرياناً، فيقول: السلطان ودمياط باب اللوق بين القصرين وجامع طيلون الحمد لله رب العالمين؛ فيحصل للناس بسط عظيم. . . وكان يخرج الريح بحضرة الأكابر، ثم يقول: هذه ضرطة فلان، ويحلف على ذلك، فيخجل ذلك الكبير منه، مات سنة نيف وثلاثين وتسعمائة[2].

● ملاحظة هامة :

يظهر أن العري أمام الناس، المحرم في الإسلام، هو من مستلزمات الولاية الصوفية، ولكنه هين أمام المامونية الحموية؛ على كل حال، يجب أن تؤول لهؤلاء القوم ضلالاتهم للتستر عليها، كما يجب أن لا ننسى أنه يحلف كاذباً رضي الله عنه!.

*** طبل وزمر :-**

ومنهم سيدي إبراهيم المجذوب رضي الله تعالى عنه: كان رضي الله عنه كل فلوس حصّلها يعطيها للمطبِّلين ويقول: طبلوا لي زمروا لي[3]. . .

*** يحمل عن الناس؛ ماذا؟ ويتطور؛ لماذا؟ :-**

. . . ومنهم سيدي سويدان المدفون بالخانكه رضي الله عنه . . . ووقع له وقائع وكرامات، وكان فمه لم يزل فيه نحو الخمسين حبة من الحمص ليلاً ونهاراً، يقال: إنها حملات الناس[4]. . .

وكان كثير التطور، يدخلون عليه فيجدونه سبعاً تارة وفيلاً أخرى[5] (وطبعاً دور

---

(١) الأنوار القدسية في القواعد: ٢ / ٤٤.
(٢) طبقات الشعراني: ٢ / ١٤٢، وجامع النبهاني: ١ / ٤١٢.
(٣) طبقات الشعراني: ٢ / ١٤٢.
(٤) طبقات الشعراني: ٢ / ١٤٤.
(٥) جامع النبهاني: ٢/ ١٠٠.

إبليس واضح).

*** رحمة بالجيف والحيوانات الميتة:**

ومنهم سيدي بركات الخياط، كان رضي الله عنه من الملامتية، وهو شيخ أخي أفضل الدين، وشيخ الشيخ رمضان الصائغ الذي بنى له الزاوية... وكان دكانه مُنتناً قذراً، لأن كل كلب وجده ميتاً أو قطًا أو خروفاً يأتي به فيضعه داخل الدكان، فكان لا يستطيع أحد أن يجلس عنده[1]. أهـ. (أمام هذه الكرامات أحسن شيء هو الرقص مع النقص).

*** يأكل كل يوم زبيبة فقط:-**

ومنهم الشيخ مرشد رضي الله عنه: كان رضي الله عنه قادري الخرقة، وكان يطوي الأيام والليالي، وأخبرني أنه مكث نحو أربعين سنة يأكل كل يوم زبيبة واحدة حتى لصق بطنه على ظهره[2]...

- إنه بذلك ابتعد عن هدي الإسلام، والله لا يقبل من العبادات إلا ما أمر به.

*** كرامات «فوق الفوق»:-**

ومنهم سيدي علي وحيش من مجاذيب النجارية رضي الله عنه: كان رضي الله عنه من أعيان المجاذيب أرباب الأحوال... وله كرامات وخوارق... وأخبرني محمد الطنيخي رحمه الله تعالى، قال: كان الشيخ وحيش رضي الله عنه يقيم عندنا في المحلة في خان بنات الخطا، وكان كل من خرج يقول له: قف حتى أشفع فيك عند الله قبل أن تخرج، فيشفع فيه، وكان يحبس بعضهم اليوم واليومين، ولا يمكنه أن يخرج حتى يجاب في شفاعته... وكان إذا رأى شيخ بلد أو غيره ينزله من على الحمارة، ويقول له أمسك رأسها حتى أفعل فيها، فإن أبى شيخ البلد تسمَّر في الأرض لا يستطيع يمشي خطوة، وإن سمع حصل له خجل عظيم والناس يمرون عليه، وكان له أحوال غريبة، وقد أخبرتُ عنه سيدي محمد بن عنان رضي الله عنه، فقال: هؤلاء يخيلون للناس هذه

(١) طبقات الشعراني: ٢ / ١٤٤.

(٢) طبقات الشعراني: ٢ / ١٤٨.

الأفعال وليس لها حقيقة[1]! (ولا تعليق).

*** من ولايتهم الزنا والمواخير:ـ**

. . . ووقع للشيخ زون بهار المدفون بالقرافة بالقرب من سيدي يوسف العجمي رضي الله عنه أنه كان يصعق في حب الله تعالى، فتضع الحوامل ما في بطونها من صعقته! فحوّلَ الله تعالى ذلك إلى حب امرأة من البغايا، فجاء إلى الصوفية، ورمى لهم الخرقة، وقال: لا أحب أن أكذب في الطريق، إن واردي تحول إلى حب فلانة؛ ثم صار يحمل لها العود، ويُركبها، ويمشي في خدمتها، إلى أن تحول الوارد إلى محبة الحق بعد عدة شهور، فجاء إلى الصوفية، فقال: ألبسوني الخرقة، فإن واردي رجع عن محبة فلانة؛ فبلغها ذلك فتابت ولزمت خدمته[2]. . . (ولا تعليق).

*** قصة في القصص:ـ**

. . . وأخبرني شيخ الإسلام الشيخ نور الدين الطرابلسي الحنفي والسيد الشريف الخطابي المالكي النحوي رحمهما الله تعالى، قالا: سمعنا سيدي عثمان رضي الله عنه يقول: لما حججت مع سيدي أبي بكر (الدقدوسي) سألته أن يجمعني على القطب، فقال: اجلس ههنا، ومضى فغاب عني ساعة، ثم حصل عندي ثقل في رأسي، فلم أتمالك أحملها حتى لصقت بعانتي، فجلسا يتحدثان عندي بين زمزم والمقام ساعة، وكان من جملة ما سمعت من القطب يقول: آنستنا يا عثمان، حلت علينا البركة، ثم قال لشيخي: توص به فإنه يجيء منه، ثم قرأا سورة الفاتحة وسورة قريش، ودعوا وانصرفا، ثم رجع سيدي أبوبكر رضي الله عنه فقال: ارفع رأسك. قلت: لا أستطيع. فصار يمرجني ورقبتي تلين شيئاً فشيئاً حتى رجعت لما كانت عليه، فقال: يا عثمان هذا حالك وأنت ما رأيته! فكيف لو رأيته[3]؟

ـ فما هذا القطب الرهيب الثقيل!؟

---

(١) طبقات الشعراني: ٢ / ١٥٠، وجامع النبهاني: ٢/ ٥١٥.

(٢) طبقات الشعراني: ٢ / ١٥٤، وجامع النبهاني: ٢/ ٧٧، وقد ورد الاسم فيها «روزبهار» بدلاً من «زون بهار».

(٣) طبقات الشعراني: ٢ / ١٠٦، وجامع النبهاني: ٢ / ٢٩٤.

* **عجائب وغرائب، والإله هو إبليس عليه الصلاة والسلام:-**

ومنهم الشيخ محمد الحضري رضي الله تعالى عنه؛ المدفون بناحية نهبا بالغربية، وضريحه يلوح من البعد من كذا وكذا بلداً، كان من أصحاب جدي رضي الله عنهما، وكان يتكلم بالغرائب والعجائب من دقائق العلوم والمعارف ما دام صاحياً، فإذا قوي عليه الحال (أي الولاية) تكلم بألفاظ لا يطيق أحد سماعها في حق الأنبياء وغيرهم، وكان يُرى في كذا وكذا بلداً في وقت واحد، وأخبرني الشيخ أبو الفضل السرسي أنه جاءهم يوم الجمعة، فسألوه الخطبة، فقال: بسم الله؛ فطلع المنبر، فحمد الله وأثنى عليه ومجده، ثم قال: وأشهد أن لا إله لكم إلا إبليس عليه الصلاة والسلام، فقال الناس: كفر. فسل السيف ونزل، فهرب الناس كلهم من الجامع، فجلس عند المنبر إلى أذان العصر وما تجرأ أحد أن يدخل الجامع، ثم جاء بعض أهل البلاد المجاورة، فأخبر أهل كل بلد أنه خطب عندهم وصلى بهم، قال: فعددنا له ذلك اليوم ثلاثين خطبة، هذا ونحن نراه جالساً عندنا في بلدنا . . . وكان يقول: لا يكمل الرجل حتى يكون مقامه تحت العرش على الدوام. وكان يقول: الأرض بين يدي كالإناء الذي آكل منه، وأجساد الخلائق كالقوارير أرى ما في بواطنهم، توفي رضي الله عنه سنة سبع وتسعين وثمانمائة رضي الله عنه[1].

● **تعليق على ما مضى:**

هذه الكشوف والكرامات والعلوم اللدنية تكشف لنا عن سبب النكسة التي أصيبت بها الأمة الإسلامية، بعد أن بعثها الله تلك البعثة الرائعة، لتكون سيدة التاريخ، ولتقيم شريعة الله في الأرض، حتى إذا ظهرت الصوفية وانتشرت، ضربت على الأمة غشاءً كثيفاً من الجهل والضلال والانحراف عن الإسلام . . . وسيقول لك المتصوفة: هذه القصص والكرامات والعلوم اللدنية لها تأويل. فنجيبهم: هذه خدعة باطلة ماكرة، تدل على أن القوم يكيدون للإسلام ويضمرون له الشرور.

* **ما هو معنى «لا إله إلا الله»؟-**

يقول حجة الإسلام:

---

(١) طبقات الشعراني: ٢ / ١٠٧، وبعضها في جامع النبهاني: ١ / ٢٨٦.

. . . والأنبياء هم الكحالون، وقد جاؤ وا داعين إلى التوحيد المحض، وترجمته قول «لا إله إلا الله»، ومعناه: أن لا يرى إلا الواحد الحق[1]!! (لنتذكر بيت شعر مجدد الألف الثاني).

ـ «لا إلـه إلا الله» هي المـدخـل إلى اللإسلام، وها هم قد حرفوا معناها! فماذا بقي لهم من الإسلام؟

*** العصا إنسان، والبحر في إبريق، (والعقل والإيمان في سبات عميق):ـ**

ومنهم الشيخ محمد الشربيني رحمه الله تعالى؛ شيخ طائفة الفقراء بالشرقية، كان من أربـاب الأحـوال والمكـاشفات . . . ولما ضعف ولده أحمد، وأشرف على الموت، وحضر عزرائيـل لقبض روحـه، قال له الشيـخ: ارجع إلى ربك فراجعه فإن الأمر نُسخ؛ فرجع عزرائيـل وشفي أحمـد . . . وكـان رضي الله عنـه يقـول للعصـا التي كانت معـه: كوني إنساناً، فتكون إنساناً، ويرسلها تقضي الحوائج ثم تعود كما كانت . . . وكان من عادته أنـه يأمـر مريـديـه بالشحـاتة على الأبواب دائماً في بلده . . . وكان الشيخ محمد بن عنان وغيره ينكرون عليه لعدم صلاته مع الجماعة، ويقول: نحن ما نعرف طريقة تقرب إلى الله تعـالى إلا ما درج عليـه الصحـابـة والتابعون . . . له ذرية بأرض الغرب، وذرية في بلاد العجم، وذرية في بلاد الهند، وذرية في بلاد التكرور، فكان في ساعة واحدة يطوف على عياله في هذه البلاد ويقضي حوائجهم، وكل أهل بلاد يقولون: إنه مقيم عندهم، ولتبدله في هذه الصور، وتصرفه في هذه الأشكال، كان ربما أنكر عليه بعض الفقهاء ترك الجمعـة. . . وكـان إذا أراد أن يعـدِّي في البحـر يقـول له المعدِّي: هات كراء. . . فقال الشيـخ: «هـا الله»، وطأطأ الإبـريق، فأخـذ ماء البحـر كله فيـه!! ووقف المـركب على الأرض، فاستغفر المعدِّي وتاب، فصب الإبريق في البحر، ورجع الماء كما كان[2]. . .

ـ لنلاحظ في هذه القصة تلاعبات الشياطين في المناظر الوهمية الموهمة.

---

(١) إحياء علوم الدين: ٤ / ٧٥.

(٢) طبقات الشعراني: ٢ / ١٣٦، وجامع النبهاني: ١ / ٢٩٦ و٢٩٧.

* واقف تجاه المارستان دائماً ولا يتغوط :ـ

ومنهم الشيخ على الدويب رحمه الله تعالى آمين . . . وكان رضي الله عنه يمشي على الماء في البحر . . . وكان لم يزل واقفاً تجاه المارستان بين القصرين من الفجر إلى صلاة العشاء وهو متلثم وبيده عصاً مِنْ شوم . . . كان لا يدخل بيت الخلاء لقضاء الحاجة إلا في كل نحو ثلاثة أشهر مرة واحدة[1]. (ترلم).

* يشفع بالملائكة ويقوم للكلب! ! :ـ

ومنهم أبو محمد عبد الرحيم المغربي القناوي رضي الله تعالى عنه: هو من أجلاء مشايخ مصر المشهورين وعظماء العارفين، صاحب الكرامات الخارقة والأنفاس الصادقة له المحل الأرفع من مراتب القرب والمنهل العذب . . . وحُكي أنه نزل يوماً في حلقة الشيخ شبَحٌ من الجو، لا يدري الحاضرون ما هو، فأطرق الشيخ ساعة، ثم ارتفع الشبح إلى السماء! فسألوه؟ فقال: هذا مَلَكٌ وقعت منه هفوة، فسقط علينا يستشفع بنا، فقبل الله شفاعتنا فيه، فارتفع! ! وكان الشيخ إذا شاوره إنسان في شيء يقول له: أمهلني حتى أستأذن لك فيه جبريل عليه السلام، فيمهله، ثم يقول له: افعل أو لا تفعل، على حسب ما يقول جبريل . . . ومرَّ مرة عليه كلب فقام له إجلالاً! فقيل له في ذلك؟ فقال: رأيت في عنقه خيطاً أزرق من زي الفقراء[2] . . . (هكذا وإلا فلا).

● تنبيه:

لئلا نتهم هؤلاء القوم الأبرار يجب أن نؤول كلامهم: فالمَلَك الذي نزل ليستشفع بالشيخ تأويله: «إن الشيخ كان يرقص السماح في الحضرة»، واستئذانه جبريل عليه السلام، فجبريل هذا؛ هو أحد الأولياء المعاصرين للشيخ، واسمه: «جبريل عليه السلام» والكلب الذي قام إجلالاً له هو أحد الأقطاب، والخيط الأزرق هو الدليل والبرهان. (ودور إبليس واضح).

---

(١) طبقات الصوفية: ٢ / ١٣٦، وجامع النبهاني: ٢/ ٣٦٦.
(٢) طبقات الشعراني: ١ / ١٥٧، وجامع النبهاني: ٢/ ١٦٥.

* يكتحل بالملح والميل المحمى بالنار :ـ

ومنهم أبـو بكـر جحـدر الشبـلي رضي الله عنـه . . . وكـان رضي الله عنـه يقـول : اكتحلت بالملح كذا وكذا ليلة ، لأعتاد السهر، ولا يأخذني النوم ، فلما زاد عليَّ الأمر حميت الميل واكتحلت به[1] . . .

ـ ولعل القارىء يدرك جيداً أن هذا كان قبل وصول الشبلي إلى الجذبة التي يسمونها «ولاية» ، ونسأل : هل عمله هذا من الإسلام أم من الهندوسية؟

* والكلب أيضاً وليّ :ـ

ومنهم سيـدي يوسف العجمي الكـوراني رضي الله تعـالى عنـه : وهو أول من أحيا طريقـة الجنيـد رضي الله عنـه بمصر . . . ولقد وقع بصره يوماً على كلب ، فانقادت إليه جميع الكلاب ، إن وقف وقفوا ، وإن مشى مشوا ، فأعلموا الشيخ بذلك ، فأرسل خلف الكلب ، وقـال : «إخسأ» ، فرجعت عليـه الكـلاب تعضه حتى هرب منها . ووقع له مرة أخـرى أنـه خرج من خلوة الأربعـين ، فوقـع بصـره على كلب ، فانقـادت إليـه جميـع الكلاب ، وصار الناس يُهرعون إليه (إلى الكلب) في قضاء حوائجهم ، فلما مرض ذلك الكلب ، اجتمـع حولـه الكـلاب يبكون ويظهرون الحزن عليه ، فلما مات أظهروا البكاء والعـويـل ، وألهَم الله تعـالى بعض النـاس فدفنـوه ، فكـانت الكـلاب تزور قبره حتى ماتوا[2] . . . (ونترك التعليق للقارىء) .

* بوضوء واحد سبع عشرة سنة :ـ

ومنهم سيـدي عيسى بن نجم ، خفـير الـبرلُّس رضي الله عنـه ، كان من العلماء العـاملين ، ولـه المجاهدات العالية في الطريق ؛ وسمعت سيدي عليًّا المرصفي رضي الله عنـه يقـول : مكث سيـدي عيسى بن نجم بوضـوء واحـد سبـع عشـرة سنة! فقلت : يا سيـدي ، كيف ذلـك؟ فقال : توضأ يوماً قبل أذان العصر ، واضطجع على سريره ، وقال للنقيب : لا تمكن أحداً يوقظني حتى أستيقظ بنفسي ، فما تجرأ أحد يوقظه ، فانتظروه هذه

---

(١) طبقات الشعراني : ١ / ١٠٤ .

(٢) طبقات الشعراني : ٢ / ٦٦ ، وجامع النبهاني : ٢ / ٥٣٥ .

المدة كلها، فاستيقظ وعيناه كالدم الأحمر، فصلّى بذلك الوضوء الذي كان قبل اضطجاعه، ولم يجدّد وضوءاً؛ وكان في وسطه منطقة، فلما قام وحلها تناثر من وسطه الدود رضي الله عنه[1].

● **تنبيه:**

هذا الكلام له تأويل (اجتناباً لاتهام العارفين بالضلال والجهل والغباء)، فسبع عشرة سنة (بفتح السين)، تأويلها: سبع عشرة سنة من النوم (بكسر السين)، مقدار كل سنة من النوم ثانيتان، فيكون المجموع أربعاً وثلاثين ثانية، (أي أكثر من نصف دقيقة)، وأما السنة من النوم (بكسر السين)، فتأويلها أنه كان يقرأ ﴿لا تأخُذُه سِنةٌ ولا نومٌ﴾. والدود تأويله (طوووووط).

ويجب أن لا ننسى أن سيدي عيسى من العلماء العاملين، وسيدي عليًّا المرصفي كان من الأئمة الراسخين في العلم، والراوي هو القطب الرباني والغوث الصمداني. وتُترك للقارىء المناقشة.

* **قصة؛ (لعلها من مقام المراقبة):-**

ومنهم أبو سعيد القلوري رضي الله عنه، هو من أكابر العارفين والأئمة المحققين، صاحب الأنفاس الصادقة، والأفعال الخارقة، والكرامات والمعارف... ودُعي مرة إلى طعام هو وأصحابه، فَمَنَعَهُم من أكل ذلك الطعام وأكله وحده، فلما خرجوا قال لهم: إنما منعتكم من أكله لأنه كان حراماً؛ ثم تنفس فخرج من أنفه دخان أسود عظيم كالعمود! وتصاعد في الجو حتى غاب عن أبصار الناس، ثم خرج من فمه عمود نار، وصعد إلى الجو حتى غاب عن النظر، ثم قال: هذا الذي رأيتموه هو الطعام الذي أكلته عنكم[2].

● **توضيح:**

هذه القصة إما أنها من أكاذيبهم، أو أنها من التمثيليات الشيطانية التي تضحك بها

---

(١) طبقات الشعراني: ٢ / ١٠٧، وجامع النبهاني: ٢/ ٤٢٨ و ٤٢٩.

(٢) طبقات الشعراني: ١/ ١٤٨، وجامع النبهاني: ١ / ٤٥٩. وقد ورد اسمه في الجامع (القيلري) بدلاً من القلوري.

الشياطين على أذقانهم وعقولهم، وتستجرهم إلى ما أوصلوا الأمة إليه من زيغ وانحراف في العقيدة والسلوك.

*** زغاريد.. والقذارة طريق لولايتهم.. قاق قاق:-**

ومنهم الشيخ محمد السروي رحمه الله تعالى آمين، المشهور بأبي الحمائل، أحد الرجال المشهورة في الهمة والعبادة، وكان يغلب عليه الحال، فيتكلم بالألسن العبرانية والسريانية والعجمية، وتارة يزغرت في الأفراح والأعراس كما تزغرت النساء... وجاءه الشيخ علي الحديدي يطلب منه الطريق، فرآه ملتفتاً لنظافة ثيابه، فقال: إن كنت تطلب الطريق فاجعل ثيابك ممسحة لأيدي الفقراء، فكان كل من أكل سمكاً أو زفراً يمسح في ثوبه يده مدة سنة وسبعة شهور، حتى صارت ثيابه كثياب الزياتين أو السماكين... فلما رأى ثيابه، لقنه الذكر، وجاء منه في الطريق...

وكان يغلب عليه الحال ليلاً فيتكلم بألسنة غير عربية من عجم وهند ونُوبة وغيرها، وربما يقول: (قاق قاق) طول الليل، ويزعق ويخاطب قوماً لا يُرون، وإذا قال شيئاً في غلبة الحال نفذ[1]...

● **التعليق:**

قيق قيق... ثم يتساءلون عن سبب فساد الأمة الإسلامية، وهو أوضح من الوضوح، لكن يبقى سؤال: كيف عرفوا أنه يتكلم العبرانية والسريانية والعجمية والهندية؟؟ لعلهم عرفوا ذلك عن طريق الكشف! (كشوف فوق كشوف فوق كشوف، ظلمات بعضها فوق بعض).

*** يتطور في الخلقة، ويجر السفينة بخصيتيه، ويعيش بلا طعام، وعجائب أخرى:-**

ومنهم الشيخ حسين أبو علي رضي الله عنه ورحمه؛ كان هذا الشيخ رضي الله عنه مِن كُمَّلِ العارفين وأصحاب الدوائر الكبرى، وكان كثير التطورات، تدخل عليه بعض الأوقات تجده جنديًّا، ثم تدخل فتجده سبعاً، ثم تدخل فتجده فيلاً، ثم تدخل فتجده صبيًّا، وهكذا. مكث نحو أربعين سنة في خلوة مسدود بابها، ليس لها غير طاقة يدخل

(١) طبقات الشعراني: ٢ / ١٢٦، وجامع النبهاني: ١ / ٢٩٩.

منها الهواء . . . وكان الشيخ عبيد أحد أصحابه الذي هو مدفون عنده الآن، مثقوب اللسان لكثرة ما ينطق به من الكلمات التي لا تأويل لها، وأخبرني بعض الثقات أنه كان مع الشيخ عبيد في مركب، فوحلت، فلم يستطع أحد أن يزحزحها، فقال الشيخ عبيد: اربطوها في بيضي بحبل وأنا أنزل أسحبها، ففعلوا، فسحبها ببيضه حتى تخلصت من الوحل[1].

مكث في خلوة بغيط خارج باب البحر أربعين سنة لا يأكل ولا يشرب، وباب الخلوة مسدود، وليس له إلا طاق يدخل منه الهواء . . . مات في مصر بعد سنة ٧٩٠هـ[2].

ـ نسأل فقط عن كشف العورة وترك الآخرين يمسكونها ليربطوا بها الحبل؟ ونترك الباقي للقارىء اللبيب.

*** يديران الوجود كيف يشاءان (من مقام الحرية):ـ**

ومنهم سيدنا ومولانا شمس الدين الحنفي رضي الله تعالى عنه ورحمه، كان رضي الله عنه من أجلاء مشايخ مصر وسادات العارفين، صاحب الكرامات الظاهرة والأفعال الفاخرة والأحوال الخارقة والمقامات السنية. . صاحب الفتح المؤنق والكشف المخرق، والتصدر في مواطن القدس . . . وكان رضي الله عنه يأمر من يراه من أصحابه عنده شهامة نفس بالشحاتة من الأسواق وغيرها . . . وكان سيدي علي بن وفا رضي الله عنه يوماً في وليمة، (فاستأذن عليه الشيخ محمد الحنفي فقام له وأجلسه جانبه)، فدار الكلام بينهما، فقال سيدي علي: ما تقول في رجل رحى الوجود بيده، يدوِّرها كيف شاء؟ فقال له سيدي محمد رضي الله عنه: فما تقول فيمن يضع يده عليها فيمنعها أن تدور؟! فقال له سيدي علي: والله كنا نتركها لك ونذهب عنها! فقال محمد رضي الله عنه لجماعة سيدي علي: ودِّعوا صاحبكم فإنه ينتقل قريباً إلى الله تعالى. فكان الأمر كما قال. . .

وكان يتطور في بعض الأوقات حتى يملأ الخلوة بجميع أركانها، ثم يصغر قليلاً قليلاً حتى يعود إلى حالته المعهودة. . . ومرضت زوجته فأشرفت على الموت، فكانت تقول: يا سيدي أحمد يا بدوي، خاطرك معي! فرأت سيدي أحمد رضي الله عنه في

---

(١) طبقات الشعراني: ٢ / ٨٧، وجامع النبهاني: ٢/ ٤٦.

المنام، وهو ضارب لثامين . . . وقال لها: كم تناديني وتستغيثي، وأنت لا تعلمي أنك في حماية رجل من الكبار المتمكنين، ونحن لا نجيب من دعانا وهو في موضع أحد من الرجال! قولي: يا سيدي محمد يا حنفي، يعافيك الله تعالى، فقالت ذلك، فأصبحت كأن لم يكن بها مرض!!

ودخلت على الشيخ يوماً امرأة أمير، فوجدت حوله نساء الخاص تكبِّسه، فأنكرت بقلبها عليه، فلحظها الشيخ بعينه وقال لها: انظري. فنظرت، فوجدت وجوههن عظاماً[1] . . .

. . . حتى قال: بلغنا عن الشبلي رحمه الله تعالى أنه دخل يوماً خربة يقضي فيها حاجته، فوجد فيها حمارة، فراوده الشيطان عليها، فلما أحس الشبلي رضي الله عنه ذلك، رفع صوته وصاح: يا مسلمون يا مسلمون، الحقوني وأخرجوا عني هذه الحمارة، فإني أعرف ضعف نفسي عن سلوك طريق الصيانة . . . ولما دنت وفاته (أي وفاة محمد الحنفي) بأيام، كان لا يغفل عن البكاء ليلاً ولا نهاراً، وغلب عليه الذلة والسكون والخضوع حتى سأل الله تعالى قبل موته أن يبتليه بالقمل، والنوم مع الكلاب، والموت على قارعة الطريق، وحصل له ذلك قبل موته! فتزايد عليه القمل حتى صار يمشي على فراشه، ودخل له كلب فنام معه على الفراش ليلتين وشيئاً، ومات على طرف حوشه والناس يمرون عليه في الشوارع!! وإنما تمنى ذلك ليكون له أسوة بالأنبياء عليهم الصلاة والسلام[2]!!

ـ السؤال: نسأل من عرف مبادىء الإسلام وبدهياته، ما هو حكم الإسلام والعقل في مثل هذا: ادعاء التصرف في الكون، والاستغاثة بغير الله، ونساء أجنبيات يكبسن الولي! ومراودة النفس على حمارة، والنوم مع الكلاب!! ويجعلون هذا تأسياً بالأنبياء!! ثم يتساءل المتسائلون عن سبب انحطاط المسلمين؟!

كما يجب أن نلاحظ الأدوار الخبيثة التي تمثلها شياطين الجن وتضحك بها على ذقونهم فتخدعهم وتخدع بهم.

---

(١) طبقات الشعراني: ٢ / ٨٨، وما بعدها، وجامع النبهاني: ١ / ٢٦١، وما بعدها.

(٢) طبقات الشعراني: ٢ / ٨٩، وما بعدها، وجامع النبهاني: ١ / ٢٦١، وما بعدها.

*** يبيع الجنة بثلاثين ديناراً ويأخذ من المرأة كل ما تملك :-**

ومنهم الشيخ مدين بن أحمد الأشموني رضي الله تعالى عنه . . . كان من أكابر العارفين، وانتهت إليه تربية المريدين في مصر وقراها، وتفرعت عنه السلسلة المتعلقة بطريقة أبي القاسم الجنيد رضي الله عنه . . . وجاءته رضي الله عنه امرأة فقالت: هذه ثلاثون ديناراً وتضمن لي على الله الجنة! فقال لها الشيخ رضي الله عنه مباسطاً لها: ما يكفي، فقالت: لا أملك غيرها، فضمن لها على الله دخول الجنة! فماتت، فبلغ ورثتها ذلك، فجاؤوا يطلبون الثلاثين ديناراً من الشيخ، وقالوا: هذا الضمان لا يصح، فجاءتهم في المنام وقالت لهم: اشكروا لي فضل الشيخ، فإني دخلت الجنة! فرجعوا عن الشيخ»[1]. أهـ.

ـ ونحن بدورنا ننقل هذا الخبر للمسلمين، لعلهم يسرعون ويفتشون عن هؤلاء الأولياء ويشترون منهم ما يبتغون من عَرَصات الجنة، كما نرجو من كرم هؤلاء الأولياء أن يراعوا خواطر الفقراء. (ونذكر أيضاً بأن أحمد الرفاعي باع قصراً في الجنة).

*** يدفع عنه الموت . . . ويمنع زوجته من الزواج بعده :-**

ومنهم سيدي محمد الشويمي . . . كان من أرباب الأحوال العظيمة . . . ومرض سيدي مدين (الأشموني) رضي الله عنه مرة، وأشرف فيها على الموت، فوهبه من عمره عشر سنين!! ثم مات في غيبة الشويمي رضي الله عنه، فجاء وهو على المغتسل، فقال: كيف مت؟ وعزة ربي لو كنت حاضراً ما خليتك تموت!!

. . . وقد بلغنا أن زوجة سيدي محمد الشويمي مات عنها وهي بكر، وقال لها: لا تتزوجي بعدي أحداً فأقتله!! فاستفتت العلماء في ذلك، فقالوا لها: هذه خصِّيصى برسول الله ﷺ، فتزوجي وتوكلي على الله، فعقدوا لها على شخص، فجاءه تلك الليلة وطعنه بحربة فمات من ليلته، وبقيت بكراً إلى أن ماتت وهي عجوز[2] . . .

ويُترك التعليق للقارىء اللبيب.

---

(١) طبقات الشعراني: ٢ / ١٠٢، وجامع النبهاني: ٢ / ٤٦٣.

(٢) طبقات الشعراني: ٢ / ١٠٣، وجامع النبهاني: ١ / ٢٨٤.

* القيء إكسير الولاية :-

محمد المسمى بقمر الدولة؛ أحد أكابر أصحاب سيدي أحمد البدوي، ولم يصحب سيدي أحمد زماناً طويلاً، إنما جاء من سفرٍ في وقت حر شديد، فطلع يستريح في طندتا (طنطا)، فسمع بأن سيدي أحمد رضي الله عنه ضعيف، فدخل عليه يزوره . . . فوجد سيدي أحمد قد شرب ماء بطيخة وتقيأه ثانياً فيها، فأخذه سيدي محمد المذكور وشربه!! فقال له سيدي أحمد: أنت قمر دولة أصحابي[1] . . . أهـ. ولا تعليق (لكن القيء خير من المامونية الحموية).

ومنهم سيدي الشيخ أبو بكر الدقدوسي رضي الله تعالى عنه . . . وكان له صاحب يبيع الحشيش بباب اللوق، فكان الشيخ رضي الله عنه يرسل إليه أصحاب الحوائج فيقضيها لهم! قال سيدي عثمان (الحطاب) رضي الله عنه: فسألته يوماً عن ذلك، وقلت: المعصية تخالف طريق الولاية، فقال: يا ولدي ليس هذا من أهل المعاصي، إنما هو جالس يتوِّب الناس في صورة بيع الحشيش، فكل من اشترى منه لا يعود يبلعها أبداً[2] . . . (دستور دستور).

- ومن هنا نستطيع أن نعرف سبب انتشار الحشيش في مصر.

* إجلالاً للكلب (من مقام التواضع) :-

ومنهم شيخي وقدوتي إلى الله تعالى، العارف بالله تعالى سيدي محمد الشناوي رحمه الله تعالى، كان رضي الله تعالى عنه من الأولياء الراسخين في العلم . . . وكان رضي الله عنه يحكي عن الشيخ عبد الرحيم القناوي رضي الله عنه أنه رأى مرة في عنق كلب خرقة من صوف، فقام له إجلالاً للخرقة الصوف[3] . . .

- مر معنا تأويل مثل هذه الحالة، فليرجع القارىء إليه ليتدرب على التأويل والتضليل مثل هؤلاء البهاليل.

---

(١) جامع النبهاني: ١ / ٢٨٤.

(٢) طبقات الشعراني: ٢ / ١٠٥، وجامع كرامات النبهاني: ١ / ٤٣٧.

(٣) طبقات الشعراني: ١ / ١٣٢.

*** يراود الأمرد عن نفسه ويحسس على مقعدته رضي الله عنه :**

ومنهم الشيخ علي أبو خوذة . . . وكان من أرباب الأحوال ومن الملامتية ، وكان يتعاطى أسباب الإنكار عليه قصداً . . . وكانت خوذة سيدي علي من الحديد ، وكان زنتها قنطاراً وثلثاً ، لم يزل حاملها ليلاً ونهاراً . . . وما رآه أحد يصلي مع الناس إلا وحده ، وكان رضي الله عنه إذا رأى امرأة أو أمرد راوده عن نفسه وحسَّس على مقعدته ، سواء كان ابن أمير أو ابن وزير ، ولو كان بحضرة والده أو غيره ولا يلتفت إلى الناس[1] . . . (دستور دستور ودساتير كثيرة) .

ـ لكن يجب أن نعرف أن هذا له تأويل ! لئلا نتهم الأولياء الأبرياء بالجهل والغباء والكفر والزندقة وقلة الحياء .

*** ولاية . . ولواطة . . والنهي عن المنكر جريمة :ـ**

ابراهيم النبتيتي[2] ، المجذوب الصاحي . . . من كراماته . . . قال الحمصاني : وقفت أصلي في جامع المرأة ، فدخل عليَّ رجل من الجند ومعه أمرد ، وقصد به جهة المراحيض ، فتشوشتُ في نفسي ، وقلت : ضاقت عليه الدنيا وما وجد إلا الجامع ! ولم أنطق بذلك ، فقال لي إبراهيم المذكور : ما فضولك؟ وما أدخلك يا كذا وكذا؟ وسبني وشتمني ! وقال : لا تتعرض ! وما لك وذاك؟ إلى غير ذلك[3] . . .

● **التعليق :**

﴿لُعِنَ الَّذين كَفَروا مِن بَني إسرائيلَ . . . كانوا لا يَتَناهَوْن عن منكرٍ فعَلوهُ لَبِئْسَ ما كانوا يَصْنعونَ﴾ .

*** يعلم ما في الأرحام (من مقام العلم) :ـ**

أحمد بن جعد الأبيني[4] . . . وأتته امرأة وقالت : ادع لي أن يرزقني ولداً ذكراً ،

---

(١) طبقات الشعراني : ٢ / ١٣٥ ، وجامع النبهاني : ٢ / ٣٧٢ .

(٢) مات في مصر سنة ١٠١٩هـ .

(٣) جامع النبهاني : ١ / ٤١٤ .

(٤) من اليمن ، مات سنة ٦٩٠هـ .

فقال: سترُ زقين ذلك! فوضعت أنثى، فقالت له فيه، فقال: والله ما قلت لك إلا بعد ما مسستُ ذكرَه بيدي هذه، ولكن أراد أن يُكذِّب هذه اللحية[1]!!

*** يعلم ما في الأرحام . . . وزيادة:-**

جاكير الكردي[2] قدس الله روحه . . . مرت بقرات بالشيخ جاكير الكردي، فأشار إلى إحداهن، وقال: هذه حامل بعجل أحمر أغر، صفته كذا، وعيَّن يوم ولادته، وأنه نذر له، وعيَّن من يذبحه من الفقراء. . . واستأذن رجل واسطي الشيخ جاكير في ركوب بحر الهند بتجارة، فقال: إذا وقعت في شدة فناد باسمي . . . وكان الشيخ جاكير يقول: ما أخذت العهد قط على مريد حتى رأيت اسمه مكتوباً في اللوح المحفوظ[3]. . .

- السؤال: ما معنى قوله سبحانه: ﴿ويَعْلَمُ ما في الأرْحامِ﴾؟ وقوله: ﴿إيَّاكَ نَعْبُدُ وإيَّاكَ نَسْتَعينُ﴾؟

*** لا تنظر إلى فروجهم، فكشف الفرج ولاية:-**

علي نور الدين بن العظمة[4]، كان من كبار الأولياء المجاذيب . . . ومن كراماته: ما حكاه حشيش الحمصاني، أنه مر عليه يوماً، فجرى في خاطره الإنكار عليه لعدم ستر عورته، فما تم له هذا الخاطر إلا وقد وجد نفسه بين إصبعين من أصابعه يقلِّبه كيف شاء، ويقول له: انظر إلى قلوبهم ولا تنظر إلى فروجهم[5].

- بهذه الكشوف والعلوم اللدنية وصلت أمتنا إلى ما هي عليه الآن من ذل وهوان وجهل وضياع.

*** كشف، وجبل قاف أيضاً، والرجراج، وغيرها:-**

علي بن أحمد بن خضر المطوعي[6]، المشهور بين الناس بحشيش الحمصاني . . . أحد أكابر الأولياء العارفين . . . وأخبر بأنه اطلع على بحر الظلمات (أي المحيط الأطلسي)، وأن به بلداً لا تبصر أهلها إلا في الظلمة!! وأنه رأى خلف جبل قاف أرضاً

---

(1) جامع النبهاني: ١ / ٥٢٣.
(2) عراقي مات قرب سامرا سنة ٥٥٠هـ.
(3) جامع النبهاني: ٢ / ٣ و٤.
(4) مات في مصر في أوائل القرن الحادي عشر الهجري.
(5) جامع النبهاني: ٢ / ٣٧٨.
(6) من صوفية القرن العاشر الهجري في مصر.

تتحرك بنفسها تسمى الرجراج، ليس بها ساكن، وأنه رأى إرم ذات العماد، وأنه اجتمع بالخضر عليه السلام فوجده يظهر في صُوَر مختلفة، وبالقطب فوجده يلبس كل يوم لباساً غير لون الآخر[1] . . . أهـ.

ـ وعلى الإسلام والعقل والحقيقة السلام.

*** أسرع من الصاروخ :ـ**

علي البدوي الشاذلي، تلميذ سيدي ياقوت العرشي، قال رضي الله عنه: وكثيراً ما كان الشيخ ياقوت يوجهني في الحاجة من إسكندرية إلى بلاد الأندلس، فأذهب إليها وأرجع في يوم واحد، بسرعة خطاي، من غير أن تطوى لي الأرض[2]. . .

*** حدث نسيه التاريخ :ـ**

مسلمة بن نعمة السروجي، شيخ المشايخ وسيد الأولياء ورئيس الأصفياء . . . قال السراج: إنه لما قصد الكفرةُ من الفرنج والأرمَنِ مدينةَ سروج، وقتلوا وأسروا، ثم قصدوا زاويته، وصل الخبر إلى مريديه، فقالوا: يا سيدي جاءنا العدو، فقال: اصبروا، ثم كرروا القول إلى أن قالوا: بيننا وبينهم قدر رشقة حجر، فخرج، وأشار بيده الكريمة برجوعهم، فرجعت بهم الخيل قهراً لا يستطيعون ردَّها بوجه، فقُتل منهم خلق عظيم، وكذلك من الخيل، وتكسرت العدد، وصاروا بأسوإ حال[3].

● التعليق:

دماء المسلمين التي أُريقت لا قيمة لها، ولم تترهمة الشيخ ومريديه إلا الزاوية فقط. هذا بغض النظر عن كون قصتهم هذه أكذوبة صغيرة من أكاذيبهم.

*** سوط عجيب :ـ**

شيخنا الشيخ علي العمري[4]، الشاذلي الطرابلسي، أشهر أولياء هذا العصر وأكثرهم كرامات وخوارق عادات . . . ومن كراماته رضي الله عنه ما أخبرني به الحاج

---

(١) جامع النبهاني: ٢ / ٣٧٩.
(٢) جامع النبهاني: ٢ / ٣٤٩.
(٣) جامع النبهاني: ٢ / ٤٧٠.
(٤) مات في طرابلس سنة ١٣٢٢هـ.

إبراهيم المذكور (إبراهيم الحداد من اللاذقية)، قال: دخلت في هذا النهار إلى الحمام مع شيخنا الشيخ علي العمري، ومعنا خادمه محمد الدبوسي الطرابلسي، وهو أخو إحدى زوجات الشيخ، ولم يكن في الحمام غيرنا، قال: فرأيت من الشيخ كرامة مِن أعجب خوارق العادات وأغربها، وهي أنه أظهر الغضب على خادمه محمد هذا وأراد أن يؤدبه، فأخذ الشيخ إحليل نفسه بيديه الاثنتين من تحت إزاره، فطال طولاً عجيباً بحيث إنه رفعه على كتفه وهو زائد عنه، وصار يجلد به خادمه المذكور، والخادم يصرخ من شدة الألم، فَعل ذلك مرات ثم تركه، وعاد إحليله إلى ما كان عليه أولاً، ففهمتُ أن الخادم قد عمل عملاً يستحق التأديب، فأدَّبه بهذه الصورة العجيبة. ولما حكى لي ذلك الحاج إبراهيم، حكاه بحضور الشيخ، وكان الشيخ واقفاً، فقال لي الشيخ، لا تصدقه وانظر، ثم أخذ بيدي بالجبر عني، ووضعها على موضع إحليله، فلم أحس بشيء مطلقاً، حتى كأنه ليس برجل بالكلية، فرحمه الله ورضي عنه ما أكثر عجائبه وكراماته[1].

● **الملاحظات:**

يلاحظ في هذا النص ما يلي: ١ ـ كشف العورة واللعب بها. ٢ ـ الكذب؛ إما أن يكون الخادم كاذباً، أو أن يكون الشيخ كاذباً، وذلك عندما قال: «لا تصدقه». ٣ ـ جعل الآخر يلمس مكان عورته.

*** ولي يُحيي الموتى ويخالف الشرع:ـ**

عبد الرحمن بن أحمد الجامي[2] . . . ومن كراماته . . . أنه جلس في زمن الربيع على شاطىء نهر ملآن، وإذا بقنفذة ميتة قد أقبلت على وجه الماء، فأخذها مولانا الجامي، ومسح بيده ظهرها، فظهر أثر الحياة فيها، ثم لما توجهنا جهة المدينة أقبلت تسعى خلفنا. ومنها أن مولانا سيف الدين أحمد قدم لمنزل العلوي ومعه جملة من المدرسين، فعمل له ضيافة، وعزم على الجامي، فأقاموا الذكر بالدفوف والمنشدين على العادة، فقال بعض الحاضرين للشيخ: يا مولانا! كيف استماع الغناء والطرب بالدفوف والرقص! ما هو خلاف الشرع؟ فحول الشيخ وجهه إليه، وتكلم في أذنه خفية، فظهر

---

(١) جامع النبهاني: ٢ / ٣٩٦.

(٢) مشهور باسم «منلا جامي»، مات في هراة سنة ٨٩٨هـ.

منه صوت عجيب، وحصل له وجد بالسماع وضرب الدف[1]. . . (الرجاء الانتباه إلى دور الشياطين).

*** يبلع المتاليك ويتغوطها دنانير والناس ينظرون إليه :-**

الشيخ حسن سكر الدمشقي[2] . . . (قالوا له): لا بد أن تظهر لنا كرامة، فقال: هاتوا لي مائة من المتالكات[3]، وهي قطع صغيرة من الفضة المغشوشة، فجاؤوا له بمائة متاليك، فأخذها وألقاها في فمه وابتلعها، وفي الحال جلس بصورة مَنْ يقضي حاجة الإنسان، فأخرجها من أسفله دنانير من الذهب، فأخذوها، وكانت هي السبب في غنى أبي لبدة المذكور[4]. . .

- السؤال: ما هو حكم الشرع والذوق بجلوسه جلسة التغوط وكشف عورته أمام الآخرين؟ ومن أين جاءت شياطينه بالذهب؟

*** ولي يقف عرياناً بين الناس ولا يصلي :-**

حسن قضيب البان الموصلي[5]، قال السراج: عن الشيخ العارف أبي الحسن علي القرشي رحمه الله قال: دخلت على الشيخ حسن قضيب البان ببيته بالموصل، فرأيته ملء البيت، فهالني ما رأيت من نموه الخارق، فخرجت ثم عدت، فرأيته في زاوية من زوايا البيت مثل العصفور، فخرجت ثم عدت، فرأيته كالعادة . . . وقال المناوي: خرج أبو النجاء المغربي يريد المشرق ومعه أربعون وليًا، فكان كل بلد جاءه يستوعب ما فيه من الرجال، حتى وصل الموصل، فخرج إليه الرجال، وإذا بقضيب البان خرج بأطماره وشعثه، فقال: أين الشيخ؟ فقالوا: خرج. قال: يتشيطن! فغضبوا. وقال أحدهم: كذب شيطانك، فتغيظ ورمى أطماره، ووقف عرياناً على جنب بركة يصب الماء على يده بيده، وإذا بالشيخ جاء، فأخبروه، قال: صدق، كنت مع إمام الموصل، ينافقني وأنافقه؛ ثم قال قضيب البان: أخبرني بكل رجل رأيته من بلادك، فذكر رجالاً وقضيب

---

(1) جامع النبهاني: ٢ / ١٥٤.
(2) مات في دمشق سنة ١٣٠٧هـ.
(3) المتليك عملة عثمانية صغيرة القيمة.
(4) جامع النبهاني: ٢ / ٤٢.
(5) مات في الموصل سنة ٥٧٠هـ.

البـان يقـول في كل رجـل: وزنـه كذا، ربـع رجـل، ونصف رجـل، وهذا وازن، وهذا كامل، وهذا وإن ملأ صيته ما بين الخافقين لا يساوي عند الله جناح بعوضة.

وسئل الشيخ عبد القادر الجيلاني فقال: هو ولي مقرب ذو حال مع الله تعالى وقدَمِ صدقٍ عنده، فقيل له: ما نراه يصلي، فقال: إنه يصلي من حيث لا ترونه، وإني أراه إذا صلى بالموصل أو بغيرها من آفاق الأرض يسجد عند باب الكعبة!! وقال بعضهم: كان قضيب البان من الأبدال، واتهمه بعض من لم يره يصلي بترك الصلاة وشدد النكير عليه، فتمثل له على الفور في صُوَر مختلفة، وقال: في أي هذه الصور رأيتني ما أصلي[1]!! أهـ.

ولا تعليق، لأن التعليق أحيـانـاً إضـاعة للوقت، لكن الذي يورد هذه القصص هو عالم من علمائهم.

*** فتوى لم تمر على رسول الله ﷺ :-**

رسـالـة للحافظ السيوطي سماها «المنجلي في تطور الولي»، نقلتها من كتابه «الحاوي في الفتـاوي»، وهـذه هي: قال رحمـه الله تعـالى: بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله، وسـلام على عبـاده الـذين اصطفى، توقـع إلي سؤال رجل حلف بالطلاق، أن ولي الله الشيخ عبد القادر الدشطوطي بات عنده ليلة كذا، فحلف آخر بالطلاق أنه بات عنده في تلك الليلة بعينها، فهل يقع الطلاق على أحدهما أم لا؟ فأرسلت قاصداً إلى الشيخ عبد القادر، فسألته عن ذلك، فقال: ولو قال أربعة إني نمت عندهم لصدقوا، فأفتيت بأنه لا يحنث واحد منهما[2].

● التعليق:

السيوطي هذا كان يعد نفسه مجدداً، وهذه هي فتوى يصدرها هذا المجدد!؟ وسلام على الشرع والعقل وعلى إنسانية الإنسان.

*** الزبل خير من الغائط (المامونية الحموية) على كل حال:-**

شجـاع الكـرمـاني . . . حضـر ليلة موسم بمسجـد بقلعة الصبية بإيناس[3] يعرف

---

(١) جامع النبهاني: ٢ / ٢٤.

(٢) جامع النبهاني: ٢ / ٢٥.

(٣) هكذا هي الجملة في الأصل.

بالشيخ محمد السلطي، فقال الجماعة: نريد أن نأكل حلوى دمشقية، فأخذ الجوالق والمجارف وخرج مع جماعة إلى المزبلة، فيها زبل وشقف وحجارة وغير ذلك، فملؤوا الجوالق، وأتوا المسجد وهم يضحكون، ففرغه بين أيديهم، فإذا هو من أصناف أطايب الحلوى، فأكلوا وازدادوا إيماناً[1]. . . (ازدادوا إيماناً بأن كهانتهم هي الإسلام).

*** كلا النقيضين صحيح، صدق أو لا تصدق، لكن لا تعترض فتنطرد:-**

شعيب، أبو مدين المغربي، أحد أعاظم أئمة الطريق المجمع على جلالتهم وولايتهم الكبرى . . . قال: . . . قامت الحرب مرة بالمغرب بين المسلمين والفرنج، وكان الظهور للفرنج، فأخذ شيخنا أبو مدين سيفه وخرج إلى الصحراء، مع نفر من أصحابه، وجلس على كثيب، فإذا بين يديه خنازير قد ملأت الصحراء، فوثب حتى صار بينهم، وعلا بالسيف رؤوسهم حتى قتل كثيراً منهم، وولوا هاربين، فسألناه؟ فقال: هؤلاء الفرنج وقد خذلهم الله تعالى، فأرخناه، فجاء الخبر بكسرتهم في الوقت بعينه! وجاء المجاهدون وأكبوا عليه يقبلون قدميه، وأقسموا أنه لو لم يكن الشيخ بين الصفين لهلكوا. . .

● **التعليق:**

ما دامت لهؤلاء الأولياء هذه الكرامات! فلم أصبح المسلمون أذل من على وجه الأرض؟؟ ولم خسروا قبل ذلك الأندلس مع وجود هؤلاء الضراغم؟؟

. . . وروي أن أمير المؤمنين بالمغرب، المسمى يعقوب، رأى مرائي وأحوالاً من أحوال المريدين، وسببه أنه قتل أخاه غيرة على الملك، فندم على قتل أخيه ندماً أورثه توبة أثرت في باطنه أحوالاً حسنة، وتغير عليه من نفسه ما لا يعهده لثمرة التوبة، فما كان أبركه عليه ذنباً؛ فشكا ما يجده لمريدة كانت تدخل قصره، فقالت: هذه أحوال المريدين، فقال: كيف أعمل بنفسي ومن يعرفني ويداويني؟ فقالت له: الشيخ أبو مدين سيد هذه الطائفة في هذا الزمان؛ فبعث يعقوب إلى الشيخ أبي مدين، وطلبه طلباً حثيثاً، والتجأ إليه، فاقتضى إجابة الشيخ أبي مدين له، فقال: قوموا له نطع الله عز وجل سبحانه

---

(١) جامع النبهاني: ٢ / ١١٤.

وتعالى بطاعته، وأنا ما أصل إليه، بل أموت بتلمسان، وكان الشيخ يومئذ في بجاية، فلما وصل إلى تلمسان، قال لرسل يعقوب: سلموا على صاحبكم، وقولوا له: شفاؤك على يد أبي العباس المريني؛ ومات الشيخ أبومدين . . . فمشى (أي أبو العباس المريني) إليه (إلى يعقوب) واجتمع به، ففرح يعقوب بذلك، ثم أمر بذبح دجاجة، وخنق أخرى، وأن يطبخ كل منهما على حدة، وقدمهما بين يدي الشيخ، فأمر الشيخ الخادم برفع المخنوقة، وقال: هذه جيفة، وأكل من الأخرى، فسلم يعقوب نفسه له، وأنزل نفسه منزلة الخادم، وفُتح له على يده، وترك الملك وسلمه لابنه، واشتغل مع الشيخ، وثبت قدمه في الولاية ببركة الشيخ أبي العباس وإشارة الشيخ أبي مدين.

ـ وبعد صفحتين فقط، يورد النبهاني هذه القصة بالشكل التالي:

. . . وكان (أبومدين) استوطن بجاية، ويقول: إنها معينة على طلب الحلال؛ ولم يزل بها يزداد حاله على مر الليالي رفعة ترد عليه الوفود وذوو الحاجات من الآفاق، ويخبر الوقائع والغيوب، إلى أن وشى به بعض علماء الظاهر عند يعقوب المنصور، وقال له: إنا نخاف منه على دولتكم، فإن له شبهاً بالإمام المهدي، وأتباعه كثيرون بكل بلد؛ فوقع في قلبه وأهمه شأنه؛ فبعث إليه في القدوم عليه ليختبره، وكتب لصاحب بجاية بالوصية . . . وارتحلوا به على أحسن حال حتى وطئوا به حوز تلمسان . . . فلما وصل وادي نسر اشتد به المرض ونزلوا به هناك . . . وكانت وفاته سنة ٥٨٠هـ، فحمل إلى العباد مدفن الأولياء والأوتاد، وسمع أهل تلمسان بجنازته، فكانت من المشاهد العظيمة . . . وعاقب الله السلطان فمات بعده بسنة أو أقل[1] . . .

ـ السؤال: أ ـ أي الروايتين نصدق، وفيهما ما فيهما من التناقض؟!

ب ـ ألم يساعدهم كشفهم على معرفة الحق في هاتين الروايتين؟!

ونترك الباقي للقارىء، مع التنبيه إلى مدى الغفلة التي تسببها الصوفية!

*** أين هذه الجزيرة السادسة وفي أي بحر محيط:ـ**

. . . وقال الشيخ عمر القيسي: خدمت الشيخ عديًّا رضي الله تعالى عنه سبع

---

(١) جامع النبهاني: ٢ / ١١٨ و ١٢٠.

سنين، وشهدت له خارقات، فقال لي يوماً: اذهب إلى الجزيرة السادسة في البحر المحيط تجد بها مسجداً، فادخله، تر فيه شيخاً، فقل له: يقول لك عدي: احذر الاعتراض ولا تختر لنفسك أمراً فيه إرادة؛ ودفعني بين كتفي، فرأيت المكان والشيخ، وأخبرته، فبكى، ودعا له، وقال لي: إن أحد السبعة الخواص الآن في النزع، وقد طمحت إرادتي أن أكون مكانه، ثم دفعني فوجدت نفسي في الزاوية[1].

● **توضيح**: مثل هذه الحالات يرونها في أحلام الجذبة (الكشف)، وكثيراً ما تختلط عندهم بالواقع، فلا يميزون بينهما! وفي جميع الحالات يعتبرونها عين اليقين وحق اليقين!

*** يحيون الموتى (والويل لمن لا يصدق):-**

وقال الشيخ عمر: كنت عند الشيخ عدي بن مسافر رضي الله عنه يوماً، فجاء جماعة من الأكراد والبوزية زائرين، وكان فيهم رجل يدعى «الخطيب حسين»، فقال له الشيخ: يا حسين! قم أنت والجماعة حتى نقلب أحجاراً ونعمل حائطاً للبستان، فنهض الشيخ ونهض معه الجماعة، وصعد الشيخ إلى سطح الجبل، وجعل يقطع أحجاراً ويدحرجها وهم ينقلونها إلى مكان العمل؛ فأصاب حجر رجلاً، فاختلط لحمه بعظمه وألصق بالأرض، فمات من ساعته؛ فنادى الخطيب حسين: مات فلان إلى رحمة الله تعالى؛ فانحدر الشيخ من سطح الجبل، وأتى الرجل المصاب، ورفع يديه إلى السماء، ودعا له، فقام الرجل بإذن الله تعالى كأنه لم يصبه شيء[1].

● **التعليق**:

عدي بن مسافر هذا له أتباع، هم اليزيديون عبدة الشيطان، المقيمون في سنجار وما حوله، وقد مضى على المسلمين قرون وهم يتخبطون في ظلمات هذه الأوهام الشيطانية أو الهذيانية، ولما يزل هؤلاء الكهان يُعملون كهانتهم وسحرهم لإبقاء هذه الأمة بعيدة عن إسلامها وعن وعيها. وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعاً.

*** الفقير بما يعملون بصير:-**

وقال الشيخ إسماعيل التونسي رحمة الله عليه: خرجت أنا وجماعة من التونسية إلى

---

(١) جامع النبهاني: ٢ / ٢٩٧.

زيـارة الشيـخ عدي رضي الله عنـه، فلما وصلنـا سلمنـا عليه وجلسنا نتحاور في كرامات الأولياء ودرجاتهم، فقال الشيخ: كل شيخ لا يعلم مريده كم ينقلب في الليل قلبةً ما هو شيخ، ولو أنه في مشرق الأرض أو مغربها؛ فقلت في نفسي: هذا أمر صعب، أنا أجامع زوجتي، والشيـخ ينظـر إلي؟! فلما رجعت إلى بيتي، هجـرت زوجتي شهراً كاملاً، فعلم الشيـخ عدي بما أنـا عليـه، فوصى جماعـة من الفقـراء المجـاورة أنكم إذا توجهتم إلى منـازلكم، يتـوجـه أحـدكم إلى التـونسية، ويقول لإسماعيل يجيء إلى عندي . . . فلما وصلت وسلمت عليه زجرني وانتهرني، وقال: يا إسماعيل أيما أحب؟ الشيخ يبصر مريده على حلال أو على حرام؟ لا تعد إلى مثلها؛ فقابلت أمره بالسمع والطاعة وانصرفت راجعاً[1].

● **التعليق:**

يرى ويبصر عبر المسافات والحواجز، ويرى مريده وهو يجامع زوجته، ولكنه يبصره على حلال؟! دستور دستور دستور، لكن على كل حال يجب أن لا ننسى سلاح التأويل البتار الذي يجعل كتاب الإحياء بحراً من البحار.

*** العري، العري، العري، وضع عقلك وإيمانك في ثلاجة:-**

قال أبـو الـبركـات: دخـل يوماً على عمي الشيخ عدي ثلاثون فقيراً، فقال عشرة منهم: يا سيـدي، تكلم لنـا في شيء من الحقيقـة؛ فتكلم لهم، فذابوا، وبقي موضعهم حومـة ماء؛ وتقـدم العشـرة الثـانيـة، فقـالـوا له: تكلـم لنا في شيء من حقيقة المحبة؛ فتكلم، فماتـوا ثم تقـدم الآخـرون وقـالوا: يا سيدنا تكلم لنا في شيء من حقيقة الفقر، فتكلم لهم، فنزعوا ما كان عليهم من الثياب، وخرجوا عرايا إلى البرية[1].

● **الملاحظـة:** على مدى قرون كان أمثال هؤلاء أسوة المسلمين، حتى وصل المسلمون إلى ما هم عليه.

● **الصوفي يعز من يشاء ويذل من يشاء:-**

عزاز بن مستـودع البطـائحي: كان من أجـلاء المشـايـخ وأكـابـر العـارفـين وأعيان

---

(١) جامع النبهاني: ٢ / ٢٩٩.

الصـالحـين ورؤساء المقربين، له الآيات الصادقة . . . والتمكين التام والتصريف العام (أي التصرف في الكون عامة) . . . ومما روينا أن الشيخ عزازاً سأله الخليفة المقتـدي بأمر الله القـدوم إلى بغـداد ليتـبرك به، فلما اخترق دهاليز القصر، ما نظر إلى ستر مرخي إلا تمزق قطعـاً؛ ثم قال للخليفـة: سيقصـدك ملك العجم في جيش لا قبـل لك به، وقـد مَلَّكتُ جيشك رقاب جيشه، وملَّكتك عنقه، فكان كما قال، وأُسر الملك واعتقل ببغداد أياماً، ثم افتدي بأموال عظيمة[1]. . .

*** صوفي مكشوف العورة، ولا يصلي. . وهو مع ذلك ولي :-**

علي الكـردي: أحـد أكابر الأولياء أصحاب التصريف العظيم والكرامات الكثيرة، منهـا: . . . ولما جاء العـارف الكبـير الإمـام شهـاب الـدين عمر بن محمد السهروردي صاحب كتاب (عوارف المعارف) إلى دمشق في رسالة الخليفة إلى الملك العادل بالخلعة والطوق وغير ذلك، قال لأصحابه: أريد أزور عليًّا الكردي، فقال له الناس: يا مولانا لا تفعل، أنت إمام الوجود، وهذا رجل لا يصلي، ويمشي مكشوف العورة أكثر أوقاته؛ فقال: لا بد من ذلك، قال: وكان الشيخ علي الكردي مقيماً أكثر أوقاته في الجامع، حتى دخـل عليـه مولَّـه آخـر يقـال له ياقـوت، فساعة دخوله من الباب، خرج الشيخ علي من دمشق وسكن جبانتها بالباب الصغير، وما دخلها بعد ذلك إلى أن مات ـ وياقوت فيها يتحكم ـ فقالوا للشيخ شهاب الدين: هو في الجبانة، فركب بغلته، ومشى في خدمته من يعـرِّفـه موضعـه، فلما وصل إلى قريب من مكانه، ترجل وأقبل يمشي إليه؛ فلما رآه علي الكـردي وقـد قرب منـه كشف عورتـه! فقال الشيخ شهاب الدين: ما هذا شيء يصدنا عنك، ونحن ضيفانك؛ ثم دنا منه، وسلم عليه، وجلس معه؛ وإذا بحمالين قد جاؤ وا ومعهم مأكول متبر[2]. . . أهـ.

نقـول: وهكـذا غاص المجتمـع الإسـلامي في ظلمات الضـلال والجهل؛ لا يصلي ويسـير مكشـوف العـورة وهو يتحكم ويتصرف بالوجود، ويزوره إمام الوجود، وما أدراك من هو هذا الإمـام، إنـه إمـام في تدمـير عقـائـد هذه الأمـة وسلبها إسلامها ودفعها إلى

---

(1) جامع النبهاني: ٢ / ٣٠٢، وما بعدها.

(2) جامع النبهاني: ٢ / ٣٣١ و٣٣٢، ونشر المحاسن الغالية، ص٣٠٧.

ظلمات الضلال والشرك والأخلاق البذيئة . . . لكن هذا كله له تأويل عند القوم، يضحكون به على أذقان المغفلين والسذج وعلى الذين ماتت فيهم الغيرة على الإسلام.

*** ونسخت أحكام القرآن وسنن الله في كونه :-**

سيدي أبو الحسن علي الشاذلي رضي الله عنه، السيد الشريف، زعيم الطائفة الشاذلية، وإمام الأولياء والصوفية، وأحد مفاخر الأمة المحمدية، قال: جعت مرة ثمانين يوماً، فخطر لي أن قد حصل لي نصيب من هذا الأمر، فإذا أنا بامرأة خارجة من مغارة، كأن وجهها ضياء الشمس حسناً وهي تقول: منحوس منحوس، جاع ثمانين يوماً، فأخذ يدل على الله بعمله، وأنا لي ستة أشهر لم أذق فيها طعاماً[1]؟

- ولا تعليق، لكن تذكير: وصال الصيام محرم في الإسلام، ولن تعدم من يقول لك: هذا له تأويل! أو يقول: هذا للخواصِّ لا للعوامِّ؟ فنجيبه: التأويل تضليل، والإسلام دين الحياة للخواص مثل العوام.

*** كرامة فوق السنن . . . ولا حياء بالحلال :-**

أبو عمرو عثمان بن مروزة البطائحي رحمه الله، أحد أعيان المشايخ وأكابر الرجال، وأصحاب الكرامات والأحوال . . . فبينما هو ليلة يتهجد، إذ طرقته منازلة من الجناب الأعظم، وتبدت له أنوار، فوقف سبع سنين واقفاً شاخصاً إلى السماء دون غذاء ولا إحساس بحاله، ثم عاد إلى بشريته (أي كان في كل هذه المدة إلهاً ثم عاد إلى البشرية)، فقيل له: اذهب إلى قريتك، وجامع أهلك فقد آن ظهور ولد منك؛ فطرق بابه وأخبر أهله بحاله، فقالت زوجته: لئن فعلت وقضيت تحدث الناس فيَّ؛ فصعد السطح ونادى: يا أهل القرية، أنا فلان، اركبوا فإني سأركب[2].

● الملاحظات:

الملاحظات كثيرة، ومنها: ما ذنب هذه الزوجة التي ترملت مع وجود زوجها! وهل

---

(١) جامع النبهاني: ٢ / ٣٤١.

(٢) جامع النبهاني: ٢ / ٢٨٨.

يسمح الإسلام بهذا الشذوذ؟؟ أما «اركبوا فإني سأركب»، فهذه تحتاج إلى حضرة، ورقص بنقص، وإلى «ترلم ترلم».

*** جبل قاف أيضاً :-**

قال سيدي محيي الدين (أي ابن عربي) : وأخبرني عنه (أي عن موسى السيدراني) شيخي أبويعقوب الكومي، أنه وصل جبل قاف المحيط بالأرض، فصلى الضحى بأسفله، وصلى العصر على ذروته، وسئل عن ارتفاعه في الهواء، فقال: مسيرة ثلاثمائة سنة، وأخبر أن الله طوّق هذا الجبل بحية اجتمع رأسها بذيلها[1].

- وهكذا كل كشوفهم، جهل في جهل في غباء، والكذب زيادة.

ودخل موسى هذا أرضاً رأى النمل فيها على قدر المعز عجيبة الخلق، ورأى عجوزاً خراسانية واقفة على البحر والأمواج تصطفق بين ساقيها وهي تسبح الله وتقدسه[1]. . .

- أين هي هذه الأرض؟ وهذا النمل؟ و . . و . . . و . . وما أكثر الواوات والأينات؟ لكن أيها القارىء سلم تسلم، لا تعترض فتنطرد! فهل تفهم أنت أكثر من الكشف؟! كشف! كشف دمر الأمة الإسلامية.

ويقول عبد الحليم محمود: إن كلام القوم رموز، فنجيبه: الرموز عكاكيز الدجاجلة.

*** بين السيقان، في خان بنات الخطا، تتقدس أسرارهم (دستور من خاطرهم) :-**

(حسن الخلبوصي)، قال الشعراني: حكى الشيخ يوسف الحريثي رحمه الله قال: لما حججت، سهرت ليلة في الحرم خلف المقام، وكانت ليلة مقمرة، فلما راق الليل، دخل جماعة يخفق النور عليهم، فطافوا وصلوا خلف المقام، وجلسوا يسيراً، فجاءهم شخص، وقال: يعيش رأسكم بالشيخ علي. فقالوا: رحمه الله تعالى. قال: من يكون موضعه؟ فقالوا: حسن الخلبوصي بناحية زفتى بالغربية. فقال: أناديه؟ فقالوا: نعم. فقال: يا حسن! فإذا هو واقف على رؤوسهم عليه ثوب معصفر ووجهه مدهون بالدقيق

(١) جامع النبهاني: ٢ / ٤٩٨.

وعلى كتفه سوط، فقالوا له: كن موضع الشيخ علي. فقال: على الرأس والعين، وذهب، فلما رجعت إلى بلادي قصدته بالزيارة في خان بنات الخطا، فوجدت واحدة راكبة على عنقه، ويداها ورجلاها مخضوبتان بالحناء وهي تصفعه في عنقه، وهو يقول لها: برفق فإن عيناي موجوعتان! فأول ما أقبلت عليه قال مبادراً: يا فلان، زغلت عيناك وغرك القمر، ما هو أنا، فعرفته أنه هو، وأمرني بعدم إشاعة ذلك[1].

● **التعليق**: يتساءل المتسائلون عن سبب فساد الأمة الإسلامية وهو واضح أمام الأعين، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العيظيم.

*** العورة . . العورة:-**

الشيخ عبد الكريم القاوي[2] الدمشقي: كان من أصحاب الكرامات الباهرات . . . فأراد الوالي أن يرى منه شيئاً من ذلك، فقال له الشيخ عبد الله (ابن الشيخ سعيد الحلبي): هل تقدر أن تشرب جميع ما في هذه البركة من الماء؟ فقال: لا أفعل، فقال: نحن نفعل ذلك، فقال: افعلوا؛ فأمر بعضهم سرًّا بأن يظهر بأنه يشرب من البركة، وأمر آخر بأن يفتح مجراها من جهة أخرى، ففعلا ذلك؛ فبعد قليل فرغت البركة؛ فلما ظهر للشيخ القاوي أن ذلك الرجل شرب البركة قال: وأنا أشربها أيضاً فاملؤ وها؛ فتركوها حتى امتلأت، فقام الشيخ القاوي، وأخذه حال عجيب، ووضع فمه في البركة فصار يشرب والماء يخرج من إحليله، ولم يزل كذلك يدخل الماء من فمه ويخرج من إحليله إلى أن فرغت البركة؛ وهي من أعظم كراماته، فاعتقده الوالي وغيره اعتقاداً عظيماً[3]. . .

ـ السؤال: هل كانوا يرون إحليله والماء يخرج منه؟ وهل؟ وهل؟ على أن كشف العورة عندهم شيء مثير للانتباه!

*** قاف أيضاً! فأين هذا القاف؟!:-**

حماد بن مسلم الدباس[4]. . . وروي أن الشيخ حماداً مر ببعض قرى بغداد، فرأى بعض أمراء الدولة المستظهرية راكباً سكران، فأنكر عليه، فسطا الأمير على الشيخ،

---

(١) جامع النبهاني: ٢ / ٣٨.
(٢) توفي في دمشق عام ١٢٨٣هـ.
(٣) جامع النبهاني: ٢ / ٢٢١ و٢٢٢.
(٤) توفي عام ٥٢٥هـ.

فقال الشيخ: يا فرس الله خذيه؛ فعدت فرسه كالبرق الخاطف، يسبق البصر، ولم يعلم أين ذهب! وبعث الخليفة الخيل وراءه فلم يقف له على أثر، قال تاج الدين أبو الوفاء: وعزةِ مَن له العزة، لم يستقر به فرسه دون بر ولا بحر ولا سهل ولا جبل حتى ذهبت به إلى وراء جبل قاف[1]...

- فيا ناس، خبرونا أين يقع هذا القاف؟ هذا مع غض النظر عن الكذب الخالي من الحياء.

*** يعلم ما في الأرحام، وقاف أيضاً؟!:-**

عبد الرحمن الشبريسي: روي أن أبا الفتح شمس الدين محمد المرّي السكندري المولود في إسكندرية سنة (٨١٨هـ)، لما حملت به والدته، دخل والده الشيخ بدر الدين العوفي على الشيخ الإمام العارف بالله الشيخ عبد الرحمن الشبريسي، وسأله لها الدعاء، فقال له: إن زوجتك آمنة معها ولدان، أحدهما يموت بعد سبعة أيام، والآخر يعيش زمناً طويلاً، وسمِّه أبا الفتح، وسيكون له فتح من الله تعالى، وتوكل على الله، يعيش سعيداً ويموت شهيداً، ويخرج من الدنيا كيوم ولدته أمه، يضع قدمه على جبل قاف، يسوحُ زمانه، وينال من الله أماناً[2]...

- نسأل: ما معنى قوله سبحانه في آخر سورة لقمان: ﴿ويعلَمُ ما في الأرحامِ﴾، ونعود للسؤال: أين جبل قاف المحيط بالأرض هذا؟! لكن لا اعتراض على الكشف!

*** ومثل شيخه، يجر السفينة بخصيتيه وينزل الغيث:-**

عُبيد أحد أصحاب الشيخ حسين أبي علي، كان له خوارق مدهشة، ومن كراماته: أنه كان يأمر السحاب أن يمطر فيمطر لوقته، وكل من تعرض له بسوء قتله بالحال في الحال؛ دخل مرة الجعفرية، فتبعه نحو خمسين طفلاً يضحكون عليه، فقال: يا عزرائيل إن لم تقبض أرواحهم لأعزلنك من ديوان الملائكة، فأصبحوا موتى أجمعين! وقال له بعض القضاة: اسكت، فقال له: اسكت أنت، فخرس وعمي وصم؛ وسافرَ في سفينة فوحلت ولم يمكن تعويمها، فقال: اربطوها بخيط في بيضي، ففعلوا، فجرَّها حتى

---

(١) جامع النبهاني: ٢ / ٥٤.

(٢) جامع النبهاني: ٢ / ١٥٥.

خلّصها من الوحل[1]. . .

● **التعليق**: لا يحتاج هذا الكفر والهذيان للتعليق (ولا للتقريق)، ولكن هذا التلازم بين الصوفية وكشف العورة مثير للانتباه.

*** الطريق إلى الوثنية :ـ**

(أبو الحسن علي بن عمر بن الحسين بن عيسى بن أبي النهى) كان فقيهاً صالحاً. . . وكان غالب أكله من الأشجار . . . وظهرت له كرامات كثيرة . . . وتُربته من التُّرَب المشهورة بالبركة واستجابة الدعاء؛ وقال: ومن أعجب بركتها ما أخبرني به الثقات، أنه كان على قبره شجرة سدر، يأخذ أصحاب الحميات من ورقها، يطلون به رؤوسهم فيبرؤون من الحمى، واستفاض ذلك حتى كان يؤتى لها من الأماكن البعيدة، قال: وكان من عادة أهل إبّ في غالب الأعياد أن يحصل بينهم وبين أهل باديتهم حروب كثيرة، فحصل بينهم في بعض الأعياد حرب انتصر فيه أهل البادية على أهل المدينة حتى أدخلوهم البيوت؛ فقال بعضهم: اقصدوا بنا هذه الشجرة التي يعبدونها فلنعقرها عليهم؛ فنهاهم بعض عقلائهم، فلم يقبلوا، وأسرع إليها بعض الجهال، وقطعها حتى أوقعها على الأرض؛ فأنف أهل المدينة من ذلك، وخرجوا نحوهم، فهزموهم هزيمة شديدة، وقتلوا منهم طائفة، وكان أول قتيل الذي قطع الشجرة. وكرامات الفقيه من هذا القبيل كثيرة[2]. . .

ـ السؤال: إن لم يكن هذا شركاً فما هو الشرك؟ وإن لم يكن وثنية فما هي الوثنية؟ وإن لم يكن ضلالاً فما هو الضلال؟ لكن هذا وأمثاله يفسر لنا الجهل والذل والتخبط الذي ابتليت به الأمة الإسلامية.

*** يتصرف في الكون! لعله مساعَدة لله (سبحانه) :ـ**

(الشيخ جلال الدين التبريزي) كان من كبار الأولياء وأفراد الرجال . . . يذكر ابن بطوطة قصصاً من كرامات الشيخ التي رآها حين لاقاه . . . حتى يقول: ولما كان يوم دخولي إلى الشيخ، رأيت عليه فرجية مرعز، فأعجبتني، وقلت في نفسي: ليت الشيخ

---

(١) جامع النبهاني: ٢ / ٢٨٦.

(٢) جامع النبهاني: ٢ / ٣٢٨.

أعطانيها؛ فلما دخلت عليه للوداع، قام إلى جانب الغار، وجرّد الفرجية، وألبسنيها مع طاقية من رأسه، ولبس مرقعة، فأخبرني الفقراء أن الشيخ لم تكن عادته أن يلبس تلك الفرجية، وإنما لبسها عند قدومي، وأنه قال لهم: هذه الفرجية يطلبها المغربي، ويأخذها منه سلطان كافر ويُعطيها لأخينا برهان الدين الصاغرجي . . . (ويذكر ابن بطوطة سفره بعد ذلك، وكيف أخذ الفرجية منه سلطان الصين، ثم ذهابه عند الشيخ الصاغرجي حتى يقول): فقصدت زاوية الشيخ برهان الصاغرجي، فوجدته يقرأ والفرجية عليه بعينها . . . فقال لي: هذه الفرجية صنعها أخي جلال الدين برسمي، وكتب إليّ أن الفرجية تصلك على يد فلان . . . وعجبت من صدق يقين الشيخ، وأعلمته بأول الحكاية؛ فقال لي: أخي جلال الدين أكبر من ذلك كله، هو يتصرف في الكون[1]!!

● **تعليق**: كشفهم أضل منهم وأجهل! فقد جهل أن الحبكة في هذه القصة من ترتيب شياطين الجن.

*** موكل بأهل البرزخ (بالوكالة عن الله تعالى)؟ :-**

(زين العابدين بن عبد الرؤوف المناوي) ابن شارح الجامع الصغير؛ من أكابر الأولياء وأعيان الأصفياء . . . حدَّث الحمصاني، وهو أحد المشايخ العارفين، قال: رأيت طعيمة الصعيدي المصري، وهو من أكابر الأولياء في علم الأرواح، وأمامه إنسان كالنور، أو نور كالإنسان، قلت: ما هذا؟ قال: زين العابدين المناوي، قد وُكِّل بأهل البرزخ[2].

● **ملاحظة**: أرجو من القارىء الكريم أن يقارن بين هذا الكلام وبين ما يشبهه في الوثنية اليونانية.

*** هل يجيز الإسلام نصب الخيمة على القبر وتعليق القناديل؟ :-**

ومن كراماته (أي زين العابدين المناوي)، أنه كان على قبره خيمة، فسقط عليها حائط بجانبها، فتقطعت الخيمة قطعاً قطعاً، وكان قد علق فيها ثريا من القناديل، فوجدت تحت الخيمة لم تنكسر، وهذا بالمشاهدة[2].

---

(١) جامع النبهاني: ٢ / ١٠، وقد نقلها عن رحلة ابن بطوطة.

(٢) جامع النبهاني: ٢ / ٨٤.

- الجواب: قول الرسول ﷺ: «لعن الله زائرات القبور والمتخذين عليها المساجد والسرج».

وهكذا نرى أن كرامات الصوفية ما هي إلا شيطانيات تنحرف بالإسلام لتغرقه في أعمق أعماق الوثنية والجهل، وعدم كسر القناديل برهان ملموس علىٰ شيطانية الحادثة.

*** النهي عن المنكر جريمة! وسلام على الإسلام:-**

(ريحان بن عبد الله العدني)[1] . . . قال المناوي: من كراماته ما حكاه اليافعي عن بعض الثقات، أن بعض أهل عدن رآه يفعل بعض المنكرات، فأنكر عليه وقال: هذا الذي يدَّعي الصلاح يقدم على هذا! فاحترق بيته بالنار تلك الليلة[2]!!

سؤال: ما معنى قوله سبحانه: ﴿كُنْتُمْ خيرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَت للناس تأمرونَ بالمعروفِ وتَنْهَوْن عن المنكرِ﴾؟

*** ومن الولاية القمل:-**

. . . وحُكي عن إبراهيم بن أدهم رضي الله تعالى عنه أنه قال: ما سُررتُ في إسلامي إلا ثلاث مرات: . . . والثالثة: كنت بالشام، وعليَّ فرو، فنظرتُ فيه، فلم أميِّز بين شعره وبين القمل لكثرته، فسرني ذلك[3]! (دستور من خاطره).

*** والبول يطهر الأولياء:-**

وفي حكاية أخرى عنه أيضاً قال: ما سُررت بشيء كسروري يوماً كنت جالساً، فجاء إنسان وبال عليَّ[4]! (أما الآن فدساتير كثيرة، دستور دستور . . .).

*** ولهم في المزابل مراتع إليها يحنون:-**

يقول عبد الله اليافعي (الغوث) من قصيدة:

---

(١) يمني مات قبل ٧٠٠هـ.

(٢) جامع النبهاني: ٢ / ٧٨.

(٣) نشر المحاسن الغالية، ص٢٦٩، والرسالة القشيرية، ص٧٠.

(٤) نشر المحاسن الغالية، ص٢٧٠، وتقريب الأصول، ص٢٦١، والرسالة القشيرية، ص٧٠، وإيقاظ الهمم، ص٣٤٥، وغيرها.

أحـنُّ ارتـيـاحـاً للمـزابـل لا إلـى قصـورٍ وفـرشٍ بالطـراز توشـح[1]

ـ أما أنه لا يحن إلى القصور والفرش، فلا غبار عليه، وأما أن يحن إلى المزابل (فهذا عليه غبار وعليه زبالة أيضاً)!

*** افتروا على الله سبحانه فجعلوه يفضل الأبيض على الأسود (من مقام التوبة) :ـ**

. . . وكـذلك القضية المشهورة للأستاذ سيد الطائفة الجنيد رضي الله تعالى عنه في توبتـه عن المـريـد الـذي اسـودَّ جسمـه بمجرد نظر وحديث نفس صدر منه في الصلاة، فابيضَّ جسمه لما تاب عنه، وكان المريد في بلاد بعيدة، فلما قدم على الجنيد قال له: لولا أني تبت عنك لبقيت بذلك السواد إلى أن تلقى الله[2].

ـ سؤال: ما معنى قوله سبحانه: ﴿وأنْ ليسَ للإنسانِ إلا ما سَعى﴾، وقول الرسول مخاطبـاً أهله: «. . . فإني لا أغني عنكم من الله شيئـاً»؟ ثم من جهـة ثانيـة، نرى من الواضح أن دور شياطين الجن في هذه اللعبة واضح.

*** الصوفي؛ يمحو ما يشاء ويثبت ما يشاء وعنده أم الكتاب :ـ**

. . . وقد قال بعضهم: لا يكون الشيخ شيخاً حتى يمحو خطيئة تلميذه من اللوح المحفـوظ! وقـال آخـر منهم منكـراً لهذا القـول المذكور: لو كان شيخاً ما غفل عن تلميذه حتى وقع في الخطيئة[3]!!

الجواب: ﴿كبُرَتْ كَلِمة تخرجُ مِن أفواهِهم إنْ يقولونَ إلا كَذِباً﴾. وعلى كل حال، يجب أن نعرف أنهم يعتقدون مثل هذه الاعتقادات بناءً على رؤى يرونها فعلاً؟ وما هي إلا ألاعيب شياطين الجن يضلونهم بها، والكشف.

*** يستحيي من الله أن يدخل المسجد (من مقام الحياء) :ـ**

ومن حكـايـات أهـل الحياء ما حكي أنه رؤي رجل خارج المسجد، فقيل له: لم لا

---

(١) نشر المحاسن الغالية، ص٢٧٠.

(٢) نشر المحاسن الغالية، ص٦٨، وإحياء علوم الدين: ٤ / ٤٨، وغيرهما.

(٣) نشر المحاسن الغالية، ص٦٨.

تدخل المسجد فتصلي؟ فقال: أستحيي منه أن أدخل بيته وقد عصيته[1]!!

ـ الجواب: أخلاق تدمر الدين والأخلاق! وهذا يفسر سبباً من أسباب جهل المسلمين بدينهم ودنياهم. ومع ذلك فلن تعدم من يقول لك: هذا للخواصّ لا للعوام!! فنجيبه: يا سلام.

*** سلِّم تسلم، فللشيوخ التصرف التام:ـ**

. . . ورووا عن بعض الأولياء الكبار أنه طلب منه بعض الناس أن يدعو له الله تعالى أن يرزقه ولداً ذكراً، فقال له: إن أحببت ذلك فسلم للفقراء مائة دينار، فسلم إليه ذلك، ثم جاء بعد ذلك بمدة، وقال له: يا سيدي، وعدتني بولد ذكر وما وضعت امرأتي إلا أنثى؛ فقال له الشيخ: الدنانير التي سلمتها ناقصة؛ قال: يا سيدي، ما هي ناقصة إلا شيئاً يسيراً، فقال له الشيخ؛ ونحن أيضاً ما نقصناك إلا شيئاً يسيراً، فإن أحببت أن نوفي لك فأَوْفِ لنا!! فقال: نعم يا سيدي؛ ثم ذهب وعاد إليه بتوفية ذلك النقصان؛ فقال له الشيخ: اذهب فقد أوفينا لك كما أوفيت لنا؛ فرجع إلى منزله، فوجد الولد غلاماً بقدرة الله تعالى وإكرامه لأوليائه عز وجل[2]!!

● **تنبيه**: هذه القصة الكافرة، يرويها غوث من أغواثهم وحبر من أحبارهم، في كتاب هو مرجع من مراجعهم!!

*** ما هو ذنب الصبي الصغير:ـ**

وروي مسنداً في كتاب مناقب الإمام شيخ الإسلام . . . الشيخ عبد القادر (الجيلاني) . . . فأتاه بعد ذلك جمع من الرافضة بقفتين مخيطتين وقالوا له: قل لنا ما في هاتين القفتين؟ فنزل من الكرسي الذي يتكلم عليه، ووضع يده على إحداهما، وقال: في هذه صبي مقعد، وأمر بفتحها، ففتحت، فإذا فيها صبي مقعد، فأمسك بيده، وقال له: قم، فقام يعدو بإذن الله تعالى، ووضع يده على الأخرى، وقال: وفي هذه صبي لا عاهة به، وأمر بفتحها، وإذا فيها صبي، فقام يمشي، فأمسك بناصيته، وقال له:

(١) نشر المحاسن الغالية، ص٢٠٣.

(٢) نشر المحاسن الغالية، ص٢٢.

اقعد؛ فأقعد[1]. . .

وإنا لله وإنا إليه راجعون، وقد أتى على المسلمين مئات السنين، وهؤلاء القوم ومريدوهم وأشياعهم هم مُثُلهم العليا وموجهوهم في الدين والدنيا، حتى وصل المسلمون إلى ما هم عليه من الجهل والفساد.

*** أمر الشمس بالوقوف فوقفت:-**

ومن جملة المستفيضات ما اشتهر في بلاد اليمن بين الفقهاء وغيرهم، وربما تواتر عن الفقيه إسماعيل الحضرمي . . . رضي الله تعالى عنه، أنه قال يوماً لخادمه وهو في سفر يقول للشمس تقف حتى يصل إلى منزله، وكان في مكان بعيد، وقد قرب غروبها؛ فقال لها الخادم: قال لك الفقيه إسماعيل «قفي له»، فوقفت حتى بلغ مكانه، ثم قال للخادم: ما تطلق ذلك المحبوس؟ فأمرها الخادم بالغروب، فغربت وأظلم الليل في الحال[2].

ولا تعليق، ولا سؤال، ولا جواب، ولا ملاحظة، ولكن نقول فقط: إن كشفهم خانهم! إذ لتأخير غياب الشمس يجب أن يأمر الأرض أن تقف، فدوران الأرض هو الذي يسبب الليل والنهار، ووقوف الشمس لا يؤخر شيئاً ولا يقدم في غروبها.

*** الولاية تنسخ القرآن والحديث والإسلام:-**

قال الفقيه إسماعيل الحضرمي رضي الله تعالى عنه: قيل لي: يا فقيه إسماعيل: إنا مشتاقون إليك، فهل أنت مشتاق إلينا؟ أو قال: فما هذا التخلف؟ فقلت: يا رب عوقتني الذنوب. فقال: قد غفرنا لك ولأهل تهامة من أجلك[3]!!

- السؤال: هل نُسخت الآية: ﴿وأنْ ليسَ للإنسانِ إلا ما سَعى﴾؟ وغيرها من الآيات والأحاديث المعروفة ؟! لكن أيها القارىء الكريم، لو عرضت هذا الكلام على صوفي جليل، لقال لك: هذا الكلام له تأويل، فنجيبه: التأويل تضليل، ومكر، وأحابيل.

---

(١) نشر المحاسن الغالية، ص٣٠.

(٢) نشر المحاسن الغالية، ص٣٣.

(٣) نشر المحاسن الغالية، ص٣٩٠.

*** ثم قاف (يا ناس)! :-**

قال الشيخ أبو العباس أحمد بن أبي الخير اليمني المشهور بالصياد رضي الله تعالى عنه: خطر بقلبي الاعتزال عن الخلق والسكنى بجبل قاف، فسمعت قائلاً يقول: يا صياد! أنت لنا أو لنفسك؟ فقلت: بل لكم، فقال: إن كنت لنا فقف ها هنا، ولك أجر رجلين من أهل جبل قاف[1].

- يا ناس، دلونا على من يدلنا على هذا القاف، ولكم أجر كل أهل جبل قاف.

*** نصير الدين الطوسي (رضي الله عنه!!) :-**

يقول عبد الله اليافعي (قطب الغوث)، والغوث كما تعلمون يتصرف في الكون، ويعلم ما في السماوات وما في الأرض وما بينهما وما تحت الثرى! وطبعاً يعلم ذلك بالكشف! يقول: وقال الإمام نصير الدين الطوسي رضي الله تعالى عنه في كتابه في «قواعد العقائد»: والفعل الخارق الذي يظهر على أحد من غير تحدٍّ يسمى الكرامة[2]... إلخ.

- وللعلم؛ نصير الدين الطوسي هذا، هو وزير هولاكو، شاركه في قتل ثلاثة ملايين مسلم ومسلمة، وهو شيعي، فهل الكشف خان الغوث؟ أم أن دمار الإسلام هو رسالة التصوف؟

*** يعرف الجنة قصراً قصراً، ورأى الشمس في العجلة يجرها ملكان! :-**

(أبو العباس أحمد بن أبي الخير الصياد) «... وقال في وقت: والله إني لأعرف الجنة قصراً قصراً، وأعرف النار حانوتاً حانوتاً، وأعرف أصحابها في الدنيا واحداً واحداً.

وقال أيضاً: كشف لي عن الشمس، فرأيت ملكين عظيمين يجرانها على العجلة في الفلك، من المشرق إلى المغرب، ومن المغرب إلى المشرق، قال الراوي: فقلت له: صف لي الملكين. فقال: ملكان عظيمان لهما كذا وكذا من مخلب، لو نظر إليهما أهل الأرض لماتوا...»[3].

---

(١) نشر المحاسن الغالية، ص٣٩٠.

(٢) نشر المحاسن الغالية، ص١٣.

(٣) نشر المحاسن الغالية، ص٧٦.

- لم يسعفه كشفه وهو قطب، وكذلك الذي نقل هذه الكرامة، وهو غوث أيضاً، وهو عبد الله اليافعي، الذي لم يسعفه كشفه ولا غوثيته ليعرف أن الشمس تسير، لكن ليس من الشرق إلى الغرب، ولا من الغرب إلى الشرق، وأن الأرض هي التي تدور حول نفسها من الغرب إلى الشرق، وكذلك كذب عليهما شيطانهما عندما قال لهما: إن الشمس محمولة على عجلة، وفي فصل لاحق سنرى مثل هذا الكشف عند حشاش فطر المكسيك، وأما معرفة الجنة قصراً قصراً والنار حانوتاً حانوتاً، ومعرفة أصحابها، فنترك مناقشتها لغير الضالين المضلين، ﴿وما أَدْري ما يفْعَلُ بي ولا بكم﴾.

*** العري أيضاً، ولكن مواساة للفقراء:-**

وحكي أنه دخل بعضهم على بشر بن الحارث رضي الله تعالى عنه في يوم شديد البرد، وقد تعرى من الثياب، وهو ينتفض، قال: فقلت له: يا أبا نصر، الناس يزيدون في مثل هذا اليوم من الثياب، وأنت قد نقصت؟ فقال: ذكرت الفقراء وما هم فيه ولم يكن لي ما أواسيهم به، فأردت أن أواسيهم بنفسي[1]!!

● الملاحظات:

١ - ماذا يستفيد الفقراء إن تعرى وانتفض من البرد؟ وإن مرض؟ وإن مات؟

٢ - هل يؤجر على هذا العمل أم يأثم؟ وهل العري فضيلة؟ عجيب!

٣ - إن كان يريد حقًّا مواساة الفقراء، فلم لم يفتش على عمل ثم يدفع أجرته لهم؟

*** أعذار أقبح من ذنوب (من مقام الإخلاص والورع):-**

. . . ولا يزالون يتعاطون ما يؤدي إلى إساءة الظن بهم وسقوطهم من قلوب الخلق ورميهم لهم بالعظائم، لا يحتفلون بمدح الخلق ولا بذمهم استجلاباً لكمال الإخلاص، واستبراءً للنفس من شوائب الشرك الخفي الذي لا يسلم منه إلا الخواصّ، لا يبالي أحدهم بكونه بين الخلق زنديقاً إذا كان عند الله صديقاً؛ فبعضهم يوهم الناس أنه لا يصلي ولا يصوم وهو يصلي ويصوم في الباطن فيما بينه وبين الله تعالى، وقد شوهد منهم

---

(١) نشر المحاسن الغالية، ص٢٣١.

كثير يصلون في الخلوات ولا يصلون بين الناس! وبعضهم إذا نام عند الناس يوهمهم أنه نائم، ويخرج إلى بعض المزابل يوهمهم أنه يبول، وليس به بول ولا نوم؛ بل يصلي الصبح بوضوء العشاء! وبعضهم يصلي بين الناس، ولكن لا يُرى في الصلاة، بل يحتجب عن الناس بحاله؛ إخفاءً للمحاسن كما تقدم! وبعضهم يكشف عورته بين الناس! وبعضهم يشتم الناس بالألفاظ القبيحة! وبعضهم يجعل قصبته بين رجليه ويعدو عليها كأنها فرسه! وبعضهم يشتمل ببعض الحرف الدنيئة! وبعضهم جاء بعض الملوك يزوره في عسكره، فاستدعى بطعام وجعل يأكل أكلاً بشيعاً شنيعاً، فانصرف عنه الملك لما رأى ذلك! وبعضهم يأخذ شيئاً للناس حتى ينسبوه إلى اللصوصية ويزول عنه شهرة الصلاح[1]!! اهـ.

ـ هذا الكلام يذكره قطب غوث، وما أدراك ما قطب الغوث! فنسأله: لا يصوم، أي يأكل أمام الناس (وطبعاً هذا في رمضان)، فكيف يأكل أمام الناس، بينما هو يصوم في الباطن؟؟ هذا كلام لا يصدر إلا عن مجنون أو زنديق. ثم الذين يصلون في الخلوات ولا يصلون أمام الناس؛ فهل نسخت ولايتهم فرض صلاة الجماعة؟! وهل التظاهر بالزندقة يجوز في الإسلام أم هو زندقة بحد ذاته؟! والعري العري ثم العري؛ لعله من مستلزمات التصوف؟! على كل حال، هذا هو كمال الإخلاص الذي يدعون إليه، وهذا هو استبراء النفس من شوائب الشرك الخفي، وهذا ما يعلمونه للناس، وهذا هو سبب فساد الأمة وسبب انهيارها، وسبب الجهل والذل اللذين يخيمان عليها.

*** رآه وهو في ظهر أبيه :-**

. . . وروينا عنه (الشيخ أبي عبد الله القرشي) قال: سألني الشيخ أبو الربيع عن بعض ما كنت أرى؟ فأخفيت عنه شيئاً. فقال: أَعَليَّ تتستر؟ والله لقد رأيتك في ظهر أبيك قبل ظهورك[2]. . . أهـ.

ـ وطبعاً خانه الكشف، فقد كان موزعاً بين أبيه وأمه، حيث نتج من حيوان منوي من هذا، ومن بويضة من هذه، وهكذا نرى أن كشفهم لا يظهر منه إلا الجهل.

---

(١) نشر المحاسن الغالية، ص٣٠٣.

(٢) نشر المحاسن الغالية، ص٥٠.

* **كشف، ودعوة إلى الجهل:**

يقول أحمد الفاروقي السرهندي، مجدد الألف الثاني:

. . . ومن علومهم (أي الفلاسفة) علم الهندسة، وهو لا يغني شيئاً . . . وعلم الطب وعلم النجوم وعلم تهذيب الأخلاق . . . وهؤلاء الأشقياء أخرجوا رقابهم عن ربقة التقليد، وصاروا في صدد الإثبات بالدلائل، فضلوا وأضلوا. ولما وصلت دعوة عيسى على نبينا وعليه الصلاة والسلام إلى أفلاطون، وكان هو أكبر هؤلاء الخذلة، قال: نحن قوم مهديون لا حاجة بنا إلى من يهدينا، ما أسفهه وما أشقاه حيث أدرك شخصاً يحيي الأموات ويبرىء الأكمه والأبرص[1] . . .

- أترك التعليق للقارىء، ولكني أنبه إلى أن أفلاطون مات قبل ميلاد عيسى بـ (٣٤٧ سنة)، فأين الكشف؟ مع العلم أن السرهندي يعترف أن الكشف قد يخطىء.

* **صورة من مقام التواضع . . ثم من مقام الخوف:-**

كان الشيخ الفقيه عبد الرحمن بن سعيد من الفقهاء والعلماء العاملين، بينما هو يمشي في يوم شاتٍ كثير الطين، فاستقبله كلب يمشي على الطريق التي كان عليها، قال من رآه: رأيت الشيخ قد لصق بالحائط، وعمل للكلب طريقاً، ووقف ينتظره ليجوز، فلما قرب منه الكلب، ترك مكانه الذي كان فيه ونزل أسفل، وترك الكلب يمشي فوقه! قال: فلما جاوزه الكلب وصلتُ إليه فوجدتُه وعليه كآبة! فقلت له: يا سيدي رأيتك الآن صنعت شيئاً استغربتُه! كيف رميت بنفسك في الطين وتركت الكلب يمشي في الموضع النقي؛ فقال لي: بعد أن عملتُ له طريقاً، تفكرتُ وقلتُ: ترفعتُ على الكلب وجعلت نفسي أرفع منه، بل هو والله أرفع مني وأولى بالكرامة، لأني عصيت الله وأنا كثير الذنوب . . . وأنا الآن أخاف من الله ألا يعفو عني لأني رفعت نفسي على من هو خير مني[2] . . .

---

(١) المنتخبات من المكتوبات، ص٧٤.

(٢) إيقاظ الهمم، ص٣٣٧ و ٣٣٨.

* نسخ لآية قرآنية:

. . . وقيل للواسطي[1]: لم لا تسأل الله شيئاً؟ فقال: أخشى أن يقال: إن سألتنا الذي لك عندنا فقد اتهمتنا، وإن سألتنا ما ليس لك عندنا فقد أسأت الأدب معنا، وإن سلمت الأمر لنا ونظرت بنظرنا أجرينا لك الأمور على مقتضى الموافقة[2].

- السؤال: ما معنى قوله سبحانه: ﴿وقالَ ربُّكم ادْعوني أسْتَجِب لكُم إنَّ الذينَ يَسْتَكْبِرون عن عبادتي سيَدْخُلون جهنَّمَ داخِرين﴾؟ وهل نسختها ولايتهم؟

- وما معنى قوله سبحانه: ﴿فادْعوا الله مُخْلِصين له الدينَ ولو كرِهَ الكافرون﴾؟

- وماذا بقي للقرآن من قيمة ما دام هوس هؤلاء المهووسين يتحكم بآيات الله فيقررها أو ينسخها؟! لكنه العلم اللدني فلا تعترض. ولننتبه إلى الآية التي تقرر أن الذين يكرهون الدعاء هم الكافرون.

* علم لدني:-

يقول عبد العزيز الدباغ الغوث، إجابة على سؤال:

. . . الجواب والله الموفق للصواب بمنّه، أن الثلج ماء عقدته الرياح، وأصلُه - غالباً - من ماء البحر المحيط، وماء البحر المحيط مخصوصٌ بثلاث خصال لا توجد في غيره: البرودة إلى النهاية، لمجاورته للرياح وبعده مِن حر الشمس، ولذلك ينعقد بأدنى سبب؛ والصفاء إلى النهاية، لأنه ماء باقٍ على أصل خلقته، لم يمتزج بشيء من جواهر الأرض، فإنه بحر محمول على القدرة الأزلية، وليس هو على الأرض ولا على شيء؛ والبعد إلى النهاية، فإن المسافة التي بيننا وبينه في غاية البعد[3]. . .

- نترك التعليق لغير أهل الطريق، مع ملاحظة أن كشفه منبثق من معلوماته المستقاة من محيطه.

---

(١) يزيد بن هارون الواسطي، مات سنة ٢٨٦هـ.

(٢) إيقاظ الهمم، ص٢٦٩.

(٣) الإبريز، ص١٤٥.

* علم لدني آخر:ـ

ويجيب عبد العزيز الدباغ، الغوث، على سؤال عن سبب الخسف فيقول:

. . . إن الأرض محمولة على الماء، والماء محمول على الريح، والريح تخرج من حيّز عظيم بين السماء وطرف الماء، أعني ماء البحر المحيط، وذلك أنا لو قدرنا رجلاً يمشي ولا ينقطع مشيه، فإنه يبلغ لمنقطع الأرض، ثم يرى البحر المحيط، فإذا فرضناه يمشي عليه ولا ينقطع مشيه، فإنه لا يزال يمشي فوق الماء إلى أن ينقطع، وعندئذ لا يبقى بينه وبين السماء إلا الجو الذي تخرج منه الريح، فيرى رياحاً لا تكيَّف ولا تطاق، وهي بإذن الله الحاملة للماء والأرض، والماسكة للسماء، ثم هي خدامة دائماً لا تسكن لحظة، ومرتفعة نحو السماء، فإذا أراد الله تعالى أن ينزل المطر على قومٍ أمر شيئاً من تلك الرياح فانعكس إلى جهة الأرض، وعبر على متن البحر المحيط أو غيره، فيحمل ما أراد الله تعالى من الماء إلى الموضع الذي يريده عز وجل، وكم مرة أَنظرُ إلى طرَف الماء المُوالي للجو الذي فيه الرياح، فأرى فيه جبالاً من الثلج لا يعلم قدر عظَمها إلا الله عز وجل، فإذا رجعتُ من الغد، وجدتُ تلك الجبال نُقلت إلى طرف الماء الموالي لجبل قاف، وإذا الرياح المنعكسة هي التي حملتها والله تعالى أعلم. وإذا أراد الله أن يخسف بقوم، دخلت الرياح في منافس وتقويرات في الأرض، بينها وبين الماء، فإذا دخلت الريح فيها، وقع في الأرض انحلال ينشأ عنه الخسف، وفي آخر الزمان تكثر المنافس في الأرض، ويكثر انعكاس الرياح إلى جهة الأرض، فتكثر الخسوفات، حتى يختل نظام الأرض، وكل ذلك بفعل الله تعالى وإرادته والله أعلم[١] . . .

ـ أرجو من القارىء الكريم أن يعرف أن قائل هذه الهذيانات الخرافية هو قطب الواصلين الولي الكامل الغوث الحافل، الصوفي الباهر، نجم العرفان الزاهر، صاحب الإشارات العلية، والعبارات السنية، والحقائق القدسية، والأنوار المحمدية، والأسرار الربانية، والهمم العرشية، مُنشيء معالم الطريقة . . . ومبدي علوم الحقائق[٢] . . .

كما أرجو من القارىء أن يعرف أن الذي سجل هذه المعارف (أو المخارف) التي جرت

---

(١) الإبريز، ص١٤٨.

(٢) الإبريز، ص٢.

على لسان نجم العرفان هذا، هو نجم عرفان آخر، وهو الحافظ سيدي أحمد بن المبارك، جمعها في كتابه الشهير «الإبريز»، ومما وُصف به هذا الإبريز قولُ أحدهم:

دع ما يَريبك إن ظفرتَ بمنهل صافٍ وهذا منهل الأبرار
لله ما يحويه ذا الإبريز يا لَلّه ما يحوي من الأسرار
جمعَ المحاسن فهو جنَّاتٌ أتت من كل صنفٍ يانع الأزهار[1]

ومن جملة ما يقول نجم العرفان الحافظ أحمد بن المبارك عن نجم العرفان سيدي عبد العزيز الدباغ: «. . . ولو سألتُه رضي الله عنه ورحمه عن هذه الأسئلة (أسئلة ذكرها عن غيبيات) لخرجتْ في أجوبتها علومٌ غيبية، فإنه رضي الله عنه لا يجيب إلا عن عيان. . .»[2].

- أي إن تلك الهذيانات التي ذكرها صادرةٌ عن عيانٍ شاهده عبد العزيز الدباغ بنفسه، وهذا دليل واضح كامل على أن رؤاهم ومشاهداتهم ما هي إلا أوهام، كانوا يظنونها حقائق، وقد شغلتْ - كعلوم - حيِّزاً من قناعاتهم، فظهرت في رؤاهم الكشفية، ولنلاحظ قوله: «إن الأرض محمولة على الماء . . . وإن هذا الماء بعيد إلى النهاية»، الذي يُظهر مدى جهل الكشف وغبائه أيضاً! لأن الآية الكريمة تقول: ﴿والأرضَ بعدَ ذلك دَحاها . أخرجَ منها ماءَها ومرعاها﴾، أي إن ماء الأرض خرج من الأرض، فيكون محمولاً عليها وليس العكس، وكذلك قوله: «لو قدَّرنا رجلاً يمشي . . . فإنه يبلغ لمنقطع الأرض»، الذي يدل على أن كشفهم (وعرفانهم) لم يستطع أن يفهم معنى قوله سبحانه: ﴿والأرضَ مَدَدْناها﴾، أي إن الرجل الماشي، سيبقى يسير، وستبقى الأرض، ومعها البحر ممدودةً أمامه لا تنقطع، لأنها كروية، ولكن الكشف جهول. ولننتبه أيضاً إلى قوله: «وكم مرة أَنظرُ إلى طرف الماء الموالي للجو. . .»، الذي يبيِّن بوضوح كامل أن هذه الأمور شاهدها بنفسه (بالكشف طبعاً)، وهذا دليل واضح على أن الكشف هو انبثاقات للمعلومات المختزنة في عقل المكاشف، وبالتالي، يدل هذا أيضاً على أن الصوفية ليست ولاية «ولا يحزنون»، وإنما هي حالة نفسية تشبه ما يحدث لمتعاطي المخدرات شبهاً تامًّا. كما يجب أن ننتبه إلى اعتقادهم بواقعية الكشف.

---

(١) من أبيات مكتوبة على الغلاف الداخلي للكتاب. (٢) الإبريز، ص١٤٩.

* كشف فلكي فيزيائي كيميائي :-

(ياقوتة) : سألتُ شيخنا رضي الله عنه عن محل التغيير والاستحالة من العالَم . فقال رضي الله عنه : محلُّ ذلك ما دون فلك القمر! . . . فقلت له : فهل الاستحالة عامة في كل كثيف ولطيف فيما تحت فلك القمر؟ فقال رضي الله عنه : نعم . ألا ترى النار تستحيل هواءً ، والهواء يستحيل ماءً ، والماء يستحيل هواءً ، والهواء يستحيل ناراً ، والنار تتصل بالهواء وآخرها يتصل بالنور ، فأول طرف الهواء متصل بالماء وآخره متصل بالنار ، وأول الماء متصل بالتراب وآخره متصل بالهواء ، فمن جهة طرفه الأعلى يتصل بما فوقه ، ومن طرفه الأدنى يتصل بما دونه ويستحيل ؛ فقلت له : فما العلَّة في الاستحالة والتغيير؟ فقال : لتُجزى كل نفسٍ بما كسبت وتُعاقب بما جنتْ[1] .

● التعليق :

يقول : إن الاستحالة (أي الحوادث الكيميائية والفيزيائية) لا تَجرى فوقَ فلَك القمر! أي : لو كنّا في المريخ مثلاً ، فأي عملية كيميائية أو فيزيائية لا يمكن أن تجري هناك! ! كما يقرر (بل يقرران) أن ما فوق فلك القمر لا يوجد فيه تراب ، إن التراب هو الذي نراه تحتنا فقط! !

ـ هذا الكلام يعني أن العارف (بل العارفَيْنِ) الكامل المحقق لم يستطع أن يعرف أن الاستحالة والتغيير تجري فوق فلك القمر وفي النجوم البعيدة ، كما تجري على الأرض ، كما أنه لم يعرف (أو لم يعرفا) أن الأرض ومعها قمرها تدور مع بقية الكواكب السيارة حول الشمس ، ولم يعرفِ كذلك أن النجوم شبيهة بالشمس لها توابع أو رفاق ، تدور حولها أو معها ، وتسري عليها سنن الله التي تسري على الأرض ، ولم يعرف أيضاً أن العلَّة في الاستحالة والتغيير ليست كما قال : ﴿لِتُجزى كلُّ نفسٍ بما كَسَبَت﴾ ، وأنه لا علاقة بينهما البتة ، وإنما هي سنن الله في خلقه ، كانت كما أرادها أن تكون .

وكل هذا يعني أن الكشف لم يُعطه أكثر من المعارف المختزنة في مخازن دماغه والتي استقاها من المعلومات التي كانوا يتوهمونها ، والتي جاءت بدورها من مكاشفات أولياء

(١) كتاب الجواهر والدرر على هامش الإبريز، ص١٥١ .

سابقين تراكمت بعضها فوق بعض، وكان الأقطاب المدَّركون والكباريت الحمر، يضيف كل واحدٍ منهم إلى الركام ما يتجسَّد له في كشفه، مما يتوهمه من نظريات خرافية.

والجدير بالذكر أن مثل هذا تماماً يحدث مع الذين يتعاطون المخدرات التحشيشية، فهم يرون في كشوفهم المعلومات المختزنة في عقولهم، يضاف إليها أمانيُّهم وطموحاتهم.

وهكذا كل كشوف العارفين، ما عدا الطلسميّات والمعمَّيات والغيبيات التي لا يمكن أن يوجد عليها أي دليل، والتي ليس لها أي قيمة في ميزان العلم والمعرفة الحقة.

ولإتمام الفائدة، نفيد القارىء علماً أن السائل هو القطب الرباني والغوث الصمداني سيدي عبد الوهاب الشعراني، وأن المسؤول هو الشيخ الكامل المحقق صاحب الكشوفات الربانية والمعارف اللدنية، سيدي علي الخوَّاص ... وكان محل كشفه اللوح المحفوظ عن المحو والإثبات[1]!!

- أقول: لو كان كلامهم هذا صحيحاً، ولو كانت كشوفاتهم ربانية محلها اللوح المحفوظ، لتنزهت عن الغلط - مجرد الغلط - فكيف بها وهي كلها - كما نرى - هذيان في هذيان، وجهل في جهل؛ وبالتالي، تكون فناءاتهم وإشراقات وحدة الوجود فيها هذيانات من هذه الهذيانات.

*** كشف من الغيبيات (للتسلية):-**

يقول أحمد بن المبارك:

سمعت الشيخ (عبد العزيز الدباغ) رضي الله عنه يقول: في ذات كل ملك خمسة رؤوس، لكل رأس يمينٌ وشمالٌ وفوقٌ سبعة، فله فوق تسعةُ أفواه، مجموع ذلك ثلاثة وستون فماً في كل رأس، فإذا ضربت عدد الرؤوس الخمسة في عدد الأفواه السابقة، كان الخارج ثلاثمائة فم وخمسة عشر فماً، والفم يكون فيه ثلاثة ألسن، وقد يكون فيه خمسة ألسن، وقد يكون فيه سبعة ألسن؛ فإذا كان فيه ثلاثة، فالخارج من ضربها في عدد الأفواه تسعمائة وخمسة وأربعون لساناً، وإن كان فيه خمسة كان الخارج ألف لسان وخمسمائة لسان وخمسة وسبعون لساناً، وإن كانت سبعة كان الخارج ألفي لسان ومائتي لسان وخمسة

---

(١) الجملة الأخيرة من طبقات الشعراني: ٢ / ١٥٠.

ألسن؛ وإذا تكلم الملك بكلمة خرج صوته بها من هذه الألسن كلها، فسبحان الملك الخلاق العظيم[1]. . . اهـ.

ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، وهكذا نرى أن كشوفهم ما هي إلا هذيانات وهلوسات وصور لما كانوا يعتقدونه عن الكون، وكلها خرافية، بالإضافة إلى الألاعيب الشيطانية.

*** ثم قاف أيضاً:-**

. . . سمعنا الشيخ أبا أحمد البطايحي رضي الله عنه غير مرة يقول: دخلت على شيخنا الشيخ عبد القادر رضي الله عنه ببيته يوماً، فوجدت عنده أربعة ما رأيتهم قبل! فوقفت مكاني، فلما قاموا من عنده قال لي الشيخ: الحقهم واسألهم أن يدعوا لك، فلحقتهم في صحن المدرسة قبل أن يخرجوا، وسألتهم الدعاء، فقال لي أحدهم: لك البشرى، أنت خادم رجل يحرس الله تعالى الأرض ببركته، سهلها وجبلها، برها وبحرها، وبدعوته تُرحم الخليقةُ برها وفاجرها، ونحن وسائر الأولياء في حضرة أنفاسه وتحت قدميه وفي دائرة أمره؛ ثم خرجوا من المدرسة فلم أرهم؛ فرجعت إلى الشيخ متعجباً، فقال لي قبل أن أخبره بشيء: يا عبد الله! لا تُعلمْ أحداً بما قالوا لك يا أخي. قلت: يا سيدي مَن هؤلاء؟ قال: رؤساء رجال جبل قاف، وهم الآن في مواضعهم بجبل قاف[2]. . .

- السؤال: أين هذا القاف؟! أفيدونا يا رجال الغيب، ويا رجال الشهادة، ولكنهم كانوا يرون هذا فعلاً بالكشف! فما هو هذا الكشف؟!

*** ماذا بقي للألوهية:-**

يقول عبد القادر الجيلاني:

«أنا من وراء أمور الخلق، أنا من وراء عقولهم، كل رجال الحق إذا وصلوا إلى القَدَر أمسكوا إلا أنا، وصلت إليه وفُتح لي منه روزنة، فأولجت فيها، ونازعت أقدار الحق بالحق

(1) الإبريز، ص١٥٣.

(2) بهجة الأسرار ومعدن الأنوار، ص١٩.

للحق، فالرجل هو المنازع للقدر لا الموافق له[1].

ويقول: طوبى لمن رآني، أورأى من رآني، أورأى من رأى من رآني، وأنا حسرة على من لم يرني[1].

الجواب هو قوله سبحانه: ﴿فلا تزكُّوا أنفسَكم هو أعلمُ بمَنِ اتَّقى﴾. وقوله: ﴿أَلَمْ تَرَ إلى الـذينَ يزكُّـونَ أنفُسَهُم بل اللهُ يُزَكِّي مَن يشـاءُ ولا يُظْلَمـون فتيـلاً . انظُـرْ كيفَ يَفْـتَرونَ على اللهِ الكـذبَ وكَفى بهِ إثْـماً مُبينـاً﴾ ، وقوله مخاطباً رسوله: ﴿وما أَدْري ما يَفْعَلُ بي ولا بِكُم﴾، وقوله: ﴿قُلْ إنِّي لا أملِكُ لكم ضرًّا ولا رَشَداً . قُلْ إنِّي لن يجيرَني مِن اللهِ أحدٌ ولن أجدَ مِن دونِهِ مُلْتحداً﴾، وغيرها الكثير، فهل نؤمن بالقرآن أم بالجيلاني؟؟

*** لا يلبس القميص تقرباً إلى الله تعالى (لعله من مقام المحاسبة):-**

. . . وكان لأبي سعيد الخراز ابنٌ ماتَ قبله، فرآه في المنام، فقال له: بُني أوصني. فقال: لا تعامل الله على الجبن . . . فقال: زدني. فقال: لا تجعل بينك وبين الله قميصاً! قال: فما لبس القميص ثلاثين سنة[2]. . .

- فما شأن القميص؟! وهل يشكل القميص حاجزاً بين الإنسان وبين ربه؟!

*** الكشف يجهل أن الإكسير خرافة:-**

لما مات إسحاق بن أحمد، دخل سهل بن عبد الله صومعته، فوجد بها سفطاً فيه قارورتان في واحد منهما شيء أحمر، وفي الأخرى شيء أبيض، ووجد شوشقة ذهب وشوشقة فضة، قال: فرمى بالشوشقتين في الدجلة وخلط ما في القارورتين بالتراب، وكان على إسحاق دَيْن، قال ابن سالم: قلت لسهل: إيش كان في القارورتين؟ قال: إحداهما لو طرح منها وزن درهم على مثاقيل من النحاس صار ذهباً! والأخرى لو طرح منها مثقال على مثاقيل من الرصاص صار فضة! فقلت: وإيش عليه لو قُضي منه دينه؟ فقال: أي دوست، خاف على إيمانه[3].

---

(١) بهجة الأسرار ومعدن الأنوار، ص٢٣.
(٢) الرسالة القشيرية، ص١٨٠.
(٣) الرسالة القشيرية، ص١٦٤.

ـ دوست: كلمـة فارسيـة معنـاهـا صاحب. ولعل القارىء يعرف أن الشيء الأحمر والشيء الأبيض اللذين كانا في القارورتين هما ما يسمونه «الإكسير» وهو محض خرافة لا وجـود له. ولكن كشفهم الـذي يقـولون عنه إنه عين اليقين وحق اليقين لم يسعفهم على معرفة اليقين، وظهر أكثر جهلاً منهم.

أما إنه أبقى الدَّين على نفسه لأنه إن قُضي دينه خاف على إيمانه!! فهذا منطق لا يفهمه إلا المكاشفون العارفون.

*** الشريعة تابعة لحقيقتهم:ـ**

. . . سمعت أبا بكر الدقاق يقول: كنت مارًّا في تيه بني إسرائيل، فخطر ببالي أن علم الحقيقـة مبـاين للشـريعـة؛ فهتف بي هاتفٌ من تحت شجـرة: كل حقيقة لا تتبعها الشريعة فهي كفر[1].

ـ إذن! فالشريعة تابعة لحقيقتهم! وهذا مثل قول الغزالي الذي مر في مكان سابق، وهو يعني: إن العبارة إن لم تكن موهمةً أن وراءها نصًّا شرعيًّا فهي كفر (أي في نظر أهل الشريعة).

*** صيامٌ نهى عنه رسول الله ﷺ:ـ**

. . . سمعتُ الفتـاحي صاحب سهـل بن عبـد الله يقـول: كان سهـل يصـبر عن الطعام سبعين يوماً، وكان إذا أكل ضعف، وإذا جاع قوي. وكان أبو عبيد البسري إذا كان أول شهر رمضان يدخل بيتاً ويقول لامرأته: طيِّني عليَّ الباب وألقي إليَّ كل ليلة من الكوة رغيفاً، فإذا كان يوم العيد، فتح الباب، ودخلت امرأته البيت، فإذا بثلاثين رغيفاً في زاوية البيت، فلا أكل ولا شرب ولا نام ولا فاتته ركعة من الصلاة[2]. .

● التعليق:

نهى رسـول الله ﷺ عن الـوصل في الصيام، وأمر بتعجيل الفطور، وأمر بالسحور، وأمر بتأخيره. وبذلك يكون هذا «الولي» موزوراً بعمله هذا لا مأجوراً، ولكن حقيقتهم

---

(١) الرسالة القشيرية، ص١٦٤.

(٢) الرسالة القشيرية، ص١٦٥، واللمع، ص٢١٧.

تناقض الشريعة الإسلامية (على طول الخط)، وهذا عدا تركه صلاة الجمعة والجماعة.

*** كذب على الله ورسوله:-**

قال خير النساج: قص موسى بن عمران صلوات الله عليه على قوم قصة، فزعق واحد منهم، فانتهره موسى، فأوحى الله تعالى إليه: يا موسى، بطيبي فاحوا، وبحبي باحوا، وبوجدي صاحوا، فلِمَ تنكر على عبادي[1]؟

- الجواب: ﴿ومَن أظلمُ ممَّنِ افترى على الله كَذباً﴾.

والكذب على رسول الله موسى، كالكذب على رسول الله محمد صلى عليهما وسلم، ويقول ﷺ: «من كذب عليَّ متعمداً فليتبوأ مقعده من النار».

*** من خشوع الأولياء في الصلاة:-**

... أحمد بن مقاتل العكي يقول: كنت مع الشبلي في مسجدٍ ليلة من شهر رمضان، وهو يصلي خلف إمام له وأنا بجنبه، فقرأ الإمام: ﴿ولَئِن شِئْنا لَنَذْهَبَنَّ بالذي أوحينا إليك﴾، فزعق زعقة قلت طارت روحه، وهو يرتعد ويقول: بمثل هذا يخاطب الأحباب! يردد ذلك كثيراً[2].

- نقول (متناسين تزكية النفس): لعل من مقام الإحسان الزعق في الصلاة؟ فهذه علوم لدنية كشفية يجهلها المحجوبون. وهذا يكشف دور إبليس في التصوف.

*** يستبدل القرآن بالغناء! ولا تعترض:-**

سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمي يقول: خرجت إلى مرو في حياة شيخي الأستاذ أبو سهل الصعلوكي؛ وكان له قبل خروجي، أيام الجمعة بالغدوات، مجلس دور القرآن والختم؛ فوجدته عند رجوعي قد رفع ذلك المجلس، وعقد لأبي الغفاني في ذلك الوقت مجلس القول! فداخلني من ذلك شيء، فكنت أقول في نفسي: قد استبدل مجلس الختم بمجلس القول! فقال لي يوماً: يا أبا عبد الرحمن! إيش يقول الناس فيَّ؟ فقلت: يقولون: رفع مجلس القرآن ووضع مجلس القول! فقال: من قال لأستاذه «لِمَ» لم

---

(1) الرسالة القشيرية، ص١٥٧.
(2) الرسالة القشيرية، ص١٥٥.

يفلح أبداً[1] . . . اهـ.

- فهم القارىء كاف، ولكن ينبغي أن نشير إلى أن هذه الضلالات والتفاهات تدرَّس في مساجد المسلمين، وعليها ينشأ كثير من أبناء المسلمين! ثم يتساءلون عن سبب فساد المسلمين!!

*** الصوفي إله! يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء بيده الخير:-**

. . . أن شقيقاً البلخي وأبا تراب النخشبي قدما على أبي يزيد (البسطامي)، فقُدمت السفرة وشابٌّ يخدم أبا يزيد؛ فقالا له: كل معنا يا فتى. فقال: أنا صائم. فقال أبو تراب: كل ولك أجر صوم شهر! فأبى. فقال له شقيق: كل ولك أجر صوم سنة!! فأبى. فقال أبو يزيد: دعوا من سقط من عين الله تعالى!! فأُخذ ذلك الشاب في السرقة بعد سنة فقطعت يده[2].

● **التعليق**: عندما يصل الضلال بأهله إلى هذا المستوى، فالسكوت خير من الكلام.

*** يرفضون أن يكون آخر كلامهم «لا إله إلا الله»:-**

. . . عن أبي محمد الهروي أنه قال: مكثت عند الشبلي الليلة التي مات فيها، فكان يقول طول ليله هاذين البيتين:

كل بيت أنت ساكنه ... غير محتاج إلى السُّرج
وجهك المأمول حجتنا ... يوم يأتي الناس بالحجج[3]

وقيل للشبلي عند وفاته: قل: لا إله إلا الله، فقال:

قال سلطان حبه ... أنا لا أقبل الرِّشا
فسلوه بحقه ... لِمْ بقتلي تحرشا[4]

وقال بعضهم: كنت عند ممشاد الدينَوَري عند وفاته، فقيل له: كيف تجد العلة؟

فقال: سلوا العلة عني كيف تجدني؛ فقيل: قل: «لا إله إلا الله»، فحول وجهه إلى

(1) الرسالة القشيرية، ص١٥٠.
(2) الرسالة القشيرية، ص١٥١.
(3) الرسالة القشيرية، ص١٣٧.
(4) الرسالة القشيرية، ص١٣٨.

الجدار، وقال: أفنيتُ كُلِّي بكلك، هذا جزاء مَنْ يحبك[1]؟

وقيل لأبي محمد الدبيلي وقد حضرته الوفاة: قل: «لا إله إلا الله»، فقال: هذا شيء قد عرفناه وبه نفنى، ثم أنشأ يقول:

تسربل ثوبَ التيه لَمَّا هويته ... وصدَّ ولم يرض بأن أك عبده[1]

... سمعت بعض الفقراء يقول: لما قربت وفاة أحمد بن نصر رحمه الله تعالى، قال واحد: قل: «أشهد أن لا إله إلا الله»، فنظر إليه وقال: لا تترك الحرمة (بالفارسية: بي حرمتي مكن)[1].

وحُكي أنه قيل له (لأبي الحسين النوري): قل: «لا إله إلا الله»، فقال: أليس إليه أعود[1]؟

ـ وغيرهم وغيرهم، ولا تعليق، ولا سؤال، لكن هكذا تقتضي حكمة الإشراق.

*** من أجل نملتين (من مقام التقوى):ـ**

... ومِثْل أبي يزيد، اشترى بهمذان حبّ القرطم، ففضل منه شيء، فلما رجع إلى بسطام رأى فيه نملتين، فرجع إلى همذان فوضع النملتين[2]!!

● الأسئلة:

١ ـ هل أعاد النملتين إلى نفس قريتهما[3]؟ طبعاً لا. وعندما تبتعدان عن قريتهما فلا فرق عندهما بين بسطام وبين همذان، ولكن كشفه لا يفهم ذلك؟

٢ ـ عندما ذهب إلى همذان ورجع، فكم نملة مرت تحت رجله فداسها وقتلها دون أن يشعر؟ كم نملة قتل في سبيل إعادة نملتين؟ فكيف قصر علمه اللدني عن علم هذا الأمر البدهي.

*** من مقام الزهد:ـ**

... سمعت الجنيد يقول: سمعت السرّي يقول: وإن نفسي تطالبني منذ ثلاثين

---

(١) الرسالة القشيرية، ص١٣٨.
(٢) الرسالة القشيرية، ص٥٢.
(٣) القرية هي عش النمل.

سنة أو أربعين سنة أن أغمس جزرة في دبس فما أطعتها[1]!

ـ ليس لنا أمام هذا الزهد البارد إلا الدسترة: دستور دستور دستور.. ودساتير كثيرة.

*** وأيضاً بلا عنوان:ـ**

... سمعت أبا عبد الله الصوفي يقول: سمعت أبا عبد الله بن خفيف يقول: ربما كنت أقرأ في ابتداء أمري في ركعة واحدة عشرة آلاف مرة ﴿قل هو الله أحد﴾، وربما كنت أقرأ في ركعة واحدة القرآن كله، وربما كنت أصلي من الغداة إلى العصر ألف ركعة[2]!!

ـ ولا تعليق أيضاً، لكن أطلب من القارىء اللبيب أن يقوم بعملية حسابية بسيطة، ومع ذلك فلن نعدم من يقول لنا هذه الأمور من منامات الخواصّ! فنجيبهم: وكذلك الرقص مع النقص والموسيقى والسماع.

*** فقرة معترضة بلا مناقشة ولا ملاحظة ولا تنبيه:ـ**

قال أحمد التجاني: لو بحت بما علّمه الله لي لأجمع أهل العرفان على قتلي[3].

*** من أجل زبيبة (لعلها من مقام المراقبة أو المحاسبة):ـ**

يقول أبو بكر الكلاباذي (تاج الإسلام):

... قال أبو عثمان: كنت عند أبي حفص، وبين يديه زبيب، فأخذت زبيبة ووضعتها في فمي، فأخذ بحلقي وقال: يا خائن، تأكل زبيبتي؟ فقلت: لثقتي بزهادتك في الدنيا وعلمي بإيثارك أخذت الزبيبة. فقال: يا جاهل، تثق بقلب لا يملكه صاحبه[4]؟!

ـ للعلم: هذه القصة المخجلة هي من باب: «توقي القوم ومجاهداتهم»، ومن ذلك:

كان أبو المغيث لا يستند ولا ينام على جنبه، وكان يقوم الليل، وإذا غلبته عينه قعد

---

(1) الرسالة القشيرية، ص٧٢.

(2) الرسالة القشيرية، ص٢٩.

(3) كشف الحجاب، ص٣٧٣.

(4) التعرف ص١٤٧.

ووضع جبينه على ركبتيه فيغفو غفوة[1].

- السؤال: وماذا لو نام، وهل في عدم اضطجاعه فضل؟ أي فضل؟ لقد نام خير البشر محمد ﷺ والأنبياء، وخير البشر من بعدهم صحابة رسول الله، والنوم على الجنب هو من الفطرة، والإسلام دين الفطرة، فمن أين هذا التوقي والمجاهدة؟؟ (من رغب عن سنتي فليس مني). وطبعاً هي حكمة الإشراق.

*** ومن توقيهم البارد:-**

قالوا: إن أبا عمرو الزجاجي أقام بمكة سنين كثيرة لم يُحدث في الحرم، كان يخرج من الحرم للحدث، ثم يعود إليه وهو على الطهارة[1].

- وماذا لو أحدث في الحرم؟ هل هو يفهم ما كان يجهله رسول الله ﷺ وأصحابه؟؟

*** خرابات وقمامات ولا يكلم الناس:-**

ويقول أيضاً (أبو بكر الكلاباذي):

. . . سمعت فارساً يقول: كان أبو عبد الله المعروف بشكتل لا يكلم الناس، وكان يأوي إلى الخرابات في سواد الكوفة، وكان لا يأكل إلا المباح والقمامات[1]. . .

● التعليق:

هل هذا من الإسلام في شيء؟؟ لكن ما علينا إلا العودة إلى الدسترة. . دستور! دستور! دستور! ويظهر أن هناك علاقة باطنية بين التصوف وبين القاذورات.

*** ودستور آخر (لعله من مقام التقوى):-**

. . . سمعت الحسين المغازلي يقول: رأيت عبد الله القشاع ليلةً قائماً على شط دجلة وهو يقول: يا سيدي أنا عطشان، يا سيدي أنا عطشان، حتى أصبح، فلما أصبح قال: يا ويلتي، تبيح لي شيئاً وتحول بيني وبينه، وتحظر عليَّ شيئاً وتخلي بيني وبينه، فإيش أصنع؟ ورجع ولم يشرب منه[1].

---

(١) التعرف، ص١٤٨.

جوابنـا: ألم يعلم هذا الجـاهـل أنـه في عمله هذا إن لم يكن آثماً فهو على الأقل غير مأجـور؟ أولا يعلم أيضـاً، هو وطـائفتـه، أن مثل هذا موجود في دين الهندوسية لا في دين الإسـلام؟ ثم ماذا لو شرب؟ ومـا هي الحسنـة في عدم شربـه؟ لكن بمثل هذه التفاهات وصلت حالة المسلمين إلى ما نراه الآن.

*** الصراخ والتعري من مستلزمات الصوفية:ـ**

. . . ثم صرخ (عبد القادر الجيلاني) وقام إليه خلقٌ كثير يتوبون صارخين باكين، إذ جاء عصفور فقعد على رأسه، فحنى رأسه له، ومكث كذلك وهو على رأسه والناس على درج الكـرسي، والصـراخ حولـه وهـو لا يبرح حتى مدَّ يده بعض أصحابه نحوه، فطار، ثم دعا، وضجَّ الناس بالبكاء والدعاء والتوبة؛ فنزل وخرج على حاله إلى جامع الرصافة، وتبعه خلق كثير بالبكاء والصراخ والوجد والتعري عن الثياب، ثم قال رضي الله عنه: هذا آخر الزمان[1]. . .

● **الملاحظة**: هكذا هي التربية الصوفية التي دمرت المجتمع الإسلامي: عري وصراخ وغوغائية. . .

*** مشورة الكتاب والسنة غير ملزمة (لعلها للتسلية فقط):ـ**

. . . فانظـر إلى وزيـريـك، الكتاب والسنة، خذ مشورتهما، فإن أفتياك توقف، لا تستعجـل، لا تُشِـرْ، استفْتِ نفسـك وإن أفتـاك المفتـون، النفس إذا جاهدتها وخالفتها انسكبت مع القلب، صارا شيئاً واحداً[2]. . .

ـ للعلم: قائـل هذا الكـلام هو عبـد القـادر الجيلاني (وما أدراك. . .) وهو يقرر أن عليك ألا تلتزم بالقرآن والسنة، وإنما تستشيرهما فقط، ثم تعود إلى مشورة قلبك؟ وأرجو من القارىء أن يبحث عن حكم الإسلام في هذا.

وكـان (عبـد القادر الجيلاني) رضي الله عنه يقول: أيما امرىءٍ مسلم عبر على باب مدرستي يخفف الله عنه العذاب يوم القيامة[3]!. . (يا سلام ويا بلاش).

---

(١) الفتح الرباني، ص٣٦٩.
(٢) الفتح الرباني، ص٣٧٠.
(٣) الغنية «ترجمة المؤلف»، ص٤.

* **دعاء غير الله واستعانة بغيره :ـ**

بسم الله الرحمن الرحيم

يا سلطان العارفين، يا تاج المحققين، يا ساقي الحميّا، يا جميل المحيّا، يا بركة الأنام، يا مصباح الظلام، يا شمس بلا أفل، يا درٌّ بلا مثل، يا بدر بلا كَلَف، يا بحر بلا طرف، يا باز الأشهب، يا فارج الكُرَب، يا غوث الأعظم، يا واسع اللطف والكرم، يا كنز الحقائق، يا معدن الدقائق، يا واسط السلك والسلوك، يا صابح الملك والملوك، يا شمس الشموس، يا زهرة النفوس، يا هادي النسيم، يا محيي الرميم، يا عالي الهمم، يا ناموس الأمم، يا حاجة العاشقين . . . يا خزانة الأسرار، يا سيدي جمال الله، يا نائب رسول الله . . . يا راحم الناس، يا مُذْهب الباس، يا مُفَتِّح الكنوز، يا معدن الرموز، يا كعبة الواصلين، يا وسيلة الطالبين . . . يا قوي الأركان، يا حبيب الرحمن . . . يا فاتح المغلقات . . يا حائط الأشياء . . يا منتهى الأمل حين يتقطع العمل . . . يا ضياء السماوات والأرضين . . . يا فرجاً في الشدائد . . . يا غافر الأوزار . . . يا ذا الأحوال العظيمة . . . يا كاشف الغمّة . . . يا مقبول رب الجنات، يا جليس الرحمن . . . يا شاه يا سرَّ إلهيٍّ . . . يا سيدي يا سندي يا مولاي يا قوّتي يا غوثي يا غياثي يا عوني يا راحتي يا قاضي حاجتي يا فارج كربتي يا ضيائي يا رجائي يا شقائي . . . يا نور السرائر يا صاحب القدرة يا وهاب العظمة . . . يا شاهد الأكوان بنظرة، يا مُبصر العرش بعلمه، يا بالغ الغرب والشرق بخطوة، يا قطب الملائكة والإنس والجن، يا قطب البر والبحر، يا قطب المشرق والمغرب، يا قطب السماوات والأرضين، يا قطب العرش والكرسي واللوح والقلم . . . يا من يبلغ لمريده عند الاستعانة ولو كان في المشرق . . . يا صاحب التصرف في الدنيا وفي قبره بإذن الله . . . يا غوث الأعظم، أغثني في كل أحوالي، وانصرني في كل آمالي[1] . . .

ـ للعلم : هذا الدعاء ليس موجهاً لله تعالى، وإنما هو موجه لعبد القادر الجيلاني ! ! وهو وردٌ أساسيٌّ من أوراد الطريقة القادرية التي يتعبدون بها ويتقربون إلى الله ! ؟

---

(١) الفيوضات الربانية، ص١٩٤ وما بعدها.

ـ وجوابنا: ﴿ومَن أضَلُّ ممَّن يدعو مِن دونِ الله مَن لا يَستجيبُ لهُ إلى يوم ِ القِيامةِ وهُم عن دُعائِهم غافِلونَ﴾.

* رجال الغيب كما ذكرها في «الغنية»:ـ

اعلم أن رجال الغيب والأرواح المقدسة قُدِّست أرواحهم، في اليوم السابع والرابع عشر والثاني والعشرين والتاسع والعشرين متوجهون إلى المشرق، واليوم السادس واليوم الحادي والعشرين والثامن والعشرين بين المشرق والشمال، واليوم الثالث والخامس عشر والثالث والعشرين والثلاثين منه متوجهون إلى طرف الشمال، واليوم الخامس والثالث عشر والتاسع والسابع والعشرين منه متوجهون إلى المغرب، واليوم الثاني والعاشر والسابع عشر والخامس والعشرين منه متوجهون بين المغرب والقبلة، واليوم الثامن والحادي عشر والثامن عشر، والسادس والعشرين والرابع والعشرين منه متوجهون بين المشرق والقبلة؛ فيا أخي إذا علمت جهات سيرهم وطريقتهم ينبغي أن تلتجىء إلى الله وإليهم بعد قراءة الأوراد، تقول: حصِّلوا مرادي ومقصدي. ويسمي لهم الطالبُ مقصوده ومرادَه[1]. . .

ـ هذا العلم اللدني معرفته شرط من شروط المنتسب إلى الطريقة القادرية، بل وجميع الطرق دون استثناء.

ونسألهم ونسأل غيرهم: لو فتشنا ودرسنا الديانات الوثنية كلها، فهل نجد فيها شركاً أكثر من هذا؟ أو تفاهة «أنقى» من هذه التفاهة؟

* علم لدني آخر:ـ

. . . وأعلى الأمكنة، المكان الذي تدور عليه رحى عالَم الأفلاك، وهو فلك الشمس، وفيه مقام روحانية إدريس عليه السلام، وتحته سبعة أفلاك، وفوقه سبعة أفلاك وهو الخامس عشر، فالذي فوقه: فلك الأحمر (أي المريخ)، وفلك المشتري، وفلك كيوان (زحل)، وفلك المنازل (منازل القمر)، والفلك الأطلس فلك البروج، وفلك الكرسي، وفلك العرش؛ والذي دونه: فلك الزهرة، وفلك الكاتب، وفلك القمر،

---

(١) الفيوضات الربانية، ص١٩٩، ولا أعرف في أي مكان من كتاب الغنية هي موجودة (المؤلف).

وكرة الأثير، وكرة الهوى (الهواء)، وكرة الماء، وكرة التراب، فمِنْ حيث هو قطب الأفلاك هو رفيع المكان[1]. . .

● **التعليق**: هذا العلم اللدني الناتج عن الكشف الذي هو حق اليقين، ظهر وإذا به انبثاق لمعلومات اقتنع بها المكاشف وكانت موجودة في عصره، مع غيرها طبعاً، وهذا العلم اللدني والكشف العظيم هو من كشوف الشيخ الأكبر والكبريت الأحمر محيي الدين بن عربي. وكل كشوفهم وعلومهم اللدنية من هذا القبيل!!

*** الكشف يقرر لاهوت عيسى:-**

يقول ابن عربي في (مناجاة قاب قوسين):

. . . فسمعت كلاماً مني، لا داخلاً فيَّ ولا خارجاً عني، وهو يقول:

لله در عصابة سارت بهم نُجُب الفناء بحضرة الرحمن
قرعوا سماء الروح لما آنسوا جسماً ترابيًّا بلا أركان
فبدا لهم لاهوت عيسى المجتبى روحاً بلا نفس ولا جثمان[2]

- إذن، فعيسى عليه السلام إله، ولا تعترض فهو العلم اللدني. وهذا الكلام الذي لا داخلاً فيه ولا خارجاً عنه، عندما يسمعه الواصل وهو في حال استشعار الألوهية هو ما يسميه ابن عربي «الفهوانية».

*** الكشف يقرر التثليث:-**

ويقول ابن عربي أيضاً:

. . . فقام أصل التكوين على التثليث، أي من الثلاثة . . . فهذا أيضاً قد ظهر حكم التثليث في إيجاد المعاني التي تُقتَنص بالأدلة؛ فأصل الكون التثليث، ولهذا كانت حكمة صالح عليه السلام التي أظهر الله في تأخير أخذ قومه ثلاثة أيام وعداً غير مكذوب[3]. . . إلخ.

---

(١) فصوص الحكم «كلمة إدريسية»، ص٧٥.

(٢) رسائل ابن عربي، كتاب الإسرا، ص٥١.

(٣) فصوص الحكم، ص١١٦ و١١٧، وشرح القاشاني على الفصوص ص١٦٩ و١٧٠.

ويشرح عبد الرزاق القاشاني (في شرحه على الفصوص) هذا الكلام، ومن جملة ما يقول:

«... أي ثم لما كان التثليث سبباً لفتح باب النتائج في التكوين والإيجاد، سرى ذلك التثليث في جميع مراتب الإيجاد حتى إيجاد المعاني بالأدلة، وكما أن التثليث الأول مرتَّب ترتيباً متقناً: بكون الذات فيه مقدماً، والإرادة متوسطة بينه وبين القول، لا يكون إلا كذلك، فلذلك يكون الدليل مرتَّباً على نظام مخصوص[1]... (أي على التثليث).

- النتيجة من هذا الشرح التبريري «العلمكلامي» هي: عيسى إله، والكون قائم على التثليث، وبالتالي يكون دين النصرانية صحيحاً والإسلام غير صحيح.

- وهذا الكلام الوارد في «فصوص الحكم» يؤمن به كل الصوفية، لأنهم يؤمنون بأن ابن عربي هو ولي الأولياء وصدِّيق الصديقين ومقرب المقربين والشيخ الأكبر والكبريت الأحمر. وكتابه «فصوص الحكم» هو أعظم مؤلفاته كلها قدراً وأعمقها غوراً وأبعدها أثراً، وقد شرحه شراح كثيرون من أئمة الصوفية وكبرائهم، حتى صار ابن عربي يُعرف بـ «صاحب الفصوص».

ويقول ابن عربي نفسه عن كتاب «الفصوص» ما يلي:

أما بعد، فقد رأيتُ رسول الله ﷺ في مُبشِّرةٍ أُريتها في العشر الأخير من محرم سنة سبع وعشرين وستمائة، بمحروسة دمشق، وبيده ﷺ كتاب، فقال لي: هذا كتاب فصوص الحكم، خذْه واخْرج به إلى الناس ينتفعون به، فقلت: السمع والطاعة ... وجرَّدت القصد والهمة إلى إبراز هذا الكتاب كما حدّه لي رسول الله ﷺ من غير زيادة ولا نقصان[2]...

● **تعليق:**

على القارىء ألا يظن أن ابن عربي كان نصرانيًا لأنه يؤمن بألوهية المسيح وبالتثليث! لا، لم يكن نصرانيًا، وإنما كان صوفيًا، وإيمانه بألوهية المسيح وبالتثليث جاء

---

(١) شرح القاشاني، ص١٧١.

(٢) فصوص الحكم للعفيفي، ص٤٧، وشرح القاشاني، ص٩.

من صوفيته، ولفهم ذلك نقرأ الآيات التالية من ديوانه «ترجمان الأشواق»، يقول:

لقد صار قلبي قابلاً كلَّ صورة ... فمرعى لغزلانٍ وديرٌ لرهبان
وبيتٌ لأوثانٍ وكعبةُ طائفٍ ... وألواح توراةٍ ومصحف قرآن
أدين بدين الحبِّ أنى توجهت ... كتائبُه فالحبُّ ديني وإيماني

ولنلاحظ أن ابن عربي كان يقول هذا الكلام عندما احتل الصليبيون القدس للمرة الثانية بعد أن حررها المسلمون بقيادة صلاح الدين الأيوبي. وبقوا فيها أربعة عشر سنة، وكان المسلمون يتنادون من كل حدب وصوب داعين للجهاد لتحرير القدس، بينما يقف ابن عربي ليقول: ... ودير لرهبان ... وألواح توراة ... أدين بدين الحب ... !!

أما قصة تناوله كتاب «فصوص الحكم» من الرسول ﷺ فنترك التعليق عليها، من حيث العقيدة ومن حيث الواقع، للقارىء اللبيب. بعد تذكيره بالآية الكريمة: ﴿اليومَ أكمَلْتُ لكُم دينَكُم وأتْمَمْتُ عليكُم نِعْمَتي ...﴾.

* **علوم لدنية!؟**

يقول الشيخ الأكبر والكبريت الأحمر الإمام العالم المحقق المتبحر ... ابن عربي:

... فأقول على مفهوم من اللسان العربي بالحساب القمري من تقديم الليل على النهار، أن ليلة الأحد سَلَخ الله منها نهار الأربعاء، فالشأن الذي هوفيه في ليلة الأحد هو في نهار الأربعاء! وسلخ من ليلة الاثنين نهار الخميس، والشأن كالشأن، وسلَخ من ليلة الثلاثاء نهار الجمعة ... فالليالي منها للتحت والشمال والخلف، والنهار منها للفوق واليمين والأمام .... والحكم لأول ساعة من الليل ولأول ساعة من النهار[1] ...

ويقول أيضاً:

... ونبتدىء بيوم الأحد تبركاً بالاسم، فإنه من صفات الحق وله الأولية وله

---

(١) رسائل ابن عربي، كتاب أيام الشأن، ص١٠.

القلب . . .

. . . فاعلم أن ليلة الأحـد الإيـلاجي[1] مركبة من الساعة الأولى من ليلة الخميس والثامنة منها والثالثة من يوم الخميس والعاشرة منها والخامسة من ليلة الجمعة والثانية عشرة منها والسابعة من يوم الجمعة والثانية من ليلة السبت والتاسعة منها والرابعة من يوم السبت والحادية عشرة منها والسادسة من ليلة الأحد؛ فهذه ساعات ليله.

وأما ساعات نهاره من أيام التكوير كما قلنا، فالساعة الأولى من يوم الأحد من أيام التكوير والثامنة منه والثالثة من ليلة الاثنين والعاشرة منه والخامسة من يوم الاثنين والثانية عشرة منه والسابعة من ليلة الثلاثاء، والثانية من يوم الأربعاء، والتاسعة منه، والرابعة من ليلة الأربعـاء والحـادية عشرة منها والسادسة من يوم الأربعاء؛ فهذا يوم الأحد الإيلاجي الشأني، قد كمـل بأربـع وعشـرين ساعـة كلهـا كنفس واحدة، لأنها من معدن واحد[2] (ويتمم أيام الأسبوع حسب هذا الهذيان).

ويقول: . . . والسماوات والأرض لا تزال، والأيام دائمة لا تزال، فمِن مُقعَّر تلك الكواكب الثابتة إلى المركز نازلاً، لا تزال الأيام دائرةً فيـها أبـداً بالتكوين، كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلوداً غيرها، فالكون والفساد فيها دائم مستمر، والتسعة عشر عليها طالعة وغاربة، ومُقعَّر هذا الفلك هو سقف النار، نعوذ بالله منه، وسطح هذا الفلك هو أرض الجنة، والعرش سقفها، وهو روح هذه الأيام[3] . . .

ـ الجواب على هذه الهذيانات: «ترلم ترلم ترلم . . . ترلم ترلم ترلم . . . ».

*** أمنى من لذة الألوهية :ـ**

يقول عبد الكريم الجيلي (الغوث):

منظر التكوين: هو مشهد ذاتي تتلون فيه بمعاني الأسماء والصفات، فيغلب عليك في كل زمـان حكم صفـة . . . وفي هذا المشهـد تجد من اللذة الإلٰهيـة ما يسـري في جميع

---

(١) كلمة الإيلاجي، من: ﴿يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل﴾.
(٢) الرسائل، كتاب الشأن، ص١١ وما بعدها.
(٣) الرسائل، كتاب الشأن، ص١٦.

أجـزائـك، إلى أن تكـاد تخرج روحـك من عالم الـتركيب إلى عالم الأرواح لشـدة اللذة المنطبعـة فيـك، تجدهـا بحكم الضـرورة محسوسة كما تجد لذة المحسوسات، وقد أخذت هذه اللذة فقيراً عن محسوساته حتى غاب عن الكون وما فيه، فلما رجع إلى نفسه وجده قد أمنى لما سرت فيه اللذة الروحانية فعمت الروح والقلب[1] . . .

ولا تعليق، لكن سؤال: هل عليه الغسل من الجنابة أم لا؟ مع العلم أن حشاشي الأفيون والحشيشة يحصل لهم مثل هذا.

*** أفحم الله بسبع كلمات (تعالى الله علوًّا كبيراً):ـ**

. . . قيل للفقيه حسن بن أبي السرور: لو كشفنا للخلق عنك لرجموك! فقال: ولو كشفتُ لهم عن رحمتك لما عبدوك، فقيل: يا حسن حسّنوه، لا تقول ولا نقول[2]!!

أما نحن فنقول:

ـ جاء في التلمود أن أحد الحاخامات بقي يجادل الله ثلاثة أيام حتى أفحمه واعترف له الله بخطئه (تعالى الله)، ولكن حسن بن أبي السرور استطاع أن يفحم الله بسبع كلمات في ثانيتين!! تعالى الله عما يقولون علوًّا كبيراً.

ـ وفي هذا النص اعتراف من القوم بكفرهم وزندقتهم (لو كشفنا . . لرجموك).

*** ومن كشوفهم وعلومهم اللدنية:ـ**

يقول عبد الكريم الجيلي الغوث[1]:

اعلم أن الله تعالى خلق دور فلك سماء الدنيا مسيرة أحد عشر ألف سنة، وهو أصغر أفلاك السماوات دوراً، فيقطع القمر دور هذا الفلك في أربع وعشرين ساعة معتدلة، أعني مستقيمة، فيقطع في كل ساعة مسيرة أربعمائة وثمانية وخمسين سنة ومائة وعشرين يوماً، وقُطْر هذا الفلك مسيرة أربعة آلاف سنة وخمسمائة عام؛ ثم إن للقمر فلكاً في نفس الفلك . . . بخلاف الكواكب السيارة فإن كل كوكب منها يقابل نور الشمس في

---

(١) المناظر الإلهية، ص٢١ و٢٢.

(٢) المناظر الإلهية، ص٤٤. وحسن بن أبي السرور مات سنة ٧٧٠ تقريباً.

جميعهـا، فمثلهـا مثـل البلورة الشفـافـة، إذا وقـع فيهـا النور سرى في ظاهرها وباطنها؛ بخلاف القمر، فإنه كالكرة المعدنية المصقولة لا تقبل النور إلا في مقابلة الشمس. . .

. . . والكوكب اسم للجرم الشفاف المنير من كل سماء. . .

وأمـا السـماء الثـانية، فإنها جوهر شفاف لطيف ولونها أشهب، خلقها الله تعالى من الحقيقـة الفكـريـة، فهي للوجـود بمثابة الفكر للإنسان، ولهذا كانت محلاً لفلك الكاتب وهـو عطـارد، جعله الله تعالى مظهراً لاسمه القدير . . . جعل الله دور فلك هذه السماء مسيرة ثلاث عشرة ألف سنة وثلاثمائة سنة وثلاثاً وثلاثين سنة ومائة وعشرين يوماً، يقطع كوكبهـا، وهـو عطارد، في كل ساعة مسيرة خمسمائة سنة وخمس وخمسين سنة وخمس أشهر وعشرين يوماً؛ فيقطع جميع فلكه في مضي أربع وعشرين ساعة معتدلة، ويقطع الفلك الكبير في مضي سنة كاملة. . .

وأمـا السـماء الثالثة فلونها أصفر، وهي سماء الزهرة، جوهرها شفاف . . . خلق الله دور فلك هذه السماء مسيرة خمس عشرة ألف سنة وستة وثلاثين سنة ومائة وعشرين يوماً، يقطـع كوكبهـا، وهـو الزهرة، في كل ساعة مسيرة ستمائة سنة وإحدى وثلاثين سنة وثمانية عشـر يومـاً وثلث يوم، فيقطـع الفلك في مضي أربعة وعشرين يوماً، وملائكة هذه السماء تحت حكم الملك المسمى صورائيل . . . ورأيت ملائكة هذه السماء مؤتلفة، لكن على أنـواع مختلفـة؛ فمنهم من وكله الله بالإيحـاء إلى النائم إما صريحاً وإما بضرب مثل يعقله العالم . . . .

وأما السماء الرابعة فهي الجوهر الأفخر، ذات اللون الأزهر، سماء الشمس الأنور، وهـو قطب الأفـلاك، خلق الله تعـالى هذه السـماء من النـور القلبي . . . جعل الله هذا الكوكب الشمسي في هذا الفلك القلبي مظهر الألوهية ومجلس لمتنوعات أوصافه المقدسة النـزيهـة الـزكيـة، والشمس أصل لسائر المخلوقات العنصرية، كما أن الاسم «الله» اسم لسـائـر المـراتب العليـة . . . ثم اعلم أن الله تعـالى جعـل الفلك الشمسي مسيرة سبع عشـرة ألف سنـة وتسعـاً وعشـرين سنـة وستـين يوماً، فيقطع جميع الفلك في مضي أربع وعشـرين ساعـة معتـدلـة، ويقطع الفلك الكبير في ثلاثمائة وخمسة وستين يوماً وربع يوم وثلاث دقائق . . . (ويمضي الجيلي هكذا حتى يصل إلى السماء السابعة) ثم يقول:

. . . الفلك الأطلس، هو عرصة سدرة المنتهى . . . ويسكن سدرة المنتهى الملائكة الكروبيون، رأيتهم على هيئات مختلفة لا يحصي عددهم إلا الله . . . ورأيت منهم مائة ملك مقدمين على هؤلاء جميعهم، بأيديهم أعمدة من النور . . . يرهبون بها من دونهم من الكروبيين ومَن بلغ مرتبتهم من أهل الله تعالى، ثم رأيت سبعة من جملة المائة متقدمة عليهم يسمون قائمة الكروبيين، ورأيت ثلاثة مقدمين على هذه السبعة يسمون بأهل المراتب والتمكين، ورأيت واحداً مقدماً على جميعهم يسمى عبد الله. وكل هؤلاء عالون ممّن لم يؤمروا بالسجود لآدم، ومن فوقهم كالملك المسمى بالنون والملك المسمى بالقلم، وأمثالهما أيضاً عالون، وبقية ملائكة القرب دونهم وتحتهم مثل جبريل وميكائيل وإسرافيل وعزرائيل وأمثالهم، ورأيت في هذا الفلك من العجائب والغرائب ما لا يسعنا شرحه.

واعلم أن جملة الأفلاك التي خلقها الله تعالى في هذا العالم ثمانية عشر فلكاً: الفلك الأول: العرش المحيط - الفلك الثاني: الكرسي - الفلك الثالث: الأطلس، وهو سدرة المنتهى - الفلك الرابع: الهيولى - الفلك الخامس: الهباء - الفلك السادس: العناصر - الفلك السابع: الطبائع - الفلك الثامن: المكوكب وهو فلك زحل ويسمى فلك الأفلاك - الفلك التاسع: فلك المشتري - الفلك العاشر: فلك المريخ - الفلك الحادي عشر: فلك الشمس - الفلك الثاني عشر: فلك الزهرة - الفلك الثالث عشر: فلك عطارد - الفلك الرابع عشر: فلك القمر - الفلك الخامس عشر: فلك الأثير، وهو فلك النار - الفلك السادس عشر: فلك الهواء - الفلك السابع عشر: فلك الماء - الفلك الثامن عشر: فلك التراب والبحر المحيط الذي فيه (البهموت) وهو حوت يحمل الأرض على منكبيه . . . ثم لكل موجود في العالم فلك وسيع يراه المكاشف ويسبح فيه ويعلم ما يقتضيه . . .

أما الطبقة الأولى من الأرض: فأول ما خلقها الله تعالى كانت أشد بياضاً من اللبن، وأطيب رائحة من المسك، فاغبرت لما مشى آدم عليه السلام عليها بعد أن عصى الله تعالى، وهذه الأرض تسمى أرض النفوس . . . دور كرة هذه الأرض مسيرة ألف عام ومائة عام وستة وستون عاماً ومائتا يوم وأربعون يوماً . . .

. . . ثم سَلَكَ (الاسكندر) الجانب الجنوبي، وهو الظلمات، حتى بلغ يأجوج ومأجوج، وهم في الجانب الجنوبي من الأرض . . . لم تطلع الشمس على أرضهم أبداً

. . . ثم سلك الجانب الشمالي حتى بلغ محلاً منه لم تغرب الشمس فيه، وهذه الأرض بيضاء على ما خلقها الله تعالى عليه، هي مسكن رجال الغيب، وملكها الخضر عليه السلام . . . وهي قريبة من أرض بلغار، وبلغار بلدة في العجم لا تجب فيها صلاة العشاء أيام الشتاء، لأن شفق الفجر يطلع قبل غروب شفق المغرب فيها . . . وهذه الأرض أشرف الأراضي وأرفعها قدراً . . . لأنها محل النبيين والمرسلين والأولياء الصالحين

وأما الطبقة الثانية من الأرض، فإن لونها كالزمردة الخضراء، تسمى أرض العبادات، يسكنها مؤمنو الجن . . . لا يزال أهلها قاطنين فيها حتى تغيب الشمس عن أرض الدنيا، فيخرجون إلى ظاهر الأرض يتعشقون ببني آدم تعشق الحديد بالمغناطيس . . . دورة كرة هذه الأرض ألفا سنة ومائتا سنة وأربعة أشهر.

. . . ولقد رأيت جماعة من السادات، أعني طائفة من متصوفي هذا الزمان، مقيدين مغلغلين، قد قيدهم جن هذه الأرض. . .

وأما الطبقة الثالثة من الأرض: فإن لونها أصفر كالزعفران، تسمى أرض الطبع، يسكنها مشركو الجن، ليس فيها مؤمن بالله . . . يتمثلون بين الناس على صفة بني آدم، لا يعرفهم إلا أولياء الله تعالى، لا يدخلون بلدة فيها رجل من أهل التحقيق . . . دورة كرة هذه الأرض مسيرة أربعة آلاف سنة وأربعمائة سنة وسنتين وثمانية أشهر. . .

(وهكذا حتى الأرض السابعة التي يقول عنها):

. . . يسكنها الحيات والعقارب وبعض زبانية جهنم، دور كرة هذه الأرض مسيرة سبعين ألف سنة وأربعمائة سنة . . . وحياتها وعقاربها كأمثال الجبال وأعناق البخت[1]. . . (إلى آخر هذا الهذيان الجاهل وهذه الخرافات الساذجة).

● **التعليق:**

نتركه لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد. لكن علينا أن ننتبه جيداً إلى أنه رأى كل هذه الهذيانات بالكشف الذي هو عين اليقين وحق اليقين ونور اليقين!! ولا

---

(١) الإنسان الكامل: ٢ / ٩٧ - ١١٢.

حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، وإلى الله المشتكى، فقد دمروا بكشوفهم الهذيانية المجتمعات الإسلامية.

ويقول الجيلي أيضاً:

. . . وهذا الأمر الذي جعله الله لداود وسليمان عليهما السلام غير محصور فيهما ولا مقصور عليهما . . . وإلا فكل واحد من الأفراد والأقطاب له التصرف في جميع المملكة الوجودية، ويعلم كل واحد منهم ما اختلج في الليل والنهار فضلاً عن لغة الطيور. وقد قال الشبلي رحمه الله تعالى: لودبت نملة سوداء على صخرة صماء في ليلة ظلماء ولم أسمعها لقلت إني مخدوع أو ممكورٌ بي. وقال غيره: لا أقول: «ولم أشعر بها»، لأنه لا يتهيأ لها أن تدب إلا بقوتي وأنا محركها، فكيف أقول: «لا أشعر بها» وأنا محركها[1] . . .

سؤالنا: إن لم يكن هذا كفراً وشركاً وزندقة فما هو الكفر والشرك والزندقة، أضف إليه كونه تفاهة فكرية وغباءً، أومرضاً عصبيًّا من نوع الجنون، ثم مجموعة من التصورات الوهمية التي كانوا يتصورونها عن الكون، وهي محض خرافة، وهكذا كل كشوفهم.

*** وهذه أوهام مثلها:ـ**

يقول ابن سبعين:

. . . والنار جسم نير، يحيل الأجسام إلى طبيعته . . . والهواء جسم لطيف شفاف سيال . . . والماء جسم سيال حول الأرض . . . وهو المتوسط بين الوسط وإلى الذي من الوسط . . . والأرض جسم غليظ في مركز العالم، أو هو الوسط ونقطة العالم الطافي على الماء والكثافة المطلقة . . . والأركان الأربعة: النار والأرض والماء والهواء، والأخلاط أربعة: الصفراء والسوداء والبلغم والدم[2] . . .

ـ فأين الكشف؟ مع العلم أن ابن سبعين هو قطب دائرة الورثة، ومظهر آثار النبيين والمرسلين!!

ويقول: . . . ونبدأ بكلام المقرَّب . . . فنقول: فائدة النفس لم تتحصل ولا

---

(١) الإنسان الكامل: ١ / ١٢٢.

(٢) بد العارف، ص١١٤.

تخلصت فيما تقدم على التمام . . . ونبين أن الخير في علمها والوقوف على كنهها غاية المطلوب والمرغوب . . . وأن واجب الوجود لا يعلم إلا إذا علمت، وأن معرفتها شرط في معرفته[1] . . . اهـ.

١ ـ عبارة «واجب الوجود» التي جعلوها اسماً من أسماء الله، لم ترد في كتاب ولا سنة.

٢ ـ عبارة «لا يعلم إلا إذا علمت» يمكن أن تقرأ بصيغة البناء للمعلوم، فتكون كفراً بيناً! كما يمكن أن تقرأ بصيغة البناء للمجهول، وبشيء من المناقشة يبين كفرها، ومثل ذلك عبارة «معرفتها شرط في معرفته».

٣ ـ وهكذا نرى أن كشوفهم التي يصفها الغزالي بأنها نور اليقين وعين اليقين وحق اليقين، ما هي إلا جهل في جهل في وهم في هذيان.

*** يكذبون القرآن :ـ**

يقول البوصيري في البردة «الشريفة»:

وكيف تدعو إلى الدنيا ضرورة من　　لولاه لم تخرج الدنيا من العدم

ويقول:

فإن من جودك الدنيا وضرتها　　ومن علومك علم اللوح والقلم

ـ الشطر الثاني من البيت الأول، يمكن أن يُفهم بأحد شكلين: إما أن الدنيا خُلقت لأجل محمد ﷺ وهذا مناقض للآية: ﴿وما خَلَقْتُ الجنَّ والإنسَ إلا لِيَعْبُدون﴾، وبالتالي هو كفر. وإما أنها خرجت إلى الوجود بأمره ﷺ، وهذا يوافق معنى البيت الثاني، وكلاهما يعني أن محمداً ﷺ هو الله، أو هو التجلي الأعظم للذات الإلهية، أو هو المركز الفعال فيها، وطبعاً هذا قمة الكفر.

*** وينسخون القرآن :ـ**

من كرامات أحمد الرفاعي:

---

(١) بد العارف، ص٣٥٧.

أنه في العام الذي توفي فيه رضي الله تعالى عنه، حج وزار قبره ﷺ، الذي هو أفضل من الجنة، بل من العرش والكرسي! ولما وقف تجاه القبر الشريف يريد الوداع أنشد:

إن قيل زرتم بما رجعتم ... يا أشرف الرسل ما نقول؟

فخرج صوت من القبر الشريف سمعه كلٌّ من حضر في ذلك الروض المعطَّر، وهو يقول:

قولوا رجعنا بكل خير ... واجتمع الفرع والأصول[1]

- الجواب: يقول سبحانه: ﴿وما علَّمْناهُ الشِّعْرَ وما يَنْبَغي له﴾، فهل نُسخت الآية كرامةً لأحمد الرفاعي؟! وهذه الحادثة إن لم تكن من أكاذيبهم، فدوْرُ إبليس واضح فيها.

ثم قوله (وقولهم: إن قبره أفضل من الجنة ومن العرش والكرسي)، فنغضُّ النظر عما فيه من الكفر الصارخ ومن تأليه محمد ﷺ ونسألهم: هل عندهم دليل على هذا من قرآن أو سنة صحيحة؟ أم على الله يفترون؟!

*** ويبيع الجنة (سباقاً مع الكنيسة):-**

. . . وأراد (أحمد الرفاعي) شراء بستان، فأبى صاحبه أن يبيعه إلا بقصر في الجنة، فارتعد وتغير واصْفرَّ، ثم قال: قد اشتريت منك بذلك، قال: اكتب لي خطك، فكتب: بسم الله الرحمن الرحيم، هذا ما ابتاع إسماعيل من العبد أحمد الرفاعي، ضامناً على كرم الله له قصراً في الجنة، يحفُّ به حدود: الأول لجنة عدن، الثاني لجنة المأوى، الثالث: لجنة الخلد، الرابع: لجنة الفردوس، بجميع حوره وولدانه وفرشه وأشربته وأنهاره وأشجاره، عوضاً عن بستانه في الدنيا، والله شاهد على ذلك وكفيل؛ فلما مات إسماعيل دُفنت معه الورقة، فأصبحوا وإذا مكتوب على قبره: «قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقًّا»[2] . . . .

---

(١) قلادة الجواهر، ص١٠٤ و١٠٩.

(٢) حاشية العلامة الصاوي، ص١٤٤، وجامع الكرامات للنبهاني: ١ / ٤٩٢.

● التعليق :

لا تعليق، لكن إلى الله نشكو هذا البلاء، الذي أوصل الأمة إلى ما هي عليه من ذل وجهل.

*** ونُسخت العبادة! ونُسخ القرآن والسنة! ونسخ الإسلام:-**

قال الفقيه محمد بن الحسين البجلي رضي الله عنه: رأيت النبي ﷺ في المنام، فقلت: يا رسول الله! أي الأعمال أفضل؟ قال: وقوفك بين يدي وليّ لله كحلب شاة أو كشي بيضة خير لك من أن تعبد الله حتى تتقطع إرباً إرباً!! فقلت له: حيًّا كان أو ميتاً؟ فقال: حيًّا كان أو ميتاً[1]!!

ولا تعليق، لكن سؤال: ماذا بقي من الوثنية؟! ومن الكفر؟! ومن الضلال؟!

*** حياء مدهش:-**

إبراهيم الأعزب (أحد خلفاء أحمد الرفاعي): . . . وكان حياؤه من الله تعالى في مرتبة أنه ما رفع رأسه إلى السماء أربعين سنة[2]. . .

- سؤال: وماذا لو رفع رسه إلى السماء؟ وهل في عدم رفعه حياء؟ وهل حجب عن الله سبحانه عندما لم يرفع رأسه؟ إنهم يقولون إن كل شيء هو الله! إذن فسواء رفع رأسه أم لم يرفعه فهو في جميع الحالات واحد. وهل يعرف ما لم يكن يعرفه رسول الله؟!

على كل حال: هذه صورة من (مقام الحياء)، ومثلها بقية مقاماتهم.

*** لا تنهوا عن المنكر، فالنهي عن المنكر منسوخ، وعلى الإسلام السلام:-**

أحمد البدوي (أحد الأقطاب الأربعة المتدركين): . . . ثم حصلت له جمعية على الحق فاستغرق إلى الأبد . . . وأكثر أوقاته شاخص ببصره نحو السماء وعيناه كالجمرتين . . . واجتمع به ابن دقيق العيد، فقال له: إنك لا تصلي! ما هذا سنن الصالحين؟ فقال له: اسكت وإلا طيرتُ دقيقك، ودفعه فإذا هو بجزيرة متسعةٍ جدًّا، فضاق ذرعه حتى كاد يهلك؛ فرأى الخضر، فقال له: لا بأس عليك، إن مثل البدوي لا يُعترض عليه،

---

(١) قلادة الجواهر، ص٢٧٧.

(٢) قلادة الجواهر، ص٣٢٩.

اذهب إلى هذه القبة وقف ببابها، فإنه سيأتيك العصر ليصلي بالناس، فتعلق بأذياله لعل أن يعفو عنك؛ ففعل، فدفعه، فإذا هو ببابه[1]..

- السؤال: لِمَ فُرضت صلاة الجماعة؟ وجُعلت علنية؟ هل كان ذلك من أجل أن يصليها المقربون خفية عن الناس؟ وأين تقع هذه الجزيرة التي كان يصلي فيها البدوي؟ ولِمَ؟ وما هو دور القبة في الإسلام؟ وهل؟ وهل؟ وهل؟

وللعلم: في الديانات الوثنية، يبنون القبة ليضعوا تحتها الوثن على أنه إله في سمائه.

*** فتش عن عنوان:-**

... عن يعقوب (أحد تلامذة أحمد الرفاعي) قال: دخلت على سيدي أحمد في يوم بارد وقد توضأ، ويده ممدودة، فبقي زماناً لا يحرك يده، فتقدمت إلى تقبيلها فقال (أي يعقوب): شوَّشتَ على هذه الضعيفة! قلت: من هي؟ قال: بعوضة كانت تأكل رزقها من يدي فهربتْ منك!! قال: ورأيته مرة يتكلم ويقول: يا مباركة ما علمتُ بك، أَبْعدتُكِ عن وطنك! فنظرتُ، وإذا جرادة تعلقت بثوبه وهو يعتذر إليها رحمة لها[2]!!

- جوابنا: ماذا يكون لو قلد الناس الرفاعي فتركوا جسومهم مرعى للبعوض؟؟ والأسئلة كثيرة وكذلك الأجوبة (لكنك ستسمع: هذا من أعمال الخواص ص ص ص ص).

*** أيضاً بلا عنوان (للتفتيش):-**

... وكان (أحمد الرفاعي) يبتدىء من لقيه بالسلام، حتى الأنعام والكلاب! وكان إذا رأى خنزيراً يقول له: أنعم صباحاً؛ فقيل له في ذلك فقال: أُعوِّد نفسي الجميل[3].

- السؤال: هل من الجميل أن يسلم على الكلب والخنزير والأنعام؟ وما هو الجميل فيها؟ وهل تفهم الحيوانات عليه؟ إلى آخر الأسئلة، وهل كان الرسول وأصحابه يسلمون على الحيوانات، بله الكلاب والخنازير؟!

---

(١) حاشية الصاوي، ص١٤٦.
(٢) قلادة الجواهر، ص٦٥.
(٣) قلادة الجواهر، ص١٤٨.

*** السمك، وعودة إلى قاف! وهس س س س س س لا تعترض:-**

. . . ومن كراماته (أحمد الرفاعي) أنه كلما خرج متنزهاً إلى الصحراء تخرج الأسماك من بطن بحر البصرة لالتماس بركاته، وتزدحم على أقدامه الشريفة كازدحام الإبل على موارد الماء[1]. . .

. . . ومنها أنه صلى الصبح في مكة المكرمة، والظهر في المدينة المنورة، والعصر في بيت المقدس، والمغرب في بعلبك في مقام نبي الله نوح عليه السلام، والعشاء وراء جبل قاف[2]!

*** وقافات أيضاً؟ قافات:-**

. . . وكان السيد أحمد الرفاعي رضي الله عنه مرة يتحدث في المجلس، فذكر القاف، فقال الشيخ يعقوب له: إيش بعد القاف؟ قال: قاف، فأعاد السؤال، فقال: قاف! وهو يسأل، وهو يقول: قاف! حتى عد عشر قافات! فقال للشيخ يعقوب، وهو يقول: «تلك القافات»: أي يعقوب، أرض بيضاء، ما عُصي ربنا فيها طرفة عين، فيها خلق عظيم لا يعلم عددهم إلا الله تعالى، ما سمعوا خلق آدم ولا لعنَ إبليس! فقال الشيخ يعقوب: يقدر أحد يقول ما لم يتحققه، قال: لا، أي يعقوب، ﴿ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد﴾؛ ثم قال السيد أحمد الرفاعي رضي الله تعالى عنه: «إلا إذا كنَّا»، ثم دعا وقام من المجلس؛ وكان بعض الفقراء يحسن الظن في الشيخ يعقوب ويعتقده، فلما رأى كلامه للسيد أحمد الرفاعي رضوان الله تعالى عليهم أجمعين هكذا، ظن وتصور أن السيد أحمد الرفاعي لم يتحقق هذه الأخبار، واعترض عليه، ويقول في شأنه على الاستهزاء أحياناً، فأذَّن الشيخ يعقوب في يوم من الأيام، وجلس في الأول، وجاء السيد أحمد الرفاعي رضي الله تعالى عنه وجلس في المحراب، وأدخل رأسه في قميصه، وفعل الشيخ يعقوب مثل ذلك، حتى مضى من وقتٍ كثير، وكان الشيخ يعقوب إذا أذَّن لا يقدر أحد أن يقول له شيئاً حتى يفرغ من الصلاة؛ فقام ذلك الفقير المعتقد في شأنه، المعترض على السيد أحمد الرفاعي رضي الله تعالى عنه، ومدَّ يده إلى الشيخ يعقوب

---

(1) قلادة الجواهر، ص١٠٢.

(2) قلادة الجواهر، ص١٠٣.

وحركه، فلم يجد غير قميصه وعمامته! فتعجب من ذلك وأعلم الفقراء به! فلما كان بعد ساعة طويلة، رفع الشيخ يعقوب رأسه وقام، فقال السيد أحمد الرفاعي رضي الله تعالى عنه للشيخ يعقوب: أي يعقوب، تعبتَ، وتعبك عليَّ شديد؛ ثم قال الرجل المعترض للشيخ يعقوب: ما شاهدتَ؟ فقال له: ما خليتمونا من فضولكم، حتى أخذنا السيد أحمد الرفاعي بهذه اللحى البيض، ودار بنا المواضع التي ذكرها بأجمعها، حتى لا يبقى منها قليل ولا كثير[1].

ـ أين هذا القاف؟ وتلك القافات؟ وكيف يخرج السمك من الماء ليتبرك بالسيد، وماذا يحصل للسمك بهذا التبرك؟ هل يدخل الجنة؟ أم ماذا ...؟ ...؟

*** سبع مداين؟ ووحي لم يمر على محمد ﷺ :ـ**

قال السيد إبراهيم الأعزب قُدس سره: كنت نائماً في بعض الليالي في موضعٍ هناك للسيد أحمد الرفاعي رضي الله عنه؛ فأيقظني وقال: أي إبراهيم، ألا أخبرك؟ أظهرني الله سبحانه في هذه الساعة على سبعة مداين، كل مدينة منها بقدر هذه الدنيا سبع مرات، وهي مملوءة من الخلق، ليسوا من الجن ولا من الإنس، وما فيهم من يذكر الله تعالى، وكل ليلة عند غروب الشمس يأمر الله تعالى الملائكة، فيأخذون ذنوب أمة محمد ﷺ وينفضونها على تلك المدائن السبعة، وكلٌّ من أصاب منهم ذنباً فهو من أهل الجنة[2].

ـ أين هذه المدائن؟ وأهم من ذلك، أن المذنب من أمة محمد ﷺ لا ذنب عليه ولا وزر، لأن الملائكة تأخذ ذنبه وتلقيه على تلك المدائن فيدخلون الجنة بسببها!! إذن ما على الإنسان من أمة محمد ﷺ إلا أن يكثر من الذنوب، لأنها تُرفع عنه مع المساء، ويدخل بسببها مخلوقات كثيرة الجنة، ثم سلام على الإسلام وعلى الإيمان وعلى الأخلاق وعلى المعاملة وعلى إنسانية الإنسان.

*** الفقير إله :ـ**

قال السيد إبراهيم الأعزب قُدس سره، حضرتُ في بعض الأيام عند السيد أحمد

---

(١) قلادة الجواهر، ص١٩١ و١٩٢.

(٢) قلادة الجواهر، ص١٩٣.

الرفاعي . . . قال: أي فقراء، الشيخ عثمان السالم آبادي قُدس سره، يصعد كل يوم عند غروب الشمس إلى ديوان الربوبية، وينظر ديوان ذريته، فما يجد من سيئة يمحها ويكتب عوضها بلا معارضة!! قال السيد إبراهيم الأعزب: فأخذتني الغيرة من ذلك؛ فالتفت إليَّ السيد أحمد الرفاعي وقال: أي إبراهيم، لا يكون الرجل مُمَكَّناً في سائر أحواله حتى يُعرض عليه عند غروب الشمس جميع أعمال أصحابه وأتباعه وتلامذته بالقرب والبعد، فيمحو منها ما يشاء ويثبت فيها ما يشاء بكرم الله ولطفه؛ أي إبراهيم، قل عن هذا العبد الفقير الحقير البائس المسكين، معدن الذل والانكسار (يعني نفسه): لا يكون الشيخ شيخاً كاملاً في سائر أموره وأحواله وأقواله وأفعاله، ولا يصلح له الجلوس في المخدَّة، حتى يحضر عند تلميذه في أربع مواضع: عند خروج روحه من جسده، وعند مسألة منكر ونكير له، وعند جوازه على الصراط، وعند الميزان[1] . . .

ـ نسأل هؤلاء المخدوعين: ما هو الشرْك الذي يزيد عن هذا الشرك؟ ثم إن محمداً ﷺ، وهو خير البشر، لا يغني عن أحدٍ شيئاً، أما هؤلاء القوم فقد تجاوزوا كل حدود الدين والإسلام والإيمان والعقل، ووصلوا إلى القدرة الإلٰهية، يفعلون ما يشاؤون؟! وإنا لله وإنا إليه راجعون.

*** وجعلوا الملائكة معاتيه ومخابيل:ـ**

(يكذبون على الله وملائكته ورسله! ويناقض كشفهم بعضه)

وبلغنا عن أبي عبد الله المغربي رضي الله عنه أنه قال: أهل السماع (أي الغناء والموسيقى) خلقهم الله من نور بهائه، وخلق مثلهم سبعين ألف ملك من الملائكة المقربين، قد أقامهم الله تعالى بين العرش والكرسي في حضرة القدس، لباسهم الصوف الأخضر، ووجههم كالقمر ليلة تمامه، لهم شعور كشعور النساء، وهم قيام متواجدون والهون منذ خلقهم الله تعالى إلى أن ينفخ في الصور، يسمع بكاءهم وأنينهم وفجعهم وحنينهم أهل السماوات السبع والأرضين، فهم أهل السماء، وينهدلون من العرش إلى الكرسي، ومن الكرسي إلى العرش، شبيه السكارى، لما بهم من شدة التوله، إسرافيل

(١) قلادة الجواهر، ص١٩٣.

قائـدهم ومـرشـدهم، وجـبر يـل عليـه السلام رئيسهم، والله تعالى مليكهم وجليسهم وأنيسهم، وهم إخواننا في النسب وأصحابنا في أهل السماء. ونقل عن رسول الله ﷺ أنه قال: لما هبط آدم عليه السلام إلى الأرض بكى ثلاث مائة سنة، فأوحى الله تعالى إليه، يا آدم، مم بكاؤك؟ ومم جزعك؟ فقال: يا رب، لست أبكي شوقاً إلى جنتك ولا خوفاً من نارك، وإنما بكائي شوقاً إلى الملائكة الصوفية المتواجدين حول العرش، سبعين ألف صف، جرد مرد يرقصـون ويتـواجـدون حول العـرش يدورون، يد كل واحـد منهم بيد صاحبه وهم يقـولـون: جلَّ الملِكُ ملِكُنـا، لولا الملِكُ هلكنا، مَن مثلُنا وأنت إلٰهنا، ومَن مثلُنـا وأنت حبيبنـا ومستغـاثنا ومستفزنا؛ وذلك دأبهم إلى يوم القيامة؛ قال: فأوحى الله تعـالى إليـه: يا آدم ارفـع رأسـك وانظـر إليهم؛ قال: فرفع رأسه إلى السماء، فنظر إلى المـلائكـة وهم يرقصـون حول العرش، وجبرائيل رئيسهم، وميكائيل قوّالهم؛ فلما رآهم سكن روعه وأنينه وبكاؤه وحنينه[1]. . .

● **التعليق**:

لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، ومن أظلم ممن افترى على الله الكذب. . ؟ ثم إن هذا الكشف يناقض كشف الجيلي المار سابقاً! فمن هو الكاذب؟

*** ولم يبق عندهم لأوامر الرسول ﷺ قيمة ولا معنى:-**

. . . الشيـخ محيي الـدين عبـد القـادر (الجيـلاني) رضي الله عنـه كان يقـول على الكـرسي ببغـداد: مكثت خمسـاً وعشـرين سنة متجرداً سايحاً في براري العراق وخرابه، وأربعـين سنـة أصـلي الصبح بوضوء العشاء، وخمس عشرة سنة أصلي العشاء ثم أستفتح القرآن وأنا واقف على رجل واحدة، ويدي في وتد مضروب في حائط خوف النوم، حتى أنتهي إلى آخر القرآن عند السَّحَر؛ وكنت ليلة طالعاً في سلَّم، فقالت لي نفسي: لو نمت ساعـة ثم قمت، فوقفت موضـع خطر لي هذا، وانتصبتُ على رجْلٍ واحدة واستفتحتُ القرآن حتى انتهيت إلى آخره وأنا على هذه الحالة، وكنتُ من الثلاثة أيام إلى الأربعين يوماً لا آكل[2]. . .

---

(١) قلادة الجواهر، ص١٨٥.

(٢) قلادة الجواهر، ص٤٥٨.

ـ سؤال: ماذا حدث لحديث رسول الله ﷺ: «... أما أنا فأقوم وأنام، وأصوم وأفطر، وأتزوج النساء، فمن رغب عن سنتي فليس مني».

ـ وقد رغب هؤلاء القوم عن سنة رسول الله ﷺ فماذا يكونون؟

*** الأنبياء وقوف بين يدي الصوفي :ـ**

... ورأى بعض الفقراء الشيخ عبد الله بن أبي جمرة المدفون بقرافة مصر رضي الله تعالى عنه، وهو جالس على كرسي، وعليه حلّة خضراء، والأنبياء كلهم واقفون بين يديه! فأشكل ذلك عليه، فعرضه على بعض العارفين، فقال: وقوف الأنبياء إنما هو أدبٌ مع مَن ألبس الخلعة فيكون ذلك من باب التعريف للأحكام الشرعية، لا شرعاً جديداً[1]!!

السؤال: ما هي هنا الأحكام الشرعية التي يعرفون بها؟؟ لا يوجد إلا الزندقة، وهذا هو دأبهم في كل زندقاتهم، يعطونها تأويلاً هو أقبح من الكفر، ثم يقولون لك إنه موافق للشرع، وعليك أن تلغيَ إيمانك وعقلك وتسلِّم.

*** الصوفي يجيب الدعاء :ـ**

... ومن مدايحه (محمد وفا بن محمد الرفاعي الحلبي) فيه (في أحمد الرفاعي) مدحة يتداولها الناس في الأذكار بحلب وهي:

كل الأنام عيالٌ عليك يا ابن الرفاعي
يا بحر كل المزايا ويا مجيبَ الدواعي[2]

إذن؛ فأحمد الرفاعي يجيب الدواعي! ولا تعليق، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

*** التمسوا مدد الصوفي واستمطروا نعمه :ـ**

يقول أحمد الرفاعي (الغوث) :ـ

---

(١) قلادة الجواهر، ص١١١.

(٢) قلادة الجواهر، ص٤٢٧.

لي همة بعضها تعلو على الهمم	ولي هوى قبل خلق اللوح والقلم
أنا الرفاعي طبولي في السما ضُربت	والأرض في قبضتي والأوليا خدمي
كل المشايخ يأتوا باب زاويتي	وفوق هاماتهم حاز العلا علمي
ولي لواءٌ على الكونين منتشر	وكل أهل العُلا ما أنكروا هممي
فالجأ بأعتاب عزّي والتمس مددي	وطف ببابي وقف مستمطراً نِعَمي[1]

● **التعليق :**

أولاً : يجب أن نعلم أن أهل الطريقة الرفاعية كلهم يؤمنون بمضمون هذا الشعر، بل وكل الصوفية، وعلماؤهم هم الذين يطبعون الكتاب وينشرونه .

ثانياً : ننبه إلى قوله : والأرض في قبضتي، فالجأ بأعتاب عزي والتمس مددي، وقف مستمطراً نعمي، ننبه إلى هذا، ونسأل : ما هو الفرق بينه وبين الله سبحانه وتعالى عما يصفون؟ وماذا بقي من الكفر المبين؟ والشرك العظيم؟ اللهم نشكو إليك هذه الفئة الضالة المضلة .

* **﴿إياك نعبد وإياك نستعين﴾، نُسخت :-**

. . . مَن ضاق حالهُ لمهمَّةٍ أو لحاجة، أو عسر عليه مقصد، أو كان عليه دَيْن، أو كان في سجن أو بغى عليه ظالم، فليتوضأ ويصلي لله ركعتين، ويصلي على النبي ﷺ مائة مرة، ويكون ذلك العمل في بيتٍ خال، ويقرأ الفاتحة للنبي وآله وأصحابه أجمعين، ويتوجه قائماً للشرق، لبر البصرة، لفلاة أم عَبيدة، محل مرقد الغوث الحسيني سيدي السيد أحمد (الرفاعي) وينادي بالاعتقاد والانكسار:

. . . يا وسيلة الطالبين، يا كعبة الطائفين . . . يا غوث الخلق، يا باب الحق . . . يا أشجع الفوارس . . . يا أبا المدد . . . يا مصدر الطلاب، يا معجزة الرسول، يا سر الله، يا درة الغيب، يا سيف القدرة، يا نائب النبي الجليل، يا خليفة إبراهيم الخليل . . . يا مظهر الحضرتين، يا طويل الجناحين . . . يا أبا العلمين، يا شيخ الكل في مسند الكلية . . . يا صاحب النَّوْبة الأولى، يا صاحب الصوت الأعلى . . . يا صاحب

(١) قلادة الجواهر، ص٢٣٣ .

الموكب المرعب، يا مبرد النار . . . يا مبدل السموم، يا معنى عناية الحي القيوم . . . يا باب الله المفتوح، يا بدل الأبدال، يا سيد الرجال، يا نجيب الأنجاب . . . يا موصل كل أعرج . . . يا قطب الأقطاب المتصرفين، يا مظهر سر حضرة القدس في كل مكان وزمان، يا صاحب الآيات الباهرة . . . يا كنز العنايات، يا صاحب التصرف في الحياة والممات، يا إشارة الكاف . . . يا متكلماً بلسان الله . . . يا قطب الفرد، يا قطب الأعظم، يا قطب الغوث، يا غوث الأكبر، يا بحر الله الكبير، يا صاحب السرير . . . يا ترجمان الحضرة المحمدية . . . يا أمين سر أهل العبا، يا جليل الحضرة . . . يا وجه الرُّشْد الأينس، همتك حاضرة، وعنايتك باهرة، وأسرارك ظاهرة بحق جدك المصطفى وبحرمة أبيك علي المرتضى وبكرامة والدتك فاطمة الزهرا، أغثني، وتوجه لجدك خير الأنام، وقوموا بقضاء حاجتي . . . أدركني يا أحمد الأولياء، رضي الله عنك، أغثني[1].

ـ يذكرنا هذا الدعاء بالدعاء المقدم إلى عبد القادر الجيلاني، وهذا الدعاء مثل ذاك مستعملان حاليًّا في الطريقتين الرفاعية والقادرية، وكل طريقة لها دعاؤها المشابه. والشرك فيهما أوضح من الوضوح، وإلى الله المشتكى، ونسأله سبحانه أن يفتح بصائر المسلمين ويوقظ عمولهم لعلهم يستطيعون تقليص خطر هذا الطاعون الفتاك.

*** شفقة صوفية :ـ**

. . . وكان (أحمد الرفاعي) إذا رأى رضي الله تعالى عنه فقيراً يقتل قملة أو بعوضة، يقول له: لا واخذاك الله، أَسَكَن غضبك منها؟ وذَكَرَ سيدي عبد الوهاب الشعراني في مننه أن السيد أحمد الرفاعي رضي الله تعالى عنه كان يدور وراء الكلاب المدودين ليداويهم فربما هرب منه الكلب، فيمشي وراءه ويتعطف بخاطره ويقول: أي مبارك، إنما أريد مداواتك[2]. .

ـ السؤال: لِمَ يعطف على القمل الذي على الفقراء؛ ولا يعطف على الدود الذي على الكلاب؟ هل لأن القمل أفضل من الدود؟ أم لأن الكلاب أفضل من الفقراء؟

ـ وطبعاً نعلم الآن أن كلمة «فقير» تعني عند القوم «الصوفي».

---

(١) قلادة الجواهر، ص٢٣٧، وما بعدها.

(٢) قلادة الجواهر، ص٦٣.

* كشف؟ :-

يقول محمد مهدي الرواس :

. . . وتصدَّر على منصة البروز من بطون الغياب سيدي الإمام الحجة المهدي (المنتظر) عليه الرضوان والسلام، فرَجَفت فرائصي لرؤيته . . . ثم قال من لسان الحال : «يا مُلَّسْلَين يا بَلَّمعَين يا مَنْعَلْهَيْ يا ما نقول يا تعليمليا يا فَوْأَيَسْ واجَفْر» كلمات فهمت منهن كل المقصود وحمدت الله وشكرته[1] . . . اهـ.

الجواب : طوط عرفوط بلعوط وِز كِز قاق. لأن جواب الكشف من جنس الكشف، ولا يفهمه إلا أهل الكشف.

* وجوب استعمال العبارة الملغزة التي تقبل التأويل :-

يقول الرواس :

وبويعت في الحضرة على التباعد عن أناس ابتُلوا بالانتقاد والاعتراض على أولياء الله تعالى، وذلك فيما يقبل التأويل[2] . . .

- نسأل : وأي شيء لا يقبل التأويل؟! إن باستطاعة الصوفي الشاطر أن يؤول قول عارفهم عندما يقول عن نفسه : «أنا الله» بأنه يعني بها جبل صنين في لبنان المطل على رابغ في طريق مكة! وكل ما مر معنا من زندقات وكفريؤ ولونه ويجعلونه ولاية عظمى وصديقية كبرى! ولعل القارىء الكريم انتبه إلى أن عبارة «فيما يقبل التأويل» إنما هي توجيه للصوفي أن تكون عباراته قابلة للتأويل ليمكن خداع أهل الشريعة والتمويه عليهم بذلك!

* الكشف كذب وجهل :-

يقول ابن عجيبة :

. . . وكذلك قضية ابن الجوزي، كان يقرأ ببغداد اثني عشر علماً، فخرج يوماً

---

(١) بوارق الحقائق، ص٣١٩.

(٢) بوارق الحقائق، ص٢٨٧.

لبعض شؤونه، فسمع قائلاً يقول:

إذا العشرون من شعبان ولَّت فواصلْ شُرب ليلك بالنهار
ولا تشرب بأقداحٍ صغارٍ فقد ضاق الزمان على الصغار

فخرج هائماً على وجهه إلى مكة، فلم يزل يعبد الله بها حتى مات رحمه الله[1].

ـ الجواب: هذا لم يحدث وابن الجوزي توفي في بغداد وفي بيته في حي «قَطُفْتا» في الجانب الشرقي من بغداد عام ٥٩٧هـ. ولكن الكشف قادر على كل جهل وكذب وتزوير.

*** يكذبون على رسول الله ﷺ :ـ**

يقول ابن عجيبة وشهاب الدين السهروردي البغدادي قبله، وغيرهما:

. . . وعن أنس: كنا عند النبي ﷺ، إذ نزل عليه جبريل فقال: يا رسول الله، فقراءُ أمتك يدخلون الجنة قبل الأغنياء بخمسمائة عام، وهو نصف يوم، ففرح، فقال: أفيكم من ينشدنا؟ فقال بدْريٌّ: نعم يا رسول الله، فقال: هات، فأنشد البدري يقول:

قد لسعت حية الهوى كبدي فلا طبيب لها ولا راقي
إلا الحبيب الذي شُغلتُ به فعنده رقيتي وترياقي

فتواجد عليه السلام، وتواجد أصحابه معه، حتى سقط رداؤه عن منكبيه، فلما فرغوا آوى كل واحد إلى مكانه، فقال معاوية: ما أحسن لعبكم يا رسول الله! فقال: مهْ مهْ يا معاوية، ليس بكريمٍ من لم يهتزَّ عند ذكر الحبيب! ثم اقتسم رداءه مَن حضرهم بأربعمائة قطعة[2]. . .

ـ الجواب هو حديث رسول الله ﷺ: «من كذب عليَّ متعمداً فليتبوأ مقعده من النار»، ثم يدَّعون الولاية، وادعاؤهم نفسه إثم مبين! وقد مرت حقب طويلة كانت فيها أكاذيبهم وخرافياتهم وضلالياتهم وغبائياتهم هي ثقافة المجتمعات الإسلامية، حتى

---

(١) إيقاظ الهمم، ص٢٦٢.

(٢) الفتوحات الإلهية، ص٢٧٥، وعوارف المعارف في هامش الإحياء: ٢ / ٢٥٤، وغيرها.

أوصلوا الأمة الإسلامية إلى ما هي عليه.

*** ومن العلم اللدني (رسالة إلى الغوث أحمد التجاني) :-**

. . . أما بعد، فالمطلوب من كمال فضل سيدنا الذي أسدى الله فضلاً ورحمة ومدداً إلينـا، أن يتفضـل علينـا سيـدُنـا بما وعَدنا بخطٍّ يديه الكريمتين إلينا، كما هو معهود من فضـل سيـدنـا من غير استحقاقٍ منا، بل محض فضل وإكرام وامتنان علينا مِن سُورة ([illegible]) بما لها من الأسرار والعلوم والوقت، وما لها من اللزوم، ودفع عوارضهـا من الشـرور والهمـوم، وإعطـاء ما لديهـا من الأسرار والعلوم، وأن يديم عليها بحـوْل الله على عدد الـدهـر والعمـوم، وكذلك ([illegible]) الكتاب أيضاً على ما يليق بالحال ويزيل الإشكال[1]. . إلخ

- أقول: بما أن جواب الكشف يكون من جنس الكشف، فقد خانني الكشف عن الجواب على هذا الهراء.

*** ومن نفس الرسالة المرفوعة إلى الغوث أحمد التجاني :-**

. . . وإن ظَهَـرَ لسيـدنا أمرٌ آخر، فهو أدرى بحالنا، ولا نستحق شيئاً على سيدنا، إنما ذلك فضلٌ منه علينا؛ وأطلبُ منك سيدي الضمان الذي ضمنت لي بخطِّ يديك مِن مقام مولانا الهمام الشيخ الأكبر أبي عبد الله سيدي محمد بن العربي الحاتمي . . .

. . . وأطلبُ منـك سيـدي أيضاً أن يدفع الله عني جميع العوارض التي تقطعني عن جميـع الخـيرات . . . وأمـا تنـوير باطني واستقامته، وإظهار فضلك ومددك عليّ وحصول الخيرات لديَّ ظاهراً وباطناً، فلا أقبل فيه عذراً مِن سيدي من الآن إلى حصول المقام، وبعـد حصـول المقـام ما لا عين رأت ولا أذن سمعت . . . وأن أكـون مأموناً من السَّلْب (أي من سلب الولاية) إلى دخولي منزلي في الجنة[2]. . . الخ

- على القارىء أن يعرف أن هذا الدعاء موجه إلى أحمد التجاني الغوث من خليفته الأكـبر سيـدي الحـاج علي حرازم برادة! وأن هذا الدعاء ليس موجهاً إلى الله جل وعلا!

---

(١) كشف الحجاب، ص٨٤ و ٨٥.

(٢) كشف الحجاب، ص٨٥ و ٨٦.

وإلى الله نشكو هذا السرطان الخبيث الذي يدمر الأمة الإسلامية بهدوء وإصرار.

*** ومما يجيب به الغوث أحمد التجاني على هذا الشرك قوله :**

. . . وأما ما طلبتَ من الضمان في المعرفة بالله، من كونها صافيةً من اللبس، ممزوجةً حقيقتُها بالشريعة، فإنَّ أمرها لا يكون إلا كذلك لا غير . . . وأنا لك ضامن أن لا تُسْلَب ما دمتَ في محبتنا، وكل ما دونه، مِنْ دخول الجنة بلا حساب، إلى ما وراءه وما قبله، وسامحتك فيما لا تعمله مما مُقتضاه سوء الأدب؛ وأما السورة فتداومها ١١٠٠٠ مرة كل يوم أو كل ليلة، مختلياً وحدك وقْتَ ذكرها فقط، وبدؤها أن تقرأ الفاتحة مرة، وصلاة الفاتح لما أُغلِق مرة، وتهدي ثوابها لأهل النَّوْبة في ذلك اليوم من الأولياء الأحياء، ثم تقوم وتقف مستقبلاً وتنادي: ح دستور يا أهل النَّوْبة، جبهتي تحت نعالكم ح. ثم تقرأ الفاتحة مرة وتهدي ثوابها لروح الشيخ عبد القادر والشيخ أحمد الرفاعي وجميع الأولياء الغائبين والحاضرين، ثم تقرأ الفاتحة مرة وتهدي ثوابها لروح سيدنا محمد ﷺ، ثم تسأل المدد[1] . . .

ـ أرجو أن يعلم القارىء أن هذا الشرك والزندقة صادران من قطب غوث إلى خليفته، وهو غوث أيضاً . . . ثم يتساءل المتسائلون: ما هو سبب فساد المسلمين؟!

*** يحضر بعد موته لقراءة الوظيفة :ـ**

. . . (سيدي عيسى بن خراز) حدثه أنه رأى صاحب سيدنا رضي الله عنه سيدي ابن المشرى الأشهب بعد موته خارجاً من الزاوية المباركة بعدما قُرئت الوظيفة، فقال له: أو تحضر الوظيفة بعد الموت؟ فقال له: نعم، ثم سأله عن والده صاحب سيدنا رضي الله عنه سيدي العربي بن الأشهب؟ فقال له: إن مرتبته عالية وأنا دونها فلم أعرف ما اشتملت عليه لشفوفها وعلوِّها[2] . . .

● التعليق :

لم يَعُدْ محمد ﷺ إلى الحياة ليحكم بين المسلمين في خلافاتهم التي أريقت بها

---

(١) كشف الحجاب، ص٨٩.

(٢) كشف الحجاب، ص٣٩٥.

الـدمـاءَ، وكانو بأمس الحاجة له! ويعود هذا الصوفي من أجل قراءة الوظيفة مع أمثاله!! إنه الشيطان طبعاً يتلاعب بهم.

* **بلا عنوان:ـ**

يقول محمد بهاء الدين البيطار:

سأل مريد أستاذه عن الاسم الأعظم؟ فضربه بحصاة، فكان الضرب هو الجواب، يشير له: إنك أنت الاسم الأعظم[1]...

● **ملاحظة ليست من موضوع الكتاب:ـ**

محمـد بهاء الـدين البيطـار هو والد أستاذنا، عالم الشام، داعية الحق والهدى الشيخ محمد بهجة البيطار، رحمه الله وأجزل ثوابه، وشكر جهاده.

* **الصوفي يحيي ويميت وهو على كل شيء قدير:ـ**

ويقول: ... فإن الكامل في وقته مَظْهر هذه الأسماء الثلاثة التي هي: الله والرحمن والرحيم، بل مَظْهر أسماء الله على الكمال القائم بحقيقة الجمال والجلال؛ قيل لبعضهم: كيف أصبحت؟ فقال: أصبحتُ أُحيي وأميت وأنا على كل شيء قدير[1]...

ـ ولا تعليق، ولا سؤال، ولا جواب، لكنه تفسير لما تتخبط به الأمة الإسلامية من فساد وضياع.

* **يترك التصرف بالكون تظرفاً:ـ**

ويقول: ... وكان هذا مقام أبي السعود تلميذ الغوث الجيلاني، فإنه قيل له: هل أعطاك الله التصرف في العالَم؟ فقال: نعم، منذ خمس عشرة سنة، وتركتُه للحق تعالى تظرفاً! قال الشيخ الأكبر: ونحن تركناه أدباً ومعرفة[2]...

ـ ولا تعليق، لكنه ألمٌ وسؤال: ما الذي أوصل الأمة الإسلامية إلى ما هي عليه الآن؟

---

(1) النفحات الأقدسية، ص٦.

(2) النفحات الأقدسية، ص٧.

* **الشبلي هو محمد ﷺ :-**

ويقول البيطار نفسه :

. . . ولما انجلى هذا المشهد لمريد الشبليِّ في صورة الشبلي ، قال له أستاذه الشبلي رضي الله عنه : أتشهدُ أني محمد رسول الله؟ فقال : نعم[1]! . . .

- ولا تعليق ، بل نعيد نفس الأسئلة السابقة .

* **والكلب والخنزير جاء دورهما :-**

ويقول أيضاً :

. . . حتى انْسَحَب على الوجود (أي على الله) الضحك والفرح والعجب والمكر والكيد والاستهزاء والسخرية والظمأ والمرض والجوع والنسيان والشك ، حتى قال بعض من غلبه الشهود مِن أرباب الأحوال :

وما الكلب والخنزير إلا إلٰهنا   وما الله إلا راهب في كنيسة

وما ذاك إلا من انصباغ تلك الأحكام الثابتة بنور الوجود المطلق[2]. . .

ولا تعليق أيضاً ، ولكن بكاء وحزن على ما حلّ بهذه الأمة من هذه الطائفة التي تُعْمِل بها معاولها بإصرار وتكرار ، حتى وصلت إلى ما هي عليه الآن .

* **البدوي ، قطب الأقطاب ولا يصلي :-**

يقول أحمد الصاوي :

. . . وأما جمعُ الجمع ، فهو مقام أعلى من مقام البقاء ، وهو أن يأخذه الحق بعد بقائه ، فيُسكره في شهود ذاته تعالى ، فيصير مستهلكاً بالكلية عما سوى الله تعالى ، فمنهم مَن يبقى بهذه السكرة إلى الموت كالسيد البدوي رضي الله عنه ، ولذلك قال العارفون : إنه جُذب جذبة استغرقته إلى الأبد ، ومنهم من يُرَدُّ إلى الصحو عند أوقات الفرائض ، والقيام بأمور الخلق ، كالسيد الدسوقي ، وأضرابه ،

---

(١) النفحات الأقدسية ، ص٣٤١ .

(٢) النفحات الأقدسية ، ص٣٣٨ .

والمؤلف[1]، (أي أحمد الصاوي) . . .

ـ ولا تعليق أيضاً، لكن تعريف، فالذي يذكر هذا الكلام هو الذي قرر في كتاب له أن ظاهر القرآن من أصول الكفر، كما يظهر من سياق كلامه أن أحمد البدوي كان لا يصلي.

*** حتى الوحي ينكرونه :ـ**

يقول الغزالي (حجة الإسلام ومحجة الدين التي يتوصل بها إلى دار السلام):

. . . والمدْرَك الثاني: الوحي للأنبياء والإلهام للأولياء، ولا تظنَّ أن معرفة النبي ﷺ لأمور الآخرة ولأمور الدنيا تقليدٌ لجبريل عليه السلام، فإن التقليد ليس بمعرفة صحيحة، والنبي ﷺ حاشاه الله من ذلك، بل قد انكشفت له الأشياء وشاهدها بنور البصيرة، كما شاهد المحسوسات بالعين الظاهرة[2]. . .

ـ في هذا النص، نتعرف على أحد الأساليب الخبيثة التي يستعملونها في الكيد للإسلام والمكر به؟ فهو هنا يستعمل عبارة «تقليد لجبريل»، بدلاً من كلمة «الوحي» لتكون مقبولة.

ـ وواضح أن قوله: «لأمور الآخرة ولأمور الدنيا» يعني به الشريعة الإسلامية، وهذا الأسلوب يبيّن مدى المكر الذي يكيدون به الإسلام.

ـ ثم لم يكتف هؤلاء المخدوعون بأحابيل الشياطين وخدعهم (في خرق العادة وفي الجذبة وما يوسوسون لهم فيها) حتى أرادوا أن يجعلوا محمداً ﷺ من زمرتهم، ويجعلوا الإسلام صورة عن هذياناتهم.

*** صيام جديد أو دين جديد :ـ**

يقول الطوسي (في اللمع) وشهاب الدين السهروردي (في عوارف المعارف) وغيرهما:

---

(١) الأسرار الربانية والفيوضات الرحمانية، ص١٢٦.

(٢) الكشف والتبيين للغزالي، «ملحق تنبيه المغترين»، ص٢١٠.

. . . وحكي عن بعض الصادقين مِن أهل واسط أنه صام سنين كثيرة، وكان يفطر كل يوم قبل غروب الشمس إلا في رمضان.

يعلق السُّهْـرَوَرْدي على هذا بقـولـه: « . . . ولكن أهـل الصـدق لهم نيـات فيـها يفعلون، فلا يُعارضون، والصدق محمودٌ لعينه كيف كان[1] . . .

ـ السؤال: ما الفائدة من تعاليم الإسلام؟ وأين ذهبت؟ وما فائدة الرسل؟؟؟

*** الكشف جهل في جهل :ـ**

ويقول السهروردي أيضاً (شيخ الطريقة السهروردية):

. . . قال سهل بن عبد الله: للقلب تجويفان، أحدهما باطن وفيه السمع والبصر، وهو قلب القلب وسويداؤه.

. . . ومثـل العقـل في القلب مثل النظر في العين، وهو صقالٌ لموضعٍ مخصوص فيه بمنـزلـة الصقـال الـذي في سواد العـين، ومنه تنبعث الأشعة المحيطة بالمرئيات، فهكذا تنبعث مِن نظر العقل أشعةُ العلوم المحيطة بالمعلومات[2].

● المناقشة :

أولاً: للقلب أربعة تجاويف لا تجويفان.

ثانياً: السمع والبصر مركزهما الدماغ لا القلب.

ثالثـاً: لا تنبعث الأشعـة المحيطـة بالمـرئيـات من سواد العين، إنما تنبعث من ضوء الشمس أو القمـر أو السـرج . . وتسقـط على المـرئيـات ثم تنعكس إلى كل الجهـات، والأشعة التي تصطدم بسواد العين تدخله، وتكون الرؤية.

رابعاً: لا يوجد تشابه بين العقل في القلب والنظر في العين.

خامسـاً: مِن هنا، ومِن غير هنـا، نعـرف أن الكشف لا يزيـد عن كونـه صوراً

---

(١) اللمع، ص٢٢٠، وعوارف المعارف هامش الإحياء: ٣ / ٢٣٣.

(٢) عوارف المعارف في هامش الإحياء: ٤ / ٢٤٧.

لمعلومات اقتبسها العارف عن المعارف السائدة في مجتمعه، بالإضافة إلى هذيانات وثرثرات ووسوسات إبليسية.

* جهل في كذب :-

يقول أبو الهدى الصيادي الرفاعي :

. . . بلغنا أن الإمام عليًّا رضي الله تعالى عنه كان يقول في خطبته على رؤ وس الأشهاد: أنا نقطة «بسم الله» أنا جنب الله الذي فرَّطتم فيه وأنا اللوح وأنا القلم وأنا اللوح المحفوظ وأنا العرش وأنا الكرسي وأنا السماوات السبع والأرضون. فإذا صحا وارتفع عن تجلي الوحدة في أثناء الخطبة يعتذر ويقرُّ بعبوديته وضعفه وانقهاره تحت الأحكام الإلٰهية[1].

● تنبيه :

جهل كشفهم، ففي زمن علي بن أبي طالب لم يكن لـ «بسم الله» نقطة، لأن التنقيط لم يكن قد اختُرِع بعد، وكفر كشفهم في الباقي. وعلي بن أبي طالب رضي الله عنه لم يقل هذا الهذيان لأنه كان مسلماً مؤمناً ولم يكن من الضالين.

* أين الإيمان؟ وأين العقل والحياء؟ :-

يقول أبو الهدى الصيادي :

قال الشيخ شرف الدين أبوبكر بن عبد المحسن: . . . كنا مع السيد أحمد الصيادي قدس سره . . . وكنا كلما مررنا على نهر ماء استقبله السمك من النهر إلى الشاطىء وازدحم على قدميه . . . وكذلك الدواب والهوام والغزلان في البر الأقفر، حتى إن الحيوانات نراها تقف له على حافتي الطريق . . . ومات أحد إخوانه فجأة فجاءت إليه أم الميت وهو ساجد في صلاة الضحى، فتأخر في سجوده، فقالت: وحقك لو بقيت إلى يوم القيامة ساجداً لما تركتك إلا بولدي، فرفع رأسه الشريف باكياً، وإذا بالمريد قد قام حيًّا! فسجد شكراً لله على نعمته التي أنعمها عليه. وذكر المناوي أنه سجد سجدة واحدة

---

(١) قلادة الجواهر، ص١١٢.

فامتد سجوده سنة كاملة ما رفع رأسه حتى نبت العشب على ظهره[1]. .

خير جواب على مثل هذه التمثيليات التي تنصبها شياطين الجن شركاً للضلال والإضلال هو: لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، إنا لله وإنا إليه راجعون، اللهم إليك نشكو مكر شياطين الجن بأوليائهم الذين خُدِعوا بتمثيلياتهم فضلوا وأضلوا وأصروا على تدمير المسلمين.

*** حوار مع الله (سبحانه وتعالى)، ويعرض الله عليه ملكه وملكوته، وحديث لم يمر على رسول الله ولا عرفه جبريل :-**

يقول ابن عربي :

(وصية إلٰهية) حدثنا . . . قال لي علي بن الخطاب الجزري بالجزيرة، وكان من الصالحين؛ رأيت الحق في النوم فقال لي: يا ابن الخطاب تمنَّ! قال: فسكتُّ، فقال لي: يا ابن الخطاب تمنَّ! فسكتُّ. قال ذلك ثلاثاً، ثم قال لي في الرابعة: يا ابن الخطاب أُعرض عليك ملكي وملكوتي وأقول لك تمنَّ، وتسكت! فقال: قلتُ: يا رب، إن نطقتُ فبك، وإن تكلمتُ فبما تجريه على لساني، فما الذي أقول؟ فقال: قل أنت بلسانك، فقلت: يا رب قد شرَّفْتَ أنبياءك بكتبٍ أنزلتها عليهم، فشرفني بحديث ليس بيني وبينك فيه واسطة، فقال: يا ابن الخطاب، مَنْ أحسنَ إلى من أساء إليه فقد أخلص لله شكراً، ومَنْ أساء إلى مَن أحسنَ إليه فقد بدَّل نعمة الله كفراً، قال: فقلتُ: يا رب زدني، فقال: يا ابن الخطاب حسبك حسبك[2].

● **التعليق**: إنها الشياطين تضحك على ذقونهم وتتلاعب بعقولهم، فتضلهم وتضل بهم.

*** التجرؤ على الله سبحانه :-**

نقرأ في النفحات الأقدسية قوله:

. . . فهم ممَّن يحرفون الكلم عن مواضعه بتأويلهم الفكري الذي يحكمون به على

---

(١) قلادة الجواهر، ص٣٤٠.

(٢) الوصايا لابن عربي، ص٢١٧.

الله ، ويقولون هو منزه عن كذا والله ما نزَّه نفسه هذا التنزيه البارد، ولا نزهه رسوله ﷺ، بل أخبر رسول الله أن الله يعجب ويفرح ويضحك ويكذب ويشتم ويؤذي ويصبر على الأذى، فبُعث رسول الله ﷺ ليتمم مكارم الأخلاق، أي أخلاق الله، فكذب وشتم وأوذي وجاع وظمي ومرض واستقرض، وكل ذلك واردٌ في حق الله تعالى، فانطبق اسم الله عليه على الكمال والتمام[1]. .

ـ أيها القارىء، ألا تشعر بالحمى من سماع هذا الكلام؟ الله يكذب! ورسوله يكذب! واسم الله ينطبق على رسوله على الكمال والتمام! أي إن محمداً ﷺ هو الله!؟

وماذا يستطيع مسلم يؤمن بالله واليوم الآخر أن يقوله أمام هذا القول المرعب؟ ثم يتساءلون عن سبب فساد المسلمين؟ والأمر أوضح من نار على علم.

*** وأحاديث لم تمر على رسول الله ﷺ :ـ**

. . . ومن تآليفه (أي ابن عربي) أيضاً: كتاب الأحاديث القدسية، ذكَر فيه أنه لما وقف على الحديث المروي في فضائل الأربعين، بمكة المكرمة، سنة ٥٩٩هـ، جمعها بشرط أن تكون من المسندة إلى الله تعالى، ثم أتْبعها أربعين عن الله تعالى مرفوعة إليه، غير مُسندة إلى رسول الله ﷺ، ثم أردفها بأحد وعشرين حديثاً، فجاءت واحداً ومائة حديث إلٰهية[2]. . .

ـ ونضيف إلى هذا الضلال أن هناك أحاديث منامية منتشرة بين المتصوفة نورد منها مثلاً واحداً للتفكهة: حدث أحد الصوفيين المعروفين في دمشق على المنبر في خطبة جمعة فقال: حدثني شيخي (فلان) قال: حدثه شيخه (فلان) قال: رأيت رسول الله ﷺ في المنام، فقلت له: يا رسول الله! حدثني حديثاً أحدث به الناس، فقال: ما تزال الملائكة تصلِّي على العبد ما دام في فمه طعم البُنِّ!! قال له: زدني . . . إلخ. وكان مريدو هذا الشيخ يكتبون هذا الهراء باهتمام وكأنهم وقعوا على كنز، وحفظوه! وطبعاً، هم لا يحفظون شيئاً من حديث الرسول ﷺ. وقد علَّق الشيخ بعد إيراده هذا الهذيان، وتفاهتين أخريين معه أقبح منه، علَّق فقال: هذه أحاديث صحيحة لأن رواتها كلهم

---

(١) النفحات الأقدسية، ص١٦.

(٢) الفتوحات المكية: ٤ / ٥٥٥.

ثقات.

- أما نحن فنقول: اللهم إليك نشكو ما حل بالأمة الإسلامية من زيغ في الإيمان وجهل وذل وتخبط بسبب هذه الطائفة المارقة التي دمرت الإيمان والعلم والعقل والحياء.

□ **قصة مرسلة:**

أخبره الكشف أنه المهدي المنتظر، وأخبر بذلك المقربين من مريديه، وأخذوا يعدون العدة لليوم العظيم، يوم يأتيه الإذن من الكشف «اصدع بما تؤمر».

اشترى الحصان (أو اشتري له) من سلالة معروفة، وهيأ له في بلدة مجاورة اصطبلاً يناسب المقام، مقام حصان المهدي المنتظر، ووكل به سائساً خاصاً لخدمته، يطعمه اللوز والبندق والفستق الحلبي، ويتعهد نظافته وراحته آناء الليل وأطراف النهار؛ وهل يوجد من هو أحق بالخدمة والاعتناء من حصان المهدي المنتظر.

ومن أمناء سره وموضع ثقته شاب ملأ الإيمان قلبه؟ الإيمان بأن الشيخ وصل إلى أعلى درجات القدوسية، وتحقق بكامل الأسماء والصفات الإلهية؛ عين له الشيخ يوماً يخرجان به بعد صلاة الفجر، هذا يركب حصانه؛ حصان المهدي، وذاك يركب حصانه؛ حصان وزير المهدي، إلى مكان منعزل، حيث يمضيان ساعات في التدرب على النزال والطعان بالسيف والترس والسنان، لأن سنن الله في خلقه سوف تتبدل، فتخرس البنادق والمدافع، ويفقد البارود والمتفجرات خاصية انفجارها، وإن حدث وانهمر الرصاص وتساقطت القذائف، فبضربة من سيف المهدي تتحول إلى هباء منثور.

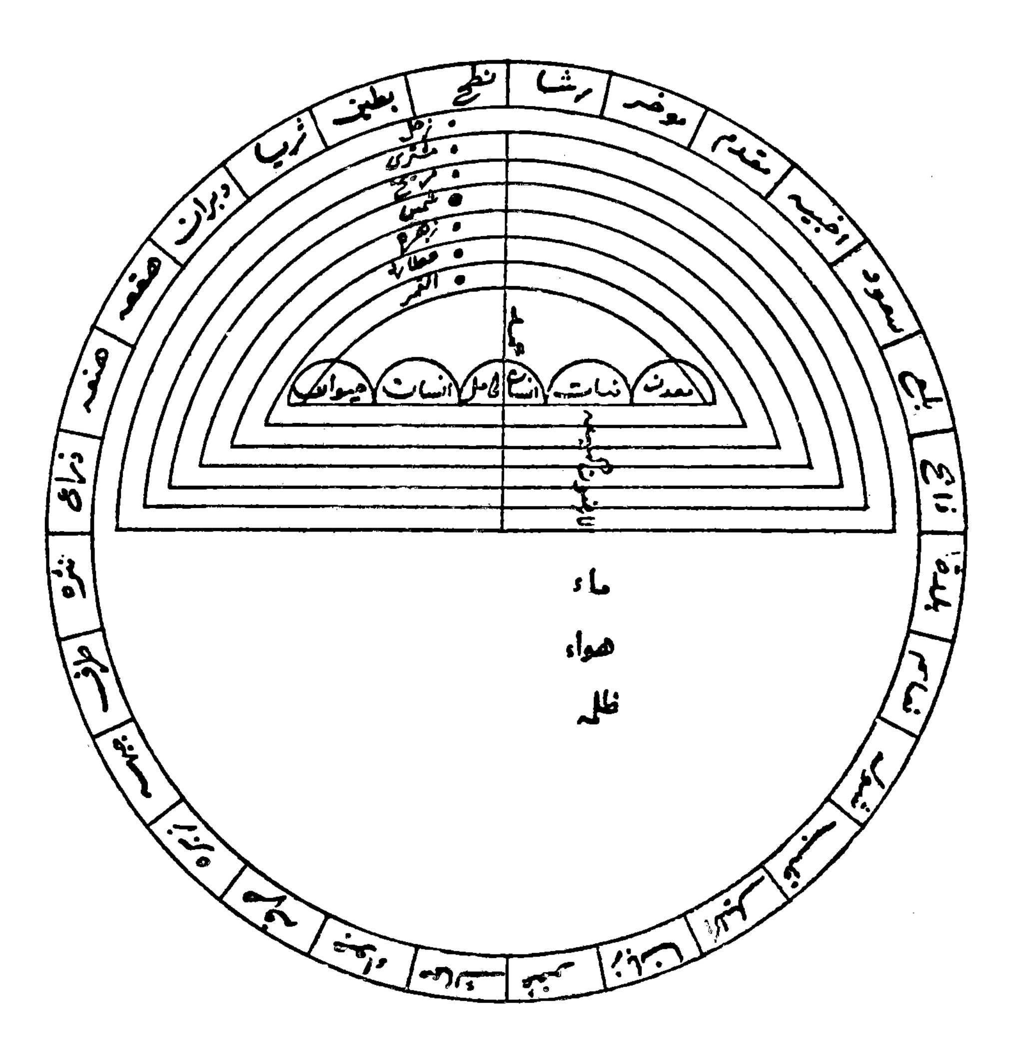
كان البدء منذ حوالي خمس عشرة سنة، وهو حتى الآن ينتظر الإشارة.

وعندما يخرج للعباد، وتنقاد له البلاد، سوف ينزل المسيح، وهو إسرائيلي من فلسطين، حيث يرفضه الناس لإسرائيليته، لذلك، وتسهيلاً لمهمته (مهمة المسيح)، فقد هيأ منشوراً مهدوياً في درج كبير سوف ينشره على الناس يقدمه به إليهم، ويزكيه ليقبلوه!!!

- ولنعد إلى كشوفاتهم الفلكية:

مما يورد ابن عربي في «الفتوحات المكية» (٣ / ٤٢٤):

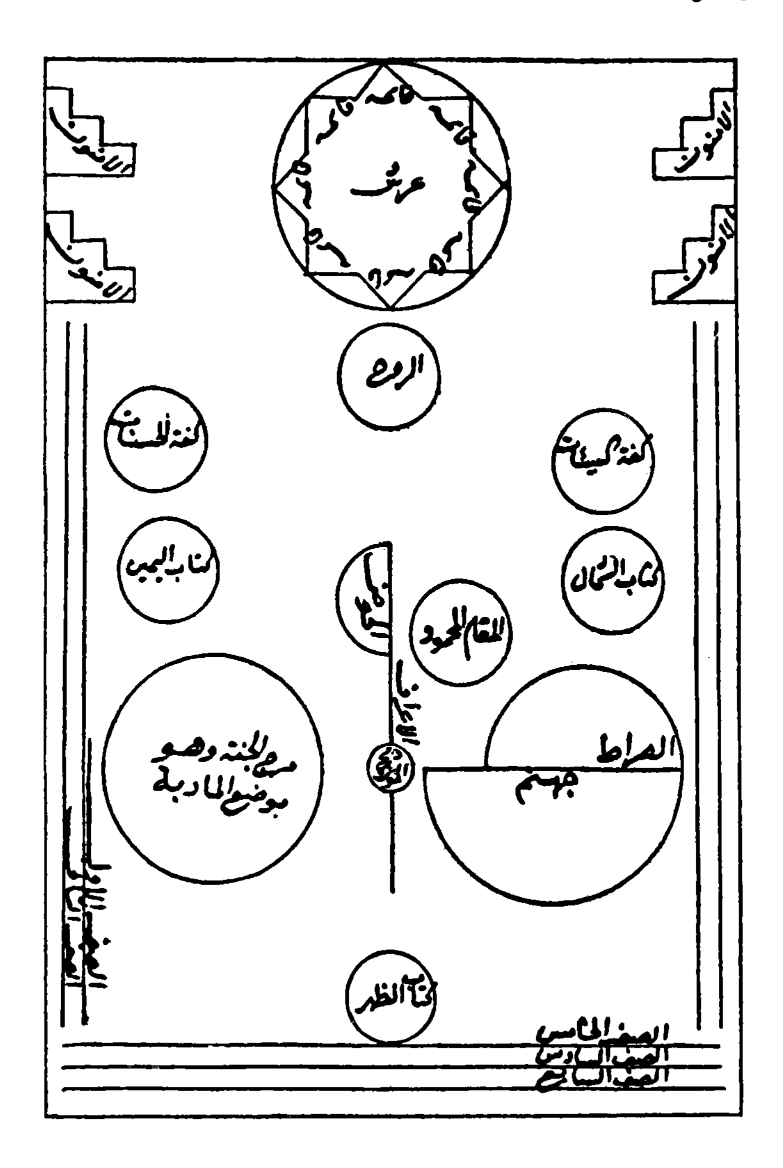
صورة الفلك المَكَـوْكَب وقبـاب السـماوت ومـا تستقـر عليه، وهو الأرض، والأركان الثلاثة، والعمد الذي يُمسك الله به القبة، والمعدن والنبات والحيوان والإنسان.



وأترك التعليق للقارىء الذي اطلع على شيء من علم الفلك، ليعرف مدى جهل كشفهم الـذي يسمـونـه نور اليقـين وحق اليقين وعين اليقين، والذي يقول الغزالي إنهم يعرضون عليه السمع والألفاظ لتصحيحها!

ويورد أيضاً في «الفتوحات المكية» (٣ / ٤٢٥):

صورة أرض المحشر وما يحوي عليه من الأعيان والمراتب وعرش الفصل والقضاء وحملته وصفوف الملائكة.



وهناك خرائط أخرى لم أوردها اكتفاءً بهذا.

وللعلم: ظهر في مدينة ليون بإسبانيا في أوائل القرن السادس الهجري كتابٌ لأحد أقطاب طريقة صوفية يهودية (الكابالا).

واسم الكتـاب (زوهـار) أي (الإشراق) وفيه صورة للمراتب الروحانية تشبه ما عَرَفه ابن عربي بالكشف وسجّله في «فتـوحـاتـه المكيـة»، مع فارق، هو أن الشكل المرسوم في الزوهار يتلاءم بشكله وأسمائه مع الديانة اليهودية، بينما خرائط ابن عربي معدَّلة حسب المفاهيم الإسلامية؛ وقد كان هذا الكتاب منتشراً في الأندلس في عصر ابن عربي!

ـ فما هي العلاقة؟ لا جواب! لكن يجب ألا ننسى الكشف والعلم اللدني.

*** كل المعبودات حق (والأوثان حق):ـ**

يقول ابن عربي (الشيخ الأكبر):

. . . فمِن عناية الله بنا، لّما كان المطلوب من خلقنا عبادته، أن قرَّب علينا الطريق، بأن خلقنا من الأرض التي أمرنا أن نعبده فيها، ولّما عَبَدَ منَّا مَن عبَدَ غيرَ الله، غار الله أن يعبد في أرضه غيره، فقال: وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه؛ أي حكم، فما عَبَدَ مَن عَبَد غير الله إلا لهذا الحكم، فلم يُعْبَد إلا الله وإن أخطؤوا في النسبة، إذ كان لله في كل شيء وجهٌ خاصٌّ به ثبت ذلك الشيء، فما خرج أحد عن عبادة الله[1]!؟

ـ معنى هذا الكلام أن أصنام الهندوس هي الله وأوثان اليونان هي الله، وأن اللات والعزى وغيرها كلها هي الله!

وإياك أيها القارىء أن تعترض، فتنطرد! لأنه الكشف الكشف الكشف.

*** ووصل الكشف بأهله إلى تكفير القرآن:ـ**

في حاشيـة الصـاوي على الجـلالـين، في شرح آية الاستثناء في سورة الكهف ﴿ولا تقولن لشيء إني فاعل ذلك غداً إلا أن يشاء الله﴾ جاء قوله: (أي قول الصاوي):

لا يجوز تقليد ما عدا المذاهب الأربعة، ولو وافق قول الصحابة والحديث الصحيح والآيـة!! فالخـارج عن المذاهب الأربعة ضالّ مضل، وربما أداه ذلك للكفر، لأن الأخذ

(١) الفتوحات المكية: ٣ / ٢٤٨.

بظاهرِ الكتاب والسنة مِن أصول الكفر[1]. اهـ.

● **التعليق:**

الكشفُ على كل ضلالٍ قدير، وبالكشفِ الباطلُ حقًّا يصير!!

إن من أبسط بدهيات الإسلام، وما يُعلم من الدين بالضرورة، أن القرآن والسنة هما مصدر الإسلام، وكل ما خالف القرآن والسنة فهو الكفر والزندقة والضلال. ومن البدهيات في الإسلام، أن كلمة «كفر» تعني مخالفة القرآن والسنَّة، لكن عندما يأتي قطب غوث كالصاوي أحمد ليقول: إن الأخذ بظاهر القرآن والسنَّة من أصول الكفر، فلا يبقى منطق ولا يبقى عقل ولا يبقى دين ولا يبقى علم ولا يبقى معلوم ولا يبقى فهم ولا يبقى مفهوم ولا يبقى فكر ولايبقى بحث ولا يبقى إسلام ولا يبقى إيمان . . . ولا يبقى إلا الجذبة والفناء عن كل ما وهبه الله للإنسان من مواهب، ولا يبقى إلا الهذيان والكشف عن الجهل والغباء. ومع ذلك، سلِّم تسلم، ولا تعترض فتنطرد!! لأن هؤلاء القوم عرفوا الأمور بنور اليقين وعينه وحقه، وسلام على الإسلام والعقل واليقين. وعلى كل حال، يجب أن لا ننسى أبداً أن الهنادكة والبوذيين واليهود . . . يرون أن ظاهر القرآن والسنَّة من أصول الكفر. وهذا القول يعطينا صورة صغيرة، لكنها واضحة، عن دور الصوفية في تشويه الرسالات السماوية.

*** حتى البول تظهر فيه القداسة:ـ**

أورد الغزالي في «إحيائه»:

. . . حُكي عن الجنيد أنه قال: مرض أستاذنا السَّرِيّ رحمه الله فلم نعرف لعلته دواء، ولا عرفنا لها سبباً، فوُصف لنا طبيب حاذق، فأخذنا قارورة مائه، فنظر إليه الطبيب وجعل ينظر إليه مليًّا، ثم قال لي: أراه بول عاشق، قال الجنيد: فصُعِقْتُ وغشي علي ووقعت القارورة من يدي، ثم رجعت إلى السري فأخبرته، فتبسم ثم قال: قاتله الله ما أبصره، قلت: يا أستاذ، وتَبين المحبة في البول؟ قال: نعم[2]. . . .

ـ لعل القارىء فطن إلى أن المحبة هنا هي محبة الله! وللعلم، يحدث مثل هذا تماماً

(1) تنزيه السنة والقرآن، ص١١.

(2) إحياء علوم الدين: ٤ / ٢٩٠.

لمدمني الأفيون والمهلسات.

*** دين عجيب :-**

يقول شهاب الدين السهروردي البغدادي :

. . . وحُكي عنه (عن إبراهيم الخواص) أنه قال : مكثتُ في البادية أحد عشر يوماً لم آكـل ، وتطلعتْ نفسي أن آكـل من حشيش الـبر ، فرأيت الخضر مقبلاً نحوي ، فهربت منه ، ثم التفتُّ فإذا هو رجع عني ، فقيل : لِمَ هربتَ منه؟ قال : تشوقتْ نفسي أن يغيثني[1]!

ويعلق السهروردي على هذه القصة بقوله : «فهؤلاء الفرارون بدينهم»!

ـ السؤال : أيُّ دين هذا الذي فرَّ به؟ إنه ليس الإسلام على كل حال! لأن رسول الإسلام ﷺ نهى عن الوصال في الصيام، وقال : من رغب عن سنتي فليس مني . . إذن ، فهؤلاء القوم ليسوا من أتباع رسول الله! فإلى من ينتمون؟

*** كل شيء عجيب حتى ورعهم (من مقام الورع) :-**

يقول الغزالي :

. . . فقـد امتنـع طائفـة منهم (من الصـوفيـة) عن الحلال المحض خيفة أن يشغل قلبه؛ وقد حُكي عن واحد منهم أنه احترز من الوضوء بماء البحر وهو الطهور المحض[2]؟!

ـ سؤال : ماذا فعـل إذن؟ لعله تيمم بالـتراب؟ وهو غير مجزىء ، والتراب أولى من ماء البحر أن يحترز منه ، إذ قد يكون سقطت عليه نجاسة ، أو يكون ملكاً لأحد فلا يبقى إلا إلغاء الوضوء ، وإلا ، فماذا فعل؟ هل صلى بدون وضوء؟ أو لعله توضأ بماء الغيب ، ثم صلى بأرض الغيب ، الـواقعـة في جزيرة الغيب ، التي هي إحدى جزائر بحر الغيب ، وصلى معه رجال الغيب ، في أوقات الغيب من أيام الغيب وشهور الغيب ، وإلا فماذا؟

---

(١) عوارف المعارف ، هامش الإحياء : ٢ / ٩٥.

(٢) إحياء علوم الدين : ٢ / ٩٥.

على كل حال، هذا الكلام لا يجوز أن يُناقش، لأن راويه هو حجة الإسلام، رواه في كتابه «إحياء علوم الدين» اسمان يصمان السمع ويثقبان الأذان.

*** بلا عنوان ولا تعليق ولا مناقشة:ـ**

قال أحمد التجاني:

ليس لأحدٍ من الأولياء أن يُدخل كافة أصحابه الجنة بغير حساب ولا عقاب إلا أنا وحدي ولو بلغوا ما بلغوا من الذنوب وعملوا ما عملوا من المعاصي، وأما سائر سادتنا الأولياء رضي الله عنهم فيُدخلون الجنة أصحابَهم بعد الحساب والمناقشة[1]. . . «إحِمْ».

*** كشفهم يكذب عليهم:ـ**

يقول عبد الوهاب الشعراني:

. . . قال الجلال السيوطي رحمه الله: واعلم أنه ما كان كبيرٌ في عصرٍ قط إلا كان له عدوٌّ من السفلة، إذ الأشراف لم تزل تُبتلى بالأطراف، فكان لآدم عليه السلام إبليس . . . وكان لعيسى في حياته الأولى بختنصر وفي الثانية الدجال[2]. . .

ـ هذا القول يقوله قطب، هو جلال الدين السيوطي، ويرويه عنه قطب الغوث الرباني، سيدي عبد الوهاب الشعراني، وكشف القطبين لم يساعدهما على معرفة أن بختنصر كان قبل عيسى صلوات الله عليه بأكثر من ستمائة سنة! ولكنه العلم اللدني الذي ينسخ آيات القرآن! فهل كثير عليه إن نسخ حقائق التاريخ؟

*** يفطر في رمضان تقرباً إلى الله:ـ**

يقول محمود أبو الفيض المنوفي:

. . . ومنها أن أحد الملامتية من الأولياء دخل بلداً، فأخذ الناس في تعظيمه، فسأل الله أن يصرفهم عنه، وكان ذلك في رمضان بالنهار، وهو صائم، ولما دعا الله، فأُلهم أنَّ بجيبه بلحة، فتناولها، فانصرف الناس عنه قائلين: إن الشيخ قد أفطر! فشكر الله على

---

(١) كشف الحجاب، ص٣٧٣ و ٣٧٤.

(٢) الكبريت الأحمر، هامش اليواقيت، ص١٢ و ١٣.

أن أَخْلَوْا ما بينه وبين ربه[1].

ـ يعلق محمود أبو الفيض المنوفي (قطب الغوث) على هذا الضلال بقوله: وهو وإن كان أفطر، ورأى القارىء أن الكفارة تلزمه! قلنا: إن مثل هذا يقضي ثلثي عامه صائماً قط؛ فإذا احتسب صوم بعض أيـامـه من الصـوم كفـارة للفطـر، فلا مانـع عنـده. (ولا تعليق، ولا تقريق، ولا تبويق) لأنه العلم اللدني اللدني اللدني اللدني . . .

* **لصوصية الولي ولصوصية السارق:ـ**

يقول الغوث عبد العزيز الدباغ:

. . . الفـرقُ بين أخـذ الولي صاحب التصرف متاع الناس، وبين أخذ السارق واللص له، الحجابُ وعدمُه، فالولي شاهدٌ لربه عز وجل، مأمورٌ من قِبَلِه بالأخذ، قال الله تعالى: ﴿وما فعلتُه عن أمري﴾ . . ولقد دخل سيدي منصور القطب رضي الله عنه إلى مولانا إدريس نفعنا الله به، فوجد سيدي أبا يعزى بن أبي زيان البكاري يزور، فأخذ بُلْغَتَه (نوع من الأحذية) وخرج، فقلت للشيخ رضي الله عنه في ذلك، فقال: الفرق بين أخذ الولي والسارق الحجابُ وعدمُه، فسيدي منصور لكونه قطباً مشاهداً البُلْغة له، ورآها في اللوح المحفوظ مِن قِسْمته، وسمع الأمر من الحق سبحانه بأخذها، يحلّ له الأخذ كيف أمكنه، والسارق محجوب غافل عن ربه. . .

يعلق نجم العرفان سيدي أحمد بن المبارك على هذه اللصوصية بقوله:

أعـاذنـا الله من سوء الانتقـاد على الكمَّـل من العبـاد[2]. . . «اهـ» أي لا تعترض عليهم فيما يفعلون!

* **وهكذا وصلنا إلى (اللصوصية المقدسة):ـ**

ويقول عبد العزيز الدباغ نفسه:

. . . إن الولي صاحب التصرف يمدُّ يده إلى جيب من شاء فيأخذ منه ما شاء من

---

(١) معالم الطريق إلى الله، ص٣٤٨ و ٣٤٩.   (٢) الإبريز، ص٢٠٧.

الدراهم، وذو الجيب لا يشعر! قلت: (القائل هو أحمد بن المبارك): لأن اليد الذي يأخذ بها الولي باطنية لا ظاهرية[1]...

أقول: هذه اللصوصية تعطينا صورة صغيرة، لكنها واضحة، عن سبب فساد المجتمعات الإسلامية.

*** والمعاصي كلها مباحة للولي! (مكراً بالأشقياء الذين يعترضون على الأولياء):-**

يقول الدباغ:

وإذا أراد الله شقاوة قوم وعدمَ انتفاعهم بالولي، سخَّرهم الحقُّ فيما هم فيه من قُبح ومخالفة، فيظنون أنه على شاكلتهم، وليس كذلك، حتى إنه يُتصور في طور الولاية أن يقعد الولي مع قوم يشربون الخمر، وهو يشرب معهم، فيظنون أنه شارب الخمر، وإنما تصوَّرتْ روحه في صورةٍ من الصور، وأظهرت ما أظهرت، وفي الحقيقة لا شيء، وإنما هو ظل ذاته تحرك فيما تحركوا فيه، مثل الصورة التي تظهر في المرآة[2]... اهـ. (الآن رقص من دون نقص، ترلم ترلم، ترلم ترلم).

*** عودة إلى كشف العورة:-**

يقول الدباغ نفسه: إن غير الولي إذا انكشفت عورته نفرت منه الملائكة الكرام، لأن الحياء يغلب عليهم، والمراد بالعورة العورة الحسّية، وهي ظاهرة، والعورة المعنوية التي تكون بذكر المجون وألفاظ السَّفَه؛ وأما الولي فإنها لا تنفر منه إذا وقع له ذلك، لأنه إنما يفعله لغرضٍ صحيح، فيترك ستر عورته لما هو أولى منه، لأن أقوى المصلحتين يجب ارتكابه، ويؤجر على ستر عورته وإن لم يفعله، لأنه ما منعه من فعله إلا ما هو أقوى منه، ولولا ذلك الأقوى لفعله، فكأنه فعلهما جميعاً فيؤجر عليهما معاً[3]...

- سؤال: ما هي المصلحة من كشف العورة؟ أي مصلحة؟ سواء كانت أقوى أو أضعف أو مساوية أو موازية؟ أو أو.

- جواب: لعل كشف العورة مقام من مقاماتهم، التي هي «المنجيات»! وإلا

---

(1) الإبريز، ص٢٠٥.
(2) الإبريز، ص٢٣١.
(3) الإبريز، ص٢٣٣.

فماذا؟؟

*** من أساليب تبرير الفساد والمعاصي :ـ**

ويقول عبد العزيز الدباغ أيضاً : إن الولي الكبير فيما يظهر للناس يعصي وهو ليس بعاص، وإنما روحه حجبت ذاته، فظهرت في صورتها، فإذا أخذت في المعصية فليست بمعصية، لأنها إذا أكلت حراماً مثلاً، فإنها بمجرد جعلها في فيها فإنها ترميه إلى حيث شاءت، وسبب هذه المعصية الظاهرة شقاوة الحاضرين والعياذ بالله[1] «انتهى».

ـ وهذا يفسر سبب فساد الأمة الإسلامية، وخاصة إذا علمنا أن العارفين ألف والمتكلم واحد.

*** يتنازلون عن مزاحمة الله في تصرفه حياء من الله وزهداً بالألوهية :ـ**

قال أبو طالب المكي :

. . . وفوقها (فوق مقامات ذكرها قبل هذا الكلام) ما لا يصلح رسمه في كتاب من مكاشفات الصديقين ومشاهدات العارفين، منها : أنه أعطاهم «كن» بإطْلاعه إياهم على الاسم، فزهدوا في كون «كن» لأجل «كان» توكلاً عليه وحياءً أن يعارضوه في قدرته ويرغبوا عن تقديره، أو يضاهوه في تكوينه[2] . .

ـ الجواب : نشكوهم إلى الله، فقد دمروا على المسلمين إيمانهم وعقولهم (أبو طالب المكي حجة عند القوم، وقوته حجة أيضاً) ولا تعترض.

*** التسول والكسل فضيلة (من مقامات التوكل والزهد) :ـ**

ويقول أبو طالب المكي أيضاً (ومعه الغزالي أيضاً) :

قد يفضل التارك للتكسب شغلاً بالعبادة، عن المتكسب، من حيث فضل المتقدمون الزاهدون في الدنيا على كاسب المال حلالاً ومنفقه في سبيل الله. وسئل الحسن عن رجلين، أحدهما محترف والآخر مشغول بالتعبد، أيهما أفضل؟ فقال : سبحان الله ! ما

---

(١) الإبريز، ص٢٣٢.

(٢) قوت القلوب : ٢ / ٩.

اعتدل الرجلان، المتفرغ للعبادة أفضلهما[1]!!

ـ السؤال: ما نفعل بقوله سبحانه: ﴿فاسعوا في مناكبها وكلوا من رزقه﴾؟ وما نفعل بأحاديث رسوله التي يجعل بعضُها العمل للتكسب بمرتبة الجهاد؟

الجواب: دعوتهم هذه ـ وكل عارفيهم يدعون لها ـ تفسِّر سبب انحطاط المسلمين.

*** ويقدمون الحكايات لتشجيع التواكل والكسل والتسول:ـ**

يقول أبو طالب المكي أيضاً والغزالي معه:

وحُكي أن بعض العلماء صلى خلف رجل، فلما انفتل الإمام، نظر إليه في زيٍّ غير مكتسب، فقال: يا شيخ، مِنْ أين تأكل؟ فقال: اصبر حتى أعيد الصلاة التي صليتها خلفك ثم أجيبك[2]!

ـ عجيب والله! أصبح الأمر بالمعروف مبطلاً للصلاة!؟ ثم يتساءل المتسائلون عن سبب فساد المسلمين!

ويقولان أيضاً (هو وهو):

وحدثونا في معناه عن آخر، أنه لزم العكوف في المسجد، ولم يكن ذا معلوم من عيش، فقال له الإمام الذي يصلي بالناس: لو تكسبت وتعيشت كان أفضل لك، فلم يجبه، فأعاد عليه وقتاً آخر نحو ذلك، فقال: يهودي في جوار المسجد قد ضمن لي كل يوم رغيفين، فقنعت بذلك، وتركتُ التكسب، فقال الإمام: إن كان صادقاً في ضمانه فإن عكوفك في المسجد خير لك، فقال له الرجل: يا هذا أنت لو لم تكن إماماً للمسلمين تقوم بينهم لنقص توجهك[2]....

● تعليق هام جدًّا:ـ

من هذه النصوص وما سبقها نستطيع أن نعرف سبب تأخر المسلمين وابتعادهم عن الإسلام ومصيرهم الحالي حيث هم الآن «أذل أمة في الأرض».

---

(١) قوت القلوب: ٢ / ٢٩، والإحياء: ٤ / ٢٣٢.

(٢) قوت القلوب: ٢ / ١٥، والإحياء: ٤ / ٢٣٢.

*** ويجعلون التشريع مستمرًا، ولتنسخ الآية الكريمة :ـ**

يقول محمد بن عبد الله بن حسنين الطصفاوي (التجاني) :

واعلم أن من المقرر عند العلماء والأعلام، أنه يُعمل بجميع ما يتلقاه العارفون منه عليه الصلاة والسلام، سواء في اليقظة أو المنام، ما لم يصادم شيئاً من النصوص القطعية، أو يؤد إلى انخرام قاعدة شرعية[1]. . .

ـ سؤالان: الأول: أي شيء في الصوفية لا يصادم النصوص القطعية (سواء في المجمل أو التفصيل)؟

ـ الثاني: يقول: «ما لم يصادم شيئاً من النصوص القطعية»! أفلا تصادم قاعدتكم هذه قوله سبحانه: ﴿اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً﴾؟ أوليست هذه الآية نصًا قطعيًا؟ إن لم تكن كذلك، فهل بقي أمامكم نص يمكن أن يكون قطعيًا؟!

*** المتصوفة يفقهون الإسلام أكثر من الصحابة :ـ**

يقول مولانا العارف بالله الشيخ محمد أمين الكردي (النقشبندي) :

. . . وعن العارف الوفائي قال: رأيت رسول الله ﷺ، فقال لي عن نفسه الشريفة: لست بميت، وإنما موتي عبارة عن تستري عمن لا يفقه عن الله، وأما من يفقه عن الله فها أنا ذا أراه ويراني[2]. . .

الجواب: هذا الكلام هو إنكار للآية الكريمة: ﴿إنك ميت وإنهم ميتون﴾، التي هي نصٌ قطعي، ورغم كل شيء يقولون: إن علومهم اللدنية وكشوفهم لا تصادم النصوص القطعية!؟ وكلها مؤيدة بالقرآن والسنة!؟

*** كيف يثبتون علومهم :ـ**

. . . كان سيدي أحمد (ابن إدريس صاحب الطريقة الإدريسية) يقول: أملى عليَّ

---

(١) الفتح الرباني فيما يحتاج إليه المريد التجاني، ص٩٩.

(٢) تنوير القلوب، ص٤٥.

رسول الله ﷺ الأحزاب (أي الأوراد) من لفظه.

وكان يقول: أخذنا العلم من أفواه الرجال كما تأخذون، ثم عرضناه على الله والرسول، فما أثبته أثبتناه وما نفاه نفيناه.

وقال (واصفاً الصلوات الإدريسية التي مر بعضها في فصل سابق): هذه الصلوات قد استوت على عرش الأنوار، وأرجلهن متدليات على كرسي الأسرار، تصلّين في كتاب الكمالات المحمدية، بقرآن الحقائق الأحمدية، قد طلعت في سماوات العلا شمسها، وارتفع عن وجه الكمال المحمدي نقابها، وبحرها في الحقائق الإلٰهية زاخر، ولهنَّ في القسمة من المعارف المحمدية حظ وافر، خذهن إليك يا من أراد أن يسبح في كوثر النور المحمدي، وجُلْ في عجائب معانيها يا من يبتغي الاغتراف من البحر الأحمدي، تتلو عليك من كتاب الحقائق المحمدية محكم الآيات[1]... إلخ.

- يترك التعليق على هذا الضلال للقارىء مع الرجاء أن يعود إلى الصلوات الإدريسية، وأن ينتبه إلى دور الشياطين في المسرحية.

*** يتيمم على شط دجلة!:-**

... وعن أحمد الدورقي قال: قعد معروف الكرخي على شط دجلة، فتيمم! فقيل له: الماء قريب منك، فقال: لعلي لا أعيش حتى أبلغه[2]!

- القول على هذا الفعل:

١ - صلاته باطلة لأنها دون طهارة، وإذا حضر الماء بطل التيمم، وكشفه كان أجهل منه.

٢ - من أي باب من أبواب المقامات الصوفية يمكن أن يكون هذا العمل؟ هل هو من مقام الفقر؟؛ أم الزهد؟ أم الورع؟ أم الخوف؟ أم التوكل؟ أم ماذا؟ ولا يسعنا إلا أن نقول له ولهم: مرحباً يا تقى، مرحباً يا ورع، مرحباً يا زهد، مرحباً يا معروف الكرخي،

---

(١) أفضل الصلوات على سيد السادات، ص١٧٢ و١٧٣.

(٢) حلية الأولياء، (معروف الكرخي).

مرحباً يا أبا نعيم الأصفهاني (الذي أورد هذه القصة) وعلى الإسلام السلام، وعلى العقل السلام.

وللعلم: راوي هذه القصة (وكثير من أمثالها) هو أبو نعيم الأصفهاني في الحلية.

*** فرعون صادق بادعائه الربوبية:-**

قال سهل بن عبد الله (التستري):-

. . . وسُئل عن سر النفس؟ فقال: النفس سر، ما ظهر ذلك السر على أحد من خلقه إلا على فرعون؟ فقال: أنا ربكم الأعلى، ولها سبع حجب سماوية، وسبع حجب أرضية، فكلما يدفن العبد نفسه أرضاً أرضاً، سما قلبه سماءً سماءً، فإذا دفنت النفس تحت الثرى، وصلت بالقلب إلى العرش[1].

- السؤال: أليس هذا تكذيباً لآيات القرآن الكريم؟؟ وماذا بقي من الإسلام؟ يا ناس أجيبونا. ورغم ذلك يقولون: إن علومهم مؤيدة بالقرآن والسنة! فجورٌ عجيب والله!

*** يستطيع أن يحرق العرش والكرسي:-**

قال الطوسي في اللمع (الكتاب الأم):

. . . حُكي عن الشبلي أنه أخذ من يد إنسان كسرة خبز فأكلها، ثم قال: إن نفسي هذه تطلب مني كسرة خبز، ولو التفت سرِّي إلى العرش والكرسي لاحترق. أو كما قال[2].

- النقش على هذا الفقش: شر البلية شيئان:

أولاً: ما يضحك.

ثانياً: عبارة «أو كما قال»!

---

(١) اللمع، ص٢٩٩، والإحياء: ٤ / ٦١. والرسالة القشيرية، ص٥، مع اختلاف الألفاظ، وأيضاً إحياء علوم الدين: ٣ / ٢٤٣.

(٢) اللمع، ص٤٧٩.

ويقول الطوسي أيضاً:

. . . شهـدوا على أبي الحسـين النـوري أنـه سمـع أذان المؤذن فقال: طعنة وشم الموت! وسمع نباح كلب، فقال: لبيك وسعديك[1] . . .

● **ملاحظة:ـ**

مر مثل هذا الضلال في مكان سابق، ولن تعدم زنديقاً أو جاهلاً يقول لك: «هذا له تأويل».

وقال أيضاً:

سمعت أبا عبد الله بن جابان يقول: دخلت على الشبلي في سنة القحط، فسلمت عليه، فلما قمتُ على أن أخرج من عنده، فكان يقول لي ولمن معي، إلى أن خرجنا من الدار: مرُّوا، أنا معكم حيثما كنتم، أنتم في رعايتي وفي كلاءتي. قلت: أراد بقوله ذلك: إن الله تعالى معكم حيثما كنتم وهو يرعاكم ويكلؤكم وأنتم في رعايته وكلاءته.

فالمعنى في ذلـك أنـه يرى نفسـه مَحْقاً فيما غلب على قلبه من تجريد التوحيد وحقيقة التفريد. والواجد إذا كان وقته كذلك، فإذا قال: أنا، يعبّر عن وجده، وعن الحال الذي قد استولى على سره[2]. . . إلخ.

ـولا تعليق، ولا نقش ولا فقش، حتى ولا رقص، لا مع النقص ولا بدون نقص. لكن ما أكثر الزنادقة والجهلة، الذين يقولون: «هذا له تأويل» أو «هذا مدسوس»، ونقول لهم: إنـه غير مدسـوس، ومعنـاه أنـه كان في ذلك الوقت متحققاً بالألوهية، فقال كلامه ذلك بصفته أنه الله (جل وعلا).

* **بالِمْ سلطان:ـ**

. . باليم سلطـان، أي سلطـان العسـل (توفي سنة ٩٢٢هـ) وهو مجدد البكتاشية، وأمـه أمـيرة مسيحيـة بلغـاريـة، وأبوه بكتاشي هو مرسل بابا، وقد حملت منه بأن تناولت

---

(١) اللمع، ص٤٩٢.

(٢) اللمع، ص٤٧٨.

الأميرة عسلاً، تناولته من يد الشيخ مرسل بابا، ولذلك سمي باليم سلطان[1].

ـ نقش على هذا الفقش: الـذين يدَّعـون الألـوهيـة ليس بكثـير عليهم أن يدعـوا لأنفسهم ولادة كولادة المسيح. أما سبب الحمل فعلمه عند الله.

وللتـذكـير: البكطاشيون الآن، يحلّون الخمور، ويعترفون بخطاياهم للشيخ فيغفر لهم، وأشياء أخرى.

*** يسجدون للشيخ (ولا تعترض):ـ**

نعمـة الله[2]، الـولي العلوي الحلبي . . . استقـرَّ في ماهان من كرمان. كان مريدوه يسجدون له، ويرون أنه المعنيُّ بالآية: ﴿يعرفون نعمة الله ثم ينكرونها وأكثرهم الكافرون﴾[3]. «انتهى». (هس س س س س، لا تعترض).

*** عبادة من نوع عجيب:ـ**

يقول عبد الكريم القشيري:

قال بعضهم: وُصِف لي ذاكـرٌ في أجمـة، فأتيتـه، فبينـما هو جالس، إذا سبع عظيم ضربـه واستلب منـه قطعـة (أي قطعة من لحمه)، فغشي عليه وعليَّ، فلما أفاق قلت: ما هذا؟ فقال: قيض الله هذا السبع عَلَيَّ، فكلما دخلتني فترة عضّني عضة كما رأيت[4].

١ ـ هذا الذاكر هو أحد رجلين:

أ ـ إمـا أنـه أهـدى من محمـد ﷺ، لأن محمـداً لم يأت بمثل هذا الذكر ولا مثل هذه العبادة، ولا عرفها أصحابه.

ب ـ أو أنه سائر في إحدى متاهات الضلال البعيد . .

٢ ـ ما هي نتائج العضات وقطع اللحم التي كان السبع ينهشها من جسمه؟

---

(١) الفكر الشيعي والنزعة الصوفية، (فصل البكتاشية).

(٢) من أتباع ابن عربي، مؤسس الطريقة النعمتللاهية، أوسع الطرق انتشاراً في إيران.

(٣) الصوفية بين الأمس واليوم، ص١١٩.

(٤) الرسالة القشيرية. ص١٠٣.

٣ ـ ما أكثر الزنادقة والمغفلين الذين يقولون: «إن هذا مدسوس»، فنجيبهم ألا لعنة الله على الكاذبين.

* **الصوفية يحاربون الشريعة والعلم:ـ**

يقول ابن عجيبة:

. . . وقال شيخ شيوخنا سيدي علي رضي الله عنه: الجلوس مع العارفين أفضل من العزلة، والعزلة أفضل من الجلوس مع العوام، والجلوس مع العوام أفضل من الجلوس مع المتفقرة الجاهلين، قلت (القائل هو ابن عجيبة): والجلوس مع علماء الظاهر أقبح في حق الفقير من جميع ما تقدم، والله ما رأيت فقيراً صحبهم فأفلح في طريق القوم أبداً، فلا قاطع أعظم منهم[1]. . .

ـ من أمثال هذه النصوص ندرك سبب بعد المسلمين عن إسلامهم، وسبب جهلهم به، وبالتالي سبب انحدارهم إلى مستوى الجهل والذل الذي يتخبطون فيه.

ـ لكن. . هل تفرد ابن عجيبة في هذا التوجيه؟

ـ الجواب: لا، فهو يسير في طريق القوم، وقد مرت أمثلة، وهذه أخرى: يقول شهاب الدين السهروردي البغدادي «إمام الوجود».

. . . قال أبو سليمان الداراني: ثلاث من طلبهن فقد ركن إلى الدنيا، من طلب معاشاً أو تزوج امرأة أو كتب الحديث[2]!!

ويقول الغزالي «حجة الإسلام» (داعياً للجهل والتنبلة):

. . . وقال الجنيد رحمه الله: أحب للمريد المبتدىء أن لا يشغل قلبه بثلاث، وإلا تغير حاله، التكسب وطلب الحديث والتزوج. وقال (أي الجنيد): أحب للصوفي أن لا يكتب ولا يقرأ، لأنه أجمع لهمه[3]. . .

ويقول الطوسي في اللمع (داعياً للجهل):

---

(١) الفتوحات الإلهية، ص٣٣٠.

(٢) عوارف المعارف على هامش الإحياء: ٢ / ١٦٥.

(٣) إحياء علوم الدين: ٤ / ٢٠٦.

. . . وقال بعضهم: إذا رأيت الفقير قد انحط من الحقيقة إلى العلم، فاعلم أنه قد فسخ عزمه وحل عقده[1] . . .

وقال أيضاً (داعياً للجهل):

قال الجنيد: إذا لقيت الفقير فالقه بالرفق ولا تلقه بالعلم، فإن الرفق يؤنسه والعلم يوحشه[1].

وقال أيضاً (من مقام التوكل):

سمعت أحمد بن علي الوجيهي يقول: سمعت بعض المشايخ يقول: حج حسن القزاز الدينوري رحمه الله اثنتي عشرة حجة حافياً، مكشوف الرأس، فكان إذا دخل في رجله الشوك يمسح رجله بالأرض ويمشي ولا يطأطىء رأسه إلى الأرض من صحة توكله[2].

- سؤال: صحة توكله هذه من أين جاء بها؟ وما هو دليله عليها من قرآن أو سنة أو عمل صحابة؟؟ نعم، يمكن وجود الدليل في الهندوسية والبوذية.

*** دعوة إلى الكسل:-**

يقول أبو نصر الطوسي في اللمع (الكتاب الأم في تاريخ التصوف الإسلامي):

وسمعت الدُّقِّي يقول: أقمت بمكة تسع سنين، وكنت اعتقدت أن لا أصلي صلاتين في موضع واحد، فكان يمر بي من الجوع ما إذا رأيت جنازة أقول: ليتني كنت مكان هذا الميت، قال: وكان يقع في قلبي في الوقت: «يا هذا أليست هذه الفاقة التي لك لا يعلم بها أحد غير الله»، فكنت أشتغل بذلك، ويذهب عني ما أجد من الجوع[3].

● الملاحظات:-

١ - هو آثم وليس مأجوراً، لأن الجوع والكسل والضيام الموصول ليس من تعاليم الإسلام.

---

(١) اللمع، ص٢٣٣.
(٢) اللمع، ص٢٢٣.
(٣) اللمع، ص٢٢٥ و٢٢٦.

٢ ـ هذه القصة وغيرها تدلنا على سبب انتشار «التنابل» في العالم الإسلامي حتى زمن قريب، حيث لم نزل نسمع بتنابل التكايا، مثل: «تنابل اصطنبول، وتنابل بغداد، وتنابل دمشق، وغيرهم من التنابل الذين كانوا منتشرين في التكايا المنتشرة في طول البلاد وعرضها».

٣ ـ كان اعتقد أن لا يصلي صلاتين في موضع واحد! وماذا في هذا الاعتقاد من الفضل؟ وماذا لو صلى في أي مكان ييسره الله له؟ وهل هو مأجور على اعتقاده هذا؟ وهل؟ وهل؟ . . . . وماذا فعل بصلاة الجماعة؟!

*** يزهدون في الدنيا والآخرة! فماذا يريدون؟ :ـ**

ويقول الطوسي أيضاً (من آداب الحج):

فإذا دفعوا مع الإمام إلى المزدلفة، فأدبهم أن يكون في قلوبهم العظمة والإجلال لله تعالى، فإذا دفعوا مع إمامهم جعلوا الدنيا والآخرة وراء ظهورهم[1]!؟

ـ الجواب على هذا الضلال نجده في آيات كثيرة، نكتفي بواحدة منها:

﴿اعبدوا الله وارجوا اليوم الآخر ولا تعثوا في الأرض﴾.

إنه سبحانه يأمرنا أن نعبد الله ونرجو اليوم الآخر، فما بال علومهم اللدنية تأبى إلا أن تكون مخالفة للقرآن الكريم؟ وقد رأينا مثل هذا القول في النصوص السابقة، ولا بأس من الرجوع إليها لجلاء الذاكرة . . . ورغم كل ذلك، يقولون: إن علومهم مؤيدة بالقرآن والسنة!

*** عودة إلى الجهل :ـ**

يقول الطوسي نفسه في كتابه «اللمع» نفسه:

قال أبو يزيد البسطامي: صحبت أبا علي السندي، فكنت ألقنه ما يقيم به فرضه، وكان يعلمني التوحيد والحقائق صرفاً[2].

---

(١) اللمع، ص٢٢٨ و ٢٢٩.

(٢) اللمع، ص٢٣٥.

ـ السؤال: لِمَ لم يعلمه كشفه ما يقيم به فرضه؟ وما هو هذا التوحيد والحقائق مع كل هذا الجهل؟

*** عودة إلى القمل:ـ**

. . . سئل المرتعش النيسابوري رحمه الله عن الفقير فقال: الذي يأكله القمل ولا يكون له ظفر يحك به نفسه[1].

ولا تعليق، لكن القارىء يعلم الآن أن معنى كلمة «الفقير» أي الولي الصوفي.

*** تأديب النفس على طريقة الهندوس:ـ**

يقول أبو نصر الطوسي عن أبي نصر الروذباري:

. . . وذكر عن ابن الكَرَيني، وكان أستاذ الجنيد رحمه الله، أنه أصابته الجنابة ليلة من الليالي، وكانت عليه مرقعة ثخينة غليظة . . . فجاء إلى الشط ليلة، وكان برد شديد، فحرفت نفسه عن الدخول في الماء لشدة البرد، قال: فطرح نفسه في الماء مع المرقعة، ولم يزل يغوص في الماء مع مرقعته ثم خرج من الماء، وقال: اعتقدت أن لا أنزعها من بدني حتى تجف عليّ، قال: فلم تجف عليه شهراً كاملاً؛ وأراد بذلك تأديباً لنفسه لأنها حرنت عند الائتمار لما أمر الله تعالى به[2].

ـ سؤالنا: ما هذا الدين الذي يدين به هؤلاء القوم؟ إنه ليس الإسلام على كل حال؟! وما هذه الغبائيات الجاهلة الحمقاء؟ لكن هذا وغيره يفسر لنا سبب انحطاط الأمة الإسلامية وضياعها التاريخي العجيب بعد تلك النهضة العجيبة.

ويقول الطوسي أيضاً:

وحكي عن إبراهيم بن شيبان أنه قال: كان أبو عبد الله المغربي رحمه الله يدخل البادية وعليه إزار ورداء أبيض، وفي رجله نعل طاق كأنه يمشي في السوق، فإذا دخل مكة وفرغ من الحج أحرم من تحت الميزاب، ويخرج من مكة، وهو محرم، ويقيم على إحرامه إلى أن يرجع إلى مكة[3].

---

(1) اللمع، ص١٥٢.
(2) اللمع، ص١٩٨.
(3) اللمع، ص٢٢٤.

ـ الجـواب : كل العبـادات باطلة إلا ما نزل به نص . فعبـادتـه هذه باطلة وهـو فيها بدعي آثم . ونـرد عليـه وعلى أمثـاله من المبتدعين بالآية الكريمة ﴿أم لهم شركاء شرعوا لهم من الدين ما لم يأذن به الله﴾ .

ولعـل القـارىء الكـريم عرف أن العبـادة المبتـدعة هنا هي إحرامه طيلة السنة عند خروجـه من الحـرم إلى بيتـه حتى عودته إلى الحرم ، ولعل القارىء يرى التفاهة الفكرية والانحراف في العقيدة في مثل هذه البدع التي يخيل لهم شيطانهم أنها ولاية لله ، وما هي إلا ولاية للشيطان .

*** طريقان ينبت فيهما الذهب والفضة! أين هما؟ :ـ**

يقول الطوسي نفسه :

وحكي عن إبـراهيم الخـواص رحمـه الله أنه قال : أعرف في البادية تسعة عشر طريقاً غير الطريق الذي يسلكه الناس والقوافل . طريقان منها ينبت فيهما الذهب والفضة[1]!

ـ جوابنا مثل جواب سابق : ترلم ترلم ترلم .

ويقول القشيري في «الرسالة القشيرية» (وفي الإعادة إفادة) :

. . . وقـال الـواسطي : ادعى فرعـون الـربوبية على الكشف وادعت المعتزلة على الستر ، تقول : ما شئت فعلت[2] . . .

ـ إذن ففرعون هورب فعلاً ، لأنه ادعى الربوبية على الكشف الذي هونور اليقين ، وحق اليقين ، وعين اليقين! فنسأل أهل الذكر : ما هو الكفر؟

ويقول القشيري أيضاً في رسالته :

. . . ولقـد قيـل للجنيـد : العـارف يزني يا أبـا القـاسم؟ فأطرق مليًّا ثم رفع رأسه وقال : وكان أمر الله قدراً مقدوراً[3] .

---

(١) اللمع ، ص٢٢٤ .

(٢) الرسالة القشيرية ، ص٥ ، واللمع ، ص٢٩٩ ، والإحياء : ٤ / ٦١ مع اختلاف في الألفاظ .

(٣) الرسالة القشيرية ، ص١٦٠ .

ـ إذن فالزنا لا يضر شيئاً بالولاية، وطبعاً يحل للولي كل شيء.

ويقول نفسه:

. . . كان يقال للنصراباذي كثيراً: إن عليًّا القوال يشرب بالليل ويحضر مجلسك بالنهار؛ وكان لا يسمع فيه ما يقال، فاتفق أنه كان يمشي يوماً ومعه واحد ممن يذكر عليًّا بذلك، فوجد عليًّا مطروحاً في موضع وقد ظهر عليه أثر السكر وصار بحيث يغسل فمه، فقال الرجل: إلى كم نقول للشيخ ولا يسمع! هذا علي بالوصف الذي نقول، فنظر إليه النصراباذي وقال للعذول: احمله على رقبتك وانقله إلى منزله، فلم يجد بدًّا من طاعته فيه[1]. . .

● التعليق:

لعلهم يرون أن الله سبحانه قد غلط عندما أنزل الحدود، وعندما قال: ﴿تلكَ حدودُ الله فلا تَعْتَدوها﴾، وقال: ﴿ومَن يَتَعَدَّ حدودَ الله فأُولٰئكَ همُ الظالمونَ﴾، فجاء هٰؤلاء المكاشفون ليصلحوا غلطه! فألغوا حد شارب الخمر، وأكرموه! فعلوم الأولياء فوق علوم الأنبياء! ورغم ذلك يقولون: إن علومهم الكشفية لا تصادم النصوص القطعية، بل هي مؤيدة بها!

● تنبيه:

يفرض الإسلام على هؤلاء أن يقدموا السكير إلى القضاء ويشهدوا عليه بما رأوه، والقاضي هو الذي يقيم عليه الحد.

*** عودة إلى الدعوة إلى الجهل:ـ**

يقول القشيري (إياه) في رسالته (إياها) داعياً إلى الجهل:

. . . وقال الخضري: وأصولنا في التوحيد خمسة أشياء: رفع الحدث وإفراد القدم وهجر الإخوان ومفارقة الأوطان، ونسيان ما علم وجهل[2].

---

(١) الرسالة القشيرية، ص١٠٥.

(٢) الرسالة القشيرية، ص١٣٥.

ويقول أيضاً داعياً إلى الجهل:

قال الجنيد: التوحيد الذي انفرد به الصوفية هو إفراد القدم عن الحدث، والخروج عن الأوطان وقطع المحاب وترك ما علم وجهل[1]. . .

ويقول أيضاً داعياً إلى الجهل:

وحكي عن أبي القاسم بن مروان النهاوندي قال: كنت أنا وأبو بكر الوراق مع أبي سعيد الخراز نمشي على ساحل البحر نحو صيدا، فرأى شخصاً من بعيد، فقال: اجلسوا. لا يخلو هذا الشخص أن يكون وليًّا من أولياء الله، قال: فما لبثنا أن جاء شاب حسن الوجه وبيده ركوة ومعه محبرة وعليه مرقعة، فالتفت أبو سعيد إليه منكراً عليه لحمله المحبرة مع الركوة[2]. . .

● **التعليق:**

إنكارهم على الناس حمل المحبرة (أي الاشتغال بالعلم)، وطلبهم إليهم نسيان ما علم وما جهل هو جزء من رسالة التصوف التي ينشرونها في المجتمع الإسلامي، وهذا يفسر لنا سبب انحطاط الأمة الإسلامية إلى ما هي فيه من الجهل والبعد عن الإسلام وسبب كل ما تتخبط فيه مما يلمسه كل من فيه شيء من الإدراك.

ـ وفي قول الجنيد ملاحظة هامة جدًّا! هي قوله: «التوحيد الذي انفرد به الصوفية»، والذي يدل بوضوح واضح وصراحة صريحة وبيان مبين أن توحيدهم هو غير توحيد المسلمين، (إنهم انفردوا به). والإقرار أعلى الأدلة.

وأرجو من القارىء أن يتسلى بتحليل عبارة: «إفراد القدم عن الحدث»، ومثلها: «رفع الحدث وإفراد القدم».

ـ ومن الملاحظات الكثيرة التي يمكن تسجيلها على هذه النصوص نشير إلى واحدة هي قول الخراز عن الشخص: «لا يخلو أن يكون وليًّا من أولياء الله» وقد ورد في ثنايا الكتاب بعض الآيات والأحاديث التي تردّ على مثل هذا الافتراء على الله.

---

(١) الرسالة القشيرية، ص١٣٦.

(٢) الرسالة القشيرية، ص١٦٧.

* عودة إلى نبذ الآخرة والزهد فيها :ـ

يقول القشيري «إياه» في رسالته «إياها» :

. . . وقيل : إن إبراهيم بن أدهم قال لرجل : أتحب أن تكون لله وليًّا؟ فقال : نعم، فقال : لا ترغب في شيء من الدنيا والآخرة وفرغ نفسك لله تعالى[1] . . .

ـ الأجوبة كثيرة على من لا يريد الآخرة، منها قوله سبحانه : ﴿منكم مَن يريدُ الدنيا ومنكم مَن يريدُ الآخرة﴾ ، فمن أي صنف هؤلاء القوم؟ وهم لا يريدون الدنيا ولا يريدون الآخرة، ويقول سبحانه : ﴿يريدُ الله ألا يجعَلَ لهم حظًّا في الآخرة﴾ ، وواضح أن هذا هو العقاب الشديد، وهؤلاء رفضوا حظَّ الآخرة سلفاً! فماذا بقي لهم؟ لعلهم يعلِّمون الله سبحانه ما لم يعلم؟! ويقول سبحانه : ﴿مَن كان يُريدُ حَرْثَ الآخرةِ نَزِدْ لهُ في حرثِهِ﴾ ، وهؤلاء لا يريدون حرث الآخرة، ويقول سبحانه : ﴿كلاَّ بلْ لا يخافونَ الآخِرة﴾ ، وهؤلاء لا يخافون الآخرة ولا يرجونها . . . والآيات والأحاديث كثيرة. ثم يقولون ـ ويا لهول ما يقولون، ويا للفجور والكيد والمكر فيما يقولون ـ : إن علومهم وكشوفهم لا تصادم النصوص القطعية!؟ وكلها مؤيدة بالقرآن والسنة.

* يحرفون الكلم من بعد مواضعه :ـ

يقول القشيري في رسالته التي يدرسها علماؤهم في مساجد المسلمين الغافلين :

. . . وكذا أصحاب الحقائق يكونوا محواً عن نعوت الخلائق، قال الله تعالى : ﴿وتحسبُهُم أيقاظاً وهم رقودٌ﴾[1] . . .

ـ لا جرم أن القارىء الكريم غدا الآن على معرفة تامة بمعنى العبارة : «محواً عن نعوت الخلائق»، ومع ذلك فلا بأس من شرحها؛ يقول : إن أصحاب الحقائق، أي : الذين عرفوا الحقيقة وتحققوا بها، يكونون قد انمحت عنهم صفات الخلق، لقيامهم بصفات الحق، فظاهرهم مخلوقات، ولكن حقيقتهم هي الألوهية بنعوتها وصفاتها. ويجعل الآية الكريمة : ﴿وتحسبُهُم أيقاظاً وهم رقودٌ﴾ مشيرة إلى ضلالهم هذا. وهذه

---

(١) الرسالة القشيرية، ص١١٨.

صورة من تحريفهم لمعـاني الآيـات الكـريمـة . ثم يقولون : إن علومهم وكشوفهم مؤ يدة بالقرآن والسنة ! ؟

*** ومن الولاية الصنياح وتمزيق الثياب واللطم والرقص :-**

يقول القشيري في رسالته :

. . . وقيل : السماع فيه نصيب لكل عضو، فما يقع إلى العين تبكي ، وما يقع إلى اللسان يصيح ، وما يقع إلى اليد تمزق الثياب وتلطم ، وما يقع إلى الرجل ترقص[1] . . .

- ولا تعليق ، ولكن هذا يذكرنا بأشياء؟ منها : «نحلة إلوسيس» ، وكهانة الهندوس .

*** ويكذبون على رسل الله وعلى الله تعالى :-**

ويقول القشيري :

. . . وقال خير النساج : قص موسى بن عمران صلوات الله عليه على قوم قصة ، فزعق واحـد منهم ، فانتهـره موسى ، فأوحى الله إليـه : يا موسى ! بطيبي فاحوا ، وبحبي باحوا ، وبوجدي صاحوا ، فلم تنكر على عبادي[2] .

- السؤال : من أين عرفوا هذا الافتراء؟ والجواب : ﴿ومَن أظلمُ ممَّن افترى على الله الكـذبَ﴾ ، ﴿انظُـرْ كيفَ يفـترونَ على الله الكـذبَ وكَفى به إثـماً مبينـاً﴾ . . . ثم إن الكذب على رسل الله هو من الأسباب الرئيسية التي جعلت الأقوام يخرجون من دين الله .

*** لا صوفية دون محاربة العلم :-**

ويقول القشيري «إياه» :

سمعت منصـوراً المغـربي يقـول : رأى بعضهم الخضر عليه السلام ، فقال له : هل رأيت فوقـك أحـداً؟ فقـال : نعم ، كان عبـد الـرزاق بن همام يروي الأحـاديث بالمـدينة والناس حوله يستمعون ، فرأيت شاباً بالبعد منهم ، رأسه على ركبتيه ، فقلت : هذا عبد

---

(١) الرسالة القشيرية ، ص١٥٧ .

(٢) الرسالة القشيرية ، ص١٥٧ .

الـرزاق يروي أحـاديث رسـول الله ﷺ، فلِمَ لا تسمع منه؟ فقال: إنه يروي عن ميت، وأنـا لست بغـائب عن الله عز وجـل، فقلت له: إن كنت كما تقـول فمن أنا؟ فرفع رأسه وقال: أنت أخي أبو العباس الخضر. فعلمت أن لله عباداً لم أعرفهم[1].

- الجواب:

١ - الخضر توفي في زمنه، وكذب الذين يقولون: إنه حي، وضلوا وهم جاهلون.

٢ - هذا الـذي يتراءى لهم هو شيطـان، يضحـك على ذقونهم، أو هو في غالب الأحيان صورة كشفيـة يراهـا العـارف الكـامـل الذي وصل إلى مقام لا يميز فيه بين الكشف والواقع في أحيان كثيرة.

٣ - عبد الرزاق بن همام لم يحدث بالمدينة، وإنما حدث باليمن، فكشفهم جاهل.

٤ - من رسـالتهم في الحيـاة محاربـة العلم باسم العلم اللدني الذي يقولون فيه: «حدثني قلبي عن ربي»! وهذه الجهالات والضلالات التي بين أيدينا هي نماذج من علومهم اللدنية.

٥ - هذا بعض من كثـير مما يدل على أن التصـوف هو الـذي دفـع الأمـة الإسلامية إلى حضيض الجهل الذي مرت به، وإلى الفساد الذي لا تزال تتخبط فيه.

*** عودة إلى الكذب على رسل الله عليهم السلام:-**

يقول القشيري:

سمعت الأستاذ أبا علي الدقاق يقول: لما قال إبراهيم لإسماعيل عليهما السلام: يا بني إني أرى في المنام أني أذبحك. قال: يا أبت هذا جزاء من نام عن حبيبه، ولو لم تنم لما أمرت بذبح الولد[2]... (وهكذا الكذب وإلا فلا).

*** وكذب على محمد ﷺ:-**

يقول القشيري أيضاً:

---

(١) الرسالة القشيرية، ص١٦٦.

(٢) الرسالة القشيرية، ص١٧٦.

سمعت الأستاذ أبا علي الدقاق يقول في قول النبي ﷺ في عيسى بن مريم عليه السلام: «لو ازداد يقيناً لمشى في الهواء»، قال رحمه الله تعالى: إنه أشار بهذا إلى حال نفسه ﷺ ليلة المعراج، لأن في «لطائف المعراج» أنه قال: «رأيت البراق قد بقي ومشيت»[1].

ـ الجواب: قال ﷺ: «من كذب عليَّ متعمداً فليتبوأ مقعده من النار».

*** يرغبون عن سنة رسول الله ﷺ:ـ**

ويقول القشيري أيضاً:

. . . وحكي عن بعضهم أنه قال: رأيت في بعض الأسفار شيخاً كبيراً قد طعن في السن، فسألته عن حاله فقال: إني كنت في ابتداء عمري أهوى ابنة عم لي وهي لي كذلك تهواني، فاتفق أنها زوجت مني، فليلة زفافها قلنا: تعالي حتى نحيي هذه الليلة شكراً لله تعالى على ما جمعنا، فصلينا تلك الليلة ولم يتفرغ أحدنا لصاحبه، فلما كانت الليلة الثانية قلنا مثل ذلك؛ فمنذ سبعين أو ثمانين سنة نحن على تلك الصفة كل ليلة، أليس كذلك يا فلانة؟ فقالت العجوز: كما يقول الشيخ[2].

الجواب على هذه القصة: يقول ﷺ: «من رغب عن سنتي فليس مني».

*** وكذب على رسل الله:ـ**

يقول القشيري إياه:

. . . وقيل: إن داود عليه السلام كان يستمع لقراءته الجن والإنس والطير والوحش إذا قرأ الزبور، وكان يُحمل من مجلسه أربعمائة جنازة ممن قد مات ممن سمعوا قراءته[3].

ـ ماذا يمكن أن يقال عن مثل هذا المقال؟ هل يقال: يا سلام، أم يا حرام، أم يا كذب، أم يا غباء، أم يا ضلال؟!، يُحمل من مجلسه أربعمائة جنازة كلما قرأ!؟ ثم يتساءلون: ما سبب فساد المسلمين؟

---

(١) الرسالة القشيرية، ص٨٤.
(٢) الرسالة القشيرية، ص٨٢.
(٣) الرسالة القشيرية، ص١٥٣.

ـ وللعلم: الرسالة القشيرية تدرَّس في مساجد البلاد الإسلامية! وينصح شيوخهم وعلماؤهم بقراءتها! على أنها ـ والحق يقال ـ من الكتب المشجعة على السير في طريق الكهانة، هي والكتاب الذي سمي ـ زوراً وبهتاناً ـ «إحياء علوم الدين»، وما هو إلا إحياء علوم الكهانة، وكذلك النقم الضلالية الكفرية التي سموها «الحكم العطائية»، وبقية كتبهم.

*** مشاهد مرسلة (والكلام منقول بدقة):ـ**

حدث الشيخ (ع) فكان مما حدث:

. . . ثم دخلت الزاوية . . . فقابلتني أمي فاطمة الزهراء، فطلبت منها الإذن بأن تسمح لي بتقبيل قدميها، فسمحت، فقبلتهـا، ثم قبلت كفيها ثم خديها ثم جبينها ورأسها، ثم رضعت من بزَّيْها حتى رويت، ثم أخذت أقبلها، ثم تركتها، فقالت: مالك؟ قبِّل. قلت: إني أخاف من أبيك يزعل عليَّ، فقالت إن أبي لا يزعل عليك، إنه يحبك كثيراً جدًّا، قبِّل، فعدت أقبلها لما علمت أنها أمي حقيقة، فمن هذا المقام علمت أن جدي محمد رسول الله ﷺ، وأمي فاطمة، وأن أبي علي المرتضى . . . أهـ. (الرجاء ملاحظة قناعته أن الكشف أمرٌ واقع).

وقال: حصل لي في الخلوة بواسطة شيخي، ما لا عين رأيت، ولا أذن سمعت، حيث إن الله تعالى أجلسني بين يديه وقال لي: تمن عليَّ ما تريد . . . فقلت له: لا أريد شيئاً إلا أنت. فقال لي: إذن اذهب إلى الجنة، فأي قصر أعجبك أو أي شيء أعطيكه. فقلت: الله، يا رب لا أريد شيئاً إلا أنت . . . ثم حضر سيدنا محمد ﷺ، وبعد أن جلس عليه الصلاة والسلام قال الله تعالى لي: افْنَ به، ففنيت به فوراً، ثم قال لسيدنا محمد: افن باسمي «اللطيف»، ففني عليه الصلاة والسلام به، ثم فني في اسمه اللطيف في اسمه «الله»، ثم فني اسمه «الله» في ذاته العلية المقدسة؛ ثم قال الله تعالى لي: إن حظك عظيم . . . اهـ. (سؤال للقارىء: هل تستطيع معرفة اسم الشيخ من هذه النصوص؟).

وحصل لي فتوح آخر:

حيث اصطفاني الله تعالى، حيث قال لي: أنت يا (ع) حبيبي، إني اصطفيتك من

أصلي اصفيائي ، فمقامك الآن في سويداء قلبي ، فحمدت الله تعالى وشكرته وأثنيت عليه الثناء الجميل .

فضيلة عظيمة حصلتُ عليها :

. . . فتح الله تعالى عليَّ، ثم صعدت إلى السماء السابعة، وأنا مواظب على الذكر، فأهدى لي ربِّي اسمه الأعظم، فقلت له : ابن لي هنا قصراً عظيماً، فبنى لي قصراً عظيماً، فقلت له : ضع عليه كرسي الربوبية، فوضع عليه كرسي الربوبية ؛ فقالت الملائكة : اجلس، فقلت لهم : حاشا لله تعالى ، إن هذا لله وحده ؛ فأخذت الملائكة تردد «أخلاقاً محمدية ، أخلاقاً محمدية» ، فقلت : الحمد لله رب العالمين .

وفي يوم من أيام رمضان المبارك :

كنت أصلي الضحى ، تجلّى الله تعالى عليّ وأخذ يحدثني حديثاً قلبيًّا ألذ من كل لذيذ، قال : أُعْلمك يا (ع) أنك الآن صرت عبداً خالصاً مخلصاً مقدساً لسويداء قلبي ، ليس لك عنه بواح . . . وأنا أساعدك بكل ما تحتاج إليه من علم وحكمة وقدرة وجميع ما يلزم . . . وأذكُر لما كان ربِّي جل جلاله متجلياً عليَّ قبَّلت فمه المقدس تقبيلاً لله محبة وشوقاً ولذة فوق وصف الواصفين، له الحمد .

وفي عام ١٤٠٢هـ في ليلة (يعينها) :

ذكرت الله كثيراً حتى صار كل شيء نوراً، وقد ذبت وسحقت في الله ، بل صرت الله بجميع ذاته وصفاته وأسمائه ، وبقيت تقريب الساعتين ، والعالمين في بهجة وسرور وطبل وزمر وموسيقى وأذكار وأناشيد وصلوات على النبي ، ثم انتهت وأنا في غاية السرور حامداً وشاكراً .

وحديث آخر يحدث به شيخ آخر (الشيخ م) يقول :

رأيت مناماً ، أن أصابعي هم سيدنا محمد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، وأن الكفوف (جمع كف) وما فوق هي الله تعالى . وإن الذين لا يؤمنون بذلك ، بل يكذِّبون ، هم كالبصقة تغلبني ، لكني أبصقها في النهاية ، وما بقي منها أبلعه ، فيذهب ويمتزج مع الغائط ويخرج إلى حيث . . . اهـ .

ـ هاذان القطبـــان غير مثقفـين، ولم يتقنـا المكـر أو لم يتعلماه، فقـالا ما رأيـا بصـدقٍ وبراءة، دون تهذيب ولا تنميق! لذلك ظهرت هلوسات الغرور المرهَق بالذكر الإرهاقي، والموجّـه بالقناعات والطموحات المسبقة، ظهرت واضحة في رؤاهما وأقوالهما، أما غيرهما من المثقفين والأدباء، فإنهم يحذفون ما لا يحسن إظهاره، أو يكتمونه أو يزوّرون فيه بالرمز واللغز، حتى يظهر مقبولاً بعض الشيء، ومع ذلك؛ فمن المتعذر أن تنقلب الزندقة إيماناً مهما أُلبست من تأويلات وتزويرات.

*** دعوة إلى الجهل والفسوق :ـ**

يقول سيدي محمد وفا (قطب غوث):

وبـعـد الـفـنـا في الله كن كيفـما تشـا فعـلمـك لا جهـل وفـعـلك لا وزر

فصـاحب هذا الـوصف يقـال له في اصطلاح القوم: «في حضرة الإطلاق»، ويقال له: من الأحـرار، لكـونـه مطلوقـاً من طبـائعه ومن كل ما سوى مولاه . . . وتارة تضاف حضرة الإطلاق إلى الله تعالى[1] . . .

ـ إذن، وكما يقرّر هذا الغوث، بل كلهم يقررون أن السالك عندما يصل في الجذبة إلى الفنـاء يغـدو ذا علم لا جهـل فيـه «وإن كان أجهل الجهلاء» ويغدو فعله، مهما كان فعله، لا وزر فيه «ولو جمع كل الأوزار».

وهذا مما يفسر لنا سبب الجهل والفساد الخلقي الذي تتخبط فيه الأمة الإسلامية.

*** النهي عن العلم شعار يلتزمونه :ـ**

ويقول محمد محمد أبو خليل:

. . . وكان شيخنا (الغوث محمد أبو خليل) رضي الله عنه ينهانا عن قراءة الكتب، ويقـول: من اجتهـد في عبـادة الله، نور الله بصـيرتـه، وعـرف ما في الكتب وما ليس في الكتب بطريق الإلهام والكشف[2] . . ».

الجواب:

---

(١) الأسرار الربانية والفيوضات الرحمانية، ص٨١.   (٢) المربي، ص٤١٧.

١ ـ رأينا علومهم وكشوفهم ومعارفهم، ورأينا ما فيها من جهل وتفاهة وهذيان وهلوسات تحشيشية.

٢ ـ كل هذا يفسر لنا سبب انحطاط المسلمين، وسبب ترديهم في ما يتخبطون فيه من جهل وفساد.

٣ ـ صدق الله سبحانه: ﴿اقرأ وربك الأكرم . الذي علم بالقلم﴾، وكذبوا وضلوا، لأن الله سبحانه علم بالقلم، ولم يعلم بالكشف ولا بالعلم اللدني ولا بالفتوح ولا بالتحشيش ولا بالأفينة ولا بأي مهلس من المهلسات.

* حكم عربية حاتمية أكبرية :ـ

. . . وقال بعضهم: «إنما يتوكل عليه من يرى غيره»، وقال بعضهم: «عجبت لمن عرف الله كيف أطاعه»، وقال بعضهم: «لا تغتروا بدخول إبليس النار، فإنه تعالى يقول: ﴿لأملأن جهنَّم منك﴾»، وقال بعضهم: «رجال الله كالسراب»، وقال بعضهم: «الشرع أمانة والحقيقة أمن»، وقال بعضهم: «لا يصام إلا شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن (أي الذي كان في أول البعثة)»، وقال بعضهم: «رسل الله»، وقال بعضهم: «المطيع يسيء الظن بربه، والعاصي يحسن الظن بربه»، وقال بعضهم: «المحجوب من اتسعت معارفه، والعالي من قلت معارفه»، وقال بعضهم: «العلم للخلق والحقيقة للحق»[1].

● الملاحظة :ـ

الكلام واضح الضلال، لكن الدعوة إلى الجهل أوضح، وأوضح منه الدعوة إلى التحلل من الدين.

* من التفسير الصوفي :ـ

يقول ابن عربي، الشيخ الأكبر والكبريت الأحمر، من تفسيره لسورة الروم:

﴿ألم . غلبت الروم﴾: الذات الأحدية مع صفتي العلم والمبدئية، كما ذكر أن روم

---

(١) رسائل ابن عربي، كتاب الأعلام، ص٧.

القوى الروحانية تكون مغلوبة في أقرب موضع من أرض النفس، الذي هو الصدر، لأن فيض المبدإ يوجب إظهار الخلق واحتجاب الحق به، فكل ما كان أقرب إلى الحق، كان مغلوباً بالذي هو هو أقرب إلى الخلق . . .

﴿أولم يتفكروا في أنفسهم ما خلق الله﴾، سماوات الغيوب السبعة وأرض البدن وما بينهما من القوى الطبيعية والملكوت الأرضية والروحانية، والملكوت السماوية والصفات، والأخلاق وغيرها، إلا بالحكمة والعدل وظهور الحق في مظاهرهم بالصفات على حسب استعداد قبولها لتجليه . . . ﴿وإن كثيراً من الناس بلقاء ربهم لكافرون﴾، لاحتجابهم عنه، فيتوهمون أنه لا يكون إلا بالمقابلة الصورية في عالم آخر، باندراج الهوية في الهوية . . .

﴿الله يبدأ الخلق﴾: بإظهار الفرس على الروم، ﴿ثم يعيده﴾: بإظهار الروم على الفرس، ﴿ثم إليه ترجعون﴾: بالفناء فيه، ﴿ويوم تقوم الساعة﴾: بوقوع القيامة الصغرى، ﴿يبلس المجرمون﴾: عن رحمة الله . . . أو القيامة الكبرى بظهور المهدي ع م، وقهرهم تحت سطوته وحرمانهم من رحمته . . . ﴿فسبحان الله﴾: أن يكون غيره في الوجود والصفة والفعل والتأثير، ﴿حين تمسون﴾: بغلبة ظلمة الفرس على نور الروم، ﴿وحين تصبحون﴾: عند ظهور نورهم على ظلمة الفرس، ﴿وله الحمد﴾: بظهور صفات كماله وتجليات جماله في سماوات الغيوب السبعة وقت إصباح غلبة نور الروحانيات على ظلمات النفسانيات . . .

- يجعل ابن عربي كلمة «الروم» تشير إلى نور الروحانيات (ويعني بها استشعار الجمع)، كما يجعل كلمة «الفرس» تشير إلى ظلمة النفسانيات (ويعني بها استشعار الفرق).

وللقارىء أن يناقش هذا التفسير حسب مقتضيات اللغة وأصول التفسير وكليات العقيدة الإسلامية وجزئياتها. كما عليه أن يعرف أن تفسير ابن عربي هو كتاب مقدس عند الصوفية، وكله يجري على هذا النمط.

*** كشفهم لا يساعدهم:-**

قال الشريف حسن (أخو أحمد البدوي، وكانوا يقيمون في مكة):

فأقمت أنا وإخوتي، وكان أحمد أصغرنا سنًّا وأشجعنا قلباً، وكان من كثرة ما يتلثم لقبناه بالبدوي . . . ثم إنه في شوال سنة ثلاث وثلاثين وستمائة رأى في منامه ثلاث مرات قائلاً يقول له: قم واطلب مطلع الشمس، فإذا وصلت إلى مطلع الشمس فاطلب مغرب الشمس وسر إلى طندتا (طنطا) فإن بها مقامك أيها الفتى! فقام من منامه، وشاور أهله وسافر إلى العراق، فتلقاه أشياخها، منهم سيدي عبد القادر وسيدي أحمد بن الرفاعي، فقالا: يا أحمد، مفاتيح العراق والهند واليمن والروم والمشرق والمغرب بأيدينا فاختر أي مفتاح شئت منها، فقال لهما سيدي أحمد رضي الله عنه: لا حاجة لي بمفاتيحكما، ما آخذ المفتاح إلا من الفتاح. قال سيدي حسن: فلما فرغ سيدي أحمد من زيارة أضرحة أولياء العراق كالشيخ عدي بن مسافر والحلاج وأضرابهما، وخرجنا قاصدين إلى ناحية طندتا[1] . . .

● الملاحظات:ـ

١ ـ كان مقيماً في مكة، والعراق بالنسبة لمكة ليس مطلعاً للشمس.

٢ ـ عندما ولد أحمد البدوي كان عبد القادر وأحمد بن الرفاعي قد شبعا موتاً من زمان، فكيف استقبلاه؟ طبعاً، إنه رأى ذلك بالكشف، وهؤلاء الكمل يتساوى في إحساسهم الكشف مع الواقع، وفي كثير من الأحيان لا يستطيعون التمييز بينهما.

٣ ـ أما مفاتيح المشرق والمغرب ووثنية القبور فنشكوها إلى الله سبحانه.

* بدون عنوان (لعلها من مقام النفس الراضية):ـ

(أحمد المدعو حمدة) المجذوب الصاحي، له كشف لا يكاد يخطىء . . . قال المناوي (شارح الجامع الصغير): أخبرني الولد (أي ولده سيدي زين العابدين الولي الكبير): ما تلبست بحال إلا كاشفني به وهو مقيم عند بعض النساء البغيات بباب الفتوح . . . .»[2].

ـ ويتساءلون: ما سبب فساد الأمة الإسلامية؟ ونتساءل: لم حرم الله الزنا؟ وفَرَض

(١) طبقات الشعراني: ١ / ١٨٣.

(٢) جامع الكرامات للنبهاني: ١ / ٥٥٥.

حد الزاني والزانية؟

*** وبدون عنوان كذلك:ـ**

مما يورده يوسف النبهاني:

. . . وقال العارف النابلسي (عبد الغني) في شرح الطريقة المحمدية: قال القسطلّاني: وأخبرني شيخ الإسلام البرهان بن أبي شريف أنه كان يقرأ خمس عشرة ختمة في اليوم والليلة[1]. . .

ـ وكذلك لا تعليق، لكنها على كل حال أهون من ثلاثمائة وستين ألف ختمة!

*** عودة إلى الجيلاني (قطب الأولياء):ـ**

يقول: . . . تدري كم عنده (أي عند الله) من الطاعات والصوم والصلاة لا يعبأ بها، إنما مراده منك قلب صاف من الأقدار والأغيار[2]. . .

ـ إذن، وحسب تقرير الجيلاني، الله سبحانه لا يعبأ بالطاعات (ويجب أن ننتبه إلى أن الطاعات هي الشريعة الإسلامية وما فيها من عبادات وأخلاق ومعاملات)، ويقرر أن الله لا يريد إلا البلاهة الصوفية والعته الذي يقودهم إلى الجذبة ثم إلى شهود وحدة الوجود (صاف من الأقدار والأغيار).

أوليس هذا التقرير هو افتراء على الله الكذب، وهو ضلال موغل في الضلال.

لكن، أيها القارىء الكريم، إنك لن تعدم مخادعاً أو مغفلاً يقول لك: هذا الكلام له تأويل! فنقول له: التأويل ضلال وتضليل، وكذب وأحابيل، ومكر بالمسلمين لإخراجهم من النور إلى الظلمات. أو يقول لك: هذا مدسوس، فنجيبه:

أولاً: ألا لعنة الله على الكاذبين.

ثانياً: هذه هي عقيدة القوم ومشربهم والغاية التي يسعون إليها، فلماذا تكون مدسوسة؟ ومن يفكر بدسها؟

---

(١) جامع الكرامات: ١ / ٤١١.

(٢) الفتح الرباني، ص٣٥٧.

ثالثاً: إن كانت مدسوسة فلمَ لا يحذفونها من كتبهم، وعلماؤهم وأبدالهم هم الذين يشرفون على طبع كتبهم.

* **الجنة بالمجان (بالبلاش):-**

«فائدة جليلة»، قال سيدنا (أحمد التجاني) رضي الله عنه: ذكر ليلة الجمعة مائةً من صلاة الفاتح لما أغلق، بعد نوم الناس، يكفر ذنوب أربعمائة سنة[1] اهـ.

- نص صلاة الفاتح لما أغلق: «اللهم صل على سيدنا محمد الفاتح لما أغلق، والخاتم لما سبق، ناصر الحق بالحق، والهادي إلى صراطك المستقيم، وعلى آله حق قدره ومقداره العظيم».

- تكملة: يظهر أن هذا الحكم قد نسخ، فقد ورد في «كشف الحجاب»:

«. . . وإن المرة الواحدة منها فدية من النار، وإن من ذكرها مرة واحدة يغفر الله له ذنوبه ولو كانت في عمره مائة ألف سنة، وإن المرة الواحدة منها بأربعمائة غزوة كل غزوة بأربعمائة حجة. وإن ذاكرها يعطى ثواب كل ذاكر في الكون بأضعاف مضاعفة قلل أو كثر. وإن المرة الواحدة منها تعدل ستمائة ألف صلاة من مطلق الصلوات من صلاة كل ملك وصلاة كل إنس وصلاة كل جان. وقال (أي: أحمد التجاني) - رضي الله عنه -: ما أعد الله تعالى لذاكر صلاة الفاتح لما أغلق من الفضل لا يحل لي ذكره، ولا يظهر إلا في الدار الآخرة[2].

- سؤال: ذكر كل ما ذكر من عظائم (صلاة الفاتح)، ومع ذلك يقول: إن هناك من الفضل ما لا يحل له ذكره! فما هو هذا الذي لا يحل له ذكره؟ وهل هناك أكبر وأفظع مما ذكر؟ ونترك التعليق والمناقشة لكل من كان عنده ذرة من إيمان مع ذرة من عقل مع ذرة من حياء.

* **كرامة من جملة الكرامات وصوم أيضاً (من مقام المجاهدة):-**

و . . (ومنهم أبو عبد الله بن خفيف) . . . وبقي في بدايته أربعين شهراً يفطر بكف

---

(1) غاية الأماني، ص٩٧.

(2) كشف الحجاب، ص٣٧٥.

باقلاء (أي فول) حتى جف دمه، ويقرأ القرآن في كل ركعة، ويصلي كل يوم ألف ركعة، ودخل بغداد وبقي بها أربعين يوماً لا يأكل ولا يشرب[1]. . .

ـ فلنتناس هنا ـ من أجل خاطرهم ـ حكم الشريعة الإسلامية على هذه البدع وما فيها من ورع هندوسي. ولننتبه فقط إلى أنه يصلي كل يوم ألف ركعة، ويقرأ في كل ركعة القرآن كله!؟ أي إنه يختم في اليوم ألف ختمة. ثم لنسكت شاكين إلى الله ما حل بهذه الأمة من هذه الطائفة.

يقول شاعرهم:

قلوب العارفين لها عيونٌ ترى ما لا يراه الناظرونا

هذا توضيح للرؤى الكشفية، فالكاشف يرى أشياء لا وجود لها! يراها كما نرى الأشياء الموجودة أمام أعيننا، ويعزون ذلك إلى قوة في القلب يسمُّونها (السرَّ)، ويقولون: إن السر بالنسبة للقلب كالروح بالنسبة للجسد، وطبعاً، هذا كله وهم في وهم، وفي فصل لاحق سنرى كيف تحدث الرؤى الكشفية، مع العلم أن مثلها تماماً يحدث لمن يتعاطى المخدرات التحشيشية الأفيونية وتلك الزمرة.

*** كشوف يجهلها الواقع:ـ**

قطب الغوث علي وفا كان يقول:

العلقة التي حول حبة القلب هي الحية المطوقة حول العرش من الملكوتيّ، والحية المطوقة بعين الحياة من الجبروتي، والحية المطوقة بقاف من الملكي، وكان رضي الله عنه يقول: البطن الأوسط من الدماغ المسمى بالدودة هو الذي قوّته تنشيء حرير أهل الجنان. . .»[2].

ـ إذن، فالقلب هو العرش؟ ولكن أين هي عين الحياة والحية التي تطوقها، وكذلك جبل قاف وحيته؟؟ لكن الكشف هو حق اليقين يرى ما لا يراه الناظرونا، وعندما يقول الكشف إن هناك «عين الحياة، وجبل قاف، و. . . ، و. . .» فيجب أن نصدقه، لأنه

(١) حاشية العروسي: ٢ / ٦.

(٢) طبقات الشعراني: ٢ / ٣٤.

كشف! وكشف على من؟ على أولياء صديقين أقطاب أغوات.

فصدق أيها القارىء، وسلم تسلم، أما عقلك وبصرك وسمعك فادفنها في أي مكان يعينه الكشف، وحسبك الكشف، أما القرآن والسنة فيجب عرضهما على الكشف - كما يقول حجة الإسلام الإمام الهمام - فما وافق الكشف قرروه، وما خالف أولوه...

*** من أحوال ومقامات «انتشار الحشيش في مصر» والإفطار في رمضان :-**

ومنهم سيدي الشريف المجذوب رضي الله تعالى عنه ورحمه؛ كان رضي الله عنه ساكناً تجاه المجانين بالمارستان المنصوري، وكان له كشف ومشاقلات للناس الذين ينكرون عليه، وكان رضي الله عنه يأكل في نهار رمضان، ويقول: أنا معتوق أعتقني ربي، وكان كل من أنكر عليه يعطبه في الحال!!... وكان رضي الله عنه يتظاهر ببلع الحشيش، فوجدوها يوماً حلاوة، وكان قد أعطاه الله تعالى التمييز بين الأشقياء والسعداء في هذه الدار...»[1]. ترلم ترلم...

- يفطر في رمضان رضي الله عنه! ويبلع الحشيشة متظاهراً، رضي الله عنه!

السؤال البسيط: ما هي الفائدة الدينية والدنيوية والشرعية والعقلية والمنطقية والصبيانية والغوغائية والجنونية والغبائية والذكائية... و...؟ ما هي الفائدة، أية فائدة من التظاهر ببلع الحشيش؟ وهل يريد الله سبحانه من أوليائه أن يفطروا في رمضان ويتظاهروا بالخبائث؟! لكن ما شأننا نحن؟ فهؤلاء هم المقربون وكفى! ثم يتساءل المتسائلون: ما هو سبب فساد هذه الأمة؟ ويتساءلون: ما هو سبب انتشار الحشيش؟

*** ولايته تجمّده:-**

ومنهم سيدي علي الدميري المجذوب رضي الله تعالى عنه: كان رضي الله عنه جالساً ليلاً ونهاراً على دكان بياع الرقاق تجاه حمام المارستان، وكان رضي الله عنه لا يتكلم إلا نادراً، وكان مكشوف الرأس ملفوفاً في بردة كلما تتقطع يبدلونها له بأخرى، أقام

---

(١) طبقات الشعراني: ٢ / ١٥٠.

على هذه الحالة نحو عشرين سنة!! وكان كلما رآني تبسم، مات رضي الله عنه سنة خمس وعشرين وتسعمائة، ودفن بالمسجد الذي بقرب باب النصر اليشبكي، وقبره ظاهر يزار رضي الله عنه[1]!!

ـ السؤال: ما هو قول القارىء بأمة تقدس المجانين ومرضى الأعصاب والحشاشين والأفيونيين؟!

* **الصوفي يصوِّر ما في الأرحام كيف يشاء:ـ**

يقول عبد الله اليافعي (الغوث):

. . . وروي عن بعض الأولياء الكبار أنه طلب منه بعض الناس أن يدعو له الله تعالى أن يرزقه ولداً ذكراً، فقال: إن أحببت ذلك فسلم للفقراء مائة دينار، فسلم إليه ذلك، ثم جاء بعد ذلك بمدة وقال له: يا سيدي وعدتني بولد ذكر وما وضعت امرأتي إلا أنثى، فقال له الشيخ: الدنانير التي سلمتها ناقصة. قال يا سيدي! ما هي ناقصة إلا شيئاً يسيراً. فقا له الشيخ: ونحن أيضاً ما نقصناك إلا شيئاً يسيراً، فإن أحببت أن نوفي لك فأوف لنا. فقال: نعم يا سيدي، ثم ذهب وعاد إليه بتوفية ذلك النقصان، فقال له الشيخ: اذهب فقد أوفينا لك كما أوفيت، فرجع إلى منزله، فوجد غلاماً بقدرة الله تعالى وإكرامه لأوليائه عز وجل[2].

ويقول (مزهداً بالعلم):

ـ ورُوي أن جماعة من أهل العلم قصدوا زيارة بعض الشيوخ، فلما أتوه وجدوه يَلْحَن في قراءته في الصلاة، فتغير اعتقادهم فيه، فلما ناموا تلك الليلة جنبوا كلهم، فخرجوا ليغتسلوا في بركة ماء، فوضعوا ثيابهم ودخلوا في الماء، فجاء الأسد وجلس على ثيابهم، فلم يقدروا يخرجون، فلاقوا شدةً من شدة البرد، فجاء الشيخ، وزجر الأسد، وقال له: ما قلت لك لا تتعرض لضيفاني، فبصبص وذهب، ثم قال لهم الشيخ: أنتم اشتغلتم بإصلاح الظاهر فخفتم الأسد، ونحن اشتغلنا بإصلاح الباطن فخافنا الأسد[3].

---

(١) طبقات الشعراني: ٢ / ١٥٠.

(٢) نشر المحاسن الغالية، ص٢٢.

(٣) نشر المحاسن الغالية، ص٣١ و٣٢.

● **الملاحظة**: التزهيد بالعلم والدعوة إلى الجهل هي من الواجبات الأولى للمتصوفة.

*** الكعبة تذهب لتطوف حولهم:-**

ويقول اليافعي أيضاً:

. . . وأعظم من ذلك وأفضل طواف الكعبة المعظمة بكثير منهم، وكل ذلك مشهور مذكور بالأسانيد الصحيحات[1]. . .

● **تعليق:**

قيل مرة (بل مرات كثيرة جدًّا): الحج هذه السنة هو حج أكبر، لأن الكعبة كانت، كل سنة، تأتي إلى شيخنا لتطوف حوله، أما هذه السنة فقد جاء الشيخ ليطوف هو حولها، فهنيئاً لحجاج هذا العام!.وفي الحقيقة إنهم يرون هذا في أحلام الجذبة.

- ثم يتساءلون عن سبب فساد الأمة؟ وسيطرة الجهل والتفكير الضبابي والخرافي عليها، مما سبب لها هذا العقم القاتل، والضياع الذهولي في مسارح التمثيليات الإبليسية.

*** من أقوال جلال الدين الرومي:-**

من ناحية تبريز أشرقت شمس الحق، فقلت لها: نورك مقترن بالأشياء، وهو في الوقت نفسه مفارق لها. إن شمس محيا «شمس الدين» بهاء الأفق، لم تشرق يوماً على ما هو فانٍ إلا وهبته طبيعة البقاء[2]. . .

- يعني بشمس الحق أستاذه شمس الدين، ووحدة الوجود ظاهرة في النص.

*** من التفسير الصوفي:-**

يقول ابن عربي في «تفسيره»:

(ق) إشارة إلى القلب المحمدي، الذي هو العرش الإلهي المحيط بالكل. . .

- والتعليق للقارىء، مع التنبيه إلى عقيدتهم في الحقيقة المحمدية.

---

(١) نشر المحاسن الغالية، ص٣٣.

(٢) الصوفية بين الأمس واليوم، ص٧٣ و ٧٤

* **من تفسيرهم أيضاً :ـ**

للشيخ الأكبر والكبريت الأحمر نفسه :

﴿ن . والقلم ومـا يسطـرون . . . ﴾ : ﴿ن﴾ هو النفس الكليـة ، ﴿والقلم﴾ هو العقـل الكـلي ، والأول من باب الكنـاية بالاكتفاء من الكلمة بأول حروفها . والثاني (أي القلم) من باب التشبيه . . .

ـ هذا تفسير يظهر ارتباط المتصوف بقناعاته المسبقة ، وأن كشفه تابع لتلك القناعات .

* **من كذبهم على الأنبياء :ـ**

يقول الغزالي في «الإحياء» :

. . . وروي أن عيسى عليه السلام مكث يناجي ربه ستين صباحاً لم يأكل ، فخطر بباله الخبز ، فانقطع عن المناجاة ، وإذا شيخ قد أظلَّه ، فقال له عيسى : بارك الله فيك يا ولي الله ، ادع الله تعـالى لي فإني كنت في حالـة فخطـر ببالي الخبز ، فانقطعت عني ، فقال الشيـخ : اللهم إن كنت تعلم أن الخبـز خطـر ببـالي منذ عرفتك فلا تغفر لي ، بل كان إذا حضر لي شيء أكلته من غير فكر وخاطر[1] . . .

● **الملاحظات :**

الكذبُ على رسول الله عيسى ، وتعظيم أمر الجوع على الطريقة الهندوسية المحرمة في الإسلام ، وذلك لتبرير رياضتهم الصوفية ، ثم جَعْلُ الولي أفضل من النبي ، حيث إن عيسى عليه السلام قصَّر عن شأو الولي ! ! وكل هذه الثلاثة هي من الكبائر ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

* **حِكَم بدون تعليق :ـ**

يقول الغزالي في «إحيائه» : . . . ثانياً : أن يكون مقلداً لمذهب سمعه بالتقليد وجمد

---

(١) إحياء علوم الدين : ٣ / ٧٢ .

عليـه وثبت في نفسـه التعصب له بمجرد الاتباع للمسموع، من غير وصول إليه ببصيرة ومشـاهـدة، فهـذا شخص قيَّـده معتقـده عن أن يجاوزه، فلا يمكنـه أن يخطـر بباله غير معتقده، فصار نظره موقوفاً على مسموعه، فإن لمع برق على بُعْد وبدا له معنى من المعاني التي تبـاين مسمـوعَـه حمل عليـه شيطـان التقليـد حملة وقال: كيف يخطر هذا ببالك وهو خلاف معتقد آبائك؟ فيرى أن ذلك غرور من الشيطان، فيتباعد منه ويحترز عن مثله، ولمثـل هذا قالت الصـوفيـة: إن العلم حجـاب، وأرادوا بالعلم العقائد التي استمر عليها أكثـر النـاس بمجرد التقليد أو بمجرد كلمات جدلية حررها المتعصبون للمذاهب وألقوها إليهم؛ فأمـا العلم الحقيقي الـذي هو الكشف والمشـاهـدة بنـور البصـيرة فكيف يكون حجاباً وهو منتهى الطلب[1]. .

وأتـرك التعليق لكـل من كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد. لكن أرجو الانتباه إلى الدعوة إلى الجهل.

ويقول الطوسي:

. . . قال أبـو بكـر الكتـاني: قال أبـو حمزة: دخلت على سري، فجـاءني بفتيت، فأخـذ يجعـل نصفـه في قدح، فقلت له: أيش هو ذا تعمـل؟ أنا أشرب هذا كله في مرة. فضحك وقال: هذا أفضل لك من حجة[2].

ـ يا سلام! شرب الفتيت أفضل من حجة! نسأله: ما هو دليله؟ لعله الكشف؟ لا نعرف.

*** نصوص يتسلى القارىء بتحليلها وفك رموزها «بهدوء»:ـ**

قيـل لابن عطـاء: ما يفعـل الـذكـر بالسـرائـر؟ فقال: ذكر الله تعالى إذا ورد على السرائر بإشراقه أزال البشرية في الحقيقة برعوناتها[3].

وقـال الشبـلي: الأرواح تلطفت، فتعلقت عنـد لدغـات الحقيقـة، فلم تر معبـوداً يستحق العبادة عن أن تتقرب إلى ذلك الشاهد بغير ذلك المشاهد، وأيقنت أن الحدث

---

(١) الإحياء: ١ / ٢٥٥.
(٢) اللمع، ص٢٤٢.
(٣) اللمع، ص٢٩٠.

لا يدرك القديم بصفته المعلولة[1].

ـ تسهيلاً للتحليل: يعني بـ «صفته المعلولة» أي صفته على أنه غير الله، التي هي صفة معلولة وليست صحيحة.

وقال الشبلي أيضاً: كل إشارة أشار الخلق بها إلى الحق، فهي مردودة عليهم، حتى يشيروا إلى الحق بالحق، ليس لهم إلى ذلك طريق[2].

وسئل الجنيد مرة عن الإخلاص، فقال: إخراج الخلق من معاملة الله تعالى، والنفس أول الخلق[3].

سئل الزقاق عن المريد، فقال: حقيقة المريد أن يشير إلى الله تعالى، فيجد الله مع نفس الإشارة[4].

. . . وقال قوم: السرّ سران: سرٌّ للحق، وهو ما أشرف عليه بلا واسطة؛ وسر للخلق، وهو ما أشرف عليه الحق بواسطة. وقال: سرٌّ من السر للسر، وهو حق لا يظهر إلا بحق، وما ظهر بخلق فليس بسر[5].

ـ لتيسير التحليل: كل العبارات السابقة تشير إلى وحدة الوجود، وكذلك اللاحقة.

*** من رسالة من الجنيد إلى أحدهم (يأمره بالتقية وكتم السر والتظاهر بما عليه الناس): ـ**

. . . فعليك رحمك الله بضبط لسانك، ومعرفة أهل زمانك، وخاطب الناس بما يعرفون، ودعهم مما لا يعرفون، فقلَّ من جهل شيئاً إلا عاداه . . . واخرجْ إلى الخلق من حالك بأحوالهم، وخاطبهم من قلبك على حسب مواضعهم[6]. . . .

كتب أبو سعيد الخراز إلى أبي العباس أحمد بن عطاء: يا أبا العباس، تعرف لي رجلاً قد كملت طهارته، وبرىء من آثار نفسه عنه به له، موقوفٌ مع الحق بالحق للحق،

---

(1) اللمع، ص٢٩٣.
(2) اللمع، ص٢٩٥.
(3) اللمع، ص٢٩٠.
(4) اللمع، ص٢٩٥.
(5) اللمع، ص٣٠٣.
(6) اللمع، ص٣١٢.

من حيث أوقفه الحق، حيث لا له ولا عليه، فالحق يعلله امتحان[1] له، وامتحان للخلق به؟ فإن عرفت لي هذا فدلني عليه[2].

وكتب الجنيد إلى أحدهم: آثرك الله يا أخي بالاصطفاء، وجمعك بالاحتواء، وخصك بعلم أهل النهى . . . وتمم لك ما تريد منك له، ثم أخلاك منك له ومنه له به، ليُفْرِدَك في تقلبه لك، بما يُشهدك، من حيث لا يَلْحقك شاهد من الشواهد يخرجك، فذلك: أول الأول الذي محا به رسومَ ما ترادف مما غيَّبه به عنك بعلوٍّ ما استأثر به منه له، ثم أفردك منك لك، في أول تفريد التجريد، وحقيقة كائن التفريد، فكذلك إذا انفرد بذلك أباد، وأفنى الإبادة ما سلف من الحق من الشاهد، بعد إفناء محاضر الخلق، فعند ذلك يقع حقيقة الحقيقة من الحق للحق، ومن ذلك: ما جرى بحقيقة علم الانتهاء إلى علم التوحيد على علم تفريد التجريد، فقد عزه الله وحجبه عن كثير ممن ينتحله ويدعيه، ويتحققه ويصطفيه[3].

وكتب الجنيد أيضاً: أكرمك بطاعته، وخصك بولايته، وجلّلك بستره . . . وألزمك بابه، وكلفك خدمته، حتى تكون له موافقاً، ولكأس محبته ذائقاً، فيتصل العيش بالعيش، والحياة بالحياة، والروح بالروح، فتتم النعمة[3].

يقول أبو نصر الطوسي واصفاً أقوال الجنيد هذه: . . . فيها إشارات لطيفة، ورموز خفية، تعبر عن الحقائق المشكلة، وتنبىء عن السرائر والخصوصية التي تفرد بها هذه العصابة في تجريد التوحيد، وحقيقة التفريد . .

- انتبه إلى العبارة: «الخصوصية التي تفرد بها هذه العصابة في تجريد التوحيد وحقيقة التفريد»[4].

ومن رسالة بعثها أبو سعيد بن الأعرابي لآخر: أماتك الله عنك، وأحياك به، وأيدك بالفهم، وفرَّغ قلبك من كل وهم، وأفناك بالقرب عن المسافة، وبالأنس عن الوحشة[5].

---

(١) يجب أن تكون: «امتحاناً له».

(٢) اللمع، ص٣٠٥.

(٣) اللمع، ص٣١٣.

(٤) اللمع، ص٣١٤.

(٥) اللمع، ص٣١٥.

ومن رسالة لأبي سعيد الخراز بعثها إلى آخر: عصمك الله بذكره عن نفسك، وكاشفك بشكره عن وصفك . . . وأنا أسأل الله تعالى أن يجمع لك من نفسك ما فرَّق، ويبين عنك منها ما جمع، إنه الولي لذلك والقادر عليه[1].

● **التنبيه:**

من نظر في هذه النصوص فليتأمل، وليحاول فهمها بهدوء، وليرجع إلى النصوص السابقة في الكتاب وخاصة فصل «المدخل إلى فهم النصوص الصوفية».

*** تعريف الكشف:ـ**

يقول مصطفى بن محيي الدين نجا[2]:

. . . والكشف لغةً رفعُ الحجاب، وفي اصطلاح أهل الحقيقة، هو الاطِّلاع على ما وراء الحجاب من المعاني الغيبية والأمور الخفية وجوداً وشهوداً، وليس هو كما يُكْشف الغطاءُ عن الآنية والستر عن الباب، بل هو أمر إذا ظهر يرى العبد أن ذلك لم يكن مستتراً بشيء، وإنما الإدراك كان قاصراً عن الوصول، فقواه الحق تعالى، فأدرك ما كان ظاهراً[3].

*** كل المعبودات حق:ـ**

يقول ابن عربي «الشيخ الأكبر والكبريت الأحمر»:

. . . فمن عناية الله بنا، لما كان المطلوب من خلقنا عبادته، أن قرَّب علينا الطريق بأن خلقنا من الأرض التي أُمِرْنا أن نعبده فيها، ولمَّا عبد منا من عبد غير الله، غار الله أن يُعبد في أرضه غيره، فقال: ﴿وقَضى ربُّكَ ألا تَعْبُدوا إلا إيَّاه﴾، أي حكم، فما عَبَدَ من عَبَدَ غير الله، إلا لهذا الحكم، فلم يُعبد غير الله وإن أخطؤوا في النسبة، إذ كان لله في كل شيء وجه خاص، به ثبت ذلك الشيء، فما خرج أحد عن عبادة الله[4].

ـ إذن فالأوثان والأصنام وكل ما عبد من إنسان وشجر وقبر، كله هو الله. وقد مرَّ

---

(١) اللمع، ص٣١٥.

(٢) من تلاميذ نور الدين اليشرطي.

(٣) كشف الأسرار لتنوير الأفكار، ص١٢٥.

(٤) الفتوحات المكية: ٣ / ٢٤٨.

معنا في النصوص السابقة أمثلة كثيرة من نفس المعنى .

يقول الغزالي في «الإحياء» :

. . قال سهل : من طعن على التكسب فقد طعن على السنة ، ومن طعن على ترك التكسب فقد طعن على التوحيد[1] .

ـ نقول : هذا اعتراف من القطب سهل (ابن عبد الله التستري) ومن الحجة الغزالي أن الصوفية ليست من الإسلام . إذ يجعل (بل يجعلان) التوحيد مخالفاً للسنة في التكسب . وبقول الرسول ﷺ : «من رغب عن سنتي فليس مني» ، إذن فهم ليسوا من رسول الله .

ويقول الغزالي أيضاً :

. . . قال أبو سعيد الخراز : دخلت البادية بغير زاد ، فأصابتني فاقة ، فرأيت المرحلة من بعيد ، فسُررت بأن وصلت ، ثم فكرت في نفسي أني سكنت واتكلت على غيره (أي على غير الله) ، وآليت أن لا أدخل المرحلة إلا أن أُحمل إليها! فحفرت لنفسي في الرمل حفرة وواريت جسدي فيها إلى صدري ، فسمعت صوتاً في نصف الليل عالياً : يا أهل المرحلة ، إن لله تعالى وليًّا حبس نفسه في هذا الرمل فالحقوه[2] . .

ـ التعليق : هذا شيطان يضحك على ذقنه وذقونهم ليدفعهم إلى التوغل في الضلال والزندقة . لأن خروجه هكذا ليس من الإسلام في شيء ، بل هو من الهندوسية ، وادِّعاؤه الولاية هو افتراء على الله الكذب ﴿ألم تر إلى الذين يزكون أنفسهم بل الله يزكي من يشاء ولا يظلمون فتيلاً . انظر كيف يفترون على الله الكذب وكفى به إثماً مبيناً﴾ .

*** الكذب على أنبياء الله ووصفهم بما لا يوصف به إلا المجانين :ـ**

يقول الغزالي نفسه :

. . . قال يحيى بن أبي كثير : بلغنا أن داود عليه السلام كان إذا أراد أن ينوح ، مكث قبل ذلك سبعاً لا يأكل الطعام ولا يشرب الشراب ولا يقرب النساء ، فإذا كان قبل

---

(١) الإحياء : ٤ / ٢٣٢ .

(٢) الإحياء : ٤ / ٢٣٣ .

ذلك بيوم، أُخرج له المنبر إلى البرية، فأمر سليمانَ أن ينادي بصوت يستقري البلاد وما حولها من الغياض والآكام والجبال والبراري والصوامع والبيع، فينادي فيها: ألا من أراد أن يسمع نوح داود على نفسه فليأت، قال: فتأتي الوحوش من البراري والآكام، وتأتي السباع من الغياض، وتأتي الهوام من الجبال، وتأتي الطير من الأوكار، وتأتي العذارى من خدورهن، وتجتمع الناس لذلك اليوم، ويأتي داود حتى يرقى المنبر، ويحيط به بنو إسرائيل، وكل صنف على حدته، محيطون به، وسليمان عليه السلام قائم على رأسه، فيأخذ في الثناء على ربه، فيضجون بالبكاء والصراخ، ثم يأخذ في ذكر الجنة النار، فتموت الهوام وطائفة من الوحوش والسباع والناس، ثم يأخذ في أهوال القيامة، وفي النياحة على نفسه، فيموت من كل نوع طائفة، فإذا رأى سليمان كثرة الموتى قال: يا أبتاه، مزقت المستمعين كل ممزق . . . ثم إذا أفاق داود، قام ووضع يده على رأسه، ودخل بيت عبادته، وأغلق بابه، ويقول: يا إله داود، أغضبان أنت على داود؟ ولا يزال يناجي ربه، فيأتي سليمان ويقعد على الباب، ويستأذن ثم يدخل ومعه قرص من شعير، فيقول: يا أبتاه، تقوَّ بهذا على ما تريد . . .

وقال يزيد الرقاشي: خرج داود ذات يوم بالناس يعظهم ويخوفهم، فخرج في أربعين ألفاً، فمات منهم ثلاثون ألفاً، وما رجع إلا في عشرة آلاف. قال: وكان له جاريتان اتخذهما، حتى إذا جاءه الخوف وسقط فاضطرب، قعدتا على صدره وعلى رجليه مخافة أن تتفرق أعضاؤه ومفاصله فيموت[1]. . . اهـ.

ـ أرجو من القارىء الكريم، رجاءً حارًا، أن يصدقني، وإن لم يصدقني فإني مستعد لتأدية اليمين، أن هذه القصص ليست من هذيانات صبي في أحلام اليقظة! وليست من ثرثرات حشاش تناول نصف رطل من الأفيون، وليست من خبالات مجنون في ثورة جنونه . . . وإنما هي دعوة غزالية إلى الأخلاق الغزالية، وإلى المقامات الصوفية، يقذف بها «حجة الكهانة» (وأقطابه السابقون واللاحقون)، يقذفون بها حمماً وسموماً ومخدرات، دمَّرت عقل المسلم وقتلت منطق المسلم وخدرت نفسية المسلم، وأوصلت المجتمعات الإسلامية إلى ما تتخبط فيه الآن من رؤى ضبابية لكل الأمور، في دينها ودنياها، حتى

---

(١) الإحياء: ٤ / ١٥٨ و١٥٩.

أصبح المسلمون ألعوبة بيد كهان الشيوعية يقذفونهم يميناً وشمالاً كما يتقاذفون الكرة بينهم، يقيمونهم ببعض الشعارات ويقعدونهم ببعض آخر.

وهذه القصص هي قبل كل شيء كذب على رسل الله. كما أنها تذكرنا بالتمثيليات الوثنية التي كان يمثلها الكهنة الوثنيون في أعيادهم الوثنية ليبعثوا بها في الأذهان الوثنية، صوراً وثنية، يتصورون أنها حدثت لآلهتهم الوثنية، في أزمنتها الوثنية الأولى. وهي أنموذج لما يسميه الغزالي «المنجيات»!!

*** من مقامات الصبر، أو الجوع:-**

... سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمي رحمه الله يذكر بإسناده أن أبا عقال المغربي أقام بمكة أربع سنين لم يأكل ولم يشرب إلى أن مات[1].

- الجواب على هذا وأمثاله هو قول الرسول ﷺ في «صحيح مسلم»:

قال: «إن أحب الصيام إلى الله صيام داود ... كان يصوم يوماً ويفطر يوماً». وفي حديث آخر: «... ولا يفر إذا لاقى».

وقال ﷺ: «لا صام من صام إلى الأبد، لا صام من صام إلى الأبد، لا صام من صام إلى الأبد».

وقال: «... ولكني أصلي وأنام وأصوم وأفطر ... فمن رغب عن سنتي فليس مني».

هذه الأحاديث تخرج هذا «الولي» من رسول الله ﷺ، أي تخرجه (وزمرته معه أيضاً) من الإسلام، ومع ذلك تدرَّس الرسالة القشيرية في مساجد المسلمين على أنها كتاب إسلامي، والمشتكى إلى الله.

*** صورة من حالات الجذبة:-**

يقول القشيري:

---

(١) الرسالة القشيرية، ص٣٥.

. . . دخـل بعض الفقـراء على أبي عقـال، فقـال له: سلام عليكم. فقال له أبو عقـال: وعليكم السـلام. فقـال: أنـا فلان. فقـال أبـو عقـال: أنت فلان، كيف أنت وكيف حالـك؟ وغـاب عن حالتـه؛ قال هذا الـرجل: فقلت له: سلام عليكم، فقال: وعليكم السـلام. كأنـه لم يرني قط! ففعلت مثـل هذا غير مرة! فعلمت أن الرجل غائب فتركته وخرجت من عنده[1].

ـ هذه الصورة تساعد على فهم الحالة التي يكون فيها المجذوب أثناء جذبته، وهي تشبه تماماً حالة الحشاش أثناء تحشيشه.

*** علم الصوفي، الشيخ، مثل علم الله تماماً:ـ**

. . . وأما شيخنا سيدي علي الخواص، فسمعته يقول: لا يكمل الرجل عندنا حتى يعلم حركات مريده في انتقاله في الأصلاب وهو نطفة، من يوم: ﴿ألستُ بربِّكم﴾، إلى استقراره في الجنة أو في النار[2]. . . .

ـ العجب العجاب، إن كشفهم يجهل مثلهم كل شيء، ولا يفهم مثلهم أي علم، ثم يدعون العلم الذي لا يعلمه إلا الله سبحانه، وهي صورة من الإحساسات الخداعة، التي يحسُّ بها المكاشف أثناء الجذبة، يحدث مثلها لمن يتعاطى المخدرات التحشيشية.

*** محاربة العلم:ـ**

يقول ابن عربي (الشيخ الأكبر):

لطيفة ـ من قال لك: لا تبرح من العلم، فقد قتلك بسيف الأبد.

إشـارة ـ قالت طائفـة: العلم حجـاب. وذلـك لأنـه يعمـر منك ما ينبغي أن تفرغه للرؤ ية (أي لرؤ ية الله)، فلا تتعلم، أي لا تقف مع العلم.

إشـارة ـ العلم ليـل لا صبـح له، ومن قطع المفاوز في الظلمات وهو غير خِرِّيت، زاد تيهاً على تيه[3].

---

(١) الرسالة القشيرية، ص٣٥.

(٢) الكبريت الأحمر هامش اليواقيت والجواهر: ٢ / ٣.

(٣) رسائل ابن عربي (كتاب التراجم)، ص٥٨.

● المناقشة:

الجهل ومحاربة العلم هي دعوة المتصوفة في كل زمان ومكان. وإذا عرفنا أن العارفين ألفٌ، وأن المتكلم واحد ـ كما يقول عبد القادر الجيلاني ـ عرفنا مدى الدور الرهيب الذي لعبته الصوفية في فساد الأمة الإسلامية وجهلها وانحطاطها وابتعادها عن الإسلام.

*** ودائماً محاربة العلم:ـ**

يقول ابن الملقن:

وروي عنه (محمد بن علي الكتاني) أنه قال: كنت وأبو سعيد الخراز وعباس بن المهتدي، وآخر لم يذكره، نسير بالشام على ساحل البحر، وإذا شاب يمشي ومعه محبرة، فظننا أنه من أصحاب الحديث، فتثاقلنا به، فقال أبو سعيد: يا فتى على أي طريق تسير؟ فقال: ليس أعرف إلا طريقين، طريق الخاصة، وطريق العامة، أما طريق العامة فهذا الذي أنتم عليه، وأما طريق الخاصة، فباسم الله، وتقدم إلى البحر، ومشى حيالنا على الماء، فلم نزل نراه حتى غاب[1].

ـ أما محاربة العلم في هذه القصة فظاهرة. وأما الشاب الذي مشى على الماء فهو أحد أمرين لا ثالث لهما: إما أنه شيطان تراءى لهم ليزيدهم غلوًّا في ضلالهم. أو هو إنسان صوفي استحوذ عليه شيطانه واتخذه شركاً يوقع به الناس في الضلال أو يزيدهم به غلوًّا فيه.

*** مقام! لعله من مقام المجاهدة:ـ**

. . . سمعت أبا الطيب العكّي يقول: ذكر لي أن سحنون كان جالساً على شاطىء الدجلة، وبيده قضيب يضرب به فخذه، حتى بان عظم فخذه وساقه، وتبدد لحمه، وهو يقول:

كان لي قلب أعيش به ضاع مني في تقلبه
رب فاردده عليَّ فقد ضاق صدري في تطلبه

---

(١) طبقات ابن الملقن، ص١٤٧.

وأغـث ما دام بي رمـق يا غيـاث المسـتـغـيـث به[1]

ويـترك التعليق هنـا لكـل من يريـد التعليق، مع التذكير بأن مدمن الأفيون عندما ينقطع عنه مدة يُصاب بمثل هذه الحالات.

* **بدون عنوان:-**

عبـد الله بن علوي ابن الأستـاذ الأعظم[2]. . . . من كراماته: أن رجلاً أنشد أبياتاً تتعلق بالبعث والحسـاب، فتـواجـد صاحب الـترجمـة وخـر مغشيًّـا عليه، فلما أفاق قال للرجل: أعد الأبيات. فقال الرجل: بشرط أن تضمن لي الجنة. فقال: ليس ذلك إليَّ، ولكن اطلب ما شئت من المال، فقال الرجل: ما أريد إلا الجنة، وإن حصل لنا شيء ما كرهنـا؛ فدعـا له بالجنـة، فحسنت حالة الرجل وانتقل إلى رحمة الله، وشيعه السيد عبد الله المـذكـور، وحضـر دفنـه، وجلس عنـد قبره ساعة فتغير وجهه ثم ضحك واستبشر، فسئـل عن ذلـك، فقـال: إن الـرجـل لما سألـه الملكـان عن ربه، قال: شيخي عبد الله باعلوي، فتعبت لذلـك، فسألاه أيضـاً، فأجـاب بذلـك، فقالا: مرحباً بك وبشيخك عبد الله باعلوي.

قال بعضهم: هكذا ينبغي أن يكون الشيخ، يحفظ مريده حتى بعد موته[3].

● **الملاحظات** على هذا الشرك وما يرافقه من هذياناتٍ واضحة، لكن ألفت النظر فقط إلى دور شياطين الجن في المسرحية (هذا إن كان الشيخ صادقاً في قوله).

* **من مقام الغوثية (التصرف في الكون):-**

ومنهم الشيـخ عبـد الله، أحـد أصحـاب سيـدي عمـر النبتيتي . . كتب لي أنه رآني بحضرة رسول الله ﷺ، وهو يقول للإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه: ألْبِسْ عبد الوهاب (الشعراني) طاقيتي هذه وقل له يتصرف في الكون، فما دونه مانع[4]. . .

ـ الجواب: ﴿كَبُرَتْ كلمةً تخرُجُ منْ أفواهِهِم إنْ يقولونَ إلا كَذِباً﴾. لكن يجب ألا

---

(1) طبقات السلمي، ص١٩٧.

(2) مات سنة ٧٣١.

(3) جامع النبهاني: ٢ / ٢٤٤ و٢٤٥.

(4) جامع النبهاني: ٢ / ٢٧٥.

نظن أنه يكذب في ادعائه الرؤ ية ، بل هو صادق رأى ما رأى بالكشف وفي اليقظة؟

*** من تلاعبات الشياطين بعقولهم :-**

عبد الرحمن بن الأستاذ الأعظم . . . وكان لبعض الأولياء الأموات قنديل يسرج كل ليلة في مسجد بني علوي (في بلدة تريم في حضرموت)، فانكسر القنديل فتركوا تسريجه ، وكان صاحبه لا يعرفه أحد ، فرأى السيد عبد الرحمن المذكور صاحب القنديل (أي الميت) وهو يقول : أنا صاحب القنديل وتركتمونا بلا سراج ، فقال له : قنديلك انكسر، فقال : في هذا الثقب درهم ، وأشار إلى ثقب في داره ، فلما أصبح أتى تلك الدار، ورأى الثقب ، وإذا فيه درهم ، وجاء إلى بائع القناديل ، فقال : لم يبق شيء ، فقال السيد عبد الرحمن : انظروا وراء الزبر فإن فيه قنديلاً ؛ ونظر فإذا قنديل لم يكن رآه قبل ذلك[1] .

● **التعليق :**

لعن رسول الله ﷺ من يتخذ السرج على القبور، فالمتخذون السرج على القبور هم من الملعونين ومن أولياء الشيطان ، وليسوا من أولياء الرحمن ، ودور شياطين الجن واضح في مثل هذه المسرحيات .

*** فرعون صادق في ادعائه الربوبية وكل إنسان هو الرب :-**

يقول حجة الإسلام الغزالي (وفي الإعادة إفادة) :

. . . ولذلك قال بعض مشايخ الصوفية : ما من إنسان إلا وفي باطنه ما صرح به فرعون من قوله : ﴿أنا ربُّكُمُ الأعلى﴾ ، ولكنه ليس يجد له مجالاً ، وهو كما قال[2] . . .

● **التعليق :** مر هذا في مكان سابق ، ونعيده لاختلاف اللفظ ، مع الرجاء أن ينتبه القارىء إلى قوله : «ما من إنسان . . » .

يقول عبد الغني النابلسي معارضاً من قصيدة :

---

(١) جامع النبهاني : ٢ / ١٤٧ .

(٢) الإحياء : ٣ / ٢٤٣ و ٤ / ٦١ .

ومـا الـكـل إلا صورة مسـتـحـيـلة كماء له موج وفـيـه فواقـع[1]

ـ السؤال: ما معنى هذا البيت؟ وما هو بيت الشعر الذي يعارضه به؟ ولمن؟

ويقول عبد الغني نفسه من موشح:

كل شيء عقـد جوهـر حليـة الحسـن المـهـيـب

ويقول:

هذه الأكـوان أجمـعـهـا شمـة من وردة الأزل

أرجو من القارىء الكريم أن يتسلى بتفسير هاذين البيتين.

*** من «الصلاة الكبرى» لسيدنا عبد القادر الجيلاني :ـ**

. . . اللهم صل على محمد حتى لا يبقى من صلاتك شيء، وارحم محمداً حتى لا يبقى من رحمتك شيء، وبارك على محمد حتى لا يبقى من بركاتك شيء[2] . . .

ـ أرجو من القارىء أن ينتبه إلى قوله: «حتى لا يبقى من صلاتك شيء . . وحتى لا يبقى من رحمتك شيء . . وحتى لا يبقى من بركاتك شيء»، وما فيها من تجرؤ على الله وانتقاص لرحمته وبركاته، وما فيها من جهل بالعقيدة الإسلامية وانحراف عن النهج الذي جاء به محمد ﷺ.

وللعلم: هذه الصلوات هي من «الصلاة الكبرى» للشيخ عبد القادر الجيلاني، التي شرحها الشيخ عبد الغني النابلسي، ونقلها يوسف النبهاني من ذلك الشرح، وكلهم أقطاب مكاشفون. وهي واردة أيضاً في الكتاب المقدس «دلائل الخيرات» الذي يتخذونه بعد القرآن الكريم.

*** الصوفية والجنون :ـ**

(أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد المستعجل) الرفاعي، كان من أكابر الرجال وأعيان الأولياء وسادات الأصفياء . . .

---

(١) الرمز الشعري عند الصوفية، ص٢٤٧.

(٢) أفضل الصلوات على سيد السادات، ص١٧٤.

قال السـراج : . . . وروينــا أن هذا الشيـخ شمس الـدين تاب على يديـه بعض الأغنياء وقال: أعطني جنوناً، ومد يديه، فحثى له الشيخ حثيات في الهواء، وسماه أرطالاً معلومة، فصار مولهاً لوقته، وترك دنياه وأهله وخرج إلى نهر، ووقف في الماء إلى عنقة مدة سنة أو أكثر، فجاء جيرانه وأصحابه يسألون الشيخ رده إلى حاله الأول وعقله الدنيوي، فرسم بطلبـه، فلما حضـر حكى له قولهم، فقـال: بالله يا سيدي لا تفعل ولكن زدني كذا وكذا من أرطال الجنون؛ فزاده؛ وذهب إلى مكانه وبقي فيه حتى مات[1].

● الملاحظات :ـ

في واقع الأمر، إن ما يحصل للصوفي هو نفس ما يحصل للمجنون من خدر في مراكز الـوعي والضبـط في الـدمـاغ، مع فارق، أن ما يحصل للصوفي هو شيء شبه مرضي، لا مرضي، ولا يكون مرضيًّا مثل الجنون تماماً إلا عند الذين يستولي عليهم الجذب، والذين يقولون عنهم إنهم في مقام جمع الجمع.

وكثيراً ما سمعنا ممن يقول عن مجنون أو معتوه إنه سائح في حب الله. وهذا مما يفسر حالـة الضيـاع والجهل والهوان التي تتخبط فيها الأمة الإسلامية منذ القرون التي سيطرت فيها عليها الصوفية.

* كشف :ـ

(أحمد بن عبد الله البلخي)، قال بعضهم: رأيت الغوث أحمد بن عبد الله البلخي عند مكة سنة خمس عشرة وثلاثمائة على عجلة من ذهب والملائكة يجرون العجلة في الهواء بسلاسل من ذهب، فقلت: إلى أين تمضي؟ فقال: إلى أخ من إخواني اشتقت إليه[2]. . . .

● الملاحظة :

ما أشبه هذه الرؤ ية بالرؤ ية التي رآها حشاش فطر المكسيك، والتي سنراها في فصل لاحق. وقد مر في صفحات سابقة كثير من أمثال هذه الرؤ ى التي تؤكد التشابه التام بين

---

(١) جامع الكرامات للنبهاني: ١ / ٥١٠.　　(٢) جامع الكرامات النبهاني: ١ / ٤٨٥.

جذبة الصوفية وكشوفها، وبين جذبة المهلسات (الحشيش والأفيون وأشباهها) وكشوفها.

* **أي الكشفين كذاب:ـ**

أورد مؤلف بهجة الأسرار في كتابه المذكور عدة روايات بأسانيدها، هذه إحداها:

. . . أخبرنا أبو محمد عبد السلام بن محمد . . . قال: أخبرنا الشيخ الشريف أبو القاسم هبة الله بن عبد الله بن أحمد المعروف بابن المنصوري ببغداد سنة إحدى وثلاثين وستمائة قال: أخبرني الشيخ العارف أبو محمد علي بن أبي بكر بن إدريس اليعقوبي بها سنة إحدى عشرة وستمائة قال: قال سيدي عبد القادر (أي الجيلاني) رضي الله عنه: «قدمي هذه على رقبة كل ولي لله»[1].

ويورد بعد صفحةٍ أسماءَ الأولياء الذين حنوا رأسهم عندما قالها، يوردها بالأسانيد، ومن جملتها: . . .

. . . (الشيخ سيدي أحمد بن الرفاعي) رضي الله عنه: أخبرنا أبو محمد سالم بن علي بن عبد الله بن سنان الصوفي . . أخبرنا . . أخبرنا . . قالوا: أخبرنا أبو الفرج عبد الرحيم وأبو الحسن علي ابنا أخي الشيخ القدوة أبي العباس أحمد الرفاعي . . . قالا: كنا عند شيخنا الشيخ أحمد بن الرفاعي بزاويته بأم عبيدة فمد عنقه وقال: «على رقبتي»، فسألناه عن ذلك فقال: قد قال الشيخ عبد القادر الآن ببغداد «قدمي هذه على رقبة كل ولي لله»[2]. . .

ثم يورد أسانيد أخر للرفاعي وغيره ممن حنوا رقابهم.

وفي كتاب بوارق الحقائق نرى القطب الغوث الفرد المتمكن العارف بالله . . . بهاء الدين محمد مهدي الشيوخي الشهير بالرواس . . . الرفاعي الصيادي . . . نراه يقول من قصيده يمدح فيها أحمد الرفاعي:

لم يجهل العزُّ من عالي تحجبه — عن قادة القوم إلا كل محجوب
على أرسلان والجيليِّ قد ضربت — خيامه بعد عزّاز وموهوب

(١) بهجة الأسرار ومعدن الأنوار، ص١١.

(٢) بهجة الأسرار ومعدن الأنوار، ص١٣.

وكـان سبـعـون فرداً تحت رايـتـه غير المـحـاذيـن من دان ومحـبـوب
العـرش والفـرش والأكـوان تعـرفـه أنعم بسطـرٍ بلوح القـدس مكتـوب
تكـبـكـبـت همم الأقطـاب وانـجـمـعت به بتـمـكـين عزم غير مسـلوب[1]

إنه يجعل شيخه الأكبر، أحمد الرفاعي، فوق كل الأقطاب، ويجعل خيامه مضروبة على عبد القادر الجيلاني ومعه أرسلان الدمشقي وبقية الأقطاب والأغوات.

ويقول أبو الهدى الصيادي (المرشد الكامل):

. . . وأمـا الـواردات الثقيلة التي كانت ترد عليـه (أي على الجيـلاني) قدس سره وتأخذه من حال إلى حال، فينطق بكلمات تتجاوز حد الصحو، فإنها حالة بداية لا تضر بمقامه العالي، ولا تحجب نور إرشاده المتلالي، وهي كقوله حالة غيبته: «قدمي هذه على رقبة كل ولي لله»[2]. . .

وبعد صفحة، يقول: . . . فليس لنا إلا التأويل لهذه الألفاظ أدباً مع القوم، وباب التأويل واسع، فإنا نؤول . . . وأول من رواها ودوّن لها كتاباً صاحب البهجة (أي بهجة الأسرار) الشيخ علي الهمتداني . . . فإن صح الخبر عن الشيخ رضي الله عنه، فحالة شطح لا تفيد أمراً ولا غيره[3]. . .

ـ ولن أناقش هذه الأقوال، بل أتركها للقارىء، ليناقشها ويتأكد بنفسه أن كشوفهم كلها هذيانات، لأن رواة هذه الخرافات السمجة كلهم أغوات، وبما أن كشفيهما متناقضان، لذلك، فإن كان أحدهما صادقاً كان الآخر كاذباً، والحق أنها كلها من تلبيسات الكشف.

* **ملاحظة ثانية:ـ**

يقول الوارث المحمدي الغوث محمد مهدي الصيادي الرفاعي:

. . . عبارات القوم لا تشير إلا إلى دولهم مع الله تعالى، ولا دخل لها بجيفة هذه

---

(١) بوارق الحقائق، ص٢٥.
(٢) قلادة الجواهر، ص١١٣.
(٣) قلادة الجواهر، ص١١٤، ومؤلف «بهجة الأسرار» هو علي بن يوسف بن جرير اللخمي الشطنوفي.

الدنيا، ويؤيد ذلك أن هذا الإمام ـ أعني السيد الرفاعي (أحمد) سلام الله ورضوانه عليه ـ مضى على إرث قلوب الخلق، وفي ذلك مملكة ربانية مصرحة بأن دوام القطبية الجامعة (أي الغوثية) في البيت الأحمدي محقق لا ينفصم عنهم ذلك بإذن الله تعالى.

ومثل هذا ما نصه الولي الصالح عبد الوهاب الشعراني في «مننه»، وكثير من كتبه بروايته عن العارف السلماباذي وغيره كلهم يقول لسيدنا أحمد الرفاعي: «. . . والدولة لك ولذريتك إلى يوم القيامة».

ومثل هذا نقل العارف بالله صاحب «أم البراهين» في كتابه، وابن جلال اللاري الحنفي في «جلاء الصدا» وغير واحد[1].

● التعليق: هؤلاء الأغواث والعارفون يقررون أن الغوثية دائمة في ذرية أحمد الرفاعي.

وقد رأينا ابن قضيب البان يقرر أنه غوث زمانه، وهو ليس من سلالة أحمد الرفاعي.

ويقول ابن العماد الحنبلي عن أبي بكر بن عبد الله باعلوي: هو قطب زمانه كما شهد به العارفون بالله تعالى شرقاً وغرباً، ولم يمتر في ذلك ذو بصيرة من أهل الطريق[2]. وأبو بكر باعلوي هذا ليس من سلالة الرفاعي ولا من طريقته.

ويقررون أن عبد الله اليافعي كان غوث زمانه، ولم يكن من سلالة الرفاعي ولا من طريقته.

وقرر أحمد التجاني، ويقرر أصحابه معه، أنه غوث زمانه ولم يكن من سلالة الرفاعي ولا من طريقته.

وقرر علي اليشرطي، وقرروا معه، أنه غوث زمانه، ولم يكن من سلالة الرفاعي ولا من طريقته.

وقرر وقرروا أن محيي الدين بن عربي الشيخ الأكبر والكبريت الأحمر هو غوث

---

(١) فصل الخطاب، ص١٨٤ و ١٨٥.

(٢) شذرات الذهب، حوادث سنة ٩١٤هـ، وأبو بكر هذا من مدينة تريم في حضرموت، مات سنة ٩١٤هـ، ويقول ابن العماد: لعله هو مبتكر القهوة أو شخص آخر بنفس الاسم ومن نفس المدينة، مات سنة ٩٠٩هـ.

زمانه، ولم يكن رفاعيًا. . . إلى آخر القائمة.

فمن منهم الصادق؟ ومن الكاذب؟ أما الواقع فهو الكشف ورؤاه.

يورد الدكتور سيد حسين نصر لمن سماه «الشيخ العلوي»:

. . . وحده كان الله وليس معه أي شيء - وهو الآن كما كان، آخراً مثله أولاً. - من الأزل واحد هو، ليس معه أي شيء. - مستتر باطناً وبين ظاهراً. - لا أول له ولا نهاية لوجوده. - وكل ما تعلم منه إنما هو وجوده. - «وحدة مطلقة» بلا استدراك ولا استثناء. - كيف يمكن أن تحبس ذات الله في حجاب. - وليس ثم من حجاب سوى نوره الغامر[1].

هذا النص لتذكير القارىء ببعض العبارات الصوفية ومعناها الذي صرح به الشاعر.

يقول حافظ (شاعر إيراني):

إن صوت المولى الحكيم ما زال في أذني من قبل الأزل
ونحن باقون على مثل ما كنا، وكذلك سنبقى أبد الدهر[2]

الرجاء من القارىء أن يتسلى بتحليل هاذين النصين، وهما من العبارات الواضحة.

*** قصة مرسلة:-**

الشيخ (ج) من الواصلين الذي حظوا بزيارة الرسول لهم في اليقظة. حدَّث أمام جماعة خدعوه فوثق بهم، قال: زارني الرسول في اليقظة، وكان يلبس برنساً، فخلعه، وبقي عارياً تماماً، فنظرت إلى قُبُله فلم أر له شيئاً، ووجدت مكتوباً هناك كلمة «الله» - تعالى الله - ثم سجد الرسول، فنظرت إلى دبره وإذا بها أشد ضوءاً من الشمس.

- ولا تعليق، لكن تأكيد أن هذه «الكرامة» قد حدثت للشيخ فعلاً في اليقظة لا في المنام، ولم يكن فيها كاذباً، وقد حصلت له بالكشف، وقد ناقشه فيها جماعة، فأصر وأكد

(١) الصوفية بين الأمس واليوم، ص٤٢.

(٢) الصوفية بين الأمس واليوم، ص٤٤.

أنها صحيحة وأنه يعتز بها. ومثل هذا يوضح لنا دور الكشف.

من قصيدة لنوربخش (مترجمة عن الفارسية):

منذ اليوم الذي استجليت فيه طلعة حبيبي
غدوت متميزاً من الخلائق أجمعين
وذلك أني صرت مبرأ من العقيدة والمذهب
والملة كليةً وأصبحت ولا دين لي[1]

ولا تعليق ولا غيره.

*** أبو بكر الطرابلسي (نسبة إلى طرابلس الغرب):-**

الطالب الأجل، الولي الصالح، المجذوب السايح. قال العلامة المؤرخ الشيخ محمد بن جعفر الكتاني الفاسي في كتابه «سلوة الأنفاس ومحادثة الأكياس فيمن أقبر من العلماء والصلحاء بفاس»: كان رحمه الله في أول أمره من الطلبة القاطنين بالمدرسة الصباحية ... حتى صار مجذوباً هائماً في الأسواق، ولا يشعر بحر ولا برد، ولا يبالي بوسخ ولا بغيره، ولا يكلم أحداً من الناس إلا قليلاً، ثم صار يحمل معه في ثوبه قلاليس القطران والزيت والسمن والشحم وأحجاراً وحدائد، ويحمل ذلك على عنقه يطوف به في الأسواق ... وهو من جملة الصلحاء الذين لقيهم العارف الأكبر مولاي العربي الدرقاوي وتبرك بهم، وقد أورده في رسائله قائلاً ما نصه: «كنت أعرف سيدي أبا بكر الطرابلسي ... وكان من المجاذيب الكبار، غائباً عن حسه دائماً، وقد شربت بوله يوماً لشدة تصديقي بولايته ...

توفي بفاس سنة ١١٨٠هـ، وكانت له جنازة عظيمة حضرها الخاص والعام[2].

اهـ.

- الرجاء الانتباه إلى شرب بوله، وإلى موجبات الولاية عندهم، وإلى أن الخاص والعام حضر جنازته.

---

(١) الفكر الشيعي والنزعات الصوفية، ص٣٤٠. (٢) أعلام ليبيا، ص٣٤ و٣٥.

* معجزة لا تدرك إلا بالكشف :-

يقـول القطب الـربـاني والغـوث الصمـداني سيدي عبد الوهاب الشعراني في ترجمته لأبي الحسن الشاذلي :

«كان كبير المقدار علي المنار . . . فوّق ابن تيمية سهمه إليه فرده عليه[1]. . . » اهـ .

- أقول : لمعرفة المعجزة المعجزة في هذا الخبر ، علينا أن نعرف أن أبا الحسن الشاذلي توفي سنة ٦٥٦هـ ، وأن ابن تيمية ولد سنة ٦٦١هـ ، أي بعد موت أبي الحسن بخمس سنوات .

* قصة يرويها شاهدها :-

«كُبّـة كُبّـة» معتـوه يعـرفـه أهـل حلب في العقدين الأخيرين من القرن الرابع عشر الهجـري ، يدور في الشـوارع مكشـوف العـورة ، يبـول على ساقيه ، أكثر تواجده في حي «باب أنطاكية» ، يعتقد ولايته الكثيرون .

حدثنا شاهد قال : كنت مارًّا في شارع ، وإذا بكبة كبة جالس على الرصيف يستمني بيـده أمـام المـارة من رجـال ونساء ، فانتهرته وأردت طرده من المكان ، وإذا بعالمٍ معروفٍ يطل من نافذة بيته القريبة منا ، ويصيح عليَّ بلهجة تأنيبية شديدة وانفعال ، قائلاً : اتركه يا رجـل ، العمى على قلة الفهم! أنت تعـرف ماذا يفعـل؟ هذه صواريـخ يقـذفها على إسرائيل! الله أعلم كم يقتل منهم كل صاروخ!! . . (أو كما قال) .

* قاف :-

يقول أبو العباس المرسي (قطب الغوث) :

والله ما سار الأولياء والأبدال من قاف إلى قاف إلا حتى يلتقوا مع واحد مثلنا[2] .

● التعليق :

١ - أين هذا القاف؟

---

(١) طبقات الشعراني : ٢ / ٤ .

(٢) طبقات الشعراني : ٢ / ١٤ .

٢ ـ ما معنى قوله سبحانه: ﴿فلا تزكوا أنفسكم﴾، و﴿ألم تر إلى الذين يزكون أنفسهم . . . أنظر كيف يفترون على الله الكذب وكفى به إثماً مبيناً﴾؟

٣ ـ المرسي غوث يتصرف بالكون من العرش حتى الفرش، وعارف بالله، أفلم يسعفه كل هذا على معرفة أن جبل قاف لا وجود له وأنه محض خرافة كشفية؟

٤ ـ نفس السؤال يطرح على القطب الرباني والغوث الصمداني الذي أورد هذا الكلام؟

وعلى كل حال يجب أن نعرف أنهم كانوا يرون جبل قاف بالكشف، فهم لا يكذبون، لكن كشفهم هو الكذاب.

*** من قبَّل قدمه دخل الجنة :ـ**

مما يرويه عبد الله اليافعي في «نشر المحاسن الغالية»:

. . . ومن ذلك ما روي واشتهر واستفاض وتواتر في بلاد اليمن وما قرب منها أن الفقيه الإمام عالي المقام وصاحب الكرامات العظام الولي الكبير العارف بالله تعالى الشهير أبا الذبيح إسماعيل بن محمد الحضرمي رضي الله تعالى عنه قال: «من قبَّل قدمي دخل الجنة»، ولم يزل يقبل قدمه كل من رآه من الأكابر والأصاغر من المشايخ والعلماء وغيرهم من كل باد وحاضر.

ومن ذلك ما اشتهر عن السيد الجليل إمام الطريقة ولسان الحقيقة العارف بالله تعالى أحمد بن الجعل اليمني رضي الله تعالى عنه أنه التزم الشفاعة لمن رآه ومن رأى من رآه[1] . . .

ـ والسؤال: هل يوجد ضلال يزيد عن هذا الضلال؟ مع العلم أن هاتين الفقرتين هما بعض من كثير.

ومما ينسبونه لرابعة العدوية:

«اللهم إني لا أعبدك طمعاً في جنتك، ولا خوفاً من نارك؛ وإنما أعبدك لأنك أهل للعبادة».

---

(١) نشر المحاسن الغالية، ص٢٩٨.

أقول: سمعنا هذه الجملة مرات كثيرة يطلقها الخطباء فوق المنابر، أويلقي بها «العلماء» في حلقات الوعظ، ولا يهمنا إن كانت صحيحة النسبة إلى رابعة أم لا؟ كما لا يهمنا إن كانت شخصية رابعة حقيقية أم لا؟

إن الذي يهمنا هو أن الصوفية يؤمنون بها، وقد انزلق إيمانهم هذا إلى غير الصوفية، وقد سمعناها كثيراً ممن يهاجمون التصوف! بله المتصوفة.

وهذه الجملة شطرها الأول كفر، وشطرها الثاني نقص؟

فعبارة: «اللهم إني لا أعبدك طمعاً في جنتك ولا خوفاً من نارك»، تناقض ما أمر الله سبحانه به في عشرات الآيات وكثير من الأحاديث أن تكون عبادة المسلم (أو الإنسان) طمعاً في الجنة وخوفاً من النار، مر بعضها في فصول سابقة. وهذا التناقض يجعل العبارة كفراً وزندقة.

وعبارة: «إنما أعبدك لأنك أهل للعبادة» هي عبارة ناقصة، لأنها لا تنفي أهلية العبادة عن ما عُبد من غير الله.

وهي صورة من الذين يقرؤون القرآن فلا يجاوز تراقيهم (وقد مر الحديث).

من «المنظومة على سفينة النجاة لسيدي أحمد زروق»:

وملكت أرض الغرب طرًّا بأسرها	وكل بلاد الشرق في طي قبضتي
فملكنيها بعض من كان عارفاً	وخلفني فيها بأحسن سيرة
فأرفع قدراً ثم أخفض منصباً	بأرفع مقدار وأرفع همة
وأعزل قوماً ثم أولي سواهم	وأعلي مقام البعض فوق المنصة
وأبسط أرواحاً وأقبض أنفساً	وأحيي قلوباً بعد موت القطيعة
وأجبر مكسوراً وأشهر خاملاً	وأرفع موضوعاً بأرفع عمتي
وأقهر جباراً وأدحض ظالماً	وأنصر مظلوماً بسلطان سطوتي
فإن كنت في كرب وضيق وشدة	فناد أيا زروق آتي بسرعة
فكم كربة تجلى إذا ذكر اسمنا	وكم كربة تجلى بإفراد صحبتي[1]

---

(١) النفحة العلية في أوراد الشاذلية، ص٢٧.

ـ السؤال: ما هي الوثنية؟ وهل في الوثنيات أكثر من هذا؟ وما معنى ما نقرأه في كل ركعة من صلاة: ﴿إياك نعبد وإياك نستعين﴾؟ وما دام هؤلاء الأغوات يملكون هذه القدرة الإلهية فلم لا يغيثون هذه الأمة ويخلصونها من سرطانهم القاتل الذي أوصلها إلى ما هي عليه من ضياع وتشتت؟ وعلى كل حال يجب أن نعرف أنه يقول ما يراه في الكشف، فهو لا يكذب على الكشف، لكن الكشف هو الكذاب.

*** يبيع الجنة :ـ**

. . . وكان ابن أبي حاتم رضي الله عنه زاهداً ورعاً خاشعاً لا يكاد يرفع طرفه إلى السماء، وجاءه رجل وهو في الدرس فقال: إن سور طرسوس قد انهدم منه جانب واحتيج في عمارته إلى ألف دينار، فقال الشيخ للحاضرين: من يعمره وأنا أضمن له على الله قصراً في الجنة؟ فقام رجل أعجمي وجاء بألف دينار، وقال: اكتب لي ورقة بهذه الضمانة، فكتب له الشيخ، ثم إن العجمي مات، ودفنت معه الورقة، فحملها الريح حتى ألقاها في حجر الشيخ رضي الله عنه، فإذا مكتوب في ظهرها: قد وفينا ما ضمنته ولا تعد[1] . . .

ـ أقول: القصة مكذوبة، لكن المهم فيها هو أنهم يؤمنون بأن الأولياء يدخلون الجنة ويضمنون على الله وغير ذلك! مع سؤال: ما هو الفضل؟ أي فضل في عدم رفع طرفه إلى السماء؟ وملاحظة أن مثل هذا الورع والخشوع الذي جعلته الصوفية مثلاً أعلى في المجتمعات الإسلامية هو الذي أوصل هذه المجتمعات إلى الجهل والضياع والتخبط التي مرت بها.

*** من مقام الورع :ـ**

. . . وكان الشيخ عبد الرحمن الأنباري النحوي رضي الله عنه لا يوقد قط في بيته سراجاً لعدم صفاء ثمن ما يشتري به الزيت، وكان تحته حصير قصب وعليه ثوب خلق وعمامته من غليظ القطن، فيصلي فيها الجمعة، ما يفرق الناس بينه وبين الشحاتين في رثاثة الهيئة، وكان لا يخرج من بيته إلا لصلاة الجمعة[1] . . .

---

(١) الطبقات الكبرى: ٢ / ١٨٩.

ـ السؤال: هل هذا من هدي الإسلام؟ والباقي للقارىء.

*** ومن مقام الورع أيضاً ومعه مقام الزهد:ـ**

. . . كان الشيخ عبد الرحمن الداودي البوشنجي رضي الله عنه عالماً زاهداً لم يأكل اللحم منذ أربعين سنة من حين نهبت التركمان البهائم! وكان لا يأكل السمك فحكى له شخص أن بعض الجند أكل على شاطىء النهر الذي يصاد له منه ونفض سفرته في النهر تأكله السمك، فلم يأكل بعد ذلك منه سمكاً! وكان له أرض ورثها من آبائه يزرع فيها ما يقوته، وله فيها بقرة وبئر ماء، فمطرت يوماً، فأطلقت البقرة إلى أرض جاره ثم رجعت وفي حافرها وحل، فاختلط في أرضه، فترك تلك الأرض للناس وخرج منها ولم يزرع بعد ذلك فيها شيئاً إلى أن مات! وكان له فرن يخبز فيه في داره، فجاء فقراء يزورونه، وكان غائباً، فوجدوا باب فرنه قد انهدم منه جانب، فعجنوا طيناً وأصلحوه، فامتنع من الخبز فيه، وبنى له خلافه، لكون من ليس على قدمه في الورع بناه[1]. . .

ـ ويترك التعليق للقارىء، مع ملاحظة هامة هي أن هذا الورع، وهذا الزهد كانا من المثاليات التي تجتهد نخبة المجتمع على تطبيقها!! إلا من رحم ربك، ومن هنا تتوضح لنا الطريق التي سارت فيها الأمة حتى وصلت إلى الضياع الذي تخبطت فيه زمناً، وهي الآن تحاول التخلص منه، لكن شد الصوفية الشديد يمنعها من ذلك، مع بلاء شديد جديد، هو الشيوعية بأساليبها المبنية على قوانين علم النفس وعلم الاجتماع والدعاية والإشاعة والكذب، حتى تحول كثير من المسلمين الآن إلى آلات أوجرافات تفتح الطريق للشيوعية وهم يحسبون أنهم يجاهدون في سبيل الله ويعملون لإقامة دولة الإسلام!

ونهي هذا الفصل الذي لو بقينا مسترسلين معه لاحتجنا إلى ألوف الصفحات، ننهيه بكلمات لابن عطاء الله السكندري صاحب الحكم المشهورة التي يقارنونها بالقرآن الكريم، يقول:

. . . فما سوى الله عند أهل المعرفة لا يتصف بوجود ولا بفقد، إذ لا يوجد غيره

---

(١) الطبقات الكبرى: ٢ / ١٨٩.

معه، لثبوت أحديته؛ ولا فقد لغيره لأنه لا يفقد إلا ما وجد، ولو انتهك حجاب الوهم لوقع العيان على فقد الأعيان، ولأشرق نور الإيقان فغطى وجود الأكوان[1].

ويقول: . . . لأن من استرسل من إطلاق التوحيد، ورأى أن الملك لله وأن لا ملك لغيره معه، ولم يتقيد بظواهر الشريعة، فقد قُذف به في بحر الزندقة، وعاد حاله بالوبال عليه، ولكن الشأن أن يكون بالحقيقة مؤيداً، وبالشريعة مقيداً، وكذلك المحقّق، فلا منطلقاً مع الحقيقة، ولا واقفاً مع ظاهر إسناد الشريعة، وكان بين ذلك قواماً.

فالوقوف مع ظواهر الإسناد شرك، والانطلاق مع الحقيقة من غير تقييد بالشريعة تعطيل، ومقام أهل الهداية فيما بين ذلك[2]. . . اهـ.

ـ سؤال: هل مقام أهل الهداية هو الذي بين ذلك، أم مقام أهل الضلال البعيد؟!

● **الملاحظات:ـ**

ـ وحدة الوجود واضحة تماماً في النص الأول، ويجب أن نفهم العبارات التالية انطلاقاً منها.

ـ نفهم من العبارات: «إطلاق التوحيد»، و«رأى أن الملك لله»، و«أن لا ملك لغيره معه» استناداً إلى ما سبق أنها تشير إلى وحدة الوجود، وهي تذكرنا بعبارات كثيرة مرت في فصول سابقة، مشابهة لهذه، وتوضح لنا رموزها وإشاراتها، مثل: «الوحدة المطلقة» و«لا فاعل إلا الله» و«إن المنعم هو الله» و«هو المخوف والمرجو وعليه التوكل والاعتماد»، وغيرهما مما مر وكلها تشير إلى وحدة الوجود.

ـ قوله: «ولا واقفاً مع ظاهر إسناد الشريعة»، فما هو إسناد الشريعة؟ إنه القرآن والسنة، وطبعاً يمكنهم تأويل كلمة «إسناد» بأنها تعني «رواة الحديث»، رغم أن النص لا يحتمل مطلقاً هذا التأويل. فقوله: «ظاهر إسناد الشريعة»، تعني بوضوح: «ظاهر القرآن والسنة»، لأننا عندما نورد سند أي نص كان بقولنا: «رواه فلان عن فلان» فليس في هذا الإسناد ظاهر وباطن، وليس فيه إلا أسماء الرواة.

---

(1) التنوير في إسقاط التدبير، ص٣٠٦.

(2) التنوير في إسقاط التدبير، ص٢٨٤.

ـ ثم لننتبه إلى قوله: «الوقوف مع ظواهر الإسناد شرك»، التي تعني: «الوقوف مع ظواهر القرآن والسنة شرك»، وهو مثل قول الصاوي الذي مر في مكان سابق: «إن ظاهر القرآن والسنة من أصول الكفر»، ويعني بقوله: «الوقوف مع ظواهر الإسناد شرك» أن ظاهر القرآن والسنة يقرر أن المخلوق غير الخالق، وبالتالي، هناك موجود آخر في هذا الوجود غير الله (طبعاً أوجده الله سبحانه من العدم، لا من ذاته) وهذا هو الشرك في عقيدة الصوفية لأنه يشرك مع الله وجوداً غيره.

ـ وفي النص ملاحظات أخرى، يستطيع القارىء أن يتسلى بتحليلها (مثلاً: قوله: قذف به في بحر الزندقة؟).

ـ أزيد: أردت أن أنهي هذا الفصل بكلمات ابن عطاء الله الآنفة، وأمامي في الكتب مئات الأمثلة من المضحكات المبكيات التي تستحق التسجيل ليطلع عليها المسلم الذي تهمه معرفة السبب الذي أوصل المجتمعات الإسلامية إلى ما وصلت إليه.

وهذه الأمثلة بالإضافة إلى كونها من المضحكات المبكيات هي أيضاً مسليات ومحزنات، وأراني مدفوعاً لتسجيل بعضها.

مما يورده ابن العماد الحنبلي في «شذارات الذهب»:

وفيها (أي سنة ٩٠٩هـ) أبو الخير الكليباتي (أي توفي)، قال النجم الغزي: الشيخ الصالح الولي المكاشف الغوث المجذوب، كان رجلاً قصيراً يعرج بإحدى رجليه، وله عصاً فيها حلق وخشاخيش، وكان لا يفارق الكلاب في أي مجلس كان فيه حتى في الجامع والحمام، وأنكر عليه شخص ذلك، فقال: رح وإلا جرسوك على ثورٍ دائرَ مصر، فشهد ذلك النهار زوراً، فجرسوه على ثورٍ دائرَ مصر، وأنكر عليه بعض القضاة ذلك، فقال: هم أولى بالجلوس في المسجد منك، فإنهم لا يأكلون حراماً ولا يشهدون زوراً ولا يستغيبون أحداً . . . وكان كل من جاءه في ملمة يقول له: اشتر لهذا الكلب رطل شواء وهو يقضي حاجتك، فيفعل، فيذهب ذلك الكلب ويقضي تلك الحاجة، قال الشعراوي (أي الشعراني): أخبرني سيدي علي الخواص أنهم لم يكونوا كلاباً حقيقية، وإنما كانوا جنًّا سخرهم الله تعالى له . . . وقال الحمصي بعد ترجمته بالقطب الغوث كان صالحاً مكاشفاً . . . وكان يصحو تارة ويغيب أخرى، وكان يسعى له الأمراء والأكابر فلا

يلتفت إليهم، وتوفي ثالث جمادى الآخرة وحمل جنازته القضاة والأمراء ودفن بالقرب من جامع الحاكم بالقاهرة وبني عليه عمارة وقبة.

ـ التعليق يترك للقارىء، وكذلك التساؤلات، وأنبه فقط إلى أنه حمل جنازته القضاة والأمراء، وبني عليه عمارة وقبة.

ـ كما أنبه أيضاً إلى أن القبة شعار وثني كانت تُبنى فوق الصنم المعبود على أنه إله في سمائه، وكانت القبة الكبرى تبنى من أجل الصنم الأكبر.

ويقول القطب الرباني والغوث الصمداني:

ومنهم الشيخ الصالح عبد القادر السبكي رحمه الله تعالى، أحد رجال الله تعالى، كان من أصحاب التصريف بقرى مصر رضي الله عنه، وكان رضي الله عنه كثير التلاوة للقرآن . . . وكان كثير الكشف لا يحجبه الجدران والمسافات البعيدة من اطلاعه على ما يفعله الإنسان في قعر بيته . . . وخطب مرة عروساً فرآها فأعجبته، فتعرى لها بحضرة أبيها، وقال: انظري أنت الأخرى حتى لا تقولي بعد ذلك بدنه خشن، أو فيه برص، أو غير ذلك، ثم مسك ذكره وقال: انظري هل يكفيك هذا؟ وإلا فربما تقولي هذا ذكره كبير لا أحتمله أو يكون صغيراً لا يكفيك، فتقلقي منه وتطلبي زوجاً أكبر آلة مني. وكان له بنت يحملها على ظهره أي موضع ذهب حتى كبرت وهو يحملها على كتفه وهو يقول: خوفاً من أولاد الزنا، وكان ربما ذهب ليغسل لها ثوبها في البركة، فيحفر لها الأرض ويردم التراب عليها حتى ينشف ثوبها[1] . . .

ـ وأترك التعليق لغير أهل الطريق.

*** يتركون العبادة مرضيين :ـ**

يقول مجدد الألف الثاني أحمد الفاروقي السرهندي:

. . . فما تكون نسبة الآخرين لهؤلاء الأكابر؟ وربما تصدر العبادة عن الآخرين وتكون غير مرضية، وهؤلاء الأكابر يتركون العبادة في بعض الأحيان ويكون ذلك الترك

(١) طبقات الشعراني: ٢ / ١٨٤.

مرضيًّا. فكان تركهم أفضل عند الحق جل وعلا من فعل غيرهم، والعوام حاكمون بخلاف ذلك يعتقدون ذلك عابداً وهذا مكَّاراً أو معطلاً[1]. . .

ـ أقول: من مثل هذا يتبين لنا دور الكشف في تزوير عقول الأمة، لأن هذا القطب المجدد عرف هذا الحكم عن الله الذي هو هو، أثناء إحدى فناءاته، وهو طبعاً، يعتقد أن هذا هو حق لا ريب فيه.

ومما يورده القطب الرباني والغوث الصمداني:

. . . وكذلك وقع للإمام اليافعي التميمي رضي الله عنه، فحكى في كتابه «المنهاج» أنه مكث خمس عشرة سنة في نزاع، فخاطرٌ يدعوه إلى الاشتغال بالعلم على طريق العلماء، وخاطر يدعوه إلى الاشتغال بما عليه الصوفية، قال: وكان الفقهاء يأمرونني بموافقتهم ويقولون: طريقنا يتضمن طريق غيرنا وطريق غيرنا لا يتضمن طريقنا، فقلت في نفسي بتوجه تام: اللهم بين لي أي الطريقين أقرب إليك، فبينما أنا أمشي في شارع من شوارع زبيد، إذ لقيني شخص من أرباب الأحوال وقال: إلى متى تشك في طريق القوم؟ اسلك منها فإنها أقرب الطرق إلى الله تعالى. قال: فقلت له: أريد البيان. فقال: نعم. فدخل زاويته وقال؛ أرسلوا لنا خلف العالم الفلاني، ممن لا يرى الشيخُ إذ ذاك رد السلام عليه إذا سلم، فخرج النقيب إليه، فقال الشيخ للجماعة: لا أحد يرد عليه السلام إذا جاء ولا يقوم له ولا يفسح له، فقالوا: سمعاً وطاعة. فلما حضر قال: السلام عليكم. فلم يرد أحد عليه السلام، فقال: حرام عليكم. فجلس فلم يفسحوا له، فقال: خالفتم السنة، فقال الشيخ: الفقراء في أنفسهم منك شيء، فقال: وأنا في نفسي منهم أشياء، وأشار بأصابع كفه كلها. فقال الشيخ: انظر يا يافعي ما أثمره علم هذا. ثم قال للنقيب: أرسل وراء الفقير الفلاني، وأمرهم أن لا يردوا عليه السلام ولا يقوموا له ولا يفسحوا له، ففعلوا ذلك، فصار يبتسم ويقول: أستغفر الله تعالى، ثم وقف عند النعال، وأخذ النعال على رأسه وبكى، فلم يلتفت أحد إليه، فقال له الشيخ: الفقراء في نفوسهم منك شيء، فقال: أنا أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً

---

(1) المنتخبات من المكتوبات، ص١٥٢.

رسول الله. فقال الشيخ لليافعي: انظر ما أثمره صحبة الفقراء[1]...

ـ الملاحظات كثيرة، منها: «العالم الفلاني»، لم يتصرف إلا حسب توجيهات الإسلام، حيث لم يزد أن أمر بمعروف أو نهى عن منكر.

ونلاحظ أن الفقراء احتقروا هذا السلوك الإسلامي، واستحسنوا سلوك الفقير المزري، واللاإسلامي، وهكذا يتوضح لنا سبب انحطاط المسلمين، فالصوفية هي التي قادتهم إلى ما هم عليه.

ـ وأخيراً، وبعد قراءة هذا الفصل بهدوء، أظن أن القارىء الكريم توضحت لديه الرؤ ية، وأصبح على معرفة تامة بسبب انحطاط المسلمين. وفي فصل آت سوف نرى ما هو أكبر.

وفي هذا العصر أضيف إلى الصوفية التي سلبت من المسلمين سلامة التفكير، وأصبحوا لا يفكرون ولا يناقشون الأمور إلا بفهم سحري وإسقاط سحري لما يتوهمونه، على ما يتوهمونه، أضيف إليها بلاء جديد، هو الماركسية، التي وصلت إلى القمة في فن الجاسوسية، لأن العبادة عند اليهود هي الجاسوسية منذ ١٩٠٠ سنة، واليهودية هي الماركسية، أو بتعبير آخر، الماركسية هي التطبيق العملي لأسطورة الشعب المختار.

وقد استطاعت الماركسية أن تجعل من المسلمين أبواقاً للدعايات التي تخدم الماركسية، وتجعل كثيراً منهم أحجاراً في مقاليعها، أو قنابل في يدها ترمي بهم أعداءها وكل من يقف سدًّا في سبيلها، وكان أكبر مساعد لها على النجاح في هذا الميدان هو الأسلوب الصوفي في التفكير، الذي وصل إليه المسلمون، فالصوفية حرثت، والماركسية تزرع وتحصد، والماركسية هي هي اليهودية.

وهذا ورد من أوراد الطريقة الشبكية التي هي فرع من البكطاشية:

إن حقيقة كل الوجود عليٌّ جل جلاله، ملك العالي والداني عليٌّ جل جلاله، إذا تحررت من الكائنات أولها وآخرها فلن يبقى سوى عليٌّ جل جلاله، إن حارس جماعة

---

(١) الأنوار القدسية في معرفة قواعد الصوفية: ٢ / ٣٦ و ٣٧.

الواهين في حالتي الصحو والسكر عليٌّ جل جلاله، إن كنت تعبد الله فلا تدعوني مشركاً، فالله الـذي تعبـده عليٌّ جل جلالـه، لا تكسـر القلوب المنكسرة فإذا كسرتها فاعلم أن في القلب الذي كسرته عليٌّ جل جلاله، اعتصم بحبل علي واصعد إلى الذروة فسترى عليًّا جل جلاله بعد أن تحرر من القيود[1]. . .

● الملاحظة:

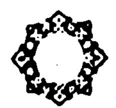
تتضـح الـروح الصـوفيـة في هذا النص من العبـارات «تحـررتَ من الكـائنات أولها وآخرها، جماعة الواهين، حالتي الصحو والسكر، اصعد إلى الذروة، تحرر من القيود».

وفي الختام. . .

هذه هي الكشـوف الصـوفيـة والعلوم اللدنية والكرامات، كلها جهل وضلال ووأد للعقـل الـذي كرم الله به بني آدم، ولـو كانت إلهية لتنزهت عن الغلط (مجرد الغلط)، ولو كانت الصوفية سيراً إلى الله وعروجاً إليه، كما يدَّعون، لما كان كل هذا التخبط والضياع عن مبادىء الإسلام، وعن أبسط مقومات الوجود الإنساني.

وقـد فطن بعض متأخـريهم إلى هذا الخبـط والخلط، فاعتـذروا عنـه بقـولهم: «قد يخطىء الكشف»، وهـو عذر أقبـح من الكشف، والصحيـح هو أن نقـول: «قـد يصدق الكذوب، وقد يحسن الشرير، وقد يصيب الكشف».

ولعل أهم ما يجب أن نلاحظه في كشوفهم أنها لا تزيد شيئاً عن معلومات المكاشف وأمـانيـه المسبقـة إلا ما يقتضيـه التصـوير والتنسيق الموجِّهين بثقافته أيضاً، وطبعاً يستقي المكـاشف معلومـاتـه وأمـانيه من الوسط الاجتماعي والوسط الصوفي الذي يتقلب فيهما، ولذلك لا نرى فيها أي شيء يزيد عن ثقافة مجتمعه، إلا بعض التخيلات التافهة.



(١) الشبك، ص٨٠.



القسم الثاني :

المناقشات

بدأ القسم الأول من الكتـــاب بدراســـة ما يسمـــونـه «الحقيقـة» ثم جاءت دراســة «الطريقة» بعد ذلك .

أمــا في المناقشــة ، فسيكــون البــدء أولاً بمناقشة الطريقة ، ثم تأتي مناقشة حقيقتهم بعدها ، ثم يأتي الباقي .

لكن قبل الشروع في المناقشة ، لا بد من كلمة موجزة عن البدعة .

□ تقديم وجيز في البدعة :

القـول في البـدعـة مكـرور، ردده العلماء مئات المرات، ولا زالوا يرددونه، نورد هنا اقتباساً موجزاً مما قالوه ورددوه :

ما هي البدعة؟

يقول ﷺ في حديث: «. . . فإنه من يعش بعدي فسيرى اختلافاً كثيراً، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين، عضوا عليها بالنواجد، وإياكم والمحدثات، فإن كل محدثة بدعة». أخرجه أبو داود وابن ماجة والترمذي، وقال عنه: «حسن صحيح».

- كلمـة «الخلفـاء» هنا تعني كل أصحاب رسول الله ﷺ، وتابعيهم الذي خلفوه في السير على هديه والدعوة إلى الله حسب تعاليمه.

- في هذا الحـديث، بعـد أن يأمـرنـا ﷺ بالالتـزام بسنته وسنة أصحابه، يحذرنا من المحدثات التي تحدث بعدهم. وهذه المحدثات هي الاختلاف كما يفهم من الحديث.

لكن، هل كل أمر يحدث بعد الرسول وبعد أصحابه، كائناً ما كان هذا الأمر، هو بدعة؟

نعرف الجواب من قوله ﷺ في حديث: «. . . إنما أنا بشر، إذا أمرتكم بشيء من أمر دينكم فخذوه، وإذا أمرتكم بشيء من رأيي فإنما أنا بشر»، رواه الشاطبي نقلاً عن مسلم.

ومن قوله في حديث تأبير النخل: «. . . أنتم أعلم بأمور دنياكم».

من هاذين الحديثين، نعرف أن البدعة هي كل محدثة في الاعتقادات والعبادات، أما الأمور الدنيوية، فقد تركت لنا الحرية فيها، (إلا ما ورد فيه نص).

ومن القواعد التي استنبطها الأصوليون قولهم: كل العبادات باطلة إلا ما ورد به نص، وكل العادات مباحة إلا ما ورد به نص.

وإذ عرفنا ما هي البدعة، فما هو حكمها في الإسلام؟

يقول ﷺ فيما يرويه الشاطبي في «الاعتصام»: «حلت شفاعتي لأمتي إلا صاحب بدعة».

ويقول: «إن الله حجر التوبة عن كل صاحب بدعة».

ويقول: «من أحدث حدثاً أو آوى محدثاً فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين».

ويقول: «من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد».

ويقول ﷺ: «ستفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة كلهم في النار إلا ملة واحدة، قالوا: من هي يا رسول الله؟ قال: ما أنا عليه اليوم وأصحابي». رواه أحمد وأبو داود وغيرهما.

ويقول في حديث: «. . . وإياكم ومحدثات الأمور، فإن كل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة. وفي رواية: وكل ضلالة في النار». رواه أبو داود والنسائي وغيرهما.

وعليه، فلا يجوز مطلقاً تبني أية عقيدة، كائنة ما كانت، ولا القيام بأية عبادة، كائنة ما كانت، إلا إذا كان فيها نص بالعمل بها من قرآن أو سنة، وإلا فهي باطلة داخل صاحبها في لعنة الله ووعيده. هذا هو حكم البدعة في الإسلام.

أما في الأمور الدنيوية، فيجوز للمسلم أن يقوم بأي أمر منها، سواء كان محدثاً أو غير

محدث، إلا إن كان فيه نهي أو كان فيه ضرر بالدين أو ضرر بالناس.

لكن المتصوفة، كشأنهم في كل أمور الدين، رأوا هذه النصوص وغيرها، وعميت بصائرهم عنها، ﴿إنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور﴾، فأولوها التأويلات المنكرة التي تدل على رفضها والكفر بها، وجعلوا بدعهم حلالاً، قياساً على الأمور الدنيوية، رغم كل النصوص، ونسوا أنه «لا اجتهاد في مورد النص». وقياسهم الفاسد المنكر هذا يدل على أنهم لم يكتفوا بخروجهم على النصوص، وبالإحداث في دين الله، بل أضافوا إليهما المكر والكيد لهذا الدين بالمغالطات والمراوغات، كما أضافوا إليها عدم الحياء من الله ومن الناس، حين يظهر أحدهم، في دفاعه عن بدعهم، بمظهر الجاهل الغبي المعاند.

خلاصة الكلام:

حيثما وردت كلمة «بدعة» فالمراد بها هو الإحداث في الاعتقادات والعبادات، لا في العادات والأمور الدنيوية، إلا عند المتصوفة، فإنها لا تعني عندهم إلا المغالطة «والمناورة»، للتظاهر بأنهم يسيرون على هدي الإسلام.

وهم عندما يغالطون ويراوغون، يعتقدون أن عملهم هذا من التقية، التي هي الحكمة التي أرادها الله من الشرائع لستر «حقيقتهم»، فسبحان الله عما يصفون.

● **ملاحظة هامة:**

هناك حجة واهية يتذرع بها المتصوفة لتأييد باطلهم؟ هي قولهم بـ «البدعة الحسنة»، ويحتجون بقوله ﷺ: «من سن سنة حسنة فله أجرها . . .»، وقول عمر بن الخطاب في الجماعة لصلاة التراويح: «نعمت هي البدعة».

وحجتهم واهية وداحضة:

١ ـ قوله ﷺ: «من سنة سنة حسنة . . .»، قد أشبعه العلماء بحثاً، وإنما أذكر الملخص:

من القواعد المعروفة في علم الأصول، وفي مصطلح الحديث، أنه إذا وجد نصان، وظهر للوهلة الأولى أنهما متناقضان، فيجب أن نفتش في أحدهما، أو في كليهما، عن المعنى الصحيح الذي يزول معه التناقض، لأن الوحي لا تناقض فيه: ﴿ولو كان من

عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً﴾.

وعليه، فالذي يقول: إن معنى «السنة الحسنة» هو البدعة الحسنة، يكون قد أوجد في النصوص تناقضاً غير موجود في الأصل، ويكون قد خاض في الباطل خوضاً، لأن هذا المعنى المتوهم: «البدعة الحسنة»، مناقض لقوله: «كل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة»، وغيرها مما مر.

أما المعنى الصحيح لـ «السنة الحسنة»، فهو: إماتة بدعة انتشرت، أو إحياء سنة اندثرت، أو افتتاح عمل خيري مشروع، أو إبداع في أمر من أمور الدنيا ينفع الناس في دينهم أو في دنياهم (دون ضرر بالدين).

هذه هي السنة الحسنة، وسبب قوله ﷺ للحديث هو من الأدلة على ذلك، فقد قاله يحض الناس على تقديم صدقات.

٢ ـ قول عمر بن الخطاب رضي الله عنه: «نعمت هي البدعة».

والجواب:

أ ـ الجماعة لصلاة التراويح ليست بدعة، بل هي سنة فعلها رسول الله ﷺ ثم تركها لئلا تؤخذ فرضاً، حتى إذا انقضى زمن التشريع، وزال سبب تركها، لم يبق بأس من العودة إليها.

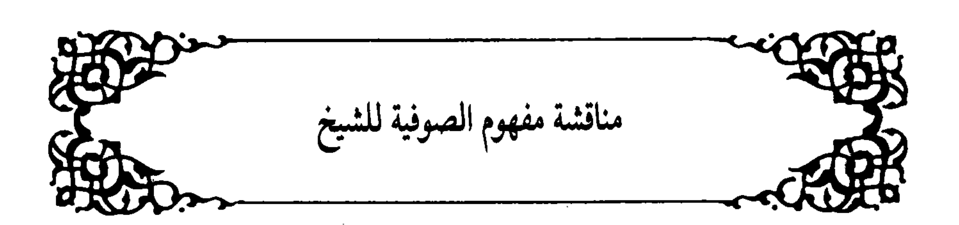
ب ـ غلط الرجل الذي قال عنها: «هذه بدعة»، فأراد عمر رضي الله عنه أن يفهمه أنها ليست كذلك، وفي اللغة صيغ كثيرة مستعملة تصلح لهذا الهدف، منها هذه العبارة التي جاءت على لسان عمر: «نعمت هي البدعة»، فهو يريد أن يقول له: إنها ليست بدعةً، ولو كانت البدعة مثلها، فنعمت هي البدعة.

وضرب المثل قد يفيد: كثيراً ما نسمع مثل قول من يقول: فلان ضرب فلاناً بنصف كيلو كنافة مثلاً، فلو أجابه أحدهم ب «نعمت هي الضربة»، فماذا يفهم منها كل من يسمعها؟ إنه يفهم منها أنها ليست ضربة، ولو كانت كل ضربة هكذا، فنعمت هي الضربة . . . وهكذا . . . وهكذا يكون القول بالبدعة الحسنة هو بدعة ضلالة.

الباب الأول: مناقشة الطريقة



الفصل الأول:



مناقشة مفهوم الصوفية للشيخ

عرفنا أن الطرق الصوفية كالقادرية والرفاعية والشاذلية والنقشبندية وغيرها، ما هي إلا مشيخات، ما هي إلا اتباع للشيوخ، فمناقشتها هي مناقشة عقيدة «الشيخ» عندهم.

كما عرفنا أن الطريقة الوحيدة الأمية التاريخية والحالية والمستقبلية هي طريقة «الإشراق».

وأهم ما في الطريقة الشيخ

وصحبة شيخ وهي أصل طريقهم فما نبتت أرض بغير فلاحة

كما عرفنا من النصوص السابقة، وهي جرعة من سيل، أنهم يتخذون الشيوخ آلهة يعتقدون أنهم ينفعون ويضرون، وأن بيدهم النجاة.

ومن أقوالهم في ذلك: الدين إطاعة رجل.

كما رأينا من أقوال عارفيهم وأقطابهم وعلمائهم البراهين الكافية الوافية على أنهم يتخذون الشيخ إلهاً من دون الله، أو شريكاً معه يسبغون عليه كل صفات الألوهية.

ومن أقوالهم التي مرت قول قائلهم «الغوث»: لو كشف عن نور الولي لعبد من دون الله.

ولا بأس على القـارىء الكـريم من الرجوع إلى تلك الفصول مرة أخرى، ليبعث أقوالهم حية في ذاكرته، ثم يعود لمتابعة المناقشة.

وطبعاً، ستكون المناقشة بعرض أقوالهم وأفعالهم وعقائدهم على القرآن والسنة قبل كل شيء.

١ ـ يقـول سبحـانـه في كتـابه العزيز: ﴿فإنْ تَنازَعْتُم في شيء فردُّوه إلى الله والرَّسولِ إنْ كُنْتُمْ تؤْمِنونَ بالله واليومِ الآخرِ﴾.

واضح من الآية الكريمة كل الوضوح، وبدون لبس أو إشكال أو غموض، أن من يردُّ ما يُتنازع فيه إلى غير الله ورسوله، فهو لا يؤمن بالله ولا باليوم الآخر.

وردُّ الشيء إلى الله والرسول، يعني عرضه على الكتاب والسنة، فالقرآن كلام الله، والسنة كلام رسوله الموحى معناه من الله سبحانه.

والصـوفيـة يردون كل شيء إلى شيـوخهم، ويطلبـون من الآخرين أن يردوه إليهم، ويكفي إيراد قولٍ واحدٍ لأحد أقطابهم:

«. . . وإن قال (قـائـل) للمـريد: إن كلام شيخه معارض لكلام العلماء أو دليلهم، فعليه الرجوع إلى كلام شيخه . . . وإذا خرج المريد عن حكم شيخه وقدح فيه، فلا يجوز لأحد تصديقه لأنه في حال تهمة لارتداده عن طريق شيخه».

ـ السـؤال: أيهـا المسلم المـؤمن، ما هو حكم الشريعة الإسلامية على من يقول هذا ومثله؟ أو يفعله؟ أو يعتقده؟

إن الآيـة الكـريمـة تضـع الجواب الكريم: ﴿. . . فردُّوهُ إلى الله والرَّسولِ إنْ كُنْتُم تُؤْمِنـونَ بالله واليـومِ الآخـرِ﴾، التي يُستنبَـط منهـا: إن كنتم لا تؤمنـون بالله واليوم الآخر، فردوه إلى الشيخ أو إلى من تريدون.

٢ ـ ويقـول سبحـانـه: ﴿أمْ لهمْ شُركـاءُ شَرَعوا لَهُم مِن الدينِ ما لَم يَأْذَنْ بِهِ الله ولولا كلمةُ الفصلِ لقضيَ بينَهم وإنَّ الظالمينَ لهمْ عذابٌ أليمٌ﴾.

فكل شرع في الدين، كائناً ما كان، لم يأذن به الله فهو شرك.

والشيوخ في الصوفية يشرعون في دينهم كل ما لم يأذن به الله، ونكتفي بإيراد قول قطبهم المدَّرك:

من يذكر الله تعالى بلا شيخ، لا الله حصل ولا نبيه ولا شيخه.

فمن أين أتى بهذا التشريع؟ وما هو حكم من يأخذ بهذا التشريع الوثني؟

ونعود للسؤال؟ ما هو حكم الشريعة الإسلامية على من يقول هذا ومثله؟ أو يفعله؟ أو يعتقده؟

والآية الكريمة تقرر الجواب: ﴿وإنَّ الظالمينَ لهم عذابٌ أليمٌ﴾.

٣ - يقول سبحانه في وصف أهل الكتاب: ﴿اتَّخَذوا أحْبارَهم ورُهْبانَهم أرْباباً مِن دونِ الله والمسيحَ بنَ مريمَ وما أُمِروا إلا لِيَعْبدوا إلهاً واحداً لا إله إلا هوَ سبحانَه عمَّا يُشْرِكونَ﴾.

يورد ابن كثير: سمع عدي بن حاتم الطائي (وكان نصرانيًا فأسلم) هذه الآية من رسول الله ﷺ، فقال له: «إنهم لم يعبدوهم»، فقال ﷺ ما معناه: بلى، إنهم حرموا عليهم الحلال وأحلوا لهم الحرام، فاتبعوهم، فذلك عبادتهم إياهم.

وقد فعل الصوفية ذلك واتخذوا شيوخهم أرباباً من دون الله. ونكتفي بقولٍ لحجتهم الغزالي:

. . . فالعلم بحدود هذه الأمور (أي المجاهدات والمقامات) . . . هو علم الآخرة، وهو فرض عين في فتوى علماء الآخرة. . .

وهو كلام واضح صريح، لا يُحتاج معه إلى غيره، لأنه كلام من يسمونه «حجة الإسلام»، مع أن غيره يملأ الكتب، على أنهم يحلون ويحرمون ويفرضون الفروض ويسنون السنن.

والسؤال: قل لنا أيها المسلم المؤمن، ما هو حكم الشريعة الإسلامية فيمن يقول مثل هذا؟ أو يفعله؟ أو يعتقده؟

وفي الآية الكريم الجواب: ﴿سبحانَ الله عمَّا يُشْرِكونَ﴾.

٤ - ويقول سبحانه: ﴿ومِن الناسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دونِ اللهِ أنْداداً يُحِبُّونَهم كحُبِّ

الله . . . ﴾.

وقد اتخذ المتصوفة من شيوخهم أنداداً يحبونهم كحب الله، بل أشد حبًّا، حتى كأن الآية أنزلت فيهم خاصة، وهذا قول مر معنا لأحد أقطابهم العظام:

«حقيقة حب الشيخ أن يحب الأشياء من أجله ويكرهها من أجله، كما هو الشأن في محبة ربنا عز وجل».

وقول الآخر: الطريق ذكر الله ومحبة الشيخ.

والسؤال؛ ما هو حكم الشريعة الإسلامية على من يقول هذا؟ أو يفعله؟ أو يعتقده؟

إن الآية الكريمة تعطينا الجواب الكريم: ﴿ولَو يَرى الذينَ ظَلَموا إذْ يَرَوْنَ العذابَ أنَّ القُوَّةَ لله جَميعاً وأنَّ الله شديدُ العذابِ﴾.

٥ ـ قال ربعي بن عامر لكسرى: «بعث الله إلينا رسولاً ليخرجنا من عبادة الناس إلى عبادة رب الناس».

وجاءت الصوفية لتعكس الآية وتعيد الشرك إلى مساره، فتخرج الناس من عبادة رب الناس إلى عبادة المشايخ وعبادة قبور المشايخ!

والسؤال: ما هو حكم الشريعة الإسلامية على هؤلاء؟ بل ما هو حكم الشريعة الإسلامية على من يتوقف في الحكم عليهم؟

٦ ـ سيقول لك المتصوفة وشيوخهم وكثير من الغافلين والمغفلين: «معاذ الله، الصوفية لا يعبدون الشيوخ، لا يعبدون إلا الله . . .» وقد يقدمون بعض الأمثلة الموهمة والمتداولة بينهم.

فنجيب: لا، بل يعبدون الشيوخ، وهذه أقوالهم وأقوال عارفيهم وأقطابهم الذين يتبركون بالركوع أمام قبورهم ولثم حجارتها والاستغاثة بها فيها من رمم، وأمثلهم طريقة ذلك الذي يعتقد أنهم يقربونه إلى الله زلفى وحسن مآب، وهذه أفعالهم كلها شاهدة عليهم بوضوح كوضوح الشمس في رائعة نهار مشمس، على أنهم يؤلهون الشيوخ ويعبدونهم. ولو جمعت أقوال عارفيهم في تأليه الشيوخ لملأت ألوف الصفحات.

وإنكارهم هذا، يسمى في الشريعة الإسلامية وفي اللغة العربية وفي جميع ما تعارف عليه البشر من أخلاق «الفجور».

ـ وسيقول بعضهم، متحرفاً لقتالٍ (وفي لغة العصر مناورة): هذا واقع كثير من المتصوفة، وهو من الدخن والانحراف الذي أصاب التصوف كما أصاب غيره من أمور الشريعة. والتصوف الحق بريء من ذلك.

فنقول: «شنشنة نعرفها من أخزم». إن واقع المتصوفة منذ أن وجدت الصوفية وفي كل الأمم، لا في المسلمين وحدهم، هو تأليه الشيخ وعبادته، وهي الطريق التي توصل المريد أو السالك إلى استشعار الألوهية، أما من يصل إلى الجذبة دون شيخ فيسمونه هم: «المراد»، ويعنون بها أن الله أراده فجذبه إليه. وهذا افتراء على الله الكذب، لأن القرآن ينفي على لسان المسيح صلوات الله عليه أن يعرف أحد ما يريده الله: ﴿. . . إنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فقدْ عَلِمْتَهُ تعلمُ ما في نفسي ولا أعلمُ ما في نفسِكَ﴾، ونقول لهم: هذه صورة من مراوغاتكم (للالتفاف حول الهدف)، أتقنتموها أنتم وأشياخكم تظهرونها وتخفونها حسب الظروف المحيطة، وهي من أساليب التقية الواجبة في عقيدتكم الصوفية كما قال الغزالي:

وإن كان قد صح الخلاف فواجب ... على كل ذي عقل لزوم التقية

٧ ـ وقد يأتي من لا يستحيي من أن يقول: إن كلام العارفين هذا له تأويل!!

فنقول له: لقد انتهينا من خرافة التأويل، وأحبولة التأويل، ومغالطة التأويل، وخدعة التأويل، ﴿يُخادِعونَ الله والذينَ آمَنوا وما يَخْدَعونَ إلا أنْفُسَهُم وما يَشْعُرونَ . في قلوبِهِم مرضٌ فزادَهُمُ الله مَرَضاً ولَهُم عذابٌ أليمٌ بما كانوا يَكْذِبونَ﴾. لأنهم إذ يقولون هذا له تأويل، فهم يخادعون ويكذبون ويدجّلون ويمكرون لجر المسلمين إلى زندقاتهم.

٨ ـ يدَّعون حب الله، وما أكثر أقوالهم في ذلك وفي العشق الإلهي. ومن المقامات التي يدعيها بعضهم في السلوك إلى الجذبة ما يسمونه «المحبة والشوق» إلى الله.

والله سبحانه وتعالى يقول آمراً رسوله أن يعلمنا: ﴿قلْ إنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ الله فاتَّبِعوني يُحْبِبْكُمُ الله﴾. فالله سبحانه يأمرنا إن كنا نحبه، أن نتبع رسوله، وهذا يعني أن اتباع

الـرسـول ﷺ هو الـدليـل على حب الله، وعـدم اتبـاعـه دليل على عدم حب الله، وهؤلاء القوم يتبعون المشايخ الذين يأمرونهم بتأليه الرسول لا باتباعه. فهل هم بعد ذلك صادقون بادعائهم حب الله؟

الجـواب: هوما تقـرره الآيـة الكـريمة، بأنهم لا يحبون الله، وهذا هوواقعهم، فهم يحبون الجذبة واللذة التي يجدونها أثناء الجذبة والتي تستغرق كل خلية في كيانهم، وهي لذة تحشيشيـة جنسيـة يتـوهمون أنهـا إلٰهيـة، ثم بعد أن يقعوا في الجذبة عدداً كافياً من المرات، يصابون بمرض الإدمان، مثل الإدمان الذي يصيب متعاطي الأفيون تماماً، حتـى إذا ما امتنعت عليهم الجـذبـة في بعض الأحيـان لسبب ما، أصيبـوا بنفس الأعـراض التي تصيب مدمن الأفيـون عنـدمـا ينقطـع عنه، من وله قاتل وصداع وما يشبه الجنون. وهذا هوما يسمونه «العشق الإلٰهي» الذي يظهر في بولهم.

النتيجة: الذين يتبعون المشايخ لا يحبون الله، إذ لو كانوا يحبونه لاتبعوا رسوله.

ويقـول سبحـانه: ﴿اتَّبِعوا ما أُنْزِلَ إليكُم مِن ربِّكم ولا تتَّبِعوا مِن دونِهِ أولياءَ﴾، هذا أمر من الله، يكفر من يخالفه.

وهـؤلاء القـوم يتبعـون من دونـه المشـايـخ، يأمـرونهم بكـل ما لم ينزل به الله سلطاناً فيأتمـرون به! يأمـرونهم بالـركـوع للشيـخ فيركعـون! يأمرونهم بالرابطة التي يسمونها «شـريفـة» فيطيعـون! يأمـرونهم بالـرقص فيرقصـون! يأمـرونهم بأوهام كشوفهم في العقائد والعبادات فيأتمرون! فهل يكونون بعد ذلك من أهل القرآن؟!

إن أهل القرآن هم الذي يعملون بأوامره وينتهون عن نواهيه.

٩ ـ يقـول سبحـانـه: ﴿ثمَّ جَعَلْنـاكَ على شريعةٍ من الأمرِ فاتَّبِعْها﴾. فهل يتبعها هؤلاء القوم؟ طبعاً لا، لأنهم عندما يتبعون مشايخهم فقد خرجوا من اتباع الشريعة. وقد مر معنـا قول أقطـابهم للخـادم: «كـل ولك أجر صوم شهر، وكل ولك أجر صوم سنة»، وموافقة عالمهم القطب القشيري على ذلك.

فهل هذا هو اتباع للشريعة الإسلامية؟ طبعاً لا!

١٠ ـ رأينا قول أبي مدين المغربي في الشيخ:

ففي رضــاه رضــا البــاري وطـاعتـه يرضى عليـك فكن من تركهـا حذراً

وقول عبد القادر الجيلاني: إذا لم تفلح على يدي لا فلاح لك قط.

وقوله: والتحبب إلى الشيوخ من الأولياء والأبدال إذ ذاك سبب لدخوله في زمرة الأحباب.

وغيرها وغيرها من الأقوال التي تملأ ألوف الصفحات. فما هو حكم الإسلام في ذلك؟

يقول سبحانه: ﴿فاعبدِ الله مُخْلِصاً لهُ الدينَ ألا لهُ الدينُ الخالِصُ والذين اتَّخذوا مِن دونـهِ أوليـاءَ ما نَعْبُـدُهُم إلا لِيُقَـرِّبـونـا إلى الله زُلْفى إنَّ الله يَحْكُمُ بينَهم فيما همْ فيهِ يَخْتَلِفونَ . إنَّ الله لا يَهْدي مَن هو كاذِبٌ كفَّارٌ﴾.

إن المتصوفة هم أول من تنطبق عليهم أحكام هذه الآية باتخاذهم أولياء من دون الله ليقربوهم إلى الله زلفى . . .

ـ والسؤال: لم إذن يقدسون الشيخ هذا التقديس؟ وما هي فائدته؟

ـ إن للخضوع الكامل للشيخ ولعبادته وتقديسه فائدتين عظيمتين:

أ ـ خرق العادة: فمن القواعد المقررة أن الشياطين لا تقدم خدماتها للساحر ألا بعد أن يكفر: ﴿وما يُعلِّمانِ مِن أحدٍ حتَّى يقولا لهُ إنَّما نحنُ فتنةٌ فلا تَكْفُرْ﴾، والسحر هو الكهـانـة، وهي الصـوفيـة؛ فكلما ازداد المـريـد غلوًّا في إشـراكـه الشيخ بالله، كلما ازدادت أمـامـه الخـوارق الشيطـانيـة، التي يسمونها «كرامات»، ويعزونها إلى المدد المفاض عليهم من الشيخ!

ب ـ التحقق أثنـاء الجـذبـة بالفناءات في الله: «الفناء في صفات الله وفي أسمائه وفي ذاتـه»، أو «التحقق بالألـوهيـة»، وذلك أن المجذوب يرى في أحلام جذبته، صوراً هي خليط من انطباعات قديمة وحديثة مستقرة في أعماق لا شعوره، تختلط مع أماني وطموحات تسربت إلى أعماق نفسه من المحيط الذي يعيش فيه، وهذا هو نفس ما يراه متعـاطي الحشيش والأفيـون وعقـار الهلوسـة، وبـدون الشيـخ تكـون رؤى المجذوب مثل رؤى الحشاش، تدور حول الجنس واللهو واللذة أو الحقد والحسد،

لكن الشيخ، بخبرته التي استقاها هو أيضاً من شيخه، يغرس في نفس المجذوب طموح العروج إلى السماوات والعرش والجلوس مع الله (جل الله)، ثم الفناء فيه بحيث يرى نفسه أنه جزء منه (سبحانه)، أو أنه هو هو بكامل أسمائه وصفاته (سبحانه وتعالى عما يصفون)، ويرى في أحلام جذبته أنه يتصرف بالكون، ويقول للشيء كن فيكون. ولا ينجح الشيخ بهذه المهمة إلا إذا كان المريد قد عجن عقله وعواطفه ونفسه كلها بحب الشيخ وتقديسه وطاعته، بحيث تغدو كلمة الشيخ جزءاً من كيان المريد لدى التلفظ بها.

ويجب أن لا ننسى أن قوة شخصية الشيخ وجاذبيته تلعبان دوراً هامًّا في استقطاب قلوب مريديه وعواطفهم حوله وتساعدان على تهيئتهم لرؤى (تحشيشهم الروحاني) التي يسمونها «الكشف».

وفي هذا يقول الغزالي:

. . . فكذلك المريد يحتاج إلى شيخ وأستاذ يقتدي به لا محالة ليهديه إلى سواء السبيل، فإن سبيل الدين غامض، وسبل الشيطان كثيرة ظاهرة، فمن لم يكن له شيخ يهديه قاده الشيطان إلى طرقه لا محالة، فمن سلك سبل البوادي المهلكة بغير خفير فقد خاطر بنفسه، وأهلكها، ويكون المستقل بنفسه كالشجرة التي تنبت بنفسها . . . فمعتصم المريد بعد تقديم الشروط المذكورة شيخه، فليتمسك به تمسك الأعمى على شاطىء النهر بالقائد[1]. . أهـ.

ولذلك قالوا أيضاً: «من لا شيخ له فشيخه الشيطان»، لأن رؤاه تكون مثل رؤى الحشاشين تماماً.

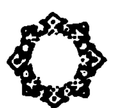
ـ وأخيراً، لنقرأ قوله سبحانه: ﴿قد أفلحَ المؤمنونَ . الذين هم في صلاتِهم خاشِعونَ . والذينَ هم عن اللغوِ مُعْرِضونَ . والذينَ هم للزَّكاةِ فاعِلونَ . والذينَ هم لفُروجِهم حافِظونَ . إلا على أزواجِهم أوما مَلَكَتْ أيمانُهم فإنَّهم غيرُ مَلومينَ . فمَن ابْتَغى وراءَ ذلك فأُلئك همُ العادونَ . والذينَ هم لأماناتِهم وعهدِهم راعونَ .

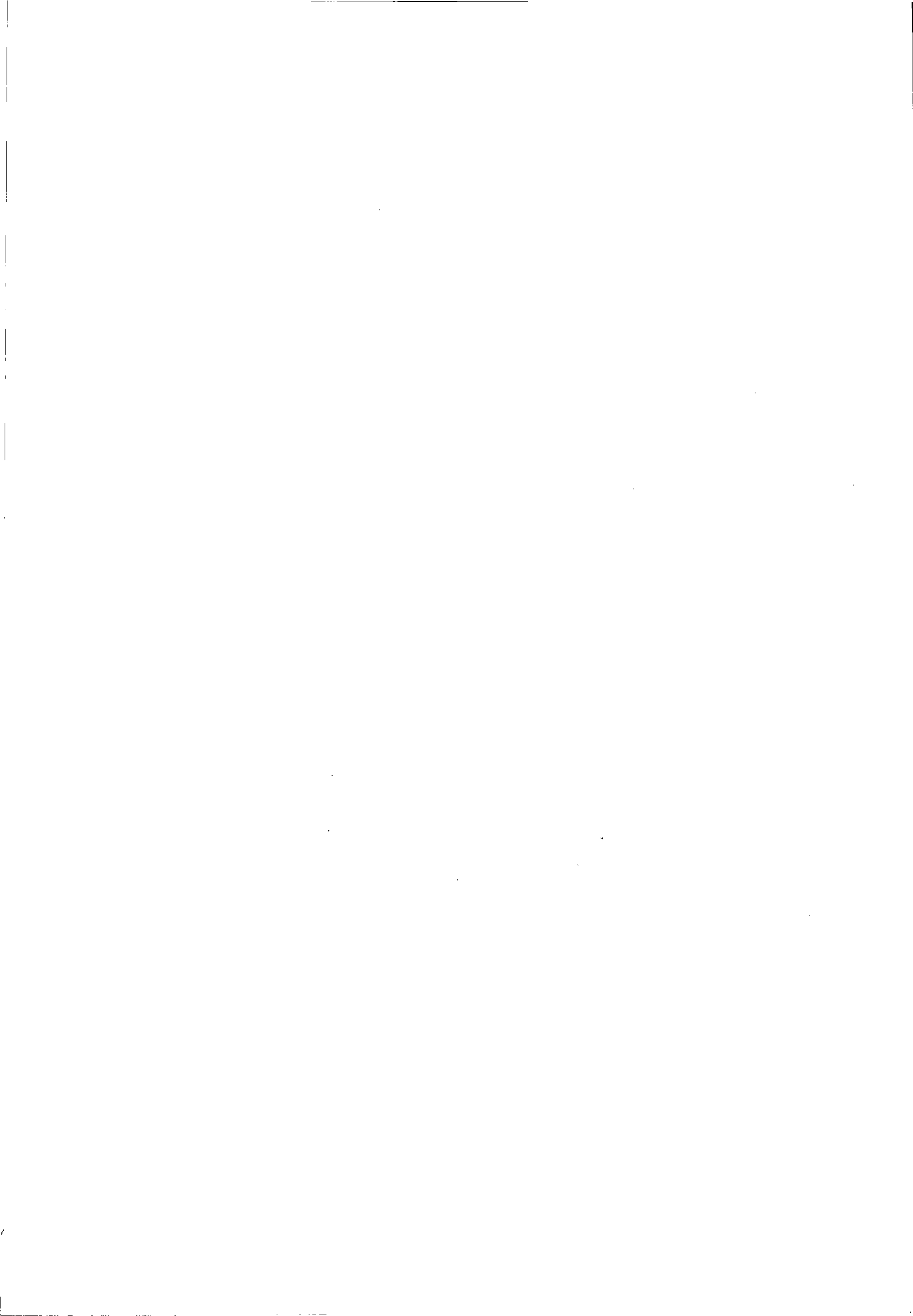
(١) إحياء علوم الدين: ٣ / ٦٥.

والذينَ هم على صلواتِهم يُحافِظونَ . أولٰئكَ همُ الوارِثونَ﴾ .

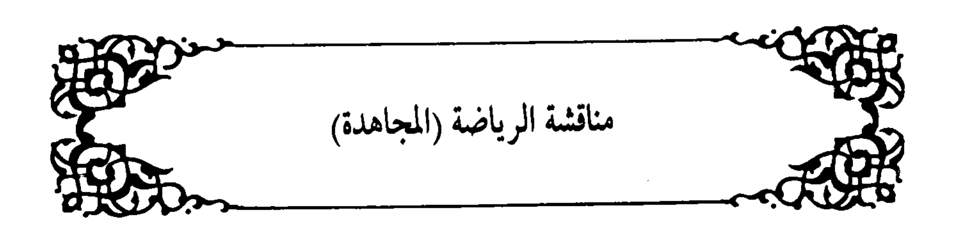
ولم يقل سبحانه : قد أفلح الذين يتمسكون بالشيخ ، أو لا فلاح إلا باتباع شيخ ، أو من لا شيخ له فشيخه الشيطان . . . أو بقية الشركيات .

ـ وهنـا يقف المسلم الصـادق أمـام أمرين لا ثالث لهما ، إما أن يؤمن بالقرآن الكريم ويكفـر بهؤلاء القـوم وبعقيـدتهم ، وإمـا أن يؤمن بهم وبعقيـدتهم ويكفـر بالقـرآن الكريم ، وأي طريق آخر لا وجود له إلا بالمراوغة والدجل .





الفصل الثاني :



مناقشة الرياضة (المجاهدة)

لنبدأ المناقشة بقراءة آيات من كتاب الله :

﴿قلْ لا أقولُ لكم عندي خَزائِنُ الله ولا أعلمُ الغيبَ ولا أقولُ لكُم إنّي مَلَكٌ إنْ أتَّبعُ إلا ما يُوحى إليَّ قُل هل يَسْتوي الأعْمى والبَصيرُ أفلا تَتَفَكَّرونَ﴾.

﴿قلْ إنَّما أتَّبع ما يُوحى إليَّ مِن رَبِّي﴾.

﴿قـلْ ما يكـونُ لي أنْ أبَـدِّلَـه مِن تِلقاءِ نَفْسي إنْ أتَّبِعُ إلا ما يُوحى إليَّ إنِّي أخافُ إنْ عصيتُ ربِّي عذابَ يومٍ عظيمٍ﴾.

﴿إنْ أتَّبعُ إلا ما يُوحى إليَّ وما أنا إلا نذيرٌ مُبينٌ﴾.

فهذا رسول الله ﷺ، وهو رسول الله، لا يأتي من عنده بشيء في التشريع مطلقاً، وكل شيء يأمر به وينهى عنه فهو اتباع لما يوحى إليه.

﴿وما ينطِق عنِ الهَوى . إنْ هُو إلا وحيٌ يُوحى﴾.

ويأمره الله سبحانه، والأمر موجه لكل من يتبع الرسول:

﴿ثمَّ جَعَلْناكَ على شَريعةٍ مِن الأمرِ فاتَّبِعْها﴾.

﴿اتَّبِعوا ما أُنْزِلَ إليكُم مِن ربِّكم ولا تَتَّبِعوا مِن دونه أوْلياءَ﴾.

﴿ومَنْ يتَّبعْ خُطُواتِ الشيطانِ فإنَّه يأمرُ بالفَحْشاءِ والمُنْكَرِ﴾.

﴿فإنْ لَمْ يَسْتَجيبوا لكَ فاعْلَم أنَّما يَتَّبِعون أهْواءَهُم﴾.

والآيات كثيرة. والأحاديث كذلك كثيرة. منها:

«وإياكم ومحدثات الأمور، فإن كل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة».

«من أحدث في أمرنا ما ليس منه فهو رد».

ومن القواعد الأصولية المقررة: كل العبادات باطلة إلا ما نزل به نص.

فهل يتبع الصوفية آيات الله وأحاديث رسوله، فيما يسمونه افتراءً «السير إلى الله»، وما هو إلا السير إلى الجذبة، وإلى الرؤى العصابية والشيطانية التي يستشعرونها في الجذبة. هل يتبعون آيات الله وأحاديث رسوله؟؟

١ ـ الخلوة:

ليست من العبادات الإسلامية، ولا خلوة في الإسلام، وهي بدعة محدثة بعد رسول الله ﷺ، وبعد أصحابه وتابعيهم وتابعي تابعيهم.

إنها بدعة محدثة في الإسلام، أما في الأمم الأخرى فهي قديمة قدم الكهانة.

٢ ـ الصمت:

وهو مناقض للعبادة في الإسلام، إذ العبادة هي أقوال وأعمال معينة، علمها الرسول للمسلمين ليتبعوها ولا يتبعوا غيرها. (وإلا فما هي الفائدة من رسالته؟).

ولا يوجد أي نص يجعل الصمت من العبادة الإسلامية، فهو بدعة.

وهو موجود في كل الأمم التي بنيت عقائدها على الكشف والإشراق.

٣ ـ الجوع:

فرض الله سبحانه صيام رمضان، وسن رسوله ﷺ صيام أيام أخر، وحرم الوصال في الصيام، كما أمر أن يكون الصيام في غير رمضان متقطعاً.

وجوع الصوفية هو صيام أيام كثيرة لا يفطرون فيها مع المغرب، ولا سحور فيها بل

جوع مستمر حسب الأسلوب الكهاني الموجود في الهندوسية والبوذية والجينية والطاوية وغيرها. فهو ليس من العبادات الإسلامية، وليس من الإسلام في شيء، وهو بدعة.

٤ ـ **السهر:**

الـوارد في الإسـلام هو قيـام الليل ضمن الحدود التي رسمها الرسول ﷺ عندما قال: «. . . ولكني أصلي وأنام، وأصوم وأفطر . . . فمن رغب عن سنتي فليس مني»[١].

فليس السهر من الإسلام، ولا من عبادات الإسلام، ولا من المعمول به في الإسلام، وقد رأينا قول رسول الإسلام فيه وفي الجوع: «فمن رغب عن سنتي فليس مني»، أي إن الذين يقومون بهذه الطقوس ليسوا من رسول الله، وبالتالي ليسوا من الإسلام.

٥ ـ **تعذيب النفس** بالضرب (كما كان يفعل الشبلي وغيره)، أو بالوقوف على رجل واحدة طيلة الليل، أو غير ذلك مما هو مستفيض في كتبهم، فهذا واضح البطلان، وهو من تلاعب الشيـاطـين بهم، وليس الله سبحـانـه بحـاجـة أن يضربوا أنفسهم ويعذبوها ليرضى عنهم: ﴿هوَ اجْتَباكُم وما جَعَلَ عليكُم في الدينِ مِن حَرَجٍ﴾، إنما يرضى الله عن المؤمنين إذا عبدوه كما أمرهم (لا كما يبتدعونه أو يقلدون به أصحاب الوثنيات)، ويرضى سبحانه عن المؤمن إذا أدى لكل ذي حق حقه.

● **ملاحظة هامة:**

من أساليب القوم في المغالطة والمخادعة، قولهم: إنهم يتأسون، في الخلوة وتوابعها، بمحمد ﷺ، لأنه كان قبل الرسالة يختلي أياماً كثيرة في غار حراء.

هذه المغـالطـة، مثـل غيرهـا، فيها جهل غبي، أو تجاهل ماكر، لأن الآية الكريمةَ تقول: ﴿لقدْ كانَ لكُم في رسولِ الله أُسوةٌ حسنةٌ. . .﴾.

ولم يصبـح محمـد «رسـولَ الله» إلا بعـد أن نزل عليه الوحي بالرسالة. أما قبلها فقد كان إنسـانـاً كبقيـة النـاس على الإطـلاق، لا يمتـاز عنهم إلا بأخـلاقه الكريمة. يقول

---

(١) صحيح مسلم، كتاب النكاح.

سبحـانـه : ﴿قـلْ إنَّـما أنا بَشَرٌ مثلكُم يُوحى إليَّ﴾، وهذه الآية واضحة كل الوضوح، لا لبس فيها ولا غموض، بأن الفرق بينه ﷺ وبين بقية البشر، هو الوحي.

ويقول سبحانه: , ﴿قلْ سبحانَ ربِّي هل كنتُ إلا بشراً رسولاً﴾. ويقول: ﴿قالتْ لهم رسُلُهُم إنْ نحنُ إلا بشرٌ مثلُكُم . .﴾. ويقول ﷺ: «أنا فيما لم يوح إليَّ كأحدكم».

ونعـود إلى آيـة التأسي، إنهـا تأمـرنـا أن تكون أسوتنا برسول الله (الذي ينزل عليه الـوحي)، وذلـك لأن (رسـول الله) معصـوم بالوحي؛ أما قبل الرسالة فلم يكن معصوماً لأنه لم يكن يوحى إليه ﷺ.

وفي واقع الأمر، إصرارهم على القول بالتأسي بمحمد قبل الرسالة، منبثق عن:

١ ـ عقيدتهم أن محمداً ﷺ وصل إلى النبوة بالمجاهدة والرياضة، وأن النبوة هي فتح مثل فتوحهم، وهم بالتالي، لا يعتقدون أن النبوة فضل من الله سبحانه يجعلها حيث يشاء.

٢ ـ منبثق عن عقيدتهم بما سموه «الحقيقة المحمدية» النابعة من «وحدة الوجود»، الباطلة الكافرة.

٣ ـ عن إنكارهم للمعنى الشرعي الصحيح لآيات القرآن وأحاديث السنة، وتأويلهم لها لتتفق مع كشفهم، كما صرح بذلك حجتهم الغزالي[1]، وكما نراه معمولاً به في كتبهم.

٤ ـ عقيـدتهم أن محمـداً ﷺ معصـوم عصمة ذاتية، وليس بالوحي! وأنه أخذ علومه عن طريق الكشف، لا عن طريق جبريل عليه السلام، كما صرح بذلك حجتهم الغزالي[2] وغيره.

أخيراً . .

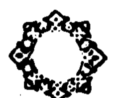
المجـاهـدة، أو الـريـاضـة، بكـل عنـاصرها، ليست من الإسلام، ولا من عقيدة الإسـلام، ولا من عبـادات الإســلام، ولا من سنن الإســلام، ولا من مستحبـات

---

(١) انظر المدخل إلى فهم النصوص الصوفية. (٢) انظر فصل: «نماذج من حكايات الصوفية».

الإسلام، ولا من فضائل الإسلام، ولا من ممارسات الإسلام، ولا من عادات الإسلام، ولا من الأعمال المأجورة في الإسلام، ولا من الأعمال المشكورة في الإسلام.

إنما هي طقوس كهانية، مارستها وتمارسها الأمم الوثنية، تقود إلى الجذبة، لا إلى رضى الله تعالى.



□ **مناقشة الذكر:**

لم أعثر في حدود اطلاعي، عند إشراقيي الأمم الأخرى، على وجود ممارسة للذكر بمداه الواسع وشكله الأساسي الموجودين عند متصوفة المسلمين.

ففي الأمم الأخرى، يعتمدون أساساً على الرياضة (الخلوة والجوع والصمت والسهر)، مع تركيز البصر على نقطة ما، مدة طويلة، مع تعذيب النفس في أكثر الأحيان، وهم ـ أثناء الرياضة ـ يركزون الفكر ويثبتونه على كلمة ما، فعند الهندوس مثلاً، يأخذ السالك في رياضته إحدى وضعيات اليوغا[1]، ويركِّز بصره على شيء ما، ثم يركِّز فكره في كلمة «أوم» التي هي عندهم الاسم المستتر لبراهمان[2]، أو «راهام».

قد تدوم مثل هذه الرياضة مدة طويلة جدًّا، ومن حين لآخر يعمدون إلى الرقص العنيف والموسيقى الصاخبة المدوية يصاحبها الزعاق، ثم يعودون إلى رياضتهم.

ـ والخضوع المطلق للشيخ (السامانا) الأكبر هو محور كل مجاهداتهم.

تسبب هذه المجاهدة؛ مع الاستمرار والزمن، إفراغاً لمراكز الوعي والشعور في الجملة العصبية، وهي حالة «الاستخدار» التي تجعلها في استرخاء يفقدها كثيراً من

---

(١) اليوغا رياضة تعبدية هندوكية.

(٢) براهمان الإله الخالق عند الهندوك.

فعـاليـاتهـا، ويهيؤها للتأثر بكمية من المخدر، أي مخدر، أقل من الكمية المؤثرة في الحالة العادية، كما تدفع الجسم لأفراز المادة المخدرة بكمية أكبر من المعتاد.

لكن هذه الرياضة تحتاج إلى كثير من قوة الإرادة والصبر، كما تحتاج إلى العزلة التامة.

على أن متصوفة المسلمين عرفوا أسلوباً سهَّل عليهم الأمر كثيراً. . إنه ترديد كلمة ما، كائنـة ما كانت، بشكـل مستمـر دون انقطـاع، ليـلاً ونهاراً، وهوما سموه «الذكر». وهـذا الـذكـر المستمـر يسـاعـد كثيراً على الوصول إلى حالة الاستخدار، ثم إلى الخدر «الجذبة» بمدة أسرع.

لكن هل صحيح ما يدعيه متصوفة المسلمين أمام الناس، أن ذكر الله، سواء بالاسم المفـرد «الله» أو بالأذكـار الإسلامية الأخرى، أو بأذكارهم وصلواتهم التي يبتدعونها، هي التي تقود إلى الجذبة؟

الـواقـع خلاف ذلك! فها هم أقطابهم وعارفوهـم وعلماؤهم، يؤكدون أن ترديد أي كلمة كانت، أو أي جملة، بصورة مستمرة، مئات الألوف من المرات، أو ملايينها، يؤدي إلى الجذبة، بعد مدة قد تطول وقد تقصر.

وهذه أدلة من أقوالهم في ذلك:

يقول ابن عطاء الله السكندري:

«. . . والذكر تختلف أنواعه وتتعدد، والمذكور واحد لا يتعدد ولا يتحدد. . .»[1].

- لننتبه إلى قوله: «لا يتحدد» وماذا تعني.

ويقـول: . . . وروي أن أبـا القـاسم الجنيـد رحمـه الله تعـالى قال لبعض خواص أصحـابـه: إن اسم الله الأعظم هو «هـو» . . . وذُكر أن أهل المعرفة في هذا الاسم على أربعـة أصنـاف أيضـاً: فعـارف قال: «الله»، وعارف قال: «هو»، وعارف قال: «أنا»، وعارف بهت[2]. . .

---

(١) القصد المجرد، ص٨٢.

(٢) القصد المجرد، ص٥٦.

ـ ما هو معنى قوله: «وعارف بُهت»؟ ولِمَ بُهِت؟ أظن الجواب واضحاً، إنه بُهت لأنه عرف أن كل شيء هو اسم الله الأعظم.

ومن النصين نفهم أن الذكر يمكن أن يكون بترديد كلمة «الله الله الله»، أو «هو هو هو»، أو «أنا أنا أنا»، أو الأشياء التي جعلت العارف يُبهت.

ويقول ابن عطاء الله أيضاً:

. . . أما المسلوب الاختيار فهو مع ما يرد عليه من الأذكار وما يرد عليه من جملة الأسرار، فقد تجري على لسانه «الله الله الله»، أو «هو هو هو هو»، أو «لا لا لا لا»، أو «اه اه اه»، أو صوت بغير حرف، أو تخبط، فأدبه التسليم للوارد. وبعد انقضاء الوارد يكون ساكناً ساكتاً، وهذه الآداب لمن يحتاج إلى ذكر اللسان، أما الذاكر بالقلب فلا يحتاج إلى هذه الآداب[1]. . .

ويورد عبد الوهاب الشعراني ما يشبه هذا، يقول:

. . . وقال سيدي يوسف العجمي رحمه الله: وما ذكروه من آداب الذكر محله في الذاكر الواعي المختار، أما المسلوب الاختيار، فهو مع ما يرد عليه من الأسرار؛ فقد يجري على لسانه «الله الله الله»، أو «هو هو هو»، أو «لا لا لا»، أو «آه آه آه»، أو «عا عا عا عا» أو «آ آ آ آ»، أو «هـ هـ هـ»، أو «ها ها ها»، أو صوت بغير حرف، أو تخبيط، وأدبه عند ذلك التسليم للوارد[2].

ويقول ابن عربي:

. . . فأغلق بابك دون الناس، وكذلك باب بيتك بينك وبين أهلك، واشتغل بذكر الله بأي نوع شئته من الأذكار، وأعلاها الاسم، وهو قولك: «الله الله»[3]. . .

ـ نفهم معنى قوله: «بأي نوع شئته من الأذكار» من قول آخر له: «. . . فما عُبد غير الله في كل معبود. . .»[4].

---

(1) مفتاح الفلاح، ص٣٠ و ٣١.
(2) الأنوار القدسية في معرفة القواعد: ١ / ٣٩.
(3) رسالة الأنوار، ص٦.
(4) فصوص الحكم، ص٧٢.

ـ يعني أن كل ما عبد من صنم وشجر وبشر وغيره هو الله، ويمكن للذاكر أن يذكر بما يريد من أسماء المعبودات التي عبدت في كل الوثنيات، كأن يردد مثلاً: «هبل هبل هبل..»، أو «جيلاني جيلاني جيلاني..»، أو «جذبة جذبة جذبة جذبة..»، أو «لينين لينين لينين لينين...»، أو «إنتاج إنتاج إنتاج إنتاج..»، أو «مقام مقام مقام مقام..»، أو «ضريح ضريح ضريح ضريح..»، أو «رفاعي رفاعي رفاعي...»، وغيرها.

ويروي ابن عجيبة قصة الششتري فيقول:

... وكذلك قصة الششتري رضي الله عنه مع شيخه ابن سبعين؛ لأن الششتري كان وزيراً وعالماً، وأبوه كان أميراً، فلما أراد الدخول في طريق القوم، قال له شيخه: لا تنال منها شيئاً حتى تبيع متاعك وتلبس قشابة وتأخذ بنديراً وتدخل السوق؛ ففعل جميع ذلك، فقال له: ما نقول في السوق؟ فقال: قل: «بدأت بذكر الحبيب»، فدخل السوق يضرب بنديره ويقول: «بدأت بذكر الحبيب»، فبقي ثلاثة أيام وخُرقت له الحجب[1]...

ـ نلاحظ أن ذكره هنا ليس فيه شيء من أسماء الله الحسنى.

وكتب ابن سبعين إلى أحد مريديه «في الرسالة النورية»:

... وجميع ما توجه الضمير إليه، اذكره به ولا تبال، وأي شيء يخطر ببالك سمِّه به، ومَن اسمه «الوجود» كيف يخصص بأسماء منحصرة؟! هيهات! الله لا اسم له إلا الاسم المطلق أو المفروض، فإن قلت: نسميه بما سمى به نفسه أو نبيه، يقال لك: إن من سمى نفسه «الله» قال لك: أنا كل شيء، وجميع من تنادي أنا... وبعضهم كان يقول: قد قد قد هذا هذا هذا له له له[2]...

ويقول ابن أنبوجة الشنقيطي في «وصف العارف»:

... فهو (أي العارف) الخليفة الأعظم، إذ لا اسم له يختص به، فإن أسماء الوجود كلها أسماؤه، لتحققه بمراتبها، ولكونه هو الروح في جميع الموجودات، فما في الكون ذات

---

(١) إيقاظ الهمم، ص٢٨.

(٢) رسائل ابن سبعين، ص١٨٤.

إلا وهو الروح المدبر لها والمحرك والقائم فيها، ولا في كرة العالم مكان إلا وهو حالٌ فيه ومتمكن منه. فبهذا الاعتبار لا اسم له يتميز به عن الوجود[1]. . .

ـ ترى في هذا النص أنهم يسبغون على العارف صفات هي نفس ما يسبغونه على الله (تعالى الله عما يقولون)، وعليه يمكن ذكر الله بترديد كلمة: «عارف عارف عارف . .» أو «عمر بن الفارض عمر بن الفارض عمر بن الفارض. . .»، أو «الغزالي الغزالي الغزالي. .»، أو «الشيخ الشيخ الشيخ الشيخ. . .»، أو «سيدي سيدي سيدي سيدي. .» إلخ.

ويقول أبو الهدى الصيادي الرفاعي:

. . . والفناء، حقيقة سر الاعتقاد به من سر قوله عليه الصلاة والسلام: «لو اعتقد أحدكم على حجر لنفعه»[2].

ـ الحديث مكذوب، والاعتقاد به كفر، لكن يهمنا أنهم يؤمنون به، ويؤمنون أن الاعتقاد به ينفع، ومنه إن ذكر ذاكر اسم «حجر حجر حجر حجر»، أو «قبة قبة قبة قبة»، أو «صخرة صخرة صخرة صخرة. .» نفعه (في الوصول إلى الجذبة طبعاً).

يردد علي نور الدين اليشرطي نفس القول:

. . . لو اعتقد أحدكم بحجر لنفعه. وقال: ليس الحجر الذي ينفع، إنما هو الاعتقاد[3].

ـ طبعاً، إنهما لم يقررا هذا الحكم إلا بعد تجارب، ويجب أن ننتبه إلى أنه ينفع في التصوف والكهانة والسحر فقط، (لأن الصوفية هي نفس الكهانة، والسحر بعضها)، ولا ينفع في شيء غيرها.

ويقول محمد بهاء الدين البيطار:

. . . فأسماء الله على الحقيقة أعيان العالم وحقائقه، ومظاهر الأسماء هي صور

---

(١) ميزان الرحمة الربانية، ص١١٥.

(٢) قلادة الجواهر، ص٢٩٢.

(٣) نفحات الحق، ص٢٢٩.

العالم، فلكل اسم إلهي من الصور ما لا يتناهى، فكل ما أمات مثلاً من ثعبان أو سيف أو رصاص أو حجر أو عصا فهو صورة من صور الاسم «المميت»، ومعنى المميت: شأن من شؤون الذات الإلهية، وهو عين الذات[1]. . .

ويقول ابن سبعين في «الرسالة النورية» يخاطب أحد المريدين:

. . . هذه الكلمات التي نذكرها لك مرموزة مني، غير أن الذاكر ينتفع بها، وهي: عمرش أش عمر صح راهيا إيداحا أيهم اردع صعر عرجم كعلم ... . فقل إذا وجدت البحر والوجود والحمد: قهوم طمس هوالم صعنج ذلك الله ربكم يايايا[2]. . .

- بدهي أن ابن سبعين لم ينصح مريده بالذكر بهذه الأسماء إلا بعد تجريبها.

- وكما فهمنا من نصوصهم. الذكر يقود إلى الجذبة التي هي الغاية. وفي الطريق قد يحصل للذاكر بعض الخوارق، وينصحونه ألا يهتم بها لأنها تحجبه عن الغاية المنشودة.

والطريق إلى الجذبة قد يقصر وقد يطول، حسب استعداد السالك النفسي والفيزيولوجي. ولعل الذكاء الفطري العالي يبعد الوصول إلى الجذبة! ولعل الغباء الفطري يقصر الطريق إليها.

*** وخلاصة لما تقدم:**

الذكر بترديد أي كلمة كانت مقرر من كبار عارفيهم، فلا مجال للاعتراض عليه أو الشك فيه، إنهم يقدمونه لمريديهم قاعدة يسيرون عليها في مسيرهم إلى . . . الجذبة.

ومن البدهي أنهم لم ينصحوا به مريديهم إلا بعد تجربة.

ومنه تعلم أن حقيقة ذكرهم ليست مرتبطة بذكر الله سبحانه. وما التزامهم الاسم «الله» أو عبارات الثناء عليه ودعائه إلا أسلوب ذكي لإلباس التصوف رداء الإسلام، وضعه لهم سيدهم الجنيد، وتوسع فيه حجتهم الغزالي، وهو أحد مظاهر الطريقة البرهانية الغزالية، التي يسمونها «التصوف السنّي».

---

(١) النفحات الأقدسية، ص٥.

(٢) رسائل ابن سبعين، ص١٨٢.

وذكـرهم كله، موضـوعـه، وشكله، وزمـانـه، ومكانه، هوبدعة كله، غريب عن الإسلام كله، ومن الردود المفيدة عليه وعليهم، هو رد الإمام النووي رحمه الله.

لقد اتصل الإمام النووي في أول وصوله إلى دمشق، وهو صغير، بالمتصوفة، وسار في طريقهم، وعنـدمـا اتسعت معـارفه وفهم الإسلام، ترك الصوفية بدون ضجيج، ورد عليهم بكتابين:

١ ـ **ريـاض الصـالحين**، يبين فيه بالنصوص الصحيحة (إلا قليلاً منها) طريق الصلاح، وحيث يتبين طريق الصلاح، فكل الطرق من دونه ضلال.

٢ ـ **الأذكـار**: يبـين فيـه الأذكـار الإسـلاميـة، نصـوصها، وأوقاتها، وأماكنها، كل ذلك بأسـانيـد أكثـرهـا صحيـح، وإذ يتبين ذلك، يتبين أن الذكر الصوفي الذي يستعمله السالكون إلى الجذبة، ليس من أذكار الإسلام.

ـ من جهة ثانية:

كل عبادة في الإسلام لها شروط وأركان.

ويوجد شرط مشترك لكل العبادات الإسلامية (مر معنا في بحث «البدعة»)، وهو: «كل العبادات باطلة إلا ما ورد به نص»، وبصيغة أخرى: «لا عبادة بدون نص».

والذكر عبادة، فهو يحتاج إلى النص، وإلا فلا يكون عبادة.

وذكـر الصـوفيـة من حيث الشكـل واللفـظ (إذا كان بالاسم المفـرد أو «بما شئت من الأذكـار» الـواردة آنفـاً)، لا نص فيـه. والنصـوص التي يقـدمونها، إنما يلفقونها بالتأويل والترقيع، إذن، فهو ليس عبادة.

كما أن للذكر في الإسلام أركاناً: نجدها في الآية الكريمة: ﴿واذْكُرْ ربَّكَ في نفسِكَ تَضَرُّعاً وخيفةً ودونَ الجهرِ مِن القولِ﴾.

يهمنـا في بحثنـا هنـا قولـه سبحـانـه: ﴿في نفسِكَ . . . ودونَ الجهرِ مِن القولِ﴾، فعبارة ﴿في نفسك﴾، تعني ألا تسمع نفسك، وعبارة: ﴿دون الجهر من القول﴾، تعني ألا يسمعك جارك، لأن الجهر هو ما يستطيع سماعه الجار.

إذن، فيجوز في الذكر أن يُسمِع الإنسان نفسه وأن لا يُسمعها.

وأما الجهر، فمنهيٌّ عنه بأكثر من آية وأكثر من حديث.

مع ملاحظة أن هناك حالات نص عليها الشارع، يجب فيها رفع الصوت بالذكر أو يجوز، كما في التلبية بالحج، وقبل صلاة العيدين، وفي التعليم، والحالة العفوية، ولتذكير الغافلين (حيث يجهر بعبارة الذكر مرة أو مرتين فقط)، وليس تفصيل هذه الأمور داخلاً في موضوعنا.

وكل محاولة أو مراوغة لاختراق الحدود التي رسمها الشارع من أجل التوسع بمدلول النص لتبرير الأساليب المبتدعة، هي محاولة باطلة، وهي بدعة وهي ضلالة، ﴿ومَن يَتَعَدَّ حدودَ الله فقدْ ظَلَمَ نفسَهُ﴾.

وتعرف الحدود الشرعية من النص، أو من فعل الرسول ﷺ، ومن فعل أصحابه.

والأذكار التي يستعملها الصوفية في الخلوة أو السياحة وفي الحضرة وفي مجلس الذكر أو مجلس الصلاة على النبي أو بعد الانتهاء من الصلاة، كلها فاقدة لشرط وركن معاً، أو لأحدهما على الأقل، لذلك فهي باطلة، وهي بدعة، وهي ضلالة.

والباطل لا يقود إلا إلى باطل.

وإن كلمة قالها الصحابي الجليل حذيفة بن اليمان «أمين سر رسول الله ﷺ» لهي كافية لحسم هذا الموضوع. قال: كل عبادة لا يتعبدها أصحاب رسول الله ﷺ فلا تَعَبَّدوها، فإن الأول لم يدع للآخر مقالاً.

ـ هذا إن كان الذكر بالأسماء الحسنى أو بعبارات الثناء على الله.

أما إن كان بغيرهما مما يقرره كهانهم من أسماء حجارة أو أوثان أو قبور أو غيرها فهي واضحة الزندقة بينة الكفر، وهي من الوثنية التي جاء الإسلام ليحاربها باعتبارها المصدر الرئيسي لكل الشرور، وهي السحر وهي الكهانة.

*** قصة مرسلة :ـ**

مستشار في محاكم الاستئناف في مدينة حلب، كانت تجمعه الصلاة في المسجد مع

بائع شراب متجول، وفي ذات مرة، طلب إليه البائع أن يجرب أن يقرأ بعد كل وقت من أوقات الصلاة، الكلمات: «بطدٍ زهجٍ واحٍ ياحي ياهٍ» مائة مرة، وبعامل الفضول، صار المستشار يرددها بعد كل صلاة . . .

بعد ثلاثة أيام، بينما كان جالساً على قوس المحكمة يفصل في قضايا الناس، إذا به يرى أمامه بيته وأهله يقومون بأعمالهم حسب المعتاد، وعندما رجع إليهم بعد الظهر، سألهم عما كانوا يفعلونه في ذلك الوقت؟ فكان في بعض ما رآه بعض ما كانوا يفعلونه.

وصارت مثل هذه الحالة تتكرر أمامه كلما كرر تلاوة الأسماء[1].

*** فقرة من كتاب صوفي :-**

. . . ولحرف الباء خلوة، وخادمه مهيائيل، فإذا أردت استخدامه اكتب الحرف وضعه في رأسك بعد الرياضة، واتل الدعوة والقسم دبر كل صلاة **٣١** مرة، واتل العزيمة والرياضة **٤٠** يوماً، فإن الملك يحضر ويقضي حاجتك، ومهما أردته تبخر وتقول: أجب يا خادم حرف الباء، فإنه يحضر[2] . . .

- إن كتب التصوف المحض، والتي لم تؤلف للخداع والتضليل والمراوغة، ملأى بمثل هذه الفقرة، وهي واضحة كل الوضوح في أن التصوف هو السحر، والفرق بينهما أن الصوفي مخدوع مراوغ، والساحر صادق.

ويكفي للدلالة على أن الصوفية هي السحر، الرجوع إلى كتاب «شمس المعارف الكبرى» للبوني[3]، وكتاب «مجموع ساعة الخير» لابن عربي، و«المضنون به على غير أهله» للغزالي، و«صفحات من بوارق الحقائق» للمهدي الصيادي، وغيرها . .

لكن أقطاب التصوف العارفين بالله يتواصون فيما بينهم بتأليف الكتب الموهمة أنها من الإسلام، ذات المظهر الإسلامي الخداع، لأن الحكمة تقتضي ذلك، وطبعاً هم يفعلون ذلك عن إخلاص وإيمان بما يفعلون، شأن أي متدين مخلص لدينه ومؤمن به.

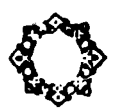
---

(١) لم يتيسر استئذانه لذكر اسمه.

(٢) **شمس** المعارف الكبرى، ص٤٠١.

(٣) **أحمد** بن علي البوني من بونة في الجزائر، واسمها الآن عنابة، مات سنة ٦٢٢هـ.

ـ وقبـل الانتقـال إلى البحث التـالي، يجدر الانتبـاه إلى أن المتصـوفة قد يستعملون الأذكـار الإسـلاميـة حسب المنهج الإسلامي، ويكون هذا منهم عملاً صحيحاً، لكنه لا يكون أبداً تبريراً لأذكارهم الصوفية حسب المنهج الصوفي.



□ مناقشة الحضرة:

عرفنا أن الحضرة تكون: جالسة صامتة، أوجالسة صائتة، أوراقصة (بنقص أو بدون نقص).

١ ـ الجالسة الصامتة:

في الرد عليها يكفي حكم عبد الله بن مسعود، الذي قال فيه رسول الله ﷺ (كما يرويه الحافظ الذهبي في «التذكرة»): «خذوا عهدكم عن ابن أم عبد».

نجد حكم عبد الله بن مسعود هذا في «سنن الدارمي»:

. . . عن عمر بن يحيى قال: سمعت أبي يحدث عن أبيه، قال: كنا نجلس على باب عبد الله بن مسعود قبل صلاة الغداة (أي الفجر)، فإذا خرج مشينا معه إلى المسجد، فجاءنا أبوموسى الأشعري فقال: أخرج عليكم أبوعبد الرحمن بعد؟ قلنا: لا، فجلس معنا حتى خرج، فلما خرج قمنا إليه جميعاً، فقال: يا أبا عبد الرحمن إني رأيت في المسجد آنفاً أمراً أنكرته، ولم أر والحمد لله إلا خيراً. قال: فما هو؟ قال: إن عشت فستراه . . رأيت في المسجد قوماً حلقاً جلوساً ينتظرون الصلاة في كل حلقة رجل، وفي أيديهم حصى، فيقول: كبروا مائة مرة، فيكبرون مائة، فيقول: هللوا مائة مرة، فيهللون مائة، فيقول: سبحوا مائة مرة، فيسبحون مائة. قال: فماذا قلت

لهم؟ قال: ما قلت لهم شيئاً انتظار رأيك أو انتظار أمرك، قال: أفلا أمرتهم أن يعدوا سيئاتهم وضمنت لهم أن لا يضيع من حسناتهم شيء. ثم مضى ومضينا معه حتى أتى حلقة من تلك الحلق، فوقف عليهم فقال: ما هذا الذي أراكم تصنعون؟ قالوا: يا أبا عبد الرحمن، حصى نعد به التكبير والتهليل والتسبيح والتحميد، قال: فعدوا سيئاتكم، فأنا ضامن أن لا يضيع من حسناتكم شيء، ويحكم يا أمة محمد ما أسرع هلكتكم، هؤلاء أصحابه متوافرون، وهذه ثيابه لم تبل، وآنيته لم تكسر، والذي نفسي بيده، إنكم لعلى ملة هي أهدى من ملة محمد، أومفتتحوباب ضلالة. قالوا: والله يا أبا عبد الرحمن ما أردنا إلا الخير. قال: وكم من مريد للخير لن يصيبه، إن رسول الله ﷺ حدثنا أن قوماً يقرؤ ون القرآن لا يجاوز تراقيهم، وايم الله، لا أدري، لعل أكثرهم منكم. . .

- الرجاء ملاحظة أن الجلسة النقشبندية هي مثل هذه الجلسة.

٢ ـ الحضرة الجالسة الصائتة:

في الرد عليها نذكر ما يلي:

- الآية الكريمة: ﴿واذكُرْ ربَّك في نفسِكَ تَضَرُّعاً وخِيفةً ودونَ الجهرِ مِن القولِ . . .﴾، وهؤلاء يجهرون بذكرهم، كما يخلو ذكرهم من التضرع والخيفة.

- الحضرة بجميع أنواعها، ومثلها هذه، بدعة تنطبق عليها كل الأحاديث الواردة في البدعة، والتي رأيناها قبل قليل.

- حديث ابن مسعود السابق هو رد عليها كما هو رد على الجالسة الصامتة.

- قول حذيفة بن اليمان: «كل عبادة لم يتعبدها أصحاب رسول الله فلا تعبدوها»، رد عليها وعليهم.

وبالتالي، هذه الحضرة «الجالسة الصائتة» هي مثل غيرها، بدعة، فهي مردودة عليهم.

٣ ـ الحضرة الراقصة (وكلها صائتة):

إن جميع الردود على البدعة وعلى أساليبهم في الذكر، وعلى الجالسة الصامتة، وعلى

الجالسة الصائتة، هي ردود على الحضرة الراقصة، يضاف إليها:

ـ هي نفس صلاة اليهود!

جاء في المزمور (١٤٩) عدد (٣): «ليسبحوا اسمه برقص، بدف وعود، ليرنموا له..».

وفي المزمور (١٥٠): «سبحوه بدف ورقص، سبحوه بأوتار ومزمار، سبحوه بصنوج التصويت، سبحوه بصنوج الهتاف....».

ـ وثنيو إفريقيا السوداء «الفيتيشيون» عباداتهم كلها رقص وسماع.

ـ الهندوس، صلاتهم لأصنامهم مثل الحضرة الراقصة، يتوسطهم الكاهن أمام الصنم، يرقصون ويهزجون، أي إن صلاتهم هي رقص وسماع وقرع أجراس.

● **الخلاصة:ـ**

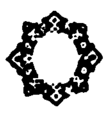
الحضرة الصوفية بجميع أشكالها، بدعة، ونقض للآيات والأحاديث، وتشبه كامل بالطقوس اليهودية والوثنية، (فيتيشية وهندوسية وجينية وطاوية...).

ـ أما كونها بدعة، فهي ضلالة، وكل ضلالة في النار.

ـ وأما كونها نقضاً للآيات والأحاديث، فهي كفر وزندقة وردة.

ـ وأما كونها تشبه الطقوس الوثنية واليهودية، فالرسول ﷺ يقول: «من تشبه بقوم فهو منهم».

ولا حاجة للزيادة.



□ مناقشة السماع :

إن كل النصوص الواردة في السماع، حلاله وحرامه، وكل بحوث العلماء (وأقول: العلماء)، هي نصوص وبحوث فيه على أنه أمر دنيوي، ودنيوي فقط، لا علاقة له بعبادة ولا بتقرب إلى الله.

ولم يرد فيه نص (علمي) قط، بتحليل أو تحريم، إلا على أنه أمر دنيوي يمارس في الأعياد والأعراس والحرب أو في التسلية واللهو والطرب.

أما أن يكون طقساً تعبُّديًّا، كما هو عند المتصوفة، فهذا شيء ما عرفه التشريع الإسلامي، ولا تكلم فيه عالم، لأنه، بدهيًّا، غير وارد في العبادات الإسلامية.

أما المتصوفة، فيتخذون السماع طقساً تعبديًّا روحانيًّا يسهل عليهم ما يسمونه ظلماً وعدواناً «السير إلى الله». وهنا يكمن الداء، ويعشش البلاء.

إن السماع عند المتصوفة عبادة، وفي الغالب يكون مصحوباً بالآلات، وهذا كله:

١ ـ بدعة، وذلك بيِّن لا يحتاج إلى دليل، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

٢ ـ تشبه بالوثنيين وأهل الكتاب، يقول سبحانه في وصف صلاة المشركين: ﴿وما كانَتْ صلاتُهم عندَ البيتِ إلا مُكاءً وتَصْدِيةً﴾.

وجاء في التوراة (الحالية) في المزمور (١٤٤) عدد ٩: «يا الله، أرنم لك ترنيمة جديدة . . ».

وفي المزمور (١٤٦) عدد ٢: «أسبح الرب في حياتي وأرنم لإلهي ما دمت موجوداً».

وفي المزمور (١٤٩) عدد ٣: «ليسبحوا اسمه برقص، بدف وعود، ليرنموا له . . ».

وكذلك هو في الديانات الوثنية طقس تعبدي.

إذن فالصوفية يتشبهون بالسماع بالوثنيين وأهل الكتاب، «ومن تشبه بقوم فهو منهم».

● **ملاحظة هامة جدًّا:**

من العجب العجاب، مغالطتهم، في كل مقولاتهم عن السماع، في كل كتبهم (ابتداء من أمهات كتبهم «اللمع»، «التعرف»، «قوت القلوب»، «الرسالة القشيرية»، «إحياء علوم الدين» إلى بقية ما كتبوا وما دونوا)، حيث يبدؤون بمناقشة السماع حسب الشرع والنصوص المزور بعضها، وطبعاً كل النصوص الشرعية في السماع إنما تتكلم عنه على أنه أمر دنيوي يمارس للتسلية واللهو، لكن الصوفية يتوسعون في التحليل حسب طريقتهم في التزوير، ثم يطبقون ذلك على سماعهم التعبدي الذي يجعلونه قربى يتقربون به إلى الله.

ولعل الأمثلة التالية يمكنها توضيح مدى الفساد والضلال في أسلوبهم هذا:

- يبيح الشرع أكل الشاورما، فهل يصبح أكل الشاورما بهذه الإباحة طقساً يعرج به إلى الله؟

- يبيح الشرع البصاق الذي ليس فيه أذى، فهل يجوز بناءً على ذلك، أن نجعل البصاق طقساً تعبديًّا في «السير إلى الله»!

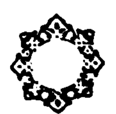
لا يعترض الشرع على أحد إذا خطر له أن يحك أذنه بإبهام رجله، فهل يصح، بناء على هذا، أن يكون حك الأذن بإبهام القدم طقساً تعبديًّا يمارس تنشيطاً على «العروج إلى الله»؟!

عجيب أمـر هؤلاء القـوم! هل هم لا يكـادون يفقهـون حديثـاً؟ أم ﴿يُخادِعونَ اللهَ والذينَ آمَنوا وما يَخْدَعونَ إلا أنْفُسَهم وما يَشْعُرونَ . في قلوبِهم مرضٌ فزادَهُمُ اللهُ مَرَضاً ولهم عذابٌ أليمٌ بما كانوا يَكْذِبونَ﴾؟

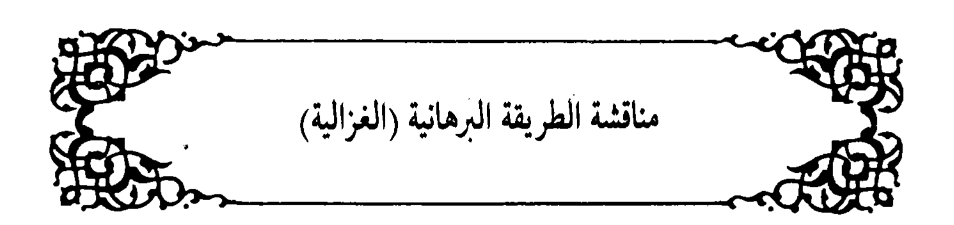
وغـايـة الطريقة الإشراقية هي الوصول إلى الجذبة التي هي الولاية (كما يتوهمون)، وهي حالة خدرية تشبه الحالة التي يقع فيها متعاطي الحشيش والأفيون ورفاقهما شبهاً تامًّا.

● **النتيجة :**

هذه هي طريقة الإشراق، كلها كفر وضلال وزندقة، إنها ليست مجرد بدع ساذجة أو انحـرافـات بسيطـة، بل هي الطقـوس الوثنية (وأقول: «الطقوس») التي تعبدت بها كل وثنيات التاريخ (في الحال والماضي والاستقبال)، والعقائد الوثنية التي دانت بها أو حامت حولها كل وثنيات التاريخ في ماضي الزمان وحاضره، إنها ليست مجرد اجتهادات شاذة في الفـروع أو في الأصـول، أو حتى في العقـائـد؟ إنهـا طقوس وممارسات وعقائد غريبة عن الإسـلام كل الغـرابة، بعيدة عن الإسلام كل البعد، أقحمت على الإسلام ومزجت به بأساليب إبليسية لتشكل ما يسمونه «الطريقة البرهانية» ولو أنصفوا لسموها «الديانة البرهانية».



الفصل الثالث:



مناقشة الطريقة البرهانية (الغزالية)

«ويسمونها عادة التصوف السني»

رأينا في النصوص السابقة أن الطريقة البرهانية ليست إلا الطريقة الإشراقية مزجوها بالإسلام.

إن أول من اشتهر عنه هذا الأسلوب هو الجنيد، الذي كان يتستر بالفقه[1] على مذهب أبي ثور، تلميذ الشافعي، وهو أول من نادى به وطالب المتصوفة بتطبيقه.

ورأينا قول أبي الحسين النوري عندما خاطب الجنيد قائلاً: يا أبا القاسم، غششتَهم فأجلسوك على المنابر، ونصحتُهم فرموني على المزابل.

لقد غشهم الجنيد بتكلمه عليهم بالفقه! ونصحهم النوري بعرضه عليهم الحقيقة الصوفية!

وكانت تجربة الجنيد ناجحة، سار المتصوفة على خطاها، وهذه التجربة مضاف إليها تحبيره مصطلحات الصوفية، وإيجاده أسلوب «العبارة الصوفية» بإشاراتها ورموزها وألغازها، كل هذا جعل منه سيد الطائفة بلا منازع، لأنه رسم لهم الطريق التي يسير ون

(١) نشر المحاسن الغالية، ص٤٢٢، وطبقات الشعراني: ١ / ١٦١، وغيرها.

فيها بأمان، ويستطيعون بواسطتها نشر عقيدتهم الإشراقية في المجتمعات الإسلامية من دون ضجة.

وسار المتصوفة على خطاها، ومن شذ عنها واجه سيف الردة والتكفير، فقُتل من قُتل، وطُرد من طُرد، واستتيب من الكفر من استتيب.

ومن أبرز من أصّل طريقة الجنيد بعده، هو أبو طالب المكي في كتابه «قوت القلوب» الذي بدأه بعرض بعض آيات من القرآن الكريم، انتقاها بحيث يمكن أن يكون لها (بعد ليّ عنقها) علاقة بالتصوف، وجاء بشيء من الأحاديث في الأوراد وما دار حولها، ثم دخل في علم الباطن وأتبعه بفقه العبادات، وحشا ذلك كله بما يستهوي قلب القارىء نحو التصوف.

ولا يستبعد أن يكون هذا هو منهج الطريقة السالمية التي تخرج فيها أبو طالب؟

وجاء من بعده حجتهم الذي سموه «حجة الإسلام» أبو حامد الغزالي، فألف في الفقه على مذهب الشافعي، وألف في علم الأصول، ومواضيع أخرى، ثم وضع عشرات الكتب في ما سماه «العلم المضنون به على غير أهله» في قمتها كتابه المشهور «إحياء علوم الدين»، ولو أنصف لسماه «إعياء علوم الدين»، أو «إحياء علوم الكهانة».

وبسبب هذا الكتاب، نسبت الطريقة البرهانية إلى الغزالي.

فلنلق عليه نظرة عابرة لنصطدم بما يلي:

١ ـ تقسيم الكتاب: قسم الغزالي إحياءه إلى أربعة أرباع: ربع العبادات، وربع العادات، وربع المهلكات، وربع المنجيات.

حيث نرى في هذا التقسيم الظالم أنه جعل المنجيات غير العبادات، وجعل العبادات غير منجيات.

ونترك الحكم على هذا التقسيم لكل إنسان عرف بدهيات الدين الإسلامي، بل وبدهيات الأديان جميعها من أولها إلى آخرها، ولكن نسأل: كيف يكون المروق من الإسلام؟

٢ ـ لم يكن هذا التقسيم صادراً من الغزالي عن غفلة أو عن غلط أو عن غير قصد؟ بل

كان مقصوداً عن وعي وتصميم واعتقاد، وقد مر معنا قوله: (بعد أن تكلم عن المقامات الصوفية): «فالعلم بحدود هذه الأمور . . . هو علم الآخرة، وهو فرض عين في فتوى علماء الآخرة (أي الصوفية)، فالمعرض عنها هالك بسطوة ملك الملوك في الآخرة، كما أن المعرض عن الأعمال الظاهرة (أي العبادات) هالك بسيف سلاطين الدنيا، بحكم فتوى فقهاء الدنيا (أي علماء الشريعة)». وقد تكرر هذا المعنى في الإحياء في أكثر من موضع، مر بعضها في الفصول السابقة.

وهذا الكلام هو، تماماً، مثل قول عبد القادر الجيلاني الذي مر في فصل سابق: «تدري كم عنده من الطاعات والصوم والصلاة لا يعبأ بها، إنما مراده منك قلب صاف من الأقدار والأغيار»، والفرق بين العبارتين هو الفرق بين المهارتين في استعمال الإشارة والرمز واللغز.

وهذا يعني أن هذه العقيدة هي عقيدة كل الصوفية، لأن الرجلين عندهم في قمة التقديس.

ـ المهم، أن الغزالي يقرر في «إحيائه» أن العبادات لا قيمة لها عند الله، لأنها لإرضاء السلاطين والفقهاء فقط.

٣ ـ مر معنا في ثنايا الكتاب النصوص الكثيرة المنقولة من «الإحياء»، والمشحونة بالكفر والزندقة، وهي بعض من كثير.

٤ ـ يضاف إليها أكثر من أربعمائة حديث موضوع ومكذوب. يقول الحافظ العراقي (مخرج أحاديث «الإحياء»)، عن قسم منها: «لم أجده»، أو: «لم أجد له أصلاً»، مما يجعلنا نظن أن الواضع لها، أو لبعضها على الأقل، هو الغزالي نفسه، أو كشفه. (أما إذا أردنا الحق، فيبقى الغزالي متهماً بوضعها كلها، حتى يثبت العكس).

٥ ـ يضاف إليها أكثر من هذا العدد من الأحاديث الضعيفة. وبذلك يكون مجموع الأحاديث الموضوعة والضعيفة قريباً من نصف مجموع أحاديث الكتاب، إن لم تكن أكثر.

وموقف الإسلام من هذا وذاك هو قوله ﷺ في ما رواه مسلم: «من كذب عليَّ متعمداً فليتبوأ مقعده من النار»، وقوله: «من حدث عني بحديث يرى أنه كذب فهو

أحد الكاذبين».

أما الذين يبتغون الهدى في مثل هذا الكتاب الذي يحتوي على مثل هذا العدد الضخم من الأحاديث الموضوعة والضعيفة، فحكم الإسلام فيهم هو قوله سبحانه: ﴿إنَّ الله لا يَغْفِرُ أنْ يُشْرَكَ به ويَغْفِرُ ما دونَ ذلك لمَن يشاءُ﴾، لأن الأخذ بالأحاديث الموضوعة هو من أعظم الشرك إلى جانب كون الذي يحدث بها أحد الكاذبين. أما الأخذ بالأحاديث الضعيفة فطريق إلى التهلكة؟ وذلك لأن ضخامة عددها في الكتب المختلفة هي دليل على أن أكثرها من الموضوعات. وهذا يجعل خطر الأخذ بها كبيراً جدًّا، أكبر من أية فائدة متوهمة.

ومن أعاجيب المتصوفة في المغالطة، أنهم عندما يقول لهم قائل: إن كتاب «الإحياء» مشحون بالأحاديث الموضوعة والضعيفة. يكون الجواب الذي سمعناه مراراً: «لقد خرجها الحافظ العراقي وانتهى الأمر!!»، أو ما يدور حول هذا المعنى! فنقول:

- يا هؤلاء! اتقوا الله واخشوا يوماً تقفون فيه بين يديه، حيث لن تنفعكم جذباتكم ولا شياطين الجن التي تمسرح لكم مشاهداتكم في جذباتكم، ولا شيوخكم الذين يوصلونكم إلى جذباتكم.

- يا هؤلاء! إن الأخذ جهلاً بالحديث الموضوع، يمكن أن يكون معه عذر الجهل، أما الأخذ به بعد تخريجه، ومعرفة وضعه، فهو الشرك الأعظم!.

والأخذ بالأحاديث الضعيفة بعد معرفة ضعفها هو طريق يؤدي في النهاية إلى الضلال.

ولا بأس من إيراد كلمة في وصف «الإحياء» لأبي بكر الطرطوشي[1]، يقول: «شحن أبو حامد «الإحياء» بالكذب على رسول الله ﷺ، فما أعلم كتاباً على بسيطة الأرض أكثر كذباً منه».

- نقول: إن قول أبي بكر الطرطوشي هذا، كان قبل تأليف كتب المتصوفة الأخرى.

---

(١) محمد بن الوليد بن محمد... القرشي الفهري الأندلسي، ويقال له أيضاً: ابن أبي رندقة، توفي في الإسكندرية سنة ٥٢٠هـ، وله كتاب في الرد على إحياء علوم الدين، لم أقف عليه.

٦ ـ يضاف إلى ما سبق، تفسير آيات القرآن الكريم تفسيراً لا تعرفه اللغة العربية، ولا أصول التفسير، وما عرفه أصحاب رسول الله ﷺ ولا من اتبعهم بإحسان، وقد مرت نماذج منها في الفصول السابقة، منها على سبيل المثال: ﴿إنَّ إلى ربِّك الرُّجعى﴾، و ﴿إنَّ إلى ربِّك المُنْتَهى﴾، التي يجعلها إشارة إلى وحدة الوجود.

والغزالي لا يتفرد بهذا الأسلوب، بل كلهم في كل كتبهم يحرفون الكلم من بعد مواضعه، وما أكثر الأمثلة التي مرت في هذا الكتاب، وهي بعض من كل.

٧ ـ يضاف إليها: أخبار غيبية عن الله سبحانه وتعالى، وعن الملائكة واللوح المحفوظ، وعن الرسل، وهي أخبار لا يمكن أن تعرف إلا عن طريق الوحي الذي نزل على محمد ﷺ، ولم يرد فيها أي دليل من هذا الوحي، ولعل الغزالي عرفها بالكشف!؟ وقد رأينا نماذج منها.

وهي بالتالي كذب على الله، وكذب على ملائكته، وكذب على رسله، وكذب على اليوم الآخر، وكذب على القضاء والقدر (خيره وشره)، وكذب على الصحابة، وكذب على التاريخ، وكذب، وكذب، وكذب.

٨ ـ يضاف إليها دعوة إلى أخلاق غريبة؟ فالتواضع هو الذل والمهانة، والورع هو التفاهة والبلاهة، والتوكل هو الاستسلام تطوعاً للجوع والعطش والعري والمرض، والزهد هو التسوُّل وأكل القمامات وروث الحيوانات، وقد رأينا نماذج منها.

٩ ـ يضاف إليها تعطيل أحكام الإسلام بحجج فيها الكثير من المكر؟ فهذا لم يغير منكراً أو لم ينه عنه، أو لم يقم بعمل خير خوفاً من أن يكون عمله رياءً، وذاك لم يأمر بمعروف خوفاً من أن يكون داخلاً في حكم الآية: ﴿أتأمُرونَ الناسَ بالبرِّ وتَنْسَوْنَ أنْفُسَكُم﴾، وذلك لم يتضرع إلى الله ولم يسأله خوفاً من أن يكون دعاؤه اعتراضاً على قضاء الله، ورابع لم يتزوج خوفاً من أن يكون الزواج ركوناً إلى الدنيا، وآخر ينهى عن طلب الحديث والعلم لأنه طلب للرئاسة، وآخرون ينهون عن تعلم القراءة والكتابة لأنه أجمع لهمة المريد . . . إلى آخر ما مر وما لم يمرّ مما أفسد المسلم في دينه ودنياه.

١٠ ـ يضاف إليها علم الكلام الذي أنكره نظريًّا واستخدمه عمليًّا في كل كتبه، وخاصة في «الإحياء»، استعمله بمهارة ولباقة، وأدخله في أصول العقائد والعبادات، حيث

جاء إلى الاعتقادات الغيبية التي لا يمكن معرفتها إلا عن طريق الوحي، فأخذ يستنبطها بأساليب علم الكلام، ليبرر تلقيها عن الكشف، بعد أن كانت لا تؤخذ إلا من نصوص القرآن وصحيح السنة.

واستعمله بمهارة ولباقة، فأقحم به الصوفية على الإسلام، حتى جعل المتصوفة هم «الخصوص»، وجعل أقطابهم «خصوص الخصوص»، وجعل أهل الشريعة هم العامة.

واستعمله بمهارة ولباقة، فجعل العبادات غير منجيات، وجعل المنجيات هي مقاماتهم الصوفية التي تدمر الأخلاق والإيمان والإسلام.

١١ ـ يضاف إليها مجموعة وافرة من المعلومات الخرافية المبثوثة في الكتاب، والتي شكلت جزءاً هامًّا من المعارف والثقافة عند المسلمين طيلة القرون، وكانت سبباً لما وصلت إليه المجتمعات الإسلامية من ضياع وتفتت، وقد مرت صور منها في الفصول السابقة.

ـ وهناك ملاحظة جديرة بالاهتمام، وهي أن قسماً من «إحيائه» هو نصوص منقولة حرفيًّا من «قوت القلوب» للمكي، وبعضاً من «اللمع» للطوسي . . .

كما أنه يأخذ أفكاره وفلسفاته وأقواله في التربية والنفس والمجتمع، من أفكار وفلسفات إخوان الصفا، وقد انتبه إلى هذا كثيرون منهم ابن سبعين[١] والمازري[٢] والذهبي[٣] وغيرهم.

لقد استطاع الغزالي، بهذه الأساليب، أن يمزج التصوف بالإسلام، ويجعل الآخرين يعتقدون أنهما شيء واحد.

وتبعه مثقفو المتصوفة على هذا النهج، وشيئاً فشيئاً، فشا هذا في الأمة، إلا من رحم ربك، وشيئاً فشيئاً، أصبح الإشراق وعلم الكلام آلة لاستنباط العقائد والعبادات في الإسلام، وشيئاً فشيئاً، جعلوا التصوف قمة الإسلام، وقبلوا تسميته «الإحسان»!

---

(١) بد العارف، ص١٤٥.

(٢) نرى هذا في فصل لاحق.

ولهذا السبب، أطلقوا على الغزالي لقب «حجة الإسلام»، وما هو إلا حجة الكهانة.

ولهـذا السبب، جعلوا كتـابـه «إحيـاء علوم الـدين» كتـابـاً مقـدساً، ففي كل بلاد المسلمين، نرى من يسمّون «العلماء» وأتباعهم، يقرؤ ون القرآن للتبرك، ولترديد كلمة «الله» عنـدمـا يقف القـارىء على الآي، يمطـونهـا ويكـررونهـا! وكأنهم لم يقرؤ وا قوله سبحـانـه: ﴿وإذا قُرِىء القـرآنُ فاسْتَمِعـوا له وأنْصِتـوا لعلَّكُم تُرْحَمـونَ﴾، كما يقـرؤ ون «صحيح البخاري» في المساجد جماعة إذا حزبهم أمر، بينما يقرؤ ون «الإحياء» و«الرسالة القشـيريـة» و«الحكم العطائية»، وغيرها من كتبهم، ليطبقوها ويتخذوها منهجاً طاغوتيًّا من دون القـرآن والسنـة، وأحسنهم طريقـة من يشرك كتب التصوف بالوحي المحمدي، يأخذ منها اعتقاداته وعباداته.

هذه هي الطـريقـة الـبرهانية بإيجاز، وهي لا تزيد عن كونها أسلوباً ذكيًّا لاستدراج المسلمـين وجـرهم إلى نقمـة «حكمـة الإشراق»؛ إلى ضلالات الكهانة والكهان؛ إلى تلبيسـات الخـوارق الشيطانية وتفاهات العلوم اللدنية؛ إلى الوهم الممسرح الذي سموه معرفة، والكفر المموه الذي سموه توحيداً، إلى الصوفية التي سموها «الإحسان».

ويجب أن لا ننسى الجهـود، التي نشكـوهـا إلى الله، والتي قدمها في خدمة التصوف كثير من شيوخ الجامع الأزهر، عبر تاريخ الجامع الأزهر، حيث كان طلاب العلم يأتونه من مختلف البـلاد الإسـلاميـة، فيتعلمـون فيه العلوم الإسلامية ممزوجة بالتصوف وعلم الكلام (أي الطريقة البرهانية الغزالية) ثم يعودون إلى بلادهم لنشرها في مجتمعاتهم التي كانت تحترمهم وتأخذ عنهم لأنهم «خريجو الجامع الأزهر» (!).

وهكذا صار التحشيش الإشراقي المتستر بالإسلام، وجذبات التحشيش الإشراقي المتلفعـة بالإسـلام، وهلوسـات التحشيش الإشـراقي الممـزوجـة بالإسلام، هي الموجه الحقيقي للمجتمعـات الإسـلاميـة طيلة القـرون الطـويلة، حتى وصلت المجتمعـات الإسلامية إلى ما هي عليه من جهل وتخبط وذل وانحطاط وتمزق.

وأعـود فأذكـر أن المتصوفة وعلى رأسهم شيوخهم وأقطابهم هم من أوائل المخدوعين والمضلَّلين، فهم، قبـل غيرهم، يعتقـدون أنهم على منهج الإسـلام، وأن الإسـلام

كذلك! لأنها لا تعمى الأبصار.

وهم عندما يخادعون ويراوغون ويغالطون، فإنما يعتقدون أن هذا من الحكمة وأن الله سبحانه يريد منهم ذلك، وأن الرسل كلهم أرسلوا من أجل ستر الحقيقة التي هي وحدة الوجود.

وهذا الحكم صحيح بالنسبة للذين أخذوا التصوف ممزوجاً بالإسلام (أولغالبيتهم العظمى)، أما أوائل المتصوفة في الإسلام، الذين أخذوا الصوفية عن كهانها غير ممزوجة بشيء، فأولئك كانوا خلاف ذلك، لأنهم هم الذين وضعوا لأخلافهم قواعد المكر والكيد حينما مزجوا الإسلام بالتصوف وأوصوا بالتقية ووضعوا العبارة الصوفية.

وماذا يُنتظر من مجتمعات تتعبد الله بمثل هذا منذ أكثر من تسعة قرون، إلا من رحم ربك؟ أليس ما وصلت إليه هذه المجتمعات هو نتيجة منطقية لهذا؟

ولا ننسى ملاحظة هامة، وهي أنهم نادراً ما يستعملون عبارة «الطريقة البرهانية» أو «الطريقة الغزالية»، وإنما يستعملون في العادة عبارة «التصوف السني» وقد يعبرون عنها أيضاً بمثل قولهم: «حقيقتنا مقيدة بالقرآن والسنة»، أو «طريقتنا سلفية وحقيقتنا صوفية»، وغيرها من العبارات التي مرت في هذا الكتاب والتي لم تمر.

ونختم هذا الفصل بفقرة لابن الطفيل، يقول:

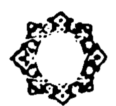
وأما كتب الشيخ أبي حامد الغزالي، فهوبحسب مخاطبته للجمهور، يربط في موضع ويحل في آخر، ويكفر بأشياء ثم ينتحلها، ثم إنه من جملة ما كفر به الفلاسفة في كتاب «التهافت» إنكارهم لحشر الأجساد، وإثباتهم الثواب والعقاب للنفوس خاصة، ثم قال في أول كتاب الميزان: «إن هذا الاعتقاد هو اعتقاد شيوخ الصوفية على القطع»، ثم قال في كتاب «المنقذ من الضلال والمفصح بالأحوال»: إن اعتقاده هو كاعتقاد الصوفية، وإن أمره إنما وقف على ذلك بعد طول البحث. وفي كتبه من هذا النوع كثير يراه من تصفحها وأمعن النظر فيها. وقد اعتذر عن هذا الفعل في آخر كتاب «ميزان العمل»، حيث وصف أن الآراء ثلاثة أقسام:

١ ـ رأي يشارك فيه الجمهور فيما هم عليه.

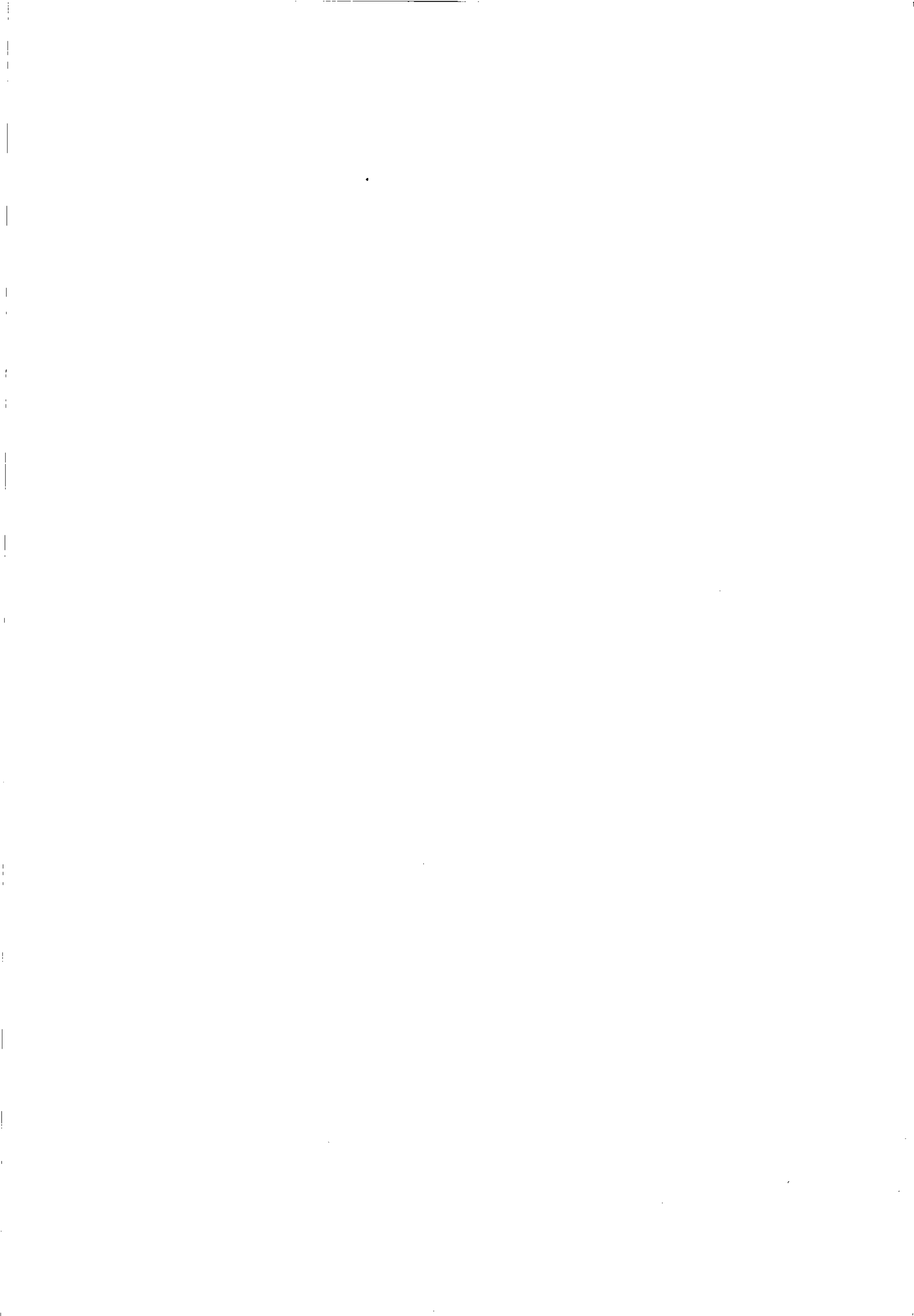
٢ ـ ورأي يكون بحسب ما يخاطب به كل سائل ومسترشد.

٣ ـ ورأي يكون بين الإنسان وبين نفسه لا يطلع عليه إلا من هو شريكه في اعتقاده[1].

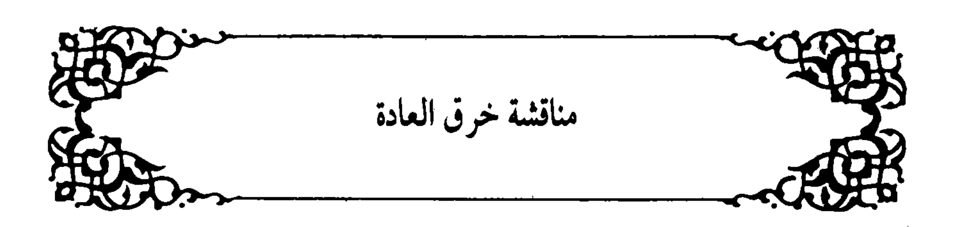
ـ نقول: إن ما أورده ابن طفيل هنا، وارد في كتاب «الإحياء»، وقد مرت نصوصه في الفصول السابقة، ورغم هذا كله وغير هذا كله، يسمون الغزالي «حجة الإسلام»؟!



(١) حي بن يقظان، ص١١٣ و ١١٤.



الباب الثاني: مناقشة الوصول



مناقشة خرق العادة

لمناقشة خوارق العادة عند الصوفية، يجب أخذ فكرة - ولو موجزة - عن تلك المخلوقات التي ترانا ولا نراها، والتي يجري خبثاؤها من ابن آدم مجرى الدم، هذه المخلوقات هي الجن، وخبثاؤها هم شياطين الجن.

لكن قبل المضي في ذلك، أحب أن أنبه إلى أمر:

يوجد في مجتمعاتنا، كما في كل المجتمعات، متعالمون يدَّعون العلمية، والفكر العلمي، والأسلوب العلمي في التفكير، وقد يكونون علماء - في اختصاصهم - فعلاً.

وإلى جانب هذه الميزة، توجد عند بعضهم ميزة أخرى، هي مقدرتهم على الكتابة بأسلوب قد يكون رائعاً وقد يكون مقبولاً، كما قد يحمل بعضهم ألقاباً علمية عالية.

قد يخطر على بال أحد هؤلاء العلميين أن يتكلم عن «الخرافة»، فيكتب مقالة في جريدة أو مجلة أو بحثاً في كتاب، يوزع فيه لقب «الخرافة» على كل ما يخالف قناعاته الفكرية التي لم يكلف نفسه بدراستها دراسة علمية عميقة.

ومن جملة ما يقذفونه في زنبيل «الخرافة» الجن وخرق العادة.

هنا، أرجو من القارىء الكريم أن يغلق أذنيه؟ لأنني أريد أن أهمس في أذن هؤلاء «العلميين» همسة صغيرة، فأقول لهم:

١ ـ مرحباً يا علميون (لأن السلام قبل الكلام).

٢ ـ من منسياتكم: أساليب البحث العلمي ووسائله تختلف حسب الموضوع المعروض للبحث!

فمثلاً: وسائل البحث العلمي وأساليبه في مسألة فلكية، تختلف كليًّا عنها في مسألة كيميائية، وهذه تختلف كليًّا عنها في مسألة تاريخية . . . وهكذا.

وكلها تختلف كليًّا عن جلسة الصفا أمام الكأس المفعمة في جو الموسيقى الراقصة في ماخور عام أو خاص.

كذلك البحث العلمي في مسألة الجن وخرق العادة له أساليبه ووسائله الخاصة، التي تختلف كليًّا عنها في غيرها، ويمكن لكل من يريد متابعتها أن يتابعها، ليتأكد بنفسه من وجود الجن، ومن حدوث خرق العادة، وبذلك سيعرف أنه كان يغرف من زنبيل الخرافة عندما كان يظن أن الجن وخرق العادة من الخرافة.

لكنه سيجد ـ في خوضه هذا البحث ـ أناساً يخوضون فيه، وقد مسخت الخرافة عقولهم! فهم يعزون كل شيء إلى الجن! ويؤمنون بخوارق لا وجود لها إلا في مخيلاتهم المريضة، فهم بفهمهم السقيم للجن وخرق العادة، يغرفون أيضاً من زنبيل الخرافة، ولكن من الجانب المقابل وبنهم لا يشبع.

فكلا الأخوين خرّاف، ولكن ذوي الفهم السقيم في الجن وخرق العادة، هم أخرف من أولئك، لأن أكثر ما لا يفهمونه خاضع لسنن الله في خلقه، عدا عما يضخمونه من الأمور العادية.

وعلى كل حال، الجن موجودون، وخرق العادة موجود، وكاتب هذه الكلمات، خرقت أمامه العادة مرات ومرات.

ـ نعود لأخذ فكرة موجزة عن الجن:

للجن قدرات وخواص مادية وتشريحية وفيزيولوجية ونفسية، تختلف كثيراً عما يقابلها لدى الإنسان، يهمنا منها ما يلي:

١ ـ يستطيعون الترائي للإنسان بأشكال مختلفة، وحجوم تتراوح أطوالها بين ميلليمترات

(أو أقل)، وبضعة أمتار لا يستطيعون تجاوزها، وإن استطاعوا فغير كثير، وذلك تبعاً لحجومهم الطبيعية، ولعل الترائي بالحجوم الصغيرة جداً يكون بجزء من أجسامهم.

٢ ـ يستطيعون، عندما يتراءون ألا يتركوا أحداً من الناس يراهم، إلا من يريدونه أن يراهم.

٣ ـ «إن الشيطان ليجري من ابن آدم مجرى الدم»، وبذلك يستطيع أن يدغدغ مراكز الحس التي يريد، فيثير البسط والقبض، واللذة والانزعاج، والتجلي الجمالي والتجلي الجلالي، مع العلم أن هذه الإحساسات وأمثالها، لها في الأساس أسباب فيزيولوجية.

٤ ـ يستطيعون قطع المسافات بسرعات كبيرة، فقد يقطعون في الثانية الواحدة مسافة تقاس بالكيلومترات، إن لم يكن أكثر من ذلك.

٥ ـ يستطيع الواحد منهم (أو بعضهم) حمل ثقل يعجز عنه عدد من أفراد الإنس.

٦ ـ يظهر أن للجن متعة خاصة بالتلهي ببني الإنسان والتلاعب بعقولهم وعواطفهم، وملازمتهم.

بهذه الميزات، وبغيرها، يستطيع شياطين الجن أن يصنعوا لوليهم «العارف» بعض الأعمال الخارقة للعادة.

فقد يأتونه بخبر جديد من بلد بعيد بعض البعد، بعد وقوعه بدقائق، فيخبر به الناس، الذين عندما يتأكدون من وقوعه، يعتبرونه كرامة من كرامات الشيخ.

وقد يوسوسون لإنسان ما، بفكرة ما، ثم يلقونها إلى الشيخ، فيخبره بها، فيعتبرونها كرامة من كرامات الشيخ.

وقد يلقي الشيطان إلى الشيخ أسماء أشخاص لا يعرفهم، فينبئهم بها، فيعتبرونها كرامة من كرامات الشيخ.

وقد يكون الشيخ في بلد ما، في وقت ما، ويتمثل به شيطان في بلد آخر في نفس الوقت، وقد يتمثل به شيطان ثالث في بلد ثالث في نفس الوقت أيضاً، فيرى أهل كل

بلد أن الشيـخ كان عنـدهم في ذلـك الـوقت! دون أن يعـرفـوا ـ لجهلهم ـ أنهـا خدعة شياطين! ويعتبر ونها كرامة من كرامات الشيخ.

وقـد يتراءى شيطـان، أو شيـاطـين، أمـام الشيـخ، بشكل شخص، أو أشخاص غائبين أو أموات، فيعدها الشيخ كرامة له.

وقد يتراءى شيطان الشيخ أمام الشيخ بشكل ما ويوهمه أنه محمد رسول الله ﷺ، أو أحد غيره من الأنبياء.

وقد يتراءى شيطان أو أكثر، أمام الشيخ بشكل أشباح تتطاير، فيظنهم من الملائكة أو من أرواح الأولياء.

وقد يحمل الشيطان وليّه العارف في الهواء وينقله من مكان إلى مكان وقد يمشي به على سطح الماء.

. . . وقـد . . وقـد . . إلى آخـر ما يسمـونه ـ جهلاً أو افتراءً ـ الكرامات! والتي لا تزيد عن كونها ألاعيب شياطين يخدعون بها وليهم العارف، ثم يخدعون به وبها الآخرين.

وهنـا نصطـدم مع هؤلاء القوم، بفهمهم السقيم للغة العربية، وبالتالي، لنصوص الحديث الشريف، ومن قبله القرآن الكريـم.

إنهم، في رؤ يتهم لما يتوهمونه أنه محمد صلى الله عليه وآله وسلم، يظنون أنهم يرونه حقًّا، ويحتجون لذلك بالحديث الشريف: «من رآني في المنام فقد رآني حقًّا، فإن الشيطان لا يتمَثَّلُ بي».

والحـديث واضـح البيـان، لا لبس فيـه ولا غموض! فهو يقول: «من رآني . . . »، والفرق كبير جدًّا بين هذا القول وبين: «من رأى شخصاً يدَّعي أنه أنا . . »، أو: «من رأى شخصاً وظن أنه أنا . . »، أو: «من رأى شخصاً وقيل له: إنه أنا . . »! الفرق كبير جدًّا بين هذه العبـارات وبـين عبـارة الحـديث: «من رآني . . . »، التي تعني رؤ يته ﷺ، بشكله وصورته التي كان عليهما، بل وزيه أيضاً.

ويقول في الحديث أيضاً: « . . فإن الشيطان لا يتمثل بي»، وفي رواية: «لا يتمثل

بصـورتي»، والمعنى واحـد. وهنـا أيضـاً الفـرق كبير جدًّا بين هذا القول، وبين قوله لو قال: «. . فإن الشيطان لا يدعي أنه أنا»، أو: «لا يستطيع شيطان أن يقول عن شيطان آخر: إنه أنا»، أو: «لا يستطيع أحد أن يُخدع فيتوهم شيطاناً يراه أنه أنا»!

إن عبـارة «فـإن الشيطـان لا يتمثـل بي» تعني أن الشيطـان لا يستطيـع أن يتراءى بصـورة الـرسـول وشكله وزيه التي كان عليها ﷺ في حياته، بحيث لو رآه أي إنسان من أصحابه لعرفه أنه هو.

وقد يتساءل متسائل: كيف نعرف إن كان من نراه في المنام هو الرسول أم لا؟

الجواب: تورد كتب الحديث وكتب الشمائل أوصافه ﷺ، فمن رأى في منامه إنساناً تجتمـع فيـه كل تلك الأوصـاف، دون استثناء، فهناك احتمال أن يكون هذا الذي رآه هو الرسول ﷺ.

وأقـول هنـاك احتـمال أن يكـون هو الـرسول، لأن الأوصاف المذكورة هي أوصاف إجـماليـة لا تفصيليـة، وغير دقيقة، حيث يمكن أن نراها مجتمعة في عشرات الأشخاص الذين يختلفون عن بعضهم بدقائق صورهم وتفاصيلها.

وفي قصة جماعة الحرم عبرة لأولي النهى، فقد رأى عشرات منهم الرسول في المنام، وأخـبرهم أن محمـد بن عبـد الله القحطاني هو المهدي المنتظر، ولا يخلو أن يكون بعضهم على علم بأوصـاف الـرسـول المـوجودة في الكتب، وأن يكون رآه حسب تلك الأوصاف المجملة، ثم كانت النتيجة أن القحطاني لم يكن المهدي، وبالتالي كانت كل تلك الرؤ ى من وسوسات الشياطين، أو من حديث النفس.

إن في هذه الحـادثـة برهان عملي ساطع على أن الشيطان يدعي أنه محمد ﷺ، وأن معنى الحـديث: «لا يتمثـل بي»، أي لا يظهر بصورته وشكله الكاملين اللذين كان ﷺ عليهما في حياته.

كما يجب أن لا ننسى العـدد الـوافـر من الأوليـاء العـارفـين الـذين رأوا الرسول ﷺ وأخـبرهم أنهم هم «المهـدي المنتظـر»، ثم كانت النتيجـة أن الـذي رأوه كان إما وسوسة شيطان، أو حديث نفس، أو كشفاً إن كان الرائي من المكاشفين.

هذا بالنسبة للرؤ ية في المنام أو في الجذبة.

أمـا ما يقـولـه المتصوفة من الرؤ ية في اليقظة فهذا واضح البطلان والضلال، كما هو واضح أن المترائي هو شيطان يضحك على أذقانهم، ويسلبهم عقولهم وإيمانهم، ويضل بهم غيرهم.

إن الشيطان يدّعي أنه الله، فهل كثير عليه إن ادّعى أنه الرسول؟

وهنـاك خارقـة يؤخذ بها المخدوعون أكثر من غيرها، هي ضرب الشيش في الخدَّين والبطن حيث الأمعـاء، وفي الجلد، وهي مشتهـرة بين أتبـاع المشيخـة الرفاعية والجزولية والعيسـويـة، يمارسـونهـا في حضـراتهم التظـاهـريـة، وهي مثل غيرها لا تزيد عن كونها شيطانيات. بدليل أنها تحصل مع الكفرة، بل يحصل منهـم ما هو أكبر منها، وفي فصل لاحق سنرى شيئاً من هذا. ولعله من الجائز أن يكون تفسير هذه الخارقة كما يلي:

أ ـ لجلد الإنسان خاصة مطاطية، وكذلك الخدان والبطن والأمعاء، وهذا مشاهد ملموس.

ب ـ إن الشيطان ليجري من ابن آدم مجرى الدم، فهو بذلك يستطيع التخلل في أي مكان من الجسم.

ولعله يجد بذلك متعة خاصة نجهل طبيعتها.

وتتم العملية حسب الآتي:

يوجـه الشيطـان يد الشخص المتخلل فيـه، ليضـع الشيش في المكـان المنـاسب من البطن، وعنـدمـا يضعـه على الجلد، يباعد الجني بين خلايا النسيج الجلدي، وما تحته، بمقدار ما يمر الشيش بسلام دون أن يمزق شيئاً من الخلايا، وعندما يصل الشيش إلى الأمعـاء (في المكـان المنـاسب) يبـاعـد الشيطان بينها، كما يباعد بين خلايا النسيج الذي يضمهـا بمقـدار ما يمـر الشيش بسـلام أيضـاً.. وهكذا.. يساعده على ذلك الخاصة المطاطية في هذا الأجزاء من الجسم، وسرعة الحركة التي يمتاز بها الجن.

ومثل هذا يحدث في الخدين وفي الجلد.

لكن مهما كانت الدقة التي ينفذ بها الجن هذه العملية بالغة، فلا بد من تمزق بعض الخلايا، مما يسبب سيلان قطيرة أو قطيرات من الدم عند سحب الشيش.

كما يبقى المكـان الـذي حصلت فيـه العمليـة أحمـر بعض الشيء لمدة ما، بسبب الضغط التي عانته الأنسجة.

- طبعـاً، هذا تفسـير ظني، أمـا الحق، فيجب أن تخضع هذه الظاهرة ومثيلاتها إلى دراسـة علميـة جادة. وستكـون وسيلة لاكتشاف مساحات مجهولة من النفس الإنسانية، بل والحيوانية أيضاً، كما ستكون وسيلة لاكتشاف وظائف فيزيولوجية مثيرة.

أما عملية قطع العنق بالسيف، أوقطع اليد، وما شابهها، فهي خداع بصري يقوم به أيضاً خبثاء الجن، وكذلك ضرب الرصاص.

وهنـاك عمليـة الـدخول في النار التي تكاد تنعدم عند متصوفة المسلمين، بينما توجد بين كهنـة الهنـادكة، وهي عملية يقوم بها الجن أيضاً، يساعدهم عليها سرعتهم الهائلة، وقوتهم على الحمل، ومقدرتهم على الترائي بشكل الإنسان، وأن النار العادية لا تؤثر فيهم.

كما يسـاعـدهم أيضـاً، خاصـة بصـرية عند الإنسان، فالعين الإنسانية لا تحس بما يحدث أمامها في مدة تقل عن عُشر الثانية.

تحدث العملية بأن يحمل شياطين الجن الفقير الذي يتظاهر بالعزم على دخول النار وتنقله إلى مكان آخر، ثم يتراءى شيطان مكانه بشكله.

تتم هاتـان العمليتـان في مدة تقـل كثـيراً عن عُشر الثانية، فلا يرى أحد من الناس الحاضرين شيئاً مما حدث، ويرون الفقير مازال في مكانه يستعد للدخول في النار!

يدخـل الجني المترائي بشكـل الفقير إلى النار، ويخرج منها، دون أن تؤذيه طبعاً، وبعـد خروجـه، يعيـدون الفقير، ويتلاشى الجني بنفس السرعة السابقة، ولا يرى أحد من الناس الحاضرين إلا أن الفقير دخل في النار وخرج منها سالماً، بل والفقير نفسه، قد لا يحس بما حدث، وقد يظن أنه دخل النار في حالة غيبوبة.

*** الخلاصة:**

خوارق الصـوفيـة، التي يسمـونهـا كرامـات، كلهـا ألاعيب شيطـانية، وهي نفس الخوارق السحرية، ونفس الخوارق الكهانية التي تحدث في كل الوثنيات.

وللعلم: تعلم السحر يتم بالشرك الكامل في الشيخ الساحر (تماماً كالشرك في الشيخ الصوفي)، وبالقيام بنفس الرياضة الصوفية، وخاصة ما يسمونه «الذكر»، والذي يسمونه في السحر «القَسَم» أو «الطلّسم» وليس هنا مكان هذا البحث.

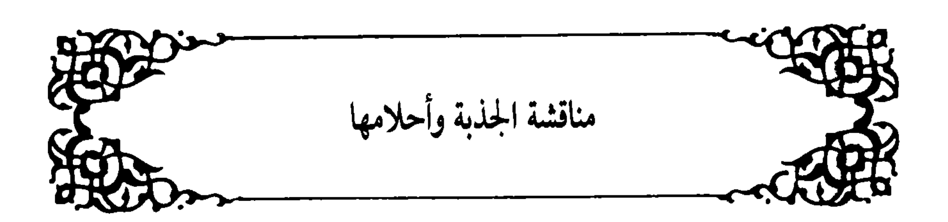
إن الفرق بين الصوفية والكهانة والسحر هو الادعاء فقط، فالصوفي والكاهن يدعيان بغرور السير إلى الله والعروج إليه، والساحر أصدقهم. والصوفي والكاهن غايتهما الجذبة، والساحر يقف عند خرق العادة، وإذا أراد الجذبة اختصر الطريق إليها بتناول شيء من الحشيش أو الأفيون وما شابههما، وقد يصل إلى الجذبة بالرياضة.

إن هذه الخوارق الشيطانية، التي يسمونها «كرامات» لا تكفي لدفع الشيخ وأتباعه إلى مستنقع الكفر؟ إلى وحدة الوجود! لأن الأمر يحتاج إلى تمثيليات من نوع آخر، تظهر فيها مناظر غريبة ذات أبعاد كبيرة، لا يستطيع شياطين الجن تمثيلها لصغر أجسامهم بالنسبة لها! لذلك كان لا بد من خواص الجذبة ليستطيعوا تنفيذ تلك التمثيليات.

فلننتقل إلى مناقشة الجذبة وخواصها.

وقبل الانتقال، نذكر أن الكرامات الصحيحة موجودة، لكن الطريق إليها هو طريق الإسلام الذي أنزله الله على محمد ﷺ، وكانت تظهر أكثر ما تظهر في الانتصارات العجيبة التي تشبه الأساطير، وفي الأخلاق الكريمة والسلوك العادل المتسامح مع المسلم ومع غير المسلم، والدعوة إلى الله بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وقول الحق بصراحة تامة مع المقدرة على الاحتفاظ بصداقة الذي يدعونهم وينهونهم . . . وهكذا انتشر الإسلام.

مع ملاحظة هامة، هي أن الذي ينتهج النهج الصحيح في الإسلام، لا يعني أن كل خرق عادة يحصل أمامه هو كرامة، وعلينا أن نتذكر، بل علينا ألا ننسى الآية: ﴿فبما أَغْوَيْتَني لأقْعُدَنَّ لهُم صِراطَكَ المُسْتَقيمَ﴾، وهذا يعني أن الخوارق التي تحصل أمام الذي ينتهج نهج الإسلام الصحيح، كما كان ينتهجه سلف الأمة من الصحابة وتابعيهم، هذه الخوارق سيكون أكثرها من الشيطانيات، وأقلها، إن لم يكن أندرها، من الكرامات الحقيقية.



لمحة عن المخدرات

من المفيد، قبل الدخول في مناقشة الجذبة، أن نلقي نظرة سريعة على مفعول المخدرات: الحشيش والأفيون والكوكائين وعقار الهلوسة (إل، إس، دي، ٢٥) وغيرها.

*** من تأثير الحشيش :-**

يقول الدكتور محمد رفعت (نقلاً عن أحد الباحثين يصف تجربته مع الحشيش):

. . . أحسست كأن جسدي يتحلل أو يذوب . . بدوت وكأنني شفاف تماماً.

جفون عيني تطول إلى ما لا نهاية، هذه الجفون مالها تسقط وحدها هكذا ككرات من ذهب، سرعتها تثير ني، ألوان جميلة تحيط بي، هل أنا أنظر في منظار سِحري صغير يقدم تلك الأشكال الزخرفية الملونة . . .

. . . إن سمعي أصبح فجأة حادًّا تماماً . . إنني أستمع إلى صوت الألوان، كنت لا أستطيع أن أسمع للألوان صوتاً من قبل . . الألوان الحمراء والزرقاء والخضراء لها

موجات صوتية تصلني وأميزها بوضوح[1] . . اهـ.

ـ هنا نسأل الأولياء الذين ذاقوا الفناءات وتحققوا بالأسماء، أليست هذه الرؤى، وما بعدها، هي صور من مكاشفاتهم؟

ويقول نفسه:

والحشاش قد يقنع نفسه بقدرته على إيجاد حل لكل مشكلة، وهذا طبعاً نتيجة ما يعتريه من هبوط في المراكز العصبية العليا، ومنها حاسة التقييم والتقدير، فيظل يهوم في آفاق وتصورات كلها سراب خادع وضلال مبين[2] . . . اهـ.

ـ لنتذكر هنا قول الصوفية عن كشوفهم: إنها حق اليقين وعينه ونوره، وعن أنفسهم: إنهم العارفون الذين عرفوا الأمور على ما هي عليه . . .

ويقول: عندما يتعاطى الشخص الحشيش لأول مرة فإنه يشعر بهذه الأعراض:

ارتعاشات عضلية في جسمه . . . إحساسات جسمية خاطئة أو وهمية . . . مثل الشعور بطول في الأطراف . . . اضطراب في الحواس، خصوصاً السمع والبصر[3]. اهـ.

ـ لنتذكر وصف عبد العزيز الدباغ لمبدأ حاله بالجذبة.

ويقول: الآثار النفسية لإدمان تعاطي الحشيش: اضطراب الحواس، خصوصاً السمع والبصر، فتصبح الحواس حادة للغاية، إلا أن المدركات كلها تبدو في صورة مغايرة ومحرفة، سواء من ناحية الشكل أو اللون، كما يعاني المدمن من الهلاوس . . . فيرى أشكالاً ويسمع أصواتاً ليس لها وجود مادي، كما يعاني من خداع الحواس . . . فإذا رأى حبلاً ظنه أفعى، وإذا رأى كلباً خيل إليه أنه أسد . . . وهكذا . . .

واختلال إدراك الإنسان للزمان والمكان، فيبطىء إحساس الإنسان بالزمن . . . فإذا قضى دقائق في عمل ما، يخيل إليه أنه قضى فيه ساعات طوال . . . أما بالنسبة

---

(١) إدمان المخدرات، ص١١٤ و١١٥.

(٢) إمان المخدرات، ص٥١ و٥٢.

(٣) إدمان المخدرات، ص١٢٤.

للمسافات فإنها تطول جدًّا . . فإذا سار عشرة أمتار خيل إليه أنه قطع عدة كيلومترات . .

اضطرابات في التفكير تؤدي إلى اختلال في حكم الشخص على الأمور . . .

بطء شديد في عمليات التفكير بسبب التخدير الذي يشمل قشرة المخ، ويدفع الإنسان إلى عدم الاكتراث بما حوله، ويفقد المبادأة . . كما يعطل مراكز الضبط والتحكم وتمحيص الأمور . . . مما يجعل المتعاطي قابلاً للإيحاء . . .

اضطرابات وجدانية، فيشعر المتعاطي بشعور زائف بالسعادة الوهمية . . . وإحساس بالرضا والراحة . . يصل أحياناً إلى درجة النشوة. إلا أن هذه السعادة الزائفة تحمل في طياتها وسائل التدمير لشخصية الإنسان[1]. اهـ.

وسئل حشاش: بماذا تحس وأنت تحشش؟ فأجاب:

أحس بفرح، وربما بحزن، وقد أضحك كثيراً، أو أبكي كثيراً، حسب الحالة التي تجلبها الحشيشة، فليست كل الحالات سواء، ولكنني أشعر بحاجة إلى الهدوء . . . مرة شعرت بأنني أسابق السيارة المنطلقة في الشارع، بينما كنت جالساً في مكاني! والحالات مختلفة على كل حال[2]. اهـ.

ـ نعيد نفس السؤال موجهاً للأولياء المكاشفين: أليس مثل هذا ما يشاهدونه في مكاشفاتهم؟ وخاصة الفرح والحزن، اللذين يسمونهما «البسط والقبض»، وكذلك طول المسافات، وطول الزمن، والشعور بالسعادة، والوصول أحياناً إلى درجة النشوة؟ . . .

*** من تأثير الكوكائين :ـ**

يقول الدكتور محمد رفعت:

ولعل أغرب مظاهر الشذوذ الحيوي في جسم المدمن، الهلوسة التي تصيب جلد مدمن الكوكائين . . . إلى أن المدمن هنا يحس وكأن آلاف القمل والبراغيث وشتى أنواع

(١) إدمان المخدرات، ص١٢٦ و١٢٧.

(٢) الحشيش قاتل الإنسان، ص٢٤ و٢٥.

الهوام تنهش في جلده، وتجري تحت جلده مباشرة[1]. . .

والكاثين ضئيل الأثر، ويشبه الكوكائين في إحداثه نوعاً من الخدر أو التنميل[2]. . .

ويقول أحد الباحثين (دكتور لوغر):

يشعر مدمن الكوكائين بآلاف الهوام تدب على جلده وداخل جسمه، ويحس بلدغات مئات القمل والبق و. . . إلخ. وبظاهرة حسية غريبة ما اعتادت المخدرات الأخرى توليدها، تبلغ هذه الظاهرة حدًّا يرى فيه المدمن حشرات لا وجود لها على جلده فيأخذها متوهماً ويحبسها ويضعها في علبة، حتى إنه ينظر إليها بمكبرة. ويالغرابة الأمر . . . إنه يراها وقد تجسمت أمام عينيه كما لو أنها موجودة فعلاً. وغالباً ما يلاحق مدمن المخدرات هذه الطفيليات المزعجة يبحث عنها على الأبواب وفوق الكراسي وفي الفراش وبين الأظافر وفي جميع أجزاء جسمه وحتى داخل فمه ومنخريه وأذنه. وقد يغدو هذا النمط من الهذيان والهراء (الهلوسة) جماعيًّا . . . إذ لا غرابة أن تجد مدمنين اثنين يبحث كل منهما عن هذه الهوام على جلد الآخر مخففاً عنه العذاب على حد اعتقاده[3].

● الملاحظة:

لننتبه إلى أنه يرى حشرات وقد تجسمت أمام عينيه، حتى إنه ينظر إليها بمكبرة. . أي يرى ما لا وجود له في الحقيقة؛ وكذلك الرؤ ى الكشفية.

* من تأثيرات عقار التهليس (L. S. D. 25):-

يقول محمد رفعت:

وهذا العقار يعتبر من السموم الكبر ى ذات الأثر العميق فيما يتعلق بانتقال المتعاطي من عالم الهلوسة والهذيان، وهم يطلقون عادة على الحالة الجديدة للمريض المدمن اسم (رحلة)، وهذه الرحلة لا يلزمها الكثير من هذا السم الزعاف، إذ يكفي من ٢٠٠ إلى ٤٠٠ ميكروغرام.

---

(١) إدمان المخدرات، ص٤٣.
(٢) إدمان المخدرات، ص٥٤.
(٣) المخدرات، ص٦١ و٦٢.

وبعدها يكون الرحيل إلى سفر يستغرق ثماني ساعات من الزمن يتخيل المريض وكأنها رحلة عمر كامل من الهلوسة والهذيان والتخيلات التي يسودها اللامعقول والإثارة الحسية، والنشاط الحيوي المزعوم بينما يكون المدمن في واقع الأمر جثة هامدة طيلة السفر بعد الرحيل[1]. . .

. . . وتختلف آثار هذا العقار على الإنسان باختلاف شخصيته، وتركيبه النفسي، وكذلك باختلاف الجو العام الذي يتم فيه التعاطي، وهذه بعض الأعراض (لتعاطي ٣ ميكروغرام):

زغللة بالعينين، واضطراب في شكل المرئيات، وظهور بعض الأشياء التي لا تحمل أي معنى، كعلامة في الحائط مثلاً، كما لو كانت كلمات مفهومة مثلاً، أو وجه إنسان، أو أي شيء آخر له معنى.

- هلاوس بصرية . . . أي رؤية أشياء ليس لها وجود مادي . . فيكفي أن يتخيل الفرد شيئاً أو يتمنى رؤيته، حتى يراه أمامه مجسماً، وبالألوان الطبيعية أيضاً . . فهلاوس هذا العقار تتميز بأنها تظهر بالألوان، عكس هلاوس الحشيش والأفيون التي تظهر أبيض وأسود فقط. (في الواقع، هلاوس الحشيش والأفيون ليست واحدة عند كل الأشخاص فمنها ما يكون بالألوان الطبيعية).

- اضطراب في إحساس الفرد بالزمن . . فقد يتوقف الزمن تماماً، أو يمر ببطء شديد . . وقد يسرع جدًا، فيبدو كأن آلاف السنين قد مرت في لحظات.

- توقف كامل للنشاط العقلي . . فيصبح من الصعب على الإنسان أن يبت في أي أمر، أو يفكر في أي مشكلة، أو حتى يقوم بالعمليات الحسابية البسيطة.

- إحساس زائف بالراحة والسعادة الدافقة . . أو يحدث العكس تماماً . . فيشعر الإنسان باكتئاب شديد ورعب . . . (لنتذكر البسط والقبض).

ولكن أعجب شعور يمكن أن يحسه الإنسان هو ذلك الشعور بتداخل الحواس . . . عندما يتداخل السمع مع البصر مع الشم مع الذوق مع اللمس، فينتج عنه ذلك الخليط

---

(١) إدمان المخدرات، ص٤٥.

العجيب من الحواس الذي يعتبر من الأعراض المميزة لعقار الهلوسة . . . عندما يسمع الإنسان لون الورد، ويشم صوت الموسيقى، ويرى الطرق على الباب، ويشم جرس التلفون[1] . . . إلخ.

ـ وهنا نعيد السؤال، نوجهه إلى أي صوفي مكاشف: أليست رؤاه الكشفية مثل هذه الرؤى الهلوسية؟ يمر بفكره شيء فيراه مجسماً أمامه؟ يحسب اللحظات سنين طويلة؟ ثم الرؤى الناتجة عن تداخل الحواس؟ وغيرها؟

ومما يذكره مكتشف العقار (هوفمان) عن تجربته له

يقول: وجدت نفسي عند العصر مجبراً على التوقف عن العمل . . فأغمضت عيني . . لأرى، كما يرى الناظر في المنظار السحري، عرضاً لسبحة لا تنقطع من صور عجيبة مجسمة وغنية بألوان غير عادية، وقد دام ذلك العرض ساعات عديدة[2] . . . اهـ (أليست رؤى الجذبة هكذا؟).

ومما حدث له، في تجربة ثانية:

بعد أربعين دقيقة، شعر بدوار خفيف وإثارة واضطرابات في الرؤية ونوبات حمقاء من الضحك ما استطاع لها ردعاً . . . كانت الوجوه تبدو له كأقنعة مضحكة . . . وأكثر ما أدهشه هو التلون الشديد الذي كانت تتلون به الأشياء ويتلون به الأشخاص، وعلى خلفيات يسيطر فيها اللونان الأخضر والأزرق كانت تضطرب ألوان ذات صفاء ولدونة مدهشين، كان كل شيء ينقلب إلى ألوان، حتى إن أصوات البوق الآتي من الشارع كان يراه كشعاع ملون، وكانت المشاهد تترى، كان يرى نفسه يومىء، ويصمت ويتحرك[3].

*** من تأثير الهروئين (من مشتقات الأفيون):ـ**

الهروئين، يحمل الإنسان إلى جنان خيالية، وخيالات من نوع أنه أصبح من

---

(١) إدمان المخدرات، ص١٣١ و١٣٢.

(٢) المخدرات، ص١٤٦.

(٣) المخدرات، ص١٤٧.

الملائكة، أو أنه أصبح نبيًّا، أو أن له موعد مغازلة مع القمر (الذي هو الشمس)، ثم يدفعه ذلك أن يتصرف حسب تصوره هذا، فيحاول الطيران من أعلى البناية باتجاه السماء، فيسقط على الأرض وتتهشم ضلوعه[1]. . .

* من تأثير الإيتير :-

يقول أحد الذين جربوه (الكاتب الفرنسي غي دوموباسان):

كان أول ما شعرت به همساً خفيفاً ناعماً ومهدهداً، ثم ما لبثت أن لاحظت بأن جسمي أخذ يخف . . . أخذ يخف ويخف، حتى بدا لي فيها كما لو أنه كان يتبخر، أحسست بأنه لم يبق لي من جسمي سوى الجلد . . لم يبق سوى ما يكفي لأشعر بلذة العيش، بأن أشعر بأنني أتأرجح في هذه السعادة التي تغمرني . . . ما كنت أرى أحلاماً كالتي يسببها الحشيش، وما كان ذهني يمتلىء بالرؤى التي يسببها الأفيون، لقد كان إحساساً بحدة ذهنية كبيرة، إحساساً بشكل جديد من الكينونة والتفكير والإحساس والحكم على الحياة، إحساساً بالاقتناع بأنني كنت أدرك عندئذ الواقع الحقيقي للعالم . . كان يبدو لي بأنني تذوقت ثمرة شجرة الحياة، وأن كل الأسرار تنكشف أمامي[2] . . .

- وهنا أيضاً نتوجه إلى أي صوفي وصل إلى مقام الجمع، وذاق الفناءات، ونسأله: أليست هذه الحالة وهذا الشعور والهمسات المهدهدة الناعمة تشبة ما ذاقه أثناء فناءاته وما سمعه من خطابات توهمها إلهية، وذلك الإحساس الزائف بأنه صار يدرك واقع العالم؟.

* من تأثير فطر المكسيك المقدس :-

قام بالتجربة شخص اسمه (آلان ريشاردسن) مع رفيق له اسمه (غوردن واسن): وقد تمت التجربة في أعالي المكسيك بين الهنود الأصليين:

كانت الغرفة مظلمة ومزدحمة بالناس. كانوا جميعاً هنوداً مكسيكيين . . . وكانت هناك كاهنة تغني ملوحة بالفطر في دخان لهب نار تتقد في المذبح لتطهر الفطر من أدرانه فيغدو جاهزاً للتناول.

---

(١) الحشيش قاتل الإنسان، ص٩.

(٢) المخدرات، ص١١٥.

قدم الهنود للرجلين اثني عشر فطراً مطهراً فأخذا يأكلانها . . . لكن الكاهنة انبرت تغني بمزيد من النشاط، مصفقة بطريقة غريبة وبلحن مهدهد، وفجأة دار «ريشاردسن» نحـو رفيقـه هامسـاً في أذنه بأنه يرى أشياء غريبة . فأجابه «واسن» إن الرؤ ى ستر ى، وإنك ستراها سواءً أسدلت جفنيك أو فتحت عينيك .

بدأت الـرؤ ى تظهـر رسـومـاً فنيـة، كسجادة تبر ق بزينتها وتتألق، ثم تتحول إلى قصور وباحات وأقواس وحدائق . . تراءى لريشاردسن حيوان أسطوري يجر عربة ملكية ذات عجلتين، ثم بدت له الجدران وكأنها تنحل . . . وأحس بروحه تطفو . . وشعر بأن نظره يحيط بفراغات لا متناهية . . . كان يرى نماذج من الأفكار الأفلاطونية، وصوراً غير كاملة للحياة اليومية[1] . . . اهـ.

ـ السؤال: أليست هذه الرؤ ى هي نفس ما يراه الأولياء العارفون المكاشفون؟ مع العلم أنـه لو كان جلوسـه في مكـان غير الغـرفـة المظلمة، أو لو كانت ثقافته غير ثقافته، لأمكن أن تتغير رؤ اه قليلاً أو كثيراً .

ويقول الدكتور صلاح يحياوي :

يستهلك سكـان بولينـزيـا «الكافا» بكميات كبيرة ليعيشوا دائماً تقريباً في رؤ ى جنة صنعية يهيؤها لهم هذا المخدر[2] . . . اهـ.

ـ ونفس السـؤ ال إلى نفس الأوليـاء المكـاشفـين: أليست هذه الهلوسات هي نفس الهلوسات التي تهيؤها لهم جذباتهم؟

ـ كيف كان الناس ينظرون إلى المخدرات؟

يقول الدكتور صلاح يحياوي :

. . . كان من المعـروف بأنهم (الكهـان) كانـوا في طقـوس «المسـارة» يستخـدمـون مخدرات ما كان يعـرفهـا غيرهم، وبـذلـك كانـوا يعمرون أذهان المبتدئين بأحلام مرعبة وواضحة إلى درجة كانت تجعل هؤلاء يعتقدون أنها واقعية[3] .

---

(١) المخدرات، ص١٥٢ .

(٢) المخدرات، ص١٠٦ .

(٣) المخدرات، ص٩ .

. . . كان «باراسلو» يحمل الأفيون دائماً معه، مطلقاً عليه اسم «حجر الخلود»[1].

. . . ففي القرن الحادي عشر، وبعد ثلاثمائة عام من نشر العرب لاستخدام الأفيون، بدأ يظهر ثناء العامة وإطراؤهم على هذا المخدر، فكانوا يتغنون به كـ «شراب الآلهة»[1].

. . . لقد أكد الإينكا (سكان البير و الأصليين) للإسبان بأن الكوكا (منها يستخرج الكوكائين) نبتة إلٰهية أوصى بها الإلهان «مانوكو كاباك» وزوجته «ماما أوكيو».

لقد خصت هذه الصفة الإلٰهية، والتي لازال بعض هنود أمريكا الجنوبية يؤمنون بها، خصت حكام الإينكا وحدهم بحق امتلاك مزارع هذه الشجيرة، ويقاسم الكهان الحكام هذا الامتياز[2].

ومما يذكره صلاح يحياوي أيضاً:

كانت جميع شعوب العالم القديم تعرف هذا المخدر (الحشيش) . . . وقد أحاطت الهالات خواصه، فنسب إليه الهندوس أصلاً إلٰهياً، فقالوا بأن الإله «فيشنو»[3] قد نصح جميع الآلهة الصغار وجميع الشياطين بأن يجتمعوا في يوم حدده لهم للحصول على إكسير الخلود . . . وكانت النتيجة أن إكسير الخلود هو القنب الهندي الذي استخلص منه الحشيش[4]. .

● **وملاحظتان هامتان من المفيد إيرادهما:**

يقول الدكتور محمد رفعت:

من الطريف أن نعرف ماذا يفعل المخدر بالإنسان . . . مع ملاحظة أن هذه الأعراض لا تظهر جميعاً في نفس الوقت ولا بنفس الشدة في جميع الحالات . . . كما لا تظهر عند كل الناس[5].

ويقول الدكتور صلاح يحياوي:

---

(١) المخدرات، ص٢٣.
(٢) المخدرات، ص٥١.
(٣) فيشنو هو الإله الحافظ عند الهندوس.
(٤) المخدرات، ص٦٦ و ٦٧.
(٥) إدمان المخدرات، ص١٢٣.

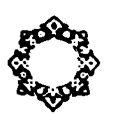
. . . إن أفعالها (أي المخدرات) مطابقة لما يسببه الجنون في أطواره البدائية[1].

ـ أقول: إن هذه الملاحظة الأخيرة التي يذكرها الدكتور صلاح يحياوي تدلنا على أن باستطاعة الجسم أن تتولد فيه مادة تفرزها غدة ما، لها نفس مفعول المخدرات، وهذه المادة هي التي تسبب الجنون.

ـ وقبل الانتقال إلى الفصل التالي، نسأل أي صوفي فتح عليه فوصل إلى الجذبة ورأى الكشوف وذاق الفناءات، أليست هذه الرؤى والمشاهدات الهلوسية التحشيشية هي صوراً مشابهة لرؤاه ومشاهداته في جذباته ومعارفه المتوهمة؟

إن كان الصوفي الذي سيُسأل هذا السؤال صادقاً مع الله تعالى ومع الناس ومع نفسه فسيقول الحق ويعترف أنها شيء واحد، وإن كان يؤمن بالله واليوم الآخر، ويرجو رحمة الله ويخاف عذابه فسيتوب ويرجع ويحاول إصلاح ما أفسد، وإلا فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، إنك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء، وليعلم أن عليه آثام من استجرهم والمستجَرِّين بمن استجرهم إلى يوم القيامة.

ويجب أن لا ننسى أن الحشاشين لو كان لهم شيخ يوجههم لكانت مشاهداتهم مطابقة كل المطابقة لمشاهدات الصوفية في فتوحهم وكشوفهم وفناءاتهم، وذلك لأن من لا شيخ له فشيخه الشيطان (لكن من هو الشيطان؟).



(١) إدمان المخدرات، ص١٥٥.

□ مناقشة الجذبة :

لنناقشها أولاً على ضوء القرآن والسنة :

يدعي الصوفية، دون خوف من الله، أن رياضتهم التي ما أنزل الله بها من سلطان، هي الطريق إلى الله سبحانه ومعراجهم إليه، لأنها توصلهم إلى الجذبة! ويعتقدون أن الله سبحانه يجذب بها العبد إليه، ولذلك سموها الجذبة، ومفهوم لفظ الجلالة «الله» عندهم يعني - كما أصبح واضحاً الآن - كل الموجودات بما في ذلك ذواتهم، ومعنى «يجذبهم إليه»، أي: يزيل عنهم الحجاب، الذي هو الوهم بأنهم غير الله، ويبعدهم عنه، ويجذبهم إلى استشعار الألوهية في أنفسهم، أي: يشعرون أنهم الله «سبحان الله»، ويشاهدون أن كل شيء هو الله، وهذا هو ما يسمونه الوصول إلى الله، والجذبة هي الولاية والصديقية . . . الخ، وهي عندهم حال يتدرج ويمر بأطوار من الرؤى والمشاهدات المختلفة والاستشعارات حتى تصبح مقاماً.

ففي بادىء الأمر، قد يصل السالك إلى الجذبة بعد رياضة، طويلة أو قصيرة، لكن الجذبة تزول بسرعة ثم لا تعود إلا برياضة مثل الأولى، أو أكثر أو أقل، فالولاية هكذا هي حال.

ومع المثابرة يصل إلى درجة يقع فيها في الجذبة بشيء من الذكر، وتطول مدتها، فتكون ولايته هنا مقاماً، ويصير وليًّا صديقاً مقرباً . . . مقيماً إذا صارت الجذبة دائمة.

فهل في هذا التصور شيء من الصحة؟

الجواب: لا! للأسباب التالية:

١ - إن كون الجذبة ولاية وصديقية وقرباً و. . هو، في أحسن الحالات، أمر غيبي لا

يعرف إلا بنص من الوحي الذي أنزل على محمد ﷺ، أي بنص من القرآن والسنة الصحيحة، ولا وجود لمثل هذا النص، إلا ما كان من تأويلاتهم الباطلة وافتراءاتهم الظالمة. ﴿ومَن أظْلَمُ مِمَّنِ افْترى على الله كَذِباً لِيُضِلَّ النَّاسِ بغيرِ عِلْمٍ﴾.

٢ ـ إن ادعاء الولاية والصديقية هو هو تزكية النفس على الله، وهو من كبائر الإثم: ﴿ألَمْ تَرَ إلى الذينَ يُزَكُّونَ أنْفُسَهُم بل الله يُزكِّي مَن يَشاءُ ولا يُظْلَمونَ فَتيلاً. انظُرْ كيفَ يَفْتَرونَ على الله الكَذِبَ وكَفَى بِهِ إثْماً مُبيناً﴾ و ﴿فلا تُزَكُّوا أنْفُسَكُم هو أعْلَمُ بمَنِ اتَّقى﴾.

وكذلك اتهام الآخرين بالولاية والصديقية هو من كبائر الإثم. لقوله سبحانه مخاطباً رسوله ﴿قل ما كنت بدعاً من الرسل وما أدري ما يفعل بي ولا بكم إن أتبع إلا ما يوحى إلي﴾ ولغضب رسوله عندما سمع صحابية جليلة تزكي صحابياً جليلاً، فقال لها: «والله ما أدري ما يفعل بي وأنا رسول الله» ثم أقرها عندما قالت: «فلن أزكي بعدها على الله أحداً»، أي إنه ﷺ يأمرنا أن لا نزكي على الله أحداً.

وهكذا كان فهم الصحابة الكرام، فهذا علي بن أبي طالب يثني على عبد الله بن مسعود فيقول: «إنه لخيرنا، ولا أزكي على الله أحداً»! إن علياً بن أبي طالب لم يزك عبد الله بن مسعود على الله!

إذن، فتزكية النفس وتزكية الغير هما من كبائر الإثم، والإصرار على ذلك هو كفر بالقرآن والسنة.

وبذلك يكون الادعاء بأن الجذبة صديقية وقرب وولاية هو كفر بنصوص القرآن والسنة.

٣ ـ رأينا في الفصول السابقة أن السالك يدخل في الشرك الأكبر منذ الخطوة الأولى في طريق الصوفية، ثم يسير في طريق كلها بدع وضلالات وطقوس طاغوتية وتشبه بالكفرة ومخالفة للقرآن والسنة وتزوير لنصوصهما وافتراء على الله سبحانه، وخداع لعباده (بل ولنفسه أيضاً) بادعائه اتباع القرآن والسنة، وكذب على الله وعلى ملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، وكذب على الحقائق، وكذب على التاريخ والجغرافيا، واحتقار للعقل والعلم اللذين كرم الله بهما بني آدم، وتقديس للجهل والعته والجنون!

ثم لم يكتفوا بهذا حتى مزجوه بالإسلام! فشوهوا الإسلام وحرفوه! وهنا الطامة الكبرى، وقد رأينا كل هذا في ما مضى من فصول الكتاب من نصوصهم وأقوال أقطابهم وعارفيهم وعلمائهم.

فهل يمكن لمسلم في قلبه إيمان بالله وكتابه ورسوله واليوم الآخر أن يعتقد أويظن أن هذه الطريق هي الطريق إلى الله؟ أو أنها تقود إلى حق أو حقيقة؟

بل هل يمكن لذي عقل سليم كائناً من كان، أن يعتقد أويظن أن طريق إبليس هذه هي طريق السير إلى الله والعروج إليه؟ سبحان الله عما يصفون.

إن طريق الشيطان لا تقود إلا إلى مسارح الشياطين ومتاهاتهم.

والجذبة مسرح شيطاني ومتاهة إبليسية، وليست صديقية!

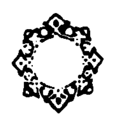
٤ ـ إن الجذبة الإشراقية تشبه الجذبة التحشيشية الأفيونية تماماً مظهراً ومخبراً وجملة وتفصيلاً، فإن كانت جذبة الصوفية ولاية وصديقية فجذبة التحشيش مثلها، ويكون الحشاشون والأفيونيون أولياء صديقين، ويكون الهيبيون هم الأبدال والأقطاب والأغواث.

*** الخلاصة:**

ليست الجذبة ولاية ولا صديقية، وإنما هي مسرح شيطاني، وكذب وباطل ما يدّعون.

وفي الجذبة تكشف لهم الكشوف ويتلقون العلوم اللدنية ويرون المناظر الغيبية والمشاهدات الإلهية، إلى آخر الهلوسات الجذبية.

فإلى مناقشتها وعرضها على الكتاب والسنة.



□ مناقشة أحلام الجذبة :

التي يسمونها: الكشف، أو العلوم اللدنية، أو المناظر الإلٰهية، أو المشاهدات

(قبل البدء، أرجو من القارىء الكريم أن يعيد قراءة مفعول المخدرات، ويكرر قراءتها).

نستطيع أن نقسمها، من حيث مصدرها، إلى قسمين:

١ ـ **هلوسات فيزيولوجية**: وهي تسربات من الأماني والمعلومات (الصحيحة أو المتوهمة) المختزنة في اللاشعور، تتسرب من مخازنها، لتنزلق مباشرة إلى مراكز التفسير الحسي في الدماغ، فما كانت منها صوراً بصرية، انطبعت في مركز التفسير البصري، فيراها المجذوب وكأنها ماثلة أمامه، سواء فتح عينيه أم أغمضهما! لأنها لم تصله عن طريق العين. وما كانت منها صوراً سمعية، انطبعت في مركز التفسير السمعي، فيسمعها أصواتاً لا يعرف مصدرها بالضبط! لأنها لم تصله عن طريق الأذن. ومثلها ما كان صوراً شمية أو ذوقية أو لمسية.

٢ ـ **هلوسات شيطانية**: يتراءى بها شيطان المجذوب أمامه، مستفيداً من خاصة الجذبة في تضخيم الأطوال، أو ينفثها في لا شعوره، وهو الميدان الذي يستطيع الشيطان أن ينفث فيه وسوساته، لتتسرب منه إلى مراكز الحس في الدماغ، مثل بقية الهلوسات الفيزيولوجية.

لا يكون هاذان القسمان منفصلين عن بعضهما، بل ممتزجين، إلا فيما ندر، وفي حالات كثيرة يمكن التمييز بينهما.

وإن تسميتهم لها المناظر الإلٰهية، أو الكشف، أو نور اليقين وعين اليقين وحق

اليقين، أوغيرها مما مر في هذا الكتاب ومما لم يمر، ما هي إلا جهل مغرور، وافتراءات على الله الكذب، وضلالات موغلة في الجرأة عليه سبحانه وجل عما يفترون. والبراهين ما سبق وما يلي:

١ ـ إن الله سبحانه كرم الإنسان ﴿ولقد كرَّمْنا بني آدَمَ﴾ عندما خلق فيه مراكز الوعي، ووهبه بها العقل وتوابعه، كالإدراك والفهم والعلم، ومنها التكاليف.

فالله سبحانه، عندما يخاطب الإنسان، فإنما يخاطب فيه العقل والوعي والشعور، وعندما أرسل الرسل بالدين والتكاليف، فإنما أرسلهم يخاطبون العقل والوعي والشعور. والآيات المبينة الدالة على ذلك كثيرة، منها:

﴿إنَّ في ذلك لآياتٍ لأولي النُّهى﴾ . ﴿إنَّ في ذٰلك لآياتٍ لقومٍ يَعْقِلونَ﴾ . ﴿كذٰلك نُفَصِّل الآياتِ لقومٍ يعقلونَ﴾ . ﴿إنَّ في ذٰلك لَعبرةً لأولي الأبصارِ﴾ . ﴿فاعْتَبِروا يا أولي الأبصارِ﴾ . ﴿وما يذَّكَّرُ إلا أولو الألبابِ﴾ . ﴿ليَتَدَبَّروا آياتِهِ وليتَذَكَّر أولو الألبابِ﴾ . ﴿إنَّ في خلقِ السماواتِ والأرضِ واختلافِ الليلِ والنهارِ لآياتٍ لأولي الألبابِ، الذينَ يذكرونَ الله قِياماً وقُعوداً وعلى جُنوبِهم ويَتَفَكَّرونَ في خلقِ السَّماواتِ والأرضِ﴾ . ﴿كذٰلك نُفَصِّلُ الآياتِ لقومٍ يتفكَّرونَ﴾ . ﴿إنَّ في ذٰلك لآياتٍ لقومٍ يتفكرون﴾ . ﴿لنجعَلَها لكم تذكِرَةً وتَعِيَها أذنٌ واعيةٌ﴾ . ﴿وتلك حدودُ الله يبيِّنُها لقومٍ يعلمونَ﴾ . ﴿كذٰلك نفصِّلُ الآيات لقومٍ يعلمونَ﴾ . ﴿فنُخْرِجَ بهِ زرعاً تأكُلُ منه أنعامُهُم وأنفُسُهم أفلا يُبْصِرون﴾ . ﴿إن في ذلك لآيات لقومٍ يسمعونَ﴾ . ﴿فتكونَ لهم قلوبٌ يعقلونَ بها أوآذانٌ يسمعونَ بها﴾ . ﴿انظُرْ كيف نصَرِّف الآياتِ لعلهم يفقهون﴾ . ﴿قد فصَّلْنا الآياتِ لقومٍ يفْقَهونَ﴾ . ﴿قد فصَّلْنا الآياتِ لقومٍ يذَّكَّرونَ﴾ . ﴿إن في ذلك لآية لقومٍ يذّكرونَ﴾ . . .

والآيات كثيرة، كلها تبين أن الوعي في الإنسان هو الذي أعده الله تعالى لتلقي كلماته، وهو الذي أعده لفهم الحقائق وإدراكها، وخاطبه بالوحي، ليكون الوحي المرتكز الأساسي الذي ينطلق منه العقل الواعي في جميع ميادينه.

وعندما يكون الخطاب الإلهي موجهاً إلى الوعي والشعور، فهذا يعني أن الطريق إلى رضوان الله لا يمكن أن تكون إلا عن طريق الوعي والشعور التامين.

أمـا الشيطـان، فالـلاشعـور في الإنسان هو ميدانه الذي يصول فيه ويجول، والآيات الدالة على ذلك كثيرة، منها:

﴿قُل أعوذُ بربِّ الناسِ . . . من شرِّ الوسواسِ الخنَّاسِ . الذي يوسْوِسُ في صدورِ الناسِ . مِن الجِنةِ والناسِ﴾ . ﴿فوَسْوَسَ لهما الشيطانُ لِيُبْدِيَ لهما ما وورِيَ عنهما من سَوْءاتِهِـما﴾ . ﴿إنَّ الـذين ارتـدُّوا على أدبـارِهِم مِن بعدِ ما تبيَّنَ لهمُ الهُدى الشيطانُ سَوَّلَ لهُم﴾ . ﴿إنَّ الشيـاطـينَ لَيوحون إلى أوليائِهِم لِيُجادِلوكُم﴾ . ﴿وقُلْ ربِّ أعوذُ بك مِن هَمَزاتِ الشَّياطينِ﴾ . . .

وعلى ذلـك لا تكـون الجـذبة فتحاً إلهياً، بل استحواذاً شيطانياً، ولا تكون هلوساتها نور اليقـين ولا عين اليقـين ولا حق اليقـين، وإنـما وحي إبليس وجنـوده، ولا تكـون مناظرها إلا مسارح الشياطين وهلوسات الحشاشين.

٢ ـ مر في بحث سابق الآيـات التي تبـين أن طريق الضـلال لا تقـود إلا إلى ضلال، وأن سبيل الشيطان لا تؤدي إلا إلى غرور ﴿وما يَعِدُهم الشيطانُ إلا غُروراً﴾.

ورأينـا ما هي الطـريق إلى رؤ يـة هذه المنـاظر وتلك الكشوف، إذن فهي كلها باطلة، وهي كلها شيطانية.

٣ ـ إذا كانت هلوسـات جذبـة الإشـراق كشـوفاً إلهية، فهلوسات جذبة المخدرات مثلها تماماً، لأن الجذبتين شيء واحد، وكل ما بينهما من فرق أن المخدر في جذبة التحشيش يأتي من خارج الجسم بينما يأتي المخدر في جذبة الإشراق من داخل الجسم، والنتيجة واحدة في الحالتين!

وإذا كانوا يصرون على أن هلوساتهم هي فتوحات إلٰهية وعلوم لدنية! فلِمَ لا يختصرون الطـريق ويـوفـرون الـوقت والجهـد؟ إذ بدراهم معـدودة يستطيعـون شراء شيء من الحشيش أو الأفيون أو عقار التهليس أو الايتير أو غيرها، وبثواني معدودة تشرق عليهم الأنوار، وتنكشف أمامهم الأسرار، ويعرجون في السماوات العلى ويتمتعون بالمحاضرة والمكاشفة والمشاهدة، ويذوقون معاني الأسماء كلها، ويتنقلون في الفناءات. . إلى آخر الهلوسات!!.

مادام كلا الطريقين إلى جهنم، فلم لا يتبعون الأقل مشقة؟؟!

٤ ـ بالرغم من أن كل الصفحات السابقة هي براهين ساطعة واضحة على أن رؤاهم هي هلوسات شيطانية، وأن فيها الكفاية وأكثر من الكفاية. ومع ذلك فهناك الكثير من الأدلة غيرها من كشوفهم وعلومهم اللدنية ومشاهداتهم . . . فإلى كشوفهم وعلومهم اللدنية ومشاهداتهم:

ولنبدأ بجبل قاف. ولنستعد قبل ذلك بعض خواص الجذبة:

ـ تضخم الأطوال (الجفون تطول إلى ما لا نهاية، والأطراف تطول والمسافات حتى يرى الأمتار طول ما بين المشرق إلى المغرب).

ـ رؤية أشكال وسمع أصوات ليس لها وجود. . وأحياناً رؤيتها بمجرد تمنيها أو مرورها بالفكر. .

ـ رؤية الحبل أفعى والكلب أسداً . . . وما شابهها.

ولا بأس من الرجوع إلى أول هذا الفصل لمراجعة المخدرات ومفعولها.

*** جبل قاف:ـ**

كان كثير من الأقطاب العارفين الأبدال يرونه (أثناء الجذبة طبعاً)، ويصعدون عليه، ويذهبون إلى ما وراءه، ويرونه محيطاً بالأرض، يبلغ ارتفاعه ثلاثمائة سنة (أي ما يزيد عن بعد القمر بأكثر من تسع مرات) ويرى بعضهم الحية المحيطة به (وبالتالي بالأرض) وذيلها عند رأسها . . .

كانوا يرون هذه الأمور بالكشف! بينما الآن، صار من البدهيات عند الجميع، حتى الصوفية، أن الأرض كروية، وقد دُرس سطحها كله إلى أعماق محترمة دراسة دقيقة؛ فقد دُرس سطح اليابسة بدقة بالغة، جبالاً ووديانا وسهولاً وصحاري وبحيرات وأنهاراً، ودرست تربتها إلى أعماق تقاس بالكيلومترات بدقة أيضاً. ودرست طبقات الأرض دراسة إجمالية، لكنها صحيحة، إلى أعماق تقاس بألوف الكيلومترات، كما درست البحار كلها سطحاً وأمواجاً ومداً جزراً، وعرفت أعماقها بدقة، ووضع لقيعانها الخرائط الصحيحة، ووضعت الأسماء لما فيها من جبال ووديان ومنبسطات، أي إن سطح الأرض كله درس دراسة دقيقة إن لم يكن بالمتر المربع فبالكيلومتر المربع.

ويعرف الجميع أن جبل قاف محض خرافة لا وجود له، وأن الأبعاد التي قدروها له وللأرض، لا تدل إلا على جهل كامل بجغرافية الأرض، وجهل مخز بحساب المسافات، فكشوفهم لم تفدهم شيئاً، بل هي التي دفعتهم إلى وهدة الجهل الذي يتخبطون فيه.

ومادام جبل قاف لا وجود له! فماذا كانوا يرون إذن؟

الواقع، إنهم كانوا يرون بالكشف جبل قاف، والذين كانوا يرونه هم من الأقطاب الأبدال الأولياء العارفين! ورؤ يتهم له بالكشف هي برهان ساطع قاطع جديد على صحة كل ما ورد في الفصول السابقة من أن الجذبة ليست إلهية وإنما تحشيشية، وأن كشوفهم ما هي إلا هلوسات الحشاشين وتمثيليات الشياطين!.

رأينا أن الخلوة عنصر أساسي في المجاهدة، وقد كانوا كلهم - أو أكثرهم - يعتزلون الناس في البراري أحياناً وفي الخرائب أحياناً، خوفاً من سيف الحلاج.

والخرائب، كما هو معروف، هي بيوت خربة هدمت جدرانها، لكن بعضها، كما هو معروف أيضاً، يبقى حولها شيء من جدرانها المهدومة، بارتفاعات مختلفة (قامة أو نصف قامة أو أكثر أو أقل).

من البدهي، أن المرتاض الذي كان يرتاد الخرابات، كان ينتقي إحدى تلك الغرف الخربة المحاطة ببقايا جدرانها، لأن هذه البقايا تعزله عن رؤ ية الناس.

ومن البدهي أنه كان يسوي أرضها، أو جزءاً من أرضها، إلى حد يستطيع معه الإقامة عليه أثناء خلوته فيها.

ومن البدهي أيضاً أن كثيراً منهم - إن لم يكن كلهم - وصلوا إلى الجذبة أثناء إقامتهم في تلك الخرائب، وأن بعض تلك الجذبات كان من النوع المضخم للأبعاد، فماذا كان يرى المجذوب في مثل تلك الحالة؟

- كان يرى البقعة التي يقيم عليها أرضاً شاسعة واسعة، يقدر بوهم جذبته، أو بإيهام شيطانه له، أن طولها من الشرق إلى الغرب مئات السنين، ومن الشمال إلى الجنوب كذلك.

ويـرى بقـايـا الجدران التي تحيط بها، جبلاً شاهقاً ذاهباً في السماء، يحيط بالأرض من جميع جهاتها.

وطبعـاً كانـوا يقصّـون مشاهداتهم على بعضهم، وكانت قصة الجبل الشاهق المحيط بالأرض تتردد كثيراً في مشاهداتهم وقصصهم، لكثرة خلواتهم في الخرائب.

وربـما كان يخطـر لأحـدهم، على بال جذبتـه، أن يصعد فوق جبل قاف، فينهض، ويقـترب من الجـدار المتهـدم، ويعتـلي فوقـه، فيرى نفسـه قد قطـع الدنيا بخطوة أو خطـوتـين أوثلاث، ويـرى نفسـه قد صعـد فوق جبـل قاف، بخطـوة أوخطوتين أو ثلاث، حسب المكان الذي صعد عليه.

وقـد يهبـط خلف الجدار المتهدم فيرى نفسه وراء جبل قاف، وقد يتراءى له شيطانه، وقـد يكـون معـه رفقـة شيـاطـين آخرون، فيتسلون بالتلاعب بعقله والضحك على ذقنـه، ويفهمـونـه أنهم أوليـاء مثله يقيمون وراء جبل قاف، أويزورونه من حين إلى آخر، كما قد يكون هؤلاء الأولياء مرتاضين مثله يختلون في الخرائب المجاورة لخرابته، وقد يكونون مجرد صور هلوسية.

وقد يحدث لجذبة الفقير (على وزن حضرة الفقير) أن يرى خلف جبل قاف حية، أو حبـلاً يتـوهمه حيـة، فيراها طويلة طول ما بين المشرق والمغرب، وقد تكون هذه الحية وسوسة من شيطانه ينفثها في روع جذبته فيراها مجسمة أمامه.

وبما أنهم كانوا، لجهلهم، والجاهل عدو نفسه، وعدو دينه، يؤمنون أن كشوفهم هي نور اليقـين وعـين اليقـين، وحق اليقين، لذلك آمنوا أن الأرض محاطة من جميع جهاتها بجبـل شاهق جداً! وعـرف بعضهم بالكشف أن اسمـه قاف، وانتشرت الأسطورة، وأخـذت حيـزاً هاماً من الثقافة العامة في المجتمعات الإسلامية حتى زمن قريب! بل لايزال كثير من الأبدال العارفين وعابديهم (المريدون) والمخدوعين بهم يؤمنون حتى الآن بجبل قاف.

وقد كانت الخرابات ضرورية لرؤية جبل قاف قبل أن يعرف، أما بعد ما شاع اسمه واشتهر واحتل مكانه من الثقافة العامة، فقد صار بإمكان الفقير أن يراه في أي مكان تأتيـه فيـه الجـذبـة، كما يرى بقية التخيلات والصور المختزنة في اللاشعور، (وسنرى

توضيح هذا بعد صفحات).

إن رؤ ية جبل قاف وغيره من الخرافات، بالكشف، هي برهان واضح جداً وساطع جداً على أن كشوفهم هلوسات تحشيشية شيطانية، وليست فتوحات إلٰهية كما يفتر ون.

٥ ـ بقية كشوفهم الجاهلة: رأينا، فيما سبق من فصول؛ نماذج كثيرة من كشوفهم التي سموها علوماً لدنية، وما فيها من جهل، ولا بأس من إضافة الملاحظات التالية:

أ ـ من كشوف الأقطاب الأغواث العارفين أن الأرض محمولة على حوت اسمه «نون»، والحوت على الماء المحيط .. إلى آخر الهذيان، ولم يستطع واحد من أولئك العارفين الذين عرفوا الأمور بنور اليقين ـ كما يقول حجتهم ـ أن يعرف أن ذلك هراء، وأن الأرض كروية مدحوة في الفضاء[1] وأنها تدور حول الشمس، وأن ماءها خرج منها ﴿أَخْرَجَ منها ماءَها ومَرْعاها﴾، وهذا يعني أن الماء محمول عليها، وليست هي محمولة عليه، وهذا دليل على أن كشوفهم ليست إلٰهية، بل هي هذيانات هلوسية، لأنها لم تستطع معرفة الحقيقة ولا فهم الآية الكريمة.

ب ـ رأى قطب منهم الشمس في عجلة يجرها ملكان لهما مخالب ... وهذا يذكرنا بالحيوان الأسطوري الذي يجر عجلة ملكية والذي رآه حشاش فطر المكسيك، ولم يستطع الكشف الجاهل ولا كل كشوفهم أن تعرفهم أن الشمس كتلة ملتهبة مضطربة تكاد تميز من الغيظ أكبر من الأرض بمليون وثلاثمائة ألف مرة، وأنها ليست محمولة على عجلة بل مدحوة في الفضاء.

إذن فكشفهم ليس إلٰهياً وإنما هو هلوسة هذيانية.

ج ـ لم يعرف أي قطب منهم أوغوث من الذين يتصرفون في الكون أن القمر مثل الأرض فيه صخور وأتربة، وأنه كروي خال من الهواء والماء! ولم يعرف عارف منهم أن المريخ والزهرة والكاتب[2] وغيرها كلها مثل الأرض تتألف من صخور وأتربة وفيها أجواء غازية وفي بعضها ماء ... لأن كشفهم ليس إلٰهياً بل هلوسات تحشيشية.

---

(١) مدحوة، أي مقذوفة ومدحرجة.

(٢) الكاتب هو عطارد.

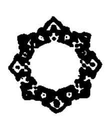
د ـ لم يستطع أي غوث منهم من الذين يتصرفون في الكون أو من الذين تحققوا بأسماء الله الحسنى، ومنهـا الاسم «العليم» ومنهـا «عـلام الغيـوب»، أن يعلمـوا شيئاً عن الـذرات والجـواهـر والنـوى وكهاربها وحركاتها . . . لأن كشفهم ليس إلهياً بل هلوسة أفيونية يرون فيها ما كانوا يتوهمونه عن الكون من خرافات وأساطير.

٦ ـ لم يستطع كشفهم الجـاهل أن يميز الحديث الموضوع من الصحيح، حتى كانوا وراء تزوير الأحاديث ووضع أكثر الموضوع منها والمكذوب، فكانوا من الأدوات التي هدمت الإسلام في نفوس المسلمين، إذن فكشفهم ليس إلهيًا وعلومهم اللدنية هي جهالات لدنية.

ولا نريـد أن نزيـد، فما على القـارىء الكـريم إلا الـرجـوع إلى فصـل «نـماذج من حكـايـات الصـوفيـة وكـراماتهم . . . »، أو إلى كتبهم، ليرى ما يكشف عن الجهل والغباء والخرافة والاستحواذ الشيطاني، فحكاياتهم وكراماتهم أبلغ من أي حديث آخر.

ـ ونـذكـر أن العـروج في السـماء، والفنـاء في الله (تعالى الله) وتوابعها، لا يستطيع شيـاطـين الجن تمثيلها أمام السالك، أو العارف، أثناء اليقظة، لأن أجسامهم أصغر من أن تستطيع التمثل بتلك الأشياء الضخمة جداً.

لذلـك كانـوا بحـاجة إلى الجذبة وخواصها، وأحياناً إلى الخاصة المضخمة لصغائر الأشياء تضخيماً كبيراً! ليستطيعوا أن يوهموا الفقير بتلك الأمور ثم يوهموه أنه صار «عارفاً بالله» بينـما هو في الحقيقـة، صار من أجهـل خلق الله وأضلهم، وصـارت نفسـه مركبـاً ومسرحاً وملهاة للشياطين يعبثون فيها كما يريدون!



□ فيزيولوجية الجذبة:

ما هي الجذبة؟ وكيف تحدث؟

ـ من المعروف أن العمل العضلي المجهد يسبب إفراز مادة «حامض اللبن» في الدم الـذي يوصله إلى أنحـاء الجسم، وبمـلامسته للأنسجة العصبية يؤثر فيها تأثيراً تترجمه الجملة العصبية إلى شعور بالتعب.

وشبيه بهذا ما يحدث نتيجة المجاهدة الصوفية.

لنسأل أي عالم صادق من علماء التشريح والفيزيولوجيا؟ وسيخبرنا أن العزلة والسهر والجـوع والـذكـر الإرهـاقي وتـوابعهـا واستمـرارها مدة طويلة تحدث في الجسم الإنساني تحريضـاً يجعله يفـرز مادة تؤثـر على الجملة العصبيـة تأثيرات هدفها الأول التلطيف من شدة الألم الناتج عن تلك الممارسات.

فما هي هذه المادة؟ وما هو تأثيرها؟

يمكن معـرفـة هذه المـادة بالتحـاليـل المخـبرية الدقيقة، (وقد تفيد معها الفحوص الشعـاعيـة والسـريرية على أن تجري على عدة سالكين في أكثر من حالة صحو وأكثر من حالة جذبة لكل واحد منهم. وقد يكون من المفيد بدء الفحوص مع بدء سيرهم في التصوف).

ومع ذلك نستطيع، بصورة أولية، معرفة الوظيفة الكيميائية لهذه المادة من تأثيرها؟ إذ إن تأثيرها يشبه تماماً تأثير المواد المخدرة، إذن فهي من نوعها، وهي بالتالي من أشباه القلويات.

لكن يظهـر من تجارب القـوم وتـوصيات الشيوخ أن هذه المادة المفرزة، لا تؤثر على

الأعصاب التأثير المطلوب إلا عندما تكون الجملة العصبية في حالة «الاستخدار»، ورأينا أن الوصول إلى هذه الحالة يكون بخلع النعلين، الدنيا والآخرة، أي بإفراغ مراكز الوعي في الجملة العصبية من جميع مشاغلها الدنيوية والأخروية! إفراغاً كاملاً، حتى تصاب هذه المراكز، (بسبب تعطيلها عن العمل)، بالكسل والضمور والاسترخاء، أي «الاستخدار»، حيث تغدو قابلة للتأثر بكمية من المخدر أقل من الكمية التي يمكن أن تتأثر بها في الحالة العادية.

وهكذا يلتقي الهبوط الكافي في نشاط القشرة الدماغية ومقاومتها مع الزيادة الكافية في دفقة المخدر، فتكون الجذبة المورفينية التي يسمونها بغرورهم: الفتوح، أو كشف الحجب، أو الإشراق، أو الولاية، وغيرها . . . وما هي في حقيقتها إلا «أَفْيَنَةٌ ذاتية»[1] تشبه الأفينة التي يسببها الأفيون والمورفين والحشيش وعقار الهلوسة وفطر المكسيك وغيرها شبهاً كاملاً، مظهراً ومخبراً ومشاهدات وهلوسة وحالة نفسية.

ولو أُخضِع الذين يتعاطون هذه المهلّسات إلى إيحاءات الشيخ والجو الصوفي مدة كافية من الزمن، لصارت هلوساتهم مثل هلوسات الصوفية تماماً: عروجاً إلى السماء، واجتماعاً بالملائكة والأنبياء، ووصولاً إلى العرش، وحضوراً مع الله (جل وعلا)، وفناءً فيه حلولاً أو اتحاداً أو وحدةً، حسب الإيحاءات التي يُحقنون بها.

وفي هلوسات الصوفية التي يسمونها الكشف والفتح والعلم اللدني، والتي يرونها أثناء الجذبة، براهين تُضاف إلى ما سبق، على أن جذبة الإشراق هي نفس جذبة التحشيش والأفينة، لأن مشاهداتهم في هذه نفس مشاهداتهم في تلك، والفرق بينهما ناتج عن الفرق بين الأمانيّ والمعلومات المختزنة، ولأن الحالة النفسية في كلتيهما واحدة.

وتبرز ملاحظة مفيدة؟ فقد رأينا في فصل سابق أن هزّ الرأس على الطريقة النقشبندية قد يوصل إلى الجذبة بعد إحدى وعشرين هزة، أو بعد تكرارها، مما يدل على أن المادة المهلّسة المفرزة إنما تفرزها بعض أنسجة الدماغ أو بعض الغدد القابعة في ثناياه.

فهل الأمر كذلك؟

---

(١) أطلق عليها أحد الأدباء الشباب اسم «التحشيش الروحاني».

نعم إنـه لكـذلـك! ففي الدماغ منطقة تُفرز مادةً شبه قلوية لها مفعول المرفين، هذه المنطقـة «تحت المهـاديـة» واقعـة في الجـزء الأسفـل من المخ، تفرز مادة «الأنْدُورفين» أي المورفين الداخلي) وهي أقوى من المورفين المعروف، وظيفة هذه المادة هي تخفيف الآلام الشديدة التي يمكن أن تكون قاتلة، تلطِّفهـا وتجعلها ـ بآلية معقدة ـ في الحدود غير المميتة.

كما أن هناك مادة ثانية يفرزها الدماغ اسمها «أنكيفالين»[1] لها نفس التأثير المخفف للآلام ونفس المفعول المورفيني، لكنها أضعف من المورفين.

نقرأ في المعجم الفرنسي (Larousse) تعريفاً لهاتين المادتين، ترجمته:

ـ أنـدورفـين[2] (Endorphine): هرمـون تفـرزه الغدة تحت المهادية (Hypothalamus) له حصائص المورفين المسكّنة.

ـ أنكيفالين[2] (Enképhaline): مادة يفرزها الدماغ تؤثر في نقل السيالة العصبية ولها مفاعيل المورفين المسكّنة.

ونقرأ للدكتور أكرم المهايني[3] في كتابه (علم الأدوية «الفارماكولوجيا») قوله:

ـ مماثـلات المـورفـين: أقرّ العلماء مؤخراً، إثر الدراسات الحديثة لفسيولوجية المراكز العصبية، وجود ببتيدات . . . تبدي قدرةً تحاكي فعل المورفين في عدد من النسج الحية، ولا سيما في الجملة العصبيـة والنخامى والأنبوب الهضمي، وقد تم حتى الآن، الكشف عن مجموعتين من هذه الببتيدات الداخلية المنشأ التي عرفت باسم «مماثلات المورفين» أو «الببتيدات نظيرة الأفيون» وهما:

١ ـ مجموعة الأنكه فالين . . . (اكْتُشِفت سنة ١٩٧٧).

٢ ـ مجموعة الأندورفين[4] . . . (اكْتُشِفت سنة ١٩٧٦).

---

(١) ليس لدي من المراجع ما يعينني على معرفة المنطقة التي تفرزها.

(٢) يوجد عدة أنواع لكل من الأنكيفالين والإندورفين.

(٣) أستاذ في كلية الطب بجامعة دمشق حتى كتابة هذه الكلمات.

(٤) علم الأدوية الخاص، ص٣٠٤ و٣٠٥.

(ليس من موضـوع كتـابنـا أن ننقـل تجارب الفارماكولوجيين ومناقشاتهم في موضوع هذه الببتيدات، وإنما نورد منها ما يمس موضوع بحثنا).

- إن دفقة كافية من الأندورفين، أو من الأنكيفالين، أو منهما مجتمعين توقع السالك في الجـذبـة المـماثلة للجـذبة التي يسببها المورفين، حيث ينال السعادة الأبدية التي تستمر دقـائق أو سويعـات، يرتقي أثنـاءهـا في المعارج، وينتقل في الفناءات، ويتحقق بالأسماء والصفات ويذوق من معاني اسمه الصمد...

فلكـما التقـديس يا إنـدورفين ويا أنكفالين، يا هرموني الولاية وإكسيري المعرفة، يا سُرارتي التوحيد وقرارتي التفريد.

يا إنـدورفـين ويا أنكفالين، يا من بكما تعلقت همم الرجال، وإليكما تطاولت أعناق المحبين العاشقين الأبطال، ومن أجلكما اقتحموا الأهوال.

يا إنـدورفـين ويـا أنكفـالـين، إليكـما حقيقـةً توجهت صلوات الصـوفيـة في الجهـر والإسـرار، وبكـما حقيقـة تعلقت قلوبهم والأسـرار، وفي سبيلكـما حقيقة واصلوا اجتهاد الليل بالنهار.

يا إندورفين ويا أنكيفالين، يا منتهى أمل السائرين، وغاية غايات السالكين، إليكما صبت قلوبهم، ولكـما عَنَت وجـوههم، وبتجليـاتكـما التي لا توصف بلسان، ولا تفصل ببيان، باعوا الدنيا والآخرة، ورضوا بجهنم مستقرًّا ومقاما.

يا نور يقينهم، وعين يقينهم، وحق يقينهم.

يا هرموني الفناءات، وإكسيري التجليات، يا مانحي التحقق بالأسماء والصفات.

يا إندورفين ويا أنكيفالين، يا كاشفي الحجب، يا مقدسي الأسرار، يا رافعي الغين عن العين.

يا سر الجذبات التي أوهمتهم شياطينهم من الإنس والجن أنها ولاية وقرب وتحقق بالألوهية.

□ كيف يسبب الإندورفين والأنكفالين الجذبة :

الألم الشـديـد حافـز يدفـع الغدد الدماغية المختصة لإفراز هاتين المادتين أو إحداهما بشكل دفقات كافية لتخدير المراكز العصبية، بما في ذلك القشرة الدماغية، تخديراً خفيفاً كافياً لإبقاء الألم في حدود غير قاتلة.

كما يظهـر من تجارب القـوم (الصوفية) أن الاهتزازات العصبية العادية (غير الحادَّة) إذا استمـرَّت مدة كافيـة (تختلف من شخص لآخـر) تدفـع هذه الغدد لإفراز دفقات من هاتين المادتين أو من إحداهما، وقدرأينا أن هز الرأس بعنف على الطريقة النقشبندية قد يثير الدفقات.

والـريـاضـة الإشـراقية عند الأمم الأخرى (الخلوة، والجوع، والسهر، والصمت، وتـركيـز الفكـر في كلمـة، وتـركيـز النظـر على نقطة، وأخذ بعض الأوضاع غير المريحة، والاستمرار على ذلك مدة طويلة)، يقود إلى نتيجتين:

١ ـ إفراغ مراكز الوعي من أي شيء يشغلها على الإطلاق، فتتعطل القشرة الدماغية من وظائفها الطبيعية التي طبعها الله سبحانه عليها، ومع المثابرة والاستمرار تصاب بشيء من الكسـل والارتخـاء، ومـع المثـابرة والاستمرار أيضاً، يزداد الكسل والارتخاء حتى تصـل إلى درجـة كافيـة للتأثـر تأثـراً كافيـاً بكميـة المهلِّس (إندروفين أو إنكيفالين أو كليهما)، الضئيلة التي تفرزها الغدد المختصة، كما أن تكرار الرقص العنيف، يساعد في زيادة كسل القشرة الدماغية واسترخائها، أو انكماشها.

إن عملية عدم التفكير المطلق وإفراغ الذهن من كل ما يشغله عمليةٌ صعبة للغاية، بل تكـون متعـذرة للكثـير من الأشخاص، فأعانهم إبليس بأن دلَّهم على فائدة تركيز الفكـر في كلمـة ما كائنـة ما كانت هذه الكلمـة، فالهنـدوسي، مثلاً، يستعمل كلمة

«أوم» أو «راهـام»، والطـاوي يستعمـل كلمـة «طـاو» . . . وإذا أراد أحـد متصـوفـة المسلمين ممارسة رياضة الصمت (وهذا نادر جدًّا) ركز تفكيره في شيخه.

ويستطيـع القـارىء أن يجرب ذلك بنفسه، فيركز تفكيره في كلمة ما، ولتكن «زيز»، يرددها في ذهنه دون أن يحرك لسانه أو شفتيه أو أي جزء من فمه، مع الانتباه إلى هذا الترديد، وسيشعر أن ذهنه كان فارغاً من أية فكرة أثناء ترديدها.

٢ ـ النتيجة الثانية، هي الإرهاق المؤلم المستمر الذي يدفع الغدد الدماغية المختصة إلى إفـراز مخزونهـا من المهلّس، واستمرار الألم وتزايده يدفع هذه الغدد إلى العمل المتزايد وإلى تزايـد الإفـراز، حتى تغدو الكمية المفرَزَة كافية للتأثير على المراكز العصبية التي وصلت إلى درجـة كافيـة من الارتخـاء؛ فتكـون الجـذبـة التي يسمونها فيما يسمونها: «كشف الحجب، أو الفتح، أو الولاية، إلى آخر الأسماء الظالمة»، مع العلم أن ازدياد الإفراز عن الحدود المحتملة يقتل صاحبه.

أما متصوفة المسلمين:

فقـد حذفـوا من ريـاضتهم الصمت وتـركيـز الفكـر والنظـر وأخذ الأوضاع المؤلمة، واستبـدلـوهـا بما سمَّـوه «الـذكـر». إن ترديد كلمة ما، يقود بعد مدة قد تطول وقد تقصر (حسب الأشخاص) إلى نفس النتيجتين السابقتين:

١ ـ إفـراغ الـذهن من خواطـره، والاستمـرار على هذا الإفراغ بالذكر الإرهاقي المستمر ليالي وأياماً يدفع القشرة الدماغية إلى الاستخدار.

وكـذلـك الخضـوع الكـامل للشيخ هو عامل مساعد وقوي للوصول إلى الاستخدار لأنه يحول دون تشغيل الفكر، بل يشلّه.

٢ ـ من المعروف أن الإنسان إذا مارس حركة ما مدةً طويلة، تغدو لديه عادةً يقوم بها دون إرادة أو شعور.

وكذلك ترديد كلمة ما، ليلاً ونهاراً، يغدو بعد مدةٍ عادةً، يرددها المرتاض دون إرادة أو شعـور، ويـزيـدهـا الترديد الإرادي تمكناً، حتى إنه يكون نائماً، فيستيقظ، أو يوقظه أحد، فيلهج بها لسانه مباشرة دون وعي منه؛ بل قد يصل إلى ترديدها أثناء نومه.

ومثله الأعصاب التي تربط اللسان بالدماغ ، والتي تسري فيها التموجات العصبية النطقية المتناغمة مع الكلمة المردّدة ومقاطعها وحروفها ، تعتاد على ترديد تلك النبضات مع اللسان دون وعي .

ومثلها المراكز المختصة في الدماغ .

وبطبيعة الحال ، تنتقل هذه النبضات إلى الأنسجة المحيطة بأعصاب اللسان وبمراكزها في الدماغ حيث تصبح لها عادة مثل اللسان وأعصابه . ومع الزمن يشعر المرتاض أن أعصابه كلها تردد تلك النبضات ، وكلما زاد من ترديده الإرادي للكلمة كلما تمكنت تلك العادة من دماغه وأعصابه .

فلم يزل مستعملاً للذكر	فيصمت اللسان وهو يجري
وقَدْرَ ما تجوهر اللسان	بالاسم يستثبته الجَنان
ثم جرى معناه في الفؤاد	جَرْيَ الغِذا في جملة الأجساد

هذه الاهتزازات (الميكرونية طبعاً) المستمرة ، تنتشر في الدماغ حتى تصل إلى الغدد المختصة التي تأخذ بالاهتزاز مثل بقية الدماغ ؛ واستمرار هذه النبضات يفضي إلى إفراغ المخزون أو المهيّأ من هرمونها .

واستمرار الاهتزاز ، باستمرار الذكر ، يؤدي بعد مدة إلى إصابة هذه الغدد بالخلل ، فيزداد إفرازها ويسهل قذفها ، وقد تصاب بالتضخم ، كما يؤدّي هذا إلى خلل في التفكير السليم .

وهكذا . . . حتى تغدو كمية الدفقة كافية لأفْيَنَةِ المراكز العصبية المستخدرة ، فتكون الجذبة ، ويغدو السالك ولياً لله بكمية من الإندورفين والأنكيفالين قد تقاس بأجزاء من الغرام ! .

فلكما التمحيد والنعمى يا إندورفين ويا أنكيفالين ، ولكما توجههم الأسمى يا إندورفين ويا أنخيمالين ، لوجهكما الرقص مع النقص وبدون نقص ، يا مقدسي الأسرار ويا باعثي الأنوار.

ما كان لهاثهم إلا وراء سرابكما ، ولا هيامهم إلا بما يمنيهم إبليس فيكما من الخلد وملكٍ لا يبلى ، يعدهم ويمنيهم وما يعدهم الشيطان إلا غروراً .

يا إندورفين ويا أنكيفالين، يا قدس أسرارهم، ويا جاذبيهم إلى الأوهام الشيطانية التي ضلّوا بها وأضلّوا.

وعندما تصير زيادة الإفراز وسهولة قذفه مقاماً بعد أن كانت حالاً، عندئذ يكون السالك قد وصل إلى الدرجات العلى، ونال القرب والسعادة العظمى، وصار بدلاً أو قطباً أو غوثاً، حسبما توهمه شياطينه من الإنس والجن.

فيا عبّاد الإندورفين، احمدوه واشكروه على ما أولاكم من نِعَمه، ولا تنسوا الأنكيفالين.

إلى جانب هاذين الهرمونين، يجب أن نذكر عاملاً مساعداً هو الأكسجين. ففي الحضرة الراقصة، وبعد دقائق قليلة من القفز، يأخذ الراقص باللهاث والتنفس العميق، وهذا ما يسمّى «التهوية» حيث يدخل إلى رئتيه كمية من الهواء، وبالتالي من الأكسجين، أكبر من الكمية العادية.

عندما تستمر عملية التهوية مدة كافية، ترتفع نسبة الأكسجين في الدم، وللأكسجين تأثير أفيونيٌّ ضعيف، وارتفاع نسبته في الدم يصيب المراكز العصبية بأَفْيَنَةٍ خفيفة، يختلف الإحساس بها من شخص إلى آخر.

لذلك نرى بعض الراقصين في الحضرة يأخذه الحال، فيزعق ويثور، إن كان الوارد قبضيّاً، أو يشعر بشيء من السرور والخدر اللذيذ، إن كان الوارد بَسْطيّاً، وقد يقع على الأرض، وقد يرى صوراً ينقصها الوضوح أو بعضُه، وهذا يثير فيه الشهية الجارفة للوصول إلى الجذبة ويدفعه إلى المثابرة على الرياضة، مع العلم أن بعض الذين يأخذهم الحال كاذبون لا يحسّون بشيء، وإنما يتظاهرون بذلك طمعاً في أن يحقّق الحال المقال.

كما أن للتهوية دوراً آخر، إذ إن ارتفاع نسبة الأكسجين في الدم يؤثر على المراكز العصبية في جميع الحالات، ويجعل فعاليتها تهبط، ولو لم يشعر الراقص بذلك، وكلما زاد عدد الحضرات كلما زاد الهبوط، وهذا يساعد السالك كثيراً على الوصول إلى مقام الاستخدار، لذلك جعلوا الحضرة من المنشطات وأصرّوا عليها.

□ ترنيمة إلى الإندورفين (مع حفظ المقام للأنكيفالين):

كنت مزّقتُ شعري، لكن البادىء أو الباده أو الطالع أو اللائح أو البارق أو اللامح، (وكلها مترادفة تعني بدايات الحال). أو الهاجم أو الوارد أو الحال (وهذه أيضاً مترادفة)، أو المقام، أيها لا أدري، أجرى في الخاطر هذه المقيصيرة فسجلتها.

أأندرفين والمسعىٰ إلى إشراقك الأسنى
له التسبيحُ في الإعلا نِ والتمجيدُ في النجوى
له أبدالهم تعنو وفيه قُطبهم يفنى

* * *

أأندرفين هرمونَ الولاية مانحَ الحسنى
إليك عروجُ سالكهم ومنك سحائبُ النعمى
طَبَتْ سُبُحاتُ سرِّكَ سِرَّ قلب العارف المُظما
وقرّحَ جفنَه وَلَهٌ بخمرة ذلك المجْلى
يهيم بسُكْرِ جذبتها يعبُّ يعبُّ لا يروى
بها قد باع دنياه وعاف لأجلها الأخرى
رضي بجهنمٍ سكَناً مُقابل ساعةٍ تُجْلى

* * *

أأندرفين كنتَ لهم معين الخدعة الكبرى
سرابُك عندهم خلْدٌ ومُلْكٌ جلّ لا يبلى
وفيضك قدْسُ سِرّهمُ يُقدّسُ قدْرَ ما تطغى

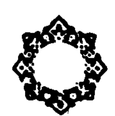
فأنــت محطّ قِبـلتـهــمْ وأنــت الـغــايــة الـقـصــوى
إلــيــك صلاتُهــمْ حقّــاً وذكــرهُــمُ ومــا يُتْــلى
أضــاعــوا فيــك رُشْــدَهُــمُ فضـلّوا، الـسـعْي والمسـعى

- الترنيمة للأندرفين لأنني أظن أن له الدور الأساسي في الجذبة.

وقبل الانتقال إلى الفصل التالي، من المفيد ملاحظة ما يلي:

المنطقـة تحت المهـاديـة (Hypothalamus) هي منطقـة من الدماغ الأوسط في قاعدة المخ حيث توجـد عدة مراكـز منظمة لوظائف فيزيولوجية هامة: «الجوع، والعطش، والنشاط الجنسي، والنوم، والاستيقاظ، وتنظيم الحرارة في الجسم».

وبـدهي أن هذه المـراكـز هي أول ما يتأثـر بالإندورفين، وبدهي أن هذا التأثر يغيّر كثـيراً أو قليـلاً من فعـاليـات هذه المراكز، وهذا يفسّر ما يحدث لبعض الواصلين من بقاء مدة طويلة دون طعام أو شراب أو نوم، ومقدرة بعضهم على تحمّل البرد الشديد أو الحر الشديد، وغير ذلك. مما يظنّونه كرامات دالّة على ولايتهم.



□ فيزيولوجية الرؤى أثناء الجذبة:

مادامت مكـاشفـاتهم ومشـاهـداتهم وإشـراقـاتهم باطلة كلها! لأنها مدحوضة كلها بنصوص القرآن والسنة.

ومادامت دون أي رصيد في واقع الحياة والوجود!

ومادام كل ما يشاهدونه ويسمعونه ويكاشفونه هذيانات وهلوسات إندورفينية أنكيفالينية!

مادامت كذلك! إذن فما هي؟ وكيف تحدث؟

١ ـ هنـاك التمثيليـات الشيطـانية، لكنها في واقع الأمر ثانوية، وقد لا تقتضيها الحاجة في كثـير من الأحيـان، وأكثـر ما تكون في حالة الصحو، فيسمّونها الكرامات، ومع ذلك فهي وسيلة الخداع الأولى في الصوفية.

٢ ـ عملية الكشف والمشاهدة تجري في الدماغ، في مركز التفسير البصري، كالتالي:

من المعروف أن الصور الحسّية (البصرية والسمعية والشمّية والذوقية واللمسيّة) عندما تتلقاها أعضاء الحسّ (العين والأذن والأنف واللسان والجلد) تحولها إلى سيالة عصبية تنقلهـا الأعصـاب المختصـة (بشكـل تموجـات قطعـاً) مبـاشـرة وبسرعة، إلى مراكز التفسـير الحسّي في الـدمـاغ، فما كانت بصـرية انتقلت إلى مركز التفسير البصري، حيث يتم هناك الإحساس بالرؤ ية، أي إن مركز التفسير البصري في الدماغ (تحت القشرة) هو الذي يحس بوجود الأشياء وبأطوالها وأحجامها وأبعادها وألوانها وحركاتها، أي هو الذي يفسّرها بالصورة التي يعرفها كل من وهبه الله سبحانه نعمة البصر. وما كان سمعيـاً انتقـل من الأذن إلى مركـز التفسـير السمعي الـذي يتمّ به الإحسـاس بالصوت وارتفاعه وحدّته وقربه وبعده . . . وهكذا.

فمـراكـز التفسـير في الـدمـاغ هي التي تفسّـر السيّالة (أو الموجات) الواردة إليها ذلك التفسير الذي يعرفه كل حي.

من مراكـز التفسـير الحسّي تنتقـل الصور مباشرة وبسرعة إلى مخازن الحفظ في الخلايا الدماغية المتخصصة بذلك والقابعة في منطقة اللاشعور في الأجزاء الداخلية من الدماغ.

وكذلك يحدث للأفكار والتخيلات والأماني والطموحات، تُخزن كلها في خلايا مخازن الحفظ المخصّصة لها.

ويـلاحـظ بوضـوح أن منطقة اللاشعور ليست مجرد مخازن صامتة تكَدّس فيها الصور والأفكـار بجمـود، وإنـما هي عالم حي تجري فيـه بنشـاطٍ عمليـات تحليـل وتـركيب وإنشاء، لكن يغلب على هذه العمليات التنسيق مع العواطف والأماني المختزنة والتخيلات.

ويقـرر علماء التشـريـح والفيزيولوجيا، بناءً عل دراساتهم وتجاربهم الكثيرة، أن مراكز الوعي (التذكر والإدراك والمحاكمة والضبط وتمحيص الأمور) تقع في القشرة الدماغية.

ويظهر أن خلايا المراقبة والانتقاء تتوزع بين القشرة وتمتد إلى داخل الدماغ.

ومراكز التفسير الحسّي (البصري والسمعي وبقيتها) تقع تحت القشرة داخل الدماغ أيضاً.

ومن ملاحظـة أحـلام اليقظة، والأفكار الشاردة أثناء الاسترخاء، والأحلام المنامية، ومن دراسة أوصافهم لأحلام جذباتهم الأفيونية والإشراقية، نستطيع أن نتخيل ما يلي:

أن هنـاك طرقـاً عصبيـة (حبـال) بعضهـا صادر عن مراكـز الوعي في القشرة الدماغية (التـذكـر والإدراك وبقيتها) وبعضهـا صادر عن مراكـز التفسـير الحسّي تحت القشرة (البصرية والسمعية وبقيتها) وكلها تصبُّ مباشرة في مخازن الحفظ في مناطق اللاشعور في الدماغ، والتي هي خلايا عصبية تعد بالمليارات وأن هناك قنوات مباشرة من مراكز

التفسير الحسّي إلى مراكز الوعي في القشرة (الإدراك والضبط وغيرها).

كما يلاحظ؛ مع شيء من القبول، أن هناك طريقاً، أو قناة عصبية (حبل) صادرة عن مخازن الحفظ في اللاشعور، تصبُّ، حسب مقتضى الحال، في مركز التذكر أو التخيل في القشرة، ومن هناك تتوزع إلى المراكز الأخرى في القشرة الدماغية حسب مطلوب الفرد أو حالته.

ويلاحظ أن الطريق الواصلة بين مراكز الوعي في القشرة وبين مخازن الحفظ في اللاشعور هي، في الحالة العادية، ذات اتجاهين: من القشرة إلى مخازن الحفظ، ومن مخازن الحفظ إلى القشرة (أي ذهاب وإياب).

والطريق الواصلة بين مراكز التفسير الحسّي تحت القشرة وبين مخازن الحفظ هي، في الحالة العادية، ذات اتجاه واحد: من مراكز التفسير الحسّي إلى مخازن الحفظ فقط.

كما أنه من الملاحظ أيضاً أن خروج الصور الحسّية والأفكار من مخازن الحفظ في اللاشعور يكون بأحد أسلوبين.

أ ـ **أسلوب إرادي انتقائي**، لا تخرج فيه إلا الصور المطلوبة، وهذا يدل على وجود خلايا دماغية وظيفتها الإشراف على إفراز الصور والأفكار المطلوبة وإخراجها إلى مركز أو أكثر من المراكز المناسبة في القشرة الدماغية، أي إن هذه الخلايا الدماغية هي مراكز مراقبة أو «رقيب» ويظهر أن جزءاً من هذه الخلايا (أو الحبال) الرقيبة واقع في منطقة اللاشعور، فهو يعمل دون أن يشعر به الكائن الحي.

ب ـ **أسلوب لا إرادي**، تتسرب فيه الصور والأفكار عفوياً (حسب الظاهر) وتجري هذه العملية في حالة الشرود الذهني والاسترخاء وفي حالة النوم (الأحلام) وفي الجذبة (الكشف)، عندما تكون مراكز الوعي والرقيب فاقدة فعالياتها.

كما يلاحظ أيضاً وبوضوح، أن عمليات التحليل والتركيب التي تجري في مناطق الوعي تكون متناسقة مع واقع الحياة والوجود على قدر استيعابها لهذا الواقع.

وأن عمليات التحليل والتركيب التي تجري في منطقة اللاشعور تكون متناسقة مع العواطف والأماني والمخاوف الكامنة، تأخذ موادّها الأولية منها ومن المعلومات

المختزنة، فتحللها وتركب منها صوراً جديدة تتفق والأماني المختزنة والعواطف، ويلعب فيها الذكاء الفطري للفرد وسعة خياله دوراً ملحوظاً، لذلك، غالباً ما تقفز فوق الواقع والمعقول.

ـ وهناك حقائق تشريحية وفيزيولوجية تساعد معرفتها على معرفة كيفية حدوث الرؤى الجذبية، بل والمنامية أيضاً:

ـ يتألف الحبل العصبي من خلايا عصبية متصلة ببعضها، تنتقل السيالة العصبية فيها من خلية إلى جارتها حتى تصل إلى مراكز التفسير الحسي في الدماغ، أوإلى القشرة الدماغية.

ـ الخلية العصبية، ويسمونها «العصبون» أو «النورون» تعريباً من (neurone) لا تستطيع الانقسام، وينتهي طرفاها بخيوط دقيقة متشعبة، تجتازها السيالة باتجاه واحد[1].

ـ بالقرب من منتهيات العصبونات، بملامسة التلاحمات العصبية، توجد حبيبات[2] تحتوي على مكونات آمينية يسمونها «الآمينات الوسيطة».

ـ ما بعد منطقة التلاحم هذه يوجد تلاحم آخر غني بحويصلات كبيرة (نسبياً) كروية تختزن مادة ببتيدية (أي لها نفس مفعول الأندورفين) يسمونها «المادة P». وقد أثبتت الدراسات أن المادة «P» والانكيفالين والمستقبلات المورفينية تبدي نفس التوزع. والمادة «P» هذه هي حموض نووية (كالآمينات) لها دور هام في تأمين نقل الشيفرات الألمية عبر الألياف الناقلة للألم.

ـ تمر السيالة العصبية الحاملة لحسٍّ ما من أول العصبون إلى آخره، وهناك يتحرر عدد من الآمينات الوسيطة من حبيبات ادخارها لتصطدم بمنتهيات العصبون المجاور لتنقل إليه السيالة، أو لتحرّض فيه سيالة مماثلة، أما المادة «P» ففي نقل الألم.

ـ تقوم أدوية الجملة العصبية المركزية (الأفيونيات ومعها الإندورفين والأنكيفالين)

---

(١) عن المعجم الفرنسي (Larousse).

(٢) التعامل مع هذه الحبيبات يكون بالمجهر الالكتروني لصغرها.

بتأثير منتشر، منبّه أومثبّط، لجميع التلاحمات العصبية (أي مكان اتصال العصبونين المتجاورين) . . . ويتم هذا التأثير بطريقة اصطفائية مختلفة الشدة، وذلك بتنشيط أو إبطاء استقلاب الآمينات الوسيطة، أوبالتدخل في وظائف هذه المواد (الآمينات الوسيطة) . . . .

ـ وفي الحقيقة أصبح من المقبول اليوم أن السيّالة العصبية عندما تبلغ نهاية النورون العصبي حذاء المركز، يتحرر من هذه النهاية عدد من الآمينات الوسيطة وتنتشر لتنبه أو تثبط نوروناً آخر[1] . . . اهـ.

ـ ألفتُ النظرَ إلى قوله: «ويتم هذا التأثير بطريقة اصطفائية».

ويقول في مكان آخر:

إن آلية التأثير العام لهذه الأدوية (المخدرات العامة) التي تستند على وجود ولعٍ اصطفائي مختلف الشدة بينها وبين المراكز العصبية المنتشرة على طول المحور الدماغي النخاعي[2] . . .

ويقول: إن اكتشاف بعض المركبات الكيمياوية، كعقار الهلوسة (LSD) والمسكالين وغيرهما، وملاحظة أن هذه المواد قد تسبب تبدلات عميقة في التصرفات تصل لدرجة الإهلاس، كل هذا لفت انتباه الدوائيين الجدد إلى إمكان وجود علاقة بين اضطرابات السلوك والتصرف، وبين بعض المركبات الكيمائية التي تبدي ولعاً اصطفائياً خاصاً بالمناطق الدماغية الخاصة بوظائف الكيان النفسي. وقد ارتقت نظرية التأثير الاصطفائي إلى أبعد من ذلك[3] . . . اهـ.

ـ هذه التقارير منقولة عن الدكتور أكرم المهايني في كتابه علم الأدوية الخاص مع قليل من التصرف للتخلص من التعقيدات والتفصيلات التي لا تهمنا في بحثنا.

يهمنا من هذه التقارير:

---

(١) علم الأدوية الخاص، ص٤، مع شيء من التصرف، (المادة P ص٣٠٨ و ٣٠٩).

(٢) علم الأدوية الخاص، ص٦.

(٣) علم الأدوية الخاص، ص٧.

ـ الأمينات الوسيطة التي تنتقل من نهاية عصبون إلى بداية جاره لتنبيهه بتحريض السيالة، أو تثبيطه.

ـ دور الأدوية المؤفينة (ومعها الإندورفين والأنكيفالين) بتنشيط الأمينات أو إبطائها (تثبيطها) أو تقويتها.

ـ تأثير هذه العقّارات الأفيونية على أماكن مصطفاة من الأعصاب ومن الدماغ، وخاصة بالمناطق الدماغية الخاصة بوظائف الكيان النفسي، وهو الموضوع الذي نحن بصدده في كتابنا.

ـ وهذه الأماكن والأجزاء العصبية التي لديها القابلية للتأثر بهذه العقّارات المخدرة يسمونها «المستقبِلات».

يقول الدكتور أكرم المهايني عن مجموعة الأنكيفالين:

. . . تتثبت بشدة على المستقبِلات المورفينية، وتتوزع في الجسم بشكل يتماشى مع توزع هذه المستقبلات[1] . . .

ويقول عن مجموعة الأندرفين:

. . . وأثبتت الدراسات التجريبية . . . عام ١٩٧٦، بأن لهذه الببتيدات أيضاً ولع شديد بالمستقبلات المورفينية[2] . . .

ـ من كل هذا، نرى أن الإندورفين والأنكيفالين اللذين يفرزهما الدماغ لهما نفس مفعول المورفين بصورة دقيقة، وإن كان الأنكيفالين أضعف منه، والأندرفين أقوى في بعض الحالات. وهذه التقارير العلمية، مضاف إليها مارأيناه في الفصول السابقة من تشابه كامل بين حالة الجذبة الأفيونية الهلوسية ورؤاها وبين حالة الجذبة الصوفية ورؤاها، كل هذا يجعل التأكد كاملاً، ولا يترك مكاناً لأي شك أو تساؤل أو تردد بأن الجذبة الصوفية ورؤاها هي تهليس إندرفيني أنكيفاليني، وأن الرياضة الصوفية وعلى رأسها الذكر الإرهاقي تعمل على زيادة الكمية المفرزة من هاتين المادتين بشكل مَرَضيّ

(١) علم الأدوية الخاص، ص٣٠٤.

(٢) علم الأدوية الخاص، ص٣٠٥.

دائم، كما تعمل، بإرهاقها الدماغ مدة طويلة، على إضعافه إضعافاً كافياً للتأثر بهذه الكمية الجديدة من إحدى هاتين المادتين أو كلتيهما.

وبالتالي تكون الصوفية، أو الإشراق، أو المعرفة، أو الكهانة، أوما شئت غيرها من الأسماء التي أطلقوها، تكون خدعة إبليسية كبرى، وهي السبب الأساسي لانحراف الإنسانية عن الفطرة التي فطرها الله سبحانه عليها.

ولزيادة الفائدة وزيادة تأكيدها، نصان آخران.

يقول الدكتور أكرم المهايني:

. . . ويحسن بنا التذكير، بأن زوال الألم بفعل المورفين (ومثله الإندورفين والأنكيفالين طبعاً) لا يؤلف سوى وجه واحد من أوجه تأثيراته المتعددة، فطيف تأثيره يشمل أيضاً ـ بشكل أعم ـ السلوك والتصرفات.

. . . ولوحظ أيضاً وجود فرط نشاط إندورفيني في السائل الدماغي الشوكي لدى المصابين بالفصام (الجنون) المترقي[1] . . .

ـ أقول: يعرف القارىء الآن أن الفصام المترقي هومقام «جمع الجمع»، وأن المصاب به هو الذي يسمونه «المراد»، ولو أجريت الفحوص اللازمة لهؤلاء الأولياء الأحياء الذين نسمع بهم، وخاصة عندما يكونون في مقام القُرْب، لوُجد فرط النشاط الإندورفيني في السائل الدماغي الشوكي عندهم.

ومن هنا يبرز الترجيح، أن الإندورفين هو صاحب الدور الأساسي، أو الرئيسي في الجذبة.

ـ والآن نستطيع أن نتخيل كيفية حدوث الرؤى الكشفية والأفيونية:

الظاهر أن مناطق اللاشعور في الدماغ تبقى في نشاط مستمر في جميع الحالات، شأن أجهزة الجسم اللاإرادية.

وواضح للمتأمل أن القناة العصبية التي تخرج فيها الصَّوَر من مخازنها في خلايا

(١) علم الأدوية الخاص، ص٣١٠ و٣١١.

اللاشعور إلى مراكز الوعي في القشرة الدماغية، هذه القناة، أو القنوات، هي من مستقبلات الموزفين، ولذلك، عندما تغدو كمية الإندورفين المفرزة كافية، بتحريض الرياضة الصوفية، تتفاعل معها هذه المستقبلات، فتتثبط الآمينات الوسيطة على طول الحبل العصبي الواصل بين المخازن والقشرة، وتغدو هذه الطريق مغلقةً، ويظهر أن خلايا الرقابة العليا يصيبها نفس الشيء، كما أن مستقبلات الأفيون في كل الجملة العصبية يصيبها نفس الشيء، وهذه هي الجذبة.

إن فقدان المجذوب الإحساس بما حوله جزئياً أو كلياً (حسب كمية المهلّس) هو دليل لازم كاف على أن الآمينات الوسيطة قد ثُبِّطت، فتوقفت السيالات التي تحمل الإحساسات من أعضاء الحس (العين والأذن . . .) إلى القشرة الدماغية.

هذه هي الجذبة، وهذه هي الولاية (مرحباً ولاية).

ويظهر أن هذه الولاية تصيب أيضاً خلايا الرقابة في الدماغ، فتأخذ خلايا اللاشعور حريتها بتحليل الصور والمعلومات المختزنة، وغيرها، لتركب منها صوراً جديدة متناسقة مع عواطف المجذوب ورغباته، بل، لعل العواطف والرغبات هي التي تحرك عملية التحليل والتركيب.

تخرج هذه الصور الجديدة، وغالبيتها بصرية، على غفلة من الرقيب المخدّر بشكل سيالات عصبية، لعلها موجيّة (وهو المنطقي)، في الطريق المعتاد الذي طُبعت عليه، أي إلى مراكز الوعي في القشرة الدماغية، لكنها تجد منافذها مغلقة، وتجد إلى جانبها منفذاً آخر، وهو الطريق ذات الاتجاه الواحد التي تخرج من مراكز التفسير الحسي وتصب في المخازن، وهي، بدهياً، تقع داخل الدماغ، فتعبرها اضطراراً مخالفة للعادة في الحالة العادية، حيث تصل إلى مراكز التفسير الحسي. ولعل المادة «P» لها دور في فتح هذه القناة بصورة معكوسة.

بما أن غالبية الصور بصرية، لذلك تذهب إلى مركز التفسير البصري، فيفسرها ويحس بها كما لو كانت آتية عن طريق العين، ويراها المجذوب مجسّمةً ماثلة أمامه كأنها شيء واقع حقيقي، لأن مركز التفسير مطبوع على التأثر بأية موجة تصله، ليفسرها ويرسلها مفسرة إلى مركز الإدراك في القشرة، ولا علاقة له بمصدرها ولا بالطريق الذي

سلكته.

وتـذهب الصـور السمعيـة إلى مركز التفسير السمعي، واللمسية إلى مركز التفسير اللمسي . . . وهكذا.

وعندما يصل الخدر خفيفاً إلى الطرق الواصلة بين المخازن ومراكز التفسير الحسّي، عنـدئـذ يختلط الحـابـل بالنابل، ويختلط السمع بالبصر بالشم بالدوق باللمس، فتذهب المـوجـات البصـريـة إلى مركـز تفسـير حسّي (بصـري أوغير بصري) وكذلك السمعية والشمّيـة والـذوقيـة واللمسية، فتحدث لهم الرؤى التي لا يستطيعون وصفها، وتوهمهم شياطينهم، ويصور لهم غرورهم أن الأنبياء كانوا كذلك! وتوهمهم جذباتهم أن الجنة كذلك.

وعنـدمـا يزيـد المخـدّر عن حده، ويتغلغـل في الدماغ يصاب المجذوب بالجنون أو الشلل أو الموت.

هكذا تحدث أحلام الجذبة بجميع أنواعها سواءً أكانت مورفينية أو إندورفينية، أي سواءً كانت جذبة تحشيش أو جذبة إشراق.

ولعـل من آثـار الأنـدورفـين أيضـاً تمييـع الخـلايـا العصبية، وخاصة خلايا القشرة الـدمـاغيـة، تمييعـاً خفيفـاً طبعـاً، لأن هذا يمكن أن يكون تعليلاً لما يرونه من تضخيم الأبعاد قليلاً أو كثيراً، ومن إطالة الزمن أو تقصيره، ومن رؤية فراغات لا نهائية أو رؤية الأشيـاء شفـافـة أو لا وجود لها . . . وذلك لأن الخلايا المدْرِكة في القشرة، عندما تتميع، يمكن أن يتغـير شكلهـا باتجـاه أو بآخر بسبب الضغوط حولها، فيحدث ذلك التشويه في الإدراكات، كما يمكن أن يكون حدوث هذا التميع في مراكز التفسير ذاتها.

وهنا يأتي دور الشيخ؟

فلولا الشيـخ لكـانت الـرؤى متشـابهـة مع بعضهـا في الجذبتين «جذبة التحشيش وجـذبـة الإشـراق». لكن توجيهات الشيخ وإيحاءاته المتناسقة مع تجاربه السابقة، تحقن المـريـد بالعـواطف والطمـوحـات التي توجه رؤاه إلى العروج في السماوات والمحاضرات والمكـاشفـات والمشـاهـدات والفنـاءات والتحقق بالأسماء والصفات، ورؤية جبل قاف وكاف وعين وصاد، وغيرها، حيث يرى السالك منها ما يتناسب مع استعداداته الفكرية

والإندورفينية.

ولهذا السبب كان الشيخ هو الأصل في طريقهم، ولهذا السبب قالوا من لا شيخ له فشيخه الشيطان، لأن من لا شيخ له تكون رؤاه مثل رؤى حشاشي الحشيش والمورفين وزمرتهما، ولهذا السبب كان الخضوع الكامل للشيخ أساسيًّا ليسهل انطباع توجيهاته وإيحاءاته في أعماق المريد.

مساكين الحشاشون والمورفينيون! مساكين؟.

فلو كان لهم شيخ يوجههم، لذاقوا أيضاً الفناءات، وتحققوا بالأسماء والصفات، وتصرفوا بالكون، ولكان منهم الأبدال والأقطاب والأغواث.

أما قولهم بالتصرف في الكون، هذا الهذيان المضحك المبكي (وكلهم هذيانات مضحكة مبكية) فقد رأينا مثله عند حشاش عقار الهلوسة، الذي يكفي، في بعض الحالات، أن يتخيل شيئاً أو يتمنى رؤيته حتى يراه أمامه مجسماً.
ومثل هذا يحصل لبعض الواصلين الذين صار خَلَل غددهم المفرزة للهرمونين مقاماً عالياً، فقد يمر بخاطره عرش الرحمن مثلاً، فيراه أمامه مجسّماً كما يتصوره بوهم جذبته، لا كما هو على حقيقته التي لا يعلمها إلا الله.

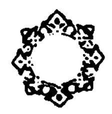
وقد يخطر على بال جذبته أن ينقله من مكان إلى مكان، فيقول له «انتقل» فيراه قد انتقل . . وهكذا. وهذا ما يسمونه «التصرف في عالم الملكوت».

وكذلك ما يحدث لبعضهم أحياناً من اضطراب في إحساسه بالزمن، حيث يحسّ أنه قطع سنين طويلة في جذبة لم تدم سوى دقائق قليلة! مثل هذا ما رأيناه يحدث لمجذوب المهلّسات . . .

والرجاء من القارىء أن يعود إلى مفعول المخدرات في أول هذا الفصل لتتوضح أمامه ما هي كشوفهم ومعارفهم وعلومهم اللدنية.

والآن، نستطيع أن ندرك بصورة أوضح وأدق، دور الرياضة الصوفية. فهي بعناصرها التي عرفناها والتي يُجْملها قولهم: «اخلع نعليك، الدنيا والآخرة»، تقلّل الإحساسات الذاهبة إلى الدماغ تقليلاً كبيراً، وهذا يعني أن السيّالات العصبية تقل

كثـيراً، وهـذا يعني كذلـك أن الآمينـات الـوسيطة يقل عملها كثيراً، ومع الزمن تصاب بالكســل، ومـع تطاول الزمن بالمثابرة على الرياضة، ومع تكاثر الإندورفين والأنكيفالين بسبب الرياضة أيضاً، يغدو كسل الآمينات الوسيطة مقاماً عالياً، وتغدو مستعدة للشلل أو ما يشبهه بكمية من المخدر أقل من الذي تحتاجه في الحالة العادية، أي تصل إلى مقام الاستخـدار، والـذكـر الإرهـاقي يقـوم بنفس المفعـول، وإذا ساعدته عناصر أخرى من الـريـاضـة كان أسـرع، ولعل التلاحمات العصبونية المحيطة بالدماغ هي محل العمليات المذكورة، وذلك لتكاثر الإندورفين في السائل الدماغي الشوكي أثناء الجذبة.



□ فقرات معترضة :

*** إكسير الولاية :ـ**

تسهيلاً على المريدين وتيسيراً لهم للوصول إلى الولاية والصديقية والغوثية والألوهية بيـوم أويومـين، وبـدون تعب ولا خلوة ولا جوع ولا سهر، نقترح على الشيوخ العارفين الكمـل، ذوي المـدد العظيم من الأموال التي تنهمر عليهم من المخدوعين والغافلين، أن يكلفوا واحداً أو أكثر من علماء الكيمياء الطبّية، لتحضير نوعين من العقاقير:

أ ـ عقّار يسبب هبوط فعالية الآمينات الوسيطة بشكل دائم (الاستخدار).

ب ـ عقّار آخر يحدث خللاً يضخم الغدد الدماغية المفرزة للمخدرين ويزيد إفرازها زيادةً كافية.

عنـدئـذ تصبـح الولاية والقطبية والألوهية في متناول الجميع! فكل من يريد التحقق بالأسماء والصفات والفناءات في الذات والتصرف في الكون، ما عليه إلا أن يذهب إلى صيدلية يشتري منها «إكسير الولاية» المكون من عقارين:

ـ العقار الأول يأخذه في اليوم الأول، حيث يجتاز كل المقامات في ساعات، ويصل إلى مقام الاستخدار.

ـ العقـار الثـاني يأخذه في اليوم الثاني، حيث تخرق له الحجب وتكشف الغيوب بعد ثواني أو دقائق.

لكن الشيخ يبقى لازماً لا بد منه في جميع الحالات! إذ بدون إيحاءاته وتوجيهاته لن يستطيع المريد الوصول إلى الألوهية، لأن من لا شيخ له فشيخه الشيطان، ومن لم يكن بين يدي شيخه كالميت بين يدي الغاسل فلا يمكن لإيحاءات الشيخ أن تنطبع في أعماقه

لتصبح جزءاً هاماً من أمانيه وطموحاته .

وصحبة شيخ وهو أصل طريقهم   فما نبتت أرض بغير فلاحة

ولهذا، فلن يكون إكسير الولاية خطراً على المدد الذي ينهمر على الشيوخ، بل بالعكس، سيزيد كثيراً عدد السالكين بسبب سهولة (الطريقة الإكسيرية)، وبذلك سيزداد كثيراً مدد الشيخ، كما سيحتاجون إلى عدد أكبر من الشيوخ الكمّل .

*** أحلام النوم :-**

فيزيولوجية أحلام النوم تشبه فيزيولوجية أحلام الجذبة، مع فارق هو: في الجذبة : يبقى خدر الدماغ سطحياً وثابتاً في موضعه طيلة الجذبة، بينما تكون بقية أجزاء الدماغ متمتعة بنشاطها المعتاد إلا في حالة «الفناء عن الفناء» أو جمع الجمع .

وفي النوم : يبدأ النوم سطحياً (في القشرة الدماغية) حيث تحدث الأحلام، وتكون أجزاء الدماغ الأخرى في حالة هبوط تدريجي نحو النوم، فحالة الهبوط تجعل الحلم غامض الموضوع، والتدرج نحو النوم الكامل، أو بالعكس، يسبب القفزات في تسلسل حوادثه .

وعندما يصل النوم إلى مراكز التفسير الحسي تنقطع الأحلام .

*** هل سيبصر الأعمى :-**

لا أظنه بعيداً، ذلك اليوم الذي يذهب فيه الأعمى إلى الصيدلية ليشتري «جهاز إبصار» يضعه على رأسه، ترتبط به نظارات يضعها على عينيه، ثم يخرج وهو يرى الحياة كما يراها البصير العادي . وتحدث عملية الرؤية كالتالي :

تقع الأشعة المنعكسة عن الأشياء على نظارات الجهاز (مثل وقوعها على العين العادية) وترتسم صورها عليها .

تتحول هذه الصور إلى موجات كهرطيسية تسري عبر شريط ناقل إلى الجهاز الموضوع في مكان معين فوق الرأس .

يحوّل هذا الجهاز الموجات الكهرطيسية إلى موجات عصبية مناسبة تخترق الجمجمة

والقشـرة الـدمـاغية حتى تصل إلى مركز التفسير البصري الذي يفسرها كما لو كانت آتية إليه عن طريق العين، إذ كل ما يريده مركز التفسير البصري هو أن تصله موجات عصبية مناسبة، ليفسرها ويحس بها ذلك الإحساس الذي يعرفه كل كائن حي بصير.

أما من أين أتت تلك الموجات؟ وكيف؟ وفي أي طريق؟ فهذا لا شأن له به.

وهكذا تحل مشكلة العميان حلاً جذرياً أو شبه جذري، كما يستطيع أي إنسان أن يستعمل هذا الجهاز للتسلية، أو لضرورة ما.

*** جهاز فيديو يغني عن الشيخ والرياضة وعن إكسير الولاية:-**

نفس جهـاز الإبصـار الـذي يضعه الأعمى على رأسه، يرتبط به جهاز فيديو خاص (بدلاً من النظارات).

يستطيـع صاحب الجهـاز أن يقتني مجمـوعـة كبـيرة من أشرطة الفيديو التي سجلت عليها مناظر متنوعة الأشكال والمواضيع.

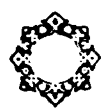
فما على المرء إذا أراد أن يقوم بسياحة إلى إندونيسيا، مثلاً، إلا أن يضع الجهاز على رأسه، ويضع في الفيديو الشريط المناسب، ويحرك الزر المطلوب، ثم تبدأ الرحلة!

فيرى نفسه ذاهباً إلى وكالة سفريات، حيث يشتري بطاقة طائرة، وفي اليوم التالي يستيقظ من النوم باكراً، ويذهب إلى المطار، ويختلط بالمسافرين، ويقف بدوره أمام رجل الأمن المكلف بمـراقبـة الأمتعـة، وبعـد أن ينتهي من كل المشـاكـل، يعبر إلى المدرج، ويصعد إلى الطائرة ليجلس على مقعد فوق مؤخرة جناح الطائرة الأيمن، ويجلس إلى جانبه شاب يمضغ لباناً في فمه مما يثير في نفسه الضيق والحنق معاً . . . وتتحرك الطائرة وتحلق في الجو، وينظر صاحبنا من النافذة ليمتع نظره بالأرض التي تطوى تحته ببطء لتظهر أرض غيرهـا . . . وهكـذا حتى يصـل إلى مطار لاهور . . . إلى آخر الرحلة وتفاصيلها . . . بينما هو في حقيقة الأمر قابع في غرفته لم يتحرك من مكانه!.

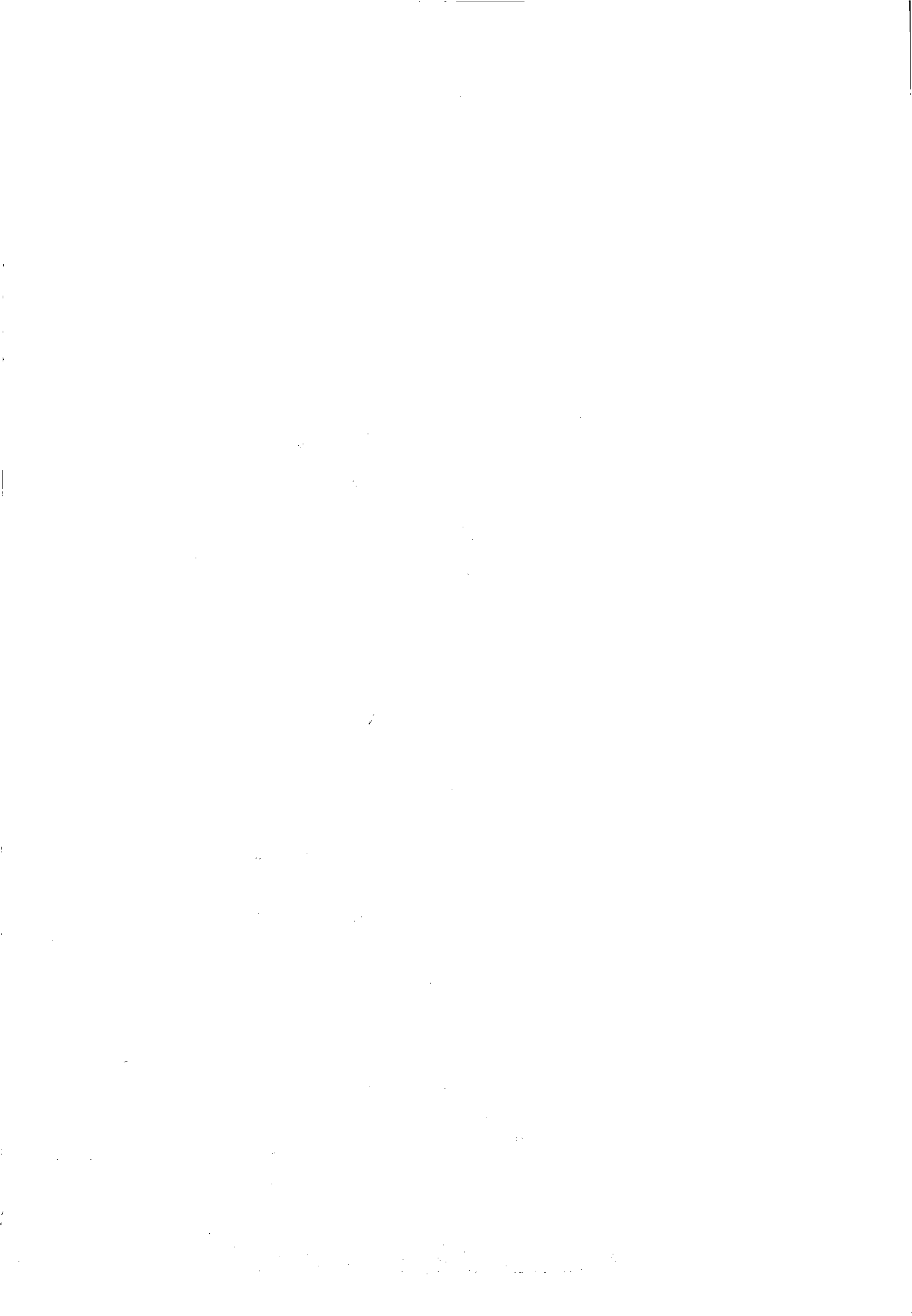
وإن كان صاحبنـا من المـريـدين الـذين لا يريـدون إلا وجهه (؟) فيضع في القيديو شريـط الـولاية، وإن أراد الحسنى (؟) وضع شريط العروج إلى الله (جل الله وعلا علواً كبيراً)، فيرى الملائكة تتنزل عليه وتقول له: «لا تخف ولا تحزن» . . . ويرفعه أحدهم

. . . حتى يعبر السماوات ويصل إلى العرش (في قصة طويلة ومناظر متنوعة مذهلة) وهناك تحدث له الفناءات والتحققات والتصرفات، ويذوق من معاني اسمه الصمد والرب والرحمن، حتى الاسم الأعظم.

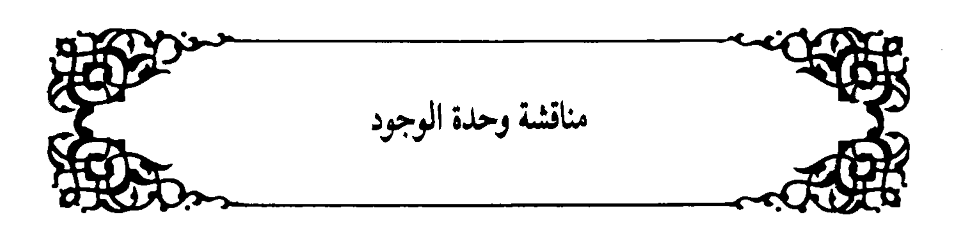
وهكذا . . . إلى آخر المناظر المسجلة على الشريط، وعلى بقية الأشرطة ..



الباب الثالث: مناقشة الحقيقة



الفصل الأول:



١ ـ يقول سبحانه: ﴿وجَعَلوا لهُ مِن عبادِهِ جُزْءاً إنَّ الإنْسانَ لَكَفورٌ مُبينٌ﴾.

الآية واضحة كل الوضوح، لا لبس فيها ولا غموض.

فوحدة الوجود تجعل من كل مخلوق جزءاً من الله جل وعلا.

وتقرر الآية الكريمة الحكم على الذين يؤمنون بهذه العقيدة الذين يجعلون من عباد الله (سبحانه عما يصفون) جزءاً منه، تقرر الحكم عليهم بالعبارة: ﴿إنَّ الإنسانَ لَكَفورٌ مُبينٌ﴾، التي نفهم منها ما يلي:

أ ـ قوله: ﴿إنَّ الإنسانَ﴾، يدل على أن المؤمنين بوحدة الوجود هم من بني الإنسان فقط، فلا يوجد بين الجن مثلاً، بله الملائكة، من يؤمن بهذه العقيدة الكافرة.

ب ـ قوله: ﴿لكفور﴾، على وزن «فعول»، وهي صيغة تدل على المبالغة والاستمرار، تعني: إن المؤمن بوحدة الوجود هو شديد الكفر مستمر عليه، يمتنع رجوعه عنه أو يصعب.

وتعني: إن شدة الكفر واستمراريته الموجودة في نوع الإنسان تجعله يؤمن بمثل هذه العقيدة.

ج ـ قوله : ﴿مُبِينٌ﴾ ، أي : مظهر للكفر، مفصح عنه، موضح له، وهذا يعني أن الفكرة واضحة الكفر، والذي يؤمن بها مبين للكفر، الكفر ظاهر له وعليه، وذلك لأن الفطرة السليمة (وبعض غير السليمة)، تقشعر رعباً من سماع هذا التطاول على القدسية الإلٰهية، وترتجف هلعاً من هذا الغرور الغبي الجريء الظالم، لمجرد سماعها ذلك.

٢ ـ يقول سبحانه : ﴿وجَعَلوا بينَه وبينَ الجِنَّة نَسَباً ولقدْ علِمَتِ الجِنَّةُ إنَّهم لَمُحْضَرون سبحانَ الله عما يَصِفونَ﴾

طبعاً، وحدة الوجود تجعل الجن جزءاً من الله تعالى، وليس بعد هذا النسب ما هو أقوى منه، لأنه نسب بعض الذات إلى الذات.

لكن الآية الكريمة تستهجن هذه الفكرة، نفياً لها ودحضاً، وتنزه الله سبحانه وتعالى عما يصفه هؤلاء الواصفون.

والعبارة: ﴿ولقدْ علمتِ الجِنَّةُ إنَّهم لَمُحْضَرونَ﴾، واضحة الدلالة على أن الجن ـ لو كانوا يتصلون بنسب إلى الله سبحانه ـ لما جعلهم من المحضرين.

وعدم وجود النسب بينه سبحانه وبين الجنة ينفي وحدة الوجود نفياً كاملاً.

٣ ـ يقول سبحانه : ﴿وقدْ خَلَقْتُكَ من قبلُ ولم تكُ شيئاً﴾ ، ويقول : ﴿أولا يَذْكُرُ الإنسانُ أنَّا خَلَقْناهُ من قبلُ ولم يكُ شَيْئاً﴾

الآيتان واضحتان كل الوضوح : إن الله سبحانه خلق الإنسان من لا شيء، من العدم، ولو كانت وحدة الوجود واقعة لكان الإنسان شيئاً قبل أن يوجد، كما هو الآن شيء بعد وجوده.

فكون الإنسان خلق من لا شيء، من العدم، ينفي وحدة الوجود جملة وتفصيلاً، لأن الله تعالى ليس عدماً، إنه الحي القيوم الخالق البارىء المصور.

٤ ـ عشرات الآيات في الكتاب الحكيم تقرر أن المخلوق غير الخالق. منها:

﴿ويعبُدونَ مِن دونِ الله ما لا يمْلِكُ لَهُم رِزْقاً مِن السَّماواتِ والأرضِ﴾، إذن

فالأصنام والأوثان (وهي خلق) هي من دون الله تعالى، وليست جزءاً منه، ولا هي هو.

﴿وقالَ الذينَ أشْركوا لو شاءَ الله ما عَبَدْنا مِن دونِهِ مِن شيءٍ﴾ . ﴿قلْ إنِّي نُهيتُ أن أعبدَ الذين تدعونَ مِن دونِ الله﴾ . ﴿إنْ كنتُم في شكٍّ مِن ديني فلا أعبدُ الذي تعْبُدون مِن دونِ الله﴾ . ﴿إذْ قالوا لِقَوْمِهم إنَّا بُرآءُ منكُم ومِمَّا تَعْبُدونَ مِن دونِ الله كَفَرْنا بكُم وبدا بينَنا وبينَكُم العداوةُ والبغضاءُ حتَّى تُؤْمِنوا بالله وحدَه﴾ .

ومنها: ﴿قلْ أفغَيْرَ الله تأمُرونِّي أنْ أعبدَ أيُّها الجاهِلونَ﴾ ، طبعاً، كانوا يأمرونَه أن يعبدَ أصنامَهم وأوثانَهم. والآية الكريمة تقرر أنها غير الله، وبما أنها جزء من الخلق، إذن فالخلق غير الله، والمخلوق غير الخالق.

﴿إنَّما حرَّم عليكُم الميتةَ والدَّمَ ولحمَ الخِنزيرِ وما أُهِلَّ بِهِ لغيرِ الله﴾ ، والذي أهِلَّ به لغير الله إنما أهِلَّ به للأوثان والأصنام ولمن يسمونهم «الأولياء»، وهؤلاء كلهم خلق، والآية الكريمة تقرر أنهم غير الله. ومن هذه الآيات:

﴿ولوْ كانَ مِن عندِ غيرِ الله لَوَجَدوا فيه اخْتلافاً كثيراً﴾ . ﴿قلْ أغيرَ الله أتَّخِذُ وَليًّا فاطِرِ السَّماواتِ والأرضِ﴾ . ﴿أفغيرَ الله أبتغي حكماً وهو الذي أنزلَ إليكم الكتابَ مفصَّلاً﴾ . . .

هذه الآيات هي بعض من آيات كثيرةٍ غيرها تقرر أن المخلوق هو من دون الله، وغيره، وهي كافية للرد على كل جحود مؤمن بوحدة الوجود، ولو سماها وحدة الشهود.

٥ ـ لو كان الخلق هو الحق، كما يفترون، وكانت المخلوقات جزءاً من الله سبحانه تعينت بهذه الأشكال المختلفة، لما بقي أي معنى للأسماء الحسنى: (الخالقُ، البارىءُ، الفاطر، بديع السماوات والأرض)، التي تعني كلها «الإيجاد من العدم».

٦ ـ لو كانت وحدة الوجود صحيحة، لكان الإنسان جزءاً من الله، ولكانت الآية: ﴿إنَّ الإنسانَ لَفي خسرٍ﴾ باطلة! ولكان الإنسان في ربح سواء آمن أم لم يؤمن، وعمل صالحاً أم لم يعمل، وتواصى بالحق والصبر أم لم يتواص؟ لأنه جزء من الله.

وبما أن الآية الكريمة لا يمكن أن تكون باطلة، لأنها وحي من عند الله، إذن فعقيدة الصوفية هي الباطلة، إذ لو صحت عقيدتهم لأصبح معنى الآية: (إن جزءاً من الله لفي خسر)! وهذا واضح البطلان.

٧ ـ في القرآن الكريم آيات كثيرة تصبح شتماً لله (تعالى)، لو صحت عقيدة الصوفية بوحدة الوجود، مثل قوله سبحانه: ﴿وأُتْبِعوا في هٰذه الدُّنيا لعنةً ويومَ القيامةِ ألا إنَّ عاداً كَفَروا ربَّهم إلا بُعداً لعادٍ قومِ هودٍ﴾، لأن عاداً، حسب عقيدتهم الباطلة، هم جزء من الله سبحانه، حيث يصبح معنى الآية الكريمة «إن جزءاً من الله (تعالى عما يصفون) أُتبع في هذه الدنيا؟؟ ويوم القيامة!؟ (وناقل الكفر ليس بكافر).

ومثل هذه الآية كثير في الكتاب والسنة.

٨ ـ آيات كثيرة في كتاب الله تفهمنا أن العمل السيء لا يرضي الله ولا يقود إلا إلى السوأى، وأن الحسنى لا يوصل إليها إلا بالعمل الصالح، من هذه الآيات:

﴿مَن يعملْ سوءاً يُجْزَ بهِ ولا يجدْ له من دونِ الله وليًّا ولا نصيراً﴾. ﴿ثم كان عاقبةُ الذينَ أساؤوا السوأى أنْ كذَّبوا بآياتِ الله﴾. ﴿فلا يُجْزى الذينَ عَمِلوا السيِّئاتِ إلا ما كانوا يَعْمَلونَ﴾. ﴿أمْ حَسِبَ الذينَ اجْتَرَحوا السيِّئاتِ أنْ نَجْعَلَهم كالذينَ آمَنوا﴾. ﴿للذينَ أحْسَنوا الحُسْنى وزيادةٌ﴾. ﴿لِيَجْزِيَ الذين أساؤوا بما عمِلوا ويجزيَ الذينَ أحسنوا بالحُسْنى﴾، وغيرها الكثير.

وطريق الصوفية تبدأ منذ الخطوة الأولى بالشرك الأعظم، فالمريد عندما يضع رجله في عتبة رحاب الشيخ مريداً له ولطريقه، فقد قبل عبادته وقبله ربًّا من دون الله، سواء عرف ذلك أم لم يعرف، ثم يسير المريد في الطريق الشركية مضيفاً إليها طقوساً ومجاهدات وثنية حتى يصل إلى الجذبة التي تشرق عليه بوحدة الوجود.

إذن، فوحدة الوجود ضلال وباطل، لأن الطريق إليها ضلال وباطل.

ثم إن الطريق الذي يتبعه المتصوفة للوصول إلى الجذبة هو طريق الشيطان، ﴿ومَن يتَّخِذِ الشيطانَ وليًّا مِن دونِ الله فقدْ خَسِرَ خُسراناً مبيناً﴾، ﴿ومَن يَكُنِ الشيطانُ له قريناً فساءَ قَريناً﴾.

والشيطان لا يقودهم إلى الله كما يتوهمون، بل يضحك عليهم ويوهمهم ويستجرهم، ويعدهم، ويمنيهم، وما يعدهم الشيطان إلا غروراً.

٩ ـ يقولون في فريتهم هذه، بالقدرة والحكمة؟

فالقدرة: هي تعيينه سبحانه الخلق من ذاته، وهذا ما يسمونه الحقيقة.

والحكمة ـ عندهم ـ: هي ستره سبحانه «الحقيقة» عن خلقه. ويقولون: إن الله سبحانه أرسل الرسل بالشريعة من أجل هذا الستر.

ـ **والجواب**:

أ ـ مقولتهم في القدرة والحكمة هي، على كل حال، من الأمور الغيبية التي لا تُعرف إلا بنص من الوحي الذي أُنزل على محمد ﷺ، والنص لا وجود له، إذن فمقولتهم كاذبة، يكذبون بها على الله ورسوله، ﴿ومَن أَظلَمُ ممَّنِ افْترى على الله كَذِباً﴾.

ب ـ بما أن عقيدتهم في «القدرة والحكمة» وفي وحدة الوجود، لا يوجد أي دليل عليها في الكتاب والسنة إلا ما كان من تأويلاتهم الباطلة، لذلك لا يعدو الإيمان بها أن يكون واحداً مما يلي:

ـ إما اتهاماً لله (سبحانه وتعالى عما يصفون) بالخوف والكذب!؟

ـ أو اتهاماً له (سبحانه وتعالى) بالجهل، وأنهم هم عرفوها (لأنهم عارفون)!؟

ـ أو اتهاماً للرسول ﷺ بالخيانة والجبن!؟

ـ أو اتهاماً للدين الإسلامي من أساسه بالبطلان، لأنه أُنزل ليحارب، فيما يحارب، هذه العقيدة التي هي أساس العقائد الوثنية.

١٠ ـ يفترون على الرسول ﷺ، أنه أمر مرة بإغلاق الباب، وسأل أصحابه إن كان فيهم غريب؟ فلما أجابوه بالنفي، بدأ معهم علوم الطريقة . . . ويقولون: إنه فعل هذا تعليماً لأصحابه على التستر على «حقيقتهم»! وهذا ما يسمونه «الحكمة».

ـ الجواب على هذه الفرية المجردة من الإيمان ومن الإسلام ومن كل معاني الحياء:

الهندوس والبوذيون والطاويون والمجوس (مع اختلاف في الشكل) كلهم يؤمنون بوحدة الوجود ديناً، يعلنونها ويبنون عليها كل فلسفاتهم في كل كتبهم، وهؤلاء كانوا وما زالوا يشكلون أكثر من نصف سكان الأرض.

والسؤال: ما هي هذه الحكمة (الخنفشارية) التي تسمح لأكثر من نصف سكان الأرض أن يعلنوا إيمانهم بوحدة الوجود ويبنوا عليها حياتهم وفلسفتهم ولا يكتموا منها شيئاً! ثم تمنع ذلك على المسلمين وعلى رسول الإسلام فقط؟! فأي حكمة هذه؟ إنها مهزلة وليست حكمة!

وإن من يعتقد صحة هذه الحكمة المفتراة، يحكم ضمناً أن الإسلام غير صحيح، وأن الديانات الوحدوية هي الديانات الصادقة! عرف ذلك أم لم يعرف؟ لأن الجهل أيضاً فنون.

١١ ـ ماذا كان يخشى محمد ﷺ من إعلان وحدة الوجود، لو كان يؤمن بها؟ ولو أعلنها لاستجاب له الألوف الكثيرة في مدة قليلة، لأنها لن تكون غريبة على الأسماع، ولاستراح هو وأصحابه من كثير من الآلام التي عانوها.

١٢ ـ الهندوس والبوذيون والطاويون والمجوس، كانوا وما زالوا يؤمنون بوحدة الوجود عقيدة وحيدة.

وأهل الكتاب كانوا وما زالوا يؤمنون بخالق في السماء، خلق الخلق من العدم مع شرك وتشبيه، وبعض رشفات من الوحدة (ما عدا متصوفيهم طبعاً).

فجاء الإسلام ليعلن كفر أولئك المطلق، ويحرم على المسلمين ذبائحهم والزواج منهم...

بينما وقف من اليهودية والنصرانية موقفاً أخف بكثير، وسماهم «أهل الكتاب»، ووسع حدود التعامل معهم (وخاصة مع النصارى)، وأجاز ذبائحهم وطعامهم ومصاهرتهم...

فلو كان في دين الإسلام من وحدة الوجود ما يفتريه الصوفية، لانعكست الآية، ولصار النصارى هم الأبعدين، ولصار الهندوس والباقون هم الأقربين.

١٣ ـ عندما انتصر الفرس المجوس على الروم النصارى، كانت عواطف المسلمين مع النصارى، وحزنوا لهزيمتهم لأنهم أقرب إليهم من الآخرين ﴿غُلِبَتِ الرومُ في أدنى الأرضِ وهُم مِن بعدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبونَ في بضعِ سنينَ﴾.

فلو كان الصحابة يعرفون أباطيل وحدة الوجود، أو يؤمنون بشيء منها، كما يفتري عليهم المتصوفة، لكانت عواطفهم مع الذين يشبهونهم في العقيدة، مع المجوس الذين يدينون بشكل من أشكال وحدة الوجود، لا مع النصارى الذين يؤمنون أن الله في السماء وقد خلق الخلق من العدم، (مع شرك عظيم طبعاً).

١٤ ـ كل الأحاديث التي يرويها المتصوفة عن الرسول ﷺ وعن أصحابه في موضوع الوحدة هي:

ـ إما مكذوبة! وهم أنفسهم يعرفون أنها مكذوبة! ومع ذلك يوردونها دون خوف من الله، وكأنهم لم يسمعوا قول رسوله: «من كذب عليَّ متعمداً فليتبوأ مقعده من النار». وأسلوبهم أنهم يروونها، ثم يعلقون عليها بعبارة ما، مثل: «تكلموا فيه»، أو: «فيه نظر»، أو ما شابه ذلك، ثم يبنون عليها ما يشاؤون من أحكام ظالمة!

وكأنهم إذا قالوا عن الحديث المكذوب: «فيه نظر»، أصبح من الأحكام الشرعية، وأصبح العمل به شرعيًّا!؟

ـ وإما أن يكون حديثهم صحيحاً، لكنهم يلوون عنقه، فيؤولونه، ويعطونه معنى ما أنزل الله به من سلطان! وكذلك يفعلون مع الآيات القرآنية.

وقد مرت في الفصول السابقة أمثلة كثيرة على ذلك، وهو نماذج لما شحنوا به كتبهم من هذه التحريفات، ومنها على سبيل المثال أيضاً:

تفسيرهم لقوله سبحانه: ﴿الذينَ يَذْكُرونَ الله قِياماً وقُعوداً وعلى جُنوبِهم﴾، بالحضرة الصوفية والرقص. وتفسيرهم لقوله سبحانه: ﴿فلمَّا اعْتَزَلَهُم وما يَعْبُدونَ مِن دونِ الله وَهَبْنا لهُ إسحاقَ . . .﴾ بالخلوة. وتفسيرهم لقوله سبحانه: ﴿وذَكَرَ اسمَ ربِّهِ فصلَّى﴾، بأن الذكر بالاسم المفرد (الله الله الله) هو صلاة. وتفسيرهم لقول الرسول ﷺ في الحديث القدسي: «من عادى لي وليًّا آذنته بالحرب. . .»، أن

الـولي هو الصـوفي. وقـولـه في بقيـة الحديث: «. . . فإذا أَحببتُه كنتُ سمعَه الذي يسمـع به، وبصـرَه الـذي يبصـر به، ويـدَه الذي يبطش بها، ورجله الذي يمشي بها. . .» بأنه يعني وحدة الوجود.

وقـد أشبـع العلماء هذا الحـديث بحثـاً، ونكتفي هنا بالإشارة إلى أن نص الحديث ينفي وحـدة الـوجـود! إذ لو كانت وحـدة الـوجـود موجودة، لكان الله (سبحانه عما يصفون) سمع الإنسان وبصره ويده وكله! سواء أحبه أم لم يحبه، وقبل أن يحبه وبعد أن يحبـه، وفي جميـع الأحـوال، ولا تكون هناك حاجة لأداء الفروض والنوافل، ولا لأي شيء أبداً لتحقق ذلك.

وكـون هذا الـوصف: «كنت سمعـه . . . وبصـره. . .» لا يتحقق إلا بعـد أداء الفـروض والتقـرب بالنـوافل. . . ثم بعد أن يحبه الله، يعني بكل وضوح أن هذا لم يكن قبـل أن يحبـه الله، أي: إن هذه المـزيـة (كـون الله تعـالى سمـع المـرء . . . وبصـره. . .) هي غير متحققـة في الإنسان العادي، وبذلك تنتفي وحدة الوجود، وينتفي معها فهمهم الخاطىء.

ويكـون معنى الحـديث: إن الله سبحـانـه إذا أحب العبـد أعـانه إعانة تامة في كل شيء، ولا يكله إلى نفسه أبداً في أي شيء، وطبعاً تكون إعانة الله للعبد كما يريد الله سبحانه لا كما يريد العبد.

١٥ ـ الصـوفيـة أنفسهم يعلمـون علم اليقـين أن وحـدة الوجود هي كفر وزندقة بالنسبة للشريعة، ولذلك يُتاقون ويكتمونها عن غير أهلها ويتواصون بذلك.

● **النتيجة:**

وحدة الوجود كفر مبين، ومعتقدها كافر مبين، كافر حسب الشريعة، وكافر حسب الحقيقة الحقة التي هي الشريعة الإسلامية، له في الدنيا عقوبة المرتد عن الإسلام، وله في الآخرة عذاب أليم، إلا أن يتداركه الله سبحانه بلطفه وعفوه.

والصوفي الحق هو الذي يبطن وحدة الوجود، ويظهر التمسك بالشريعة، وهو منافق حقًّـا، بل هو شر أنـواع المنـافقين، وليكن مطمئناً (من مقام الطمأنينة) أن مقامه الحقيقي

هو في الدرك الأسفل من النار إن لم يتداركه الله برحمته.

والعقيدة الإسلامية هي أن الله جل وعلا خلق الخلق من العدم، وقد مرت الآيات الدالة على ذلك، والمخلوقات هي مِن دونِ الله وغيرُه، أي إنها ليست تعينات من ذاته العلية، جل جلاله، وهو سبحانه فوق خلقه: ﴿وهو القاهرُ فوقَ عبادِهِ...﴾، ﴿الرحمٰنُ على العرشِ استَوى﴾، ﴿أأمِنْتُم مَن في السماءِ أن يَخْسِفَ بكمُ الأرضَ﴾، (والسماء هنا بمعنى العلو).

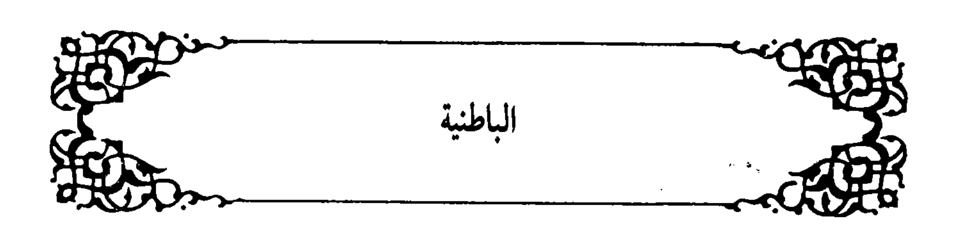
وهو سبحانه فوق السماوات، بدليل قول رسوله ﷺ معقباً على حكم سعد بن معاذ في بني قريظة: «لقد حكمت فيهم بحكم الله من فوق سبعة أَرْقِعَة»، والأرقعة هي السماوات، واحدتها «رقيع».

وقول زينب رضي الله عنها تفخر على نساء النبي ﷺ: «زوجكن أهاليكن وزوجني الله مِن فوق سبع سماوات» (رواه البخاري).

وغيرها وغيرها من الآيات والأحاديث.



الفصل الثاني:



الباطنية

ـ عرفنا من الفصول السابقة أن الصوفية عقيدة باطنية، ولا باطنية في الإسلام.

يقول سبحانه: ﴿لقدْ بَيَّنَّا الآياتِ لقومٍ يوقِنونَ﴾. ﴿قد جاءَكُم رسولٌ يبيِّنُ لكم على فَتْرَةٍ من الرُّسُلِ﴾. ﴿وما أرْسَلْنا مِن رسولٍ إلا بلسانِ قومِهِ ليُبَيِّنَ لهم﴾. ﴿لا إكراهَ في الدينِ قد تَبَيَّنَ الرشدُ من الغَيِّ﴾. ﴿لقدْ أنزلنا آياتٍ مبيناتٍ والله يهدي مَن يشاءُ إلى صراطٍ مستقيمٍ﴾. ﴿لقد جاءكُم مِن الله نورٌ وكتابٌ مبينٌ﴾. ﴿قلْ يا أيُّها الناسُ إنَّما أنا لكم نذيرٌ مبينٌ﴾. ﴿قد جاءَكُم برهانٌ مِن ربِّكُم وأنْزَلْنا إليكم نوراً مُبيناً﴾. ﴿ونزَّلْنا عليكَ الكِتابَ تِبْياناً لكلِّ شيءٍ﴾ . . . والآيات في هذا المعنى كثيرة.

ويقول ﷺ: «قد تركتكم على البيضاء، ليلها كنهارها»[1].

ـ من هذه النصوص الكثيرة، ومن عشرات غيرها، كلها واضحة جلية، نعرف أن ليس في الإسلام باطن وظاهر بالمعنى الصوفي.

ويكون الإيمان بأن في الإسلام ظاهراً وباطناً كفراً بآيات القرآن وأحاديث الرسول ﷺ، وتكذيباً لها.

(١) سنن ابن ماجة، المقدمة، حديث ٤٣.

ـ كما أن من الحقائق التاريخية، أنه لم يحدث قط وجود عقيدة باطنية في جماعة إلا إذا كانت هذه الجماعة تضمر الشر والكيد للمجتمع الذي تعيش فيه.

ولم تخرج الصوفية على هذه القاعدة، فقد رأيناها كيداً للإسلام ومكراً بالمسلمين.

ـ ويقول أحد الباحثين: حيثما وجدت الباطنية ففكر باليهودية. وفي الواقع سنرى بعد قليل أن لليهودية دوراً في نشر الصوفية بين المسلمين، وعلى كل: «الحضرة» يمكن أن تكون أثراً من آثارها، ومثلها السماع، وتقديس القبور، وبناء القبب، واستعمال السبحة، والجهر بالذكر، وهز الجذع أثناءه إلى الأمام والوراء، أو إلى اليمين والشمال، كل هذه طقوس وممارسات موجودة في اليهودية كما هي موجودة في كل الوثنيات أيضاً! وهي موجودة في الصوفية! فما هي العلاقة؟؟ مع العلم أن كل هذه الأمور لا أساس لها في الإسلام البتة.

ولن نعدم مكابراً يقول: ليس في الصوفية باطنية، لن نعدمه رغم كل كتبهم ورغم كل أفواههم، ورغم مئات الصفحات المدرجة في هذا الكتاب.

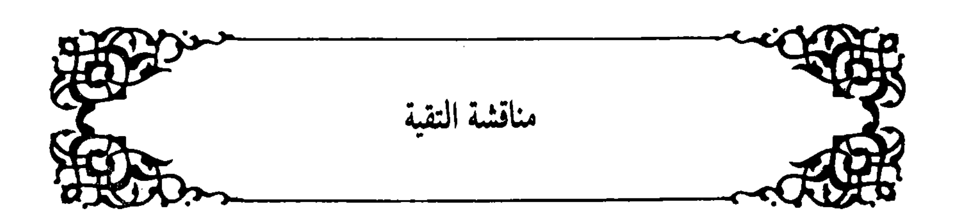
ولا جواب لنا على أمثال هؤلاء إلا أن نشكوهم إلى الله تعالى.

وللباطنية لغة اسمها «التقية»، يتعلمونها فيما بينهم، يخاطبون بها الناس، ويتسترون بها على ضلالاتهم، ويمكرون بها بالمسلمين، ويكيدون بها للإسلام، وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعاً، فإلى مناقشة التقية.

ولنتذكر قوله ﷺ: «قد تركتكم على البيضاء، ليلها كنهارها، لا يزيغ عنها إلا هالك» (إلا هالك).



الفصل الثالث:



مناقشة التقية

من فعـل: تاقى، يتـاقي، متاقاة، وتقيَّة (بتشديد الياء)، ومُجَرّدُه هو فعل تَقَى يَتْقي تقيَّة، بمعنى اتقى.

التقيـة هي لغـةُ الحـركـات الباطنية والمجال الذي تتفسح فيه ألسنتها، وفي مقدمتها الصـوفيـة، وقـد رأينـا أنهم يجعلونهـا جزءاً من حقيقتهم، وقرأنا مثل قولهم: «التقية حرم المؤمن»، و«إذا كان قد صح الخلاف، فواجب على كل ذي عقل لزوم التقية»، ومئات الأمثلة غيرها.

وهم يجعلون لها أصلاً قرآنيًا في قوله سبحانه: ﴿. . . ومَن يَفْعَلْ ذٰلك فليسَ مِن الله في شيءٍ إلا أنْ تَتَّقوا منهُم تُقاةً ويحذِّرُكُمُ الله نفسَهُ. . ﴾.

لكن الفـرق بين التقـاة التي يسمـح بها الإسـلام، وبين تقيتهم هو نفس الفرق بين الإيمان والكفر.

فالتقاة الإسلامية تكون في حالة واحدة هي: «من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان»، إذ في حالـة الإكـراه هذه فقـط يمكن للمسلم المـؤمن أن يتظاهر بما يرضي القوة التي تكرهه ريثـما يفلت منهـا، مع بقـاء قلبـه مطمئنـاً بالإيـمان، أي إنها حالة استثنائية وطارئة تضمر الإسلام وتظهر غيره.

بينما التقية الصوفية هي عكس ذلك، إذ هي أولاً: إبطان وحدة الوجود، أي: إبطان الكفر وإظهار الشريعة الإسلامية، وهذا هو النفاق عينه الذي هو شر أنواع الكفر، وأصحابه في الدرك الأسفل من النار. وهي ثانياً: قاعدة مستمرة عندهم، وليست استثناء ولا هي حالة طارئة.

إذن فهي مناقضة للإسلام تناقضاً كاملاً واضحاً لا نقص فيه ولا لبس ولا غموض.

وأسلوب التقية في الصوفية يتركب من:

الكذب، والتأويل، والمغالطة، والمراوغة، والمخادعة.

*** الكذب:-**

مر معنا في الفصول السابقة عشرات النماذج من كذبهم، وهي جرع من بحر، وبتأمل هذه النماذج، وغيرها مما في كتبهم، نرى أنها:

كذب على الله سبحانه، وكذب على ملائكته، وكذب على كتبه، وكذب على رسله، وكذب على اليوم الآخر، وكذب على القضاء والقدر (خيره وشره)، وكذب على الصحابة، وكذب على أهل الكتاب، وكذب على التاريخ...

أما الكذب على الجغرافية والفلك والجيولوجيا والفيزياء والكيمياء فهو من علومهم اللدنية التي عرفوها بالكشف الذي هو حق اليقين ونور اليقين وعين اليقين!؟

ويكفي القارىء - إذا لم يرد ترويح النفس بقراءة النصوص الكثيرة - أن يقرأ مثلاً (في فصل: نماذج من حكايات الصوفية...) النص الذي عنوانه: «وجعلوا الملائكة معاتيه ومخابيل».

*** التأويل:-**

للتأويل معنيان:

١ - المعنى المعروف في اللغة العربية والواردة به الكلمة في القرآن الكريم:

وهو - كما في «تفسير ابن كثير» -: التفسير والبيان والتعبير عن الشيء.

وهو أيضاً: حقيقة الشيء وما يؤول أمره إليه.

وبشيء من إمعان النظر في المعنيين، نرى الثاني امتداداً للأول وتكملة له، ولتوضيح ذلك:

نقرأ في الكتاب الحكيم: ﴿ليسَ كمِثْلِهِ شيءٌ وهوَ السميعُ البصيرُ﴾ و﴿إنَّا خَلَقْنا الإنسانَ مِن نطفةٍ أمشاجٍ نبتليهِ فجَعَلْناهُ سميعاً بصيراً﴾.

فالله سبحانه سميع بصير، والإنسان كذلك سميع بصير!

لكننا نعرف ـ بدهيًّا ـ وبدون أي تلكؤ، أن الله سبحانه وتعالى سميع بصير، بالمعنى الكلي الكامل المحيط للكلمتين، فهو سبحانه سميع بصير بلا حدود.

وأن الإنسان سميع بصير، بالمعنى الجزئي الناقص المحدود للكلمتين، فسمع الإنسان وبصره تحدهما عوامل كثيرة.

ومثلها: الحي، الملك، المؤمن، العزيز، الجبار... إلخ.

ومثلها الأفعال التي يمكن أن تعزى إليه سبحانه، وإلى مخلوقاته، مثل: شاء، أراد، وغيرها.

ومثلها: الأسماء التي يمكن أن تضاف إلى الخالق والمخلوق، مثل: أمر، إرادة، مشيئة... ومنها كلمة «تأويل».

فعندما تضاف كلمة «تأويل» إلى الإنسان، يفهم منها التأويل الجزئي الناقص المحدود.

أما التأويل الذي يعلمه الله سبحانه، فهو تأويل كلي كامل محيط، يشمل التفسير والبيان والتعبير عن الشيء وحقيقته، وما يؤول إليه أمره، وتفصيله الدقيق المحيط...

ومثلاً على ذلك، قوله سبحانه: ﴿اقتربتِ الساعةُ﴾.

فنحن نعرف أن تأويل: ﴿اقتربتْ﴾، (أو تفسيرها)، هو: صارت قريبة «ضد بعيدة»، لكن، ما هي مدة هذا الاقتراب؟ كم عدد أيامه وساعاته ودقائقه؟ ما هي تفصيلاته بدقة؟ وكيف يتم؟ ... إلى آخر الأسئلة، وكلها من تأويل ﴿اقتربتْ﴾،

الذي لا يعلمه إلا الله.

ونعرف أن ﴿الساعةُ﴾، هي نفخة الصور الأولى! لكن، كيف تقوم الساعة؟ ما هي عواملها بالتفصيل؟ وما هي نتائجها بالتفصيل أيضاً؟ والأسئلة كثيرة، والأجوبة عليها من التأويل الذي لا يعلمه إلا الله.

هذا هو المعنى اللغوي القرآني لكلمة «تأويل».

ومن هنا نعرف أن معرفتنا بمعاني القرآن الكريم، مهما تعمقت، تبقى ناقصة، وأن المعنى الكامل يبقى غائباً عنا، وهو ما يمكن أن يسمَّى «المعنى الباطن»، وهذا هو التأويل الذي يأتي يوم القيامة: ﴿ولقدْ جِئْناهم بكتابٍ فصَّلْناهُ على علمٍ هُدى ورحمةً لقومٍ يؤمِنونَ. هل ينظُرونَ إلا تأويلَهُ يومَ يأتي تأويلُهُ يقولُ الذينَ نَسوهُ مِن قبلُ قد جاءت رسلُ ربِّنا بالحقِّ فهل لنا مِن شُفعاءَ فيَشْفَعوا لنا أو نُرَدُّ فنَعْمَلَ غيرَ الذي كنا نعملُ قد خَسِروا أنفُسَهم وضلَّ عنهُم ما كانوا يَفْتَرونَ﴾، كما أن دخول أهل الجنة الجنة وأهل النار النار هو أيضاً من تأويله.

٢ ـ المعنى الاصطلاحي الذي تتبناه الحركات الباطنية، من صوفية وغيرها، والذي هو موضوع بحثنا:

وهو إعطاء الكلمة معنى يخالف المعنى اللغوي والشرعي المجمع عليه في كتب اللغة والأصول، ويتفق مع العقيدة الباطنية للمؤولين، يفتشون فيه، أو فيها (في اللفظ أو في الجملة) عن أي شيء يمكن أن يكون رمزاً أو إشارة إلى شيء من العقيدة الباطنية، فيبرزونه، موهمين أنه المعنى الحقيقي.

وفي التقية الصوفية، نواجه نوعين من التأويل:

■ تأويل نصوص القرآن والسنة لتتفق مع باطلهم، ويسمونه أيضاً «التفسير الإشاري»، نذكِّر ببعضها:

ـ (لا إله إلا الله)، تأويلها: لا موجود إلا الله.

ـ و ﴿إن إلى ربك الرجعى﴾، تأويلها: إن المخلوقات ترجع إلى ربها الذي صدرت عنه لتندمج فيه.

- ﴿الـذين يذكـرون الله قيـامـاً وقعوداً وعلى جنوبهم﴾، تأويلها: عبارة: ﴿يذكرون الله﴾، يدخـل فيهـا ترديـد كلمة: «الله حي» بتقاطيعها لا بألفاظها. وعبارة: ﴿قياماً وقعوداً﴾ تشير إلى القفز، وبذلك تكون الآية مشيرة إلى الحضرة الصوفية! وينسون طبعاً أو يتناسون عبارة: ﴿وعلى جنوبهم﴾!

- . . . ﴿قل الروح من أمر ربي﴾: معنى كونه ربانيًّا أنه من أسرار علوم المكاشفة ولا رخصة في إظهاره إذ لَمْ يظهره رسول الله ﷺ[1]. .

- ونـزيـد في التأكيـد بإضـافـة نص للغـزالي في «إحيـائه»، مر في مكان سابق من هذا الكتاب. يقول:

. . . ثم إذا انكشفت لهم أسرار الأمور على ما هي عليه، نظروا إلى السمع والألفاظ الواردة، فما وافق ما شاهدوه بنور اليقين قرروه، وما خالف أولوه[2]. . .

إذن، فهم يؤولون نصوص القرآن والسنة التي تخالف كشفهم! وهذا يعني:

أ ـ لا يؤمنون إلا بكشوفهم وهلوساتهم كمصدر للاعتقادات والعبادات.

ب ـ ينكرون المعنى الصحيح للنص القرآني أو السني، ويرفضونه.

ج ـ يخافون من إعلان هذا الرفض لأنه يجرد عليهم سيف الردة (سيف الحلاج).

د ـ لذلـك يتظـاهـرون بالإيـمان بنصوص القرآن والسنة المخالفة لكشوفهم، ولكنهم يقولون: إن لها معنى باطناً، هو معناها الصحيح.

هـ ـ يفتشون في النص عن أي شيء يمكن أن يروا فيه إشارة أو رمزاً لما يعتقدون.

و ـ يسلطون الأضواء على هذا الشيء، ويبرزونه، وكأنه المعنى الحقيقي للنص!

ز ـ وإذا لم يستطيعوا إقنـاع الآخـرين لقبـول تأويـلاتهم، عمدوا إلى خدعة أخرى؟ فقالوا عن المعنى الصحيح للنص: إنه المعنى الظاهر! وقالوا عن تأويلهم الباطل: إنه المعنى الباطن!

---

(١) إحياء علوم الدين: ٣ / ٢٤٣.

(٢) إحياء علوم الدين: ١ / ٩٢.

والنتيجة :

تأويل نصوص القرآن والسنة، هو كفر صراح بالنصوص، وأسلوب للتخلص من عقوبة هذا الكفر، وخداع للمسلمين لجرهم إلى ضلالات التصوف.

■ النوع الثاني من التأويل الذي يمارسه المتصوفة في كل مناسبة هو تأويل ضلالاتهم، وتأويل نصوصهم الدالة على ضلالاتهم لإظهارها وكأنها لا تخالف الشريعة الإسلامية. يفعلون ذلك لأهداف :

أ ـ التستر على باطلهم، والتظاهر بأنهم لا يخالفون القرآن والسنة!

ب ـ الضحك على أذقان المغفلين لئلا يتهموهم بالكفر والزندقة.

ج ـ خداع المسلمين لإقناعهم أن الصوفية من الإسلام، ثم جرهم إليها.

د ـ خداع الذين لا يقتنعون بضلالات الصوفية، ليتركوا تلك النصوص تسري بين المسلمين بهدوء ليستطيعوا هم أن ينصبوا شباكهم بهدوء، ويصيدوا بها فرائس جديدة بهدوء. وبهذه الفرائس الجديدة يزيد مدد الشيخ وتستمر مسيرة الكهانة. وبهذه الفرائس الجديدة تزداد قناعة المجاذيب بأن جذباتهم التحشيشية الإشراقية هي فتوحات إلهية، وبأن هلوساتهم هي نور اليقين وعين اليقين وحق اليقين.

وغَفلة المسلمين جعلت المتصوفة يتمادون بالقول بالتأويل! فكلما جئتهم بنص من نصوصهم الضلالية، قالوا لك: هذا له تأويل! فنقول:

إن هذا التأويل، والقول بهذا التأويل، هو كفر وزندقة وردة، وهو كيد للإسلام ومكر بالمسلمين، وضحك على ذقون المغفلين لجرهم إلى أحضان الشياطين، ثم إلى جهنم وبئس المصير.

● **الخلاصة :**

للكفر مدخلان :

١ ـ رفض ما جاء به محمد ﷺ بصراحة. وهذا كفر فيه صدق ووضوح.

٢ ـ تأويل ما جاء به محمد، أو بعض ما جاء به. وهذا رفض متستر، وهو كفر فيه خبث

ومكر وكيد وخداع، فهو شر من الكفر الأول.

*** المغالطة والمراوغة والمخادعة :-**

سنورد صُوراً سريعة من مغالطاتهم ومراوغاتهم ومخادعاتهم، حيث يأتي في قمتها أمران :

- الطريقة البرهانية الغزالية، أي: مزج الإسلام بالتصوف، وهوما اعتادوا على تسميته بالتصوف السني.

- التأويل الاصطلاحي.

وتكاد كل خدعهم ومغالطاتهم ومراوغاتهم أن تكون فروعاً لهاذين الأصلين، منها :

- لو قال قائل : إن الصوفية كفر، لسمع أجوبة كثيرة مثل : الذي يصلي ويصوم ويقرأ القرآن . . . هل هو كافر؟

الجواب : إن الصلاة والصيام وقراءة القرآن ليست من الصوفية، بل هي من الإسلام الذي مزج به التصوف. والخمر لا يصير طيباً ولا حلالاً إذا مزج بالماء أو بالعسل، بل يبقى خبيثاً ومحرماً. وكذلك الصوفية تبقى زندقة وكفراً ولو مزجت بالصلاة والصيام وقراءة القرآن والزكاة والقتال مع المجاهدين في سبيل الله . . .

- من المغالطات أن نسمع من يتظاهر بنقد التصوف، ويقول برزانة : إنهم يبالغون في التعبد، والمبالغة في التعبد ليست حراماً، ولكنها قد تثير الملل عند بعضهم . . .

- مما يرددونه دائماً وبعناد قولهم عن الآية : ﴿الذينَ يذكرونَ الله قياماً وقُعوداً وعلى جُنوبِهِم﴾، تعني الحضرة الصوفية!

الجواب : لا تساعد اللغة العربية على هذا الفهم، كما لم يفهمها أصحاب رسول الله ﷺ كذلك، ولا التابعون ولا تابعوهم. ومعنى الآية هو أن يذكر المسلم الله في جميع الحالات.

- لو عرضت عليهم أحد النصوص الصوفية المشحونة بالكفر والزندقة، فسترى الجواب حاضراً : «هذا له تأويل!!»، أو يقولون : «هذا مدسوس».

ـ وهذه صورة من أساليبهم في المراوغة، يتسلى القارىء بتحليلها، يقول ابن عجيبة:

. . . ولـذلـك كان النظـر في الكتب يضعف المسالك لتشعبها وكثرتها عند اختلاف الهمم، لا سيـما من جُبلت طبيعتـه على علم الظـاهر، فإنه أبعد الناس عن الطريق ما لم يدَّاركـه الله بفتـح منـه، لأن التشـريع كلُّ حكْمة منها تحتها حِكَم، مَن لم يفهمها فبستانه مزهـر غير مثمـر، ومن هنـا وقـع الإنكار، حتى امتحن الله كثيراً من الصوفية على أيدي علماء الظـاهـر عندما نسبوهم للكفر والزندقة والبدعة والضلال! وسر الخصوصية يقتضي ذلك لا محالة، سنة الله التي قد خلت من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلاً. ولو جعلناه ملَكاً لجعلنـاه رجـلاً وللبسنـا عليهم ما يلبسون. وما هلكت الأمم السابقة إلا بقولهم إنا وجدنا آبـاءنـا على أمـة وإنـا على آثارهم مقتدون. فتحصَّل أن الإنسان إذا جال مع النفس في ميدانها فجاهدها حتى هذبها وطهرها من الأوصاف الحاجبة لها، رجعت نفسه حينئذ إلى أصلهـا، وهي الحضـرة التي كانت فيهـا، إذ لم تكن بينهـا وبـين الحضـرة إلا الحجب الظلمانية، فلما تخلصت منها رجعت إلى أصلها نوراً مشرقاً[1]. . .

ـ نترك للقارىء التسلية بتحليل ما فيها من المخادعات والمغالطات، لكن ننبه إلى نقطة واحدة فقط، هي قوله: «حتى امتحن الله كثيراً . . . وسر الخصوصية يقتضي ذلك لا محالة، سنة الله التي قد خلت من قبل . . .»، فنقول له:

هذا افـتراء على الله الكـذب، فأكثـر من نصف سكـان الأرض يؤمنـون بسـر الخصـوصيـة، هذا الـذي تدعيـه، ولم يمتحنوا لا هم ولا كهانهم، فالأيونيون والرواقيون والإيلوسيـون والغنـوصيون والهنادكة والبوذيون والطاويون وغيرهم، كلهم كانوا وما زالوا يحترمون كهانهم الذين تحققوا بسر الخصوصية ويبجلونهم، ولم يُمتحن أصحاب هذا السر إلا في الإسلام!

لذلك، فإما أن يكون أصحاب سر الخصوصية كفاراً زنادقة، أو يكون الإسلام غير صحيح، ولا ثالث لهاذين الاحتمالين.

---

(١) إيقاظ الهمم، ص٣٤٩.

ـ ومن مغالطاتهم، قول محمد المهدي الصيادي (الرواس): «ومما لا يلتفت إليه التشدق بها أبهمه وأوهمه المبتدعة أهل الوحدة المطلقة[1]...».

هذا القول هو مثل قولهم: «علومنا مقيدة بالقرآن والسنة»، ومثل قول قائلهم: «لا يكون الصديق صديقاً حتى يشهد له في حقه سبعون صديقاً أنه زنديق، لأن الصديق يعطي الظاهر حكم الظاهر والباطن حكم الباطن»، ويحمل نفس معنى العبارة: «اجعل الفرق في لسانك موجوداً والجمع في جنانك مشهوداً»، وأترك تحليلها للقارىء، مع التذكير بأن أهل الوحدة المطلقة هم الذين يصرِّحون بوحدة الوجود ولا يقيِّدون عباراتهم بالرمز واللغز.

ـ ومن أساليبهم في المغالطة قول عبد الكريم الجيلي:

... فلا بد لمَنْ يقصد معرفة علمنا هذا.. أن يقيس العلوم الواردة إليه على الأصول المشروعة التي قد ثبتت بالكتاب والسنة والإجماع، فما وجده من تلك العلوم موافقاً للشريعة فيقصده ويتجلى به، وما وجده مخالفاً توقف عن استعماله إلى أن يفتح الله على ما يؤيده من الشريعة، فيستعمله حينئذ[2]...

لملاحظة المغالطة هنا يجب أن ننتبه إلى قوله: «وما وجده مخالفاً توقف عن استعماله إلى أن يفتح الله على ما يؤيده من الشريعة».

إذن، فما يخالف القرآن والسنة ليس كفراً، ولا يجب تركه ونبذه، وإنما يتوقف فقط عن استعماله ريثما يفتح الله عليه (تعالى الله عن الخداع)، بنص يمكن تأويله بما يوافق المخالفة.

ـ ومن مغالطاتهم ومراوغاتهم قول الجيلي نفسه:

... ثم قال الإمام الأكمل: كل حقيقة لا يؤيدها شريعة فهي زندقة، يريد أن كل علم يَردُ عليك من الحقائق التي لا تؤيدها الشريعة، فاستعمال ذلك العلم زندقة منك، لأنك تفعل خلاف الشرائع، لأن الحقائق فيها زندقة، إذ ليس في الحقائق مسألة إلا وقد أيدها الكتاب والسنة[2]...

---

(١) فصل الخطاب، ص٢٠٣.

(٢) المناظر الإلهية، ص٩.

أرجو من القارىء أن ينتبه إلى قوله: «فاستعمال ذلك العلم زندقة منك . . .»، وأن يحلل بنفسه المغالطة والمراوغة في هذه العبارة وفي النص كله.

ـ ومن أشهر مغالطاتهم قولهم بالدس عليهم، وهذا مثل منها:

يقول عبد الوهاب الشعراني:

. . . وكان (ابن عربي) متقيداً بالكتاب والسنة . . . وجميع ما عارض من كلامه ظاهر الشريعة وما عليه الجمهور فهو مدسوس عليه، كما أخبرني بذلك سيدي الشيخ أبو الطاهر المغربي نزيل مكة المشرفة، ثم أخرج لي نسخة «الفتوحات» التي قابلها على نسخة الشيخ التي بخطه، في مدينة قونية، فلم أر فيها شيئاً مما كنت توقفت فيه وحذفته حين اختصرت «الفتوحات»[1].

ـ جوابنا: لم يبين لنا القطب الرباني شيئاً من هذه المدسوسات. ثم إن كل ما في «الفتوحات» يدور حول وحدة الوجود، إما تصريحاً، أو بالعبارة الصوفية، ولو حذفناها لما بقي من «الفتوحات» شيء! فما الذي يمكن أن يدس عليها؟ وهل يحتاج البحر الميت إلى دس الملح عليه ليغدو ملحاً؟؟ ثم إن الفتوحات لا يطبعها إلا المتصوفة وأقطابهم، ولا يهتم بدراستها إلا المتصوفة وأقطابهم، فلِمَ لا يحذفون هذا المدسوس؟ . . . والأسئلة كثيرة.

ـ ويتمم الشعراني مراوغاته:

وقد دس الزنادقة تحت وسادة الإمام أحمد بن حنبل في مرض موته عقائد زائغة، ولولا أن أصحابه يعلمون منه صحة الاعتقاد لافتتنوا بما وجدوه تحت وسادته.

وكذلك دسوا على شيخ الإسلام مجد الدين الفيروزبادي صاحب «القاموس» كتاباً في الرد على أبي حنيفة وتكفيره، ودفعوه إلى أبي بكر الخياط اليمني البغوي، فأرسل يلوم الشيخ مجد الدين على ذلك، فكتب إليه الشيخ مجد الدين: إن كان بلَغك هذا الكتاب فأحرقه فإنه افتراء من الأعداء، وأنا من أعظم المعتقدين في الإمام . . .

---

(١) اليواقيت والجواهر: ١ / ٦.

الجواب على هذا الكلام (مع غض النظر عن صدقه أو كذبه):

عرف أصحاب أحمد بن حنبل العقائد الزائفة المدسوسة فنبذوها، ولم يبق لها أثر، فلِمَ لا تفعلون مثل ذلك وتنبذون ما في كتب المتصوفة من وحدة الوجود وأساليب التقية، وخداع المسلمين؟؟ لمَ لا تفعلون ذلك؟ إذ لو فعلتم ذلك لأصبحت كتب الصوفية شبه بيضاء.

- يتمم:

وكذلك دسوا على الإمام الغزالي عدة مسائل في كتاب «الإحياء»، وظفر القاضي عياض بنسخة من تلك النسخ فأمر بإحراقها.

وكذلك دسوا عليَّ أنا في كتابي المسمى بـ «البحر المورود» جملةً من العقائد الزائفة وأشاعوا تلك العقائد في مصر ومكة نحو ثلاث سنين، وأنا بريء منها...

- نقول: بمثل هذا يخادعون الذين آمنوا ويغالطونهم ويستجرونهم إلى ظلمات التصوف، أو على الأقل يوهمونهم أن المتصوفة مظلومون مكذوب عليهم. والقول بأنهم دسوا على الغزالي مسائل في «الإحياء» هو كذب. وقوله: إنهم دسوا عليه في «البحر المورود» هو كذب، ومثل هذا الكذب يدل على أن قائله لا يخاف الله ولا يرجو اليوم الآخر، مع العلم أن كتاب «الإحياء» الذي أمر القاضي عياض بإحراقه هو نفس هذا المتداول بين الأيدي الآن.

- ومن أبشع مغالطاتهم ومخادعاتهم في كتبهم التي يترجمون فيها لأعيانهم، أنهم يوردون قبل كل شيء أسماء كبار الصحابة على أنهم من أولياء الله المتصوفة ثم يوردون أسماء كهانهم، ويخلطون معهم علماء أجلاء مثل ابن حنبل أو الشافعي أو الثوري أو العز بن عبد السلام أو ابن الجوزي أو غيرهم، فيوهمون الغافلين ويستجرونهم إلى أحضان إبليس.

- وهذا نص من كتاب حديث العهد، قد يزيد عدد الأكاذيب فيه عن عدد سطوره:

«ولما كان أهل الله هم أهل الرحمة الواسعة، وهم أهل الفتوة والشفقة على عباد الله عامةً، فما بالك بمن وقع فيهم من الأمة المحمدية خاصة، سواء كان هذا الوقوع منهم

عن قصد أو خطإ في الاجتهاد، فإلى الإمام ابن تيمية ومقلديه مِن أصحاب سوء الظن بعباد الله، أنقلُ هذه العبارة من «الفتوحات المكية» الجزء الأول الصفحة ٦١٦:

يقول الشيخ الأكبر: «إن من فتوة أهل هذا الطريق ومعرفتهم بالنفوس أنهم إذا كان يوم القيامة، وظهر ما لهم من الجاه عند الله، خاف منهم من آذاهم هنا في الدنيا...».

ـ للقارىء أن يتسلى بتحليل هذا النص، لمعرفة ما فيه من افتراء على الله سبحانه ومخادعة ومراوغة ومناقضة للقرآن والسنة وتعالم بالغيب.

لكن هذا الإصرار على الكيد للإسلام والمكر بالمسلمين، بأسلوبه العميق الهادىء الأملس المتلوي الذي يحشو زعاف السم في برشامات جميلة المظهر مكتوب عليها: «أهل الله، أهل الرحمة، الشفقة على عباد الله..»، هذا الإصرار بهذا الأسلوب الخبيث يجعلنا نتوجه إلى الله سبحانه بقلوبنا وكل حواسنا سائلين إياه أن يهدي هذه الطائفة الضالة المضلة، أو أن يكبتها فيقف كيدها ومكرها بالإسلام والمسلمين.

ـ ومن الملاحظات: يتحدث عن أهل الله الذين هم أهل الرحمة... والجواب:

نعم يوجد في بني آدم من هم من أهل الله ومن أهل الرحمة... ولكن ما هو برهان هذا الدعي أنهم هم المتصوفة؟ وهل تكفي وسوسات إبليس للبرهنة على ما يدعيه؟!

ـ ثم هو يهاجم بأسلوب فيه نعومة أولئك الذين يسميهم: «أصحاب سوء الظن بعباد الله..»، والجواب:

إن الذين يحكمون على التصوف بأنه مستنقع الكفر والزندقة والضلال، إنما يعتمدون في ذلك على النصوص المبينة من القرآن والسنة، وعلى مخالفة الصوفية الواضحة وضوح الشمس في رائعة نهار مشرق لهذه النصوص، جملة وتفصيلاً، وعلى التزام المتصوفة بالكذب الفاجر الذي لا حدود له، عندما يقولون دون خوف من الله تعالى ولا خجل من عباده: إنهم ملتزمون بالقرآن والسنة! بينما هم في الحقيقة ملتزمون بهلوسات الجذبة التي يسمونها الكشف.

فهل المسلمون الذين يبينون للناس هذا المنكر الماحق، هم من أصحاب سوء الظن بعباد الله؟!

إن إحسان الظن واجب عندما يتعلق الأمر بمسائل شخصية بحتة..

أما إن كان يمس دين الإسلام وأمة الإسلام، فإحسان الظن والسكوت هما دخول في لعنة الله: ﴿لُعِنَ الذينَ كَفَروا مِن بني إسْرائيلَ على لسانِ داودَ وعيسى بنِ مريَمَ ذٰلك بما عَصَوا وكانوا يَعْتَدون، كانوا لا يَتَناهَوْنَ عن منكرٍ فَعَلوهُ لَبِئْسَ ما كانوا يَفْعَلونَ﴾.

وواجب المسلم العمل على إزالة المنكر، وواجب أصحاب المنكر أن يسرعوا في ترك المنكر مع التوبة الاستغفار، فإن أصروا على منكرهم وعلى الدعوة إلى منكرهم! فهل يستطيع مسلم يخاف الله ويرجو اليوم الآخر أن يحسن الظن بهم؟!

- ثم يورد المؤلف قول شيخه الأكبر: «إن من فتوة أهل . . . وظهر ما لهم من الجاه عند الله، خاف منهم من آذاهم. . .» والجواب:

أ - إن تزكية النفس هي من كبائر الإثم: ﴿ألَمْ تَرَ إلى الذينَ يُزَكُّونَ أنْفُسَهُم بل الله يزكِّي مَن يشاءُ ولا يُظْلَمونَ فَتيلاً. انظُرْ كيفَ يَفْتَرونَ على الله الكَذِبَ وكَفَى بِهِ إثْماً مُبيناً﴾، ﴿فلا تُزَكُّوا أنفُسَكم هو أعلَمُ بمَنِ اتَّقى﴾، ﴿وما أدْري ما يَفْعَلُ بي ولا بِكُم إنْ أتَّبِعُ إلا ما يُوحى إليَّ﴾.

ب - قوله هذا هو، على كل حال، أمر غيبي لا يُعرف إلا بنص من القرآن والسنة، ونصوص القرآن والسنة تحكم عليهم أنهم من أضل عباد الله.

- وهذا نص آخر من نفس الكتاب الذي قد يزيد عدد الأكاذيب فيه عن عدد سطوره، يقول:

وكان الشيخ أبو مدين . . . إذا قيل له: قال فلان عن فلان عن فلان، يقول: «ما نريد نأكل قديداً، ائتوني بلحم طري»، وفي رواية: «أطعمونا لحماً طريًّا، كما قال الله تعالى: ﴿لتأكُلوا منهُ لَحْماً طَرِيًّا﴾، لا تطعمونا قديداً».

يعلق المؤلف فيقول: أي لا تنقلوا إلينا إلا ما يُفتح به عليكم في قلوبكم، لا تنقلوا إلينا فتوح غيركم. . .

- الجواب: نستطيع أن نعرف المغالطة في هذا الأسلوب والمخادعة، إذا عرفنا أنهم يعتقدون أن الوحي الذي كان ينزل على محمد هو فتوح مثل فتوحهم.

ـ وكـل كتبهم هي من مخادعـاتهم ومـراوغاتهم، وفي مقدمتها: «اللمع» (ولو أنصف لسماه الظلم)، و«إحياء علوم الدين» (ولو صدق لسماه إحياء علوم الكهانة)، و«الرسالة القشـيريـة» (رسـالـة الضـلال والـدجـل)، و«الحكم العطـائية» (التي هي نقم ضلالية كفرية)، مروراً بكل كتبهم حتى الوصول إلى الحديث منها، وإلى ما سيؤلف في آت من الزمن.

إن كل كتاب جديد يؤلف في التصوف، إنما هو أسلوب جديد في المخادعة والمراوغة والدجل يقدمه مؤلفه ليدعم به مسيرة الكهانة في الأمة الإسلامية.

ومثلاً منها: كتاب من كتبهم الحديثة التي يقتنونها بنشاط، نرى عناوين فصوله كما يلي:

ـ **التعـريف**: نقـرؤه فلا نجد فيه شيئاً من التعريف، وإنما نجد جملاً دعائيه يزينون بها الصوفية للقارىء ليخدعوه ويضللوه.

ـ **الاشتقـاق**: نقـرؤه فلا نجـد فيـه أي بحث علمي صحيح عن الاشتقاق إلا جملاً للدعاية للصوفية.

ـ ثم نقـرأ ـ كما في كل كتبهم ـ فصـولاً عما يسمـونـه المقـامـات، مثـل التوبة والزهد والـورع والتـوكـل . . . إلى آخـر ما هنـالـك، وهي كما رأينـا، لا علاقة لها بالطريقة ولا بالحقيقـة، وإنـما هي أسـاليب دعـائيـة يزينـون بها الـدعاية للصوفية بأسلوب ماهر ذكي يخدعون به القارىء الذي يجهل ما هي الصوفية.

ـ ومن أسـاليبهم النـاعمـة في المغـالطـة، إيـرادهم قصصاً عن بعض شيوخهم تظهر تمسكهم بالإسلام أو ببعض سننه، وكيف أنهم ينفرون من الإخلال بالآداب الإسلامية، ويجعلون هذا دليلاً على صحة الصوفية.

والجواب: إن التمسك بالتعاليم الإسلامية وسننها وآدابها هو من الإسلام وليس من الإشراق، والتمسك بالإسلام وآدابه لا يجعل الإشراق إحساناً، ولا الزندقة إيماناً، وهم عندما مزجوا الإشراق بالإسلام أساؤوا إلى الإسلام ولم يغيروا شيئاً في الإشراق.

ـ ومن أساليبهم الناعمة في المغالطة: ذكرهم لبعض الطرق التي عمل بعض أتباعها

أو مشايخها على نشر الإسلام بين غير المسلمين، أو قاتلوا الاستعمار وجاهدوا لإعلاء كلمة الإسلام.

والجواب على هذا مثل الجواب على سابقه، هو أن العمل على نشر الإسلام والجهاد في سبيل الله هو من تعاليم الإسلام ولا علاقة له بالإشراق، ويبقى الإشراق زندقة وكفراً ولو جاهد أصحابه في سبيل الله، ويبقى مزج الإشراق بالإسلام ضلالاً بعيداً وإساءة كبرى للإسلام وتدميراً للعقيدة في نفوس المسلمين. وهل يصبح الزنا (مثلاً) ولاية إذا مزجه مازج بالإسلام؟!



□ الوحدة المطلقة :

الـوحـدة المطلقـة هي التصـريـح بوحـدة الـوجـود بالعبارة المطلقة، أي غير المقيدة بالإشـارة والـرمز واللغز، وهذا هو الكفر والزندقة عندهم؛ وهم لا يعنون بالكفر والزندقة الخـروج من الـولايـة والصـديقيـة، لا، وإنما يعنون بها أنها كفر وزندقة بالنسبة للشريعة (التي هي الظـاهـر) لا بالنسبـة للحقيقـة، إذ هي عنـدهم، بالنسبـة لحقيقتهم، ولايـة وصـديقيـة وقـرب ومعرفة لكن يجب أن تبقى مكتومة وألا يعبر عنها إلا بالعبارة الصوفية، وهم في واقـع الأمـر يستعملون عبـارة «الـوحـدة المطلقـة للخداع والتضليل والتهرب من سيف الحلاج.

وقد مر معنا قول قائلهم: إن الجنيد والشبلي أفتيا بزندقة الحلاج وبقتله، وهما يعلمان أنـه ولي الله حقًّـا، كما رأينـا قول عارفهم الغوث: «وبويعت في الحضرة على التباعد عن أنـاس ابتُلوا بالانتقـاد والاعتراض على أولياء الله تعالى، وذلك فيما يقبل التأويل»! وهو يعني بهذا أن العبارة الصوفية يجب أن تكون قابلة للتأويل ليمكن بذلك خداع المسلمين! أما إن لم تكن قابلة للتأويل فالذنب ذنب الصوفي عندئذ، لأنه سيكون من أهل الوحدة المطلقة، الذين لا يقيدون عبارتهم بالإشارة والرمز واللغز التي تجعل التأويل ممكناً، والتي هي مجن الطـريقـة الـبرهـانيـة الغـزالية التي تترست به، فاستطاعت أن تخدع المسلمين وعلماء المسلمين طيلة تسعة قرون أو تزيد، واستطاعت بذلك أن تصل إلى غاية إبليس من ورائها بتحريف العقيدة الإسلامية في النفوس، ودفعها إلى التخبط في ظلمات بعضها فوق بعض، وإيصال المجتمعات الإسلامية إلى ما هي عليه من فساد وضياع.

ومثال ممن يقولون عنهم إنهم من أهل الوحدة المطلقة «ابن سبعين» لمثل قوله:

كم ذا تموه بالـشـعـبـين والـعـلـم   والأمـر أوضـح من نار على علم

فهـو يطلب ترك التمـويـه بالإشارة والرمز (كم ذا تموه بالشعبين والعلم)، ويدعو إلى الصـدع بحقيقتهم التي هي في نظـره أوضـح من نار على علم. وقـولهم عنه إنه من أهل الوحدة المطلقة لا يعني مطلقاً أنهم لا يعتقدون بولايته العظمى وقطبيته، هذا إن لم يكونوا يعتقدون بغوثيته.

ومثله عمر بن الفارض، لمثل قوله:

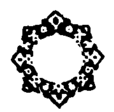
وصـرح بإطـلاق الجـمال ولا تقـل بتـقـيـيـده ميـلاً لزخـرف زيـنـة

وكلنا يعلم أن عمر بن الفارض عندهم هو سلطان العاشقين، حتى قال فيه شاعرهم:

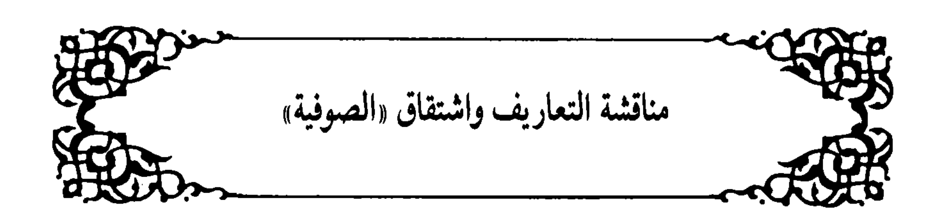
لم يبـق صيـب مزنـة إلا وقـد وجبـت عليـه زيـارة ابـن الفـارض

ومن المشيخات الصوفية التي يجعلونها من أهل الوحدة المطلقة «الطريقة السبعينية»، لأن ذكرهم كان: «ليس إلا الله» بدلاً من: «لا إله إلا الله»، لأن عبارة: «ليس إلا الله» تصرح بوحدة الوجود، ولا تقيدها بالإشارة والرمز واللغز.

وأعيـد القـول: إنهم يعنون بعبارة «الوحدة المطلقة» أي الوحدة غير المقيدة بالإشارة والرمز واللغز.



الباب الرابع : مناقشات ودراسات مختلفة



مناقشة التعاريف واشتقاق «الصوفية»

□ التعاريف:

كثيراً ما تورد كتب التصوف تعاريف للصوفية.

وكل تعاريفهم ليس فيها شيء من التعريف، إلا لافتات دعائية، هي عبارات مرموزة منمقة لا يفهمها إلا المتمرس بأساليبهم، ومع ذلك فهي بعيدة عن أن تكون تعاريف، وهذه أمثلة منها:

- التصوف: علم تعرف به أحوال تزكية النفوس، وتصفية الأخلاق، وتعمير الظاهر والباطن لنيل السعادة الأبدية.

- التصوف: استعمال كل خلق سني، وترك كل خلق دني.

- التصوف كله أخلاق، فمن زاد عليك بالأخلاق، زاد عليك بالتصوف.

- التصوف: علم يعرف به كيفية ترقي أهل الكمال من النوع الإنساني في مدارج سعاداتهم.

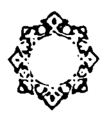
هذه نماذج من تعاريفهم، لو قرأها القارىء ألف مرة وألف مرة وألف مرة لما استطاع أن يتوصل إلى معرفة أي شيء عن الصوفية.

على أن المتمرس بأساليبهم يعرف أن عبارتي «تزكية النفوس، وتصفية الأخلاق»

تعني التخلص من الشعور بالمخلوقية (أو العبودية) وتوابعها. وأن «السعادة الأبدية» تعني ذوق الألوهية (أو استشعار الألوهية، أو الفناء في الله)... وكذلك معنى بقية العبارات.

وبدون إطالة، التعريف الصحيح هو:

الصوفية هي رياضات يقوم بها السالك حتى يصل إلى الجذبة، حيث يرى - بتأثير إيحاءات شيخه المؤله - رؤى يتوهم في بعضها أنها تحقق بالألوهية، وبالتالي استشعار لوحدة الوجود.



□ اشتقاق كلمة الصوفية :

كتبوا وقالوا كثيراً عن أصل الاسم «الصوفية» فكان مما كتبوا :

الصوفيـة من الصـوفة ، (أي : كالصوفة المطروحة استسلاماً) ، وقيل : من الصفَّة ، وقيـل : من الصِّفَـة ، وقيـل : من الصفـاء ، وقيل : من الصفوة ، وقيل : من صوفة (لقب رجل في الجاهلية) ، وقيل : من الصوف ، وقيل : من الصوفانة (بقلة زغباء قصيرة) .

وهم غير متفقـين في شيء منهـا ، بل إن كل واحـدة منهـا مردودة أو مرفـوضـة من أكثرهم ، وهذا يريحنا من مناقشتها ، فهي كلها غير صحيحة ، وهي كلها عبارات دعائية .

ونكتفي بإيـراد كلمـة للقشـيري أوردهـا ابن خلدون في فصـل «علم التصوف» في مقـدمتـه ، يقـول : «لا يشهـد لهذا الاسم ـ أي التصـوف ـ اشتقاق من جهة العربية ولا قياس ، والظاهر أنه لقب» . .

وقـد تحمس بعض البـاحثين ـ منهم زكي مبارك مثلاً ـ لكلمة «الصوف» وأنهم نسبوا إليه لأنهم كانوا يلتزمون بلبسه .

إن صح هذا الاشتقـاق ، فقـد بنـوا بنيـانهم على باطـل؟ فليس في لبس الصـوف فضيلة ، وليس في الانتساب إليه شرف! وذلك للأسباب التالية :

أ ـ عدم التأسي بالرسول ﷺ :ـ

في البخاري ومسلم (لباس) عن أنس : كان أحب الثياب إلى النبي ﷺ أن يلبسها الحبرة .

وجـاء في شرحهـا للحـافظ ابن حجر في الفتح : « . . وقال ابن بطال : هي من برود اليمن تصنع من قطن . . . » .

إذن فقد كان أحب الثياب إلى الرسول ثياب قطن، لا ثياب صوف، والتأسي به ﷺ يقتضي لبس ثياب قطنية، أو لبس ما يوجد ـ عدا المحرم ـ كما كان يفعل ﷺ، ولبس الصوف ليس من التأسي به، فليس فيه فضيلة.

بل قد أورد ابن القيم رحمه الله في كتابه «زاد المعاد»: (١ / ١٤٤) عن عائشة رضي الله عنها: «أنها جعلت للنبي ﷺ برداً من صوف، فلبسها، فلما عرق فوجد ريح الصوف طرحها . . .». قال المعلقان على «زاد المعاد»: «هو أيضاً في «سنن أبي داود» (٤٠٧٤) لباس، و«مسند أحمد» (٦ / ١٣٢ و ١٤٤ و ٢١٩ و ٢٤٩)، وإسناده صحيح». وهذا يقلب للصوف ظهر المجن.

ب ـ التشبه بغير المسلمين:

يقول زكي مبارك في كتاب «التصوف الإسلامي» في «الاشتقاق»: . . . يهمنا أن نقيد في هذا البحث أن لبس الصوف كان من تقاليد النصرانية . .

ويقول: والجاحظ يحدثنا أن النصراني يلبس الصوف حين يتنسك، وفي رسائل إخوان الصفا أن راهباً قدم في ثوب من صوف.

ويقول رينولد نيكلسون: كانت الثياب المصنوعة من خشن الصوف علامة على الزهد قبل الإسلام[1].

ويقول عمر فروخ: كلمة «تصوف» مشتقة من الصوف الذي هو لباس العباد وأهل الصوامع[2]. . .

إذن فلبس الصوف كان من تقاليد زهاد الديانات الأخرى، الذين كانوا ينقطعون في الصوامع للعبادة والتنسك، وقد أمرنا أن نخالفهم، وألا نتشبه بهم، وخاصة في الأمور التعبدية، فقد قال رسول الله ﷺ: «من تشبه بقوم فهو منهم»، رواه أبو داود (لباس) وأحمد بن حنبل عن ابن عمر، وغيرهما.

والأحاديث كثيرة تأمرنا بمخالفتهم:

---

(١) في التصوف الإسلامي وتاريخه، ص٤٨.

(٢) التصوف في الإسلام، ص٢٤.

ج ـ الرياء:

عِندما كانوا يلتزمون بلباس الصوف فقد كانوا يريدون إشعار الناس أنهم من الزهاد والعبـاد وغـير ذلك، وفي مثلهم يقول الرسول ﷺ: «من لبس لباس شهرة ألبسه الله يوم القيامة ثوباً مثله»، ويزيد في رواية ثانية: «ثم تلهب فيه النار». رواه أبو داود (لباس).

وأظن أن القشيري فطن إلى عورات اشتقاق التصوف من الصوف، فرفضه واقترح كلمة «الصفوة» كمصدر آخر للاشتقاق! وهو بعيد كل البعد.

النتيجة: إذا كان التصوف مشتقاً من الصوف، لأنهم كانوا يلتزمون بلبسه، فعملهم باطل لأنه مبني على باطل، وهو من الكبائر، وعلى كل حال، النسبة إلى الصوف غير صحيحة.

ـ إذن، فمن أين جاءت الكلمة «صوفية»؟

الجـواب: جاءت من أحـد مصـدرين، أو منهـما مجتمعين. الأول هو كلمة «صوفيا» اليونانية بمعنى «الحكمة» ومنها «حكمة الإشراق»[1]. والثاني كلمة «صوفي» اليهودية التي كانت تطلق على الشيـخ المسلّك (المـرشـد) في حلقات المعارف السرية التي كان يتخرج فيها الأنبياء (الكذبة طبعاً) ويتأكد المصدر الأول «صوفيا» اليونانية بالمعطيات التالية:

١ ـ كون الفرضيات الأخرى مردودة لغوياً، لا تتفق مع قواعد اللغة في الاشتقاق.

٢ ـ كون كل فرضية منها مرفوضة من أكثرهم، ويدل على هذا كثرة التعاريف التي وضعوها.

٣ ـ وجود من رفضها كلها من علمائهم.

٤ ـ الناحية اللفظية:

إذ أن النسبـة إلى «سـوفيـا» المعـربة هي «سوفي» للشخص. و«سوفية» للفكرة، لكن عنـدمـا انتشـرت هذه الكلمـة، سرعـان ما خضعت للذوق العـربي في اللفـظ،

(١) «حكمة الإشراق» كتاب للسهروردي الحلبي.

فأصبحت «صوفي» و «صوفية»، ثم قيل «تصوف» و «متصوف».

وغلط المستشـرق تيـودور نولدكه عندما قال: «إن السيغما (السين اليونانية) تقلب عند التعريب سيناً لا صاداً، فنحن نقول في «فيلوسوفيا» فلسفة، لا فلصفة».

غلط لأن المسألة تتعلق بالذوق العربي في لفظ الكلمة، لا بقاعدة في الترجمة.

٥ ـ يدعم قولنـا، ما أورده عمـر فروخ في حاشيـة الصفحـة ٢٤ من كتـابـه، يقول: «إن النصارى الأرثوذكس يسمون فتياتهم (صوفْية) ويكتبونها صاداً ويلفوظنها كذلك . . . على أن ذلك ليس حجة في الفصيح».

نقول: لكنه حجة في الذوق العربي في لفظ الكلمة.

ثم إن كل الـذين كانـوا يتنـاقلون هذه الكلمـة (سـوفيـة، أوسوفيـة) كانوا لا يعرفون أصلهـا ولا من أين أتت ـ إلا أفـراداً قلائـل ـ فمن الطبيعي جداً أن يتصـوروا أن لها أصلاً عربياً يكون قريباً من لفظها، وهو كلمة (صوفية، وصوفي) ثم يلفظونها كذلك دون انتظار.

٦ ـ قال بهذا الاشتقاق عدة باحثين، منهم أبو الريحان البيروني المتوفى سنة ٤٤٠هـ، أي إنـه كان قريبـاً بعض الشيء من زمن ذيـوع الكلمـة، وكـان أيضـاً يتقن أكثر من لغة أجنبية، يقول: «ومنهم (أي من قدماء اليونانيين) من كان يرى الوجود الحقيقي للعلة الأولى فقـط . . . والحق هو الـواحد الأول فقط، وهذا رأي السوفية، وهم الحكماء، فإن «سـوف» باليـونانية الحكمة، وبها سمي الفيلسوف «پيلاسوپا» أي محب الحكمة، ولما ذهب في الإسلام قوم إلى قريب من رأيهم سُمّوا باسمهم»[1].

وممن قال بهذا الاشتقـاق المستشـرق فون هامـر، وتعصب له الأديب عبـد العـزيـز الإسلامبولي، والأستاذ محمد لطفي جمعة[2] . . . وغيرهم.

٧ ـ الزمن:

يلاحـظ أن هذا الاسم «الصـوفيـة» ظهـر بعيـد حركة الترجمة النشطة من اليونانية في

---

(١) الفلسفة الهندية، ص٣٢.

(٢) التصوف الإسلامي، زكي مبارك (الاشتقاق).

القرن الثاني الهجري وهذا له دلالته القوية.

٨ ـ المكان:

كانت مراكز الترجمة هي بغداد وبعض المدن حولها، وخاصة في فارس. وفي هذه الأماكن ظهر أوائل الذين عرفوا بهذا الاسم «المتصوفة» ممن مر معنا بعضهم في هذا الكتاب. بينما لم يعرف هذا الاسم في جنوب العالم الإسلامي ومغربه إلا بعد ذلك بمدة ملحوظة.

وهذا له دلالته أيضاً.

٩ ـ التشابه في العقيدة والطريقة:

ظهر في اليونان القديمة فلسفات ونحل متعددة، من أشهرها: أسرار إلوسيس

وإلوسيس مدينة يونانية كانت تعبد الإلٰهة «ديمثير» التي كانت إلٰهة الخصب والزراعة والخلود.

ما إن جاء القرن الخامس قبل الميلاد، حتى كانت هذه النحلة قد غزت العالم، فصارت المدينة طوال العصر القديم مزاراً يتقاطر إليه اليونان والرومان، ويحج إليه بعض أباطرة الرومان (إلى معبد ديمثير في المدينة).

تقوم العبادة في هذه النحلة على أسطورة غامضة ظلت سراً مكتوماً ألف عام، وكان المريدون يمثلون قصة ميثولوجية لكي يبعثوا في نفوسهم العواطف التي انفعل بها الإلٰه أو الإلٰهة، ويتلون عبارات مبهمة، ويرقصون ويصيحون على صوت موسيقى صاخبة، لكي يحققوا حالة الجذب أو الاتحاد بالإلٰهة[1].

وفلاسفة اليونان الأقدمون (الأيونيون طاليس[2] وتلامذته: انكسيمندريس وأنكسيمانس وهرقليطس) كانوا يؤمنون بوحدة الوجود. فمن كلام هيرقليطس، مثلاً: أنه كان يرى أن النار هي المبدأ الأول الذي تصدر عنه الأشياء وترجع إليه، لا النار التي ندركها بالحواس، بل نار إلٰهية لطيفة للغاية؛ أثيرية، نسمة حارة حية عاقلة

---

(١) تاريخ الفلسفة اليونانية، ص٦.

(٢) ولد سنة ٦٢٤ق.م، ومات سنة ٥٤٦ق.م.

أزلية أبدية. هي حياة العالم وقانونه «لوغوس»[1] . . . (ترجمت عبارة «لوغوس» فيما بعد بـ «الكلمة»).

والرواقيون كانوا يؤمنون بوحدة الوجود.

والغنوصية (من gnosis في اليونانية = المعرفة)، وكان المريدون يتناقلونها سراً ويزعمون أنها وحي أنزله الله منذ البدء. وهي هي الصوفية ظاهراً وباطناً، بطريقتها وعقيدتها، وهي نحلة إلوسيس نفسها (مع اختلاف في الأسماء فقط)، وكانت تعدو على الأديان والمذاهب بالتأويل والتحوير، مدعية تحويلها إلى معنى أعمق، فعلت ذلك مع جميع الأديان حتى وصلت إلى الإسلام، وسميت فيه «الصوفية» أو «المعرفة» أو «الإشراق» وهي نفس العبارات والأسماء التي كان كهانها يستعملونها دائماً[2].

إن هذا التشابه في العقيدة والطريق إليها بين الفلسفات اليونانية، وخاصة الإلوسية والغنوصية، وبين الصوفية ـ مضافاً إلى الأدلة السابقة ـ يجعل اعتقادنا أن الاسم «الصوفية» انزلق إلى المجتمعات الإسلامية من اليونانية قريباً من اليقين.

١٠ ـ يضاف أيضاً إلى ما سبق، اعتقاد بعض العلماء من كبارهم أن الصوفية وصلت إلى المجتمعات الإسلامية عن طريق اليونان بصورة رئيسية، وأن فلاسفة اليونان كانوا الشيوخ الأوائل المعروفين.

فمثلاً، يقول السهروردي المقتول: إنه رأى أستاذه أرسطو في النوم، فسأله رأيه عن أقطاب التصوف الذين يستشهد بهم وبآرائهم كل من كتب في التصوف أو تكلم فيه من مثل أبي يزيد البسطامي وسهل التستري وذي النون المصري والحسين بن منصور الحلاج[3]؟..

ويقول أيضاً:

. . . وأما أنوار السلوك في هذه الأزمنة القريبة، فخميرة الفيثاغوريين وقعت إلى أخي أخميم (أي ذي النون المصري) ومنه نزلت إلى سيارتستر وشيعته (أي سهل

---

(١) تاريخ الفلسفه اليونانية، ص١٨.

(٢) تاريخ الفلسفة اليونانية، ص٢٤٤ بتصرف.

(٣) ولاية الله والطريق إليها، ص١٧٠.

التستري)[1].

ويورد ابن سبعين في الرسالة النورية أقوالاً لسقراط وأفلاطون وأرسطو يعبرون بها عن وحدة الوجود وعن أحوالهم وأذواقهم في معرفتها والتحقق بها[2].

والششتري يجعل سقراط وأفلاطون وأرسطو من مشايخ المعرفة ويذكر إلى جانبهم الحلاج والشبلي والنفري والشوذي والسهروردي وغيرهم، وذلك في قصيدته التي مطلعها:

أرى طالباً مني الزيادة بالحسنى بفكر رمى سهماً فعدَّى به عدنا[2]

١١ ـ يضاف أيضاً إلى ما سبق، أن هذا الاسم «الصوفية» ظهر في فترة تفشت فيه ظاهرة استعارة الكلمات اليونانية واستعمالها في مختلف الفنون، حيث نقرأ مثلاً: الفلسفة، الفيلسوف، الموسيقا، الموسيقار، الأرثماطيقي، الإسطرلاب، البركار، الهيولى، السفسطائية، المجسطي، الماليخوليا، الأقراباذين، الأسطقسات . . . الخ. وعليه فليس مستهجناً ولا غريباً أن يستعيروا كلمة «سوفيا» للتسمي بها، بل كان مثل هذا قاعدة متبعة.

١٢ ـ في واقع الأمر وحقيقته، وإذا أردنا أن نكون موضوعيين، فإن كل مصطلح ظهر في القرنين الثاني والثالث الهجريين، وأردنا معرفة مصدره، فعلينا أن نفتش قبل كل شيء عن أصل له في اليونانية، إما عن طريق الترجمة أو الاستعارة والتعريب، فيما عدا مصطلحات أصول الفقه والفقه والحديث واللغة.

إن هذه المعطيات مجتمعة، تشكل برهاناً قوياً على أن كلمة «صوفية» لها أصل يوناني.

ـ ويتأكد المصدر الثاني «صوفي» اليهودية بالمعطيات التالية:

١ ـ إن المعطيات (١ و ٢ و ٣ و ٤ و ٩) السابقة، هي أيضاً معطيات لهذا المصدر.

---

(١) ولاية الله والطريق إليها، ص١٧٠.

(٢) روضة التعريف بالحب الشريف، ص٦٠٩.

٢ ـ يقول البروفيسور عبد الأحد داود[١]:

وكان الرجل الذي ينظر أو يرقب من البرج «المصفا أو المسفا» يسمى «صوفي SOPHI»[٢].

. . . ففي الأصل كانت «المسفا» (مكان ينصب فيه صفاة، أي حجر) مجرد نصب أو مزار على مكان منعزل مرتفع في «جلعاد» حيث كان يعيش المراقب (SOPHI) مع أسرته، ولكن بعد فتح إسرائيل لأرض كنعان واحتلالها ازداد عدد «المسفايات»، وسرعان ما أصبحت مراكز دينية عظيمة، وتطورت إلى معاهد للتعليم والجمعيات الدينية. ويبدو أنها تشبه الجماعات الصوفية والإسلامية مثل المولوية والبكداشية والنقشبندية وغيرها، وكل واحدة منها كانت تحت إشراف شيخها ومرشدها، وكانت هناك مدارس ملحقة بالمسفا حيث كان يجري تدريس الشريعة والدين والأدب العبري وغير ذلك من فروع المعرفة، ولكن فوق هذا العمل التعليمي، كان الصوفي رئيس جماعة الداخلين في هذه المجموعة، وقد اعتاد أن يدرسهم ويلقنهم الدين السرّي الذي يعرف الآن بالصوفية. والواقع أن من نعرفهم الآن باسم الصوفية كانوا يسمون عندئذ «نبييم NBIYIM» أو أنبياء[٣]. . . اهـ.

انطلاقاً من هذا النص ومما تورده كتب التاريخ، يمكن وضع النقاط التالية:

ـ كانت الصوفية (الدين السري) منتشرة في اليهودية وكانت «المسفايات»[٤] هي مراكز التسلك فيها.

ـ كان الشيخ المسلِّك (المرشد) في المسفاة يسمى «صوفي SOPHI»[٤].

---

(١) كان اسمه القسيس دافيد بنجامين الكلداني وهو من كبار علماء اللاهوت المسيحي، أسلم سنة ١٩٠٤م، أو بعدها بقليل، وتسمى عبد الأحد داود، وقد كان حياً حتى بعد الحرب العالمية الأولى، ولم أقف على تاريخ وفاته، وهو من أورميا بفارس.

(٢) محمد في الكتاب المقدس، ص٧٢.

(٣) محمد في الكتاب المقدس، ص٧٢ و٧٣، وهؤلاء الأنبياء هم الأنبياء الكذبة.

(٤) الصفاة كلمة ساميّة معناها «الحَجَر»، فيكون المعنى الأساسي لكلمة «مسفا» هو المحجرة، والمعنى الأساسي لكلمة «صوفي» هو الحَجَري أو الحجَّار، ثم تطورت لتأخذ معناها الاصطلاحي.

ـ كان الواصل من غير «صوفي» يسمى «نبي» وهي كلمة عبرية معناها «ناطق»، وهـؤلاء هم الأنبيـاء الكـذبـة، وكـان بنـو إسـرائيل يعظمونهم ويقدسونهم، بينما يقتلون الأنبيـاء الحقيقيـين! ويتبـع متصـوفـة المسلمـين سننهم في ذلـك؟ فهم يقـدسون مشايخ الصـوفيـة ودعـاتهم، بينـما يحاربـون من يدعـو إلى ما جاء به رسـول الله ﷺ! وهـذا من مصداق قوله ﷺ: «لتتبعن سنن من كان قبلكم . . . ».

ـ كان في بغـداد ـ شأن أكثـر المـدن الإسـلاميـة ـ جاليـة يهوديـة تعـرف باسم «الجالوت»، ومن البدهي أن ذلك الدين السري كان منتشراً بينهم، وأن الشيخ المرشد في كل مسفاة كان يسمى «صوفي SOPHI»، لأنه لم يحدث في اليهودية ما يمكن أن يغير ذلك.

ـ في القـرنـين الأول والثـاني الهجـريـين ظهـر في البـلاد الإسلامية عدد ممن ادعى النبوة، ومما لا شك فيه أن أكثر هؤلاء المدَّعين ـ إن لم يكن كلهم ـ كانوا من خريجي تلك المسفايات التي كانت معاهد لإعداد الأنبياء، وكانت تجري على أيديهم الخوارق، ولعل أشهرهم الحارث الدمشقي، وكان نصيبهم القتل أو التوبة.

ـ إن سلوك هؤلاء والخـوارق التي تحدث على أيـديهم تدل على أنهم سلكـوا طريق الإشـراق ومـارسـوا رياضته حتى وصلوا. وتسميتهم أنفسهم أنبياء تدل على أنهم أخذوا الطريقة في مسفاة من المسفايات اليهودية وتسلكوا على يد شيخها «صوفي»، وذلك لأن اليهـود هم وحـدهم الـذين كانـوا يسمون الإشراقي «نبياً»، بينما كان غير اليهود يسمونه الكـاهن أو العـراف أو القـديس. وهذا يعني أن من المسلمين من كان ينضم إلى حلقات الإشراق اليهودية ويتسلك على يد صوفيها مستَجَرًّا بما كان يجري على يده من خوارق.

ـ إن أول من عرف باسم «صـوفي» في المجتمـع الإسـلامي هو «أبـو هاشم الصوفي» المتوفى قبيل منتصف القرن الثاني الهجري.

ـ ومن غير المستبعد، بل من المقبول، أن يكون أبو هاشم هذا قد تسلك في «مسفا» (سرية طبعاً) في بغداد، ووصل إلى الإشراق (الجذبة) على يد صوفيها، وبتوجيهه تطور في المشـاهـد والكشـوف والعلوم اللدنيـة (نبي ثم رائي ثم بصـير) وأخيراً وصل إلى مقام الإرشـاد، وأسس مسفا إسلامية (سرية طبعاً)، فاستحق بذلك لقب «صوفي»، وصارت

له حلقته التي يلقن فيها الدين السري (الإشراق). وبما أنه مسلم فمن البدهي أن تضم حلقتـه مريـدين مسلمـين، هذا إن لم يكونوا كلهم مسلمين، ومن البدهي أن يتخرج في حلقته واحد على الأقل يستحق لقب «صوفي»، أي: مرشد ورقيب.

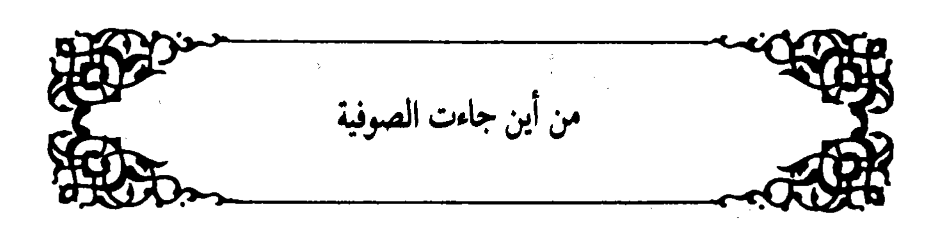
وهكذا كان انطلاق النبرات الأولى للاسم «صوفي».

وجاءت الترجمات عن اليونانية، وانتشرت معها، فيما انتشر، كلمة «صوفيا» بمعنى الحكمـة، وانتبـه بعض مثقفي الإشراقيين إلى التشابه اللفظي بين «صوفي» و«صوفيا»، كما انتبهوا إلى التوافق المعنوي، ثم انتبهوا إلى أن هذا الاسم سيصرف عنهم الحاجة إلى التسمي بأحد الأسماء السابقة «نبي أو كاهن أو عراف أو قديس» التي تقطر سيوفها دماً، ولعله عرض هذه الفكـرة (وهـذا هو المعقـول) على شيخـه وإخوانه فأعجبتهم، وبدؤ وا يستعملون الاسم «الصوفية» حتى انتشر.

ـ هذا بالنسبة لاشتقاق الاسم، أما الصوفية ذاتها، عقيدتها وطريقتها، فقد كان لها طرق إضافية.



الفصل الثاني :



من أين جاءت الصوفية

لإبليس شركان :

الشرك الأول : هو الجنس ولواحقه ، يمنع به ابن آدم ـ ابتداءً ـ من الدخول في الإسلام ، والإسلام هو الدين الذي جاءت به جميع الرسل .

الشرك الثاني : هو الإشراق الصوفي أو التحشيشي ، ينصبه إبليس لابن آدم الذي سار في طريق الإسلام ، ولم ينغمس في غواية الجنس ، فيغريه ويقنعه أن أوهام الإشراق هي الخلد وملك لا يبلى ، أو هي المعرفة أو الغوثية أو الحلول أو الاتحاد أو الوحدة ، حسب استعداده الثقافي والنفسي ، ﴿فبما أَغْوَيْتَني لأقْعُدَنَّ لهم صراطَكَ المستقيمَ﴾ .

إن دراسة لأي وثنية من الوثنيات ترينا الدور الرئيسي الذي يلعبه الإشراق في عقائدها وطقوسها ، فالحشيش والأفيون يقدَّم للمبتدئين أو الذين لا يريدون إجهاد أنفسهم من السالكين، والرياضة الصوفية يمارسها الذين يريدون أن يكونوا رؤساء دينيين .

ويلاحظ أن الوثنيات المنعزلة تعتمد أساساً في إشراقاتها على الحشيش أو بعض زمرته (كالأفيون أو فطر المكسيك أو الكوكا أو غيرها) ويقل فيها دور الرياضة الصوفية .

وكلما تطورت الوثنية ، كلما قل دور الحشيش وزمرته (لكنه لا ينعدم) ، وكلما زاد دور

الرياضة والمجاهدة وصار أكثر بروزاً.

ولا يكون الكاهن كاهناً إلا إذا وصل إلى الجذبة، وأشرق عليه سناها الخداع.

وأكرر القول: إن دراسة كافية لوثنيات التاريخ تؤكد هذه الظاهرة، مما يجعلنا مطمئنين إلى القول بأن الصوفية وجدت منذ أن نزل إبليس إلى الأرض، أو بعد ذلك بقليل.

وهذا يعني أن الصوفية لو لم تنحدر إلى المسلمين من الأمم السابقة لأوجدها فيهم إبليس باستدراج العبَّاد السذَّج ذوي القلوب الطيبة إلى الجذبة، إما باستعمال المورفين الخارجي (شجر الهلوسة) أو بعض زمرته، أو باستعمال المورفين الداخلي (الإندورفين).

وهناك من الواصلين من استُدرج إلى الصوفية بالإندورفين مرضيًّا، وهو الذي يسمونه «المراد»، لكن هؤلاء يشكلون استثناءً في المسيرة، لأن الواقع هو أن الصوفية انحدرت إلى المسلمين من الأمم السابقة:

*** أولاً: من عرب الجاهلية:**

كانت الصوفية منتشرة في جزيرة العرب قبل الإسلام، وكانت معروفة باسم «الكهانة»، حيث كان في كل قبيلة كاهن.

روى ابن أبي حاتم في تفسير: ﴿يُؤْمِنون بالجِبْتِ والطاغوتِ﴾ عن جابر بن عبد الله بن حرام الأنصاري، سئل عن الطواغيت، فقال: إن في جهينة واحداً، وفي أسلم واحداً، وفي هلال واحداً، وفي كل حي واحداً، وهم كهان كانت تنزل عليهم الشياطين.

وكانوا يسمون الكاهن أيضاً «العراف»، والمعنى واحد، لأن معنى كلمة «الكاهن» هو «العارف»، جاء في لسان العرب: «... والعرب تسمي كل من يتعاطى علماً دقيقاً كاهناً، ومنهم من كان يسمي المنجم والطبيب كاهناً ... الكاهن الذي يتعاطى الخبر عن الكائنات في مستقبل الزمان، ويدَّعي معرفة الأسرار...».

ومن أشهر كهان الجاهلية شق بن صعب القسري (من نسله خالد بن عبد الله القسري وأخوه أسد)، ويوحي الاسم «شق» أنه لقب وليس اسماً، وكذلك «سطيح»،

واسمه ربيع بن ربيعة المازني الأزدي، ومما تذكره الكتب عنهما، نستطيع أن نظن أنهما، مثل أحمد البدوي، جُذبا جذبة استغرقتهما إلى الأبد.

ومن عارفي الجاهلية الذين دخلوا في صراع مع الإسلام: مسيلمة الكذاب، والأسود العنسي، وسجاح.

* **ثانياً: من الهند:ـ**

حيث يقدَّر أن الهندوسية عرفت هناك منذ حوالي ثمانمائة سنة قبل المسيح، والكهانة الهندوسية هي نفس الكهانة في كل مكان، عقيدة وطريقة، وهي نفس الصوفية، حيث تقوم عقيدتها على وحدة الوجود، وطقوسها هي نفس الطقوس الإشراقية في كل مكان: الخلوة، والجوع، والسهر، والصمت، وتركيز الفكر والبصر والجلسة الثابتة، أو ضبط التنفس حسب إيقاع معين.

* **ثالثاً: من فرس الجاهلية:ـ**

وقد كان الفرس قبل الإسلام يدينون بالزرادشتية (المجوسية)، المبنية على وحدة الوجود، منحدرة من اتحاد أو حلول بين انبثاقات صادرة عن إلهين اثنين (النور والظلمة)، وكان مذهب الأكثرية المجوسية يرجع المبدأين (النور والظلمة) إلى كائن أعلى واحد، منه انبثق الوجود، ثم جاءت المانوية متفقة مع الزرادشتية في أصل العقيدة.

* **رابعاً: من اليونان:**

حيث كانت تسيطر الإيلوسية، التي هي نفس الكهانة الهندوسية ونفس الغنوصية ونفس الصوفية عند المسلمين، مع فوارق يقتضيها اختلاف الظروف والثقافات والإشراقات.

وعندما سيطر اليونانيون بقيادة الإسكندر بن فيليب المكدوني على بلاد الشام ومصر والعراق وفارس وبعض الهند، سيطرت ثقافتهم، بعد أن امتزجت بالثقافة الشرقية[1] على البلاد، منذ القرن الثالث قبل الميلاد، فانتشرت الإيلوسية وكهانتها وثقافتها، بما في

(١) يطلق المؤرخون على هذه الثقافة اسم «الهيلينيسية»، أي: «اليونانية الشرقية».

ذلك الأوفاق والزايرجة والطلاسم واستنطاق الحروف، واستخدامها وأسرارها، هذه العلوم التي لم تزل علوماً أساسية عند متصوفة المسلمين، والتي هي نفس السحر وأبوابه، والتي انبثقت أصلاً من الكهانة المصرية الفرعونية.

ثم انحدرت الإيلوسية إلى الرومان، وانتشرت في الإمبراطورية الرومانية، حتى إن بعض القياصرة كانوا يحجون إلى إيلوسيس.

وعندما ظهرت المسيحية، حاربت الإيلوسية (شأن دين الإسلام في أي عصر كان)، فتسترت بالكتمان، حتى ظهرت في القرن الثاني الميلادي باسم «الغنوصية»، أي المعرفة، (باليونانية Gnosis)، ومنها الغنوصي، أي العارف. وانتشرت الغنوصية حيث انتشرت المسيحية، وخاصة في بلاد الشرق: مصر والشام والعراق واليمن وبعض فارس، وهي البلاد التي دخلت في الإسلام قبل غيرها، وكان بين غنوصية سورية وغنوصية الاسكندرية بعض الفوارق، لتأثر الأخيرة بشيء من اليهودية.

*** خامساً: من اليهودية:-**

مر في الصفحات السابقة أن الصوفية كانت منتشرة بين اليهود، وكانت تسمى «التنبؤ»، ويسمى الواصل من السالكين فيها «نبيًّا»، ويسمى شيخها «صوفي»، وتسمى مراكزها «المسفايات»، واحدها «مسفا».

وكانت التجمعات اليهودية متناثرة في كل البلاد التي دخلها الإسلام، وكانت مسفاياتها منتشرة معها، ولعل هذه المسفايات كانت المنطلق الرئيسي للصوفية في المجتمعات الإسلامية.

- وبعث الله سبحانه محمداً، فحارب الأوثان والأوهام، وكانت الكهانة في مقدمة الأوهام الشركية التي حاربها الإسلام: ﴿فما أنتَ بنعمةِ ربِّكَ بكاهنٍ ولا مجنونٍ﴾[1]، ﴿ولا بقولَ كاهنٍ قليلاً ما تَذَكَّرونَ﴾، ﴿ويومَ نحشُرُهُم جميعاً يا معشرَ الجنِّ قد اسْتَكْثَرْتُم مِن الإنسِ قالَ أولياؤُهُم مِن الإنسِ ربَّنا استمْتَعَ بعضُنا ببعضٍ وبَلَغْنا أجَلَنا الذي

---

(١) الجذبة الإشراقية أو التحشيشية هي صورة مخففة من الجنون، وعندما تزداد كمية الإندورفين زيادة كافية يصبح المجذوب مجنوناً ويقولون عنه: إنه في مقام جمع الجمع، أو الاستغراق، أو الإطلاق.

أجَّلْتَ لنا قالَ النارُ مثواكُم خالدينَ فيها إلا ما شاءَ الله إنَّ ربَّك حكيمٌ عليمٌ﴾، حيث لا يجدي التأويل ولا تزكية النفس ولا ادعاء القربى، ولا افتراء الكذب على الله.

قال ﷺ في ما رواه مسلم عن حفصة: «من أتى عرافاً فسأله عن شيء، فصدقه بما يقول، لم تقبل له صلاة أربعين يوماً»، وفي رواية بدون: «صدقه».

وقال فيما رواه الأربعة وأحمد والبيهقي والحاكم (وقال صحيح على شرطهما) عن أبي هريرة مرفوعاً: «من أتى عرافاً أو كاهناً فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد ﷺ».

ولأبي يعلى بسند جيد عن ابن مسعود مثله مرفوعاً.

أقول: لعل هذا الحديث هو الذي جعلهم يستبدلون كلمة العراف، بالعارف.

وفي البزار عن عمران بن الحصين مرفوعاً، والطبراني في «الأوسط» عن ابن عباس: «ليس منا من تطير أو تطير له، أو تكهن أو تكهن له، أو سحر أو سحر له».

وتحرك الكهنة ليدافعوا عن وجودهم، ومن أشهرهم مسيلمة وسجاح والعنسي، فخذلهم الله له المنة، ولزم الكهنة الباقون الصمت واعتصموا بالكتمان.

وتجدر الإشارة هنا إلى أن توبة العارف متعذرة، أو صعبة جدًّا على الأقل، لسبب بسيط، لأنه يعتقد أن هلوساته الشيطانية هي إشراقات إلٰهية! وللحق، هي خداعة خداعة.

ولهذا بقيت الكهانة تسري في غيابات الغرف المظلمة، ووراء الأبواب الموصدة، والكهنة يتحاشون إظهار رؤوسهم خوفاً من أن تختطفها سيوف الردة، حتى فطن بعضهم إلى أن تغيير الاسم «الكهانة» يمكن أن يساعدهم على التحرك بحرية، وكانت الترجمات من اليونانية، وانتشرت كلمة «سوفيا» بمعنى الحكمة، ممزوجة بالكلمة «فيلوسوفيا» بمعنى حب الحكمة (أي الفلسفة)، أو غير ممزوجة، وحدث أن وصل واحد ممن تسلك في «المسفا»، إلى مقام «سوفي»، أي: المرشد، ورأى أحد مثقفيهم أن هذه الكلمة العبرية تتوافق مع الكلمة اليونانية «سوفيا»، بمعنى الحكمة، ورآها مناسبة لمقتضى الحال، ولعله عرضها على شيخه أو مريديه، فحازت القبول، فتبنَّوْها ونشروها

بين طائفتهم التي كانت محدودة العــدد في ذلــك الـوقت، وسـرعـان ما خضعت للذوق العربي في لفظ الكلمة، فأصبحت «صوفية»، والمنتسب إليها «صوفي».

ورفعت الكهـانـة رأسهـا بعـد أن وضعت عنواناً جديداً لها، ولافتات دعائية ذكية، فصارت الصوفية والقربى والإحسان والصديقية . . . وتحركت لتكون معول الهدم الذي دمـر العقيـدة الإسـلاميـة في نفـوس المسلمـين، الـذين صاروا يأخـذون عقـائدهم من الهلوسـات ومن شيـاطـين الجن، بعـد أن كان مصـدرها القرآن والسنة لأولي النهى ولقوم يعقلون ويعلمـون ويبصـرون ويسمعـون ويتفكـرون. وكـانت معـول الهـدم الذي دمر المجتمعـات الإسـلاميـة، لأنهـا كانت، وما زالت، تنشر الجهل والخرافة والانحراف عن الصراط المستقيم. وكانت معول الهدم الذي أفسد الأمة الإسلامية؛ لأنها مسخت الفرد المسلم الـذي تأثـر بها، فجعلتـه جاهلاً خرافيًّا ذليلاً خانعاً تواكليًّا، يعبد الشيخ بدلاً من عبـادة الله، ولا يَشْغَـلُ تفكـيرَه إلا الـوصـولُ إلى ساعـة الصفـا والمتعـة التي يسمـونها: «روحـانيـة وولايـة . . .»، حيث يقضي ساعـة أوساعـات متمتعـاً بالذهول (مسطولاً) سادراً في هلوساته وأوهامه الجذبية، الإشراقية أو التحشيشية لا فرق.

● **وخلاصة الكلام. . .**

عنـدمـا جاء الإسـلام، كانت الصوفية منتشرة في كل البلاد التي دخلها، بل في كل العـالم. كانت منتشـرة في جزيـرة العرب باسم الكهانة، وكانت منتشرة في الهند وفارس، لأن ديـانـاتهم كانت تقـوم على أسـاس الـريـاضـة حتى الجـذبـة، ومـا فيهـا من رؤ ى ومكـاشفـات، وكـانت منتشـرة في النصرانية التي كانت تسيطر على مصر والشام والعراق وجـزء من فارس واليمن، وكـذلـك اليهودية، وكان الشيخ فيها يطلق عليه باللغة العربية اسم «الكاهن والعارف والعراف» أو ما يرادفها في اللغات الأخرى.

ولمـا جاء الإسـلام، اختبأت وراء الأسـوار حتى قُدر لكهانها أن يجدوا صيغة ملائمة استطاعوا أن يظهروا بها أمام الناس ويدعوهم إليها.

وقد عرف هذه الحقيقة بعض علمائهم القدامى، (إن لم يكن أكثرهم)، فهذا شهاب الدين يحيى بن حبش السهروردي يقول:

. . . وأمـا أنـوار السلوك في هذه الأزمنـة القريبة، فخميرة الفيثاغوريين وقعت إلى

أخي أحميم (أي ذي النون المصري)، ومنه نزلت إلى سيار تستر وشيعته . . . وأما خميرة الخسروانيين في السلوك، فهي نازلة إلى سيار بسطام (أبي يزيد)، ومن بعده إلى فتى بيضاء (الحلاج)، ومن بعدهم إلى سيار آمل وخراقان (أبي الحسن الخراقاني)[1].

ونسي السهروردي كهان الحجاز ونجد! وله الحق، فقد كان أكثرهم أدعياء مقلدين، كما يظهر من قراءة أخبارهم، كما نسي اليهود، لأنهم كانوا يعملون بصمت وتكتم.

ولعل من المفيد إيراد فقرة للسهروردي نفسه وردت قبل كلامه هذا مباشرة، فقد روى أنه رأى أستاذه أرسطو في النوم، فسأله عن رأيه عن أقطاب التصوف الذين يستشهد بهم وبآرائهم كل من كتب في التصوف أو تكلم فيه، من مثل أبي يزيد البسطامي وسهل التستري وذي النون المصري والحسين بن منصور الحلاج. فقال فيهم: أولئك هم الفلاسفة والحكماء حقًّا، ما وقفوا عند العلم الرسمي، بل جاوزوا إلى العلم الشهودي، وما اشتغلوا بعلائق الهيولى، فلهم الزلفى وحسن مآب.

- وهذا ابن سبعين يثبت مشيخة فلاسفة اليونان في التصوف، فيقول في إحدى رسائله:

. . . والأقدمون منهم (أي من الفلاسفة) في الإلٰهيات أنبه، غير أنهم يغلطون، وهم أقرب إلى الأنبياء وإلى الإيمان بهم من غيرهم، وأرسطو ذكر أمرهم في «نيقوماخيا»، وهذا الرجل كان جليل القوم في المهنة، لأنه في القوى والأحوال الإلٰهية مثل غيره، وملك بعض الأسرار الطبيعية والإلٰهية وكتمها، وأفلاطون في التجرد والتوجه وفهم الأحوال الإلٰهية أثبت، وإن كان أرسطو أجل منه على الإطلاق، فإنه توجه، وكان حاله في سره[2] . . . (ثم يذكر بعد ذلك جملة من العبارات التي يقول: إنهم كانوا يرددونها).

ويورد ابن سبعين أيضاً في الرسالة النورية:

. . . وكان سقراط يقول في كل صباح: أنا الدليل بالذات، وأنت العزيز بالذات، فلا تجعلني بعزتك من السعداء بالعَرَض، يا من هو صورة كل شيء، وقياس هذا العالم،

---

(1) ولاية الله والطريق إليها، ص١٧١.

(2) رسائل ابن سبعين، ص٢٦٨.

ووجوده القريب . . . وكان يكثر قول: أنت أنت أنت . . .

وكان أفلاطون يقول: يا نور العالم، يا سبب الكل . . . كم ذا نتجرد ونعود إلى هذا الجسم، ونرجع في عالم العقل إليه، قوّني بحيث أُثْبُتُ عندك ولا نعود، فإن صرفتني إلى هذا الهيكل فأشغلني بك وألهمني بالرجوع إلى حالتي التي انصرفت من حضرتها الشريفة . . .

وكان أرسطو يقول: يا علة العلل، يا أزل الأزل، يا سبب أول[1] . . .

ـ إن ابن سبعين يورد هذه الأقوال على أنها تتضمن وحدة الوجود (وهي كذلك)، ليدلل على أنهم كانوا من شيوخ الصوفية القدماء.

وقد مر معنا قول الدكتور عبد الحليم محمود:

«. . . فإن الصوفية جميعاً، وفلاسفة الإشراق منذ فيثاغورس وأفلاطون إلى يومنا هذا، يعلنون منهجاً محدداً يقرونه جميعاً ويثقون فيه ثقة تامة . . . وهو منهج معروف أقرته الأديان جميعها، واصطفته مذاهب الحكمة القديم منها والحديث . . .»[2].

ـ والششتري في نونيته المشهورة يجعل فلاسفة اليونان شيوخاً في التصوف، ويضمهم، أو يضم إليهم، متصوفة المسلمين، يقول:

وتيم ألباب الهرامس كلهم ... وحسبك من سقراط أسكنه الدنا
وجرّد أمثال العوالم كلها ... وأبدى لأفلاطون في المثل الحسنى
وهام أرسطو أو مشى من هيامه ... وبث الذي أُلقي إليه وما ضنّا
وكان لذي القرنين عوناً على الذي ... تبدّى له وهو الذي طلب العينا
ويفحص عن أسباب ما قد سمعتم ... وبالبحث غطى العين إذ ردّه غينا
وذوّق للحلاج طعم اتحاده ... فقال: أنا من لا يحيط به معنى
فقيل له: ارجع عن مقالك. قال: لا، ... شربتُ مداماً كلُّ من ذاقه غنّى
وأنطق للشبلي بالوحدة التي ... أشارَ بها لما امّحى عنده الكونا[3]

---

(1) رسائل ابن سبعين، ص١٦٢.

(2) المرسي أبو العباس، ص١٠.

(3) روضة التعريف بالحب الشريف، ص٦٠٩، ويعني بذي القرنين الإسكندر بن فيليب، وهذا خطأ.

. . . إلى أن يذكر جملة من متصوفة المسلمين.

● **النتيجة:**

للتصوف عند المسلمين جذور يونانية وكسروية ويهودية وهندية وعربية جاهلية.

إن التصوف عند المسلمين انحدر إليهم من التصوف في الأمم الأخرى، الذي كان يسري فيها منذ أزمنتها البعيدة، وسيبقى ما دام إبليس وجنوده بالمرصاد للإنسان.

وهذه طريقة الإشراق كانت وتبقى ما الوجود باقي

وفي الفصل التالي، نصوص إشراقية وحدوية من أديان مختلفة، نوردها زيادة في التأكيد والتوضيح.

وقبل ذلك نورد نبذة عن الحارث الدمشقي، وهو كاهن ظهر في زمن عبد الملك بن مروان، وسمى نفسه نبيًّا، وكانت الشياطين تُخرج رجليه من القيد وتمنع السلاح أن ينفذ منه، وكانت الرخامة تسبِّح إذا مسحها بيده، وكان يُري الناس رجالاً وركباناً على خيل في الهواء ويقول: هم الملائكة. وعندما حكموا بقتله ضربوه فلم يؤثر فيه السلاح، حتى قال أحدهم: «بسم الله»، ثم طعنه، فنفذ فيه الرمح، وقتله.

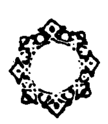
وفي ظاهرة الحارث هذه ثلاث معطيات، أو استدلالات:

١ ـ الخوارق التي كانت تجري على يديه تدل على ممارسته الرياضة الإشراقية.

٢ ـ تسميته نفسه «نبيًّا» تدل على أنه وصل إلى الجذبة في «مسفا» يهودي، إذ اليهود فقط هم الذين كانوا يسمون الواصل إلى الجدبة «نبيًّا»

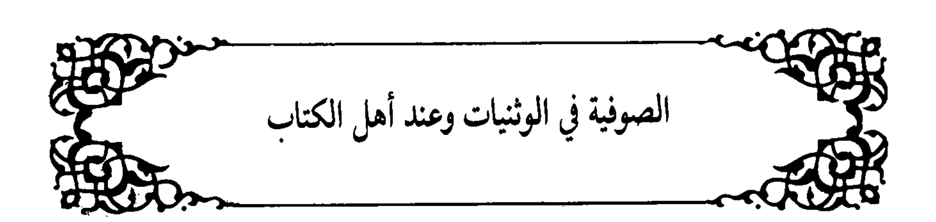
٣ ـ نفوذ الرمح فيه عند ذكر اسم الله، يدل على شيطانيات خوارقه.

وهذا كله من الأدلة على أن الكهانة لم تنقطع، بل بقيت تتابع مسيرتها في الخفاء (وهذا هو المعقول).





الفصل الثالث:



الصوفية في الوثنيات وعند أهل الكتاب

الصوفية هي المستنقع الذي عاشت فيه أو شربت من شواطئه وثنيات التاريخ.

وهـذه لمحـات سريعة عن أشهر الوثنيات المعاصرة، وكيف أنها قائمة على الإشراق الصوفي بطريقته وحقيقته، يتلوها عرض سريع للتصوف عند أهل الكتاب.

وقبـل ذلـك، يجب أن نتـذكـر دائـماً أن الأديـان جميعهـا، ما عدا الإسلام، مجهولة التـاريـخ والجغرافية، وكل ما تذكره كتب هذه الديانات عن تاريخها وجغرافيتها لا أساس له من الصحـة، إلا قليـلاً مما عنـد أهل الكتاب، ويجب ألا ننسى هذه الحقيقة في قراءتنا للعروض التالية.

*** الطاوية (منتشرة في الصين):-**

نسبة إلى «طاو»، وقبل عصر كونفوشيوس (حوالي القرن الرابع قبل الميلاد)، كانت هذه الكلمة تعني «الطريق وأسلوب العمل»[1]، واستعملها كونفوشيوس بمعنى «الطريق

---

(١) يلاحظ أن كلمة «الطريقة» تحمل نفس معنى كلمة «طاو»، مع التنبيه إلى أن كلمة «طاو» هي كلمة صينية وليست عربيـة، وأن الكـلام هنـا عن أمـر حدث في الصـين، مع ملاحظـة أخرى قد يكون لها أهمية، وهي أن المصـريـين القـدمـاء كانـوا يطلقـون على مصـر اسم «طـاو»، فهـل هناك علاقة بين «طاو» التي هي مصر وبين الطاوية، كما أن هناك الوادي المقدس «طوى»؟ فهل من علاقة تاريخية وجغرافيه نُسيت؟

الصحيح للعمل».

أما الطاويون فقد صارت عندهم ذات مفهوم واحد؛ يعني: «الأشياء في مجموعها»، أو ما يُطلق عليه وحدويو الغرب اسم «المطلق»، وهو ما يطلق عليه متصوفة المسلمين اسم «الوجود».

والنصوص المنقولة هنا تُعزى لشخص مقدس معاصر لكونفوشيوس، اسمه «لاوتزو»، أي الأستاذ لاو، يقال: إنه مؤسس الطاوية، وهذه النصوص من كتابهم المقدس «كتاب لاوتزو»، يقول:

«الطاو مَثَلُها كوعاء، رغم أنه فارغ، يمكن أن يُسْحب منه بلا نهاية، وليس في حاجة قط لأن يُملأ، وهي عظيمة جداً، وبالغة العمق، حتى ليبدو أنها أقدم من كافة الأشياء، إذا ما انغمس فيها أحدّ طرف صار ناعماً، وأصعب مشكلة تُحل، وأقوى ضوء ساطع ينتشر، وأشد المشكلات تعقيداً تستحيل إلى أمور بسيطة، إنها في سكونها كالخلود نفسه، إنني لا أعرف وليدة من هي». اهـ.

ـ في هذا النص، يُعرِّفنا الأستاذ لاو ما هي الطاو، ويُلاحظ أن وصفها يشبه أن يكون وصفاً لله تعالى، لكنه وصف فيه شذوذ وتجرؤ وتشبيه، وهذا نابع من ثقافتهم وتصوراتهم.

ويقول: «يأتي إلى الوجود عشرة آلاف شيء، وقد شهدتها تعود، لا يهم كيف تنتعش انتعاشاً بالغاً، كل شيء يجب أن يعود إلى أصله الذي صدر عنه، هذه العودة إلى الأصل تُسمَّى الهدوء، هي تحقيقٌ لمصير فرد، وأن يُحقِّق كلُّ شخص مصيره لهو النمط الأبدي، وإذا عرفت النمط الأبدي فهو محصَّن من كل ناحية، والمحصَّن من كل ناحية هو عادل تماماً، وإذا كان عادلاً، فهو مَلِكٌ، ومن كان مَلِكاً فهو كالسماء، وإذا كان كالسماء فهو متمشٍّ مع الطاو، وإذا كان متمشياً مع الطاو فهو مثلها لا يفنى، وبرغم أن جسده قد يختفي في خضم محيط الوجود، فهو بعيد عن كل أذى...». اهـ.

ـ يشرح «لاوتزو» في هذا النص وحدة الوجود، وكيف أن الأشياء تصدر عن ذات الطاو ثم تعود إليه، ويلاحظ أنه يستعمل كلمة «الهدوء» والتي يقابلها عند متصوفة المسلمين كلمة «الفناء». ولنلاحظ عبارة: «وقد شهدتها تعود»، والتي لا تعني إلا أنه

شهدها بالكشف.

ويقول: «الكلمات الصادقة لا تكون مُنمقة، والكلمات المنمقة لا تكون صادقة، والرجل الصالح لا يجادل، وأولئك الذين يجادلون ليسوا بصالحين، والحكماء ليسوا بعلماء، والعلماء ليسوا بحكماء، إذا ما توقفنا عن العلم لا يواجهنا المزيد من المشاكل . . . تخلُّوا عن الحكمة وتخلصوا من الفطنة، وسيصبح الناس أحسن حالاً مائة مرة». اهـ.

- بين «لاوتزو» هنا أن حقيقتهم لا يمكن أن يُبَرْهن عليها بالأساليب الجدلية، والكلمات المنمقة، وأنها تشرح بالكلمات الصادقة البسيطة، والملاحظة الهامة هنا هي الأمر بالجهل! لأن الجهل جزء أساسي من رسالة الإشراق في كل زمان ومكان.

ويقول: «هو لا يغادر داره قط، ومع ذلك فهو عالِم بالعالَم بأسره، ولا يُطلُّ من نافذته، ومع ذلك يسبر غور طريق السماء، وفي الحقيقة كلما سافر الإنسان إلى مكان أبعد، كان أقل إدراكاً، وهكذا يعرف الحكيم دون أن يتحرى، ولا يفعل شيئاً ومع ذلك ينجز كل شيء».

. . . لهذا السبب يرتدي الحكيم رداءً من قماش خشن يُخفي ما هو أثمن من أنفس درة داخل فؤاده . . .

هذا ما يسمى الاستغراق الخفي، مَن خَبِرَهُ لا يمكن أن يعامل على أنه مُقَرَّب أو مزجور، لا يمكن أن يعان أو يضار، لا يمكن أن يمجد أو يحط من قدره، ولهذا يحتل المكان الأول بين كافة الكائنات البشرية في العالم». اهـ.

في هذا النص يقدم «لاوتزو» صورة خاطفة للجذبة التي يسميها «الاستغراق الخفي» ولكشفها الذي يجعل «الحكيم» عالماً وهو لم يغادر داره، بل ولا غرفته، بل ولم يطل من نافذته . .

والتماثل الكامل بين الطاوية والصوفية واضح، حتى لقد دفع هذا الوضوح أحد الباحثين لأن يقرر أن التصوف عند المسلمين هو امتداد للطاوية، وطبعاً؛ لا بد من وجود فروق يقتضيها اختلاف الظروف.

* الجينية (نسبة إلى جينا، أي: القاهر والمتغلب):-

أسسها مهاويرا الملقب بـ «جينا الرابع والعشرين»، وكان مولده سنة ٥٩٩ قبل الميلاد.

صام مهاويرا يومين ونصف يوم، ونتف شعر جسمه، وبدأ يجوب البلاد حافياً .. ولجأ إلى الزهد والجوع والتقشف، وغرق في التفكير، واهتم بالرياضة الصعبة القاسية والتأملات النفسية العميقة، وبعد ثلاثة عشر شهراً من ترهُّبه خلع ملابسه دون حياء، إذ كان قد قتل في نفسه عواطف الجوع والإحساس والحياء، وكان أحياناً يعتكف في المقابر ... وكان يغرق في المراقبة إلى حد لا يشعر فيه بالحزن أو السرور، ولا بالألم أو الراحة ... ووصل مهاويرا إلى حالة الذهول وعدم الإحساس بما حوله (أي الجذبة)، وأفنى كل اتجاه مادي، فحصل من درجات العلم على الدرجة الخامسة (أعلى الدرجات)، وهي درجة العلم المطلق، ونيل البصيرة أو النجاة، وبعد سنة أخرى من الصراع والتأملات فاز بدرجة «المرشد» ... وبهذا بدأ مهاويرا مرحلة جديدة هي الدعوة لعقيدته ...

ويقول الجينيون: إن جينا الثالث والعشرين، واسمه: «بارسوانات»، أسس نظاماً رهبانيًا شدَّد فيه بضرورة الرياضات الشاقة المتعبة[1] ...

- نرى في هذا النص أن الجينية تقوم على الرياضة الإشراقية، وعلى رأسها الجوع، وهذه الرياضة تقود إلى الجذبة التي يسمونها «حالة الذهول وعدم الإحساس بما حوله وفناء كل اتجاه مادي»، وفي الجذبة يحصل على الدرجات العليا من العلم (العلم المطلق)، وبالمثابرة على الرياضة وصل إلى درجة «المرشد»، كما نلاحظ أن هذا هو «النجاة» عندهم. ولننتبه إلى العري أيضاً.

ولعل من المفيد ذكر المنجيات عند الجينيين (وهناك ما يشبهها في الهندوسية والبوذية والطاوية، بل وكل الوثنيات)، وهي: الاعتقاد الصحيح، العلم الصحيح، الخلق الصحيح الذي له أصول سبعة هي: التمسك بالخلق الحميد، والإقلاع عن الخلق

---

(١) أديان الهند الكبرى (سلسلة مقارنة الأديان)، ص١١١ و١١٢ و١١٣.

السيء، الورع، التقليل من الحركات البدنية ومن الكلام، التحلي بعشر خصال هي «العفو، والصدق، والاستقامة، والتواضع، والنظافة، وضبط النفس، التقشف الظاهري والباطني، والزهد، واعتزال النساء، والإيثار»، ثم التفكير في الحقائق الأساسية، والسيطرة على متاعب الحياة وهمومها والقناعة الكاملة[1]. أهـ.

هذه هي المنجيات في الجينية، وفي كل الوثنيات ما يماثلها في المكان والمقام، وهي تذكرنا بمنجيات الغزالي ومقامات الصوفية، كما يذكرنا العري في الجينية بمثيله عند الصوفية.

* الهندوسية :-

نظرة سريعة :

لا يمكن العثور على تعريف جامع للهندوسية، لأن فيها مئات كثيرة من المذاهب المتباينة، لكن عندهم عقيدة رئيسية يؤمنون بها أكثرهم، إن لم يكن كلهم.

- فكلهم يؤمنون بالڤيدا، كتابهم المقدس، لكن يوجد غيره مئات الكتب المقدسة.

- وكلهم يؤمنون بالروح الأزلي (آتمان)، وقد يطلقون عليه أسماء أخرى، والإله عندهم ذو ثلاثة أقانيم (حسب الوظيفة التي يقوم بها).

أ - براهمان «الخالق».

ب - ڤيشنو «الحافظ».

ج - سيڤا «المهلك».

وقد تختلف المذاهب عن بعضها في تقسيم الأعمال بين الأقانيم الثلاثة، كما قد يختلف عدد الأقانيم.

- إلى جانب هذا الثالوث، يوجد عشرات الألوف من الآلهة!

والنص المقدس التالي من (الڤيدا)، هو حوار بين ڤِشْنو الذي تجسد بصورة إنسان

---

(١) أديان الهند الكبرى، ص١٢٧ و ١٢٨ و ١٢٩.

اسمه «كْرِشْنا»، وبين ملك مقدس اسمه «أرجونا» (صار إلهاً فيما بعد)، والحوار يجري في مستهل معركة حربية بين أفراد عائلة صاروا كلهم آلهة.

يروي هذا الحور شخص اسمه «ساميا جا»، كان حاضراً معهما، يرويه لملك آخر اسمه «هاري»، وطبعاً، كل هؤلاء الأشخاص صاروا آلهة يعبدون.

يقول النص:

قال أرجونا: اللغز السامي، الحديثُ المتعلق بالروح التي وهبتَني إياها بالنعمة، بهذه النعمة انتهى ضياعي، وكما أعلنَتْ عن نفسها، هكذا أنت تكون، أيها الرب السامي، لكنني أرغب أن أرى شكلك المقدس، أيها الشخص السامي، وإذا كنتَ تعتقد أنني أستطيع أن أراك، فأظْهِرْ لي روحك اللافانية، يا رب اليوجا، يا كرشنا.

قال الرب المبارك: شاهِدْ أشكالي يا أرجونا، هي بالمئات وبالآلاف، متنوعة في شكلها ومقدسة، ولها ألوان وهيئات مختلفة . . . اليوم، شاهِدْ الكون المتحرك والساكن، وكلَّ ما تريد أن تراه، كله متَّحدٌ في جسدي يا أرجونا، لكنك لا تستطيع أن ترى بعينيك الإنسانيتين، وسأمنحك أعيناً تفوق الطبيعة، شاهِدْ قدرتي المقدسة.

قال ساميا جا: بعد أن تكلم رب اليوجا، أيها الملك هاري، أُظهر شكله المقدس السامي إلى أرجونا. لهذا الشكل أفواه وعيون كثيرة، ورؤ ى عديدة تدهش، وزينات مقدسة، وأسلحة مرفوعة مقدسة، ويلبس الثياب المقدسة، ويتحلّى بالعطور والدهون المقدسة، ويتألف من كل الأعاجيب، ويتألق، وغير محدود، ووجهه يلتفت إلى كل اتجاه، ولو شعت ألف شمس في الفضاء، كان من الممكنَ أن تشبه عظمة الكائن المعظم.

هناك شاهد أرجونا الوجود بكامله، بأجزائه العديدة المتجمعة في واحد، في جسد إله الآلهة»[1].

ـ وفي مكان آخر (والمتكلم الآن هو كْرِشْنا):

---

(١) الفكر الفلسفي الهندي، ص٢٠٤.

«من لا يتعلق فهمه بأي مكان، من يُخضع ذاته ومن يطرد رغبته، يأتي عن طريق الرفض إلى الحالة السامية التي تُصعِّد كل عمل. اسمع إلى ما أُوجزه لك يا أرجونا: كيف يصل الإنسان عندما يحقق الكمال إلى براهمان؟ من يكون موهوباً بفهم نقي، ويضبط نفسه، ولا يلتفت إلى مواضيع الحس، ويلقي بالجاذبية والاشمئزاز بعيداً، ويسكن في عزلة، ويأكل القليل، ويضبط كلامه وجسده وعقله، ويعتنق التأمل والتركيز، ويلقي الإحساس بالذات والقوة والتنافر والرغبة والبغضاء، أو الملكية بعيداً، أو لا يكون أنانيًّا، بل هادئاً في عقله، يستحق أن يصبح براهمان.

عندما يصبح الإنسان واحداً مع براهمان، ويكون هادئاً في روحه، فلا يحزن، ولا يرغب، وعندما يعتبر كل الكائنات على السواء، ويصل إلى التعبد السامي، إليَّ. بالتعبد يعرفني، ويعرف من أنا، وما هو مقامي، وعندما يعرف من أنا يدخل فيَّ. الرب يسكن قلوب الكائنات، ويجعلها أن تدور بقدرته كأنها على آلة. ٱلْتَجِىء إليَّ بكل قدرتك يا أرجونا، وبنعمتي تحصل على السلام السامي والمسكن الأبدي.

الحكمة أكثر سرية من كل الأسرار التي أعلنتها لك، فكر فيها تماماً، واعمل ما تشاء»[1].

- النصان واضحان كل الوضوح، ومع ذلك لا بأس من لفت نظر القارىء إلى بعض النقاط فيهما:

أ - وحدة الوجود في النصين: «شاهد أرجونا الوجود بكامله»، «يصبح الإنسان واحداً مع براهمان».

ب - الرياضة، في النص الثاني: «العزلة والأكل القليل وضبط الكلام والجسد والعقل والتأمل والتركيز».

ج - إفراغ النفس من كل رغباتها على الإطلاق، التي تقابل قول المتصوفة: «اخلع نعليك» . . . وما شابهها.

---

(١) الفكر الفلسفي الهندي، ص٢٣٤ و ٢٣٥.

د ـ هذه الأمور هي نفس ما نراه ونسمعه ونقرؤه من أقوال متصوفة المسلمين وفي كتبهم.

هـ ـ كما يجب ألا ننسى الشبه التام بين قول الهنادكة: إن البراهمة خلقوا من وجه الإله الأعظم، وقول المتصوفة المسلمين: إن محمداً خلق من وجه الله. كما نلاحظ التوافق بين الكشف (عندما شاهد الرب) والعقائد المسبقة.

ومن يتتبع أقوال المتصوفة ونصوص الفيدا يقف أحياناً على تشابه حتى في المفردات.

ـ ونص آخر من نصوصهم الكثيرة من «أوبانيشاد شاندوجيا»:

١ ـ حقًّا إن هذا العالم كله براهمان. وبهدوء، يعبده الإنسان، لأنه قد أتى منه، وسينحل فيه، ولأنه يتنفس بواسطته.

٢ ـ هو الذي يتضمن العقل، وجسدُه هو الحياة، وشكلُه هو النور، وفكره الحقيقة، وذاته هي الفراغ، إنه يتضمن كل الأعمال والرغبات والأوامر والأذواق، ويشمل العالم كله، هو الذي لا يتكلم ـ روحي هذه ضمن قلبي، هي أصغر من حبة أرز، ذاتي هذه هي أعظم من الأرض ومن الفضاء والجو ومن هذه العوالم[1]. «انتهى».

ونص آخر «أوبانيشاد اثتاريا»:

. . . هو براهمان، هو أندرا، هو براجاتي، هو كل هذه الآلهة، هو هذه العناصر، الأرض والريح والفضاء والماء والنور، هذه الأشياء، وتلك التي تمتزج بالنار كما كانت[2]. . . .

ـ أرجو من القارىء الكريم أن يعود إلى أقوال المتصوفة، وخاصة عينية الجيلي ليرى التشابه.

وهـذه صور من ضرب الشيش عند الهندوس، أو عند فرقة من فرقهم التي تعد بعشرات الألوف، وهذه الفرقة موجودة في ماليزيا، ويجعلون رأس الآلهة هو «سيفاناتراجا»، بدلاً من براهمان. ولهم عيد سنوي يحتفلون به هو عيد «تابوزام»، حيث

---

(١) الفكر الفلسفي الهندي، ص١١٢.

(٢) الفكر الفلسفي الهندي، ص١٠٩.

يكون الاجتماع العام على مقربة من أحد مداخل العاصمة «كوالالامبور».

«هـذا العيـد المجيـد يحتفل به هنود ماليزيا سنويًا في شهر «الكوكب»، حيث يتوسط البـدر كبـد السـماء، . . . وذلك تمجيداً لذكرى الإله «سيفاناتراجا» رب آلهة الهندوس[1] (بالنسة لهذه الفرقة)» . .

ويبدأ التمجيد أيضاً للإله «مورغان»، وهو حفيد «سيڤاناتراجا»[2] . . .

إن الصـلاة الهنـدوسيـة تقـام قبل الاحتفال بالعيد المجيد . . . يمتنعون عن ممارسة الحب، ويكتفون بوجبة طعام واحدة نباتية في اليوم . . . ثم يدخلون في الصلاة والتأمل والعزلة . . . التي تتحول تدريجيًا إلى غيبوبة عن هذا العالم (أي الجذبة).

وبفضـل تلك الصـلاة والعـزلـة والتأمـل التي تفصلهم عن الواقع لتدخلهم في عالم الخيال والغيبوبة الطويلة المقترنة بالتوحيد للذات الإلٰهية . . . عندها تمتلكهم نشوة غريبة جدًا تدعى «نشوة الرعدة الإنشائية»، فتراهم حالمين بأبعاد لا حدود لها . . . وبواسطتها يتـاح لهم دون استثنـاء اجتيـاز المسـافـات الطويلة (الصاعدة في الجبل الشاهق)، ضمن الدروب الوعرة، والتي تتطلب جهداً ومهارة فائقة، فيصلون بالنهاية إلى المعبد التابوزامي . . .

وهم في تلك الحالة يبدون في إحساس غامر بالورع والتقى . . . بينما الرماح الحادة تترنـح على وجنـاتهم . . . والأسهم الفضيـة مغـروزة في ألسنتهم . . . والكلاليب التي تنتـزع قطعـاً من أجسادهم. . والسـلال التي تثقـل كاهلهم (قـد يبلغ وزن بعضهـا ٦٠ كغ). . وهم لا يأبهـون لكـافة الآلام والإصابات، بل إنهم من خلالها يستسلمون لنشوة غريبة وعجيبة . . . والأغرب من كل هذا هو أن تلك الجروح العميقة لا يسيل منها الدم إلا من بضع قطرات تعد على أصابع اليد الواحدة . . . فسرعان ما تلتئم . . . فلا يبقى منها سوى آثار ندوب سوداء . . . وهم فريسة لذلك الشعور الغريب الذي يعبر لهم عن إمكانية الوصول بتلك المآثر والبطولات من خلالها الاتصال بالإله الأكبر

(١) أغرب القبائل والشعوب بالقرن العشرين: ١ / ١٦.
(٢) أغرب القبائل والشعوب بالقرن العشرين: ١ / ١٧.

«سيڤاناتراجا» . . .

. . . فيتجمـع أولئـك المـؤمنون حول زعيمهم الديني «غورو» ، وهـم يتغنون بنشيد «الفـل ـ فل» ، بمعنى «الـرمـح ـ رمح» . . . بينما يقف «غورو» أمام أحد المؤمنين ليثقب وجنة المؤمن بالمغرز بعد أن باركه بدعواته . . .

ولكن عنـدمـا يشق السهم الحاد والمسنون لحم وجنة المؤمن اللدنة . . . يبدأ المؤمن بالارتعـاد بشـدة كمن أصـابـه مس أو جنون ، فيقفز بالهواء ليدق الأرض بقدميه دقًّا رتيباً وشـديـداً ، ومن ثم يتـمايـل على وقـع النشيـد الحـماسي ، بينـما يكون قد برز من وجنتيه الغائرتين ذلك السهم الفضي ، فلا يسيل من وجنتيه من أثر الجرح إلا قليل من قطرات الـدم لا تذكـر . . . وتشق ألسنتهم بأسيـاخ فضيـة يتراوح طولهم ما بين (١٢ ـ ١٨سم) . . . والـرمـاح الطـويلة التي تخترق الـوجنـة ويبلغ طولها عادة أربعة أمتار ، وعلى طرفي الرمح تعلق السلال المملوءة حليباً وعسلاً ، وأما البرتقال فإنه يثبت على الخصر بواسطة سنارات فضية تغرز في الجسد . . . فيتقدم أحدهم ليجلس على كرسي بلا ظهر ، عندها يبـاشـر الـزعيم الـديني «غـورو» في غرز الكلاليب الفضية الحادة في جسده ، ويبلغ عدد الكـلاليب في بعض الأحيـان زهـاء ستـين كلابـاً ، والمـؤمن لا يزال تحت سيطـرة الرعدة الانتشائية الغريبة إلى أن يحني رأسه ليذهب في غيبوبة بلا حدود أو نهاية[١] . . . . إلخ . أهـ .

ـ لا أظنني بحاجة إلى تعليق ، فالأمر واضح ، لكن الملاحظة أن متصوفة المسلمين لم يبلغوا شأو هؤلاء القوم !

والسؤال : هل هؤلاء القوم تسري فيهم كرامة أحمد الرفاعي ؟ أم ماذا ؟

*** وهذه نصوص بوذية متفرقة من كتاب فايسيسكا سوترا :**

الكتاب الأول ـ الفصل الثاني

١٧ ـ الوجود واحد بسبب وحدة العلامة[٢] . . .

---

(١) أغرب القبائل والشعوب بالقرن العشرين : ١ / ١٩ ، وما بعدها .

(٢) الفكر الفلسفي الهندي ، ص٤٨٤ .

الكتاب الثاني ـ الفصل الأول

٢٨ ـ تتوضح وحدة الأثير بوضوح وحدة الوجود[1].

الكتاب الثاني ـ الفصل الثاني

٧ ـ جوهرية وأبدية الزمان تتوضحان بتوضيح جوهرية وأبدية الهواء.

٨ ـ وحدة الزمن تتوضح بتوضيح وحدة الوجود.

١١ ـ جوهرية وأبدية الفراغ تتوضحان بوضوح جوهرية وأبدية الهواء.

١٢ ـ وحدة الفضاء (أي الفراغ) تتوضح بتوضيح وحدة الوجود[1]. أهـ.

ولا حاجة للتنبيه إلى وحدة الوجود الواضحة في هذه النصوص وضوحاً كاملاً، وكذلك الطريقة التي توصل إليها، وللزيادة في الوضوح نورد وصفاً يذكره «آسين بلاثيوس»[2] عن كيفية وصول الهندوسي أو البوذي إلى الجذبة، يقول:

«. . . ومذهب الفيدا الوارد في الأوبانيشاد يجعل غاية الكمال والسعادة في حشد الروح باستبعاد كل خاطر غير فكرة الموجود المطلق، وأصحاب نظام اليوجا[3] كانوا يستخدمونَ من أجل الوصول إلى هذه الغاية طريقة في الإيحاء الذاتي التنويمي شبيهة جداً بما قرره ابن عربي، فكان اليوجي يجلس القرفصاء ساكناً بلا حراك، ونظره مثبت، وانتباهه مستغرق في الحرفين «أم»، وهو اسم من أسماء براهما المستسرة، ثم يقع في جذبة[4] تفقده الشعور. وتمرين النَّفَس، وهو رياضة إيقاعية للشهيق والزفير، كان يمارسه «تنجل» للوصول إلى نفس الغاية[5] (أي الجذبة). أهـ.

ـ أي إن الرياضة الإشراقية هي الطريق للوصول إلى المعرفة عندهم وعند غيرهم طبعاً، والفرق هو في تفسير هذه الظاهرة، وفي وسائل تزيينها للمريدين. وفي الرياضة

---

(١) الفكر الفلسفي الهندي، ص٤٨٦.

(٢) مستشرق إسباني مات سنة ١٩٤٤م.

(٣) اليوجا رياضة تعبدية إشراقية يمارسها الهندوس والبوذيون والجينيون للوصول إلى الجذبة.

(٤) كلمة «جذبة» هي مصطلح يستعمله متصوفة المسلمين فقط ويستعمله آسين بلاثيوس هنا بالاستعارة.

(٥) النص من كتاب «ابن عربي» لآسين بلاثيوس، ص١٨٧.

الإيقاعية للشهيق والزفير يمكن أن نلاحظ دور الأكسجين مضافاً إلى دور الإيقاع الرتيب.

*** الصوفية عند أهل الكتاب:-**

● عند اليهود:

مر في فصل سابق وصف الأستاذ عبد الأحد داود للتصوف اليهودي الذي كانوا يسمونه «التنبؤ»، وأنهم كانوا يسمون الواصل إلى الجذبة وأحلامها «نبي»، ويسمون الشيخ المسلك «صوفي»، أي المراقب أو المرشد. وكانت عندهم - على قلتهم - عدة طرق، منها «الإلكسائية» و«الأبيونية».

وبعد ظهور الإسلام بقرون، ولعله في حوالي القرن الخامس الهجري، صار التصوف اليهودي معروفاً باسم «الكبالة Gabbalah»، أي المأثور، مع الاحتفاظ بالاسم القديم «التنبؤ».

وهناك أشياء مثيرة للانتباه؟ ففي التنبؤ اليهودي (أو الكبالة) يصنفون الواصلين إلى الجذبة على ثلاث مراتب: نبي (ومعناها الناطق)، أو نبي سفاتايم (أي ناطق الشفتين)، ثم رائي، ثم بصير - وهو أعلاها - والبصير عندما يتصدى لتسليك المريدين يسمى «صوفي»، أي: المرشد. ورأينا في فصول سابقة أن متصوفة المسلمين يقسمون المكاشفين كذلك إلى نفس المراتب الثلاث: المحاضر (من المحاضرة)، ثم المكاشف (من المكاشفة)، ثم المشاهد (من المشاهدة)، وهو أعلاها، وعندما يتصدى من وصل إلى مقام المشاهدة إلى تسليك المريدين يسمونه «المرشد».

وواضح أن هذه المصطلحات التصوفية هي مرادفات للمصطلحات الكبالية.

وشيء آخر، نقرأ في المعجم الفرنسي (Larousse) وصفاً للكبالة ترجمته كما يلي: «تفسير يهودي باطني ورمزي لنص الكتاب المقدس»، كتابه التقليدي (الكلاسيكي) هو «الزوهار» أو «كتاب الإشراق». وأنصار العلوم الخفائية (الباطنية) يستعملون رموز الكبالة في اتجاه سحري. أهـ.

نلاحظ أن أسلوب الكبالة في تفسير الكتاب المقدس هو باطني ورمزي، مثل تفسير

متصوفة المسلمين للقرآن الكريم تماماً.

وكذلك استعمال الرموز الكبالية في السحر هو مثل استعمال الرموز الصوفية في السحر.

أما كتاب الإشراق «الزوهار»، فقد ظهر في أوائل القرن السادس الهجري لمؤلف يهودي من مدينة «ليون» في إسبانيا، كما يظن، ويمكن أن يكون أقدم من ذلك بقليل أو كثير.

ولننتبه إلى أن واقع تصنيف أحلام الجذبة (محاضرة ثم مكاشفة ثم مشاهدة) تابع لتوجيهات الشيخ المسلك، ولتوجيهاته فقط، وأن خوارق شتى تحدث على أيدي الكباليين.

● **عند النصارى:**

أعلنت الصوفية عن نفسها عند المسيحيين في القرن الثاني الميلادي باسم «الغنوصية»، أي: المعرفة، ومنها «الغنوصي» أي: العارف، وسماه العرب منهم «الكاهن»، وقد رفضتها الكنيسة أولاً، ومع الزمن قبلتها وتبنتها.

وهذا نص لصوفي مسيحي يصف كيفية وصوله إلى الجذبة.

يقول «نيمو»[1] خادم أم الإله، متلقي اعترافات القديسة تيريزا[2]، في كتابه «الأسفار»:

. . . وجدت فائدة كبيرة في الدعوات الصوتية التي تسمى بالأذكار، خصوصاً في الكلمات «أبانا الذي . . .» مما يكرره الفم ساعات طويلة، و«ليتقدس اسمك»، و«وفي القلب رغبة في أن ينحصر هناك»... .

كنت أجد في هذه الكلمة وحدها «الله» رضاً بالغاً لنفسي، بحيث لم أشأ ولم أستطع أن أنتقل عنها إلى أفكار أخرى، وكنت أقتصر على ذلك حتى أصل إلى البركة[3]. . .

---

(١) رجل دين إسباني من أهل النصف الأول من القرن السادس عشر الميلادي.

(٢) تيريزا الأفيلية من قرية آفيلا الإسبانية، ماتت سنة ١٥٨٢م.

(٣) ابن عربي لآسين بلاثيوس، ص١٨٦ في الحاشية.

ويعـرف القـارىء أن الـبركة تعني الجذبة، كما يظهر في هذا النص تأثر متصوفة المسيحيـين بأسلوب الـذكـر الإرهـاقي الذي استعمله متصوفة المسلمين قبل نيمو بحوالي ستة قرون.

وبسبب عوامل ما، تشعبت الصوفية عند المسيحيين إلى أكثر من مذهب، فالقديسة تيريـزا الأڤيليـة، مثلاً، تؤمن أن الخالق غير المخلوق، وتصف وصولها (أوفتوحها) بأنه اتحاد بينها وبين الله (تعالى الله)، فتقول من قصيدة:

. . . واتحـاد النفس بالله في القـران الروحي شبيه بشمعتين تذوبان معاً حتى يصبح نوراهما نوراً واحداً[١]. . .

ومن قصيدة أخرى:

. . . ها أنـذا يا عريسي الأكـبر، دعني أقـترب منـك . . . وليـدخل هذا الجدول الصغير في خضمك، أغثني يا أعذب حليل . . . . ولتسترح نفسي بين ذراعي عريسها[٢]. . .

حيث يظهر من أقوال القديسة هذه أن تجلياتها كانت جمالية لا جلالية، واتحادية لا وحدوية.

بينما نرى القديس خوان دي لا كروث[٣] يؤمن بوحدة الوجود، فمن أقواله:

. . . حبيبي هو الجبال، والوديان المنعزلة المليئة بالأشجار، والجزر الغريبة، والأنهار الرنانة، وصفير الرياح الحبيبة، والليل الساكن[٤]. . .

من النصـوص المـارة آنفـاً، وكذلك من الفصول السابقة، ومن أية دراسة واعية لأية وثنيـة في التـاريـخ، يظهـر واضحـاً دور الإشراق فيها، بل إن الكاهن في كل الوثنيات لا يسمى كاهنـاً حتى يصـل إلى الجـذبـة عن طريق الـريـاضة الصوفية، ويحصل على يده

---

(١) يسوع المسيح شخصيته وتعاليمه ص٢١٢.

(٢) عمر بن الفارض من خلال شعره، ص٧٧.

(٣) إسباني متصوف من أهل القرن السادس عشر الميلادي.

(٤) مجلة العربي، عدد ٣٠٥، ص٤٠.

بعض الخوارق، وقد يكتفون بالمهلسات، أويستعملونها كعامل مساعد، مع العلم أن بعض الوثنيات، كديانة الإينكا مثلاً، كانت كما يظهر تكتفي بالمهلسات، وبعضها كالديانة الهندوسية، كانت وما زالت تستعمل الطريقتين، المهلسات والرياضة الصوفية، وبعضها كان ولما يزل يكتفي بالرياضة الصوفية.

للتسلية:

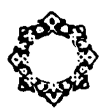
يقول د. سيد حسين نصر:

. . . بل إن مقام «الخدمة» نفسه الذي يأتي متأخراً بعد مقام البقاء، لا يجوز أن يحمل على معنى العمل أو الفرض الديني بالمعنى المألوف؟ بل بمثابة خدمة أداها كائن تذوق «الوصال»، وهي في منزلتها تقابل العهد الذي قطعه أفالوكتسفارا على نفسه في الدين البوذي، بإنقاذ الخلائق، بعد أن تم له أن يخطو خطوة واحدة في «النيرڤانا»[1]. أهـ.

ـ النيرڤانا هي المصطلح البوذي الذي يقابل مصطلح «الفناء في الله»، وقد عربها بعض المتصوفة في إيران (أو أسلمها)، فصارت «نير وان»[2]، واستعملوها بنفس المعنى.

وبقراءة النصوص المترجمة إلى العربية، نجد أن كلمة «النيرڤانا» ترد أحياناً بمعنى «المطلق»، وأحياناً بمعنى: «الفناء في المطلق»، وهو الأكثر تواتراً.

ـ ويجب ألا ننسى ملاحظة هامة، وهي أن الحقيقة الصوفية، (أي الجذبة ورؤاها)، والطريق إليها (أي الرياضة الصوفية)، هي واحدة في كل زمان ومكان، ويكون الاختلاف في أشكال الهالات التي تحاط بها، والتفاسير التي تشرح بها رؤاها وأساليب الدعاية التي يقدمونها لها»، كما أن للخلفية الاجتماعية المحيطة بالواصل دور شامل في الأطروحات التي تقدمها كشوفه.

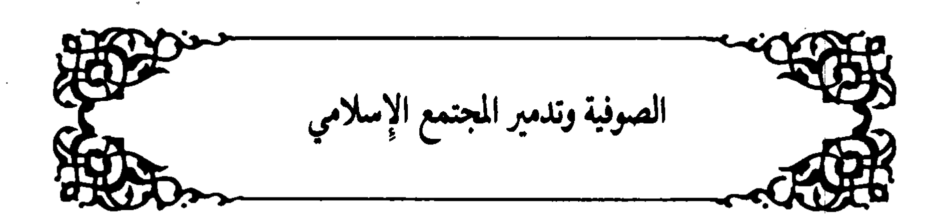


(١) الصوفية بين الأمس واليوم، ص٦٧.

(٢) من الفكر الصوفي الإيراني المعاصر، الفصل الأخير.



الفصل الرابع :



الصوفية وتدمير المجتمع الإسلامي

قلنا ونعيد :

لإبليس شركـان يصيـد بهما بني آدم، فيخـرجهم من الهـدى إلى الضـلال، ومن استقامة الفطرة إلى الانحراف والانحلال، واتباع الأهواء.

* **الشرك الأول** : الجنس وملحقاته.

بهذا الشرك يستطيع إبليس أن يبعد ابن آدم عن نداء الفطرة، وعن السلوك المستقيم الموجه بالغرائز السليمة (المتوازنة فيما بينها حسب الفطرة التي فطرها الله عليها)، فتنحرف فيه غرائز، وتتضخم أخرى على حساب بقية الغرائز التي تضمر بسبب هذا التضخم.

وأرسـل الله سبحـانـه الرسل بالتعاليم الاعتقادية والفكرية والعملية التي تحفظ على الإنسان سيره المستقيم، وتعيد الغرائز إلى توازنها الفطري، وتحقق عبادة الله في الأرض.

والإسلام هو الرسالة التي جاء بها كل الرسل : ﴿إنَّ الدينَ عندَ الله الإسلامُ﴾.

* **الشرك الثاني** : الإشراق.

قد يتغلب نداء الفطـرة في الإنسـان على نداء الهـوى، فيسـير في الطـريق المستقيم ملتزماً التعاليم الإلٰهية، متخذاً منها المنطلقات التي توجه كل تصرفاته.

وهـذا يعني أنـه أفلت من الشـرك الأول، وأنـه سار على الصـراط المستقيم. لكنـه سيجـد أيضـاً إبليس أمـامـه، ينتظـره على هذا الطريق: ﴿قالَ فبِما أغْوَيْتَني لأَقْعُدَنَّ لهُم صِراطَكَ المستَقيمَ﴾، سيجده وقد نصب له الشرك الثاني «الإشراق».

ويستغـل إبليس الغـرور والجهـل في الإنسـان ليـوقعه في هذا الشرك باسم الإسلام وباسم الولاية وباسم مقام الإحسان، والقرب والمعرفة . . . و . . . إلخ.

وللوصول إلى الإشراق يوجد طريقان:

الطـــريق الأول: طريق شجـــرة الخلد وملك لا يبلى، وهي أنـــواع، فعنـد بعض الشعـوب القـديمـة، وفي الهنـد خاصـة، كانت شجرة الحشيش، وفي الشرق الأوسط، كانت شجـرة الخشخـاش (الأفيـون)، وفي المكسيـك كانت فطـر المكسيك، وفي البير و (أمـريكـا الجنـوبية) كانت شجرة الكوكا، وفي مالينزيا كانت شجرة الكافا . . . إلى غير ذلك مما لم أقف عليه.

كانت شجـرة الخلد هذه، وفي قمتهـا الحشيش والخشخـاش، حكراً على الكهان، كما كانت تدخل قصور الملوك في أحيان كثيرة.

وكـانت سرًّا مقـدسـاً يتعـاطـاهـا الكهـان ضمن طقوس تعبدية سرية كي يقعوا في الجـذبـة، حيث تشـرق عليهم الأنـوار الهلوسيـة، ويتلقـون العلوم اللدنيـة الهـذيـانية، وينطقون بما يتوهمون أنه الحكمة.

وبهـذه الإشـراقات الباطلة، والحكمة المتوهمة، كانوا يخرجون من الإسلام، باباً بعد باب، وتدخل عليهم الوثنية من كل باب.

والطريق الثاني: طريق الرياضة والمجاهدة الصوفية، فكثيراً ما كان يتعذر الحصول على المهلس الخـــارجي لسبب أولآخـر، حينئـذ، كان إبليس يهيىء لأوليـائـه البـديـل النـاجـع، وبـاسم الإحسان، وباسم السير إلى الله والعروج إليه، وباسم المعرفة، كان يستجـرُّهم إلى الـريـاضـة الصوفية التي تهيىء لهم المهلس الداخلي «الإندورفين» ورفيقه الـذي توقعهم دفقـاتـه في الجذبة، حيث تشرق عليهم الأنوار الهلوسية، ويتلقون العلوم اللدنية الهذيانية، وينطقون بما يتوهمون أنه الحكمة.

وطريق الرياضة هذه هي طريق خداعة، تخدع الإنسان أكثر من طريق شجر الهلوسة، لذلك كان اعتماد إبليس عليها أكثر من اعتماده على الشجر، وكان اسمها «الكهانة والمعرفة»، وعندما حاربها الإسلام، حولوا اسمها إلى «الصوفية»، وعندما كُفِّر من كهانها من كفر وقُتل من قتل، ظهرت الطريقة البرهانية الغزالية.

والطريقة البرهانية الغزالية، والتي هي الإشراق الممزوج بالإسلام، هي أسلوب إبليسي استعمله إبليس، ويستعمله، للإبقاء على مسيرة الإشراق الذي فتن به بني آدم كما أخرج أبويهم من الجنة.

فأصل الأديان كلها الإسلام: ﴿وإنْ مِن أُمةٍ إلا خلا فيها نَذيرٌ﴾ و﴿إنَّ الدينَ عندَ الله الإسلامُ﴾، وعن طريق ﴿شجرةِ الخلدِ وملكٍ لا يَبْلَى﴾، أوبديلها «الصوفية»، أخرج إبليس بني آدم من إسلامهم إلى مختلف الوثنيات التي عرفها التاريخ.

لقد كان، وما زال، يوحي إلى أوليائه أن يتستروا بدين الله، ليهدمه بهم من الداخل، حيث يوهمهم أن هلوساتهم الجذبية هي إشراقات إلٰهية، وأنها نور اليقين وعين اليقين وحق اليقين، ثم يوحي إليهم أن يضيفوا علومهم اللدنية الهلوسية إلى الدين الحق، حيث تتراكم البدع شيئاً فشيئاً، ومع الزمن يختفي الدين الحق، وتسود البدع ويعتقد الناس أنها هي هو.

ومع الزمن، وبإيحاءات الأبالسة وأهواء الكهان وولائجهم، تتشعب البدع وتأخذ طرقاً مختلفة بعيدة كلها عن الدين الحق.

وكثيراً ما يكون للفئات المسيطرة دور في تشجيع مذهب بتشجيع دعاته ودعمهم ومحاولة منع المذاهب المنافسة من التحرك المكشوف، أما التحرك المستور فلا سلطان لهم عليه.

وهكذا ظهرت كل وثنيات التاريخ، وهكذا وجدت الهندوسية والبوذية والطاوية والجينية، أما اليهودية والنصرانية فقد تدخلت فيها عوامل أخرى.

وطبعاً لم ينج المسلمون من هذا الشرك الروحاني، حيث ظهرت (وتظهر) آثاره المدمرة في أشكال متعددة، لعل أبرزها ثلاثة:

١ ـ الاستسلام العجيب للتتار.

٢ ـ تمزيق الأمة الإسلامية إلى فرق مذهبية تحارب الإسلام باسم إسلام محرف ينتهجونه.

٣ ـ إفساد عام في العقائد والعبادات والأخلاق والسلوك وأساليب التفكير.

وفيما يلي بيان لهذه الأشكال التدميرية نذكرها بإيجاز شديد لأن تفصيلها يستوعب مجلدات، مع التذكير أن الكشوف والمشاهدات الجذبية هي دائماً موجهة بالقناعات الفكرية المسبقة، أي بالأماني والطموحات والمعلومات المختزنة والعواطف المهيمنة.

*** الاستسلام العجيب للتتر:ـ**

في العقود الأخيرة من القرن السادس الهجري وما يليها، كانت الصوفية واسعة الانتشار جدًّا، وقد مر معنا في الفصول السابقة أمثلة كثيرة عن الحالة التي وصلت إليها الأمة، والتي ظهرت نبتاتها الأولى في أزمنة سابقة، حتى استوت على أيدي دعاة للصوفية (مشايخ) يقدسهم حتى غير الصوفيين، جهلاً بالصوفية، ومن هؤلاء الدعاة: الغزالي (حجة الإسلام)، والجيلاني، والرفاعي، وعدي بن مسافر، والشاذلي، والدسوقي، والبدوي . . . وغيرهم.

بالإضافة إلى ما مر من الأمثلة في الفصول السابقة، نورد مثالاً (على الماشي) فيه كفاية لأخذ فكرة عن الواقع.

يورد ابن العماد الحنبلي في «الشذرات» في حوادث سنة ٦٥٧هـ:

وفيها (أي توفي في هذه السنة) الشيخ يوسف القميني الموله:

قال الذهبي في «العبر»: «الذي تعتقده العامة أنه ولي الله، وحجتهم الكشف والكلام على الخواطر، وهذا شيء يقع من الكاهن والراهب والمجنون الذي له قرين من الجن، وقد كثر هذا في عصرنا والله المستعان، وكان يوسف يتنجس ببوله، ويمشي حافياً، ويأوي أقميم حمام نور الدين، ولا يصلي».

وقال ابن شهبة في «تاريخ الإسلام»: «كان يأوي القمامين والمزابل، وغالب إقامته بإقميم حمام نور الدين بسوق القمح، وكان يلبس ثياباً طوالاً تكنس الأرض ولا يلتفت

إلى أحـد، والنـاس يعتقـدون فيـه الصلاح، ويحكى عنه عجائب وغرائب، ودفن بتربة المولهين بسفح قاسيون، ولم يتخلف عن جنازته إلا القليل. أهـ.».

ـ لا تعليق، لكن ملاحظة أنه لم يتخلف عن جنازته إلا القليل، وأن هذا حدث في دمشق، التي ما خلت منذ أسلمت من دعاة للإسلام الحق، لا يخافون في الله لومة لائم، فكيف تكون الحالة في غيرها.

ثم ننتقل إلى القطاع الذي اجتاحه المغول:

هذا القطـاع هو العـراق وفـارس، وأبـرز الطرق التي كانت منتشرة فيه أواخر القرن السـادس الهجـري هي: الجنبـلانيـة، المـلامتيـة، القشـيريـة، الصديقية، القادرية، الـرفـاعيـة، العدوية، الكبروية، وهناك غيرها طبعاً، مع العلم أن الرفاعية ثم القادرية كانت أبرزها على الإطلاق وأوسعها انتشاراً!

وفي العقـود الأولى من القـرن السـابـع ظهرت: الجشتية، السهروردية، البابائية، البكطاشية، وبقيت الرفاعية ثم القادرية هما الأبرز والأوسع انتشاراً، وتليهما السهروردية والملامتية.

من النتائج لهذا الانتشار الصوفي، النتيجة الظاهرة الصارخة، ألا وهي الاستسلام العجيب للغزو التاتاري الذي كان يبيد المدن والقرى ويقتل الملايين، بينما كان المسلمون يهرعـون إلى المشيـاخ والقبـور، ويلجـؤون إلى الأوراد والطـلاسم لاستجلاب النصر، ويستسلمون للذبح استسلام النعاج!!

لأخـذ فكـرة عن هذا الاستسـلام العجيب نورد نبذاً من «الكامل في التاريخ» لابن الأثير، منها:

ذكر خروج التتر إلى بلاد الإسلام

لقد بقيت عدة سنين معرضاً عن ذكر هذه الحادثة استعظاماً لها، كارهاً لذكرها، فأنا أقـدم إليـه رجـلاً وأؤخـر أخـرى، فمن ذا الـذي يسهـل عليـه أن يكتب نعي الإسـلام والمسلمـين، ومن الـذي يهون عليـه ذكر ذلك، فيا ليت أمي لم تلدني، ويا ليتني مت قبل هذا وكنت نسيـاً منسيًّـا . . . هذا الفعـل يتضمن ذكر الحادثة العظمى والمصيبة الكبرى

التي عقمت الأيام والليالي عن مثلها، عمت الخلائق وخصت المسلمين، فلو قال قائل: إن العالم مذ خلق الله سبحانه وتعالى آدم إلى الآن لم يبتلوا بمثلها لكان صادقاً، فإن التواريخ لم تتضمن ما يقاربها ولا ما يدانيها. . . ولعل الخلق لا يرون مثل هذه الحادثة إلى أن ينقرض العالم وتفنى الدنيا[1]. . .

ـ أقول: رحم الله ابن الأثير، فلقد رأى الخلق قبل أن ينقرض العالم وتفنى الدنيا أبشع من تلك الحادثة بكثير بكثير بكثير؟ فالماركسية حتى الآن، وفي أقل من سبعين سنة، قتلت من المسلمين ما يزيد عن (١٠٠) مليون نسمة، واحتلت من أراضيهم ما يزيد عن (٢٣) مليون كيلومتر مربع (أرقام فلكية)، وهي تزحف وتزحف، وتقتل من المسلمين في أفغانستان والحبشة وغيرها ما يزيد معدله عن (١٢٠٠) قتيل يوميًّا عدا عن أضعافهم من المشردين وعدا عن المجازر الاستثنائية التي جرت وتجري في بلاد العرب وغيرها والتي يذهب ضحيتها عشرات الألوف ومئاتهم في أيام أو أسابيع. والفرق بين حالة المسلمين في ذلك الوقت وبين حالتهم الآن، أنهم في ذلك الوقت كانوا يعرفون أن الذين يقتلونهم هم التتر، أما الآن؟ فيرون ويسمعون ويلمسون ولا يحسون ولا يعرفون!؟ وإلى الله المشتكى.

ومنها:

ذكر مسير التتر إلى أذربيجان وملكهم أردبيل وغيرها

. . ثم إنهم ملكوا البلد عنوة في شهر رمضان سنة ثمان عشرة (بعد الستمائة)، ووضعوا السيف فلم يبقوا على صغير ولا كبير ولا امرأة حتى إنهم يشقون بطون الحبالى، ويقتلون الأجنة، وكانوا يفجرون بالمرأة ثم يقتلونها، وكان الإنسان منهم يدخل الدرب فيه الجماعة فيقتلهم واحداً بعد واحد، حتى يفرغ من الجميع، لا يمد أحد منهم إليه يداً[2]. . .

ومنها:

---

(١) الكامل في التاريخ: ٩ / ٣٢٤.

(٢) الكامل في التاريخ: ٩ / ٣٣٩.

ذكر ملك التتر مراغة

. . . وبلغني أن امرأة من التتر دخلت داراً وقتلت جماعة من أهلها، وهم يظنونها رجلاً، فوضعت السلاح، وإذا هي امرأة، فقتلها رجل أخذته أسيراً. وسمعت من بعض أهلها أن رجلاً من التتر دخل درباً فيه مائة رجل، فما زال يقتلهم واحداً واحداً، حتى أفناهم، ولم يمد أحد يده إليه بسوء، ووضعت الذلة على الناس، فلا يدفعون عن نفوسهم قليلاً ولا كثيراً[٣] . . .

ومنها:

ذكر دخول التتر ديار بكر والجزيرة وما فعلوه في البلاد من الفساد

. . . إن الرجل الواحد منهم كان يدخل القرية أو الدرب، وبه جمع كثير من الناس، فلا يزال يقتلهم واحداً بعد واحد، لا يتجاسر أحد يمد يده إلى ذلك الفارس، ولقد بلغني أن إنساناً منهم أخذ رجلاً، ولم يكن مع التتري ما يقتله به، فقال له ضع رأسك على الأرض ولا تبرح، فوضع رأسه، ومضى التتري أحضر سيفاً فقتله به. وحكى لي رجل قال: كنت أنا ومعي سبعة عشر رجلاً في طريق، فجاءنا فارس من التتر، وقال لنا حتى يكتف بعضنا بعضاً، فشرع أصحابي يفعلون ما أمرهم، فقلت لهم: هذا واحد، فلم لا نقتله ونهرب؟ فقالوا: نخاف! فقلت: هذا يريد قتلكم الساعة، فنحن نقتله، فلعل الله يخلصنا، فوالله ما جسر أحد أن يفعل ذلك! فأخذت سكيناً وقتلته وهربنا فنجونا، وأمثال ذلك كثير[١] . . .

ـ أقول: ما دام القتل مؤكداً، وما دام في الدفاع عن النفس إمكانية للنجاة، إذن، فلم يكن ذلك الاستسلام بسبب الخوف فقط، ولو كان الخوف وحده هو السبب هربوا على الأقل، إن لم يدافعوا! ولو محّصنا الأمور لرأينا أن السبب الأساسي هو «مقام التوكل، أو التسليم، أو عدم الاعتراض»، الذي جرتهم إليه الصوفية، وعلى رأسها الرفاعية التي كانت واسعة الانتشار، بسبب ضرب الشيش، والهجوم على النار، وأكل الحيات . . . ثم القادرية ثم بقية الطرق.

---

(١) الكامل في التاريخ: ٩ / ٣٣٧.

(٢) الكامل في التاريخ: ٩ / ٣٨٥.

ومنها :

ذكر وصول طائفة من التتر إلى أربل ودقوقا

. . . (يذكر حوادث مذهلة) إلى أن يقول : وعادوا (أي : التتر) سالمين، لم يذعرهم أحـد، ولا وقف في وجههم فارس! وهـذه مصـائب وحوادث لم ير الناس من قديم الزمان وحديثه ما يقاربها! فالله سبحانه يلطف بالمسلمين ويرحمهم ويرد هذا العدو عنهم[1]. . . أهـ.

ـ هنا أذكر تقريراً لصاحب كتاب «الفكر الشيعي والنزعات الصوفية»، يقول :

. . . وجـلا ابن تيميـة حقيقـة أخـرى، حين قرر أن ظهـور الأحمـديـة (الرفاعية)، وإضعـافهم الـوازع الديني المتصل بالفقه الإسلامي مباشرة، وتحذيرهم الناس، وحملهم على الخمول والكسل والتسليم، كان أكبر أسباب ظهور التتار[2]. أهـ.

ـ أقـول : إن دور العقيـدة التي غرستهـا الصـوفيـة أقوى من دور الخمول والكسل، ولنسمع شاعرهم يقول :

يا خائـفـين من الـتـتر عوذوا بقـبر أبـي عمـر ينـجـيكمـو من الضـرر[3].

وهذا تقرير آخر، لأبي الحسن الندوي، يقول :

كانت العقائد والتقاليد المشركة نالت رواجاً بين عامة المسلمين باختلاطهم مع غير المسلمـين . . . وانتشـار تعليـمات الجهلة والضـالة من الصوفية وأعمالهم، فقد وجد عدد وجيـه من المسلمـين في ذلك الحين يعتقدون في أئمة دينهم ومشايخهم والأولياء والصالحين منهم الاعتقادات الفاسدة . . . وكل ما كان يدور حول قبور الأولياء والمشايخ كان تقليداً ناجحاً للأعمال والتقاليد التي كانت تنجز في معابد غير المسلمين وقبور المقدسين عندهم، فالاستغـاثـة منهم والاستعـانة بهم، ومدّ يد الطلب والضراعة إليهم، كل ذلك كان عامًّا شائعاً بينهم، كما عمت عادة بناء المساجد الفخمة على قبورهم وجعلها مسجداً، وعقد

---

(١) الكامل في التاريخ : ٩ / ٣٨٦.
(٢) الفكر الشيعي، ص٨٨.
(٣) رجال الفكر والدعوة في الإسلام : ٢ / ١٧٦.

المهرجانات عليها عاماً فعاماً، وقطع المسافات الطويلة للوصول إليها، وقد تفاقمت هذه العقائد السيئة وانتشرت هذه البدع والمنكرات في أواخر القرن السابع بشكل فظيع[1]. . . إلخ.

ـ أقول: كل ما كان يدور حول قبور الأولياء والمشايخ، لم يكن تقليداً ناجحاً للأعمال والتقاليد التي كانت تنجز في معابد غير المسلمين كما قال أبو الحسن! وإنما هو نتيجة طبيعية للصوفية أينما وجدت، يؤمن به كل الصوفية، لكنهم يظهرونه عندما يأخذون قسطاً كافياً من الحرية، ويكتمونه تقيَّةً عندما تتفتح عليهم أعين المسلمين اعتقاداً منهم أن هذا هو رسالة الإسلام، وقد رأينا من أقوالهم مئات النصوص التي تشير إلى هذا.

وترد هنا ملاحظة هامة، هي أن التتر عرفوا للصوفية فضلها في انتصاراتهم التدميرية وقدروها كثيراً، وأعطوها مركزاً مرموقاً، جعلها تهيمن على كل البلاد التي اجتاحها التتر، وقد جلى هذه الحقيقة أحد مشايخ الرفاعية، هو صالح بن عبد الله البطائحي، عندما قال في صراحة تامة لابن تيمية في مناظرته له في مصر سنة ٧٠٥هـ / ١٣٠٥م: «نحن ماينفق حالنا إلا عند التتر، وأما عند الشرع فلا».

وكان هذا التقدير الكبير للصوفية من قِبَل التتر الذين دمروا البلاد وأهلكوا العباد سبباً آخر لإقبال الناس، من أهل البلاد التي اجتاحها التتر، ومن التتر أيضاً، إقبالاً كاملاً على الصوفية وتقديس مشايخها إلى درجة التأليه، حتى عم البلاء إلا من رحم ربك.

● **النتيجة:**

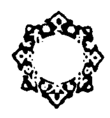
الصوفية كانت العامل الأساسي الوحيد وراء الاستسلام العجيب لتلك المجازر التي ما عرف التاريخ مثل هولها حتى ظهور الماركسية سنة ١٩١٧ في روسيا، ثم امتدادها بعد ذلك، حيث قتلت من المسلمين وحدهم في مدة (٦٨) عاماً ما يزيد عن (١٠٠) مليون نسمة، واحتلت من أراضيهم ما يزيد عن (٢٣) مليون كيلومتر مربع، وهي تزحف بإصرار وبأساليب مبنية على القوانين العلمية للقضاء على العالم الإسلامي

---

(١) رجال الفكر والدعوة في الإسلام: ٢ / ١٧١ و ١٧٢.

عامة، والعربي خاصة، والمسلمون هم الذين يمهدون لها الطريق، ويزيلون من أمامها العقبات، ويعدون مقاتلة أعداء الماركسية جهاداً في سبيل الله، ولعلهم لم يشعروا بعد أن الماركسية هي اليهودية، وأنها التطبيق العملي لأسطورة الشعب المختار، وأنها تجند البشر لخدمة اليهود، ولعلهم لم يشعروا بعد أنهم مجروفون فيها بشكل أو بآخر، دون أن يشعروا كما وصفهم الرسول ﷺ: «غثاء كغثاء السيل». ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، إنا لله وإنا إليه راجعون.

ولعلهم لم يشعروا بعد أن الماركسية هي فتنة الدجال، وستبلغ قمتها بظهور المسيح الدجال، ملك اليهود، مع العلم أن أحوال الماركسية وأساليبها وغاياتها (التي لم يشعر بها المسلمون بعد) تطابق أوصاف الرسول لفتنة الدجال مطابقة تامة، وأنها لا تجري بقوى سحرية، وإنما بالدعاية الرمادية الغزيرة منذ عقودها الأولى، حيث اقتنع المسلمون بأوهام لا واقع لها، وصارت عندهم هذه الأوهام حقائق بدهية من طول ما سمعوه من دعاية موجهة وكثرتها، وأصبح المسلمون لا يرون كافراً ولا عدوًّا للإسلام إلا مَنْ يحارب الماركسية.



□ الفرق المذهبية :

يمكن أن نميز في الفرق المذهبية عند المسلمين عدة حالات :

أ ـ فرق ذات منشأ غير صوفي، نشأت فيها طرق صوفية، فشحنتها بالأعداد الكثيرة التي أعطتها الدفع اللازم للاستمرار.

ب ـ فرق صوفية المنشإ والمسير، يعتبرون أنفسهم صوفية حتى الآن، بينما هم غدوا فرقاً متميزة.

ج ـ فرق صوفية المنشإ، تطورت حتى نسي أهلها منشأهم الصوفي، وصاروا على دين جديد.

د ـ فرق لم تنشأ فيها طرق صوفية، فاضمحلت وذابت في إحدى الفرق السابقة أو رجعت إلى الإسلام.

هـ ـ فرق لم يكن للصوفية فيها دور ملحوظ، ورغم ذلك استمرت مسيرتها، لكنها الآن قليلة الأتباع نسبيًّا، ولعله لا يوجد منها غير فرقتين : الزيدية بفروعها (السليمانية والصالحية والجارودية . .)، والإباضية، مع ملاحظة هامة هي : لو اعتبرت الزيدية الصالحية والسليمانية (فقط) مذهباً خامساً، والإباضية مذهباً سادساً، لما كان هذا الاعتبار بعيداً عن الواقع، مع اعتراض على الإباضية، لقولهم بتكفير علي بن أبي طالب.

وفيما يلي، نستعرض بإيجاز أبرز الفرق في عصرنا الحاضر، التي لعبت الصوفية دورها في وجودها أو في استمراريتها :

*** الإسماعيلية :**

يحتاج التوضيح الموجز إلى دور الصوفية فيها إلى صفحات كثيرة، لذلك نكتفي

بإيراد بعض أقوال لبعض الباحثين:

يقول عارف تامر، وهو إسماعيلي من اسلمية، في تقديمه لقصيدة عامر بن عامر:

... مما لا ريب فيه أن في القصيدة آراء إسماعيلية ظاهرة، وتعابير إسماعيلية باطنية لا تخفى على المطلعين، ولعل هذا يثبت نظريتنا القائلة بأن المدرستين، الإسماعلية والصوفية، كانتا متلازمتين تتأثران ببعضهما البعض بالنسبة لوقائع الأزمنة والأحوال[1]...

ويقول الدكتور سيد حسين نصر:

... فقد كانت هناك بعض الصلات بين التصوف والتشيع ـ وعلى الأخص بطابعه الإسماعيلي ـ كما يبدو مما ذكره إخوان الصفاء عن التصوف في رسائلهم، وهم إن لم يكونوا حتماً من أصل إسماعيلي، فهم بلا ريب قد نشؤوا في وسط شيعي، واقترن ذكرهم فيما بعد بالحركة الإسماعيلية[2]... اهـ.

ـ وأضيف: إن العقائد والشطحات عند الإسماعيلية بشكل عام، وعند الحسن بن الصباح منذ استيلائه على قلعة (آلَهْ مُوت) في نواحي قزوين سنة ٤٨٣هـ، وعند خلفائه، بشكل خاص، سواء في الأقوال أو الأفعال، وكذلك عند سنان راشد الدين الذي استولى على عدة قلاع في الشمال الغربي من الشام، في النصف الثاني من القرن السادس الهجري، وما يذكر عنه من خوارق تدل على قيامه بالرياضة الإشراقية، وتقديسهم لابن عربي وأفعاله، وتبنيهم تفاسيره الإشارية، كل هذا دليل على دور الصوفية في الإسماعيلية.

وهذه كلمة لعالم من علمائهم «شهاب الدين بن نصر ذي الجوشن الديلمي المينفي (نسبة إلى «المينفة» في شمال غربي سورية)، تظهر فيها وحدة الوجود إلى جانب العقيدة الرئيسية عندهم، يقول:

اعلم أيها الأخ البار الرحيم الرشيد، بأن التوحيد هو صفة الموحَّد المجيد، وهو درجة

---

(١) أربع رسائل إسماعيلية، في آخر مقدمته على قصيدة عامر بن عامر.

(٢) الصوفية بين الأمس واليوم، ص١٣٤.

العقل الفعال، وأحد الحقيقة، والمبدَع الأول، وينبوع الوجود، ومصدر العدد، فمنه إشراق أنوار الكلمة العلية، ومبتدأ الوجود، وابتداع المنزه المعبود، والواحد الفرد الصمد، الذي من جوهره وجدت الموجودات، فلزمتها صفة الأعداد والأزواج والأفراد، وإليه عودتها حين المعاد[1] . . . أهـ.

تبدو العقيدة الإسماعيلية في هذا النص في «العقل الفعال» وأوصافه، وتبدو وحدة الوجود في قوله: «الذي من جوهره وجدت الموجودات . . . وإليه عودتها حين المعاد».

وشطحاتهم في الأقوال والأفعال، التي هي، بطبيعة الحال، تشبه أحوال متعاطي الحشيش، دعت أعداءهم إلى تسميتهم بـ«الحشاشين»، وانتشر الاسم.

والإسماعيلية تنقسم إلى فرقتين رئيسيتين: النزارية (أو الآغاخانية)، والمستعلية (أو البوهرة)، وكانت الشعائر الإسلامية قد ألغيت عند النزارية منذ العقود الأخيرة في آلموت، قبل أن يهدمها التتر، لكنهم الآن عادوا إلى تطبيقها على المذهب الشافعي، وعسى أن يرتق الله سبحانه بهم بعض الفتق.

*** النصيرية :-**

مؤسسها أبو شعيب محمد بن نصير النميري (بالولاء)، مات حوالي سنة ٢٧٠هـ، وخلفه تلميذه محمد بن جندب، وكانت مدته قصيرة، وكانت الطائفة في زمنها قليلة، تتألف من بعض الشيعة الذين قبلوا أقوال ابن نصير. وبعد موت محمد بن جندب بعد عام ٢٧٠هـ بقليل، خلفه أبو محمد عبد الله بن محمد الجنان الجنبلاني (مات سنة ٢٨٧هـ)، وكان يقيم في فارس في بلدة (جنبلا)، ولذلك اشتهر أيضاً بـ(الفارسي)، وقد أحدث طريقة صوفية عرفت بـ(الجنبلانية)، وكانت مثل غيرها من الطرق، تجتذب المريدين المخدوعين من سنة وشيعة، وأكثرهم من السنة، لأن أهل السنة كانوا يشكلون الأكثرية الساحقة، وكان كل من دخل الطريقة يتحول مباشرة إلى النصيرية اتباعاً لشيخه، وبذلك ازداد أتباع المذهب النصيري ازدياداً كبيراً.

---

(١) أربع رسائل إسماعيلية، رسالة مطالع الشموس في معرفة النفوس، مطلع المرتبة الثانية في التوحيد والتنزيه والتجريد.

سافـر الجنبـلاني إلى مصـر، حيث انتسب إلى طريقته الحسين بن حمدان الخصيبي الـذي صحب الجنبـلاني في عودتـه إلى فارس، ثم خلفه في مشيخة الطريقة وفي الرئاسة الـدينيـة للطـائفة، وقد انتقل إلى حلب، وجعلها موطناً له، وانتشرت الطريقة في عهده بسرعة، وخاصة في سنجار، وانتشارها يعني انتشار المذهب النصيري، وقد ساعد على انتشـار الطـريقـة والمـذهب طول عمر الخصيبي، الذي عاش حتى سنة ٣٥٨هـ. ونورد قولاً في هذا الموضوع لمؤرخ نصيري هو محمد أمين غالب الطويل[1]، يقول:

كان السيـد أبـو سعيـد سرور (مات سنة ٤٢٦هـ)، أكبر مؤلف بين العلويين، وهو آخر شيخ منفرد بالطريقة الجنبلانية التي استحالت بعد ذلك، وتشكل منها شعب العلويـين[2]. . . («العلويـون» اسم ثان للنصـيرية استحدث زمن الاستعمار الفرنسي، ويسمَّون أيضاً «العلي إلْهيون»).

*** اليزيدية (عبدة الشيطان):-**

وهي في الأصـل طريقـة صوفيـة هي «الطريقة العدوية»، مؤسسها عدي بن مسافر الأموي، من نسل مروان بن الحكم، وقد تتلمذ على عبد القادر الجيلاني.

كانت بلاد سنجـار بجبالها ووديانها شبه منعزلة عن العالم، فترعرعت فيها النصيرية الجنبـلانيـة بحـريـة، حتى استـوت، وعندما هاجر منها النصيريون إلى المناطق الشمالية الغربية من سورية عام ٦٢٠هـ، خلفهم فيها أتباع الطريقة العدوية، إذ كان مقر عدي ابن مسـافر هناك، وترعرعت هذه الطريقة بعيداً بعض الشيء عن أعين المسلمين وعلماء الإسـلام، وأخـذت حريتهـا الكـاملة، ومن الطبيعي أن تظهـر بين مشـايخهـا الأمـويين وأتباعهم ردود فعل تتناسب شدتها مع شدة غلو النصيرية في شتمهم للأمويين، وخاصة يزيد بن معاوية، وردود الفعل هذه، مضاف إليها طبيعة الصوفية الخاضعة دوماً للكشف وتوجهاته، والذي هو خاضع بدوره لأهواء الشيخ الكامنة في نفسه من جهة، ووسوسات شيـاطـين الجن والإنس من جهـة ثانية، ومضاف إليها الجهل الذي تفرضه الصوفية على أتباعها، كل هذا جعل الانحراف المقابل للتشيع يسير بسرعة حتى استوى في مدة وجيزة

(١) من أحياء العقد الثالث من القرن العشرين الميلادي، لم أقف على تاريخ وفاته.
(٢) تاريخ العلويين، ص٢٦٤.

وظهر الزيغ والضلال في زمن شيخها حسن بن عدي بن صخر بن أبي البركات بن صخر بن مسافر، وصخر بن مسافر هذا هو أخو عدي بن مسافر الذي عمر حتى تجاوز التسعين من عمره.

مات حسن بن عدي سنة ٦٤٤هـ مقتولاً على الزندقة، وهو ابن ثلاث وخمسين سنة، ولا بد من أن يكون بعض التطور قد حدث بعده في الطريقة.

ولعل النصيرية هم الذي أطلقوا عليهم اسم «اليزيدية» للتشنيع، بينما قبلوه هم لأنهم كانوا يرون فيه شرفاً لا تشنيعاً بسبب أموية شيوخهم، وهذا يعني أن هذا الاسم يجب أن يكون قد انتشر قبل هجرة النصيرية (وهو كذلك).

ولعل مقام الورع الذي تحقق به مشايخهم، وكانوا يحثونهم عليه، هو الذي أوصلهم إلى عبادة الشيطان! فقد كانوا لشدة تحققهم بهذا المقام، يتورعون عن السب واللعن، حتى عن لعن الشيطان (بدلاً من سب الشيطان قل: لا إله إلا الله)، ثم مع مثابرتهم على التمسك بهذا المقام - ولعل عوامل أخرى تدخلت في الموضوع - صاروا يعنفون من يسب الشيطان، ومع الزمن، وزيادة الورع، تحول هذا إلى تقديس الشيطان ثم إلى عبادة له.

*** الدرزية :-**

تؤمن الدرزية أن الزمن يقسم إلى أكوار، وكل كور إلى أدوار، وأن الله سبحانه يتأنس (يظهر بصورة إنسان) في أول كل دور، وأنه (سبحانه وتعالى) في الدور الأخير من الكور الحالي تأنس بصورة الخليفة الفاطمي «الحاكم».

مؤسس الدرزية هو الحمزة بن علي الزوزني (اختفى سنة ٤١١هـ بعد اختفاء الحاكم)، ومما ينعت به: «علة العلل، العقل الأول، النور الكلي، الجوهر الأزلي، فيه بدأت الأنوار، ومنه برزت الجواهر، وعنه ظهرت العناصر، ومنه تفرعت الأصول، وبه تنوعت الأجناس، أصل الوجود، قائم الزمان، هادي المستجيبين . . . ذومعة»، وكانت دعوته بدعم مباشر من الحاكم.

ويأتي بعده في المرتبة الدينية إسماعيل بن محمد التميمي (النفس الكلية، المشيئة . . . ذومصّة)، ثم محمد بن وهب القرشي (الكلمة . . .)، ثم سلامة بن عبد الوهاب

السـامـرّي (السـابق، الجنـاح الأيمن . .)، ثم علي بن أحمـد السمّوقي الطائي (التالي، الجنـــاح الأيسـر . .)، المعـروف بلقب «بهـاء الـدين الضيف» (اختفى سنـة ٤٣٤هـ / ١٠٤٢م)، ومدته في الدعوة أطول من مدة الأربعة مجتمعين. وهؤلاء يدعون «الحدود الخمسة».

تظهـر وحـدة الـوجـود واضحة في أوصاف الحمزة بن علي: «فيه بدأت الأنوار، ومنه برزت الجـواهـر، عنـه ظهـرت العنـاصر . . . إلخ»، كما تشم منها زاخمةً رائحة الكشف والرؤى الكشفية.

وتصفِ الدكتورة نجلاء عز الدين مؤلفة كتاب: «الدروز في التاريخ» الحاكم بقولها:

«. . . فالحاكم كغيره من الصوفية، خبر المعراج الروحي فغاب بشهوده عن وجوده . . . يتكلم وكأن الله هو المتكلم، فيقول: وكما سما أناس بحبنا إلى الفناء في ذاتنا، فلولا المحبة لما فنوا ولما وصلوا إلى طريق الارتقاء إلى العالم الأقدس»[1]. (لو رجعنا إلى فصل «لا طريقة بدون شيخ»، لرأينا التشابه التام بين هذا القول وأقوال مشايخ الصوفية).

وجـاء في الـرسـالـة الثـالثـة عشـر من «رسائل الحكمة» (كتاب الدروز): إن المولى سبحانه لا يدخل تحت الأسماء والصفات واللغات . . . هو الموجود في الحقيقة ولا غيره موجود[2]. (هذا نفس قول الصوفية).

وتقـول المـؤلفـة أيضاً (وهي درزية): إن مذهب الدروز مسلك صوفي عرفاني . . . فالسـالـك بعـد أن يكـون قد ارتـاض بالعمل بموجب ظاهر الشريعة وباطنها يصل إلى مرحلة يصبـح عنـدهـا مهيأ لتقبـل الحقيقة دون حاجة إلى شعائر ووسائط . . . إن ما هو أهم من ظاهـر العبـادات معنـاهـا الحقيقي، وهـو الرياضة الروحية . . . فتصبح النفس مهيأة للمثول أمام خالقها، فتبلغ بنعمة المولى ولطفه مرتبة المشاهدة[3] . . .

وفي ترجمتها للأمير السيد جمال الدين عبد الله التنوخي، وهو يلي الحدود الخمسة في

---

(١) الدروز في التاريخ، ص١٢٩.
(٢) الدروز في التاريخ، ص١٤٠.
(٣) الدروز في التاريخ، ص١٤٨ و ١٤٩.

المقام (ت ٨٨٤هـ / ١٤٧٩م)، تقول: . . . فهو (أي عبد الله التنوخي) ينبوع الخيرات ومعدن البركات . . . العارف بالله الرباني . . . سرعان ما انتشرت شهرته كولي من أولياء الله الصالحين[1] . . .

وتقول: إن كتابات السيد مفعمة بروح صوفية، فقد اتبع خطا الصوفية في الوصول إلى معرفة الله[2] . . .

ومما تورده من أقواله: . . . فمتى قهرت النفس الشهوات أصبحت خاضعة لله، مراقبة لباريها، سائرة إلى معرفته، فيمن عليها الصفاء والإشراق[2] . . .

وفي كتاب إلى عبد القادر ريان، أحد المريدين، يقول السيد: وقاعدة السعادة في الدين والدنيا أن يستشعر العبد حضور خالقه في سره وطويته وظاهره وباطنه . . . وتأتي المشاهدة بعد الانصراف عن كل ما هو سوى الله[3] . . . اهـ.

● **النتيجة:**

الصوفية وراء الدرزية، وفي الحقيقة، الدرزية الآن هي الإشراق ذاته غير ممزوج بشيء (الخلوة والرياضة حتى الوصول إلى الإشراق)، والنصوص القليلة السابقة واضحة في هذا المدلول، وهم يسمون أنفسهم «الموحدين»، ويسمون مذهبهم «مسلك التوحيد»، ويعنون بذلك نفس المعنى الصوفي، أي: وحدة الوجود. والواصلون منهم يسمون «أعرافاً»، مفردها «عَرْف»، وهو اشتقاق من «العارف»، مع العلم أن هذا المصطلح «أعراف»، قلما يستعملونه الآن، ويستعملون بدله كلمة «أجاويد»، مفردها «جويّد».

وهناك دلائل تشير إلى أن الدروز كانوا يقيمون الشعائر الإسلامية حتى زمان متأخر.

* **البكطاشية:** ـ

طريقة صوفية في الأصل، وحتى الآن يعتبرها أتباعها طريقة صوفية، رغم أنها

---

(١) الدروز في التاريخ، ص٢٢٩.

(٢) الدروز في التاريخ، ص٢٣٦.

(٣) الدروز في التاريخ، ص٢٣٧.

صارت مذهباً ـ بل ديناً ـ شاذًّا عن الاسلام، وقد لا يمضي وقت طويل حتى ينسى أتباعها أنهم أتباع طريقة صوفية، ويرون أنفسهم أهل مذهب خاص.

وهذه بعض معالمها كما يذكرها أحمد حامد الصراف (بغدادي) في كتابه «الشبك».

١ ـ البكطاشية طريقة صوفية لا يتيسر الانخراط في سلكها إلا بعد مضي مدة التجربة، وهي ألف يوم ويوم.

٢ ـ البكطاشية تتهاون بأداء الفرائض كالصوم والصلاة والحج والزكاة والجهاد.

٣ ـ البكطاشي لا يتحرج في شرب الخمرة، فالخمرة شربها مباح.

٤ ـ البكطاشي يعترف عند الباب أو الپير بما ارتكبه من آثام ويتلقى منه المغفرة.

٥ ـ البكطاشي يغالي في الإمام علي، ويرفعه إلى مقام الألوهية[١]. اهـ.

والبكطاشية منتشرة في تركيا وشرق أوروبا، ويقال: إن عدد اتباعها في تركيا وحدها يزيد على ثلاثة عشر مليوناً، وكذلك انتشارها في مصر في تزايد مستمر، والبكطاشي شيعي اثنا عشري يسمي نفسه سنيًّا.

ويوم ١٦ آب هو عيدهم، حيث يجتمع الآلاف منهم بالألبسة الزاهية، يطوفون حول القبر المقدس في نوشهر في تركيا، ويقيمون الرقصات والأذكار الخاصة، وعلى رؤوسهم قلنسوات أسطوانية ذات ١٢ طيَّة، إشارة إلى الأئمة الاثني عشر، أئمة الشيعة، وحركاتهم في الرقص (الحضرة) عنيفة، ويبقى العيد ثلاثة أيام.

*** المتاولة: شيعة الهند وإيران والعراق الجنوبي وجبل عامل (الشرخ الأكبر في جسم الأمة الإسلامية):ـ**

ما كان التتار في غزواتهم حملة عقيدة يسعون إلى نشرها، وما كان غزوهم إلا من أجل العلو أو الانتقام أو النهب أو لمجرد الغزو والفتح، وكانت عقائدهم التي يدينون بها متشعبة وثنية ساذجة تنفر منها الفطرة السليمة.

---

(١) الشبك، ص٤٧.

عندما تصطدم أمة، هذه حالها، بعقيدة واضحة، متلائمة مع الفطرة، مستقيمة مع المنطق، صادقة المنهج، فسرعان ما تستسلم هذه الأمة لهذه العقيدة.

وهـذا ما حدث للتتـار، فبعـد جيـل (في مكان)، أو جيلين (في مكان آخر)، أو أكثر بقليل (في مكان ثالث)، أخذ التتار يدخلون في الإسلام زرافات ووحداناً.

وبـما أن الصـوفيـة كانت واسعـة الانتشار جدًّا، لذلك كان دعاة الإسلام بين التتار خليطاً من مسلمين صحيحي العقيدة ومن متصوفة، مما جعل دخول قسم لا بأس به من التتار إلى الإسلام على أيدي متصوفة، وخاصة من مشايخ الطريقة الرفاعية الذين كانوا يذهلونهم بالخوارق التي يجرونها أمامهم.

وهنـا يجب ألا ننسى أن المتصـوفـة يظهرون الشريعة ويبطنون الحقيقة (حقيقتهم)، فهم عنـدمـا كانـوا بخـوارقهم يجتذبون التتار إلى الإسلام، كانوا يجتذبونهم إلى الشريعة الإسلامية حسب الظاهر، ثم بعد ذلك يجرونهم وراءهم في طريق التصوف.

كما يجب ألا ننسى أبداً أن إبليس ماهر في الحساب، يتقن الجمع والطرح، ويعرف أن العشرة أكثر من الواحد.

ويجب كذلك ألا ننسى أبداً أن إبليس كان يعرف أن التتار ليسوا حملة عقيدة، وأنهم باختلاطهم مع المسلمين سوف يسلمون، إن لم يكن في هذا الجيل، ففي الذي بعده.

وبذلك كان يعرف أن إدخال أعداد من التتار في الإسلام بواسطة المتصوفة لإضلال أضعاف أضعاف أضعافهم، هو عملية مربحة جدًّا له.

ولـذلـك كان وجنـده يقـدمـون خدمـاتهم للمتصـوفة بإجراء تلك الخوارق، وبكل تأكيد، كانوا يقدمونها بحماس، مما سبب دخول أعداد من التتار في الإسلام.

زاد بذلـك افتتـان النـاس بالصـوفيـة، وغـدا الشيخ الصوفي إلهاً يعبد ويسجد له، وصارت تقدم له الأدعية والنذور والقرابين، ويتبرك حتى ببوله وخرئه، وصارت الطلاسم والأوراد والأحزاب والقبور هي همّ المسلم، وكان الجهل هو المساعد الأكبر.

في ذلك الوقت، أي في النصف الثاني من القرن السابع (بعد الغزو التتاري)، وما بعده، كان للتشيع فرق كثيرة (قليلة الأتباع)، يمكن توزيعها على ثلاث مجموعات

هي :

أ ـ الغـلاة : وأبـرزهم النصـيرية ، وكانوا منتشرين في شمالي سورية وفي جيوب صغيرة في العراق وفارس، وكانوا يسمون أيضاً «العلي إلهيون» .

ب ـ الأقـل غلوًّا : وأبـرزهم الإسماعيلية والزيدية الجارودية ، وكانوا منتشرين في البحرين واليمن والشـام وفي جيـوب في فارس، وكانت الزيدية في فارس أكثر من الإسماعيلية ، ولا يعرف لها وجود متميز في الشام .

ج ـ المعتـدلـة : وأبرزهم الزيدية الصالحية والسليمانية في فارس والعراق واليمن، وكذلك شيعة جبل عامل في جنوب لبنان ، والحلة وما حولها في العراق، وفي جيوب صغيرة في فارس والشام .

والشيعـة المعتـدلـة هؤلاء كانـوا يحترمـون صحـابـة رسـول الله ﷺ كلهم ، لكنهم يفضلون عليًّا بن أبي طالب، ويرونه أحق بالخلافة من أبي بكر وعمر وعثمان ، ويشتمون الأمويين، وخاصة يزيد بن معاوية ، ويرون أن الخلافة يجب أن تكون في العلويين ، وأن العباسيين مغتصبون لها ، وكانوا يتبعون المذاهب السنية في الفقه .

جاء القـرن الثـامن والتـاسـع ، والمسلمـون (ويهمنا هنا البلاد التي اجتاحها المغول) على هذه الحـال ، ومن البـدهي أن يظهر في الشيعة متصوفة ، حيث عمل مثقفوهم على الجمع بين التصوف والتشيع ، ساعدتهم طبيعة الصوفية بما فيها من باطنية وادعاء النسب لآل البيت، وزعم التسلسـل الـذي يوصلونـه إلى علي بن أبي طالب عن طريق الأئمـة الاثني عشـر، لكنهم كانـوا يبثـون عقـائـدهم هذه بصـورة محدودة بين خواصهم وبعض غيرهم ، كما ألف بعضهم كتبـاً في هذا الشأن ، أي إنهم لم يؤسسـوا طرقـاً صوفية ويحاولوا تشييعها ، بل اكتفوا بما كانوا يلقونه من دروس ومواعظ ومناقشات ، أو بما كانوا يؤلفون من الكتب، منهم :

آل طاووس :

الـذين بقيت نقـابـة الأشـراف فيهم عشـرات السنـين ، وكـانوا يُعدون أولياء ذوي كرامات أحياءً وأمواتاً ، حتى لقد صار قبر السيد أحمد بن طاووس مزاراً مشهوراً ، وحتى

تحرج العامة والخاصة عن الحلف به كذباً خوفاً[1]. وأهمهم:

- نقيب الأشراف رضي الدين علي بن طاووس، توفي سنة ٦٤٤هـ، قبل دخول التتار إلى بغداد.

- وبعده نقيب الأشراف جمال الدين محمد بن طاووس، توفي بعد سنة ٦٧٢هـ بقليل.

- وبعده غياث الدين عبد الكريم بن أحمد بن طاووس، توفي سنة ٦٩٣هـ.

ومن غير آل طاووس:

- كمال الدين ميثم بن علي بن ميثم البحراني مات سنة ٦٧٩هـ.

- عز الدين، أبو الفضل عامر بن عامر البصري، من أحياء العقود الأولى من القرن الثامن، نظم قصيدة سماها «ذات الأنوار»، عدد أبياتها (٥٠٧) أبيات، وعدد فصولها (١٢) فصلاً، نظمها سنة ٧٠٥هـ، (لنلاحظ أن ٥ + ٧ = ١٢ وهو عدد الأئمة الاثني عشرية)[2]، وقصيدته هذه التي مطلعها:

تجلى لي المحبوب في كل وجهة فشاهدته في كل معنى وصورة

هي التي يعزو عبد الوهاب الشعراني في «طبقاته» أبياتها الأوائل إلى إبراهيم الدسوقي، وتوحي هذه القصيدة بأن عامر بن عامر إسماعيلي، تصوف في الطريقة البكطاشية، فصار اثني عشريًّا إسماعيليًّا.

- الحسن بن يوسف بن مطهر الحلي، تلميذ نصير الدين الطوسي، صاحب كتاب «منهاج الكرامة»، الذي نقضه ابن تيمية في كتابه «منهاج السنة»، مات ابن المطهر سنة ٧٢٧هـ، وقد تشيع به جماعات كثيرة.

وهناك غيرهم أعداد.

هؤلاء أوجدوا هنا وهناك بؤراً شيعية جديدة أضيفت إلى القديمة، وفي هذه البؤر

---

(١) الفكر الشيعي والنزعات الصوفية، ص١١٣.

(٢) أشار إلى هذه الملاحظة مؤلف الفكر الشيعي والنزعات الصوفية.

وجد مشايخ الطرق المتشيعون الذين جاؤوا فيما بعد، دعاةً كانوا عوامل، إلى جانب الشيخ، في إقناع الأتباع بالتشيع.

ثم جاءت الطرق لتكون العامل الحاسم في تشييع فارس وبعض العراق، وقبل إلقاء نظرة سريعة على أبرزها، نعود لإلقاء نظرة ثانية، وسريعة أيضاً، على مدى سيطرة الصوفية على المجتمعات في ذلك الوقت:

مما يقرره أبو الحسن الندوي ناقلاً، يقول:

وآخرون قد جعلوا الميت بمنزلة الإله والشيخ الحي المتعلق به كالنبي، فمن الميت يطلب قضاء الحاجات وكشف الكربات، وأما الحي فالحلال ما حلله والحرام ما حرمه...

فطائفة من هؤلاء يصلُّون إلى الميت، ويدعو أحدهم الميت، فيقول: اغفر لي وارحمني، ونحو ذلك، ويسجد لقبره، ومنهم من يستقبل القبر، ويصلي إليه مستدبراً الكعبة، ويقول: القبر قبلة الخاصة، والكعبة قبلة العامة، وهذا يقوله من هو أكثر الناس عبادة وزهداً... وآخر من أعيان الشيوخ المتبوعين أصحاب الصدق والاجتهاد في العبادة والزهد، يأمر المريد أول ما يتوب أن يذهب إلى قبر الشيخ، فيعكف عليه عكوف أهل التماثيل، وجمهور هؤلاء المشركين بالقبور يجدون عند عبادة القبور من الرقة والخشوع والدعاء وحضور القلب ما لا يجد أحدهم في مساجد الله تعالى...

حتى إن طائفة من أصحاب الكبائر الذي لا يتحاشون فيما يفعلونه من القبائح، كان إذا رأى قبة الميت أو الهلال الذي على رأس القبة، خشي من فعل الفواحش، ويقول أحدهم لصاحبه: ويحك هذا هلال القبة، فيخشون المدفون تحت الهلال، ولا يخشون الذي خلق السماوات والأرض...

ويحلف أحدهم اليمين الغموس كاذباً، ولا يجترىء أن يحلف بشيخه اليمين الغموس كاذباً، ومنهم من يقول: كل رزق لا يرزقه إياه شيخه لا يريده...

وهؤلاء يجعلون الرسل والمشايخ يدبرون العالم بالخلق والرزق وقضاء الحاجات وكشف الكربات... ومن هؤلاء من يظن أن القبر إذا كان في مدينة أو قرية فإنهم

ببركته يرزقون وينصرون، وأنه يندفع عنهم الأعداء والبلاء بسببه[1]. . .

ثم يقول أبو الحسن الندوي معلقاً ومبيِّناً:

وكانت النتيجة الحتمية لهذا الإجلال والتعظيم أن تتزايد أهمية المشاهد بإزاء المساجد . . . فقد انتشرت هذه المشاهد والمزارات في كل ركن من أركان العالم الإسلامي، ووجدت آلاف مؤلفة من القبور المزورة، وتصدى الأمراء والسلاطين لوقف الممتلكات والأراضي الواسعة عليها، وأقيمت عمارات ضخمة وقباب فخمة في أمكنة هذه القبور ومشاهد المشايخ، كما وجدت أمة بأسرها من العاكفين والكناسين والخدم لهذه القبور، ونالت الرحلة إليها كل إعجاب، حتى بدأت تصل قوافل الحجاج إليها من مسافات بعيدة . . . إلى أن يقول:

وفي القرنين السابع والثامن، دخلت هذه المشاهد والضرائح في حياة المسلمين الدينية، ونالت عندهم من القبول والمركزية ما جعلها تنافس بيت الله وتتحداه[2]. . . إلخ.

وهذا تقرير آخر لابن بطّوطة (الرحالة) عن تربة أبي إسحاق، إبراهيم بن شهريار الكازروني في كازرون[3]، يقول:

. . . ومن عادتهم أن يطعموا الوارد كائناً من كان، من الهريسة المصنوعة من اللحم والسمن، وتؤكل بالرقاق، ولا يتركوا الوارد عليهم للسفر حتى يقيم في الضيافة ثلاثة، ويعرض على الشيخ الذي بالزاوية حوائجه، ويذكرها الشيخ للفقراء والملازمين للزاوية وهم يزيدون على مائة. . .

وهذا الشيخ أبو إسحاق معظم عند أهل الهند، ومن في الصين، ومن عادة الركاب في بحر الصين أنهم إذا تغير عليهم الهواء وخافوا اللصوص نذروا لأبي إسحاق نذراً، أو كتب كل منهم على نفسه ما نذره . . . وما من مركب يأتي من الصين أو الهند إلا وفيه

---

(١) رجال الفكر والدعوة في الإسلام: ٢ / ١٧٢، وما بعدها.

(٢) رجال الفكر والدعوة في الإسلام: ٢ /١٧٦ ـ ١٨٧.

(٣) مدينة إيرانية داخلية تبعد عن أقرب مرفإ إليها على خليج البصرة حوالي مائة كم، وهو بندرريك.

آلاف من الدنانير، فيأتي الوكلاء من جهة خادم الزاوية فيقبضون ذلك ... أهـ.

ـ أقول: في هذه النصوص كفاية وفوق الكفاية بكثير، لنعرف مدى سيطرة الصوفية، ومدى تأثير المشايخ على العقول، والكتاب كله براهين من أقوالهم على عقائدهم هذه التي يؤمنون بها كلهم ويكتمها الكمَّل منهم، ويظهرون الشريعة.

وهذه ملحة إضافية من أناشيدهم على لسان شيوخهم:

وأنا صرخت في العرش حتى ضج   وأنا حملت على عليّ حتى هجّ
وأنا البحار السبعة من هيبتي ترتج

في هذا المحيط، أخذت الطرق الصوفية تعمل عملها، والبارزة من هذه الطرق هي:

الصفوية: التي لعبت في هذا المضمار دورين: دوراً تأسيسيًّا في مراحلها الأولى، ثم الدور الحاسم في مراحلها الأخيرة.

مؤسسها هو صفي الدين إسحاق بن أمين الدين جبرائيل الأردبيلي، والظاهر أنه تركي الأصل، لكنه مع ذلك من سلالة الحسن أو الحسين (الشك من ابنه)، ولد صفي الدين سنة ٦٥٠هـ، ومات سنة ٧٣٥هـ على الأرجح، أخذ الطريقة (لعلها القادرية) عن الشيخ إبراهيم الزاهد الكيلاني المتوفى سنة ٧٠٠هـ في كيلان، ثم أسس طريقته التي انتشرت في أردبيل وقزوين وما حولها، وتسربت إلى غيرها من البلدان القريبة.

كان أتباعها يتحولون إلى شيعة (معتدلة) بسبب تشيع شيوخهم ونسبهم العلوي «المدعى»، ودعوتهم إياهم إلى التشيع، لأن المريد يجب أن يكون بين يدي شيخه كالميت بين يدي الغاسل، وكان أتباعه قبل الشروع بالحضرة يسجدون له، ثم يتابعون حضرتهم، وهي من الجالسة الصائتة، وقد أخذت الطريقة النعمتللاهية هذا التقليد عن الصفوية[1].

السنية السعدية: مؤسسها سعد الدين محمد بن المؤيد ... بن حمويه، مات في

---

(١) الفكر الشيعي والنزعات الصوفية، ص٢٤٩.

خراســان سنــة ٦٥٠هـ / ١٢٥٢م، لقبـوه بـ «يسعى العجم»، شيعي من تلاميـذ ابن عربي (الشيخ الأكبر)، أسس طريقته في دمشق، ثم انتقل إلى خراسان لينشرها هناك.

و«يسعى العجم» هذا هو خاتم الأولياء، الذي هو معاد النبي، ومغرب جميع الأنوار المنتشرة في العلويات والسفليات . . . وهو مظهر قيام الساعة، يعني: «قيام نفس الولاية التي تعم الإلهيـة»، وكـان يسعى العجم هذا يمثـل العلم الإلهي المتسلسـل من آدم إلى محمد ومندمجاً على ثمرة «تعليم الأسماء وعلم البيان»[1] . . .

ويسعى العجم هذا نزلت عليـه سكينـة الله فصـار بها حيًّـا باقيـاً خالداً دائماً في هذه الـدار، وأعطـاه السـلام مفاتيح الغيب . . . وهكذا صار «يسعى العجم» إنساناً إلٰهيًّا لا يختلف عن الله حتى في الخلود[2] . . اهـ.

ـ أقـول: ما على القـارىء إلا أن يتخيـل رجـلاً هذه صفـاتـه التي يؤمن بها أتباعه وغيرهم، وهو شيعي يدعوهم إلى التشيع! فهل يمكن أن يوجد في هؤلاء الأتباع من لا يستجيب له؟ وهكذا انتشر التشيع في شرقي إيران، وإن كان انتشاراً محدوداً، لأن انتشار الطـريقـة السنيـة السعـديـة لم يكن واسعـاً مثل الصفوية مثلاً، ويجب ألا ننسى أن شيخ يسعى العجم، الذي هو محيي الدين بن عربي، كان شيعيًّا أيضاً[3]، ويجعله الإسماعيلية من أئمتهم.

الحـروفيـة: مؤسسهـا فضل الله بن عبد الرحمن الحسيني الاسترابادي، شيعي كان يتنقــل بين مدن فارس، قتله ميران شاه بن تيمــورلنــك سنـة ٨٠٤هـ، له ثلاثـة كتب مقــدسـة: «الجـاردان نامـة»، أي: كتـاب الخلود، و«محبـة نامـة»، و«عـرش نامـة»، والأخيران شعر.

كان «الجاردان نامة» يدرس سرًّا، ولخليفته الثاني «علي الأعلى» شرح عليه.

في سنـة ٧٨٦هـ / ١٣٨٤م، أعلن فضـل الله مهـديتـه (مهـدي السـنة طبعاً) بين أخصائه، وتلقى البيعة سرًّا[4] . . . وكانت دعوته مبنية على أنه خليفة الله كآدم وعيسى

---

(١) الفكر الشيعي والنزعات الصوفية، ص٢٠٨.
(٢) الفكر الشيعي والنزعات الصوفية، ص٢٠٩.
(٣) ميزان الاعتدال للذهبي في ترجمة ابن عربي.
(٤) الفكر الشيعي والنزعات الصوفية، ص١٨١.

ومحمد، اجتمعت فيه مُثُل الصوفية والشيعة لإنقاذ العالم بالدم، فكان مهديًّا وختماً للأولياء ونبيًّا وإلهاً في وقت واحد[1].

وبدهي أن يتبع الأتباع شيخهم بالتشيع، لأن المريد يجب أن يكون بين يدي الشيخ كالميت بين يدي الغاسل. وطبعاً، كان الجهل أكبر مساعد.

ومما يجدر ذكره أن علم الحروف، رغم كونه من مستلزمات الكهانة (أو الصوفية؛ لا فرق) في جميع حالاتها، إلا أنه كان مقتصراً على الشيوخ والعارفين، حتى جاءت الحروفية فعممته، وصار علم الحروف (السحر) حرفة ووسيلة لتسخير الطبيعة بقطع النظر عن كون المستخدم لها برًّا أو فاجراً، وانشغل الصوفية (وغيرهم) به لرسم الهياكل والطلاسم[2] . . . والمحبة والقبول والشفاء من الأمراض وغيرها. . .

ورغم أن الطريقة الحروفية اندثرت باندماجها في البكطاشية فيما بعد، إلا أنها تركت أثرها الحروفي في كل الطرق، وبالتالي في الأمة جمعاء، إلا من رحم ربك، وهكذا صار علم الحروف (السحر) من المظاهر البارزة في ثقافة الأمة جمعاء، إلى جانب القبوريات وخوارق المشايخ وتغريبة بني هلال وقصة سيف بن ذي يزن، وكذلك ظهر أثرها بعد زمن في الشيخية، ثم في البابية والبهائية.

الهمدانية: مؤسسها علي بن الشهاب الهمداني، شيعي فارسي تخرج بالكبروية، وكان أكثر مريديه من السنة الذين تشيعوا اتباعاً لشيخهم، وكان الجهل أكبر مساعد، مات علي الهمداني سنة ٧٨٦هـ، وسار خلفاؤه على نهجه بتشييع أتباعهم على النفس الطويل، وفي الهمدانية تخرج نوربخش.

في هذه العقود - أي النصف الثاني من القرن الثامن - ظهر أيضاً كتاب من الشيعة المتصوفة دعوا إلى الجمع بين التصوف والتشيع، لعل أشهرهم: بهاء الدين، حيدر بن علي العبيدي الآملي، مات بعد سنة ٧٩٤هـ، له كتاب كان مشهوراً، اسمه «جامع الأسرار ومنبع الأنوار في أن عقائد الصوفية موافقة لمذهب الإمامية الاثني عشرية»، وله كتاب في التصوف اسمه: «نص النصوص في شرح الفصوص»، أي شرح «فصوص

---

(١) الفكر الشيعي والنزعات الصوفية، ص١٨٢. (٢) الفكر الشيعي والنزعات الصوفية، ص١٩٧.

الحكم» لابن عربي. وبهاء الدين هذا من أتباع الطريقة الأكبرية العربية الحاتمية[1].

- ومن الظواهر البارزة في هذه العقود، تيمورلنك والحركة التيمورلنكية، ننقل جملة موجزة عنه من «الفكر الشيعي والنزعات الصوفية»:

«... فقد بدأ تيمور علاقاته الشخصية بالصوفية ... اتصل في مطلع شبابه في «كش» بالشيخ شمس الدين الفاخوري، وفي خراسان بالشيخ أبي بكر الخوافي (ت: ٨٣٨هـ)، ولما ارتفع نجم تيمور غلب عليه السيد محمد بركة (ت: ٨٠٤)، ولهذا روي عنه أنه كان يقول: «جميع ما نلته بدعوة الشيخ شمس الدين الفاخوري، وهمة الشيخ زين الدين الخوافي والسيد محمد بركة». يضاف إلى هذا أن تيمور كان يزور الصوفية ويكرمهم أينما حل، ويزور قبور شيوخهم، حتى إنه لما فتح العراق، قصد إلى واسط، ليزور قبر السيد أحمد الرفاعي. وفي مقابل هذا كان الصوفية يدعون لتيمور ويؤيدونه، وبخاصة أنه لبس الخرقة منهم، فصار بذلك واحداً منهم، واعتُبرت أعماله كرامات صوفية، وصار «مظهر تجليات الحق الجمالية والجلالية»، ووصفت أعماله كلها بصدورها عن الإلهام الإلهي والهاتف السماوي وأنباء الغيب[2]...». أهـ.

كان تيمورلنك سني المذهب، نشأ في مجتمع سني على مذهب أبي حنيفة، وقد قاده تصوفه إلى التفاعل الكامل مع الطريقة الصفوية الشيعية، فعندما اتصل بشيخها صدر الدين موسى (ت: ٧٩٤هـ) ابن صفي الدين وخليفته، أقطعه مدينة أردبيل وما حولها، فصار صدر الدين الحاكم الفعلي لأردبيل، بالإضافة إلى سلطته الصوفية المؤلهة، كما وهب ابنه وخليفته «علاء الدين علي» الأسرى الذين وقعوا في قبضته في حروبه في بلاد الروم[3] سنة ٨٠٤هـ / ١٤٠١ - ١٤٠٢م، فسمّوا «الصوفية الروملو». بينما نرى تيمورلنك هذا يجتهد في محاربة أهل السنة، وعندما ينتصر عليهم يعاملهم بقسوة بالغة، وخاصة دمشق التي أبادها إبادة كاملة، بحجة أن أهلها شاركوا في مقتل علي والحسين رضي الله عنهما، وأنهم من أتباع الأمويين.

---

(١) الصوفية بين الأمس واليوم، ص١٣٥.

(٢) الفكر الشيعي والنزعات الصوفية، ص١٦٨ و ١٦٩.

(٣) كانوا يطلقون على تركيا اسم «بلاد الروم»، والأسرى المذكورون كلهم مسلمون سنيون أتراك.

يقول كامل مصطفى الشيبي :

«جمع تيمورلنك بين العاطفة الشيعية والفقه السني» .

ويقول : «كان من الطبيعي أن تظهر في عهد تيمور حركات شيعية غالية ، وذلك لغلبة التصوف وارتفاع شأن العلويين»[1] .

ويحسن أن نذكر هنا أن «خدابندة» خليفة قازان ، تشيع وأعلن التشيع في جميع مملكته ، لكن ذلك لم يجد شيئاً لندرة دعاة الشيعة في بلاده آنذاك ، ولأن العقيدة لا يمكن أن تفرض بمرسوم يصدر عن الحاكم ، ولأن هذا الإعلان دفع دعاة السنة إلى النشاط في الدفاع عن الإسلام ، مات خدابندة ٧١٦هـ / ١٣١٦م .

وفي القرن التاسع الهجري ظهرت الطرق التي كان لها الدور الحاسم والنهائي في تحويل الفرس إلى شيعة ، هذه الطرق هي : النوربخشية ، المشعشعية ، النعمتللاهية ، ثم الصفوية في دورها الثاني .

قبل إلقاء نظرة سريعة على هذه الطرق ، لا بأس من قراءةٍ تضاف إلى ما سبق لبعض ما يقوله الباحثون في وصف الظروف التي كانت تعيشها المجتمعات المسلمة في فارس وغيرها ، يقول (الشيبي) :

« . . . لقد كانت روح اليأس والشعور بالضعف تملأ المجتمع الإسلامي في هذه الفترة إلى حد أن السلاطين الذين كان بيدهم زمام الأمور، جعلوا وسيلتهم إلى تحقيق مطامعهم اللجوء إلى الطلاسم والأدعية على طريقة البوني[2] . وكان من انتشار هذا الميل بين الناس أن انتصار «شاهرخ» على قرا يوسف في سنة ٨٢٨هـ / ١٤٢٠م نسب إلى تلاوة القراء لسورة الفتح اثني عشر ألف مرة ، ومن هنا جعل المصنفون يتجهون إلى هذا النوع من المعرفة ، ويسجلون ما مر بهم من حوادث مماثلة ، ليجعلوا من هذا التصرف علماً قائماً بذاته ، ومن أمثال ذلك ما فعله «الغياثي» المعاصر لابن فلاح من تعليل قتل «بير بودان» سنة ٨٧٠هـ / ١٤٦٦م بكونه من تأثير القران الثاني بالسرطان ، وقتل «جهانشاه»

---

(١) الفكر الشيعي والنزعات الصوفية ، ص١٧٣ .

(٢) أحمد بن علي البوني في كتابه «شمس المعارف الكبرى» .

هازم «بير بودان» سنة ٨٧٢هـ تحقيقاً لنبوءة القرآن في قوله : ﴿غُلِبَتِ الرُّومُ﴾ ، باعتبار هذه السنة تقابل قيمة ﴿بضع سِنينَ﴾[1] القرآنية الواردة في هذه السورة ، وهزيمة جهانشاه على يد حسن بك بقول عبد الرحمن البسطامي (من الحروفيين) : «إذا زاد الجيم في الطغيان فمعه ميم ابن عثمان» ، وقد قرنت الأحداث التي تمت على يد المشعشعين بقرانات مثل هذه أيضاً . . . ومن هنا كان في إمكان الإنسان أن يستكنه المستقبل عن طريق التعمق في دراسة أسرار القرآن والاجتهاد في تنمية قوة الكشف النفسية ، مع معين من العلم بالأعداد والحروف وتجمعات النجوم ودلالاتها . وكان من الطبعي في ظروف مثل هذه أن ترتفع مكانة الكرامات الصوفية التي تطورت إلى مسائل عملية تذهل الناس وتستأثر باهتمامهم ، وبذلك سمت مكانة الصوفي الاجتماعية . . . أهـ . » .

ـ إذن ، ففي مثل هذه الأرضية الاجتماعية ، كان باستطاعة الشيخ الصوفي أن يحرك أتباعه كما يريد ، وأن يجعلهم يعتقدون مايريد ، وأن يقدموا له أموالهم وأرواحهم وأبناءهم ونساءهم رخيصة لا يبتغون في ذلك شيئاً إلا رضى الشيخ على أنه رضى الله .

لكن ، رغم كل هذه التطورات ، بقيت نسبة السنة أكثر من نسبة الشيعة في فارس ، حتى جاءت الطرق التي كانت الحاسمة في الموضوع . وهي :

النوربخشية : مؤسسها واهب الأنوار «نوربخش» ، مات سنة ٨٦٩هـ ، شيعي كان يعلن أن همه هو الجمع بين التصوف والتشيع[2] ، أخبره كشفه أنه المهدي المنتظر (لم تكن خرافة محمد بن الحسن العسكري قد انتشرت بعد)[3] ، وساعده في ذلك اسمه «محمد بن عبد الله» ، وسمى ابنه : «القاسم» ، فصار : «أبا القاسم محمد بن عبد الله» ، كما عرف عن طريق الكشف أنه من سلالة فاطمة الزهراء ، انتشرت طريقته انتشاراً واسعاً بسبب الخوارق التي كانت تجري على يديه ، وبسبب مهديته وعلويته ، وبسبب الظروف

---

(١) كلمة «بضع» فقط هي التي تطابق ٨٧٢ بحساب «الجمّل الكبير» .

(٢) الصوفية بين الأمس واليوم ص١٣٧ .

(٣) المهدي عند الشيعة الآن هو محمد بن الحسن العسكري ، مع العلم أن الحسن العسكري توفي دون أن ينجب ، ومحمد المزعوم هذا غائب في مغارة سامراء منذ ألف ومائة وخمسين سنة ، وهم ينتظرون خروجه ليحكم بأحكام داود ولا يُسْأل عما يفعل ويستوزر سبعة وعشرين من قوم موسى ، ويحيي الله له الصحابة والخلفاء فيقتلهم وعلى رأسهم أبو بكر وعمر .

الاجتماعية المؤاتية، وكان أكثر أتباعه من السنة الذين تشيعوا انقياداً وراء شيخهم، إذ المريد يجب أن يكون بين يدي شيخه كالميت بين يدي الغاسل، وكان الجهل أكبر مساعد، وقد انتشرت النوربخشية في أواسط إيران وجنوبها وبعض شمالها. ولقد حاول نوربخش الانقضاض على الملك، حيث بدأ حركته ٨٢٦هـ / ١٤٢٣م في كوه تيري من قلاع ختلان، وكان أنصاره يلقبونه ألقاباً كثيرة، منها: «الإمام والخليفة على كافة المسلمين»[1]، لكنه فشل، بسبب انشقاق قسم من أتباعه، وانضمامهم إلى الطريقة الهمدانية، وشيخها آنذاك «عبد الله المشهدي»، خصم نوربخش، وهنا يظهر دور الهمدانية بالتشييع على النفس الطويل.

وبعد أن استولى الصفويون على ملك إيران بمدة، هرب شيخ النوربخشية آنذاك «طاهر بن رضا الإسماعيلي القزويني» ومعه جمع من أتباعه إلى الهند، حيث نشر هناك في ولاية «أحمد نكر» الطريقة والتشيع، وكذلك في كشمير، بجهود مير شمس العراقي، الذي يقال: إنه أدخل (٣٤) ألفاً من الهنادكة في النوربخشية (الشيعية طبعاً)[2].

المشعشعية: ظروفها تشبه ظروف النوربخشية، فقد كان مؤسسها محمد بن فلاح شيعيًّا، أخبره الكشف أنه من آل البيت، وأنه المهدي المنتظر (مهدي السنة طبعاً)، وكان معاصراً لنوربخش، كثر أتباعه بسبب مهديته ونسبه (المدَّعى)، وخوارقه (التشعشع)، وكان أكثر أتباعه في الأصل من السنة الذي تحولوا إلى شيعة اتباعاً لشيخهم، حتى استطاع أن يؤسس بهم دولة في خوزستان، عاصمتها «الحويزة»، عرفت بالدولة المشعشعية.

يقول المؤرخون لهذه الحركة:

«... يبدو أنهم (المشعشعين) كانوا في حروبهم واقعين تحت تأثير قوة شيخهم المغناطيسية، فلم يكونوا يشعرون بما حولهم، بل كانوا يقدمون على خوض المعارك في حال من الذهول والغيبة عن الحس»[3].

---

(١) الفكر الشيعي والنزعات الصوفية، ص٣٣٥.
(٢) الإمام السرهندي حياته وأعماله، ص٣٨.
(٣) الفكر الشيعي والنزعات الصوفية، ص٣١٨.

ويقولون: «وينبغي أن نتذكر أن حركة المشعشعين قامت في بدئها على التصوف، حتى وصف محمد بن فلاح بأنه كان جامعاً بين المعقول والمنقول، وصوفيًّا صاحب رياضة ومكاشفة وتصرف، وأنه انتقل من التصوف إلى التشيع فشكله بأشكال شيعية»[1].

ـ أقول: لقد كان شيعيًّا قبل تصوفه، تشيع على يد أستاذه وأبي زوجته الشيخ أحمد بن فهد الحلي، وقد تخاصما فيما بعد، وذهب محمد بن فلاح إلى القبائل التي كانت تسكن قرب واسط، وأفتى ابن فهد بقتله، وأرسل رسولاً إلى أمير القبائل التي كان ابن فلاح بينها، يطلب إليه القبض عليه، فلم ينقذ ابن فلاح إلا قسمه بأنه سني صوفي، وبأن ابن فهد وأتباعه شيعة ومن أعدائه[2].

إن هذه الحادثة تظهر أن التشيع في جنوب العراق والغرب الأوسط من إيران كان حتى ذلك الوقت مستهجناً، وكانت الأكثرية الساحقة من السنة.

بعد هذه الحادثة انتقل ابن فلاح إلى خوزستان، وهناك أسس طريقته الصوفية وشيَّع أتباعه، ثم أعلن مهديته ٨٤٠هـ، وجمع أموالاً كثيرة من قطع الطرق على الحجاج وغيرهم، ثم أعلن نفسه ملكاً، وبقيت مملكته حتى اجتاحها الصفويون.

النعمتللاهية: مؤسسها نعمة الله الولي، من إحدى قرى حلب، سني حنفي المذهب، تخرج بالطريقة الشاذلية، انتقل إلى فارس، وهناك أسس طريقته، حيث تأثر بجو التشيع الزاحف، فصار شيعيًّا، وهنا أعيد القول أيضاً، بأن هذا التشيع الزاحف كان من التشيع المعتدل، أي إنهم كانوا يرون أن الخلافة يجب أن تكون في البيت العلوي، وكانوا يشتمون الأمويين، وكانوا يحترمون صحابة رسول الله ﷺ ما عدا معاوية، وينتهجون المذاهب السنية في الفقه، هكذا كان تشيع المتشيعين في إيران في ذلك الوقت؛ وتحول نعمة الله إلى التشيع يعني أنه صار يرى الخلافة محصورة في آل البيت العلوي، وصار يشتم الأمويين، وبقي يسمي نفسه سنيًّا، أي إن الفرق بينه وبين المتشيعة في ذلك الوقت في إيران، كان هو الاسم فقط، أما المضمون فكان واحداً.

ومثل غيره من الأولياء أخبره الكشف أنه من سلالة علي بن أبي طالب، وأن أئمة

---

(١) الفكر الشيعي والنزعات الصوفية، ص٣٢٧. (٢) الفكر الشيعي والنزعات الصوفية، ص٣٠٤.

الشيعة هم أجداده، وأسس طريقته وهي «جالسة صائتة»، حيث كان المريدون قبل الشروع في الذكر يسجدون له، ثم يضعون اليد اليمنى على الركبة اليسرى، واليد اليسرى على الركبة اليمنى، ويرددون «لا إله إلا الله»، مائلين بأجسامهم من اليسار إلى اليمين مع الناي والدف.

وهؤلاء المريدون الذين يسجدون لشيخهم (وكل الصوفية كذلك وإن أخفوها تقية)، تحولوا إلى عقيدة شيخهم، أي صاروا شيعة يسمون أنفسهم سنة، وطبعاً أمر هذا الاسم هين في مثل تلك الظروف.

وهكذا جاءت النعمتللاهية لتشيع من شرد على الطرق التي كانت تعلن التشيع، لقد شيعت أتباعها وشيعت عواطفهم وأبقت اسم السنة عليهم.

ـ لم ينتصف القرن التاسع حتى كان الفرس قد دخلوا في التشيع عن طريق الصوفية، وإن كان بعضهم ما زال يسمي نفسه سنيًّا، وكانوا كلهم ـ إلا النادر ـ من الشيعة المعتدلة، الذين كانوا يحترمون صحابة رسول الله ﷺ، ويتبعون المذاهب السنية، حتى جاءت الصفوية في مرحلتها الثانية التي كانت حاسمة في هذا الموضوع.

الصفوية في مرحلتها الثانية: توسعت كثيراً، وزاد أتباعها بازدياد الإقبال عليها، ودعم موقف تيمورلنك وجماعته التقديسي لها ولشيوخها (ويجب أن ننتبه هنا إلى أن موقف تيمورلنك كان امتداداً للقناعات الفكرية المنتشرة في مجتمعه، وأنه، بصفته حاكماً، كان نتيجة، أو انبثاقاً لها)، وفي العقود الأخيرة من القرن التاسع، في زمن شيخها حيدر بن جنيد بن إبراهيم بن علي بن صدر الدين موسى بن صفي الدين (توفي سنة **٨٩٣هـ**) بلغت قمة قوتها، حتى استطاع إسماعيل بن حيدر وهو في الرابعة عشرة من عمره أن يؤلف جيشاً من أتباع أبيه يسيطر به على إيران كلها، ثم أعلن نفسه ملكاً على إيران سنة **٩٠٥هـ**. ولنستمع في ذلك إلى محمد جواد مغنية، يقول:

«... هو إسماعيل بن حيدر بن جنيد بن صفي الدين الذي ينتهي نسبه إلى الإمام موسى الكاظم عليه السلام، وهو أول ملوك الصفوية ومؤسس دولتهم، وكان آباؤه وأجداده من العرفاء وشيوخ الصوفية، فلقبوا بلقب «سلطان»، وما إن أتم إسماعيل العام الرابع عشر من عمره حتى ألف جيشاً من أتباع أبيه ومريديه، وقاده بنفسه للغزو والفتح،

وكانت إيران يومذاك موزعة الأطراف بين العديد من الملوك والأمراء ورؤساء القبائل . . . »[1]. اهـ.

ويقول كامل مصطفى الشيبي :

« . . . وسنرى أن فقهاء الشيعة في إيران كانوا من القلة بحيث اضطر الصفويون إلى استقدام فقهاء الشام ليساعدوا في نشر التشيع في بلادهم، وتنظيم الدولة على أساس منه . . . »[2] أهـ.

ـ نقول : في الواقع كان التشيع قد عم كل إيران، ولكنه كان تشيعاً معتدلاً ينتهج المذاهب الفقهية السنية، فاستقدم الصفويون فقهاء الشيعة من الشام، وكانوا نصيريين، ولعل فيهم فقهاء من شيعة جبل عامل (المتاولة)، إذ الفقه الشيعي كان محصوراً بين هؤلاء وبين الإسماعيلية، على اختلاف بينهما في الأصول والفروع، ولعل متاولة جبل عامل كانوا قد دخلوا في الغلو قبل ذلك.

جاء فقهاء الشيعة الشاميون إلى فارس، ليفقهوا الشيعة بفقه الشيعة، وطبعاً، في تلك الظروف (بجميع جوانبها) يجب أن يحدث تفاعل وتداخل وتوازن بين الفقه النصيري وجوانب من فقه الإسماعيلية الذين كان لهم وجود، والفقه السني الذي تنتهجه غالبية الشيعة، وكان علماؤه قليلين، وعلمهم ضحلاً بسبب الصوفية.

تعلم الشيعة في فارس والعراق فقه الشيعة، وصاروا كلهم من الغلاة، وإن استمروا على تسمية أنفسهم من «المعتدلين»، يقول آية الله المامقاني[3]، أكبر علمائهم في الجرح والتعديل :

«إن ما كان به الغلاة الأقدمون غلاة، أصبح الآن عند جميع الشيعة الإمامية من ضروريات المذهب»[4].

---

(١) الشيعة في الميزان، ص١٧٥.

(٢) الفكر الشيعي والنزعات الصوفية، ص٣٣٨.

(٣) محمد حسن بن عبد الله المامقاني، توفي في النجف سنة ١٣٢٣هـ / ١٩٠٥م.

(٤) الخطوط العريضة، ص٤٢.

ويـورد السيـد عبـد الله بن الحسـين السـويدي العباسي[1] نصًّا عن سجل لنادرشاه (ملك إيران)، قرىء يوم الخميس ٢٥ شوال ١١٥٦، يقول:

«... ولم يكـن في نواحـي إيـران ولا في أطـرافـهـا سب (أي سب الـشـيخـين والصحابة)، ولا شيء من هذه الأمور الفظيعة، وإنما حدثت أيام الخبيث الشاه إسماعيل الصفوي...»[2].

ومن الطبيعي أن يظهـر في المـذهب الجـديد علماء، وككل عقيدة جديدة تظهر على مسرح الوجود، يكون أتباعها متحمسين لنشرها باندفاع بالغ، كذلك كان علماء المذهب الجـديـد ودعاته، انتشروا للدعوة لمذهبهم الجديد، وخاصة بين الشيعة الغلاة والمعتدلة، ومـع الـزمن والمثـابرة على الدعوة تحول القرامطة الذين كانوا يسكنون الشواطىء العربية من خليـج البصـرة، وكـذلـك شيعـة بلاد الشام، وكثير من الإسماعيلية والفرق الشيعية الأخرى (باستثناء الفرق في اليمن) إلى المذهب الجديد؛ مذهب الشيعة الإمامية الاثني عشرية التي صارت من الغلاة، مع العلم أن أكثر متاولة الهند تحولوا من الهندوسية أو من السنة بعد ذلك.

وكـان اسم «المتـاولـة»، ولم يزل يطلق على شيعـة جبل عامل في جنوب لبنان، بينما غالبية الشيعة في العراق وإيران والهند لا يسمون أنفسهم هذا الاسم، وإنما «شيعة إمامية اثني عشرية» علماً بأن مذهب الجميع واحد بكل أصوله وفروعه ومراجعه.

وهكذا أحدث التصوف فيما أحدثه من تدمير، أكبر شرخ في جسم الأمة الإسلامية كان من الأسباب الواضحة في ضعفها واندحارها.

وقـد احتـاجت عمليـة التحـويل هذه إلى قرنين ونصف من الزمن، كانت الصوفية خلالها تعمل بدأب واستمرار، والمسلمون وفقهاؤهم في غفلة مستسلمون بحجة حب آل البيت وإحسان الظن بالمسلمين، وكأن حب آل البيت وإحسان الظن بالمسلمين يمنع من وجـوب معـرفـة الحق والأمـر به، وتمييز الباطل والنهي عنه، على أن العامل المسبب لهذه

---

(١) عالم بغدادي متوفى سنة ١١٧٤هـ / ١٧٦١م.

(٢) مؤتمر النجف، ملحق بكتاب الخطوط العريضة، ص٩٧.

الغفلة وهذا الاستسلام هو التصوف ذاته، وما بث من عقائد وفرض من جهل طيلة قرون.

ومن آثار الفقه النصيري البارزة في المذهب الجديد، سب أبي بكر وعمر، وتكفير صحابة الرسول ﷺ، وتأليه الأئمة الاثني عشر، والعصمة، والبداء، والتقية، والرجعة (أي: خرافة مهديهم محمد بن الحسن العسكري الغائب في مغارة سامراء، منذ حوالي اثني عشر قرناً، وهم ينتظرون خروجه)، وقد رأينا أسلافهم، نوربخش والمشعشع والآخرين، كيف كانوا يدعون المهدوية السنِّية، لأن محمد بن الحسن العسكري لم يكن معروفاً لا هو ولا رجعته إلا عند النصيرية وعند بعض من كان قد تأثر بهم قبل ذلك.

وكان أول المتأثرين بالفقهاء النصيرية الوافدين هم أتباع الطريقة الصفوية المباشرون، لأنهم كانوا أول من يستقبل أولئك الفقهاء وأول من يأخذ عنهم، وكانوا يبقون فيهم أكثر من البقاء في غيرهم من الإيرانيين، لذلك انقلب أتباع الطريقة الصفوية إلى النصيرية بكل ما فيها من عجر وبجر.

صار أتباع الطريقة الصفوية في عهد إسماعيل بن حيدر، وبناء على أوامره أو أوامر أبيه، يلبسون طرابيش حمراً، فأطلق عليهم اسم «قزلباش»، أي: الرؤوس الحمر، وبانتهاجهم منهج النصيرية، شكلوا فرقة جديدة في الأمة الإسلامية، معروفة الآن باسم «القزلباشية» التي سنراها فيما يأتي.

ولعل من المفيد أن نذكر أن نادرشاه (ت: ١١٦٠هـ / ١٧٤٧م) أراد أن يعيد الشيعة إلى التشيع المعتدل ثم إلى السنة بقوة الحكم، فأصدر مرسوماً يقول فيه من جملة ما يقول:

«. . . فاعلموا أيها الإيرانيون أن فضلهم (أي الخلفاء الراشدين) وخلافتهم على هذا الترتيب، فمن سبهم أو انتقصهم فماله وولده وعياله ودمه حلال للشاه، وعليه لعنة الله وملائكته والناس أجمعين، وكنت شرطت عليكم حين المبايعة في صحراء مغان عام ١١٤٨ رفع السب، فالآن رفعته، فمن سب قتلته وأسرت أولاده وعياله وأخذت أمواله . . .»[1]. اهـ.

---

(١) مؤتمر النجف، ملحق بكتاب «الخطوط العريضة»، ص٩٦.

ولكن كما قلنا، إن العقيدة لا يمكن أن تفرض من الحاكم، ولذلك لم تُجْدِ محاولة نادر شاه شيئاً، وبالعكس، فقد اغتاله قواده بعد حوالي أربع سنوات، وبقي الغلو.

ولـو استغـل دعـاة الإسلام وفقهاء السنة هذا الظرف، وانتشروا بين الشيعة يدعون إلى طريق الحق، لتركوا آثاراً ظاهرة قد تكون سبباً في تغيير تاريخ الأمة الإسلامية.

وهكـذا كانت الصـوفيـة وراء أكبر شرخ في جسم الأمة، وكذلك كانت وراء الفرق الأخرى التي منها:

*** القزلباشية:-**

يصفها أحمد حامد الصراف كما يلي: القزلباشية فرقة دينية منتشرة في بر الأناضول، وهي تعتـبر شيعيـة المـذهب في نظر المسلمين، وهي تقارب كل المقاربة نصيرية سورية، وهم يسمون أنفسهم «العلوية» . . . وهم يخالفون المسلمين بأمور منها: أنهم لا يحلقون رؤوسهم . . . ولا يصلون الصلوات الخمس، ولا يتـوضـؤون، ويكـرعون الخمر، ولا يحافظون على صوم شهر رمضان، ويصومون اثني عشر يوماً من الأيام الأولى من المحرم، ويندبون الحسن والحسين . . . وعندهم أن عليًّا تجسد فيه الإله[1] . . .

ويقـول عنهم أيضـاً: القـزلبـاشية في بدء نشأتها كانت تسمى «الصفوية» نسبة إلى قطب الأقطاب صفي الدين إسحاق الأردبيلي . . . وهو الجد السادس للشاه إسماعيل الصفوي[2] . . . اهـ.

وقـد رأينـا قبـل قليـل كيف تم التحـول من الصفـوية إلى القزلباشية، ولها وجود في أفغانستان أيضاً.

*** الروشنائية:-**

نسبة إلى «بير روش»، أي: الشيخ المنوّر، بايزيد بن عبد الله، ولد عام **٩٣١هـ**، يقـول المـترجمـون له: صحب اليـوغيين، وبدأ يرى رؤى ويسمع أصواتاً تناديه من وراء الغيب، فاشتغل بالذكر الخفي، ثم استغرق في ورد «الاسم الأعظم»، فلما بلغ الحادية

---

(١) الشبك، ص٢٤٣.

(٢) الشبك، ص٤٨.

والأربعين من عمره هتف به هاتف من السماء، أنه لم يعد في حاجة إلى الطهارة الشرعية، وينبغي له أن يصلي صلاة الأنبياء بدل صلاة المسلمين . . . وانصرف إلى الرياضة الأربعينية . . . وتعاليمه التي وردت في كتابه «صراط التوحيد» يظهر عليها أثر التعاليم الصوفية الغالية.

مات بير روش سنة ٩٨٠هـ بعد أن انتشرت طريقته (أو فرقته) انتشاراً واسعاً في الهند، ثم أخذت تتقلص بعده حتى انقرضت[1]. (لننتبه أن كلمة «روش» تحمل نفس معنى كلمة «بوذا» أي: المستنير. وكان وأتباعه يصرحون بوحدة الوجود (أي من أهل الوحدة المطلقة).

*** المهدوية:ـ**

مؤسسها محمد بن يوسف الجونبوري الذي نشأ في أواخر المائة التاسعة ببلدة جونبور في الهند، وادعى أنه المهدي، وكان أزهد الناس وأورعهم.

من معتقدات المهدوية أن السيد محمد بن يوسف الجونبوري، مهدي موعود، وأنه أفضل من أبي بكر وعمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم، بل إنه أفضل من آدم ونوح وإبراهيم وموسى وعيسى على نبينا وعليهم السلام، وأنه مساو لسيدنا محمد ﷺ في المنزلة، وإن كان تابعاً له في المذهب، وأنه ومحمد ﷺ كلاهما مسلم كامل وسائر الأنبياء ناقصو الإسلام، وأنه شريك في بعض الصفات الإلهية، بعد فوزه بمنصب الرسالة والنبوة . . .

انتشر هذا المذهب في غجرات والدكن من بلاد الهند، ومما وصف به هذا المهدي: «إنه كان صاحب المقامات العالية، ذا كشوف وكرامات».

ومن أقوال المنتقدين له: «إنه كان كذلك، ولكنه أخطأ في دعواه لوقوع الخطإ في الكشف».

ومن أقوال أحد علمائهم وهو الشيخ غلاب بن عبد الله المهدوي: «إن للمهدوية أصولاً وفروعاً، الأول منها التوبة . . . والعمل الصالح . . . ودوام الذكر على طريقة

---

(١) الإمام السرهندي، ص٤٢ وما بعدها.

حفظ الأنفاس. . . »[1]. . . اهـ.

وهكذا يتضح دور الصوفية، فقد كان محمد بن يوسف الجونبوري صاحب مقامات وكشـوف، وشـاهـد بالكشف ما ألقـاه إلى مريـديـه . . . ومن أصولهم دوام الذكر على طريقة حفظ الأنفاس . . . وللعلم: حفظ الأنفاس حسب إيقاع معين هو أحد أساليب الرياضة الإشراقية التي توصل إلى الجذبة.

*** القاديانية :ـ**

مؤسسها الميرزا غلام أحمد القادياني (نسبة إلى بلدة قاديان)، مات سنة ١٩٠٨م، صوفي أخـبره الكشف أنـه مكلف من الله تعـالى بإصلاح الخلق على نهج المسيح عيسى بن مريم عليه السلام، وقد صرح أن له إلهام ومكاشفات. ومن مكاشفاته:

ـ روح المسيح حلت فيه.

ـ ما يلهمه هو كلام الله كالقرآن الكريم والتوراة والإنجيل.

ـ المسيح (الذي هو هو) سينزل في قاديان.

ـ قاديان هي البلدة المقدسة الثالثة المكنى عنها في القرآن بالمسجد الأقصى.

ـ الحج إليها فريضة.

ـ أوحي إليه بآيات تربو على عشرة آلاف آية.

ـ من يكفر به فهو كافر.

ـ القرآن ومحمد وسائر الأنبياء قبله قد شهدوا له بالنبوة وعينوا زمن بعثته ومكانها. اهـ.

ومن أقواله التي تثبت صوفيته، وأن ما جاء به كان من الكشف، قوله:

. . . وإني ما قلت للناس سوى ما كتبت في كتبي، أي إني محدَّث، وإن الله يكلمني كما يكلم المحدَّثين . . . جاء جبريل واصطفاني وأدار إصبعه وأشار أن ربك سيعصمك

---

(١) الثقافة الإسلامية في الهند، ص٢٢٣ و ٢٢٤.

من الأعداء[1]. . .

ومن أقـوالـه: لقد حرم الذين سبقوني من الأولياء والأبدال والأقطاب من هذه الأمة المحمدية من النصيب الأكبر من هذه النعمة (المكالمة الإلهية)، ولذلك خصني الله باسم «النبي»، أما الآخرون فلا يستحقون هذا الاسم[1]. . . اهـ.

نرى الميرزا نفسـه يعـترف بأنه من الأقطاب، وأنه محدَّث، وأنه مكاشف، وأنه من بين الذين سبقوه من الأولياء والأبدال والأقطاب هو الوحيد الذي خصه الله بالنبوة.

أي إن الصـوفيـة هي وراء القـاديـانية، وطبعاً هناك خلفيات ليس هنا مجال بحثها، لكن لا بأس من التذكر هنا أن الصوفية اليهودية هي التي تسمي الواصل فيها «نبيًّا».

* **البريلوية**: طريقة صوفية منتشرة في شبه الجزيرة الهندية، نشأت شديدة الانحراف عن الإسـلام، ولعله لن يمضي وقت طويـل حتى ينسى أتبـاعهـا أنهم أتباع طريقة صوفية، وتغـدو ديـانـة جديدة مستقلة، والتشيع فيها واضح، وهم يكفِّرون بشكل خاص الجماعة الإسـلاميـة في الهنـد، والـديوبنديين، وجماعة الدعوة والتبليغ، وإذا شعروا أن أحداً من هذه الجماعات دخل مساجدهم، فالويل له والثبور.

* **الشبكية**: يدين بها أهل قرى في شرق الموصل، معروفون باسم «الشبك»، ولعله اسم للقبيلة، أو للشيخ الذي استقل بها، يقول عنها أحمد حامد الصراف:

. . . وأمـا مذهبهم فقـد كانـوا إلى ما قبـل ثلاثـين أو أربعـين سنة (أي قبل الحرب العـامـة الأولى)، بكتاشية يراجعون فيه جلبي قونية ويتلقون منه الإشارة، وكان أحدهم إذا ذهب إلى زيارة كربلاء، يراجع وكيلاً لجلبي قونية هناك[2]. .

ويقـول في مكـان آخـر: الشبـك؛ طريقـة صوفيـة، وللانخراط في سلكها مراسيم خاصة، وبقية العقائد تشبه ما في البكطاشية[3]. اهـ.

أقول: لا يقول الشبك الآن عن أنفسهم إنهم أتباع طريقة صوفية، ولعل أكثرهم لا

---

(١) القاديانية، حسن عبد الظاهر، ص٧٧.

(٢) الشبك، ص٨.

(٣) الشبك، ص٤٧.

يعرفون ذلك، وإنما يعتقدون جميعهم أنهم على دين خاص سرِّي لا يجوز البوح به.

* **الكشفية أو الشيخية**: نسبة للكشف، تفرعت عن التشيع الإيراني، إذن فجذورها الأساسية هي الصوفية، لأن الصوفية هي التي حولت إيران إلى شيعة، ومع ذلك فقد تشكلت الكشفية أيضاً عن طريق الصوفية، بدلالة اسمها «الكشفية» من الكشف الذي كان مؤسسها يقول: إنه حصل له، (مع إنكاره على المتصوفة).

أسسها الشيخ أحمد زين الدين الأحسائي (١١٦٦هـ / ١٧٥٣م - ١٢٤١هـ / ١٨٢٦م)[١]، ومن عقائدها:

الحقيقة المحمدية تجلت في الأنبياء تجلياً ضعيفاً، ثم تجلت تجلياً أقوى في محمد والأئمة الاثني عشر، ثم اختفت زهاء ألف سنة، وتجلت في الشيخ أحمد الأحسائي ثم في تلميذه كاظم الرشتي، ثم تجلت في كريم خان الكرماني وأولاده إلى أبي قاسم خان، وهذا التجلي هو أعظم التجليات لله. والأنبياء والأئمة والركن الرابع (الشيخ أحمد وخلفاؤه) هم شيء واحد يختلفون في الصورة، ويتحدون في الحقيقة التي هي (الله ظهر فيهم). والشيخ أحمد وخلفاؤه هم أفضل من جميع الأنبياء والمرسلين، وهم يعبدون عليًّا على أنه الله. ودور الصوفية واضح فيها من «الكشف، الحقيقة المحمدية، تجلي الحقيقة المحمدية، تجليات الله». وأما الاسم «الشيخية»، فهو نسبة إلى «الشيخ» أحمد الأحسائي، وهم يسيرون على نهج الطريقة الحروفية[٢].

* **البابية**: مؤسسها «الباب» علي محمد رضا الشيرازي، تسلك في الطريقة الشيخية على يد الشيخ عابد، أحد تلامذة كاظم الرشتي، واشتغل بعلم الحروف حسب الطريقة الحروفية، ثم انتقل إلى النجف وكربلاء، وتتلمذ على كاظم الرشتي نفسه، كما اتصل بالمتصوفة حيث انقطع مع نفر من أصحابه إلى الرياضة الصوفية أربعين يوماً (الأربعينية)، ثم خرج وهو يتكلم بالعلوم اللدنية، وبالكشف أوحي إليه كتاب البابية المقدس «البيان»، وهذه نبذ منه:

---

(١) يوجد خلافات في تاريخ ولادته وموته، وقد اعتمدت هنا أعلام الزركلي.

(٢) حقيقة البابية والبهائية، ص٤٥ وما بعدها.

«لا تتعلمن إلا بما نزل في البيان، أو ما ينشأ فيه من علم الحروف وما يتفرع على البيان، قل يا عبادي تتأدبون ولا تخترعون، نم تخضعون على أنفسكم ثم تنصتون، ثم الواحد من بعد العشر أن لا تتجاوزون عن حدود البيان فتحزنون».

«إنا قد جعلناك جليلاً للجاللين. وإنا قد جعلناك عظياناً عظيماً للعاظمين. وإنا قد جعلناك نوراً نوراناً نويراً للناورين. وإنا قد جعلناك رحماناً رحيماً للراحمين. وإنا قد جعلناك تماماً تميماً للتامين. قل إنا جعلناك كمالاً كميلاً للكاملين. قل إنا قد جعلناك كبراناً كبيراً للكابرين. قل إنا قد جعلناك حباناً حبيباً للحابين. قل إنا قد جعلناك شرفاناً شريفاً للشارفين. قل إنا قد جعلناك سلطاناً سليطاً للسالطين. قل إنا قد جعلناك ملكاناً مليكاً للمالكين. قل إنا قد جعلناك عليانا عليلاً للعالين. قل إنا قد جعلناك بشراناً بشيراً للباشرين...».

«تبارك الله من شمخ مشمخ شميخ. تبارك الله من بذخ مبذخ بذيخ. تبارك الله من بدء مبتدىء بديء. تبارك الله من فخر مفتخر فخير. تبارك الله من ظهر مظهر ظهير. وتبارك الله من قهر مقهر قهير. وتبارك الله من غلب مغتلب غليب...» إلخ.

هذه نماذج من علوم الباب اللدنية الكشفية، والكتاب محشو بالعبارات الصوفية والمشيرة إلى وحدة الوجود.

مع ملاحظة هامة، هي أن من أصحاب الباب السابقين ما يقرب من أربعمائة يهودي، اثنان منها حاخامان.

كان إعلان الباب عن دعوته سنة ١٢٦٠هـ / ١٨٤٤م، وهو ابن خمس وعشرين سنة، وقد أصدر العلماء فتوى بقتله على الردة، ونفذ فيه حكم الإعدام بأمر من الشاه ناصر الدين سنة ١٢٦٥هـ / ١٨٤٩م[1].

والمهم أن نعرف أن الصوفية كانت وراء البابية مع عوامل أخرى طبعاً.

* **البهائية**: تفرعت مباشرة عن البابية، إذن فجذورها صوفية، بالإضافة إلى الدور

(١) حقيقة البابية والبهائية، ص٥٧ وما بعدها.

الرئيسي الذي لعبته الصوفية في نشأتها.

مؤسسها (بهاء الله) الميرزا حسين علي بن الميرزا عباس بزرك المازندراني النوري، ولد سنة ١٢٣٣هـ، وكان يعاشر الصوفية ويتعب نفسه في قراءة كتبهم، انضم إلى البابية مع أوائل من انضم إليها، تنقل ورجع إلى طهران، ثم نفي إلى بغداد، واشتد الخلاف بينه وبين البابية، فهرب خفية إلى غار قريب من قرية «سركلو» التابعة لناحية «سورداش» في لواء السليمانية شمالي العراق، وأظهر هناك النسك والتصوف، وكان يحضر مجالس الصوفية كثيراً.

يقول صاحب كتاب «حقيقة البابية والبهائية»:

. . . وهناك رافد آخر أثر في عقله وثقافته وأسلوبه، وهو المذاهب الصوفية، وبالأخص ما يتصل بوحدة الوجود والحلول والفناء، ولا غرابة في ذلك، فلقد خالط الصوفية منذ صغره، وتتلمذ على أيديهم . . . وتأثير الكتابات الصوفية قد بلغ في أسلوب الميرزا حسين مبلغاً عظيماً، حتى إنك لا تكاد تقرأ صفحات من كتاباته إلا وتحسب نفسك أمام كتاب من كتب متطرفي الصوفية في معانيه ومبانيه. . . اهـ.

وله كتب مقدسة، منها: «الإيقان»، و«الأقدس»، و«الإشراقات»، وغيرها.

وهذه نبذ من «إشراقات بهاء الله»، يقول مخاطباً البابيين:

«يا ملأ البيان، ضعوا أوهامكم وظنونكم ثم انظروا بطرف الإنصاف إلى أفق الظهور، وما ظهر من عنده ونزل من لدنه، وما ورد عليه من أعدائه . . قد حبس مرة في الطاء، وأخرى في الميم، ثم الكاف مرة أخرى . . .».

من قوله في إشراقاته مخاطباً المسلمين:

«قل يا ملأ القرآن قد أتى الموعد الذي وعدتم به في الكتاب، اتقوا الله ولا تتبعوا كل مشرك أثيم، إنه ظهر عليَّ شأن لا ينكره إلا من غشته أصحاب الأوهام وكان من المدحضين . . .».

ادعى الميرزا حسين أنه المسيح عيسى عليه السلام، ثم ادعى الربوبية، وقال: إن الله يتجلى عليه، فيفنى منه العرض، ولا يبقى إلا الجوهر الرباني الخالص، ومن هنا جاء

لقبه: (بهاء الله)، ومن أقواله في ذلك:

«يا حسين، اسمع النداء من شطر السجن، إنه لا إله إلا هو الفرد الخبير، إذا رأيت أنجم سماء بياني، وشربت رحيق العرفان من كأس عطائي، قل: إلهي إلهي! لك الحمد بما أيقظتني وذكرتني في سجنك، وأيدتني على الإقبال إليك، إذا أعرض عنك أكثر عبادك».

وأساس عقيدة البهائية أن الله (جل وعلا) ليس له وجود الآن إلا بظهوره في مظهر البهاء، وكان يظهر قبلاً بمظاهر تافهة في الديانات السالفة، لكنه بظهوره في البهاء الأبهى، بلغ الكمال الأعلى . . .

ويصرح البهائيون في كتبهم بأن الميرزا حسين البهاء هو ربهم[1].

المهم هو أن الصوفية وراء البهائية ومنشئتها.

● **وفي الختام:ـ**

«كفر داعل» و«خان العسل» قريتان من قرى حلب، أهلها مسلمون حتى سبعينات القرن الرابع عشر الهجري، حيث وفد إليهما بعض النصيرية، وفيهم شيخان صوفيان «الشيخ حسين» وأخوه «الشيخ نصّوح»، ولعلهما من الطريقة الجنبلانية، سلكا المريدين، وكانت تحدث على أيديهما بعض الخوارق، وفي سنين قد لا تتجاوز العشرين، كان أهل القريتين قد تحولوا إلى النصيرية مع مجموعات في القرى المجاورة.

مات الشيخ حسني (لعله في العقد الأخير من القرن الرابع عشر الهجري)، وبنوا له مقاماً يناسب المقام، ولعل أخاه الشيخ نصّوح لا يزال حيًّا حتى كتابة هذه الكلمات.

ومن قصصه التي يرويها شاهد عيان:

ذهب الشيخ نصّوح إلى قرية (عَنَدان) القريبة من القريتين السابقتين لزيارة جماعة من مريديه الذين تحولوا إلى نصيرية على يده ويد أخيه، وبعد هدأة من الليل طلب من

---

(1) حقيقة البابية والبهائية، ص١٤٧ وما بعدها.

المجتمعين عنده الخروج معه إلى خارج القرية، وهناك أخبرهم أنهم سيقومون بغارة على إسرائيل؟ وأمرهم أن يفعلوا مثله.

وعادة، في الحقول والبيادر المحيطة بالقرى، يعينون الحدود بين العقارات بسلاسل من الحجارة الصغيرة (الدبش) يبنونها عليها.

أخذ الشيخ نصّوح يتناول من هذه الحجارة الواحد بعد الآخر، ويقذفها باتجاه فلسطين مع ترديد صوت «زْزْزْزْزْزْزْزْزْزْ . . . » بصوت عال عندما ينطلق الحجر من يده، وصوت «بومْ مْ »، عندما يسقط على الأرض.

وأخذ مريدوه يفعلون نفس الشيء، يأخذون الحجارة من سلاسلها، ويقذفونها باتجاه فلسطين، وكانت أصوات «زْزْزْزْزْزْزْزْ . . . بومْ مْ . . زْزْزْزْزْزْزْزْزْ . . . بومْ مْ» تنطلق في الفضاء مختلطة ببعضها مغطية على أصوات وقع الحجارة أو ارتطامها ببعضها.

بقي الفقراء هكذا طيلة ساعات، زالت بعدها معالم الحدود بين العقارات، وتوعرت أراضي سيئي الحظ الذين كان نصيبهم أن يحصل هذا الجهاد في أرضهم.

بعد منتصف الليل، عاد المجاهدون إلى بيوتهم منهكين من التعب فرحين بما تيسر لهم من الجهاد في سبيل الله على يد شيخهم العظيم.

في الصباح، ذهب أحد المجاهدين إلى دكان بقال صديق في حاجة له، وأثناء الحديث أخبره بغزوة الليل، فما كان من البقال إلا أن طلب من صديقه البقاء في الدكان ريثما يعود، وخرج مسرعاً إلى البيت الذي ينزل فيه الشيخ نصّوح، حيث وجد القوم مجتمعين عنده، فسلم وجلس بخشوع ظاهر، وبعد أن استأذن من الشيخ بالكلام قال له: يا سيدي، رأيت هذه الليلة حلماً شغلني، أريد أن أعرضه عليك، رأيت أني في إسرائيل، ورأيتك هناك، ومعك جماعة لم أتبين وجوههم، في أيديكم القنابل تلقونها على اليهود، وكانت كل قنبلة تقتل عدداً منهم.

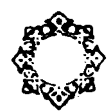
انفلت الشيخ نصوح يصيح بصوت عال: «الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر، أنت ولي، أنت مكاشف، تبركوا به يا مؤمنون هذا ولي مكاشف . . . إلى آخر ما قاله.

وعاد البقال إلى دكانه وقد ربح زبائن جدداً لبقالته.

ولعل قارئاً أو سامعاً يظن أن هذه حادثة شاذة، فنقول له: بل هي من صميم الصوفية، تورد كتبهم ما يشبهها عن أبي يعزى، وأبي مدين الغوث، وأبي الحسن الشاذلي، وأحمد البدوي، وأحمد الرفاعي، وعبد القادر الجيلاني، وغيرهم الكثير، ولعل كثيراً من القراء سمعوا الأنشودة الصوفية: «الله الله يا بدوي وجا باليُسَرى»، أي: جاء بالأسرى.

● **خلاصة ما سبق:-**

الصوفية سبب أساسي في تمزيق المسلمين، ووراء المذاهب المنتشرة التي جعلتهم فرقاً وأشياعاً.



□ الإفساد العام:

المسلمون بحمد الله كثير ون، يعدون بمئات كثيرة من الملايين، لكنهم في حالتهم الحاضرة، كما وصفهم رسول الله ﷺ: «غثاء كغثاء السيل»، وسبب هذه الغثائية هي الصوفية التي وصل فسادها في الأمة حتى الأعماق، وبيان ذلك:

أولاً: إفساد العقيدة

(أ) تؤمن العقيدة الإسلامية أن الله جلت قدرته خلق الكون من العدم لا من ذاته سبحانه، وأن المخلوقات غير الخالق، وذلك بنصوص من القرآن والسنة مر بعضها في فصول سابقة..

وجاءت الصوفية..

فحولت أتباعها عن هذه العقيدة الإسلامية إلى عقيدة وثنية هي وحدة الوجود، تؤمن أن الله هو الكون، وأن الكون والمخلوقات هي تعينات من ذاته سبحانه، تكثف كل منها حسب شكله المرئي، الذي يطلقون عليه فيما يطلقون اسم «الإناء»، ويسمون أيضاً هذه المخلوقات (أو الجزء المتعين من الذات الإلٰهية كما يفتر ون)، يسمونه «عالم الملكوت»، أما الجزء الباقي على حاله اللطيفة من الذات الإلٰهية (حسب افتراءاتهم)، فيسمونه: «عالم الجبر وت» (سبحان الله العظيم، وتعالى علوًّا كبيراً، وما قدروا الله حق قدره).

(ب) من الإيمان في الإسلام أن الله سبحانه فوق السماوات والعرش، وذلك بنصوص من القرآن والسنة مر بعضها.

وجاءت الصوفية . . .

فحولت أتباعها إلى عقيدة وثنية تؤمن أن كل ما نراه وما نحسه هو الله، أو هو جزء منه سبحانه وتعالى عما يشركون. ومن تعابيرهم عن هذه العقيدة قولهم المنتشر على الألسنة: «إن الله في كل مكان»، وقولهم بتكفير من يقول بالجهة، ويعنون بالجهة «العلو»، أي إنهم يحكمون بكفر من يقول: إن الله سبحانه فوق السماوات، وبذلك يحكمون (شعروا أو لم يشعروا) بكفر القرآن والسنة، وبالتالي يحكمون أن محمداً وأصحابه كفرة، ولعلهم لم يشعروا بذلك، لأنها لا تعمى الأبصار، ولكن تعمى القلوب التي في الصدور.

وقد مر معنا قول قائلهم: إن ظاهر القرآن من أصول الكفر.

(جـ) تؤمن العقيدة الإسلامية أن النبوة فضل من الله يؤتيه من يشاء من عباده.

وجاءت الصوفية . . .

فحولت أتباعها عن هذه العقيدة إلى عقيدة وثنية، تؤمن أن النبوة نتيجة لممارسة الرياضة الإشراقية، حتى قال قائلهم (ابن سبعين): لقد ضيق ابن آمنة واسعاً عندما قال: لا نبي بعدي.

(د) تؤمن العقيدة الإسلامية أن محمداً، ومثله جميع الأنبياء صلوات الله عليه وعليهم أجمعين، هم بشر مثل بقية البشر في كل شيء، وإنما يمتازون عنهم بالوحي وبالأخلاق العظيمة.

وجاءت الصوفية . . .

فحولت أتباعها عن هذه العقيدة إلى عقيدة وثنية تجعل محمداً ﷺ المجلى الأعظم للذات الإلهية، منه تنبثق المخلوقات وتعود إليه في حركة مستمرة (الحقيقة المحمدية)، وأطلقت عليه أسماء وصفات هي من أسماء الله سبحانه وصفاته، ويمكن الرجوع إلى كتاب «دلائل الخيرات» مثلاً، لرؤية هذا الشرك.

(هـ) تؤمن العقيدة الإسلامية أن أول ما خلق الله القلم . . . (الحديث).

وجاءت الصوفية . . .

فجعلت أتباعها يؤمنون أن أول خلق الله هو محمد ﷺ، وللتوفيق بين الحديث وبين

ضلالهم، جعلوا «القلم» اسماً لمحمد ﷺ، واخترعوا ما سموه «الحقية المحمدية»، وتجلياتها، ليجعلوا شيئاً من التنسيق بين الإسلام وبين اليونانيات.

ونحن نسمع المؤذنين يختمون الأذان بمثل: «الصلاة والسلام عليك يا أول خلق الله . . .»، ونسمع عبارة: «أسبقية النور المحمدي» على ألسنة الصوفية وأتباعهم يؤكدونها ويصرون عليهم. وبذلك يكذبون محمداً ﷺ، وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعاً.

(و) من العقائد الإسلامية أن الوحي الذي أنزله الله على محمد وعلى سائر الرسل، إنما نزل به ملك مقرب: ﴿ذي قوةٍ عندَ ذي العرشِ مَكينٍ﴾، هو جبريل عليه السلام، كان ينزل به ويعلمه محمداً والأنبياء قبله، ويذاكره به.

وجاءت الصوفية . . .

فجعلت أتباعها يعتقدون أن الوحي هو هذيان مثل هذياناتهم، وكشوفاتهم الجذبية التي تقود إليها الطريقة.

(ز) للعقائد الإسلامية، في الإسلام، مصدران فقط، لا ثالث لهما، هما القرآن، وصحيح السنة.

وجاءت الصوفية . . .

فجعلت للعقائد مصدراً ثالثاً، هو الكشف والكتب المنبثقة عنه، وجعلوه ـ عمليًّا ـ المصدر الأساسي للعقائد، وإن أنكروا ذلك نظريًّا، أما القرآن والسنة، فما وافق الكشف قرروه، وما خالفه أولوه، ليتفق مع الكشف! وقد صرح بذلك حجتهم الغزالي في كتابهم المقدس «إحياء علوم الدين»، وكلهم بدون استثناء يقدسون الغزالي و«إحياءه»، وهذا يعني أنهم كلهم، يؤمنون بها في «الإحياء»، كما أنهم يرددون نفس الفكرة في كثير من كتبهم المتداولة.

وكتاب «الإحياء»، ومعه بقية كتب الكهانة، كالرسالة القشيرية، والحكم العطائية، وقوت القلوب، واللُّمع، وبوارق الحقائق، والفتوحات المكية، والفيوضات الربانية، وفتوح الغيب . . . وغيرها وغيرها، تدرَّس في مساجد

المسلمين منذ قرون طويلة، وينشأ عليها شباب المسلمين، حتى صاروا يعتقدون أنها قمة الإسلام وقمة العلم وقمة التقوى وسبيل النجاة، بينما هي في الحقيقة الكهانة التي جاء الإسلام ليحاربها فيما يحارب.

(ح) من العقائد الإسلامية أنه يمكن أن يتبين لنا من هم أصحاب الجحيم، أما أصحاب الجنة المزكّون، وعباد الله المخلصون، فلا نستطيع معرفتهم، بل ولا الرسول نفسه يستطيع معرفتهم إلا بالوحي: ﴿. . . وما أَدْري ما يُفْعَلُ بي ولا بكم إنْ أَتَّبِعُ إلا ما يُوحى إليَّ﴾، وغيرها من الآيات والأحاديث التي مرت في فصل سابق، والتي لم تمر.

وجاءت الصوفية . . .

فجعلت أتباعها، وغير أتباعها، يوزعون الولاية حسب ترتيبات شياطينهم من الإنس والجن، وحسب أوهامهم المنبعثة من هلوساتهم الكشفية وعلومهم اللدنية.

بل وأكثر من ذلك بكثير، أكثر بنسب تفوق الأرقام الفلكية بكثير، فقد جعلتهم إيحاءات شياطينهم وهلوساتهم يتحققون بما يقفز فوق الخيال والأوهام ويتجاوز قيم الأبعاد الفليكة بأكثر بكثير من الأبعاد الفلكية، جعلتهم يتحققون بالألوهية، فالولي منهم يصل إلى الإحساس والتحقق والذوق والاستشعار أنه الله (سبحان الله) بجميع أسمائه وصفاته، أو ببعضها على الأقل، إن كان في أول الوصول، وأنه يتصرف في الكون، والمتواضع منهم يتصرف بأجزاء منه، قد تصغر وقد تكبر، حسب مقامه، وهذا هو الذي لم يصل بعد إلى «حيث لا إلى».

وقد مضت على الأمة الإسلامية قرون طويلة، كانت هذه الخرافات الضلالية تشكل الجزء الرئيسي من ثقافتها وأحاديثها في أسمارها وفي وعظ وعاظها، حتى وصلت إلى ما هي عليه، بل هي الآن خير مما كانت عليه في تلك القرون.

إفساد العبادات

أقحمت الصوفية على الإسلام عبادات غريبة عنه، منها:

(أ) مزجت الرياضة الإشراقية (الخلوة، والجوع، والسهر، والذكر الإرهاقي البدعي،

والحضـرة؛ (الـراقصـة والجالسة)، والرقص؛ (بنقص أوبدون نقص)، بالإسلام، وجعلتها طريق السير إلى الله (أي إلى الألوهية).

(ب) في الـوثنيـات طقـوس جاء الإسـلام ليحـاربها فيها يحارب، كعبادة الشيوخ والأولياء الـذين كانـوا في الجـاهليـة يسمـون «الكهـان»، (يعبـدونهم عمليًّـا وينكرون ذلك نظـريًّـا)، والاستغـاثـة بالقبـور والأمـوات، وتقـديس الأضـرحة والحجارة والقبب والأشجار . . . وغيرها.

وجاءت الصوفية . . .

فأقحمت هذه الطقوس على الإسلام، وجعلتها عبادات يتقربون بها إلى الله، إلى جانب العبـادات الأصليـة، وكثـيراً ما كنـا نرى أنـاسـاً أضـاعـوا الصـلاة وارتكبوا المنكرات، دون أي شعور بحرج، ومع ذلك كانوا ملتزمين بهذه الطقوس.

وجعلت الصوفية أتباعها يعتقدون أن الالتزام بهذه الطقوس هو من المنجيات، وأن إهمالها من المهلكات، بل وكثير من المتصوفة يعتقدون ويصرحون أنها كافية.

(جـ) ابتـدعـوا أقـوالاً وأعـمالاً أقحمـوهـا على العبادات الإسلامية الأصيلة، في أوائلها وثنـايـاهـا وأواخـرهـا، حتى صار أكثـر المسلمـين يتمسكـون بها على أنها جزء من العبـادة، لا يجوز تركـه، وقـد يقيمـون القيامة على من يتركه، مثل: التلفظ بالنية للدخول في العبادة (تكبيرة الإحرام هي المدخل للصلاة، فبطل ذلك، أونسخ، أو عدل . . لا ندري؟ وصار المدخل هو قولهم: «نويت أصلي . . . إلخ»)، وفي كثير من المسـاجـد، شاهـدنـاهم في رمضـان بعـد صلاة العشـاء، وبإيعاز من الإمام أو الشيخ، يقولون جماعة بصوت عالٍ: «نويت صيام نهار غد من شهر رمضان . . .».

وهكـذا بقيـة العبـادات، بل وأقحمـوا هذا التلفظ على العادات، على أنها بذلك ستصير عبادات.

وأقحمـوا المصـافحـة عنـد انتهـاء الصـلاة، مع ترديـد «تقبل الله» مع الجهر جماعة بالاستغفار وغيره . .

وأضافوا إلى الأذان في آخره ما لم يأذن به الله ، وتكون هذه الأضافة في كثير من الأحيان أطول من الأذان ، عدا عما فيها من كذب على الله ورسوله ، كقولهم إن محمداً أول خلق الله ، كما أضافوا في أول الأذان ما يسمونه التذكير ، وذلك في أوقات مخصوصة ما أنزل الله بها من سلطان ، عدا ما يرددونه في هذا التذكير ، من مثل قولهم : «نعم أنت مخلوق ولست بخالق ، ولكن لك الرحمن قد وكل الأمرا» ، وغيرها الكثير مما تصدى العلماء لنقضه في كتبهم ورسائلهم .

وسموا ذلك : «بدعة حسنة» تبريراً لإحداثهم في دين الله .

(د) أحدثوا طقوساً ابتدعوها ، ما أنزل الله بها من سلطان ، كمولد النبي ، وموالد من يسمونهم «الأولياء» ، ومجالس الصلاة على النبي بما فيها من مخالفة لأركان الذكر والدعاء في الإسلام ، ومثل قراءة «صحيح البخاري» جماعة في المساجد إذا حزبهم أمر ، وغير ذلك مما يعرفه المسلمون ومما لم يرد فيه أي نص عن الرسول ﷺ ، عدا عما فيها من شركيات ومخالفات وكبائر . وقد طغت هذه الطقوس ، وتمسك بها الكثيرون على أنها من صميم الإسلام يتقربون بها إلى الله ، حتى إن بعض من يسمَّون «علماء» يكفرون من ينتقد هذا أو يفسقونه .

وللعلم : المعروف عن مولد الرسول ﷺ أنه كان يوم الاثنين ، أما «١٢ ربيع أول» ، فهو اختراع ، والتلفيق واضح فيه ، و«١٢ ربيع أول» من عام الفيل كان يوم خميس .

(هـ) تهاونوا بالعبادات بحجة الوصول إلى مقام رفع عنهم فيه التكليف ، أو بحجة أن الشيخ يدخلهم الجنة دون حساب ، أو بحجة أن تارك العبادة منهم أفضل من العابد من غيرهم ، أو بالحجة التي تقول : «جذبة من جذبات الحق تساوي عمل الثقلين» ، أو بحجة أن قراءة الورد الفلاني أو الصلاة على النبي الفلانية أفضل من عبادة كذا وكذا ، أو بحجة أن من زار قبر الشيخ فلان ، أو رآه أو رأى من رآه أو مر بمدرسته أو اتبع طريقته يغفر له كل ذنوبه ما تقدم منها وما تأخر . . . إلى آخر ما رأينا أمثلة منه في الفصول السابقة .

وبذلك كانت الصوفية وراء ابتعاد الناس عن الإسلام وإهمالهم لتعاليمه .

* **النفاق** :ـ

يقول سبحانه : ﴿إنَّ المنافقينَ في الدَّرْكِ الأسفلِ مِن النَّارِ﴾، ويقول جل وعلا : ﴿. . . والله يَشْهَدُ إنَّ المُنافقينَ لَكاذِبونَ . اتَّخَذوا أيْمانَهُم جُنَّةً فصَدُّوا عن سبيلِ الله إنَّهم ساءَ ما كانوا يَعْمَلونَ . وإذا رأيْتَهُم تُعْجِبُكَ أجسامُهُم وإنْ يقولوا تَسْمَعْ لقَوْلِهم كأنَّهم خُشُبٌ مسنَّدَةٌ يَحْسَبونَ كلَّ صيحةٍ عليهِم همُ العدوُّ فاحْذَرْهُم قاتَلَهُمُ الله أنَّى يُؤْفَكونَ﴾.

هذا هو حكم النفاق في الإسلام .

والنفاق هو إظهار الإسلام وإبطال الكفر.

ولو غيرنا الاسم «النفاق»، وجعلناه «التقية»، لبقي حكمه نفس حكمه، لأن تغيير الاسم لا يغير الحكم، فعندما نسمي الخمر «فودكا» تبقى خمراً وتبقى محرمة .

ولو عبرنا عن النفاق بمثل قولهم : «اجعل الفرق في لسانك موجوداً، والجمع في جنانك مشهوداً»، فسيبقى حكمه نفس الحكم، وسيبقى نفاقاً، ولو وضعنا عبارة أخرى، مثل : «مع مشاهدة المشيئة العامة لا بد من مشاهدة الفرق بين ما يأمر الله به وما ينهى عنه»، أو مثل : «إياك أن تقول أناه، واحذر أن تكون سواه»، أو مثل : «يا رب جوهر علم لو أبوح به لقيل أنت ممن يعبد الوثنا»، أو مثل : «طريقتنا أن نحفظ الشرع ظاهراً، وهذا هو السر العميق المطلسم»، أو غيرها من مئات عباراتهم المدونة في كتبهم وفي معاجمهم ليستعملوها هم ومريدوهم والسالكون في طريقهم في التمويه على أهل الشريعة .

لو عبرنا عن النفاق بأي عبارة كانت، فسيبقى نفاقاً، وسيبقى مصير أهله الدرك الأسفل من النار.

لكن الصوفية جعلت النفاق شطراً من الولاية والصديقية، ومن أقوالهم في ذلك : «التقية حرم المؤمن . . .»، وغيرها مما مر. ومعنى التقية في الإسلام هو إبطان الإيمان وإظهار ما يخالفه في حالة الاستكراه ولمدة محدودة عابرة، إلا في حالات استثنائية جدًّا، أما عندهم فهي على العكس تماماً، إبطان وحدة الوجود، وإظهار الإسلام .

* الكذب :-

في الواقع النفاق هو الكذب، بل هو من شر أنواع الكذب، وهذا المرض (الكذب) المستشري في سلوكنا ومعاملاتنا إنما هو مظهر من مظاهر «اجعل الفرق في لسانك موجوداً، والجمع في جنانك مشهوداً»، أو انبثاق عنها تسرب من الشيوخ الذين كانوا على مدى قرون يعدون بعشرات الألوف، إلى مريديهم الذين كانوا يعتبرون نخبة المجتمع، ثم إلى الأتباع والمؤمنين، وبالتالي إلى الجميع.

* نسخ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر :-

اللذين تأتي فرضيتهما بعد الأركان مباشرة، وهما الركنان اللذان يقوم عليهما المجتمع الإسلامي واستمراريته، وتركهما، أو ترك أحدهما، يدخل في لعنة الله ﴿لُعِنَ الذينَ كَفَروا مِن بَني إسْرائيلَ . . . كانوا لا يَتَناهَوْن عن مُنْكَرٍ فَعَلوهُ . . .﴾، ويجعل الفساد ينتشر في الأمة.

جاءت الصوفية فألغت الأمر بالمعروف بحجة الخوف من الرياء، وحصرته فيما يكفي لاستمرار المسيرة الصوفية في المجتمع، وألغت النهي عن المنكر بنفس الحجة وبحجة الخوف من وقوع الناهي فيما نهى عنه، وحصرته في النهي عما يعرقل مسيرة التصوف في المجتمع.

وقد مرت الأمثلة على ذلك في فصول سابقة.

* التزهيد بالعمل والدعوة إلى التواكل والكسل :-

العمل من أجل العيش هو من تعاليم الإسلام، ونصوصه كثيرة ومعروفة، وجاءت الصوفية فزهدت المسلمين بالعمل بحجة الزهد والتوكل، بل قررت عدم جواز الصلاة وراء من يأمر بالعمل، وقد مر هذا في فصل سابق نقلاً عن «الإحياء»، وبذلك انتشرت التكايا في البلاد الإسلامية، وغصت بالتنابل، وامتلأت شوارع المدن والقرى وأزقتها بالمكدين (الشحاذين)، وتعطلت الأرض، وتوقفت الأعمال، وكانوا يعدون ذلك من الورع والزهد والتوكل، وأحياء هذه الأيام الذين عاشوا العقود الأولى من القرن العشرين الميلادي يعرفون هذا تمام المعرفة.

* نشر الذل والخنوع والخضوع :-

إن انتشار الصوفية الواسع جعل سلوك المريدين تجاه الشيخ ينزلق إلى المجتمعات الإسلامية، فانتشر الخنوع والخضوع وتقبيل اليد والرجل والوقوف للاحترام، وهي أمور كان رسول الله ﷺ يكرهها، وشيوخ المتصوفة ومريدوهم يدافعون عنها حتى الآن بأساليب كلها مغالطة والتواء.

* تقديس المجانين :-

المجانين هم مرضى يستحقون العطف والعناية والدواء، لكن شيوخ الصوفية كانوا، وما يزالون يعدون المجانين أولياء أرادهم الله سبحانه لولايته، دون سعي منهم «المراد»، ويصفونهم أنهم سائحون في حب الله، ويتبركون بهم بل وببولهم وروثهم، وإذا ماتوا بنوا لهم المقامات والزيارات.

ولسعة انتشار الصوفية طغت هذه النظرة على المجتمعات الإسلامية، وقد رأينا في فصول سابقة من أمثلة ذلك، وكبار السن الآن يعرفون هذه الأمور في صغرهم في مجتمعاتهم. وماذا يمكن أن ينتظر من مجتمعات تقدس مجانينها.

* التوكل والتسليم والزهد والورع والإخلاص :-

رأينا في فصول سابقة كيف شوهوا معنى التوكل والتسليم والزهد والورع في نفوس المسلمين، وكيف كانت نتائج ذلك التشويه مما عانت منه الأمة وتعاني حتى الآن، وأذكر القارىء بوقائع التتر واستسلام المسلمين لهم استسلام النعاج.

وحتى الآن، فقد سمعنا ونسمع وعاظاً وخطباء يطلبون من الناس أن يخرجوا من مسجد ليدخلوا في مسجد، وأن هذا كاف لدحر أعداء الإسلام، أي أنهم يقولون بلسان حالهم، بل ولسان مقالهم أيضاً: «ربنا حارب، إنا هٰهنا في المساجد قاعدون».

وسمعنا من يقول وهو يعظ ويحث المسلمين على الخير: الحمد لله الذي سخر لنا أمريكا وإنكلترا وفرنسا وروسيا يخترعون الاختراعات ويصنعون الصناعات ويقدمونها لنا، ونحن نتفرغ فقط لعبادة الله؟! إلى آخر قائمة طويلة من التشويه والتزوير لمعاني القيم الإسلامية والأخلاق التي بعث بها رسول الله ﷺ.

□ إفساد الفكر :

يقوم بناء الفكر الإنساني، كائناً ما كان، بمعطيات ثلاث :

١ ـ المنطلقات أو الأسس، التي يستند إليها ويأخذ منها عناصر بنائه .

٢ ـ كيفية البناء .

٣ ـ الغاية التي يرمي إليها .

وفي الإسلام :

ـ المنطلقات هي القرآن وصحيح السنة وواقع الحياة والوجود على حقيقته .

ـ كيفية البناء موجهة بالفهم المبني على أسس علمية مدروسة للقرآن والسنة، وبفهم الصحابة رحمهم الله وتطبيقاتهم، كما هي موجهة، في الأمور الدنيوية، بمعرفة واقع الحياة والوجود معرفة علمية صحيحة .

ـ الغاية التي يرمي إليها بناء الفكر الإسلامي ويسعى إليها المسلم هي الأجر والثواب من الله سبحانه كما وعد به عباده المؤمنين في القرآن والسنة، لا كما يتوهمه المتوهمون .

وقد أفسدت الصوفية هذه العناصر إفساداً بالغاً، ففسد فكر المسلم، ووصل المسلمون إلى الحالة الراهنة التي لا يحسدون عليها، مع التذكير بأن حالتهم في القرون الأخيرة حتى النصف الأول من القرن الثاني عشر الهجري كانت الأنموذج الكامل لمجموع الإفسادات التي أنتجتها الصوفية، حتى هيأ الله سبحانه لدعوة الحق من أعاد لها جدتها، فأخذت الأمة تسيتقظ شيئاً فشيئاً من سبات كان عميقاً كالموت .

وقد مرت في فصول الكتاب، وتمر، أمثلة كثيرة من صور الإفساد، وما هي إلا عرض بسيط له .

□ إفساد المنطلقات:

* القرآن: ـ

لم يستطع المتصوفة تحريف القرآن، لأن الله، له الحمد، حفظه باعتناء المسلمين بحفظه ودرسه وتدريسه والتعبد بقراءته في الصلاة وفي التلاوة آناء الليل وأطراف النهار، فعمدوا إلى تحريف معانيه، وهذا مثل من تفسيرهم، منقول عن «تفسير القرآن الكريم للشيخ الأكبر العارف بالله العلامة محيي الدين بن عربي»:

﴿الذينَ اسْتَجابوا لله والرَّسولِ مِن بعدِ ما أصابَهُمُ القرحُ للذينَ أَحْسَنوا منهُم واتَّقَوْا أجرٌ عظيمٌ﴾.

يقول الشيخ الأكبر مفسراً هذه الآية:

﴿الذين استجابوا لله﴾، بالفناء في الوحدة الذاتية. ﴿والرسول﴾، بالمقام بحق الاستقامة. ﴿من بعد ما أصابهم القرح﴾، أي: كسر النفس. ﴿للذين أحسنوا منهم﴾، أي: ثبتوا في مقام المشاهدة. ﴿واتقوا﴾: بقاياهم. ﴿أجر عظيم﴾، وراء الإيمان، هو روح المشاهدة[1].

ومثل آخر:

﴿والسابقونَ الأوَّلونَ مِن المُهاجِرينَ والأنصار والذينَ اتَّبَعوهم بإحْسانٍ . . . ﴾.

﴿والسَّابِقونَ الأوَّلونَ﴾، أي: الذين سبقوا إلى الوحدة من أهل الصف الأول. ﴿مِن المُهاجِرينَ﴾، الذين هجروا مواطن النفس. ﴿والأنصار﴾، الذين نصروا القلب بالعلوم الحقيقية على النفس، ﴿والذين اتبعوهم﴾، في الإتصاف بصفات الحق.

---

(١) تفسير ابن عربي: ١ / ٢٣٥.

﴿بإحسان﴾، أي: بمشاهدة من مشاهدات الجمال والجلال[1]. . .

وقد مر في الفصول السابقة أمثلة أخرى على تحريفهم لمعاني القرآن، وهي بعض من كل، ومن يريد الاستزادة يستطيع الرجوع إلى كتابهم المقدس «إحياء علوم الدين» ليرى من التزوير في التفسير ما تقشعر له أبدان الذين يؤمنون بالله ورسله وكتبه ويرجون اليوم الآخر، وكذلك بقية كتبهم على تفاوت بينهم في العبارة وفي عدد ما يفسرونه من آيات.

وقد رأينا نثرات من تفاسيرهم للقرآن تفاسير سحرية، وكتبهم ملأى باستعمالات القرآن في اتجاهات سحرية.

* الإفساد في الحديث:-

كان اعتناء المسلمين بالحديث الشريف، وما زال، أقل من اعتنائهم بالقرآن الكريم، لأسباب معروفة، مما ترك مجالاً للدس والتقول على الرسول ﷺ، فأخذ المتصوفة حريتهم بوضع ما يملي عليهم الكشف من أحاديث، وتضعيف ما يضعفه الكشف، وتصحيح ما يصححه، حتى كانوا هم وراء قسم كبير من ركام الأحاديث الموضوعة المعروفة، وتلك التي لم تزل مدرجة في قسم الأحاديث الضعيفة، والتي تشكل نسبة عالية فيها.

وأوضح دليل على هذا هو كتاب «إحياء علوم الدين» لحجة الإسلام، الإمام، ففيه مئات من الأحاديث الموضوعة التي يقول عنها الحافظ العراقي: «لم أجده، أو لم أجد له أصلاً»، وهذا يعني، بدهيًا، أن الواضع لها هو الغزالي أو كشفه، ونقول للذين يقولون خلاف هذا: «هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين»، وأرونا المصدر الذي أخذ منه الغزالي هذه الأحاديث.

ومظاهر التقوى والورع التي يتحلى بها كثير من الصوفية جعلت، وتجعل، الناس يثقون بهم ويأخذون عنهم، مع العلم أن التقوى والورع والزهد ولواحقها لا تدل على صحة العقيدة! فكل المؤمنين المخلصين لدينهم، في كل الأديان، يكونون أتقياء ورعين زاهدين . . .

---

(١) تفسير ابن عربي: ١ / ٥٠٥.

ونعـرف أن متصـوفـة المسلمـين يدينـون بالطـريقـة الـبرهانية التي مزجت الإشراق بالإسلام، فهم يؤمنون بها، والمخلص منهم ينتهج الإسلام والإشراق معاً.

ولا بأس هنـا من عرض يعـرض على علماء الحـديث، لا أظنهم ناجين من السؤال عنه أمام التاريخ على الأقل، بعد إذ تبين لهم الحق.

هذا العرض هومراجعة كتب الرجال، والبحث في الرواة عن الشيوخ الكمل الذين تمكنوا من مقام الفرق الثاني، فلم يظهر في سلوكهم وأقوالهم ما يدل على ما في قلوبهم، أي: وصلوا إلى تطبيق القـاعـدة: «اجعل الفرق في لسانك موجوداً، والجمع في جنانك مشهوداً»، والتي عبر عنها الجنيد بعبارة: «مشاهدة الفرق بين ما يأمر الله به وما ينهى عنه» تطبيقاً تامًّا.

وأعتقـد أن بحثـاً جادًّا في هذا المجـال، إن كان مخلصـاً، لا يبتغي إلا رضـا الله سبحـانـه، والـوصـول إلى الحق، سوف يخلص كتب الرجال من إشكالات واردة فيها، وهذه الإشكالات رغم قلتها، لكنها هامة، من ذلك مثلاً، نرى بعض الرجال موثقاً عند عالم ثقـة، ومضعفـاً عنـد مثله، وقـد وضـع علماء الحـديث قواعـد دقيقـة لحل مثل هذه المشكلة، وهذه قاعدة تضاف إليها قد يكون لها القول الفصل في كثير من الأحيان أو في بعضها.

ومن ذلك مثلاً أن قسماً من الأحاديث الضعيفة، يمكن أن يدرج بعد هذه الدراسة تحت عنوان «المكذوبات».

ومن ذلك مثلاً ما يبدو بعض الأحيان من تناقض ظاهري بين حديثين صحيحين، وقـد وضـع علماء الحـديث عشرات القواعد الدقيقة لحل مثل هذه المشكلة، وهذه قاعدة تضاف إليها، قد يكون لها القول الفصل في كثير من الأحيان أو في بعضها.

ولست أدري، هل أكـون مصيبـاً أو مخطئـاً إذا قلت بوجـوب إعـادة النظر بمثل أبي نعيم الأصفهـاني و«حليتـه»، وذلك بدراسة دقيقة من قبل أكثر من عالم حديث، شريطة أن يكـونـوا كلهم، على معرفة كاملة واضحة بالكشف والرؤى الكشفية، وكيف يمكن أن يذهب المكـاشف إلى مسجـد (مثـلاً)، فيرى فيـه شيخاً معيناً وتلاميذ يطلبون العلم عليـه، فيجلس معهم، ويكتب ما يمليـه الشيـخ، ثم يعـود إلى بيته، وفي كراسته علوم

جديدة، بينما كان ذلك المسجد، في حقيقة الأمر، خالياً إلا من هذا المكاشف الذي رأى الشيخ وتلامذته بوهم كشفه، وسيقسم هذا المكاشف اليمين تلو اليمين أن ما كتبه كان سماعاً من الشيخ المعين بحضور تلاميذه أو بدون حضورهم (حسب الكشف).

وذلك لأن المكاشف كثيراً ما يختلط عليه الأمر، فلا يفرق بين الرؤ ى الكشفية والواقعية، وقد رأينا في فصل سابق مئات الأمثلة على ذلك، إضافة إلى عشرات الأمثلة المتفرقة بين الفصول.

ومن إفسادهم في الحديث تزوير معانيه بالتفسير الإشاري، وقد رأينا في ثنايا الكتاب أمثلة منها، ومن يريد الزيادة فأمامه كتبهم، وعلى رأسها «إحياء علوم الدين».

*** واقع الحياة والوجود:ـ**

إن واقع الحياة والوجود قائم كما أراده الله، متحرك بسننه تعالى في خلقه التي لا تبديل لها ولا تحويل، والتي يسمونها في لغة العصر الحديث «القوانين الطبيعية»، فلا يستطيع مخلوق إفساد شيء منه إلا في إطار الحدود التي قدر الله سبحانه أن يكون لهذا المخلوق القدرة على التصرف فيها، وهي لا تزيد عن عمليات نقل للأشياء أو لأجزاء منها من مكان ووضعها في مكان ملائم، أو غير ملائم، وكل ما صنعه الإنسان، وما يصنعه، لا يخرج عن هذا قيد شعرة، وكان إفساد الصوفية في هذا المجال بإفساد فهم الواقع وتفسيره، وبإفساد أساليب التعامل معه، وفي وضع الأمور في غير مكانها الصحيح.

ففي مجال تفسير الواقع، زورت الصوفية الفكر لدى أتباعها الذين كان ينظر إليهم في أوقات كثيرة على أنهم نخبة المجتمع، زورت التفكير عندهم، حتى أصبحوا، هم والأمة من ورائهم، لا يرون الأمور إلا رؤ ى ضبابية، ولا يفسرونها إلا تفاسير مبنية على الكرامات وتصرفات الجن وتهاويل الخوارق، ويرسمون للكون صوراً في أذهانهم مأخوذة من كشوف المكاشفين الهلوسية، ومن علومهم اللدنية، وتفصيل هذه وحدها يحتاج إلى كتاب مستقل، لأنها تشمل كل نواحي الحياة، وقد مر بعضها في فصول سابقة.

وفي مجال التعامل مع الواقع، صارت الأوراد والأقسام والطلاسم والحجب هي الأساليب التي يتعامل بها الفرد والمجتمع مع واقع متوهم، وصار العلماء إلا من رحم الله،

يمزجون فقههم بكتابة الحجب والأوفاق والدوائر لتسهيل الأمور في شتى نواحي الحياة، وأظن أن أكثر العلماء الآن (في السنين الأولى من القرن الخامس عشر الهجري)، إن لم يكونوا كلهم، قد عانوا من طلبات كثير من الناس، حتى من بعض المثقفين، أن يفكوا لهم سحراً، أو يخلصوهم من أمور لا تزيد عن كونها أوهاماً من أوهام الصوفية.

ورقصات الزار في مصر والسودان والحبشة والحضرات الصوفية في كل البلاد الإسلامية، والسيارة والعدَّة لزيارة القبور جماعيًّا وضرب العدة حولها (وقد تقلص هذا كثيراً بسبب انتشار الثقافة)، والزيارات الإفرادية التي تجر إلى الاستغاثة بالأموات، وطلب النصرة حسب الأوهام . . .

كل هذا من نتاج التصوف، وإن ظهر بعضه في جماعات تدَّعي أنها غير متصوفة، لأن القناعات الفكرية إذا عمت جرفت أمامها كل من لم يعصمه الله سبحانه.

وكان من نتائج هذا الفهم السحري، المرتبط بالكرامات كليًّا أو قريباً من الكلي، وهذا التعامل المبني على الفهم السحري، ما نراه من ضياع وتخبط ووضع للأمور في غير أماكنها الصحيحة، بل وعدم القدرة على ذلك فكريًّا وعمليًّا.

والأمثلة على ذلك أكثر من أن تحصى، يحتاج تفصيلها إلى مئات الصفحات، ونورد منها أمثلة عابرة، جرت وتجري حاليًّا.

● **حادثة :-**

كانت فئة من المجاهدين تعاني في قطاعها فقراً شديداً بالمال والسلاح والطعام، حتى عرف أفرادها الجوع، ورأى أحد الأثرياء المخلصين المتصلين بهذه الفئة في المنام من يقول له: إنه إذا وزع أربعين ألفاً على العميان والفقراء المجاورين عند المقام الفلاني فسينتصرون.

ووزع المبلغ على العميان والفقراء المجاورين، وأخذ ينتظر النصر.

ولم يطل الانتظار، فقد هوجمت هذه الفئة دون أن تستطيع مقاومة ولا دفاعاً، وسحقت، لأنها كانت مفتقرة إلى السلاح، وكان الجوع ينهكها.

● **حادثة ثانية :ـ**

أربعة شباب باعوا أنفسهم لله، وانضموا إلى فئة من المجاهدين، لكنهم رأوا أفراد هذه الفئة يعكفون على قبر يطلبون عنده الثواب، ويستنزلون النصر! فنصحوهم وجاؤوهم بالبينات من نصوص القرآن والسنة التي تثبت أن هذا العمل من الشرك العظيم.

عقد أفراد الفئة المجاهدة مؤتمراً فيما بينهم وشكلوا محكمة برئاسة عالمهم، حاكمت الشبان الأربعة محاكمة «عادلة»! ، فقد استمعت إلى أقوالهم وأدلتهم من القرآن والسنة برحابة صدر، ثم أصدرت حكمها عليهم بالإعدام، ونفذ الإعدام.

● **واعظ :ـ**

رجل يقول بلسان حاله : إنه عالِم، يناقش حالة المسلمين، ويلقي مواعظه، ومن هذه المواعظ ما معناه :

إن السبب في انهيار المسلمين هو عدم الإخلاص، فلو كنا مخلصين لكفانا أن نحمل البندقية، ونوجهها باتجاه العدو كيفما كان، وستخرج الرصاصة لتصيب منه مقتلاً . . .

● **وواعظ آخر :ـ**

يقول ما معناه :

إن العلة في المسلمين هي عدم الخشوع في الصلاة، وعلينا أن ندعو للخشوع، ونحث عليه، وعندما يتحقق ذلك يتحقق النصر.

وتعليقاً على هذه المواعظ نقول :

الإخلاص مطلب أساسي، لكن نسأل : الإخلاص لماذا؟ هل نخلص لما نتوهمه أنه الحق؟ إن هذا النوع من الإخلاص ليس إسلاميًّا، لأن الإسلام يأمرنا أن نعرف الحق أولاً بالأسلوب العلمي الصحيح، ثم نخلص في أقوالنا وأعمالنا وكل سلوكنا لهذا الحق.

والخشوع أيضاً مطلوب، لكن كيف يكون؟ وفيم؟ إن كانت العقيدة فاسدة فالخشوع ضغث على إبالة، وإن كانت العبادة غير صحيحة، فالخشوع فيها رزء فوق

رزء، وإن كان العمل الدنيوي في اتجاه معكوس أو منحرف فالخشوع يزيد الطين بلة، إن الوثني التقي يخشع أمام وثنه وفي عبادته، فهل ينفعه خشوعه؟ والماركسية الزاحفة يعجبها كثيراً أن نعمل على إيقافها بالخشوع، وبقراءة البخاري جماعة في المساجد.

وزيادة في التوكيد، نضيف كلمة أخرى لأبي الحسن الندوي عن حالة المسلمين التي كانوا عليها في القرون الأخيرة، يقول:

. . . لا بد أن نشير إلى أن ذلك الوسط والعهد (القرنين العاشر والحادي عشر الهجريين) . . . كان التصوف فيهما قد تغلغل في أحشاء المجتمع الإسلامي، وامتزج بلحمه ودمه، حتى أصبح التصوف له طبيعة وذوقاً، وسمة وشعاراً . . . بل كانت العامة لا تعبأ بعالم أو مرب أو مصلح، ولا تقيم له وزناً، ولا تعتقد فيه الخير والصلاح، ولا تنتفع بمواعظه وكتاباته، ما لم يكن له إلمام بالتصوف والسلوك، ويكون قد صحب بعض المشايخ المعروفين، وانخرط في سلك بعض الطرق السائدة المقبولة في الناس[1].

ويقرر في كتاب آخر ناقلاً:

. . . في القرن الثامن عشر (الميلادي)، كان العالم الإسلامي قد بلغ من التضعضع أعظم مبلغ، ومن التدني والانحطاط أعمق دركه، فاربد جوه، وطبقت الظلمة كل صقع من أصقاعه ورجاء من أرجائه، وانتشر فيه فساد الأخلاق والآداب وتلاشى ما كان باقياً من آثار التهذيب العربي.

واستغرقت الأمم الإسلامية في اتباع الأهواء والشهوات، وماتت الفضيلة في الناس، وساد الجهل، وانطفأت قبسات العلم الضئيلة، وانقلبت الحكومات الإسلامية إلى مطايا استبداد وفوضى واغتيال . . . وقام كثير من الولاة والأمراء يخرجون على الدولة التي هم في حكمها، وينشئون حكومات مستقلة، ولكن مستبدة كحكومة الدولة التي خرجوا عليها، فكان هؤلاء الخوارج لا يستطيعون إخضاع من في حكمهم من الزعماء هنا وهناك، فكثر السلب والنهب، وفقد الأمن، وصارت السماء تمطر ظلماً وجوراً، وجاء فوق جميع ذلك رجال الدين المستبدون يزيدون الرعايا إرهاقاً فوق إرهاق، فغلّت

---

(١) الإمام السرهندي حياته وأعماله، ص١٢٤.

الأيـدي ، وقعـد عن طلب الـرزق ، وكـاد العـزم يتـلاشى في نفـوس المسلمين ، وبارت التجارة بواراً شديداً ، وأهملت الزراعة أيما إهمال .

وأمـا الـدين فقـد غشيتـه غاشيـة سوداء ، فألبست الـوحـدانية التي علمها صاحب الـرسـالـة النـاس سجفـاً من الخـرافـات وقشـور الصـوفيـة ، وخلت المساجد من أرباب الصلوات ، وكثـر عديـد الأدعياء الجهلاء ، وطوائف الفقراء والمساكين يخرجون من مكان إلى مكـان يحملون في أعنـاقهم التـمائم والتعـاويـذ والسبحـات ويوهمون الناس بالباطل والشبهـات ، ويـرغبـونهم في الحج إلى قبور الأولياء ، ويزينون للناس التماس الشفاعة من دفنـاء القبـور ، وغـابت عن النـاس فضـائـل القـرآن ، فصـار يشـرب الخمـر والأفيـون (والحشيشية) ، في كل مكان ، وانتشرت الرذائل وهتكت ستر الحرمات من غير خشية ولا استحياء[1] . أهـ .

يقـول أبـو الحسن النـدوي عند إيراده (مقرراً) هذا النص : إنه لا يتحمل مسؤ ولية صحته مائة في المائة .

ونجيبـه : تأكـد يا أستـاذنـا أنه صحيح مائة في المائة ، وأن الإسلام يعيش غربته منذ قرون طويلة .

*** وثنية الأمير :-**

رأينـا من أقـوالهم في الفصـول السـابقـة مدى تقـديسهم للشيـخ ، ومـا يعتقدونه في الشيوخ من القدرة الإلهية والتصرف في الكون ، بل وكل الصفات الحسنى .

وعمليًّـا ، كان هذا التقـديس وهـذا الاعتقـاد عنـدهم ركنـين أسـاسيـين من أركان الإسلام والإيمان ، أو كانا الركنين اللذين يقوم عليهما ما يسمونه «الإحسان» .

وبما أن الصوفية كانت مسيطرة على المجتمعات الإسلامية ، ومتغلغلة في نفوس كل المسلمين ، إلا من رحم الله ، لذلك كانت نظرة الجميع إلى الشيخ هي هذه النظرة التقديسية .

---

(١) الإمام الدهلوي ، ص٣٤ .

وبطبيعة الحال، انزلق هذا التسليم للشيخ والاعتقاد بقدرتـه الإلهية، إلى التسليم لأي رئيس والاعتقـاد بقـدرتـه الإلهية، فصاروا ينتظرون من الأمير أن يصلح ما يفسدون وأن يقول للشيء كن فيكون.

وهذه العقيدة بالذات هي التي أضاعت بلاد المسلمين، فلقد كان الفساد الذي رأينا صوره، مستشرياً هناك بسبب الصوفية، وكان الدعاة والوعاظ كلهم، حتى من كان على نهج الإسلام الصحيح، ينتظرون الأمير الذي يغير ذلك الحال ويصلح الأحوال، ناسين قوله سبحانه: ﴿إنَّ الله لا يُغيِّرُ ما بقومٍ حتى يُغيِّروا ما بأنفسِهم﴾.

وطبعـاً، لا يملك الأمـير القـدرة الإلٰهيـة، ولم تكن لديـه تلك العصا السحرية التي يحركها فتغدو الخيانة أمانة والكذب صدقاً والقناعات الفكرية المزورة حقًّا ووعياً.

وبـما أن القنـاعـات المسيطـرة على النـاس والمتغلغلة في أعـماق نفـوسهم هي قدرة الأمـير، لذلـك كانـوا يتهمـونـه بالجبن أوبالخيانة أوبالظلم أوما شابهها. فيثور عليه ثائر يزيحه ويجلس مكانه، وهويظن أنه شجاع وأمين، لكنه لا يستطيع أن يفعل شيئاً، فيتهمه الناس بدورهم بما اتهموا سلفه، فيضطر للبطش بهذا أوذاك دفاعاً عن نفسه، ويستشري التناحر بين أنصاره وأعدائه، حتى يثور عليه ثائر آخر، فإما أن يزيحه أوينفصل عنه . . . وهكذا.

وهكذا بقيت الأمة تعيش في فتن مستمرة، ونهاية الفتن معروفة، إنها دمار الأمة.

وهكـذا ذهبت بلاد المسلمـين، كما أنهـا الآن في طريقهـا للضيـاع بلداً بعد آخر بيد الماركسية، على يد دعـاة ينبثقـون من روح وثنيـة الحـاكم، مثـير ين الفتن ضد أعداء الماركسية وهم يحسبـون أنهم يحسنـون صنعـاً، وهؤلاء، وإن كان بعضهم غير صوفي، لكن نظرتهم هذه انبثقت في أساسها من الصوفية التي حرثت، وجاء الخبثاء؟ فزرعوا وحصدوا.

*** النظرة الطفولية للأمور:-**

إن تقـديس الشيـخ الـذي انـزلق إلى النظـرة التأليهية للحاكم، ومرور قرون على المسلمـين وهم يتحـركـون في هذا الإطـار، جعـل النظـرة الطفـولية للأمور من الخواص

المسيطرة على التفكير والمسيرة له، إلا من رحم الله.

فالطفل في أشهره الأولى لا يرى إلا البارز من الأشياء، فعندما يحمله أبوه، يمد يده إلى أنفه، أو إلى يده إن كانت قريبة منه، ولو وضعت أمامه على الأرض أشياء مختلفة الأحجام، فإنما يمد يده إلى البارز منها سواء لكبر حجمه أو لوجوده على مكان بارز.

وهكذا المسلمون الآن لا يرون في المجتمعات إلا البارز، والحاكمُ أبرزُهم، لذلك فهو المطالَب بإقامة حكم الله، وهو المطالَب بالنصر، وعليه تبعة انهيار الأخلاق وتبعة الهزائم . . . الخ. والعجب العجاب المثير للارتياب أنهم لا يلقون هذه التبعات إلا على الذين يحاربون الماركسية.

ومما نسمعه، مثلاً، من أدعية يدعو بها من يسمونهم «علماء»: اللهم هيء لهذه الأمة قائداً صالحاً يقيم فيها حكم الله ويقودها إلى النصر . . . الخ.

وكأن القائد معه عصاً سحرية، أو له قوة إلٰهية، وكأن الإسلام نزوة حاكم، وكأنهم نسوا قول الله سبحانه: ﴿إنَّ الله لا يُغيِّرُ ما بقومٍ حتى يُغيِّروا ما بأنفُسِهم﴾.

ومن الأمثلة على النظرة الطفولية للأمور، سؤال كثيراً ما سمعناه، وهو «هل نحن الآن في عهد مكي، أو في عهد مدني»، وكثيراً ما دارت النقاشات حول هذا التساؤل! وكأن التاريخ عبارة عن كليشة يكرر طبعها في كل مكان وزمان، وعلينا أن نعرف موضعنا من هذه الكليشة. ورغم أن هذا السؤال قد يصدر عن غير متصوفة، لكن ما كان يمكن قبوله لولا النظرة الطفولية التي انبثقت من التسليم للشيخ، وعدم القيام بأي عمل، بل وعدم التفكير بالقيام به أو التفكير بكيفية هذا القيام، وإنما يعرض الأمر على الشيخ، ويطبق ما يقوله حرفيًّا دون مناقشته أو حتى الاستفهام منه عن غريبه «من قال لشيخه: لِمَ؟ لا يفلح أبداً». وكان التقي الورع الذي يرجو الفلاح والذي كان يُنْظر إليه على أنه نخبة الأمة، كان لا يفكر في أي أمر، وإنما يعرضه على الشيخ، ويطلب توجيهه المقدس، ويدعو الناس في وعظه وخطبه إلى مثل هذا.

ومن أخطر مظاهر هذه النظرة الطفولية الواضحة، إن لم يكن أشدها خطراً، هو مناقشة الأمور دون إدراك للعلاقة بين الأسباب والنتائج.

ومن المفاسد القاتلة التي انبثقت عن الصوفية قبول المتناقضات على أنها كلها صحيحة، لأن احترام الشيوخ وتقديسهم وتقديس أقوالهم كان طيلة قرون طويلة هو طريق النجاة والفلاح، وبطبيعة الحال، كانت أقوالهم متناقضة وساقطة بسبب جهلهم من جهة، ولأنهم كانوا يأخذون علومهم من الكشف والعلم اللدني من جهة ثانية، وبسبب الغرور الذي يسببه تقديس الناس لهم، والذي يجعلهم يعتقدون أن كل ما يجري على ألسنتهم من هذيانات هو من باب «حدثني قلبي عن ربي»؛ وكان الناس كلهم إلا من رحم الله، يعتقدون في الشيوخ هذا الاعتقاد ويطبقونه؛ لذلك كانوا يقبلون المتناقضات على أنها من عند الله، ولا تعترض فتنطرد، وكانت هذه الحالة من الأسباب الرئيسية في تشتت أفكار الأمة وتخبطها.

ومن مظاهر الفساد المدمر التي انبثقت عن الصوفية «الطبطبة» على المفاسد ومحاولة تبريرها، بل والإصرار على عدم وجودها ومهاجمة من يحاربها بأساليب شتى.

وطبعاً، انبثقت هذه الظاهرة من قاعدة: «سلم تسلم، أو لا تعترض فتطرد».

ومن الفساد الذي سيطر على الأمة قروناً طويلة الازدواجية في العقيدة وفي التفكير التي كان يعيشها وعاظ الأمة وموجهوها ودعاتها، إلا من رحم الله، حيث كانوا يبطنون خلاف ما يظهرون، يبطنون وحدة الوجود وما يتفرع عنها، ويظهرون الشريعة الإسلامية التي يحاولون توجيهها لتتفق مع ما يبطنون.

وفي واقع الأمر كان هناك صراع خفي يتفاعل في ضمير كثير من العلماء الذين قبلوا الصوفية حيث كان يظهر هذا الصراع في كتابات بعضهم وفي أقوالهم وبعض أفعالهم، مثل ما نراه عند أحمد الفاروقي السرهندي وأمثاله الذي كانوا يتشددون في وجوب كتمان السر إلا عن مستحقيه، ويهاجمون من يصرح بالوحدة.

هذا موجز لدور الصوفية في تمزيق الأمة الإسلامية.

لكن يوجد إلى جانبها عاملان آخران تأتي أهميتها بعد الصوفية، وهما:

أ ـ الخلفيات الفكرية والعقائد والفلسفات: التي كانت تشكل تيارات في المجتمعات الإسلامية تحيط بالشيخ وتوجه كشوفه وعلومه اللدنية، لأن الرؤى الكشفية

هي انبثاقات للمعلومات والتوجهات والأماني والطموحات المختزنة في أعماق الشيخ، ومنها تلك الخلفيات الفكرية والعقائد، مع العلم أن بعضها وجد بسبب الصوفية أيضاً.

فمحمد بن فلاح، مثلاً، تشيع بسبب المحيط الذي كان يعيش فيه، في الحلة التي كان التشيع غالباً في أهلها، ثم شيع أتباعه بمئات الألوف بواسطة الصوفية . . . وهكذا.

ب ـ الموقف السلبي في مواجهة الصوفية: وذلك بحجج هي أقبح من الصوفية، وهي متعددة، لكن أبرزها وأبشعها حجتان:

١ ـ قول من يقول: «لا تفرقوا صفوف المسلمين»، يقولها لمن يشرح للناس خطر الصوفية ويبين زيفها وضلالها؟!

والجواب على هذه الحجة الفاسدة هو قوله سبحانه: ﴿واعْتَصِموا بحبلِ الله جَميعاً ولا تَفَرَّقوا﴾، أي: إن جمع الصفوف يكون بالاعتصام بالقرآن والسنة اللذين هما حبل الله، وتفريق الصفوف يكون بالابتعاد عنهما.

وهذا الذي يقول لدعاة الحق: «لا تفرقوا صفوف المسلمين»، إنما يقدم العون الأكبر لاستشراء الداء وتفريق المسلمين وتمزيقهم، كما هو حاصل؛ وهو داخل في زمرة الموصوفين بالآية الكريمة: ﴿. . . كانوا لا يتناهَوْنَ عن مُنكرٍ فعَلوهُ . . .﴾.

٢ ـ قول من يقول: «لا تُكفِّر مسلماً! كيف تُكفِّر رجلاً يشهد أن لا إله إلا الله . . ؟».

والجواب على هذه الحجة الفاسدة هو أولاً: أن المسألة ليست مسألة تكفير مسلم، وإنما هي مسألة بيان الحق من الباطل والهدى من الضلال، ثم إن كل البلاء الذي أصاب الأمة ودمرها، جاء في الأساس على يد أناس يشهدون أن لا إله إلا الله ويضمرون ما يضمرون، وأكثرهم ـ إن لم يكونوا كلهم ـ مخلصون في ما جاؤوا به ويعتقدون أنه الحق.

كما أن الواجب على المسلم أن يعرف الحق أولاً، كما يقول علي بن أبي طالب رضي الله عنه: «اعرفوا الحق تعرفوا أهله»، وطبعاً، إذا عرفنا الباطل نعرف أهله أيضاً، ويجب أن نعرفه لنعرفهم.

قد كان من واجب علماء المسلمين أن يدرسوا الصوفية دراسة واعية ثم ينبهوا الأمة إلى خطرها، لكن الذي حصل أن فطاحل العلماء كانوا لا ينظرون إلا إلى ظاهرها وإلى عباراتها المتداولة دون محاولة لتفهم حقيقة معانيها ومراميها، فما كان واضح الدلالة على وحدة الوجود، أي ما كان من عبارات الوحدة المطلقة، حكموا عليه بالكفر، وما كان غامضاً أولوه التأويل الحسن بحجة عدم تكفير المسلم، ولأنهم لم يحاولوا دراسة الصوفية بعمق، ولم يتنبهوا إلى تواصيهم بالتقية وكتمان السر عن غير أهله، وأن هذا السر كفر وزندقة!

وعدم دراستهم للصوفية جعلهم يرتكبون أخطاءً كان لها دور واضح في بقاء مسيرة التصوف لتفعل فعلتها التي فعلت، ومن هذه الأخطاء:

* قولهم: إن في المتصوفة من يؤمن بوحدة الوجود، ومنهم من يقول بالاتحاد أو بالحلول، وفيهم الأتقياء الذين يسيرون على منهج الصوفية الحقة التي لا تؤمن بهذه الأمور.

وطبعاً؛ هذا كلام خطأ كله، فالصوفية مذهب واحد، وعقيدتها هي وحدة الوجود، ولا يوجد بين متصوفة المسلمين من يقول أو يعتقد بالاتحاد أو الحلول، (لا يوجد ولم يوجد)، كما أن الذين لا يعرفون وحدة الوجود بينهم هم السالكون الذين لم يبلغوا بعد محل ثقة الشيخ.

* ومن هذه الأخطاء قولهم: إن في المتصوفة من يقول بالحقيقة المحمدية ومنهم من لا يقول بها! وهذا خطأ كله؛ فالمتصوفون كلهم، حتى السالكون المبتدئون، تشرح لهم الحقيقة المحمدية ويؤمنون بها، وقد يسمونها أسماء أخرى، مثل: «أسبقية النور المحمدي، أو أول خلق الله . . .».

وقد استغل المتصوفة هذا الموقف، وصاروا كلهم يقولون عن أنفسهم وعن مشايخهم وأتباعهم وأمثالهم إنهم على الصوفية الحقة، ثم ينهالون بالشتائم على الدخلاء على الصوفية وعلى المبتدعة الذين يقولون بالحلول والاتحاد، أو الذين يقولون بالوحدة المطلقة (أي غير المقيدة بالرمز واللغز).

وهكذا بقيت مسيرة التصوف، وأوصلت الأمة إلى ما نراه الآن، مع العلم أنها الآن

أقل سيطرة بكثير مما كانت عليه في قرون سابقة.

لكن بشيء من التدقيق، يتضح أن هاتين الحجتين السلبيتين هما أيضاً من نتاج الصوفية، ومن أساليب المتصوفة في الدفاع عن أنفسهم ومعتقدهم، حتى فشتا بين الأمة.

إن هذه الأمراض والمفاسد، ارتكزت في سريانها في الأمة على مرضين خبيثين بعثتهما الصوفية في الأمة، هما: الجهل والعقم الفكري.

* الجهل:-

لولاه لما استطاعت هذه المفاسد - وغيرها - أن تجد لها مكاناً في المجتمعات الإسلامية، وقد رأينا في الفصول السابقة النصوص الكثيرة لأقطابهم وعارفيهم، التي يأمرون بها بالجهل والابتعاد عن العلم، بل وينفرون بها من مجرد معرفة القراءة والكتابة، وهي غيض من فيض، ولولا أن تلاوة القرآن فرض على المسلمين، ومعرفة الحلال والحرام فرض على فئة منهم، لنسيت القراءة والكتابة جملة وتفصيلاً، والله وحده يعلم إلى ماذا كانت ستؤول إليه أحوال الأمة.

* العقم الفكري:-

رأينا في الفصول السابقة، ونرى في مجتمعاتنا الحالية، الأمثلة الكثيرة على فرض الصوفية على المريدين أن يكونوا بين يدي الشيخ كالأموات بين يدي الغاسلين، ورأينا، ونرى، كيف أن الفرد من المريدين لا يفكر لنفسه ولا لغيره، وإنما يذهب إلى الشيخ ليفكر له، ولا يطلب معرفة، بل يذهب إلى الشيخ ليفيض عليه من معارفه اللدنية، ولا يقضي أمراً حتى يرى الشيخ فيه رأيه . . . الخ.

كانت هذه حالة كل الأمة، إلا من رحم الله، بل إن هذا «الحال» صار «مقاماً» عالياً، حتى كانوا لا يحاولون، بل يتواصون بعدم محاولة فهم نصوص القرآن والسنة إلا من الشيخ، فإذا أخطأ الشيخ، فخطؤه خير من صوابك! وإذا كان جاهلاً، فجهله خير من علمك! وإذا ناقضت أقواله النصوص، فاتباع فهمه هو الإيمان، واتباع فهمك هو الضلال! وإذا تناقضت أقوال الشيوخ فيما بينها، فكلهم من رسول الله مقتبس (بالكشف

طبعاً) . . . إلى آخر القائمة . . . ومثل هذا موجود حتى الآن .

وبذلك سيطر العقم الفكري، بل الشلل الفكري على الأمة حتى وصلت إلى ما هي عليه.

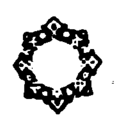
إن الله سبحانه وتعالى لم يظلم المسلمين عندما سلط عليهم الاستعمار. حاشاه سبحانه وتعالى من الظلم؛ وإذ كان الجزاء من جنس العمل، فقد كان الاستعمار هو الدواء النجس لتلك العلة الخبيثة.

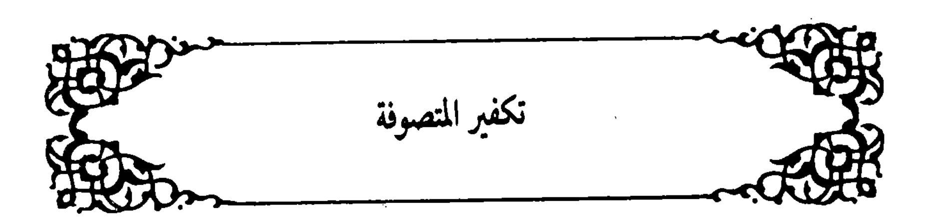
وقد يسأل سائل: ألا يوجد في الصوفية إيجابيات؟

والجواب: نعم، لها إيجابيتان:

١ ـ **الأدب الرمزي**، إذ أن متصوفة المسلمين هم الذين ابتكروه لستر حقيقتهم، ولم ينتشر في العالم إلا بعدهم بقرون طويلة، ويظهر أن مبتكريه كانوا سابقين للجنيد في الزمان، لكن الجنيد هو الذي بلوره ووضع له القواعد والمصطلحات وكثيراً من عباراته التي يستعملونها.

٢ ـ **بعض التفاصيل التاريخية**، حيث تقدم كتب المتصوفة صوراً من حياة المجتمعات الإسلامية وعاداتها لا نراها في غيرها، كما نستطيع من خلالها تفسير بعض إشارات الاستفهام التاريخية عند المسلمين وعند غيرهم أيضاً.





تكفير المتصوفة

لقـد كُفِّـر المتصـوفـة وزُنـدقـوا، وقتل منهم من قتل على الزندقة، واستطاع الباقون التخلص من عقوبة الزندقة بالتستر بالفقه والصلاة والصيام وقراءة القرآن، وكان هذا هو المنطلق لإيجـاد الطـريقة البرهانية الغزالية التي مزجت الإسلام بالتصوف، واستطاع هذا السرطان القاتل أن يسري في جسم الأمة الإسلامية ليدمر دينها ودنياها.

وهذا كشف ببعض من كفر وزندق وقتل، منقول من كتبهم:

يقول عبد الوهاب الشعراني في طبقاته[1]:ـ

. . . ونقل الثقات (ويزيد في كتاب «اليواقيت والجواهر» قوله: منهم الشيخ أبو عبد الرحمن السلمي، وأحمد بن خلكان، والشيخ عبد الغفار القوصي، وغيرهم)[2] عن:

ـ أبي يزيد البسطامي أنهم نفوه من بلده سبع مرات.

ـ وكذلك وقع لذي النون المصري أنهم وشوا به إلى بعض الحكام، وحملوه من مصر إلى بغـداد مغلولاً مقيـداً، (ويضيف في «اليـواقيت والجـواهـر»: سافـر معـه أهـل مصر يشهدون عليه بالزندقة).

---

(١) الطبقات الكبرى: ١ / ١٥ و١٦ و١٧.

(٢) اليواقيت والجواهر: ١ / ١٣.

ـ وكـذلـك وقـع لسمنـون المحب محنـة عظيمة . . . ثم إن الخليفة أمر بضرب عنق سمنون وأصحابه فمنهم من هرب، ومنهم من توارى سنين . . .

ـ وكذلك وقع أنهم رموا أبا سعيد الخراز وأفتى العلماء بتكفيره.

ـ وأخرجوا سهل بن عبد الله من بلده (تستر) إلى البصرة ونسبوه إلى قبائح وكفروه.

ـ وقتل حسين الحلاج . . . (وبعد صفحتين: ووقع الاختلاف أهو الذي صلب أم رفع كما وقع في عيسى عليه الصلاة والسلام).

ـ وشهـدوا على الجنيـد حين كان يقـرر في علم التـوحيـد، ثم إنه تستر بالفقه . . . (ويقول صاحب «اللمع»: فكم من مرة قد طلب وأخذ، وشهدوا عليه بالكفر والزندقة)[1]، وصاحب «اللمع» قريب عهد بالجنيد.

ـ وأخرجوا محمد بن الفضيل البلخي بسبب المذهب.

ـ وعقدوا للشيخ عبد الله بن أبي جمرة مجلساً في الرد عليه . . . فلزم بيته، فلم يخرج إلا للجمعة حتى مات.

ـ وأخرجوا الحكيم الترمذي (من ترمذ) . . . حين صنف كتاب «علل الشريعة» و كتاب «ختم الأولياء» وأنكروا عليه . .

ـ وأنكر زهاد الراز[2] وصوفيتها على يوسف بن الحسين وتكلموا فيه ورموه بالعظائم.

ـ وأخرجوا أبا الحسن البوشنجي وأنكروا عليه وطردوه . . .

ـ وأخرجوا أبا عثمان المغربي من مكة . . وطاف به العلوية (أي أحفاد علي بن أبي طالب) على جمل في أسواق مكة بعد ضربه على رأسه ومنكبيه . . .

ـ وشهدوا على السبكي بالكفر مراراً . . .

---

(١) اللمع، ص٥٠٠.

(٢) المدينـة هي الـري، وليست الـراز، والنسبة إلى الري هي «الرازي»، ولعله عرف أن اسم المدينة هو الراز عن طريق الكشف والعلم اللدني. أمـا قولـه: «وصـوفيتهـا»، فيـدل على أن الصوفية قد يشتركون أيضاً في تكفير الصوفي، لكن مجاراة للناس وتستراً على حقيقتهم.

ـ وقال أهل المغرب على الإمام أبي بكر النابلسي . . . فأخرجوه من المغرب مقيداً إلى مصر وشهدوا عليه عند السلطان . . . فأخذ وسلخ وهو حي . . . أو قتل ثم سلخ.

ـ وأخرجوا الشيخ أبا مدين المغربي من بجاية . . . (مات وهو في طريقه إلى القتل).

ـ وأخرجوا أبا القاسم النصراباذي من البصرة وأنكروا عليه . .

ـ وأخرجوا أبا عبد الله الشجري صاحب أبي حفص الحداد . . .

ـ وشهدوا على أبي الحسن الحصري بالكفر . . .

ـ وتكلموا في ابن سمنون وغيره بالكلام الفاحش حتى مات فلم يحضروا له جنازة.

ـ وتكلموا في الإمام أبي القاسم بن جميل بالعظائم إلى أن مات . . .

ـ وأفتوا بتكفير الإمام الغزالي وأحرقوا كتابه «الإحياء» . . . وكان من جملة من أنكر على الغزالي وأفتى بتحريق كتابه القاضي عياض وابن رشد . .

ـ وأخرجوا أبا الحسن الشاذلي من بلاد المغرب بجماعته ثم كاتبوا نائب الاسكندرية بأنه سيقدم عليكم مغربي زنديق . . .

ـ ورموا الشيخ أحمد بن الرفاعي بالزندقة والإلحاد . . .

ـ وقتلوا الإمام أبا القاسم بن قسي . . .

ـ وقتلوا ابن برّجان (شيخ ابن عربي أو شيخ شيخه)، والخولي، والمرجاني . . . فشهدوا عليهم بالكفر . . .

ـ وأما الشيخ محيي الدين بن عربي وسيدي عمر بن الفارض فلم يزل المنكرون ينكرون عليهما إلى وقتنا هذا . . .

ـ وأنكروا على الشيخ عبد الحق بن سبعين وأخرجوه من بلاد المغرب وأرسلوا نجّاباً بدرج مكتوب أمامه يحذرون أهل مصر منه.

ـ ومما أورده الشعراني أيضاً في نفس «طبقاته» متفرقاً في ترجماته للمذكورين.

ـ أبو نعيم الأصفهاني، أخرجه أهل أصفهان ومنعوه من الجلوس في الجامع.

ـ عبد السلام بن مشيش، شيخ أبي الحسن الشاذلي، قتل في بلاد المغرب.

ـ محمد الرويجل العريان قتله العثمانيون حين دخول مصر.

ـ أبو العباس أحمد الملثم كفروه.

ـ أبو الفتح الواسطي كان مبتلى بالإنكار عليه، مات في الإسكندرية حوالي سنة ٥٨٠هـ.

ـ عبد الله بن محمد العرشي المرجاني، امتحن وأفتى العلماء بتكفيره، قتل في تونس سنة ٦٦٩.

ـ محمد القونوي (صدر الدين) صاحب ابن عربي وابن زوجته كان مبتلى بالإنكار عليه مات في قونية سنة ٦٧٢هـ.

ومما أورده الشعراني أيضاً في «اليواقيت والجواهر»:

ـ وشهدوا على الشبلي بالكفر مراراً[1].

ـ وأنكروا على سيدي إبراهيم الجعبري، وسيدي حسين الجاكي[2].

● ملاحظة: شهادات التكفير هذه هي مما أورده الشعراني في «طبقاته» و«يواقيته». وقد أخذها من كتب التراجم المختلفة.

ومما لم يذكره الشعراني وذكره صاحب «اللمع»:

ـ أبو عبد الله الحسين بن مكي الصبيحي: كفره أبو عبد الله الزبيري وهيج عليه العامة.

ـ أبو العباس أحمد بن عطاء: رفع إلى السلطان ونسب إلى الكفر والزندقة، فقتل ضرباً بخفه.

---

(١) اليواقيت والجواهر: ١ / ١٣.

(٢) اليواقيت والجواهر: ١ / ١٤.

ـ أبو حمزة الصوفي: كفروه (ويقول ابن الجوزي في «تلبيسه»: إنهم قتلوه ونادوا على فرسه: هذا فرس الزنديق).

ـ محمد بن موسى الفرغاني: لأهل التعنت فيه مقال.

ـ أبو الحسين النوري: شهدوا عليه بالكفر.

هذا مما أورده أبو نصر الطوسي في كتابه «اللمع» (في ترجمته للمذكورين).

وأورد اليافعي في «نشر المحاسن»:

«... لما سعي بالصوفية إلى بعض الخلفاء، أمر بضرب رقابهم، فأما الجنيد فتستر بالفقه، وكان يفتي على مذهب أبي ثور، وهو إمام القوم وسيدهم ... وأما أبو الحسين النوري فقبض عليه، وكان أحد أركان المذهب وسادات القوم ... وقبض معه أيضاً على أبي حمزة البغدادي، وكان أحد علماء القوم وساداتهم والمذكورين بالفتوة والتوكل ... وقبض أيضاً على أبي بكر الزقاق، وكان أيضاً أحد سادات القوم والمتكلمين في المعاملات بأحسن الكلام ... وقبض أيضاً على الشحام والرقام، وبسط النطع لضرب رقابهم ...»[1].

ـ أقول: يظهر أن الوزير كان من القوم، وكان يتستر بالفقه، فأنقذهم من القتل بأسلوب ذكي.

ـ وعدي بن مسافر، شيخ الطريقة العدوية التي هي الآن اليزيدية، نبش قبره وأحرق ما فيه مرتين، مرة سنة ٦٥٢هـ على يد أمير الموصل، ومرة سنة ٨١٧هـ على يد جماعات كبيرة من الأكراد[2].

ـ وأبو حيان التوحيدي، نفي لسوء عقيدته، وكان من شيراز وهو شيخ الصوفية[3].

ـ وشهاب الدين السهروردي المقتول (يحيى بن حبش) قتل في حلب على الزندقة

---

(١) نشر المحاسن الغالية، ص٤٢٢.

(٢) اليزيديون في حاضرهم وماضيهم، ص١٣٦ و ١٣٨.

(٣) لسان الميزان للذهبي.

سنة ٥٨٧هـ.

ـ وعبد القادر الجيلاني، يقول المؤرخون: إن الوزير عبيد الله بن يونس أخرب بيته وشتت أولاده، ويقال: إنه بعث في الليل من نبش عليه (في قبره)، ورمى بعظامه في اللجة[1].

ـ لسان الدين بن الخطيب (وزير غرناطة) قتل على الزندقة بسبب كتابه في التصوف «روضة التعريف» سنة ٧٧٦هـ[2].

ـ إن كهان التصوف الذين ذكروا في كتبهم حوادث التكفير والتقتيل والتشريد إنما ذكروها ليخدعوا بها القارىء الغافل، وليقولوا له: إن الأولياء مبتلون دائماً بالأعداء.

وهي خدعة فيها كثير من الذكاء والخبث، لأنهم بهذا الأسلوب يؤ ولون حقائق التاريخ التي لا يستطيعون طمسها تأويلاً يخدم أغراضهم ويخفي سوءاتهم ويكسبهم عطف الآخرين.

ـ كما إن إصرارهم العجيب على الالتزام المريب بالحفاظ على مسيرة الكهانة وعلى نموها في المجتمعات الإسلامية، رغم التكفير والتقتيل والتشريد، هو دليل جديد على أن الكهانة لم تمت بظهور الإسلام، وإنما لاذت في الظلام، وبقيت تعمل بصمت وتنفث سمومها بهدوء حتى تهيأت لها الظروف الاجتماعية والفكرية، فعادت إلى الظهور من جديد.

ـ كما تجدر الملاحظة أن كتب المتصوفة مشحونة بالكذب الذي لا يعرف الحدود، ولكن كل كذبهم هو في صالح التصوف، وفي موضوع التكفير هذا، لم يكذبوا بتقرير واقع الذي كفروا أو قتلوا لأن هذا ثابت في كتب التاريخ، وإنما كذبوا بتفسير ذلك لمصلحتهم.

ـ كما أن هذا التكفير والتقتيل هو صورة من صور محاربة الإسلام للصوفية، منذ ظهوره وحتى يرث الله الأرض ومن عليها.

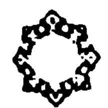
---

(١) النجوم الزاهرة وشذرات الذهب وغيرها في حوادث سنة ٥٩٣هـ.

(٢) روضة التعريف بالحب الشريف، «التقديم»، ص٣٣.

مع الظن الذي يكاد يقترب من الاعتقاد، أن القيامة ستقوم على الصوفية الممزوجة بشكل متطور عن الشيوعية، والذي يدعو إلى هذا الظن هو ملاحظة الخط البياني لمسيرة التصوف عبر التاريخ، وكون الإشراق (التحشيشي والرياضي) هو أحد شركي إبليس لإخراج بني آدم من الجنة، والذي نستطيع أن نسميه «الشرك الروحاني» مقابلة مع الشرك الأول «الشرك الجنسي».

ـ ولا يظن ظان أن هؤلاء المذكورين هم وحدهم الذين كفروا وشردوا وقتلوا بسبب كفرهم، بل هم كثيرٌ، وأي مسلم عندما يعرف أي حقيقة من حقائقهم يحكم عليها وعلى فاعلها بالكفر، إلا الذين عميت منهم البصائر واستجرهم إبليس إلى حظائره.



□ للتسلية: حرق كتب الغزالي وتضليله:

يقول عبد القادر بن شيخ العيدروس في «تعريف الأحياء بفضائل الإحياء»:

. . . نقل ابن السمعاني من رؤيا بعضهم فيما يرى النائم كأن الشمس طلعت من مغربها، مع تعبير ثقات المعبرين ببدعة تحدث، فحدثت في جميع المغرب بدعة الأمر بإحراق كتبه[1] . . . (أي كتب الغزالي).

ويقول الغزالي ذاته في كتابه «الإملاء في إشكالات الإحياء»:

. . . سألتَ . . . عن بعض ما وقع في الإملاء الملقب بالإحياء مما أشكل على من حُجب فَهْمه وقصر علمه ولم يفز بشيء من الحظوظ الملكية قِدْحه وسهمه، وأظهرتَ التحزن لما شاش به شركاء الطعام وأمثال الأنعام وإجماع العوام وسفهاء الأحلام وذعار أهل الإسلام، حتى طعنوا عليه ونهوا عن قراءته ومطالعته، وأفتوا بمجرد الهوى على غير بصيرة بإطراحه ومنابذته، ونسبوا مُمليه إلى ضلال وإضلال، ونبذوا قراءه ومنتحليه بزيغ في الشريعة واختلال[2]. . .

ـ يهمنا في هذه النصوص إحراق كتب الغزالي وتضليله، أما دفاعه عن نفسه ودفاع العيدروس عنه فهو أمر عادي، إذ كل إنسان يدافع عن نفسه وعن عقيدته بما يستطيع.

ـ وهذه طائفة من العلماء الذي اعترضوا على الغزالي وكتبه، منهم:

ـ الإمام أبو عبد الله محمد بن علي المازري (من فقهاء المالكية توفي سنة ٥٣٦هـ في

---

(١) هامش إحياء علوم الدين: ١ / ٢٩.

(٢) هامش إحياء علوم الدين: ١ / ٤٩.

المهـديـة). له كتـاب «الكشف والإنبـاء في الـرد على الإحيـاء»، من أقواله في الغزالي:
«. . . وعرفني بعض أصحابه أنه كان له عكوف على رسائل إخوان الصفا، وهي إحدى وخمسون رسالة . . . (إلى أن يذكر ابن سينا) ثم يقول: وقد رأيت جملاً من دواوينه (أي ابن سينا)، ورأيت هذا الغزالي يعوّل عليه في أكثر ما يشير إليه من الفلسفة[1] . . .

ـ ابن الصلاح، تقي الدين عثمان بن عبد الرحمن (المحدث المعروف، تنقل وتوفي في دمشق سنـة ٦٤٣هـ): تكلم في الغـزالي بكلام قادح فيه، وطعن على كتبه بأنها مشتملة على خرافات وأكاذيب وموضوعات[2].

ـ عبـد اللطيف الحنبـلي[3]: يقـول في رسـالـة لبعض أصحـابـه: . . . بلغني أنـك اشتغلت بالقـراءة في كتـاب «الإحيـاء» للغـزالي، وجمعت عليـه من لديـك من الضعفاء والعـامـة الـذين لا تمييـز لهم بين مسـائـل الهـدايـة والسعـادة ووسـائل الكفر والشقاوة، وأسمعتهم ما في «الإحيـاء» من التحـريفـات الجـائـرة، والتأويـلات الضـالـة الخاسرة، والشقاشق التي اشتملت على الداء الدفين . . . قد حذر أهل العلم والبصيرة عن النظر فيها . . بل أفتى بتحريقها علماء المغرب ممن عرف بالسنة، وسماها كثير منهم «إماتة علوم الدين»، وجزم بأن كثيراً من مباحثه زندقة خالصة لا يقبل لصاحبها صرف ولا عدل[4].

ـ والقاضي عياض[5]: من أقواله: الشيخ أبو حامد ذو الأنباء الشنيعة، والتصانيف الفظيعة . . . وساءت به ظنون الأمة[6] . . .

ـ والذهبي[7]: يقول: قد ألف الرجل (أي الغزالي) في ذم الفلاسفة . . . ووافقهم

---

(١) غاية الأماني: ٢ / ٣٦٦ نقلاً عن طبقات السبكي.
(٢) غاية الأماني: ٢ / ٣٦٨.
(٣) لم أستطع معرفة هويته.
(٤) غاية الأماني: ٢ / ٣٦٩.
(٥) القاضي عياض (أشهر من أن يعرف) بن موسى بن عياض، عالم المغرب، وإمام أهل الحديث في وقته، توفي في مراكش سنة ٥٤٤هـ / ١١٤٩م.
(٦) غاية الأماني: ٢ / ٣٧٠.
(٧) الـذهبي، أشهـر من أن يعـرف، هو محمـد بن أحمد بن عثمان . . الحافظ المؤرخ العلامة، توفي في دمشق سنة ٧٤٨هـ / ١٣٤٨م.

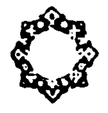
في مواضع ظنًّا منه أن ذلك حق أو موافق للملة، ولم يكن له علم بالآثار ولا خبرة بالسنن النبوية القاضية على العقل، وحُبب إليه إدمان النظر في كتاب «رسائل إخوان الصفا»، وهو داء عضال، وجَرَبٌ مُردٍ، وسم قاتل . . . فالحذر الحذر من هذه الكتب، واهربوا بدينكم من شُبَه الأوائل[1] . . .

ـ وأبو عبد الله القرطبي[2] (صاحب التفسير) يقول: إن بعض من يعظ، ممن كان ينتحل رسم الفقه ثم تبرأ منه شغفاً بالشرعة الغزالية والنحلة الصوفية، قد أنشأ كراسة على معنى التعصب لكتاب أبي حامد، إمام بدعتهم، فأين هو من تشنيع مناكيره، وتضليل أساطيره المباينة للدين وشريعة سيد المرسلين[3] . . .

ـ وأبو بكر الطرطوشي[4]: يقول: شحن أبو حامد كتاب «الإحياء» بالكذب على رسول الله ﷺ، وما على بسيط الأرض أكثر كذباً منه، شبكه بمذاهب الفلاسفة ومعاني رسائل إخوان الصفا، وهم قوم يرون النبوة مكتسبة[5] . وللطرطوشي كتاب كبير في الرد على «إحياء علوم الدين».

ـ ابن رشد (الحفيد)، أبو الوليد محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن رشد، أشهر من أن يعرف[6] ، من أهل قرطبة له كتاب «تهافت التهافت» في الرد على الغزالي.

ـ وغيرهم كثير.



(١) غاية الأماني: ٢ / ٣٧٠.

(٢) محمد بن أحمد بن أبي بكر الخزرجي الأندلسي، صاحب التفسير المشهور، رحل وتوفي في مصر سنة ٦٧١هـ / ١٢٧٣م.

(٣) غاية الأماني: ٢ / ٣٧٢.

(٤) محمد بن الوليد الفهري الأندلسي الطرطوشي، رحل وتوفي في الإسكندرية سنة ٥٢٠ هـ / ١١٢٦م.

(٥) غاية الأماني: ٢ / ٣٧٢.

(٦) توفي في مراكش سنة ٥٩٥هـ / ١١٩٨م، ونقلت جثته إلى قرطبة.

□ وقفة مع آية قرآنية:

أليس من الجائز أن تكون الشجرة التي نُهيَ آدم وحواء عن أكلها هي من نوع القنب الهندي (الحشيش) أو الخشخاش (الأفيون) أو فطر المكسيك أو ما شابهها؟ مما يسبب الهلوسة؟

الدافع إلى قبول هذه الفكرة ما يلي:

١ - ﴿. . قالَ يا آدمُ هل أدُلُّكَ على شجرةِ الخلدِ وملكٍ لا يَبْلى﴾، ﴿. . . مانَهاكُما ربُّكُما عن هذه الشجرةِ إلا أنْ تَكونا مَلَكَيْنِ أو تَكُونا مِن الخالِدينَ﴾.

رأينا أن من آثار تناول المهلسات، شعور المجذوب بسببها أنه ملك من الملائكة، وشعوره باللحظات القصيرة وكأنها آلاف السنين، وشعوره بأنه أدرك الواقع الحقيقي للعالم، وأن كل الأسرار تتكشف أمامه، وشعوره بأن نظره يحيط بفراغات لا متناهية، ورؤ يته قصوراً وباحات وأقواساً وحدائق، ورؤ يته أنه يعيش في رؤ ى جنة.

هذه المشاهدات والإحساسات، أليست نفس ما وصف به إبليس الشجرة المحرمة: ﴿شجرةِ الخلدِ وملكٍ لا يَبْلى﴾، ﴿أن تكونا مَلَكَيْنِ أو تكونا مِن الخالِدِين﴾.

٢ - كذلك تقديس الأمم الوثنية لها، وتسميتهم الأفيون «حجر الخلود» و«شراب الآلهة»، وتسمية الحشيش «إكسير الخلود» . . . إلى آخر ما مر قبل صفحات.

أليس هو نفس معنى ﴿شجرةِ الخُلدِ﴾ و﴿تكونا مِن الخالِدِينَ﴾، مع العلم أن المصدر في الحالتين هو إبليس.

٣ - ﴿يا بَني آدَمَ لا يَفْتِنَنَّكُمُ الشيطانُ كما أَخْرَجَ أبَوَيْكُم مِن الجنَّةِ يَنْزِعُ عنهما لِباسَهما لِيُرِيَهُما سَوْءاتِهِما . . .﴾، ﴿. . . فوَسْوَسَ لهما الشيطانُ لِيُبْدِيَ لهما ما وُورِيَ مِن سَوْءاتِهِما

. . . ﴾، ﴿ . . . فأكلا منها فبَدَتْ لهما سَوْءاتُهما . . . ﴾.

أكلا منها، فنزع عنهما لباسهما، فبدت لهما سوءاتهما: أليس هذا ما يحدث لمتعاطي المهلسات؟

إن الصحف والمجلات تحدثت كثيراً عن شباب وفتيات يتعرون في الطرقات أثناء جذبة المخدرات، كما رأينا أن التعري يكاد يكون من لازمات جذبة التصوف! والمصدر هو إبليس في جميع الحالات.

أفلا يساعد هذا على قبول أن الشجرة المحرمة هي من أشجار الهلوسة؟

٤ - رأينا أن من هلاوس جذبة المخدرات (وجذبة التصوف)، رؤية الأطراف طويلة جدًّا، فعندما يتعرى المجذوب، يرى ما كان ذا امتداد من السوأة وقد غدا طويلاً، حتى قد يثير طوله الرعب! كما يرى ما كان ذا انخفاض منها خندقاً عميقاً، قد يثير الرعب أيضاً! كما يظهر الفرق بين سوأتي الرجل والمرأة مثيراً للدهشة! خاصة إن كانت الرؤية تحدث لأول مرة! الأمر الذي يثير الانتباه مهما كانت الغفلة!

أفلا تسيطر علينا فكرة أن هذا ما حدث لآدم وحواء؟ أكلا من الشجرة، فنزع عنهما لباسهما، فبدت سوآتهما مختلفة الشكل مضخمة الأبعاد، مما أثار انتباههما؟

٥ - ﴿يا بَني آدَمَ لا يَفْتِنَنَّكُمُ الشيطانُ كما أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِن الجنةِ يَنْزِعُ عنهما لِباسَهُما لِيُرِيَهُما سَوْآتِهما﴾.

أفلا تبين هذه الآية بوضوح أن إبليس يفتن بني آدم بنفس الخدعة التي أخرج بها أبويهم من الجنة، لأن الله سبحانه لم ينهنا أبداً عن شيء لا وجود له في الواقع، وهذه الآية لن تكون شاذة عن سائر الوحي.

وبدراسة الأديان الوثنية نرى الحشيش والأفيون وما شابههما، تلعب دوراً هاماً في عقائدها، وقد مر بعض هذا في فصل سابق.

كما أن كهانهم كانوا يقدمونها لمريديهم بنفس الحجة التي قدمها إبليس ﴿شجرةِ الخلدِ ومُلْكٍ لا يَبْلى﴾، وكانوا يستعملونها كذلك للحصول على الحكمة وللوصول إلى الحقيقة وبنفس الحجة.

أي إن إبليس فتن بني آدم بشجر الهلوسة (الحشيش ورفاقه).

أفلا يحق لنا أن نعتقد أن هذه الفتنة هي نفس الفتنة التي أخرج بها أبويهم من الجنة من قبل؟ انطلاقاً من منطوق الآية: ﴿لا يَفْتِنَنَّكُمُ الشيطانُ كما أخرَجَ أبَوَيْكُم . . .﴾.

٦ ـ عند عدم وجود هذه الشجرة، بسبب عدم زرعها، أو بسبب تحريمها دينيًّا، نرى أن إبليس لم يتنازل عنها، بل فتش عما يقوم مقامها حتى وجده، فعلّم بني آدم طريقة في الرياضة يستطيعون بها استغلال المخدر القوي الذي تفرزه بعض غددهم، واستعماله في غير ما خلق له، وأقنعهم كما أقنع أبويهم من قبل، أن هذا هو طريق الخلود والملك الذي لا يبلى والسير إلى الله . . . وسماها لهم أسماء خداعة كالحكمة والإشراق والمعرفة . . . .

أي إنه فتنهم بمادة من زمرة المادة الموجودة في شجرة الهلوسة، بل وأقوى منها.

أفلا نرى في هذا دليلاً مؤكداً على أن الشجرة المحرمة من شجر الهلوسة؟

٧ ـ في هذا التفسير القائل بأن الشجرة المحرمة هي شجرة هلوسة من زمرة الحشيش، نجد مكاناً لكل كلمة وفكرة واردة في الآيات الكريمة.

بينما في بقية التفاسير المعروضة حتى الآن (كالقول أنها الحنطة أو التفاح أو شجرة تسبب الغائط . .) لا نجد مكاناً لأكثر كلمات الآيات، أو لبعضها على الأقل.

أفلا يصح هذا أن يكون دليلاً على أن الشجرة هي من زمرة الحشيش والأفيون؟

ـ بلى، إن قبولنا أن الشجرة المحرمة هي من زمرة الحشيش والأفيون، يعطي تفسيراً كاملاً للايات، كما ينسجم مع أسلوب إبليس التاريخي والمستمر في إضلال بني آدم، ومع واقع الأديان الإنسانية.

وعندما يتعذر وجود الحشيش وزمرته، بسبب من الأسباب، فالمجاهدة الصوفية (أو الرياضة) تقوم بالواجب الكامل وتؤدي نفس الدور بدقة تامة ومظهر أكثر خداعاً وأشد مكراً وأقوى تأثيراً.

ـ ولنتذكر أن المخدرات والمهلسات مقدسة في الأديان الوثنية، وأنها مصدر رئيسي

لعقائدهم.

وقد يقول قائل: إن أشجار الهلوسة من الخبائث، وليس في الجنة خبائث.

والجواب:

١ - إن الله يفعل ما يريد، وهو سبحانه غير خاضع لمنطقنا الإنساني، ودور منطقنا وعقلنا في هذه الأمور الغيبية لا يتعدى العمل على فهم النص فهماً صحيحاً.

٢ - تحريم أكل تلك الشجرة على آدم لا يدل بالضرورة على أنها من الخبائث، فقد تكون خلقت لغاية أخرى غير الأكل، كأن تكون طيبة الرائحة أو اللون أو غير ذلك مما لا نعرفه، أو تكون من الأشجار التي تثمر بعض حاجيات أهل الجنة، كاللباس مثلاً، وقد تكون طعاماً طيباً لبعض مخلوقات الجنة، إلى غير ذلك.. فتكون من الطيبات. ويكون الخطأ هو استعمالها في غير ما خلقت له، ومثل ذلك شجرة العنب التي هي من الطيبات، حتى إذا استعملت للخمر أصبحت من الخبائث.

وأوضح من كل هذا، الأندرفين الذي يفرزه الدماغ في جسم الإنسان، فهو ليس من الخبائث، لكن سوء استعماله هو الخبيث.

★ نماذج من دور «شجرة الخلد وملك لا يبلى» في الوثنيات:

يقول الدكتور نقولا فياض:

... وقد أبقت ألواح الآشوريين وورق البردي في مصر لألف وخمسمائة سنة قبل المسيح صوراً تمثل الرجال والنساء والبنات والشباب وهم يسيرون نحو الحقول تحت ستار الليل ليحصدوا رؤوس الخشخاش الخضراء ويستخرجوا حصيدها المسكر مستعملين في ذلك حركات وإشارات وطقوساً دينيه[1].

- لعل القارئ انتبه أيضاً إلى أن قطاف الخشخاش بالليل بالذات هو طقس ديني، وطبعاً، الخشخاش هو النبات الذي يستخرج منه الأفيون.

ويقول أيضاً:

---

(١) قصة التغلب على الألم، ص١٤٢.

وكان كهان المجوس وعبدة الأوثان يعتبرون نوم الأفيون جسراً يربط النفس البشرية بمقر الآلهة. والدراويش يسمونه عطر الفردوس. وفيه يقول الشاعر:

يحيا من الأفيون في عالمٍ لا لوْمٌ فيه ولا حسّد
مِنْ ظلمة الأرض ومِنْ ظلمها إلى ذرى الخلد به يصعد
عطرٌ من الفردوس مَن شمَّه كواكب الأفق له تسجد[1]

- يجدر بنا أن نلاحظ التشابه بين وصف الأفيون هنا وبين «شجرة الخلد وملك لا يبلى»، مع التذكر أن إبليس هو نفسه وراء الحالين (أو المقامين).

ومما يورده الدكتور صلاح يحياوي:

* **المسكالينا (مهلس):-**

يذهب هنود الهينشولا في شهر تشرين الأول من كل عام للبحث عن البِيّوته، وهي نبتة صغيرة من الفصيلة الصبارية، ليس لها أشواك، تنمو في السهول العليا من شمالي المكسيك.

ليس سهلاً على هنود الهينشولا بلوغ المناطق حيث تنمو البيّوته، إذ إن عليهم أن يتسلقوا جبالاً ويتخطوا أفجاجاً ضيقة خطيرة، ويعرضوا حياتهم إلى مشاق هذا السفر الطويل؛ كانت كل تضحية تهون على الهندي المكسيكي، لأن هدف مسيرته هو البيوته، الهبة السماوية التي يمنحها له - حسب اعتقاده - الإله «بيّولت». هذا وتوضح الطقوس الدينية لجنْيِ البيوته عند هنود الهينشولا اعتبارهم لها كهبةٍ إلهية، فبينما يتقدم الرجال نحو أعالي القمم حيث تنمو نبتة العقار، فإن النساء يبقين في القرى صائمات، معترفات بصورة علنية بخطاياهن، يعترفن بكل ما اقترفن في حياتهن، وكي لا ينسين شيئاً فإنهن يعقدن - بعد كل اعتراف على خطيئة - عقدة في حبل من مسد، ويَحْذَرْن جدًّا من نسيان أية خطيئة عندما تأتي ساعة إعادة روايتها، إنهن يعرفن أنهن إذا لم يندمن على كل خطاياهن، أي على كل عقدة من عقد الحبل، فإنهن سيتعرضن إلى غضب الإله بيولت، والإله بيولت إله منتقم جبار، وأقل انتقام ينزله بهم هو حرمانهم من المخدر.

---

(١) قصة التغلب على الألم، ص١٤٢.

أما عندما يرضى الإله «بيولت» عن الهينشولا الأمناء فإنه يمنحهم الهبة السماوية من أوراق البيوته .

وما إن يعود الهنود إلى قراهم محملين بأوراق المخدر الثمين ، حتى يقوموا بتحضيره لتناوله . ويُضفى على أول حفلة سنوية لتناول البيوته كل صفات المشاركة العامة ، ويتم ذلك بين الأناشيد وباتباع طقوس دينيه موروثة عن هنود الأستيك ، وينتهي الأمر بهنود الهينشولا إلى الاستسلام إلى رؤى الخبل (الهلوسة) التي يهيؤها لهم المخدِّر.

إن سبب هذيان الجنون هذا هو المسكالينا ، شبه القلوي الموجود في البيوته . . . أما المسكالينا فهي . . . تجعل متعاطيها ينطوي على نفسه ، فهو يعاني هذيانات الجنون التي يسببها الورع الصوفي[1] .

- الرجاء من القارىء أن يلاحظ وصف نوم الأفيون : «جسر يربط النفس البشرية بمقر الآلهة» ، وبين عبارات : «الفناء في الله» و «العروج إلى الله» ، التي يطلقونها على الجذبة . بل إن كلمة «الجذبة» ذاتها تعني «ربط النفس البشرية بالإله» .

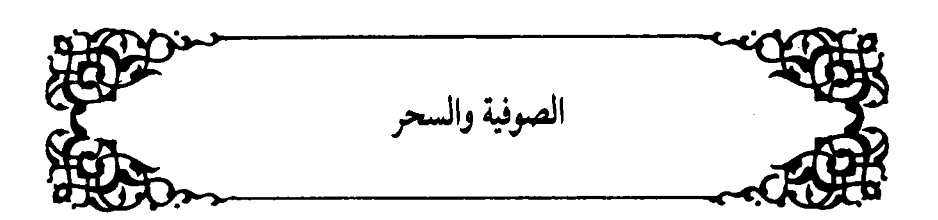
- والرجاء من القارىء أن يلاحظ الدور الذي تلعبه أشجار الهلوسة في ابن آدم وتديُّنه ، وكيف يطلق عليها الصفات التي تشبه وصف إبليس للشجرة المحرمة .

كما يرجى أيضاً الرجوع إلى آخر فصل «لمحة عن المخدرات» لمراجعة نماذج أخرى من دور شجرة الخلد وملكٍ لا يبلى في فتنة بني آدم .



(١) المخدرات ، ص١٤٨ وما بعدها .

الفصل السادس:



الصوفية والسحر

الصوفية هي السحر، والفرق بينهما هو في الادعاء وفي الغاية، فالساحر صادق يعترف أنه ساحر، ويقف عند خرق العادة، والصوفي مخدوع يظن خرق العادة الذي يحدث أمامه من الكرامات، كما أنه يتجاوزه، ويبقى مثابراً على الرياضة حتى يصل إلى الجذبة، ثم يبقى مثابراً حتى يشهد وحدة الوجود، وهذه أقوال من أئمتهم تثبت أن الصوفية هي السحر.

يقول الغزالي «حجة الإسلام»:

أما السحر فهو عمل وكلام قد تداولوه بينهم في أوقات معلومة وطوالع معروفة وطلّسمات مضروبة، فإذا أردت أن تولد طلمساً يصلح لما تريد، فخذ من كل ثلاثة أحرف حرفاً، فإذا اجتمعت لك في التأليف ثلاثة أحرف من تسعة فهو طلسم يصلح لما تريد، فانظر في الإسطرلاب عند ساعة التأليف، فهو يصلح لما دلت عليه الدقيقة من الساعة، ومثال: أ ب ت ث فتأخذ الجيم، والثاء أليق عوضاً عن الجيم، ج ح خ خذ الصاد، ص ط ظ خذ العين، فيصير عقرباً[1]، لتدوير الحروف، فضع صورتها على خاتم والقمر في العقرب تكف خاصيتها عنك أذى النساء، ترمي الخاتم في الماء فينفع

---

(١) جصع أو ثصع لها شكل العقرب إذا قلبت إلى الأعلى.

سقيـاه الملســوع . وتلقي به سوءاً بين من أردت ، وتـرش من مائـه على سطـح المبغض أو طريقه أو داره فإنه يستضر من سنة . . .

(ذكر كلمات تفرق بها بين جماعة فاسدة تخافهم) تأخذ أفرداً من شعير حزام ، وتقول عليـه أربـع مرات : «هاطاش ماطاش هطاشنة ، وألقينا بينهم العدواة والبغضاء إلى يـوم القيـامـة» ، وتـرميه من حيث لا يشعرون ، وتنظر ما يصنع الله . . . وكثير مثل هذا ، وقد حصرناها وشرحناها في كتاب «عين الحياة» ، وهو صغير الحجم كثير الفوائد[1] . . .

ومما يقول :

واعلم أن هذه الصنـاعـة (صنـاعـة الإكسـير) هي صنـاعة ربانية لا يقدر عليها إلا الأبـدال والـرجـال والأبطال الذين كشف الله الرين عن عيون قلوبهم ، وهذه لا تصح إلا للطـائـع . . . ونحن نذكر خواصًا دالة مظهرة لبدائعها وصناعتها مذكورة في كتاب «عين الحياة»[2] . . .

ومما يقول :

من أراد أن لا تبصره ولا تراه العيون ، فليزرع الخروع عند بدوّ زراعة القطن في رأس سنور أسود ، فإذا طلع يخيط عليه كيساً ، ويربيه حتى يجنى القطن ، ثم يقطف العنقود كما هو بكيسـه ، ويشقـه حجـرة ، ويأخـذ مرآة بيده ، ثم يقطف منه حبة حبة ويضعها في فمه وينظر صورته في المرآة ، فأي حبة لم يشاهد فيها نفسه عند نظر المرآة فليمسك عليها .

ولهم الأبهر الضم ، وهو نبت في الأرض على صورة ابن آدم ، فهذا يصلح لمن علقه على نفسه ، لو مر بحجر لتبعه الحجر .

ولهم حشيشـة تسمى بحشيشـة الـراسن ، تبخـر من أوراقهـا على اسم من تريـد ، فيأتيك وإن لم يرد ، ولكن بشرط أن تقول هذه الكلمات على البخور ، تقول : «يا جامع يا جن اجمعـوا وقـدمـوا لاق لاق عاجـلاً عاجلاً أشروثا أشروثا كبيبا ال صبي ، ائتنا كرهاً أو طوعاً ، قالتا أتينا طائعين» وليكن في يوم الأحد أو الأربعاء[3] . . .

---

(١) سر العالمين : ٢ / ٦٥ و٦٦ .

(٢) سر العالمين : ٢ / ٦٨ .

(٣) سر العالمين : ٢ / ٧١ .

ومما يقول :

المقالة الثامنة عشرة في عزائم التسخير

تقف أول ساعة من يوم السبت مستقبل الغرب بثياب سوداء وزرق بأبخرة مذكورة مثل اللبان والحرمل وقشور الرمان والخردل البري ، ثم تقول في وقت سعيد من تثليث أو تسديس مناطٍ إلى شرف ، فتقول : «أيها السلطان الأعظم ، والملك العرمرم ، مالك الفلك التابعة له النجوم ، الخاسف المزلزل ، زحل أنت أشرف الكواكب وسيدها وقائدها ومؤيدها ، أسألك أن تعطيني وأن تمنحني ما يصلح منك لي[1] . . .

. . . فالذي يطلب من زحل ، وهو كيوان ، مثل المنافع الأرضية ، وإظهار الكنوز وشق الأنهار والأشجار ، وأما ما يخص الشمس فمثل الملك والملكة ، والقمر لائق بالوزارات ، والمريخ بالحروب والبأس ، وعطارد للكتابة والنقش والحساب والهندسة والعلوم الدقائق والعزائم ومخاطبات الجن ، كما سبق ذكره ، وأما المشتري فهو للزهد والديانة وحل الطلسمات السماوية ، ثم الجمعة للزهرة ، قالوا : إنما أمر باجتماع الخلق عند نصف النهار في هيكل العبادات ، لاجتماع خواص الأنفاس ليؤثر ذلك في حصول المطالب ، لشرف نفسه الفياض منه على تابعيه من قولهم في لحظة واحدة «اللهم صل على محمد وعلى آل محمد»[2] .

ويقول محيي الدين بن عربي «الشيخ الأكبر» :

. . . وإن سألك عن الحرز ، فاكتب له هذه الأسماء : بسم الله الرحمن الرحيم ، الحمد لله رب العالمين ، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم .

اا سطم ا ٩ع ٢٢ ١ ٩٩ ٩ ااا اا ٩س ا ٩ع >> ٢ ا - ٩ ا٦ ا٩
حعطل ـــــــ كططط ٩٥ ءطـــــــــــطلع٩

٨٠١ ٩م ٩ر٩ سوانف ك ٤ د ٨٩ اوم رى سوال ويضاف إليها آيات «أوليس الذي خلق السماوات والأرض بقادر على أن يخلق مثلهم» . . . ويضيف : وخوفي أخوف من خوف مساء أو صباح أصباؤت آل شداي على الأعلى عظيم الأمور إن الله هو التواب

---

(١) سر العالمين : ٢ / ٧٣ .

(٢) سر العالمين : ٢ / ٧٥ .

الرحيم لسالمين الصالحين اركض برجلك . . .

8 ااا مٓ # آآ حـے 6 ...

وإن سألك عن زيادة البخور فاكتب له هذه الأسماء في قرطاس . . . ثم تبخره ثلاثة أيـام ، وفي اليـوم الثـالـث ترمي المجمرة وما فيها من الفحم وغيره في مفرق طريق له أربع طرائق ، أو تكتب له ذلك أربعة أيام وترمي المجمرة كل يوم في مفرق آخر[1] . . .

ويقول في نفس الكتاب :

. . . وإن سألـك عن العـزيمـة فقـل له : يحتـاج إلى بيضة دجاجة حمراء ، ويكتب عليهـا هذه العـزيمـة : «يـا سما سلمعـونـة يا القب المـدين مدين الاسمين يا مالك الجن والشيـاطـين يا حي يا قيـوم احبس السارق . . . أهيا شراهيا أدوناي أصباؤت آل شداي الساتر» ثم تدفنها في المطبخ[2] . . .

. . . وإن سألك عن العزيمة . فاكتب له هذه العزيمة والأسماء في قرطاس ، وعلقها في مهب الـريـح ، فإنـه يرجع ما سرقه بإذن الله تعالى ، وهذا كتابه : هطوس هطوس واله قادس ماس ريحـــان الأطبـــال آل شداي اســلام أم موسى أهيكـلات داود وحــرز عظيم فلعلعح العميلع سيرهوه عبوس عبوس كمال الما أجيبوا الله[2] . . .

● الملاحظة :

من اطلع على كتب السحر يعرف أن هذا هو السحر نفسه .

وهـذه رشفـة أخـرى من كتابات قطب آخر هو أحمد بن علي البوني ، ولكن قبل إيراد بعض أقواله ، قد يكون من المفيد أن نعرف مكانته عند القوم ودرجته في التصوف .

يقول يوسف النبهاني ، في ترجمته للمذكور:

(أبو العباس أحمد بن علي البوني) من كبار المشايخ ذوي الأنوار والأسرار، وممن أخذ عنه المرسي ، فمن كراماته أنه كان مجاب الدعوة . . . توفي سنة **٦٢٢هـ**، قاله

---

(١) مجموعة ساعة الخبر ، ص٦ .

(٢) مجموعة ساعة الخبر ، ص٧ .

المناوي[1].

أظن أن القارىء عرف أن المرسي هو أبو العباس المرسي، قطب الغوث، تلميذ أبي الحسن الشاذلي، وهذه شذرة من كتاب البوني المشهور «شمس المعارف الكبرى»:

باب رياضة «قل أوحي» المشهورة

اعلم أيها الأخ إذا أردت ذلك، صم ثلاثة أيام أولها الثلاثاء ثم الأربعاء والخميس، وهو صيامك عن غير ذي روح، وأنت تبخر بحصا لبان وجاوي ليلاً ونهاراً، وأنت تقرأ السورة الشريفة في مدة ثلاثة أيام ألف مرة في تلك المدة المذكورة . . . واجتهد أن يكون ختمك من قراءتها ليلة الجمعة الثلث الأوسط من الليل، فإنه يحضر لك خادمها، وهو رجل قصير طويل اليدين، فيجلس قدامك، ويقول لك: «السلام عليك»، فثبت جنانك، فإن عليه هيبة عظيمة . . . والعزيمة والدعوة هي السورة الشريفة بتمامها وكذا البخور. واعلم أيها الواصل أنها من الأسرار المختصة وأنها من كتب الأنبياء والأولياء وأسرارهم، وهي هذه، تقول: ﴿بسم الله الرحمن الرحيم قل أوحي إلي﴾، اللهم إني أسألك يا منزل الوحي من فوق سموات . . . ﴿إلا من ارتضى من رسول . . . وأحصى كل شيء عدداً﴾، اللهم إني أسألك بحق المساجد لله وبحق عبادك الصالحين . . . يا خدام هذه الدعوة الروحانيين . . . أقسمت عليكم بهذه الدعوة والأسماء والسورة بحق أرقوش، كلهوش، بططهوش، كمطهلوش، بهوش، قانوش، أقسمت عليك يا روقيائيل الملك الموكل بفلك الشمس[2] . . .

ونص آخر:

(فصل): تكتب هذه الأسماء في وسادة للمتباغضين من الزوجين، وهي أسماء أم موسى، يوم الجمعة عند جلوس الإمام على المنبر، أو شرع في الأذان الأول، بالزعفران وماء الورد والطيب والقرنفل مفروكاً في ماء ورد، ثم اطو الكتاب وتصمغه بالغالية، وتجعل الكتابة في جوف الوسادة التي ينامان عليها، فإنهما يتحابان، وهذا ما تكتب:

---

(١) جامع النبهاني: ١ / ٥٠٨.

(٢) شمس المعارف، ص١٢٢ و١٢٣ و١٢٤.

طسوم، عيسوم، علوم، كلوم، حيوم، قيوم، ديوم،[1] . . » .

ـ أقـول: إن هذا هو السحـر نفسـه، والـذي لا يصدق يستطيع أن يلقي نظرة على كتب السحر.

ـ وهذه أسانيد علوم البوني، يقول:

. . . (وأيضـاً سنـدي بعلم الحروف) إلى الشيخ الإمام أبي الحسن البصري، وهو أخذ عن[2] حبيب العجمي وهو أخذ عن الشيخ داود الجيلي وهو أخذ عن الشيخ معروف الكـرخي، عن الشيـخ سري الـدين السقطي، عن شيخ الوقت والطريقة معدن السلوك والحقيقة الشيخ الجنيد البغدادي، عن الشيخ حماد الدينوري، عن الشيخ أحمد الأسود، عن الشيـخ محمـد الغزالي، عن الشيخ أبي النجيب السهروردي وهو لقن الشيخ العارف الفـاضـل أصيـل الـدين الشـيرازي، وهـو لقن الشيخ عبد الله الباياني، وهو لقن الشيخ قاسم السرجاتي، وهو لقن الشيخ السيرجاني، وهو لقن الشيخ الإمام العارف الصمداني والهمام النوراني جلال الدين عبد الله البسطامي، وهو لقن شمس وصلتي وبدر قلبي طود الحقـائق الشـامخ وجبل المعارف الراسخ شمس العارفين وسر الله في الأرضين أبا عبد الله شمس الدين الأصفهاني.

(وأيضاً سندي بعلم الأوفاق) . . . وأخذ منه أيضاً عن الشيخ الإمام العلامة سراج الدين الحنفي، وهو أخذ عن الشيخ شهاب الدين القدسي، وهو أخذ عن الشيخ شمس الدين الفارسي، وهو أخذ عن الشيخ شهاب الدين الهمداني، وهو أخذ عن الشيخ قطب الـدين الضيـائي، وهـو أخذ عن الشيخ محيي الدين بن عربي، وهو أخذ عن الشيخ أبي العبـاس أحمـد بن التـوريـزي، وهو أخذ عن الشيخ أبي عبد الله القرشي، وهو أخذ عن الشيخ أبي مدين الأندلسي.

(وأيضـاً) أخـذت هذه الـرواية عن الشيخ محمد عز الدين بن جماعة الشافعي، وهو أخذ عن الشيخ محمد بن سيرير، وهو أخذ عن الشيخ شهاب الدين الهمداني، وهو أخذ

---

(١) شمس المعارف الكبرى، ص٢١٣.

(٢) يجب أن تكون: «هو أخذ عنه حبيب العجمي، وهو أخذ عنه الشيخ داود . . . وهكذا حتى: عنه الشيخ أبي النجيب».

عن قطب الدين أيضاً، وهو أخذ عن الشيخ محيي الدين بن عربي.

(وأيضاً) سنـدي بعلم الحروف والوفق إلى الشيخ الإمام العالم العلامة الفقيه الثقة مساعد بن سادي بن مسعود بن عبد الله بن رحمة الهواري الحميري القرشي، وهو أخذ عن الشيخ شهاب الدين أحمد الشاذلي، وهو أخذ عن الشيخ تاج الدين عطاء المالكي الشاذلي، وهو أخذ عن الشيخ أبي العباس أحمد بن عمر الأنصاري المرسي.

و (أيضاً) سندي بعلم الحروف والوفق إلى الشيخ الإمام العلامة أبي العباس أحمد بن ميمون القسطلاني، وهو أخذ عن الشيخ أبي عبد الله محمد بن أحمد القرشي، عن الشيخ الإمام العلامة أستاذ العصر وأوحد الدهر أبي مدين شعيب بن حسن الأنصاري الأندلسي رأس السبعة الأبدال وواحد الأربعة الأوتاد[1]... إلخ.

● **الملاحظة:**

لو رجع القارىء الكريم إلى كتب السحر لوجد أن علم الحروف وعلم الأوفاق (أو الوفق) هما بابان من أبواب السحر. ولنلاحظ أن رجال الأسانيد من أقطاب الصوفية.

ومن أقوال ابن سبعين في الرسالة النورية:

... ومن فضيلته (أي الذكر) أنه ينفع في سبع خواص من السيمياء.. ومن أراد استعمال قوى الكواكب بحسب صناعة أهل العلم الرياضي لا بد له من الذكر، وذلك بعد الدستورية، أعني أن يكون الكوكب في بيته أو شرفه في الوتد وينظر الكوكب إليه من بيته أو شرفه من الوتد، كالزهرة في الميزان في الطالع، وزحل في الجدي أو في الميزان، والمريخ في الجدي، واعلم أن الكوكب إذا كان في الحيز أو البرج أو الدستورية كان أظهر فعلاً وأقوى تأثيراً، ثم يعمد إلى اتخاذ الصورة والاسم والبخور والأفعال، مثال ذلك برج الثور: تستعمل صورة إذا كان في الوجه الثاني ويريد الحكيم أن يخدم أمره، يتخذ صورة ثور مضروب الوسط ويناديه: «لهرلرل»، وينجر بذنب الفأرة، ويفعل الأمور المهلكة بإذن الله، ويقول في جميع خدمته: يا حمر لايل يا دير لايل يا جبر لايل، ومفهوم ذلك: يا ملك القوى السارية في الأجسام الفلكية والطبيعية والذرات العارفة لك والتي فوقها يا نور

(١) شمس المعارف الكبرى، ص٥٣٠ وما بعدها.

النور[1] . .

ويقول في فصل آخر:

. . . وهذه السيمياء تنقسم إلى خمسة أقسام : الكاذبة منها الذي يذكرها مسلمة المجريطي صاحب «رسائل إخوان الصفا»[2]، والمشكوك منها الذي يزعم ابن مسرة أنه وصله، والصحيح منها الذي إذا وصف للفقيه سماه كرامة، وإذا ذكر للحكيم سماه تصريفاً، وإذا ذكر للمقرب المحقق سماه فتنة[3] . . .

ـ أظن أن القارىء الكريم يعرف أن السيمياء هي السحر.

ويقول عبد الوهاب الشعراني مدافعاً عن الصوفية:

. . . فإن قيل: إن هذه الكرامات تشبه السحر، فإن سماع الإنسان الهواتف في الهواء، وسماع النداء في بطنه، وطي الأرض له، وقلب الأعيان، ونحو ذلك غير معهود في الحس أنه صحيح، إنما يظهر ذلك من أهل السيمياء والنارنجات؟ فالجواب ما أجاب به المشايخ العارفون والعلماء المحققون في الفرق بين الكرامة والسحر، أن السحر يظهر على أيدي الفساق والزنادقة والكفار الذين هم على غير شريعة، وأما الأولياء رضي الله عنهم فإنهم وصلوا إلى ذلك بكثرة اجتهادهم واتباعهم للسنة[4] . . .

● **الملاحظة:**

إنه يجعل الصوفية متبعين للسنة بكثرة اجتهادهم، وهذا غير صحيح، إذ أنهم يصلون إلى خرق العادة بالرياضة الصوفية التي لا تمت إلى السنة ولا إلى الإسلام بأية صلة.

كما أن الساحر أيضاً يصل إلى خرق العادة بنفس الأسلوب تماماً.

والشيخ هنا يعترف أن خوارق المتصوفة وخوارق السحرة هي شيء واحد.

---

(١) رسائل ابن سبعين، ص١٦٠ و ١٦١.

(٢) المشهور أن رسائل إخوان الصفا من تأليف جماعة من البصرة، وقول ابن سبعين هذا يحتاج إلى تحقيق.

(٣) رسائل ابن سبعين، ص٢٥٣ و ٢٥٤.

(٤) طبقات الشعراني: ١ / ١٤.

ويقول أحمد بن محمد المالكي الصاوي في حاشيته على «شرح الخريدة البهية»:

. . . سيدي محمد الخلوتي . . . أخذ عن الشيخ دمرداش فأحبه وقربه وشغله بالطريق وأخلاه (أي أدخله الخلوة) مراراً، وظهرت نجابته وجد واجتهد واشتهر وتلقى عنه علم الأوفاق والحرف والزايرجا والرمل، فأتقن ذلك[1] . . .

ـ أظن أن القارىء الكريم يعرف أن الأوفاق والحرف والزايرجا والرمل هي من أبواب السحر، ولعله يعرف أيضاً أن أحمد الصاوي كان شيخ الطريقة الخلوتية.

ومن كتاب «النفحة العلية في أوراد الشاذلية»:

(فصل) في ذكر الدائرة والخاتم والحرز والسيف، وكلها أسماء بمسمى واحد، وفي كيفية وضعها وما فيها من الخواص قراءةً وحملاً، وضبط أسمائها المعجمة وغير ذلك.

اعلم أن الرواية في هذه الدائرة من طريقين، أحدهما: عن سيدي الإمام أحمد أبي العباس المرسي، والثانية: عن سيدي الإمام شهاب الدين ولد الشيخ أبي الحسن الشاذلي رضي الله عنهم.

أما خواصها؛ فمنها ما رواه سيدي الإمام شهاب الدين عن والده قال: هذه الدائرة ورثتها عن آبائي وأجدادي الكرام، ويريد آباءه في الطريق، قال: وكان الشيخ يكتب هذه الدائرة بالسند، وقال: من كانت هذه الدائرة على رأسه لا يموت (أي مادامت على رأسه)[2] . .

وهذه هي الدائرة:

طهورٌ، بَدْعقٌ (وفي رواية بالمثناة)، مُحْبَبَهُ، صورهُ (وفي رواية بالسين) سقغاطيس (وفي رواية: سبقاطيس)، سقاطيم (وفي رواية: سفاطيم)، أحونٌ، قافٌ، أدُمَّ، حَمَّ، هاءٌ، أمينٌ (أو آمين).

. . . اعلم أن هذه الأسماء هي من أسماء الله تعالى، ليست بلسان من ألسنة عالم

---

(١) حاشية العلامة الصاوي على شرح الخريدة البهية، ص١٤٩.

(٢) النفحة العلية، ص١٩١.

الملك ولا عالم الملكوت، ولا بلغةٍ من لغات العالمين، وإنما هي أسماء جبروتية يذكر الله تعالى بها في روضة من رياض جبروته . . . فاعلم أن الله قد جمع في هذه الأسماء علوم الأولين والآخرين[1] . . . (ثم يرسم صورتها التي تكتب بها في الحرز، وهي مربع داخله ست دوائر مكتوب على دائرته الكبرى الطلسم نفسه، وعلى بقية الدوائر آيات قرآنية)، ثم يقول:

هذه على وفق العبارة المتقدمة، ورأيتها بخط شيخنا حفظه الله تعالى، وقال في الحاشية من نسخته: وينبغي أن تكون الدائرة الكبرى ملاقيةً للخطوط الأربعة (أي أضلاع المربع) لا خارجة عنها ولا داخلة.

وقد وضع صورتها الشيخ اليافعي في كتاب «الدر النظيم في خواص القرآن العظيم» على كيفيتين رواهما من طريقتين، الأولى عن الشيخ أبي العباس المرسي . . والرواية الثانية عن سيدي الإمام تقي الدين عن أبيه سيدي الإمام شهاب الدين عن أبيه الشيخ أبي الحسن الشاذلي[2] . . . (يرسم الصورتين وهما مختلفتان عن الصورة الأولى) . . . إلى أن يقول: وذكر أنها أيضاً تكتب في حريرة بيضاء بمسك وزعفران وماء ورد في رابع عشر من رمضان، وتلف في رق غزال. وهو سيف الشاذلية وفيه اسم الله الأعظم وسره الأفخم. فتدبره فهو الكبريت الأحمر وبعضه من الدرياق الأكبر[3] . . .

ـ الدرياق معربة من كلمة «تارياك» التي تعني «الأفيون».

وكل من اطلع على فنون السحر يعرف أن هذا الذي ذكروه (الدائرة والأسماء والحريرة ورق الغزال . .) هو من أبواب السحر.

ومما يورده أحمد أبو كف في «أعلام التصوف الإسلامي»:

«يقول ابن عطاء الله السكندري عن علم أبي العباس (أي المرسي): هو الجامع بين علم الأسماء والحروف والدوائر[4] . . . » اهـ.

---

(١) النفحة العلية، ص٢٠٣ و ٢٠٤.
(٢) النفحة العلية، ص٢٠٦ و ٢٠٧.
(٣) النفحة العلية، ص٢٠٨.
(٤) أعلام التصوف الإسلامي، ص٦٣.

وطبعاً، علم الأسماء والحروف والدوائر هو من أبواب السحر.

ـ نكتفي بهذه النصوص، وهي كافية للدلالة على أن الصوفية هي السحر.

ولا بأس من توضيح الطريقة التي يتبعها المريد ليكون من السحرة، وقبل ذلك نقول للقارىء: اتق الله واعلم «إنما فتنة فلا تكفر» ولا تسر في هذا الطريق تحت أي عذر، كان ما كان هذا العذر، لأنها طريق إلى الهاوية. وهذه هي الطريقة:

وصحبة شيخ وهي أصل طريقهم فما نبتت أرض بغير فلاحة

فالشيخ الساحر الكامل ضروري، فهو الذي يوجه مريده حسب خبراته وتجاربه السابقة.

والطريقة هي نفس الطريق الإشراقية، خلوة وجوع وسهر وصمت وجلسة من جلسات اليوغا وتركيز الذهن على الأمر المراد تحقيقه مع تركيز البصر على شيء يختاره الشيخ.

يبقى المريد مثابراً على هذه الرياضة مدة قد تقصر وقد تطول، حسب مهارة الشيخ واستعداد المريد، حتى يتحقق الأمر المراد تحقيقه، فيستريح المريد مدة يقررها الشيخ، وهي لا تزيد على أيام على كل حال، ثم يعيد الكرة حتى يتحقق نفس الأمر ثانية، ثم يعيد . . . وهكذا حتى يصل إلى أن يتحقق هذا الأمر له بسهولة كبيرة، وهذه الرياضة صالحة لبعض الخوارق، وخاصة منها ما يتصل بالتأثير على نفوس الآخرين، أو بالاتصال عن بعد (التلباثي).

أما الطريقة الجامعة فهي الخلوة والجوع والسهر وترديد عبارة معينة خاصة بخرق معين يعرفها الشيخ ويلقنها لمريده، وقد يضاف إليها البخور لتسريع الوصول، وهذه الطريقة يستعملها السحرة المسلمون.

يثابر المريد على هذه الرياضة التي قد تقصر وقد تطول، حتى يحصل خرق العادة المطلوب، فيستريح أياماً، حسب توجيه الشيخ، ثم يعاود الكرة حتى يحصل الخرق من جديد، ثم يعاود، وهكذا حتى يصبح الحال عنده مقاماً، حيث يحصل الخرق أمامه بترديد العبارة المعينة (الطلّسم) مرات قليلة، وعندئذ يكون قد أتقن عملية سحرية

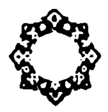
واحدة .

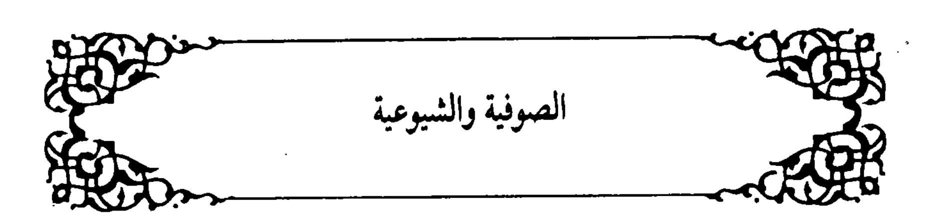
ثم يلقنـه الشيـخ طلّسـماً آخر خاصاً بخرق عادة آخر، فيعود إلى الرياضة من جديد بهذا الطلسم الجـديـد كما فعـل في ريـاضـة الخـرق الأول، حتى يصبـخ الخرق الثاني له مقاماً، فيكون قد أتقن عمليتين سحريتين، وهكذا. .

ويتفاضل السحرة بينهم بعدد العمليات السحرية التي يتقنها كل واحد منهم، ومن يريد الوصول إلى الجذبة منهم ثابر على طلسم واحد لا يغيره ولا يستريح حتى يصل إليها .

وقـد يمكن الاستغنـاء عن الشيـخ لأفـراد نادرين عنـدهم استعـداد نفسي، أو فيزيولوجي أو تشريحي خاص، كما يمكن الاستغناء عن الخلوة والجوع والسهر لأفراد مماثلين .

أي إن السحـر هو نفس الصـوفيـة بطـريقتـه ونتـائجه، والفرق بينهما هو في الادعاء والتـوجـه . ثم يأتي بعـد ذلـك دور الطـلاسم والأقسـام التي يسميهـا المتصـوفة «الأوراد والأذكار» وهي وإن اختلفت ألفاظها لكن النتيجة واحدة، وكذلك بقية الأبواب .





الصوفية والشيوعية

هناك تشابه عجيب بين الصوفية والشيوعية! ومن وجوه هذا التشابة :

١ ـ الصوفية والشيوعية تلتقيان بعقيدة وحدة الوجود! والخلاف بينهما لفظي؟

فالصوفية يقولون : لا موجود إلا الله ، وكل الموجودات هي الله .

والشيوعية يقولون : لا موجود إلا المادة ، وكل الموجودات هي المادة .

إذن فالخلاف في التسمية فقط ، هؤلاء يسمونها «الله» جل الله وعلا ، وهؤلاء يسمونها «المادة» .

٢ ـ الصوفية والشيوعية تلتقيان في الكذب الذي لا يعرف الحدود .

فالصوفية يكذبون على الله ومخلوقاته (من العرش إلى الفرش) من دون خوف ولا حياء!

والشيوعيون شعارهم «اكذب ثم اكذب ثم اكذب وسوف تصدق الكذبة» .

٣ ـ تلتقيان في الكيد للدين والمكر به! فمثلاً :

يقـول المتصـوفـة : إن الصوفية نزلت وحياً من الله على رسوله ، وهي مقام الإحسان!

وكان محمد ﷺ صوفياً، أخذ عنه الطريقة أبو بكر وعمر وعلي، وغيرهم . . . وغيرها من المخادعات.

ويقول الشيوعيون: إن الإسلام دين الاشتراكية، وقد كان محمد ﷺ اشتراكيًّا، وكذلك خديجة وعمر وعلي وأبو ذر . . كانوا اشتراكيين . . . وغيرها من المخادعات.

٤ ـ تلتقيان بتأليه البشر وعبادتهم وتقديسهم في حياتهم وبعد موتهم.

فالمتصوفة يؤلهون سدنة الصوفية وكهانها (الشيوخ) بشكل عام وشيخ طريقتهم بشكل خاص، والشيوعيون يؤلهون سدنة الشيوعية وكهانها (لينين، ماركس، ماوتسي تونغ، غورغي ديمتروف، . . . وغيرهم) بشكل عام، وحاكم بلدهم بشكل خاص (أو قائد حزبهم).

٥ ـ تلتقيان في سَجْن الفرد المنتمي إليهما في زنزانة فكرية لا تسمحان له بالتطلع خارجها.

٦ ـ تتشابهان في الغاية؟

فالصوفية تعد مريدها أن يكون هو الله المتصرف في الكون!

والشيوعية تعد مريدها أن يكون سيد مصيره.

وما يعدهم الشيطان إلا غروراً.

٧ ـ الصوفية تدعي أنها الطريق المؤدية إلى السعادة الأبدية التي لا تزيد عن كونها تلبيساً وخدعة.

والشيوعية تدعي أنها تؤدي إلى نعيم الإنسان، والذي لا يزيد عن كونه تلبيساً وخدعة.

٨ ـ كلتاهما تنبذان الآخرة (مر معنا قولهم: اخلع نعليك الدنيا والآخرة).

٩ ـ كلتاهما تستعملان في خداعها ومراوغتها أسلوب إماته الاحتمالات الحية، وتحريك الاحتمالات الميتة وتسليط الأضواء عليها حتى تبدو وكأنها حية!

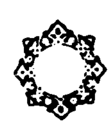
تشابهٌ بين الضلالتين يثير الانتباه، وتلاقٍ يبعث على التساؤل؟

وبـرسم الخطّـين البيـانيين للمسيرتين، مسيرة الصوفية، ومسيرة الشيوعية التي هي التطبيقُ العمـلي لأسطـورة الشعب المختـار، برسم خطيهـما البيـانيـين تاريخيًّا وجغرافيًّا، وملاحظة حاجة الصوفية إلى أساليب جديدة في الخداع والمناورة تتفق مع واقع الإنسانية الفكـري في عصـرهـا الحـاضـر ومستقبلهـا، أسـاليب مبنية على قوانين العلم في النفس والمجتمـع والـدعـايـة وتحـريـك الجـماهير، وقد أتقنت الشيوعية هذه الأساليب وطورتها وتطورها؛ وكذلك مع ملاحظة حاجة الشيوعية لما يسمونه «الروحانيات» كبديلٍ للدين، لأن تجارب الشيوعية (أو اليهودية لا فرق) أثبتت لها أن التديّن غريزة في الإنسان لا يمكن فصله عنه.

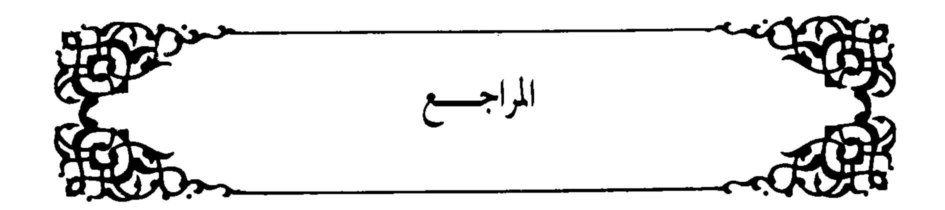
مع ملاحظـة هذه الأمـور، نستطيع أن نظن، مع الترجيح، أن القيامة ستقوم على الشيوعية الممزوجة بالصوفية، ولا يعلم الغيب إلا الله سبحانه.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

﴿ربَّنا آتِنا مِن لَدُنْكَ رحمةً وهَيِّىء لنا من أمرِنا رَشَداً﴾
﴿مَن يَهْدِ الله فهو المُهْتَدِ ومَن يُضْلِلْ فلنْ تَجِدَ لهُ وليًّا مُرْشِداً﴾







المراجـــع

● **آراء نقـديـة في مشكـلات الدين والفلسفة والمنطق**: الدكتور مهدي فضل الله، الطبعة الأولى، ١٤٠١هـ - ١٩٨١م، دار الأندلس.

● **الإبـريـز**: الـذي تلقـاه نجم العـرفـان الحافظ سيدي أحمد بن المبارك عن قطب الـواصلين سيـدي عبـد العـزيـز الـدبـاغ، وبهـامشه كتابان «درر الغواص» ثم «الجواهر والدرر»، يطلب من مكتبة ومطبعة محمد علي صبيح وأولاده، ميدان الأزهر.

● **ابن سبعـين وفلسفتـه الصـوفيـة**: د. أبـو الـوفا الغنيمي التفتازاني، دار الكتاب اللبناني، بيروت، الطبعة الأولى ١٩٧٣.

● **ابن عربي، حيـاتـه ومـذهبـه**: آسين بلاثيوس، ترجمه عن الإسبانية عبد الرحمن بدوي، وكالة المطبوعات الكويت، دار القلم، بيروت، لبنان، ١٩٧٩م.

● **أبـو بكـر الشبـلي، حيـاتـه وآراؤه**: عبـد الحليم محمود، شيخ الأزهر، منشورات المكتبة العصرية، بيروت - صيدا.

● **أبـو الحسن الشـاذلي**: الإمـام الأكـبر الـدكتـور عبد الحليم محمود شيخ الأزهر، الناشر: دار الإسلام القاهرة، والمكتبة العصرية بيروت، ١٣٨٧هـ / ١٩٦٧م.

● **أبـــو مدين الغـوث**: د. عبـد الحليم محمـود شيـخ الأزهـر، منشـورات المكتبـة

العصرية، بيروت ـ صيدا.

● **أحـلام اليقظـة**: جورج هنـري جرين، ترجمـة إبـراهيم حافـظ، راجعـه زكي المهندس بك، الطبعة الأولى، لجنة البيان العربي.

● **إحياء علوم الدين**: الغزالي (٤ مجلدات)، يطلب من مكتبة عبد الوكيل الدروبي في دمشق، وبهـامشـه ثلاثـة كتب «تعـاريف الأحيـاء بفضائل الإحياء»، ثم «الإملاء في إشكالات الإحياء»، ثم «عوارف المعارف».

● **أبو العباس المرسي (العارف بالله)**: د. عبد الحليم محمود، الطبعة الثانية.

● **أربع رسائل إسماعيلية**: تحقيق عارف تامر.

● **أخبـار الحـلاج**: (ومعـه الطـواسين ومجموعة من شعره)، بعناية الناشر، وتقديم وتعليق وتصحيـح عبـد الحفيـظ بن محمـد مدني هاشم، طبعة ثانية، رمل الاسكندرية، ١٣٩٠هـ ـ ١٩٧٠م.

● **الأدب الصوفي في مصر في القرن السابع الهجري**: د. علي صافي حسين.

● **إدمـان المخـدرات (أضـرارهـا وعـلاجهـا)**: نخبـة من أسـاتذة كليات الطب، إعداد: محمد رفعت، رئيس تحرير مجلة «طبيبك الخاص»، الطبعة الأولى، ١٤٠٠هـ ـ ١٩٨٠م.

● **أديـان الهنـد الكـبرى (الهنـدوسيـة، الجينية، البوذية، ملحق خاص عن قضية الألوهية)**: الدكتور أحمد شلبي، الطبعة الرابعة، ١٩٧٦م.

● **الأسـرار الـربـانية والفيوضات الرحمانية على الصلوات الدرديرية**: للإمام الهمام العـالم العـامـل واللوذعي الكـامـل العـارف بالله تعـالى شيخنا وأستاذنا معدن الشريعة والحقيقة الشيخ أحمد الصاوي المالكي الخلوتي.

● **الإشـارات الإلهيـة**: لأبي حيـان التوحيدي، حققه وقدم له عبد الرحمن بدوي، وكالة المطبوعات الكويت، دار القلم بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٨١م.

● **اصطلاحات الصوفية**: عبد الرزاق القاشاني، تقديم وتحقيق: د. عبد اللطيف

محمد العبد، الطبعة الأولى، ١٣٩٧هـ / ١٩٧٧م.

● **الأعلام**: خير الدين الزركلي.

● **أعلام التصوف الإسلامي**: بقلم أحمد أبو كف، دار الهلال.

● أعلام ليبيا: الطاهر أحمد الذادي الطرابلسي، الطبعة الثانية، ١٣٩٠هـ / ١٩٧١م.

● **أفضل الصلوات على سيد السادات**: يوسف بن إسماعيل النبهاني، دار الفكر.

● **الإلهامات الإلهية على الوظيفة الشاذلية اليشرطية**: الشيخ محمود أبو الشامات الدمشقي، الطبعة الثانية، ١٣٥٠هـ - ١٩٦٠م.

● **أناشيد الصفا في مدح المصطفى ﷺ، ومولد البرزنجي**: طبعة جديدة، جمع وإعداد مكتبة الغزالي، دمشق - بيروت.

● **الإمام السرهندي، حياته وأعماله (سلسلة رجال الفكر والدعوة في الإسلام، الجزء الثالث)**: تأليف أبو الحسن علي الحسني الندوي، الطبعة الأولى، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.

● **الإمام الدهلوي (من سلسلة رجال الفكر والدعوة في الإسلام، الجزء الرابع)**: تأليف أبو الحسن علي الحسني الندوي، الطبعة الأولى، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.

● **إلجام العوام عن علم الكلام**: أبو حامد الغزالي.

● **الإنسان الكامل في الإسلام**: الدكتور عبد الرحمن بدوي، الطبعة الثانية، مايو ١٩٧٦م.

● **الإنسان الكامل في معرفة الأواخر والأوائل**: الشيخ عبد الكريم بن إبراهيم الجيلي، جزءان في مجلد، الطبعة الرابعة، ١٣٩٥هـ - ١٩٧٥م.

● **الأنوار القدسية في بيان آداب العبودية**: عبد الوهاب الشعراني، جزءان في هامش الطبقات الكبرى للمؤلف (مجلد واحد).

● **الأنوار القدسية في معرفة قواعد الصوفية (جزءان)**: الإمام العلامة عبد الوهاب

الشعراني، حققه وقدم له طه عبد الباقي سرور، الطبعة الأولى.

● **إيضاح أسرار علوم المقربين**: السيد الشريف والمولى المنيف، بركة الأنام وقطب الزمان، مربي المريدين، الإمام جمال الدين الشيخ محمد بن عبد الله بن شيخ العيدروس باعلوي، ويليه كتابان «الكبريت الأحمر» و«غاية القرب»، المكتبة النبهانية الكبرى، سربايا، جاوى، ١٣٥٢هـ - ١٩٣٣م، رقم ١١، مصطفى البابي الحلبي وأولاده.

● **إيقاظ الهمم في شرح الحكم**: للعارف بالله أحمد بن محمد بن عجيبة الحسني وبحاشيته الفتوحات الإلٰهية للمؤلف، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان.

● **الأوراد الخلوتية (الصلوات الدرديرية)**.

● **أغرب القبائل والشعوب بالقرن العشرين**: الجزء الأول، رياض مصطفى العبد الله، الطبعة الأولى.

● **بد العارف**: ابن سبعين، تحقيق وتقديم د. جورج كتورة، الطبعة الأولى، ١٩٧٨م، دار الأندلس ودار الكندي، بيروت.

● **بدائع الزهور في وقائع الدهور**: العالم الفاضل . . . محمد بن أحمد بن إياس الحنفي، دار الكتب العلمية، بيروت.

● **بداية الطريق إلى مناهج التحقيق في ظلال الشريعة ورحاب الحقيقة**: السيد محمود أبو الفيض المنوفي الحسيني، (سلسلة من الشرق والغرب)، الدار القومية للطباعة والنشر.

● **بغية المستفيد لشرح منية المريد**: تأليف سيدي محمد العربي السائح الشرقي العمري التجاني، ١٣٩٣هـ - ١٩٧٣م، دار العلم للجميع.

● **بهجة الأسرار ومعدن الأنوار**: نور الدين أبي الحسن علي بن يوسف بن جرير اللخمي الشطنوفي، في بعض مناقب القطب الرباني محيي الدين أبي محمد عبد القادر الجيلاني.

● **بوارق الحقائق**: القطب الغوث الفرد المتمكن العارف بالله . . . الشيخ الكبير السيد بهاء الدين محمد مهدي الشيوخي الشهير بالرواس ابن السيد علي ابن السيد نور

الـدين الـرديني الـرفـاعي الصيادي، عني بنسخه وتحقيقة وطبعه ونشره: عبد الحكيم بن سليم عبد الباسط، مكتبة النجاح، طرابلس، ليبيا.

● **البهجـة الخـالـديـة**: مع «السعـادة الأبدية»، ثم «الحقيقة الندية»، ثم «البهجة الخالدية»، محمد بن سليمان البغدادي الحنفي النقشبندي، إستانبول، ١٤٠١هـ - ١٩٨١م.

● **تاج العـروس الحـاوي لتهـذيب النفـوس**: تأليف الشيـخ الإمام تاج الدين أبي العبـاس أحمـد بن عطـاء الله السكنـدري ويليه منظومة «بدء الأماني». الطبعة الثانية، ١٣٧٥هـ - ١٩٥٦م.

● **تاريخ العلويين**: محمد أمين غالب الطويل، الطبعة الرابعة، ١٤٠١هـ - ١٩٨١م.

● **تاريخ الفلسفة اليونانية**: يوسف كرم، طبعة جديدة، دار القلم، بيروت.

● **تحفـة السفـرة إلى حضرة البررة**: سلطان العارفين الشيخ الأكبر محيي الدين بن عربي، حققه وعلق عليه محمد رياض المالح، دار الكتاب اللبناني، بيروت.

● **تربيتنا الروحية**: سعيد حوى، الطبعة الأولى.

● **التصوف الإسلامي**: زكي مبارك.

● **التصـوف الإسـلامي الخـالص**: السيد محمود أبو الفيض المنوفي، دار نهضة مصر للطبع والنشر، الفجالة، القاهرة.

● **التصوف بين الحق والخلق**: فهر الشقفة.

● **التصوف الثورة الروحية في الإسلام**: د. أبو العلا عفيفي، دار الشعب، بيروت.

● **التصوف عند ابن سينا**: د. عبد الحليم محمود، مكتبة الأنجلو المصرية.

● **التصـوف عنـد المستشرقين**: أحمد الشرباصي (سلسلة الثقافة الإسلامية ٢٧)، شوال ١٣٨٠هـ - مارس ١٩٦١م.

● **التصــوف في الإسـلام**: د. عمـر فروخ، عن دار الكتـاب العـربي، بيروت، ١٤٠١هـ - ١٩٨١م.

● **تحقيق ما للهنـد من مقـولـة مقبـولة في العقل أو مرذولة**: (انظر الفلسفة الهندية) لأبي الـريحـان محمـد بن أحمد البيروني، راجعه وقدم له د. عبد الحليم محمود وعثمان عبد المنعم يوسف، مع مقارنة.

● **التصوف وأقطابه**: الشيخ محمد محمود السطوحي، شيخ مشايخ الطرق الصوفية (كتاب الجمهورية الديني) أول يوليو، العدد ١٠، ١٣٩٠هـ - ١٩٧٠م.

● **التعـرف لمذهب أهـل التصـوف**: تأليف تاج الإسلام أبوبكر محمد الكلاباذي، ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

● **تلاوة الأوراد وإقامة الأذكار في الطريقة الشاذلية اليشرطية**: فاطمة اليشرطية الحسينية.

● **تلبيس إبليس**: ابن الجوزي، عني بنشره وقدم له . . . محمود مهدي استانبولي، ١٣٩٦هـ - ١٩٧٦م.

● **تنزيه السنة والقرآن عن أن يكونا من أصول الضلال والكفران**: أحمد بن حجر آل بوطامي آل بن علي، الدوحة، ١٣٩٩هـ.

● **التنـويـر في إسقـاط التـدبـير**: الشيـخ الإمام ابن عطاء الله السكندري، تحقيق وتعليق موسى محمـد علي، وعبـد العـال أحمـد العـرابي، دار الـتراث العـربي للطبـاعة والنشر، ميدان المشهد الحسيني.

● **تنـويـر القلوب في معـاملة علام الغيوب**: تأليف مولانا العارف بالله الشيخ محمد أمـين الكـردي الإربـلي الشـافعي مذهباً النقشبندي مشرباً، الطبعة التاسعة ١٣٧٢هـ، ومقدمة الكتاب لخليفته مولانا (الشيخ سلامة العزامي)، يترجم بها للمؤلف.

● **تقـريب الأصـول لتسهيـل الـوصـول**: أحمد زيني الدحلان، الطبعة الأخيرة، ١٣٨٥هـ - ١٩٦٥م.

● **تنبيــه المغـترين أواخـر القـرن العـاشـر على ما خالفـوا فيـه سلفهم الطـاهـر**:

للشعراني، ويليه «الكشف والتبيين في غرور الخلق أجمعين» للغزالي، ١٣٩٠هـ - ١٩٧٠م.

● **الثقافة الإسلامية في الهند «معارف العوارف في أنواع العلوم والمعارف»**: تأليف عبد الحي الحسني، راجعه وقدم له أبو الحسن علي الحسني الندوي، الطبعة الثانية، دمشق، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق.

● **جامع كرامات الأولياء**: يوسف بن إسماعيل النبهاني، جزءان في مجلدين، تحقيق ومراجعة: إبراهيم عطوة عوض، الطبعة الثانية، ١٣٩٤هـ - ١٩٧٤م، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر.

● **جمهرة الأولياء وأعلام أهل التصوف**: تأليف العالم الجليل السيد محمود أبو الفيض المنوفي الحسيني (جزءان في مجلد)، الطبعة الأولى، ١٣٨٧هـ - ١٩٦٧م.

● **الجواهر والدرر**: مما استفاده سيدي عبد الوهاب الشعراني من شيخه سيدي علي الخواص أيضاً للقطب العارف بالله سيدي عبد الوهاب الشعراني، في هامش الإبريز.

● **جولات في الفقهين الكبير والأكبر وأصولهما**: سعيد حوى، دار الأرقم - عمان، الطبعة الأولى، ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م.

● **الحديقة الندية في الطريقة النقشبندية**: للعلامة محمد بن سليمان البغدادي الحنفي النقشبندي، (مع كتاب السعادة الأبدية، ويليه البهجة الخالدية)، إستانبول، ١٤٠١هـ - ١٩٨١م.

● **حاشية العلامة الصاوي على شرح الخريدة البهية لأبي البركات سيدي أحمد الدردير**: تطلب من مكتبة القاهرة لصاحبها علي يوسف سليمان.

● **الحشيش قاتل الإنسان ودعامة الاستعمار**: هادي المدرِّس، الطبعة الأولى، ١٩٧٩م.

● **حقائق عن التصوف**: عبد القادر عيسى، الطبعة الثانية، ١٣٩٠هـ - ١٩٧٠م.

● **الحقيقة التاريخية للتصوف الإسلامي**: محمود البهلي النيال، نشر مكتبة النجاح - تونس، ١٣٨٤هـ.

● **حقيقة البابية والبهائية**: الدكتور محسن عبد الحميد، جامعة بغداد، الطبعة الثانية.

● **حكاية إبليس بما أخبر به النبي المعظم ﷺ**: تلي «شجرة الكون» في كتاب واحد، الطبعة الأخيرة، ١٣٨٨هـ - ١٩٦٨م، مصطفى البابي الحلبي وأولاده.

● **حلية الأولياء**: أبو نعيم الأصفهاني.

● **حياة القلوب في كيفية الوصول إلى المحبوب**: لعماد الدين الأموي، الكتاب الثاني بهامش «قوت القلوب».

● **حاشية العروسي**: انظر «نتائج الأفكار القدسية».

● **الحلاج**: طه عبد الباقي سرور.

● **حي بن يقظان**: لابن طفيل، قدم له وحققه فاروق سعد، الطبعة الثالثة.

● **الخير الكثير الملقب بخزائن الحكمة**: ولي الله الدهلوي، الطبعة الأولى، ١٣٩٤هـ - ١٩٧٤م، دار الطباعة المحمدية بالأزهر.

● **الخطوط العريضة**: السيد محب الدين الخطيب، ويليها «مؤتمر النجف»، دار طيبة للنشر والتوزيع، الرياض، (لعلها الطبعة التاسعة).

● **درر الغواص على فتاوى سيدي علي الخواص**: الأول على هامش «الإبريز»، عبد الوهاب الشعراني.

● **دلائل الخيرات**: ويليه قصيدة «البردة» . . محمد بن سليمان الجزولي.

● **الدواوين الست**: لشيخ الإسلام وغوث الزمان الحاج إبراهيم ابن الشيخ الحاج عبد الله الكولخي، علق عليها الشيخ الحاج أبو بكر عتيق ابن المرحوم الخضر الكشتاوي ثم الشيخ الحاج محمد الثاني ابن المرحوم الحسن كافنغ.

● **ديوان البرعي**: الطبعة الأخيرة، ١٣٨٩هـ - ١٩٧٠م، المكتبة الثقافية، بيروت، لبنان.

● **ديوان الحلاج**: صنعه وأصلحه الدكتور كامل مصطفى الشيبي.

● **ديوان ترجمان الأشواق**: ابن عربي.

● **الرسـالـة القشـيرية في علم التصوف**: الإمام الجامع بين الشريعة والحقيقة أبي القاسم عبد الكريم بن هوازن القشيري، وعليها هوامش من شرح شيخ الإسلام زكريا الأنصاري، الناشر دار الكتاب العربي بيروت.

● **رسالة المسترشدين**: الحارث المحاسبي. المقدمة لعبد الفتاح أبو غدة.

● **رسـائـل ابن سبعين**: سلسلة تراثنا، حققه وقدم له الدكتور عبد الرحمن بدوي، نشر الدار المصرية للتأليف والترجمة.

● **رسـائـل ابن عربي**: للشيـخ الأكـبر محيي الـدين أبي عبد الله العربي الحاتمي، الطبعة الأولى، بمطبعة جمعية دائرة المعارف العثمانية بعاصمة الدولة الآصفية، حيدرآباد الدكن، ١٣٦١هـ.

● **الرمز الشعري عند الصوفية**: الدكتور عاطف جودة نصر، الطبعة الأولى، ١٩٧٨م.

● **روضـة التعـريف بالحب الشـريف**: الـوزيـر لسـان الدين بن الخطيب، تحليل وتعليق وتقديم عبد القادر أحمد عطا (عبد الستار)، ملتزم الطبع والنشر دار الفكر العربي.

● **رشح الزلال في شرح الألفاظ المتبادلة بين أرباب الأذواق والأحوال**: عبد الرزاق القاشاني.

● **رسالة الأنوار**: ابن عربي.

● **سر العالَمين، ومعه الدرة الفاخرة في كشف علوم الآخرة**: للإمام حجة الإسلام أبي حامد محمد بن محمد بن محمد الغزالي، المتوفى سنة ٥٠٥هـ، الناشر: مكتبة الجندي بمصر (صاحبها محمد علي الجندي)، تقديم مصطفى أبو العلا الشهير بحامد.

● **سد هارتا**: هيرمان هيسِّيه، ترجمة سمير علي، منشورات وزارة الثقافة والإعلام ١٩٨١م، الجمهورية العراقية، سلسلة الكتب المترجمة (١٠٧).

● **سراج القلوب وعلاج الذنوب**: للشيخ أبي علي زين الدين علي المعيري الفناني (الكتاب الأول بهامش قوت القلوب).

● **السعادة الأبدية فيما جاء به النقشبندية**: للحقير الفاني عبد المجيد بن محمد الخاني الخالدي النقشبندي . . . (ويليه الحديقة الندية، ثم البهجة الخالدية، اعتنى بطبعه حسين حليم بن سعيد استانبولي، استانبول ١٤٠١ هـ - ١٩٨١م.

● **سنن ابن ماجة**.

● **سنن أبي داود**.

● **سنن الترمذي**.

● **السيد عبد الرحيم القنائي (شخصيات صوفية)**: صلاح عزام، الشعب، القاهرة، جمادى الأولى ١٣٩٠هـ - يوليو ١٩٧٠م.

● **السر الأبهر في أوراد القطب الأكبر سيدي أحمد التجاني**: الجوسقي، قبله ثلاثة كتب في مجلد واحد: «الفتح الرباني»، «الفتوحات الربانية»، «النفحة الأقدسية».

● **الشبك**: من فرق الغلاة في العراق، أحمد حامد الصراف، مطبعة المعارف، بغداد، ١٣٧٣هـ - ١٩٥٤م.

● **شجرة الكون**: الشيخ الأكبر سيدي محيي الدين بن العربي (ويليها حكاية إبليس)، الطبعة الأخيرة، ١٣٨٨هـ - ١٩٦٨م، مصطفى البابي الحلبي وأولاده.

● **شرح الرسالة القشيرية (بهامش نتائج الأفكار القدسية)**: لزكريا الأنصاري.

● **شرح كلمات الصوفية**: الرد على ابن تيمية، من كلام الشيخ الأكبر محيي الدين بن العربي، جمع وتأليف محمود محمد الغراب، ١٤٠٢هـ - ١٩٨١م.

● **شروح رسالة الشيخ أرسلان (ومنها شرح عبد الغني النابلسي)**.

● **شرح دعاء السحر**: لسماحة آية الله العظمى الإمام الخميني دامت بركاته، قدم عليه السيد أحمد الفهري، مؤسسة الوفاء، بيروت، لبنان، الطبعة الثانية، ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م.

● **شرح مجموع الأوراد (شرح أوراد العارف بالله المرحوم الشيخ عبد الرحمن بن الشيخ حسين الشريف الحسيني)**: لحفيد المؤلف محمد عادل الشريف الحسيني الخليلي، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.

● **شطحات الصوفية**: عبد الرحمن بدري، طبعة ثالثة، ١٩٧٦م.

● **شمس المعارف الكبرى**: للشيخ أحمد بن علي البوني (٤ أجزاء في مجلد، ويليه رسالة «ميزان العدل في مقاصد أحكام الرمل»، ورسالة «فواتح الرغائب» . . . ورسالة «زهر المروج» ورسالة «لطائف الإشارة»، تأليف عبد القادر الحسيني الأدهمي.

● **شيخ الشيوخ أبو مدين الغوث، حياته ومعراجه إلى الله**: الإمام الأكبر الدكتور عبد الحليم محمود، شيخ الإسلام، المكتبة العصرية، صيدا - بيروت.

● **شرح القاشاني على الفصوص**: انظر «فصوص الحكم».

● **شرح الطريقة المحمدية**: عبد الغني النابلسي.

● **شذرات الذهب في أخبار من ذهب**: لابن العماد.

● **الشيعة في الميزان**: محمد جواد مغنية، دار الشروق، بيروت.

● **صحيح مسلم**.

● **صفة الصفوة**: ابن الجوزي.

● **الصوفية بين الأمس اليوم**: دكتور سيد حسين نصر، ترجمة د. كمال خليل يازجي، الطبعة الأولى، ١٩٧٥م.

● **الصوفية في نظر الإسلام**: سميح عاطف الزين، الطبعة الثانية، دار الكتاب اللبناني، ودار الكتاب المصري.

● **الصلة بين التصوف والتشيع**: الدكتور كامل مصطفى الشيبي، مطبعة الزهراء، بغداد، ١٣٨٢هـ - ١٩٦٣م.

● **طبقات الأولياء**: لابن الملقن، سراج الدين أبو حفص عمر بن علي بن أحمد المصري، الطبعة الأولى، ١٣٩٣هـ - ١٩٧٣م. حققه وخرجه نور الدين شريبة (مجمع

البحوث الإسلامية، الأزهر).

● **طبقات الصوفية**: أبو عبد الرحمن السلمي، تحقيق نور الدين شريبة، الطبعة الثانية، ١٣٨٩هـ ـ ١٩٦٩م، مكتبة الخانجي.

● **الطبقات الكبرى المسماة بلواقح الأنوار في طبقات الأخيار**: أبو المواهب عبد الوهاب بن أحمد بن علي الأنصاري «الشعراني» (جزءان في مجلد)، وبهامشه الأنوار القدسية ١ و٢.

● **الطواسين**: الحلاج، أعادت طبعه بالأوفست مكتبة المثنى ـ بغداد.

● **علم الأدوية الخاص (الفارماكولوجيا)**: الدكتور أكرم المهايني، الطبعة الرابعة، مطبعة جامعة دمشق، ١٩٨٠ ـ ١٩٨١.

● **علم القلوب**: أبو طالب المكي، حققه وعلق حواشيه وقدمه عبد القادر أحمد عطا، الناشر مكتبة القاهرة.

● **عمر بن الفارض من خلال شعره**: ميشال فريد غريب، الطبعة الأولى، سلسلة أعلام التصوف.

● **عوارف المعارف**: شهاب الدين السهروردي البغدادي، بهامش الإحياء.

● **غاية الأماني في مناقب وكرامات أصحاب الشيخ سيد أحمد التجاني**: جمع وتأليف محمد السيد التجاني، الطبعة الثانية، المكتبة الشعبية، بيروت ـ لبنان.

● **الغنية لطالبي طريق الحق**: (جزءان في مجلد واحد)، للشيخ عبد القادر الجيلاني، المكتبة الشعبية، بيروت ـ لبنان.

● **غاية القُرَب في شرح نهاية الطلب**: لولي الله الشريف الحبيب محيي الدين عبد القادر ابن شيخ العيدروس، قبله «إيضاح أسرار العلوم» و«الكبريت الأحمر» في مجلد واحد.

● **فتح الباري شرح صحيح البخاري**: ابن حجر العسقلاني.

● **الفتح الرباني**: سيدي عبد القادر الجيلاني، دار الكتاب العربي، بيروت.

● **الفتح الربـاني فيـما يحتـاج إليـه المـريـد التجاني** : محمد بن عبد الله بن حسنين الشـافعي الطصفـاوي التجـاني ، ويليه ثلاث رسائل : «الفتوحات الربانية» ، و«النفحة الأقدسية» ، و«السر الأبهر» ، الطبعة الثالثة ، ١٣٧٧هـ ـ ١٩٥٨م .

● **الفتـوحـات الإلٰهيـة في شرح المباحث الأصلية (في حاشية إيقاظ الهمم)** : كلاهما للعارف بالله أحمد بن محمد بن عجيبة الحسني ، دار المعرفة للطباعة والنشر ، بيروت ، لبنان .

● **الفتوحات الربانية في الطريقة الأحمدية التجانية** : للشنقيطي (قبله الفتح الرباني فيـما يحتـاج إليـه المـريـد التجـاني ، وبعده «النفحة القدسية» . . و«السر الأبهر» في مجلد واحد ، الطبعة الثالثة ، ١٣٧٧هـ ـ ١٩٨٥م .

● **الفتوحات المكية** : ابن عربي .

● **فتوح الغيب** : سيدي عبد القادر الجيلاني ، الطبعة الثانية ، ١٣٩٢م ـ ١٩٧٣م ، مصطفى البابي الحلبّي وأولاده .

● **فصـوص الحكم** : الشيـخ الأكـبر محيي الـدين بن عربي ، المتوفى سنة ٦٣٨هـ ، والتعليقـات عليـه بقلم (أبـو العـلا عفيفي) ، الطبعة الثانية ، ١٤٠٠هـ ـ ١٩٨٠م ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، لبنان .

● **فصـوص الحكم** : محيي الـدين بن عربي ، شرح الشيـخ عبـد الرزاق القاشاني ، المطبعة الميمنية بمصر .

● **الفكر الشيعي والنزعات الصوفية حتى القرن الثاني عشر** : كامل مصطفى الشيبي .

● **الفكـر الصـوفي في ضوء الكتـاب والسنـة** : عبـد الـرحمن عبـد الخـالق ، الطبعة الأولى ، ١٣٩٥هـ ـ ١٩٧٥م .

● **الفكر الصيني** : H. G. Creal ترجمة عبد الحميد سليم ، مراجعة علي أدهم .

● **الفلسفـة الهنـديـة مع مقـارنة بفلسفة اليونان والتصوف الإسلامي** : البيروني ،

راجعه وقدم له الدكتور عبد الحليم محمود، عثمان عبد المنعم يوسف، وهو فصول من كتاب: «تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مرذولة» للبيروني.

● **الفيوضات الربانية في المآثر والأوراد القادرية**: جمع وترتيب العبد الفقير الحاج إسماعيل بن السيد محمد سعيد القادري، ويليه القصيدة الخمرية، دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي وشركاه.

● **في التصوف الإسلامي وتاريخه**: رينولد. ا. نيكولسون، نقلها إلى العربية أبو العلا العفيفي، ١٣٨٨هـ - ١٩٦٩م.

● **الفكر الفلسفي الهندي**: سرفبالي راداكْرِشنا، ترجمة ندرة اليازجي، ١٩٦٧م.

● **فصل الخطاب فيما تنزلت به عناية الكريم الوهاب**: محمد مهدي الصيادي (الرواس)، مكتبة النجاح، طرابلس، ليبيا.

● **الفرق بين الفرق**: عبد القاهر بن طاهر البغدادي الإسفراييني، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد.

● **القاديانية**: د. حسن عيسى عبد الظاهر.

● **قصة التغلب على الألم**: الدكتور نقولا فياض، حزيران (يونيو) ١٩٧٩م.

● **القصد المجرد في معرفة الاسم المفرد**: لابن عطاء الله السكندري، منشورات مكتبة ومطبعة محمد علي صبيح وأولاده بمصر.

● **قلائد الجواهر**: العلامة المرحوم الشيخ محمد بن يحيى التادفي الحنبلي، وبهامشه كتاب «فتوح الغيب» للجيلاني، طبع بمطبعة مصر، شركة مساهمة مصرية، ويطلب من مكتبة الشيخ مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر.

● **قلادة الجواهر في ذكر الغوث الرفاعي وأتباعه الأكابر**: تأليف مولانا العالم العلامة الفاضل والجهبز النحرير . . . محمد أبي الهدى أفندي الرفاعي الخالدي الصيادي، الطبعة الأولى، ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م، بيروت، لبنان.

● **قوت القلوب في معاملة المحبوب ووصف طريق المريد إلى مقام التوحيد**:

للشيخ أبي طالب المكي (جزءان في مجلد)، وبهامشه كتابان جليلان «سراج القلوب» و «حياة القلوب».

● **الكبريت الأحمر في بيان علوم الشيخ الأكبر**: (بهامش اليواقيت والجواهر)، كلاهما للشعراني، مجلدان، دار المعرفة، بيروت، لبنان.

● **الكبريت الأحمر والإكسير الأكبر المعبر عنه بالدر والجوهر**: للعارف بالله الشريف الحبيب عبد الله بن أبي بكر العيدروس، قبله كتاب: «إيضاح أسرار علوم المقربين»، وبعده: «القرب في شرح نهاية الطلب»، كلها في مجلد واحد باسم الكتاب الأول، المكتبة النبهانية الكبرى، سربايا، جاوى، **١٣٥٢هـ - ١٩٣٣م**.

● **كتاب الرياضة وأدب النفس**: للإمام أبي عبد الله محمد بن علي بن الحسن الحكيم الترمذي، عني بإخراجه الدكتور ا. ج. آربري - الدكتور علي حسن عبد القادر، ١٣٦٦هـ - ١٩٤٧م.

● **الكامل في التاريخ**: عز الدين بن الأثير.

● **كشف الأسرار لتنوير الأفكار**: للشيخ مصطفى بن محيي الدين نجا، الطبعة الرابعة، ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م.

● **كشف الحجاب عمن تلاقى مع الشيخ التجاني من الأصحاب**: للعلامة سيدي الحاج أحمد بن الحاج العياشي سكيرج، ١٣٨١هـ - ١٩٦١م.

● **كشف الظنون**: حاجي خليفة.

● **الكشف والتبيين في غرور الخلق أجمعين**: ملحق بكتاب «تنبيه المغترين» للغزالي.

● **اللطائف الروحية لأبناء الطريقة الشاذلية اليشرطية**: مطبعة الإنصاف، بيروت، (تصوير سحب).

● **اللمع**: لأبي نصر السراج الطوسي، حققه وقدم له وخرج أحاديثه الدكتور عبد الحليم محمود، وطه عبد الباقي سرور، ١٣٨٠هـ - ١٩٦٠م، لجنة نشر التراث الصوفي.

● **ميزان الاعتدال**: الذهبي.

● **ما قبـل الفلسفـة**: هـ. فرانكفـورت ـ هـ. أ، فرانكفـورت ـ جون. أ. ولسن ـ توركيـلد جاكـوبس. ترجمـة: جبرا إبـراهيم جبرا، مراجعـة الـدكتـور محمـود الأمـين، منشورات دار مكتبة الحياة، فرع بغداد، ١٩٦٠.

● **محمـد في الكتـاب المقـدس**: الـبر وفيسـور دافيد بنجامين الكلداني (عبد الأحد داود)، ترجمة فهمي شما، الطبعة الأولى، ١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥م.

● **المجموعة النادرة لأبناء الآخرة**: (أربعة كتب في كتاب)، محمد مهدي الصيادي الـرواس، عني بتحقيقهـا وجمعهـا عبـد الحكيم بن سليم عبـد الباسط، مكتبة النجاح، طرابلس، ليبيا.

● **مجمـوع أوراد الطـريقـة الخلوتية الجامعة الرحمانية**: جمع وطبع على نفقة الفقير إلى الله تعالى ياسين بن الشيخ حسني الدين القاسمي الخليلي، خادم الطريقة الخلوتية، الطبعة الأولى، سنة ١٣٨٧هـ.

● **مجمـوعـة ساعـة الخبر**: تشتمل على حكم السبعة الأفلاك ومعرفة أسماء البروج ومعـرفـة منـازل القمـر، مأخـوذة عن سيـدي محيي الـدين بن العـربي، جعلها للأولياء الصالحين والطائفين المريدين، الطبعة الأخيرة، ١٣٦٨هـ ـ ١٩٤٩م.

● **محاضـرة الأبـرار ومسـامرة الأخيار**: للشيخ الأكبر محيي الدين بن عربي، الجزء الأول، تحقيق محمد موسى الخولي، القاهرة، شعبان ١٣٩٢هـ، أكتوبر ١٩٧٢م.

● **محصـل أفكـار المتقـدمـين والمتأخـرين من العلماء والحكـماء والمتكلمين**: للإمام الأعظم فخـر الـدين محمـد بن عمر الخطيب الرازي، وبذيله تلخيص المحصل للعلامة نصير الدين الطوسي، راجعه وقدم له طه عبد الرؤوف سعد.

● **المخدرات**: الدكتور صلاح يحياوي، الطبعة الأولى، ١٤٠١هـ ـ ١٩٨١م.

● **المسلك القـريب لكـل سالك منيب**: الحبيب الفاضل العالم العامل . . . سيدنا الحبيب طاهر بن حسين بن طاهر، المكتبة الشعبية.

● **مسند الإمام أحمد بن حنبل**.

● **مشكـاة الأنـوار**: أبـو حامـد الغزالي، حققها وقدم لها الدكتور أبو العلا عفيفي، القاهرة، ١٣٨٣هـ ـ ١٩٦٤م.

● **مصرع التصوف**: برهان الدين البقاعي، تحقيق عبد الرحمن الوكيل، ١٤٠٠هـ ـ ١٩٨٠م.

● **معارج القدس في مدارج معرفة النفس**: حجة الإسلام أبو حامد محمد بن محمد الغزالي، وتليها القصيدة الهائية والقصيدة التائية للمؤلف، الطبعة الرابعة، ١٩٨٠م.

● **المربي**: محمد محمد أبو خليل.

● **معـالم الطـريق إلى الله**: محمـود أبـو الفيض المنوفي، دائرة المعارف الصوفية، دار نهضة مصر للطبع والنشر.

● **معجم مصطلحات الصوفية**: دكتور عبد المنعم الحفني.

● **مفتـاح الفـلاح ومصباح الأرواح**: تاج الـدين أحمـد بن محمـد بن عطـاء الله السكندري، الطبعة الأولى، ١٣٨١هـ ـ ١٩٦١م، مصطفى البابي الحلبي.

● **مقدمة ابن خلدون**: ابن خلدون.

● **من أعـلام التصـوف الإسـلامي**: طه عبـد البـاقي سرور، لجنـة الـدراسـات الصوفية، مكتبة نهضة مصر ومطبعتها.

● **المنـاظـر الإلهيـة**: للعـارف بالله تعـالى الإمـام سيـدي عبـد الكريم بن إبراهيم الجيلي، الطبعة الأولى، ١٣٨٢هـ ـ ١٩٦٢م.

● **من الفكـر الصـوفي الإيـراني المعـاصر**: «معالم الفكر»، «نداء الحقيقة»، «رسالة القلب»، «نـير وان»، تأليف مولانـا محمـد صادق عنقـاشـاه مقصـود بير أويسي، ترجمة وتقـديم دكتـور السبـاعي محمـد السبـاعي ـ دكتـور إبـراهيم الـدسوقي شتا، دار الثقافة للطباعة والنشر بالقاهرة.

● **المنح القدوسية**: ابن عليوة المستغانمي، طبعة ثانية.

● **منظومة بدء الأماني في التوحيد**: لسراج الدين علي بن عثمان الأوشي الفرغاني، الطبعة الثانية، ١٣٧٥هـ - ١٩٥٦م.

● **المندل والخاتم السليماني والعلم الروحاني**: للإمام الغزالي، جمع وتأليف الأستاذ الكبير عبد الفتاح السيد الطوخي.

● **المنقذ من الضلال**: للغزالي، ويليه «تحفة الأريب» لعبد الله بن عبد الله، اعتنى بطبعه حسين حلمي بن سعيد استانبولي، استانبول، ١٤٠١هـ - ١٩٨١م.

● **المنتخبات من المكتوبات للإمام الرباني المجدد للألف الثاني أحمد الفاروقي السرهندي**: تعريب محمد مراد المنزاوي تولداً، المكي توطناً، استانبول، تركيا، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.

● **المواقف الإلهية**: ابن قضيب البان.

● **ميزاب الرحمة الربانية في التربية بالطريقة التيجانية**: الشيخ العلامة العارف بالله سيدي عبيدة بن سيدي محمد الصغير بن أنبوجة الشنقيطي التيشيتي، دار العلم للجميع، ١٣٩٣هـ - ١٩٧٣م.

● **ميزان العمل**: الغزالي، كتب المقدمة وترجم للمؤلف ونوه بالكتاب وصححه وعلق عليه فضيلة الشيخ محمد مصطفى أبو العلا، مدير عام التعليم الابتدائي بالأزهر الشريف.

● **نتائج الأفكار القدسية (أو حاشية العروسي)**: في بيان معاني شرح الرسالة القشيرية، العنوان الموجود على الغلاف الداخلي هو: الجزء الأول من حاشية العالم العلامة الحبر الفهامة إمام الفضلاء الفخام وشيخ مشايخ الإسلام مظهر الفيض القدوسي الأستاذ السيد مصطفى العروسي، المسماة بنتائج الأفكار في بيان معاني شرح الرسالة القشيرية لشيخ الإسلام زكريا الأنصاري، وبهامشها الشرح المذكور.

● **نسيم السحر**: للعارف بالله تعالى الإمام سيدي عبد الكريم بن إبراهيم الجيلي، مكتبة الجندي بسيدنا الحسين بمصر.

● **نشأة التصوف**: عبد الكريم الخطيب.

● **النجوم الزاهرة**: ابن تغري بردي.

● **نشر المحاسن الغالية في فضل المشايخ الصوفية أصحاب المقامات العالية**: لأبي محمد عبد الله بن أسعد اليافعي، الطبعة الأولى، عام ١٣٨١هـ - ١٩٦١م.

● **النفحات الأقدسية في شرح الصلوات الأحمدية الإدريسية**: لمحمد بهاء الدين البيطار الشامي الميداني خادم الطريقة الرشيدية الأحمدية (سنة ١٣١٤هـ)، دار الجيل، بيروت.

● **نفحات الحق**: فاطمة اليشرطية، الطبعة الأولى.

● **النفحات الغزالية**: أبوبكر أبوبكر عبد الرزاق، المحامي بوزارة الأوقاف (مصر)، دار الفكر العربي.

● **النفحة العلية في الأوراد الشاذلية**: لجامعه عبد القادر زكي، على الغلاف الخارجي: الطبعة الثالثة، وعلى الغلاف الداخلي: الطبعة الثانية، المكتبة الشعبية، بيروت - لبنان.

● **النفحة القدسية في السيرة الأحمدية التيجانية**: للجوسقي، وهي رسالة في كتاب «الفتح الرباني فيما يحتاج إليه المريد التجاني» من ثلاث رسائل.

● **هذه هي الصوفية**: عبد الرحمن الوكيل، الطبعة الثالثة، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م، دار الكتب العلمية.

● **هياكل النور**: يحيى بن حبش السهروردي.

● **الوصايا**: لابن عربي، منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت - لبنان.

● **ولاية الله والطريق إليها**: إبراهيم إبراهيم هلال، تقديم ابن الخطيب، دار الكتب الحديثة.

● **يسوع المسيح (شخصيته وتعاليمه)**: الأب بولس إلياس اليسوعي، الطبعة الثانية.

● **اليـواقيت والجـواهـر في بيان عقائد الأكابر**: (مجلدان)، عبد الوهاب الشعراني، دار المعرفة، بيروت ـ لبنان.

● **اليزيديون في حاضرهم وماضيهم**: السيد عبد الرزاق الحسني، الطبعة الثامنة، ١٤٠٢هـ ـ ١٩٨٢م.

